مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أحمد بن يحيى
المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية

أشرف على تحقيق الموسوعة
وحققه هذا السفر
كامل سلمان الجبوري

الجزء العاشر

أصحاب الموسيقى والغناء



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : MASĀLIK AL-ᵓABṢĀR FĪ MAMĀLIK AL-ᵓAMṢĀR

Classification: Lexicons

Author : Šahābuddīn Ibn fadlullah al-ᶜUmari

Editor : Kāmil Salmān al-Jubūri and: Mahdī al-Najm

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Pages : 10240 (15 Volumes)

Size : 17*24

Year : 2010

Printed in : Lebanon

Edition : 1st

الكتاب : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

التصنيف : موسوعات

المؤلف : شهاب الدين ابن فضل الله العمري

المحقق : كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم

الناشر : دار الكتب العلميـــة – بيروت

عدد الصفحات : 10240 (27 جزءاً في 15 مجلداً)

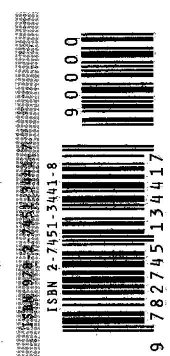
قياس الصفحات: 24*17

سنة الطباعة : 2010

بلد الطباعة : لبنـــان

الطبعة : الأولى





بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

وبعد:

فهذا هو السفر العاشر من كتاب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لشهاب الدين، أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري الدمشقي، المتوفى بها سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م.

وقد ترجم فيه لمشاهير أصحاب الموسيقى والغناء.

معتمداً فيه على عدة مصادر أهمها: كتاب الأغاني، والإماء الشواعر وكلاهما لأبي الفرج الأصفهاني، والمحدث في الأغاني لابن ناقيا البغدادي.

وقد اعتمدت في تحقيق هذا السفر على نسختين هما:

١ـ نسخة مكتبة أيا صوفيا ـ مكتبة السليمانية ـ استانبول برقم ٣٤٢٣، وقد وقفها السلطان العثماني محمود خان، وعليها ختم باسم أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين.

والتي قام بنشرها مصوّرة الدكتور فؤاد سزكين ـ معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ـ فرانكفورت ـ المانيا الإتحادية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

وفي هذه النسخة بياضات كثيرة يبدو أنها كتبت باللون الأحمر الذي زال من خلال تقادم الزمن، وعدم ظهوره في النسخة المصورة من قبل الدكتور سزكين، وقد تمت معالجة هذه البياضات من خلال الاستئناس بالنسخة الثانية ومراجع التحقيق.

وكانت (الأصل) في عملنا.

٢ـ نسخة أحمد الثالث ـ طوبقبو سراي ـ استانبول رقم ٢٧٩٧.

وقد كتبت في الأصل برسم خزانة السلطان المملوكي، الملك المؤيد، شيخ ابن عبد الله المحمودي (ت ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م).

وقّفها الملك المؤيد على طلبة العلم بجامعة (المؤيدي) في القاهرة.

* * *

أما طريقتي في تحقيقه فهي كما ذكرتها في مقدمتي للسفر الأول من الموسوعة.

هذا ما استطعت عمله، وحسبي أني كنت مخلصاً فيه.

والله ولي التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل

جمهورية العراق ـ الكوفة

كامل سلمان الجبوري



صفحة العنوان ـ مخطوطة أيا صوفيا ـ مكتبة السليمانية ـ استانبول رقم ٣٤٢٣

٤٤٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم • ربنا افرغ علينا صبرا واعن
ومن يعد من الحكماء أهل علم الموسيقى إذ هو من الطبيعي وقد اتخذ منهم
من مشاهير أهل الغنا من ذكره أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الجامع وفي كتاب
الإماء ومن ذكره ابن باقيا النحوي البغدادي في كتاب المحدث ثم ذيلت ذلك بما نظرته
في الكتب والمقطعة منها النقاط الزوائد من النخب ووجدت أهل الجانب الشرقي بأمثال
في الجانب الغربي ومصر وإن لم يطاول إلا الأسماء وسمعت في الجانبين إلى زماننا
بيانه لم أر فيها الجهد وأحمد به على ترتيب ما وقع الاختيار منه ووجب على حكمه
بالدليل عليه ومن تأمل ما أثبته علم مقدار حسن هذا المبذول وتحصيل ما حصلته
وكبر لديه ما جمعته وشهد لي بأني لم أقصر وبالفضل لمن ابتغيه ورأيت من القدماء والمحدثين
اختلافا في ألقاب الأنغام التي صنعوا فيها الأصوات اختلافا في الأسماء لا في
المسميات ـ وكنت وقفت على كتاب ابن باقيا في الأغاني وهو على طريقة القدماء ولم
أجد على طريقة المحدثين ما أرجع إليه ولا أفهمه منه وسألت جمال الدين عمر بن خضر بن جعفر
عرف بابن زادة الديسي المشرقي عن هذا لأنه لم يكن هو عالم هذا الشأن بالشام فجلى
ولم يبين غرائبه قال إنما خبرت المسميات إذ نشأ التوقي صاحب الأدوار الأربعة
والأربعين ضربا ثم سراج الدين الخراساني صاحب شيبو، وكلاهما من أهل ما وراء النهر
وكان ذلك بحضور الشيخ الفاضل شمس الدين محمد بن شكر الدينوري فجعل يدله على الطريق
وهو ثابت وبادر فأخرج ما أتى معجم البيان فالحق بهذه الأبيات ثم جعل ينشد
بحثا بيننا من الأبيات التي فيها أصوات الأول المسماة بمصطلحهم إلى أن ظهر له اتفاق
القدماء والمحدثين في المعنى واختلافهم في اللفظ فنزل أسماء المحدثين على أسماء القدماء
ورتب في هذا المقال وعلى ما يعز القراع ويدق عنها الأفهام ثم لحق فيه ما تضمنه
اعلم أن الأوائل رحمهم الله رتبوا الجانهم على نوعين ضرب ولحن مسميات بأسماء
اصطلحوا عليها وجعلوا أنواع الضروب ستة ثقيل أول وثقيل ثان وخفيف الثقيل



وقف هذه النسخة السلطان الأعظم
والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين
خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي محمود خان وفقه تعالى
... طالع ... وأنا ...
... درويش أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف
الحرمين الشريفين غفر لهما



٢

ودما

الصفحة الأولى ـ مخطوطة أيا صوفيا ـ مكتبة السليمانية ـ استانبول رقم ٣٤٢٣

له بور

لا يجني على مثله الوجود في رتبته • ولا يجني بشبيبه النهار بجره واصالبعوديته
يطرب قبل الإنشاد • ويحرك حتى الجماد • ويحرر لديه أصوات المثاني والمثالث
وما صنع ونصه الغاني والأغاني وما يترجح • نقل مذاهب القدماء • كابن
المهدي وإسحق • وجدد طوالع تلك الأصول التي أكلها المحاق • لا يوجد
صوت مما ذكره أبو الفرج الأصبهاني الأوجد به وجنه • وتعمله وزيد
وصنف كتابا يتناول له أحسن ما صنف جمع وشغل سمع • وقد خطأ الفارابي في
هذا العلم • وأنكر عليه أهل المعرفة ثم سلموا إليه أنه إنما قاله عن علم • وابن
كر هذا من حيث امرأة تناول سلفه في بغداد إذا ارتفعا حتى ملكها التتار
فلذهب أبوه مصر فأجرى عليه راتب عاد إلى ابنه هذا بعده وهو الآن في
زاوية قرب المشهد الحسيني بالقاهرة المعزية • أطهار وصفه وأوقف
أبيه وله عزيمس • وشعر عفاف • ما أخذ هذه الصناعة الطريفة الأرعيانا
له لا استتر إنا أنبه • وله في صحبة أعرف جمالها كان يتردد إلى ويتودد
ويتعقد ولا ينفقه • ولقد هي فأضحك وغني فأبكى • وغني فأنام • ورأيت بعيني
منه ما سمعته أدنأي عن الفارابي • فصدق الخبر الخبر • وجعوا لعين الأثر
ورأيت منه واحدا • سبحان من وهبه ما لا هو في قدرة البشر • وله أصوات
في أشعار ديا ومنها قوله

• أبرى حبيبا قد فنيت بحبه • لو كان يرثي للمحب إذا اشتكى •
• والله ما هبت نسيم دياره • إلا تعلقت بذيلها متمسكا •
• يا عين أنت شكيتي في حبه • لما نظرت له وأنت المشتكى •
• قالت عليك بأدمعي فلحبتها • لو كان دمعي الحمراء البكا •

ومنها قوله

• قفا بي على الوادي أودع مهجتي • واستودع الأحباب مني ما بقي •
• فيا ليت شعري هل نعود إلى الحمى • ونجمعا شمل الحبيب فنلتقي •

الصفحة ما قبل الأخيرة ـ مخطوطة أيا صوفيا ـ مكتبة السليمانية ـ استانبول رقم ٣٤٢٣

• ونعقل خلل النخيل ركابنا • ونشرب من ماء الغدير ونستقي •
• ونشكو الذي لقناه من ألم النوى • وهيهات ما عند الحبيب تشوقي •

ومنها قوله

• يا أخلائي بجلق فؤاد مستهام •
• وجفون قد جفاها بعد أجفاني المنام •
• إن وصلتم فسرور واغتباط وابتسام •
• أو هجرتم وكفينا فعلى الدنيا السلام •

الصفحة الأخيرة ـ مخطوطة أيا صوفيا ـ مكتبة السليمانية ـ استانبول رقم ٣٤٢٣



صفحة العنوان ـ مخطوطة أحمد الثالث ـ طوبقبو سراي ـ استانبول رقم ٢٧٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم • وما توفيقي إلا بالله •
[illegible] مؤلفه أحمد بن [illegible] المعروف [illegible]
[illegible] وسيل [illegible]
[illegible] الشعر وشاعر الحماسة [illegible] على [illegible] الناس وشاعر الشعراء
[illegible] كان [illegible] أرسططاليس [illegible]
[illegible] الأبابين •
[illegible] الطواوين • وتخييل كأنه لعب الأماني
وخرج له الجاني [illegible] بوجه الإقبال • [illegible]
[illegible] • [illegible] أرسطو على [illegible] •
[illegible] • وإذا [illegible] أرسطو [illegible] •
[illegible] بها على ما قاله أرسطو [illegible]
[illegible] ذهب [illegible] اللؤلؤ [illegible]
[illegible] •
[illegible] • [illegible]
الأكبر ويكون من الأمثل الذي [illegible] الجوهر [illegible]
[illegible] الشعراء إلى [illegible] وعلى [illegible]
[illegible]
[illegible] وقد كان [illegible]
[illegible] الكتاب [illegible] زال [illegible]
[illegible] ولا على [illegible]
[illegible] ولا يقع على [illegible] وقوع الذباب
[illegible] صباح [illegible] صباح [illegible] زلال
[illegible] ومركب [illegible]

الصفحة الأولى - مخطوطة أحمد الثالث - طوبقبو سراي - استانبول رقم ٢٧٩٧

الصفحة ما قبل الأخيرة ـ مخطوطة أحمد الثالث ـ طوبقبو سراي رقم ٢٧٩٧

١٠

[illegible]

[illegible]

الصفحة الأخيرة ـ مخطوطة أحمد الثالث ـ طوبقبو سراي ـ استانبول رقم ٢٧٩٧

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أحمد بن يحيى
المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية

أشرف على تحقيق الموسوعة
وحقق هذا السفر
كامل سلمان الجبوري

الجزء العاشر

أصحاب الموسيقى والغناء

/٢/ بسم الله الرحمن الرحيم

ربّنا أفرغ علينا صبراً، وأعنْ

وممن يُعَدُّ من الحكماء أهلُ علم الموسيقى؛ إذ هو من الطبيعي، وقد أتيتُ منهم على مشاهير أهل الغناء ممن ذكره أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الجامع، وفي كتاب «الآباء»، وممن ذكره ابن ناقِيَا النحوي البغدادي[١] في كتاب «المحدث»؛ ثم ذيَّلتُ ذلك بما نظرتُه في الكتب والتقطتُه منها التقاط الفرائد من السحب، وواخيت أهل الجانب الشرقي بأمثال في الجانب الغربي ومصر، وإن لم يطاول الماء السماء، وسقت في الجانبين إلى زماننا سياقاً لم آل فيه الجهد، وأتيتُ به على ترتيب ما وقع الاختيار منه، وجئتُ على حكمة بالدليل عليه.

ومنَ تأمّل ما أتيتُه علم مقدار جهدي المبذول في تحصيل ما حصلته، وكبر لديه ما جمعته، وشهد لي بأني لم أقصّر، وبالتفضل لمن اتبعته.

ورأيتُ بين القدماء والمحدثين اختلافاً في ألقاب الأنغام التي صنعوا فيها الأصوات اختلافاً في الأسماء لا في المسميات.

---

(١) عبد الله بن محمد بن الحسين بن ناقيا بن داود بن محمد بن يعقوب بن أبي الفتح الحنفي المعروف بالبندار، الرئيس، أبو القاسم، الشاعر البغدادي. من أهل الحريم الظاهري، محلة في بغداد، أديب شاعر، لغوي، من شعراء الدولة القائمية والمقتدرية.
ولد في منتصف ذي القعدة سنة ٤١٠هـ/ ١٠٢٠م.
تتلمذ على أبيه الذي كان يروي الشعر وينقل الأخبار، وسمع من عدد من الأعلام والشعراء وروى عنهم.
كان كثير المجون، ينسب إلى مذهب المعطلة، ويتهم بالطعن على الشريعة.
له: «ملح الممالحة» مجموع، و«تفسير الفصيح» لثعلب، و«الجمان في تشبيهات القرآن ـ ط» و«مقامات» في الأدب، و«ديوان شعر» كبير طبع في استانبول سنة ١٣٣١هـ مع مقامات الحنفي و«أغاني المحدثين» سماه العمري «المحدث في الأغاني».
ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٦٦، المنتظم ٩/ ٦٨، الجواهر المضية ١/ ٣٨٣، لسان الميزان ٣/ ٣٨٤، إنباه الرواة ٢/ ١٥٦، معجم الأدباء ٥/ ١٦٥، بغية الوعاة ٢/ ٦٧، الأعلام ٤/ ١٢٢، كشف الظنون ١/ ٥٩٤، هدية العارفين١/ ٤٥٣، مقدمة كتابه «الجمان في تشبيهات القرآن» لمحققيه د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي، ط بغداد.

وكنتُ وقفتُ على كتاب ابن ناقيا في الأغاني وهو على طريقة القدماء، ولم أجد على طريقة المحدثين ما أرجع إليه، ولا أتفهم منه.

وسألت جمال الدين عمر بن حضر بن جعفر ـ عرف بابن زادة الديسني المشرقي ـ عن هذا ليبينه لي؛ وهو عَلَمُ هذا الشأن بالشام فلجلج، ولم يبيِّن، غير أنه قال: إنما غُيّرت التسميات إذا نشأ التوثي صاحب الأرمال الأربعة والأربعين ضرباً، ثم سراج الدين الخراساني صاحب شيوه وكلاهما من أهل ما وراء النهر، وكان ذلك بحضور الشيخ الفاضل شمس الدين محمد بن شكر الديري، فجعل يدلّه على الطريق، وهو تارة وتارة، فآخر ما انتهى معه إليه أن قال: جُس لي هذه الأبيات، ثم جعل ينشده بيتاً بيتاً من الأبيات التي فيها أصوات الأول المسماة بمصطلحهم إلى أن ظهر له اتفاق القدماء والمحدثين في المعنى، واختلافهم في اللفظ فنزل أسماء المحدثين على أسماء القدماء ورتب في هذا المقال، وفعل ما يُعجز القرائح، ويدق عنها الأفهام، ثم لخّص فيه ما مضمونه: «اعلم أنَّ الأوائل ـ رحمهم الله ـ رتبوا ألحانهم على نوعين: ضرب، ولحن مسميات بأسماء واصطلحوا عليها، وجعلوا أنواع الضروب ستة: ثقيل أول[١]، وثقيل ثان[٢]، وخفيف الثقيل[٣]، /٣/ ورمل[٤]، وخفيف الرمل[٥]، والهزج[٦]، وهذا كما

---

(١) ثقيل أول: في الموسيقى، اسم دور الإيقاعات العربية، المشهورة قديماً وهو من جنس ثقيل المتساوي الثلاثي، والأصل فيه نقرتان متساويتان ثقيلتان، ثم واحدة ثقيلة فاصلة الدور «الموسوعة العربية الميسرة والموسعة ٣/ ١٢٨١».

(٢) ثقيل ثان: في الموسيقى العربية اسم دور من الإيقاعات المشهورة قديماً عند العرب، وهو من جنس ثقيل المتفاضل الثلاثي الذي يقدم فيه الأصغر من زمانيه على الأعظم، والأصل فيه نقرتان متواليتان، الأولى أخف زمناً من الثانية، ثم ثالثة ثقيلة فاصلة الدور «الموسوعة العربية الميسرة والموسعة ٣/ ١٢٨١».

(٣) خفيف الثقيل الأول: دور من أدوار الأصول في الإيقاعات العربية المشهورة قديماً، وهو من جنس خفيف المتساوي الثلاثي (٤ من ٤)، ويرتب نقرتين خفيفتين ثم واحدة ثقيلة، وزمان دوره على هذا الوجه نصف زمان الثقيل الأول «الموسوعة العربية الميسرة والموسعة ٤/ ١٦١٩».

(٤) رمل: اسم ضرب في الإيقاعات الموسيقية زمان دوره الأعظم (٢٨ من ٤) وهو من الأدوار المركبة، والمشهور باسم الرمل عند القدماء من العرب، هو جنس خفيف المتفاضل الثلاثي الذي يرتب فيه الأصغر وسطاً، وإذا جعل الإيقاع من جنس ثقيل المتفاضل الثلاثي فإنه يسمى ثقيل الرمل أو مضاعف الرمل، وزمان دوره (١٢ من ٤) «الموسوعة العربية الميسرة والموسعة ٤/ ١٨٤٣».

(٥) خفيف الرمل: دور من أدوار الأصول في الإيقاعات العربية قديماً، وهو من جنس خفيف المتفاضل الثنائي، ويعد أصغر أدوار الأصول جميعاً، ويرتب نقرة خفيفة ثم فاصلها، وزمان دوره =

يقال: إنّ الضرب فيه نقرّات: ثقال، وخفاف، وخفاف الخفاف.

وأما الأصابع فهي الألحان عندهم وهي ست كذلك: المطلق[١]، والمعلّق، والمحمول[٢]، والمنسرح، والمزموم[٣]، والمجنب[٤].

وإذا ضربت ثلاثة في ستة كانت ثمانية عشر رجوعاً إلا أن الضرب مع اللحن يختلف مع الثقال والخفاف، وخفاف الخفاف، فيختلف الصوت مع الضرب بالقوة والضرب، فيسمّى كل واحد باسم، ولهذا يقولون: مطلق السبابة والوسطى والخنصر والشهادة أو مقبوضاً كل ذلك إشارة منهم إلى الألحان المختلفة، فسمَّوا كلّ لحن باسمٍ علم عليه يعرف به؛ لئلا يصل العلم عند التعليم. كذلك فعل المتأخرون من الفرس حين سمَّوا هذه الأسماء الأعجمية المصطلح عليها في زماننا وهي: الراست[٥]،

= (٢ من ٤) وقد يطول زمان فاصلة الدور بنقرة ساكنة تامة فيصل زمان دوره إلى ميزان (٥ من ٤) «الموسوعة العربية ٤/ ١٦١٩»

(٦) الهزج: في الموسيقى العربية: الإيقاع الموصل ذو الزمان الواحد المتساوي بين كل نقرتين متواليتين، ويستمر هذا الضرب حتى نهاية اللحن الغنائي، وأصناف إيقاع الهزج أربعة، بعدد أصناف الأزمنة التي تنقسم إليها أعظم الأزمنة المتوالية بين نقرتين في الدور، وهي: سريع الهزج، وخفيف الهزج، وخفيف ثقيل الهزج، وثقيل الهزج. «الموسوعة العربية ٨/ ٣٥٩٣»

(١) المطلق: اصطلاح في تجنيسات الأغاني عند العرب على مذهب إسحاق الموصلي فقد ذكر في كتابه أن للغناء مجريين في كل طبقة، أحدهما منسوب إلى الوسطي والآخر منسوب إلى البنصر، فأيهما جعلت المجرى كانت الطبقة منسوبة إليه، وذهب إلى أن نغمة السبابة مشتركة مع أيهما.
«الموسوعة العربية ٧/ ٣٢٦٥ـ ٣٢٦٦»

(٢) المحمول: اصطلاح في الموسيقى عند العرب المتوسطين، لتعريف نغم الجنس الذي يستقر على دستان الوسطي في العود، والأرجح أنهم يعنون الوسطي الفارسية أو مجنب الوسطي، فيشبه ما هو محمول بالوسطي بين السبابة والبنصر، وأما التعريف المشهور الذي يقابله عند القدماء على مذهب إسحاق الموصلي. فهو مطلق في مجرى البنصر «الموسوعة العربية ٧/ ٣١٨٠»

(٣) المزموم: تجنيس في مصطلحات الأغاني، كان العرب المتوسطون يستعملونه لنغم الجنس الذي يستقر على نغمة سبابة الوتر في العود، مسبوقة بنغمة مجنب الوسطي، أو يستقر على نغمة مطلق الوتر مسبوقة بنغمة مجنبة. «الموسوعة العربية ٧/ ٣٢٢٩ـ ٣٢٣٠»

(٤) المجنب: أنواع، مجنب السبابة، ومجنب الوتر، ومجنب الوسطي، وهو تعريف عربي قديم، وهو اسم دستان من دساتين العود، تسخرج منه النغمة التي هي أقرب ثقلاً إلى نغمة دستان السبابة «الموسوعة العربية ٧/ ٣١٥٣ـ ٣١٥٤»

(٥) الراست: كلمة فارسية بمعنى مستقيم، تطلق اصطلاحاً على هيئة لحنية لجماعة النغم الأساسية في =

والعراق[١]، والزيلكفند[٢]، والأصبهان، والزنكلا، والبزرك[٣]، والراهوي[٤]، والحسيني[٥]، والماآه، والبو سلك[٦]، والنَّوى[٧]، والعشاق[٨]، وأوازها، وهي:

=

الموسيقى العربية التي تعرف بالجماعة المستقيمة واصطلاحاً راست، ويسمى بهذا الاسم أيضاً نغمة أساس الجمع المسماة (بكاه)، وكذلك الجنس الأساسي ذو الأربع، وهو من أصناف الجنس القوي المتصل المسمى اصطلاحاً (جنس الراست) «الموسوعة العربية ٤/ ١٧٩٠-١٧٩١».

(١) العراق: اصطلاح في الموسيقى العربية، تسمى به نغمة في المنطقة الثقيلة، تسمع في العود من مجنب سبابة الوتر الثاني المسمى وتر العشيران، ويختلف تحديد هذا النغمة باختلاف تسوية نغمة مطلق وتر العشيران، ونغمة صياحها بالقوة في المنطقة الوسطى، تسمى (أوج)، ويسمى أيضاً باسم (عراق) هيئة اللحن الذي يستقر على هذه النغمة، المسمى باسم (العراق) والجنس المميز للحن هذه الجماعة هو القوي المتصل الأشد غير المنتظم. «الموسوعة العربية ٥/ ٢٣٩٩».

(٢) الزيلكفند: هو المحمول، وقد مرّ في هامش سابق. «انظر: الموسوعة العربية ٤/ ١٩٤٠».

(٣) البزرگ: كلمة فارسية معناها (الكبير)، وهي في الموسيقى العربية اسم نغمة في المنطقة الحادة، تسمع من العود بالإصبع البنصر على الوتر الخامس وهي صياح النغمة المسماة في الطبقة الوسطى (سيگاه)، ويزرگ أيضاً تطلق على هيئة لحنية لجماعة أنغام، مؤلفة تأليفاً معيناً فيما يسميه أهل الصناعة مقام (بزرگ)، وهو اسم آخر لطريقة مقام (الماهور). «الموسوعة العربية ٢/ ٨٥٢».

(٤) الراهوي: يستعمل اصطلاحاً في الموسيقى العربية على هيئة لحنية تؤخذ من جماعة نغم، تستقر على درجة (الراست) فيما يسمونه (مقام راهوي) أو (رهاوي)، واستعمال المحدثين لهذا النغم يشبه (مقام الراست) وأما المتوسطون فكانوا يطلقون اسم (راهوي) على ترتيب جماعة أخرى غير التي يستعملها المحدثون. «الموسوعة العربية ٤/ ١٨٠٠».

(٥) الحسيني: اصطلاح في الموسيقى العربية، يطلق على النغمة التي تسمع من سبابة الوتر الرابع في العود، وهو (وتر النواة)، وسجاح هذه النغمة، أي نظيرتها بالقوة الأثقل هي نغمة (عشيران) وتسمع مطلق الوتر الثاني المسمى وتر (العشيران) وتسمى باسم (حسيني) أيضاً، هيئة لحنية لجماعة نغم تعرف (بمقام الحسيني)، وتميز عند الإجراء باستعمال نغم الجنس القوي المرتكز على نغم الحسيني، ثم تستقر على نغمة (دوكاه) التي هي مطلق الوتر الثالث في العود، ونغمة حسيني إذا لم تكن صياح مطلق وتر العشيران فتحولت قليلاً إلى جهة الثقل، فإنها تسمى باسم آخر، فهي تارة باسم (شورى) وتارة باسم (حصار)، وهذه تسمع من العود قريباً من الأنف على وتر النواة «الموسوعة العربية ٤/ ١٥٣٥».

(٦) البوسلك: وهي تسمية اصطلاحية في الموسيقى لنغمة في الطبقة الوسطى، تسمع من آلة العود فيما بين سبابة الوتر الثالث المسمى (دوگاه) وبين نغمة وسطاه، ويسمى أيضاً باسم (بوسلك) هيئة لحنية تسمى (مقام بوسلك) تسمى في المنطقة الوسطى، مؤسسة على نغمة (دوگاه)، ويستعمل فيها من الأجناس اللحنية الجنس ذو الأربعة المسمى (جنس بوسلك) وهو القوي الأرخى غير =

النيروز[١]، والشهرناز[٢]، والسلمك[٣]، والحجاز[٤]، والكوشّت على اختلاف في هذه التسمية، فهذه تلك الست تضاعفت بثلاثة بحسب التركيب، فبلغت ثمانية عشر؛ فالمطلق هو الراست، والمعلّق هو العراق، والمحمول هو الزيلفكند، والمنسرح هو أصفهان، والمزموم[٥] زنكلا، والجنب بزرك.

ثم تركبت الستة الباقية من الستة الأولى فالرهوي من المطلق، والمعلق، والحسيني من المحمول، والمنسرح، والماآه، والبو سلك من المزموم، والنوى، والعشاق من المجنب.

المتتالي الذي يرتب فيه أصغر الأبعاد الثلاثة وسطاً، وقد تسمى هذه الهيئة اللحنية بمقام عشاق. «الموسوعة العربية ٢/ ٩٦٨»

(٧) النوى: اصطلاح يطلق على الوتر الرابع في العود، ويسمى أيضاً (نواة)، وكذلك تسمى نغمة مطلقة، وهي الخامسة التامة في ترتيب النغمات الأساسية في المنطقة المتوسطة صعوداً من الأولى المسماة (يكاه) أو (راست). وتسمى باسم (نوا) أيضاً هيئة لحنية لجماعة نغم تستقر على النغمة المسماة (دوكاه) فيما يعرف باسم (مقام نوا) وهو من المقامات المركبة من حجاز النوا عند الاستهلال إلى المنطقة الحادة، وجنس الراست محولاً على الدوكاه، ثم التسليم بجنس البيات. «الموسوعة العربية ٨/ ٣٥١٩»

(٨) العشّاق: اسم آخر لهيئة اللحن المسمى في الموسيقى العربية مقام (بوسلك) الذي يستقر في المنطقة الوسطى على نعمة (دوگاه)، وهي نعمة مطلق الوتر الثالث في العود، وقد يسمى هذا باسم مقام (عشاق مصري) تميزاً له عن المقام المشهور باسم (عشاق تركي) الذي يشبه مقام البيات. «الموسوعة العربية ٥/ ٢٤٢٢»

(١) النيروز: هو العيد القومي الكبير للفرس، ومعناه اليوم الجديد، وهو أول يوم من السنة الشمسية الإيرانية، ويوافق ٢١ آذار من السنة الميلادية.

(٢) الشهرناز: وهو اسم فارسي، معناه (مدينة الدلع)، ويطلق اصطلاحاً في الموسيقى العربية على هيئة لحنية مركبة، تبدأ من المنطقة الحادة بجنس الراست في الكردن، ثم بجنس الراست على النواه، على أن تجعل النغمة المسماة حسيني ظهيراً لجنس الراست على النواه، ثم يختم بجنس البيات مؤسساً على الحسيني، وهو الجنس القوي غير المتتالي. «الموسوعة العربية ٥/ ٢٢٢٥»

(٣) لعله يريد (سلم الموسيقى العربي): وهو نغمات أساسية تعد كل منها مركز تأسيس أجناس معينة النعم والحدود وهي: يگاه، دوگاه، سيگاه، آهارگاه، نواه، حسيني، عجم، وهنالك اختلاف بين استعمال أهل الصناعة، وبين رأي النظريين المحدثين في الاعداد الدالّة على النغم. «الموسوعة العربية ٥/ ٢٠٥٩»

(٤) الحجاز: اصطلاح في الموسيقى العربية، يطلق على النغمة الرابعة الزائدة قليلاً بمقدار بعد إرخاء مما يلي النغمة الرابعة الأساسية المسمى حهارگاه، وتؤخذ من العود بالإصبع البنصر على الوتر الثالث، ويسمى باسم حجاز أو حجازي هيئة نغم في المنطقة الوسطى تؤسس على النغمة الأساسية (دوگاه) وهي نغمة مطلق الوتر الثالث في العود.«الموسوعة العربية ٤/ ١٤٧٦ـ ١٤٧٧»

(٥) المزموم: مرّ تعريفه بهامش سابق.

ثم أخذ بالتركيب النيروز من المطلق والمعلّق لاختلاف الضرب، ثم الشهناز من المحمول والمنسرح، ثم السلمك من المزموم والمجنّب، ثم الزركشي من المحمول والمنسرح، والحجاز من المزموم والكواشت من المجنب، أما الماخوري[١]، والمحصور[٢] والمشكول، فتأخر تسميته مع متأخري أوائلهم وكذلك غيرها، وتركيبها كتركيب الشاذ عند المتأخرين، والله أعلم.

فأما [ما] نحن بصدده ممن نذكره وفي المفاضلة بين الجانبين من أهل هذه الصناعة فسنبدأ بالمختار من كتاب أبي الفرج الأصفهاني الجامع[٣]، ثم من كتاب الإماء[٤]، ثم ما ذكره ابن ناقيا[٥].

ثم ندخل حتى يرفل هذا الكتاب في فاضل برده.

---

(١) الماخوري: ضرب في الإيقاعات الموسيقية العربية التي اشتهرت قديماً، كان أهل الصناعة وقتئذ يعدونه هو بعينه (إيقاع خفيف الثقيل الثاني) واسم الماخوري مشتق عن تمخير الإيقاع، ليكون وسطاً بين الحثيث من الإيقاعات والخفيف.
«الموسوعة العربية ٧/ ٣٠٨٠».

(٢) محصور بالبنصر: اصطلاح موسيقي عند العرب المتوسطين، يطلق على هيئة ترتيب نغم الجنس الذي يستقر على نغمة بنصر الوتر ببعد بقية، وأما المشهور في تجنيس الأغاني في هذا الجنس، فهو مذهب إسحاق الموصلي.
«الموسوعة العربية ٧/ ٣١٥٩».

(٣) يقصد كتاب الأغاني.

(٤) كتاب الإماء الشواعر، لأبي الفرج الأصفهاني طبع بتحقيق جليل العطية، دار النضال ـ بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٥م.

(٥) يقصد كتاب «أغاني المحدثين» الذي أطلق عليه اسم «المحدث في الأغاني».

[مشاهير أهل الغناء في بلاد المشرق]

فمنهم:

[١]

ابن محرّز[١]

محرز لغاية، ومتبرّز في غواية، تردّد بين الحرمين: مكة، والمدينة للقاء المحسنين، والإلقاء من المغنين.

ثم لم يقنع حتى أتى بلاد فارس، وجنى من تلك المغارس، وأصبح لا يدع طرفاً به إلاّ انسجم، ولا مختاراً إلا مجموعاً فيه عرباً على عجم، فلم يبق في الغناء نادَّه حتى جازها، ولا شاذة أعجزت /٤/ من قبله أهل الطرب حتى شازها كأنَّه لهذا خُلق، وبه استحق التقدم، وإن سُبق، إلا أن داءه أزواه حتى كان تلقاء العيون، وما رمُق.

قال أبو الفرج؛ قال إسحاق: كان يسكن المدينة مرّة، ومكّة مرّة فإذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر يتعلّم الضرب من عَزَّة الميلاء[٢] ثم يرجع [إلى] مكة، فيقيم بها ثلاثة أشهر.

ثم صار بعد ذلك إلى فارس، فتعلّم ألحان الفرس، فأخذ غناءهم، ثم صار إلى الشام، فتعلّم ألحان الروم، فأخذ غناءهم، فأسقط من ذلك ما لا يستحسن من نغم الفريقين، وأخذ محاسنهما، وفرج بعضهما ببعض، وألّف منهما الأغاني التي صنعتها من أشعار العرب، فأتى بما لم يُسمع بمثله، وكان يقال له: صناج العرب.

---

(١) مسلم بن مُحْرِز، أبو الخطاب، مولى بني عبد الدار: أحد المقدمين في صناعة الغناء والألحان. فارسي الأصل. كان أبوه بمكة، من خدام الكعبة. ونشأ هو بمكة، ثم كان يقيم فيها مدة وفي المدينة مدة، يتعلم في الثانية الضرب من عزة الميلاء. وشخص إلى «إيران» فتعلم ألحان الفرس. وصار إلى الشام، فتعلم غناء الروم وألحانهم. ومزج غناء الفرس والروم وأخذ منهما أغانيه التي صنعها في أشعار العرب، فأتى بما لم يسمع مثله. وكان يقال له «صناج العرب». اشتهر في صدر الدولة العباسية، وأصيب بالجذام فلم يعاشر الخلفاء ولا خالط الناس، توفي نحو سنة ١٤٠هـ/ نحو٧٥٧م.

ترجمته في: الأغاني: ١/ ٣٦٣ـ ٣٦٨، الأعلام ٧/ ٢٢٣.

(٢) ترجم لها المؤلف برقم (٥٧).

قال إسحاق: وكان ابن محرز قليل المخالطة للناس، فأخمل ذلك ذكره، فما يذكر الآن غناؤه، وأخذتْ كلّ غنائه جارية لصديق له من أهل مكة كانت تألفه، فأخذ الناسُ عنها. ومات بالجذام.

قال إسحاق: خرج ابن محرز يريد العراق فلقيه حنين[1]، فقال: كم منتك نفسك من العراق؟، قال: ألف دينار، قال: فهذه خمسمائة دينار فخذها وانصرف، واحلف أن لا تعود.

قال إسحاق: ولم يعاشر الخلفاء، ولم يخالط الناس لأجل الداء الذي كان به؛ ولما شاع ما فعله حنين، لأمه أصحابه، فقال: لو دخل العراق لما كان لي معه خبز آكله، ولا طرحت، وسقطت إلى آخر الدهر.

ومنهم:

[٢]

ابن عائشة[2]

طوى زمان الغناء بموت قرنائه، وأنسى إحسان المحسنين بغنائه، وأسس ما لم يشيد على بنائه، حتى كان مجمع أولئك العشاق، وطراز حواشي تلك الأيام الرقاق، وأَلِفَ من صغره مغازلة النساء، فجاءه على غنائه تلك الرقة، وبان في أصواته الشجيَّة البكاء لتلك الفُرقة، واتصل بالخلفاء اتصال أمثاله، واتصف بما فات من مراد الظرفاء مُنى آماله.

قال أبو الفرج: قال الوليد بن يزيد لابن عائشة: يا محمد أَلِبغيةٍ أنت؟، قال: لا، ولكن كانت أمي يا أمير المؤمنين ماشطة، وكنت غلاماً، وكانت إذا دخلت إلى موضع قالوا: ارفعوا هذا لابن عائشة، فغلبتْ على نسبي.

قال إسحاق: أخذ الغناء عن معبد ومالك، ولم يموتا حتى ساواهما، وكان حسن الصوت يفتن كلَّ من سمعه، وابتداؤه الغناء كان يضرب به المثل، فيقال: كأنه ابتداء ابن عائشة في الحسن.

---

(١) ترجم له المؤلف برقم (٣).

(٢) محمد بن عائِشَة، أبو جعفر: موسيقار. من المقدمين في صناعة الغناء ووضع الألحان، في العصر الأموي، يرتجل ذلك ارتجالاً. وهو من أهل المدينة، ينسب إلى أمه، وكانت مولاة لأحد بني كندة. ويضرب المثل في ابتدائه بالغناء حتى قيل للابتداء الحسن كائناً ما كان، من قراءة قرآن أو إنشاد شعر، أو غناء: كأنه ابتداء ابن عائشة، توفي نحو سنة ١٠٠هـ/ نحو٧١٨م.
ترجمته في: الأغاني ٢/ ١٩٥ـ ٢٣٥، الوافي بالوفيات ٣/ ١٨١، الأعلام ٦/ ١٧٩.

قال يحيى المكي: ثلاثة من المغنين كانوا أحسن الناس حُلوقاً: ابن عائشة، /٥/ وابن بيرق، وابن أبي اللباب.

قال... ابن أبي عتيق يوماً: حلق ابن عائشة مخدشاً، فقال: من فعل بك هذا؟، فقال: فلان، فمضى ونزع ثيابه، وجلس للرجل على بابه، فلمّا خرج أخذ بتلابيبه، وجعل يضربه ضرباً شديداً، والرجل يقول: ما لك تضربني؟ أيّ شيء صنعت؟ وهو لا يجيبه حتى فرغ منه، ثم خلاه، وأقبل على من حضر، فقال: أراد أن يكسر مزامير داود. شدّ على ابن عائشة، فخنقه وخدش حلقه.

قال صالح بن حيان: وذكر يوماً المغنين بالمدينة فقال: لم يكن بها أحد بعد طويس[١] أعلم من ابن عائشة، ولا أظرف مجلساً، ولا أكثر طيباً، وكان يصلح أن يكون نديم خليفة، وسمير ملك.

قال إسحاق: كان ابن عائشة تائهاً سيىء الخلق، فإن قال له إنسان: تغنَّ، قال: ألمثلي يقال هذا؟، فإن قال له قائل، وقد ابتدأ وهو يغني: أحسنت، قال: ألمثلي يقال: أحسنت؟ وسكت.

وكان قليلاً ما ينتفع به، فسال العقيق مرّة، فدخل الماء عرصة سعيد بن العاص حتى ملأها فخرج الناس إليها وخرج ابن عائشة فيمن خرج فجلس على فرن الثنية، فبينا هم كذلك إذ طلع الحسن بن علي ـ عليهما السلام ـ على بغلة، وخلفه غلامان أسودان كأنهما الشياطين، فقال: امضيا رويداً حتى تقفا بأصل الفرن الذي عليه ابن عائشة، فخرجا حتى فعلا ذلك، ثم ناداه الحسن: كيف أصبحت يا ابن عائشة؟ فقال: بخير فداك أبي وأمي، قال: انظر من تحتك، فنظر فإذا العبدان فقال له: أتعرفهما؟ قال: هما حرّان لئن لم تغن مائة صوت، لأمرتهما بطرحك، وهما حرّان لئن لم يفعلا لأنكلنَّ بهما، ولآمرنَّ بقطع أيديهما، فاندفع ابن عائشة يغني، وكان أول ما ابتدأ به صوت وهو[٢]: [من الوافر]

ألا لـــلـــــهِ درُّكَ مــــنْ فــتـــى قـــومِ إذا رَهِــبُــوا

ثم لم يسكت حتى غنّى مائة صوت، فقال: إنَّ الناسَ لم يسمعوا من ابن عائشة أكثر مما سمعوه ذلك اليوم، وكان آخر ما غنّى به[٣]: [من البسيط]

(١) ترجم له المؤلف برقم (٥).
(٢) البيت لأبي العيال الهذلي في ديوان الهذليين ٢/ ٢٤٤، الأغاني ٢/ ١٩٩ـ ٢٠٠.
(٣) البيت لعمر بن أبي ربيعة، انظر: ديوانه ص٣٠٧.

قُلْ لِلمنازلِ بالظهرانِ قدْ حانا   أَن تنطقي فتَبيني اليومَ تِبيانا

قال جرير: ما رؤي يوماً أحسن منه، وما بلغني أنَّ أحداً تشاغل عن غنائه بشيء، ولا انصرف أحد لقضاء حاجةَ ولا لغير ذلك حتى فرغ، ولقد تبادر الناس من المدينة /٦/ وما حولها حيث بلغهم الخبر؛ لاستماع غنائه، فما يقال: إنه ما رؤي جمع في ذلك الموضع مثل ذلك اليوم، ولقد رفع الناس أصواتهم: أحسنت والله!، أحسنت والله!، ثم انصرفوا حوله يزفّونه إلى المدينة.

قال علي بن الجهم: حدّثني رجل أن ابن عائشة كان واقفاً بالموسم متحيّراً فمرَّ رجل من بعض أصحابه، فقال له: ما يقيمك ههنا؟، قال: إني أعرف رجلاً لو تكلّم، لحبس الناس، فقال له الرجل: ومن ذاك؟ قال: أنا، ثم اندفع يغني(١): [من الوافر]

جَرَتْ سنّحا فقلتُ لها: أَجيرى   نوًى مشمولة فمتى اللّقاءُ

قال: فحبس الناس، واضطربت المحامل، ومدت الإبل أعناقها، وكادت الفتنة أن تقع، فأُتي به هشام(٢)، فقال: يا عدوّ الله أردت أن تفتن الناس، فأمسك عنه. وكان تياهاً، فقال له هشام: ارفق بتيهك يا ابن عائشة، فقال: حق لمن كانت هذه مقدرة أن القلوب أن تبكيه. فضحك منه، وخلى سبيله.

قال عمر بن شبة؛ قال شيخ من تنوخ: كنت صاحب ستر الوليد بن يزيد فرأيتُ عنده ابن عائشة قد غَنّاهُ(٣): [من الكامل]

إنِّى رأيتُ عَشيَّةَ النَّفْرِ   حُوْراً نَعَشْنَ عَزَائِمَ الصَّبْرِ
مثلَ الكَواكِبِ في مطالِعِها   بعدَ العشاءِ أَطَفْنَ بالبَدْرِ
وخرجتُ أَبغي الأجرَ مُحتسباً   فرجعتُ مَوقوراً مِنَ الوِزْرِ

قال: فطرب حتى كفر وألحد، فقال: يا غلام اسقنا بالسماء الرابعة، وكان الغناء يعمل فيه عملاً يضل عنه رشده من بعده، ثم قال: أحسنت والله يا أمير المؤمنين أعد بحقّ فلان حتى بلغ من الملوك نفسه، فقال: أعد بحياتي فأعاد، فقام إليه، فلم يبق عضو من أعضائه إلاّ قبله وأهوى إلى هنه، وضمّ فَجذبه، فقال: و[الله] العظيم لا تريم حتى أقبله، فأبداه له فقبله، ثم نزع ثيابه، فألقاها على ابن عائشة، وبقي مجرداً إلى أن أتوه بغيرها، ووهب له ألف دينار، وحمله على بغلة، فقال: اركبها بأبي أنت

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى، انظر: ديوانه ٥٩.
(٢) الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك.
(٣) الأبيات لرجل من قريش، انظر: الأغاني ٢/ ٢١٩.

وانصرف؛ فقد تركتني على مثل المِقْلَى من حرارة غنائك، فركبها على بساطه وانصرف.

قال: وخرج ابن عائشة يوماً من عند الوليد بن يزيد وقد غناهُ[١]: [من الوافر]

أَبَعْدَكَ مَعْقِلاً أَرجو وحُصناً قد اعْيتني المعاقلُ والحُصونُ

/ ٧/ قال: فأطرق وأمر له بثلاثين ألف درهم، وبمثل كارة القصّار ثياباً، فبينا ابن عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادي القرى كان يشتهي الغناء وشرب النبيذ، فدنا من غلامه، وقال: من هذا الراكب؟ قال: ابن عائشة المغني، فدنا منه فقال: جعلت فداك أنت ابن عائشة أم المؤمنين؟، قال: لا، بل أنا مولى لقريش وعائشة أمي، وحسبك هذا، ولا عليك أن تكثر. قال: وما هذا الذي أراه بين يديك؟ قال: المال والكسوة، قال: غنيتُ أمير المؤمنين صوتا فأطربه، فكفر وترك الصلاة، وأمر لي بهذا المال والكسوة، فقال: جعلت فداك، فهل تمنّ عليّ أن تسمعني ما أسمعته إياه، فقال له: ويلك أمثلي يكلّم بهذا في الطريق؟، قال: فما أصنع؟، قال: الحقني بالباب، وحرّاك ابن عائشة بغلة شقراء كانت تحته؛ لينقطع عنه، فغدا معه حتى أوفيا الباب كفرسي رهان، فدخل ابن عائشة، فمكث طويلاً طمعاً في أن يضجر فينصرف، فلم يفعل حتى قال لغلامه: أدخله؛ فلمّا أدخله، قال له: من أين صبَّك الله علي؟، قال: أنا رجل من أهل وادي القرى أشتهي هذا الغناء، قال له: هل لك فيما هو أنفع لك منه؟، قال: وما ذلك؟ قال: مائة دينار وعشرة أثواب تنصرف بها إلى أهلك، قال له: جعلت فداك إني لي لبُنية ما في أذنها علم الله حلقة من الوَرِق فضلاً عن الذهب، وإنَّ لي زوجة ما عليها شهد الله قميص، ولو أعطيتني جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الخلعة والفقر الذي عرّفتكهما، وأضعفت لي ذلك، لكان الصوت أحبّ إلي.. وكان ابن عائشة تياهاً لا يغني إلا لخليفة، أو لذي قدر جليل من إخوانه، فعجب منه، وغناه الصوت، فطرب طرباً شديداً، وجعل يحرّك رأسه حتى ظنّ إنّ عنقه ستنقصف، ثم خرج من عنده، ولم يزده شيئاً، وبلغ الخبر الوليد بن يزيد، فسأل ابن عائشة عنه؟، فجعل يغيب عن الحديث، فعزم عليه الوليد، فعرّفه فأمر بطلب الرجل فأحضره ووصله بصلةٍ سنية، وجعله من جملة ندمائه، ووكله بالسقي، فلم يزل معه حتى مات.

قال يونس الكاتب[٢]: كنا يوماً متنزهين بالعميق أنا وجماعة من قريش فبينا نحن [على] حالنا إذ أقبل ابن عائشة ومعه غلام من بني ليث وهو مُتكيء على يده؛ / ٨/ فلما رأى اجتماعنا وسمعني أغني جاءنا فسلّم، وجلس إلينا، وتحدَّث معنا، وكانت

---

(١) الأغاني ٢/ ٢١٩.

(٢) ترجم له المؤلف برقم (٤٨).

الجماعة تعرف سوء خلقه وغضبه إذا سئل أن يغني، فاقبل بعضهم على بعض يتحدّثون بأحاديث كثيرة وجميلة وغيرهما، يستخرجون بذلك أن يطرب فيغني، فلم يجدوا عنده ما أرادوا، فقلت له أنا: حدثني بعض الأعراب حديثاً، ما كلّ الأحاديث، فإن شئتم، حدثكم إياه، قالوا: هات، قلت: حدثني هذا الرجل أنه مرَّ بناحية الربذة فإذا صبيان يتغاطسون في غدير، فإذا شاب جميل منهوك الجسم، وعليه آثار العلّة، والنحول في جسمه بيِّن وهو جالس ينظر إليهم، فسلّمت فردَّ السلام، وقال: من أين وضح الراكب؟، فقلتُ: من الحمى، قال: ومتى عهدك به؟ قلت: رائحاً، قال: وأين كان مبيتُك؟ قلت: ببني فلان، قال: أوه، وألقى نفسه على ظهره، وتنفس الصعداء نفساً، قلت: قد خُرق حجاب قلبه، ثم أنشأ يقول[1]: [من الطويل]

سُقي بلدٌ أمستْ سُليمى تحِلُّهُ ... مِنَ المُزْنِ ما يُروى به ويُسيمُ
وإنْ لم أكنْ منْ قاطنيهِ فإنَّهُ ... يحِلُّ بهِ شخصٌ عليَّ كريمُ
أَلا حبَّذا من [ليسَ] يعدلُ قُرْبَهُ ... لَديَّ وإنْ شَطَّ المزارُ نَعِيْمُ
ومَنْ لامَني فيهِ حميمٌ وصاحبٌ ... فَرُدَّ بغَيْظٍ صاحبٌ وحَمِيمُ

ثم سكت كالمغشيّ عليه، فصحت بالصبيان، فأتوا بماء فصببته على وجهه، فأفاق، وأنشأ يقول[2]: [من الوافر]

إذا الصبُّ الغريبُ رأى خُشُوعي ... وأنفاسي تزيَّنَ بالخُضوعِ
ولِيْ عينٌ أضرَّ بها التَّفاني ... إلى الأجراعِ مطلقةُ الدّموعِ
إلى الخلوات يأنسُ فيكِ قلبِي ... كما أَنِسَ الغريبُ إلى الجَميعِ

فقلت له: انزل فأساعدك، وأكثر عودي على نادي الحمى في حاجة إن كان لكَ أو رسالة؟، قال: جُزيت الخيرَ وصحبتك السلامةُ، امضِ لطلبتكَ فلو علمتك أنك تغني عني شيئاً، لكنتَ موضعاً للرغبة، وحقيقاً بإسعاف المسألة، ولكنك أدركتني في صُبابةٍ من الحياة يسيرة، فانصرفتُ وأنا لا أراه يمشي ليلته إلا ميتاً، فقال القوم: ما أعجب هذا الحديث؛ /٩/ فاندفع ابن عائشة، فغنى في الشعرين جميعاً، فطرب وشرب بقية يومه، ولم يزل يغنينا إلى أن انصرفنا.

قال: وتوفي ابن عائشة في أيام الوليد بن يزيد، وقيل في أيام هشام بن عبد الملك.

قال المدائني: [حدثني] بعض أهل المدينة قال: أقبل ابن عائشة من عند الوليد بن

(١) الأغاني ٢/ ٢٢٥.
(٢) الأغاني ٢/ ٢٢٦.

يزيد وقد أجازه، وأحسن إليه، فجاء بما لم يأت أحد بمثله من عنده؛ فلمّا قرب من المدينة، نزل بذي خشب ـ على أربع فراسخ من المدينة ـ وكان واليها إبراهيم بن هشام المخزومي ـ ولاه هشام وهو خاله ـ وكان في قصره هناك، فقيل له: أصلح الله الأمير! هذا ابن عائشة قد أقبل من عند الوليد، فلو سألته أن يقيم عندنا اليوم فيطربَنا، وينصرف من غد، فدعاهُ فسأله المقام عنده فأجابه إلى ذلك؛ فلمّا أخذوا في شرابهم، أخرج المخزومي جواريه، فنظر ابن عائشة وهو يغمز جارية منهن، فقال لخادمه: إذا خرج ابن عائشة يريد حاجة، فارم به، وكانوا يشربون فوق سطح يشرف على بستان؛ فلما قام ليبول، رمى به الخادم من فوق السطح، فمات فقبره هناك.

قال: وقال قوم: بل قدم المدينة فمات بها.

قال: فلما مات قال [أشعب](١): قد قلت لكم، ولكن لا يغني حذر من قدر، زوّجوا ابن عائشة من ربيحة الساسانية، يخرج من بيتهما مزامير داود، فلم يفعلوا، وجعل يبكي، والناس يضحكون منه.

[٣]

حُنين الحيري(٢)

مطرب لا يرتفع لديه رأس مطرق، ولا ينتفع معه أمل متشوّق، من سَراة أهل الغناء وسُراه الطرب للغناء يكاد سامعه يخرج من إهابه، ويحرق بالتهابه، ما حرّك عودَه، إلا نَعم، ولا بنت شفة إلا في نغم، لو سمعه جبل لتحرّك، أو دخل في أذن

(١) في الأصل: «ابن عائشة» وما أوردناه من الأغاني.

(٢) حنين بن بلوع الحيري: شاعر غزل، موسيقي، من كبار المغنين. ولد في الحيرة وكان في صغره يحمل الفاكهة ويطوف بالرياحين على بيوت الفتيان ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القيان والمطربين في الحيرة وغيرها، وكانت في روحه خفة. ثم جعل يكري الجمال إلى الشام وغيرها. وولع بالغناء والضرب على العود فأخذ عن علمائه وانفرد بصناعته في العراق، لا يزاحمه فيها مزاحم. وكان المغنون في عصره أربعة: ثلاثة في الحجاز (ابن سريج، والغريض، ومعبد) وهو وحده في العراق. فلما ذاعت شهرته كتبوا إليه أن يزورهم فشخص إليهم، وهم في المدينة، فاستقبلوه من خارجها، وقصدوا به منزل سكينة، والناس من حولهم، فأذنت سكينة للناس إذناً عاماً، فامتلأ المنزل وسطحه. ولما جلس يغني أبياتاً من صناعته ازدحم الوقوف على السطح فسقط الرواق على من تحته، فسلموا جميعاً إلا حنيناً فانه مات تحت الهدم. نحو سنة ١١٠ هـ/ نحو٧٢٨م، فقالت سكينة: لقد كدر علينا حُنين سرورنا، انتظرناه مدة طويلة وكأنما كنا نسوقه إلى منيته!.

ترجمته في: الأغاني ٢/ ٣٣٤ـ ٣٢٥، الأعلام ٢/ ٢٨٨.

سوقة لظنَّ أنه قد تمّلك وهو القائل[١]: [من المنسرح]

أَنـا حُـنـيـن ومـنْـزلـي الـنَّـجَـفُ　　وما نـديـمـي إلا الـفَـتـى الـقَـصِـفُ
أقـرعُ بـالـكـأسِ بـطـنَ بـاطـيـةٍ　　مـتـرعـةٍ تـارةً وأغـتـرِفُ
مـنْ قـهـوةٍ بـاكَـرَ الـتِّـجـارُ بـهـا　　بـابَ يـهـودٍ قـرارُهـا الـخَـزَفُ
فـالـعـيـشُ غَـضٌّ ومـنْـزلـي خَـصِـبٌ　　لـم يَـعـدُ لـي شـقْـوةٌ ولا عـنـفُ

قال إسحاق: قيل لحنين: أنت تغني من نحو خمسين سنة ما تركت لكريم مالاً ولا عقاراً إلا أتيت عليه، فقال: بأبي أنتم، إنما هي أنفاسي أقسمها بين الناس، أفتلوموني أن اغلي بها الثمن؟

وكان حُنين قد رحل إلى عمرو الوادي[٢]، وحكم الوادي[٣]، وأخذ منهما، وغنّى لنفسه في أشعار الناس، /١٠/ فأحكم الصنعة، ولم يكن بالعراق غيره، فاستولى عليه من عصره.

وقدم ابن محرّز حينئذ إلى الكوفة، فبلغ حنيناً خبره، فخاف أن يعرفه الناس، فيستحلُّونه، ويسقط هو، فلقيه فقال: كم منَّتك نفسك من العراق؟ قال: ألف دينار، قال: هذه خمسمائة دينار فخذها وانصرف.

قال: وكان بعض ولاة الكوفة في أيام بني أمية يذمّ الحيرة فقال له رجل من أهلها: أتعيب بلدة يضرب بها المثل في الجاهلية والإسلام؟، قال: وبماذا تُمدح؟، قلت: بصحة هوائها، وطيب مائها، ونزهة ظاهرها، تصلح للحف والطلف. سهل وجبل، وبادية وبستان، بر وبحر، محل الملوك، ومرادهم ومسكنهم ومأواهم، وقدمتها ـ أصلحك الله ـ مخفّاً فأصبحت مثقلاً، ووردتها مقلاً فصارمتك مُكثراً، قال: وكيف نعرف ما وصفتها به من الفضل؟، قال: تصير إليها، ثم ادع بما شئت من لذات العيش، فوالله لا أجوز بك الحيرة فيه، قال: فاصنع لي صنيعاً من قولك. قال: أفعل، فصنع لهم طعاماً، فأطعمهم من خبزها وسمكها وما صيد من وحشها، من ظباء ونعام، وأرنب وحُبارى، وسقاهم ماءها في قلالها، وخمرها في آنيتها، وأجلسهم على رقمتها، ولم يستخدم لهم عبداً ولا حرّاً إلا من مولداتها، ووصائف كأنهم اللؤلؤ، لغتهم لغة أهلها، ثم غناهم حُنين وأصحابه في شعر عدي بن زيد شاعرهم، وأعشى

(١) الأغاني ٢/ ٣٣٤.
(٢) ترجم له المؤلف برقم (٥٤).
(٣) ترجم له المؤلف برقم (٥٣).

همدان، لم يتجاوزهما، وحباهم برياحينها، ونقلهم بفواكهها، ثم قال: أرأيتني استعنت على شيء ممّا رأيتَ وأكلتَ وشربتَ وشممتَ وسمعتَ بغير ما في الحيرة، قال: لا، ولقد أحسنتَ في صفة بلدك، وأحسنتَ نصرته، والخروج مما ضمنته، فبارك الله لكم في بلدكم.

قال عُبيد بن حُنين الحيري: كان المغنون في عصر جدّي أربعة نفر، ثلاثة بالحجاز، وهو وحده بالعراق، فالذين بالحجاز: ابن سريج، والغريض، ومعبد، وكان بلغهم أن حُنيناً قد غنّى في هذا الشعر[1]: [من الكامل]

هلاَّ بكيتَ على الزمانِ الذاهبِ ... وكففتَ عن ذمِّ المشيبِ الآيبِ
هلاَّ ورُبَّ مسوّفين سقيتَهمْ ... منْ خمرِ بابلَ لذّةً للشاربِ
بَكَروا عليَّ بسُحرةٍ فصَحِبْتُهُم ... بإناءِ ذي كرم كعَقْبِ الحالبِ
/١١/ بزجاجةٍ ملءِ اليدينِ كأنَّها ... قنديلُ فِصحٍ في كنيسةِ راهبِ

قال: فاجتمعوا، فتذاكروا جدّي وقالوا: ما في الدنيا أهل صناعة شرٌّ منا. لنا أخ بالعراق، ونحن بالحجاز لا نزوره، ولا نستزيره اكتبوا إليه، فكتبوا إليه ووجهوا إليه نفقة، وقالوا: نحن ثلاثة، وأنت واحد، فأنت أولى بزيارتنا، فشخص إليهم؛ فلما كان على مرحلة من المدينة، بلغهم خبره فخرجوا يتلقونه، فلم يُر يوم كان أكثر حشداً ولا جمعاً يومئذ، ودخلوا المدينة فلمّا صاروا ببعض الطريق، قال لهم معبد: صيروا. قال ابن سريج: إن كان لك في اليسر والمروءة ما لمولاتي سكينة بنت الحسين، عطفنا إليك، فقال: ما لي من ذلك شيء، فعطفوا على منزل سكينة، فأذنت لهم إذناً عاماً فغُصَّت الدار بهم، فصعدوا في السطح، وأمرت لهم بالأطعمة، فأكلوا، ثم سألوا جدّي أن يغنيهم صوته: [من الكامل]

هلاَّ بكيتَ على الشبابِ الذاهبِ

فغناهم بعد أن قالوا، ابدأوا أنتم ما كنا لنقدمك حتى نسمع هذا الصوت، فغناهم إياه، وكان من أحسن الناس صوتاً؛ فازدحم الناس على السطح، وأكثروا يسمعونه، فسقط الرواق على من تحته، فسلموا جميعاً، وأخرجوا أصحابه، سوى حنين، فإنه مات وحده تحت الهدم، فقالت سكينة: لقد كدّر حنين سرورنا، انتظرناه مدّة طويلة كأننا كنا نسوقه إلى منيته[2].

---

(١) الأغاني ٢/٢٤٨ـ ٢٤٩.
(٢) جاء في كتاب سكينة بنت الحسين للسيد عبد الرزاق المقرم ص٧٨ـ ٨٣ ما نصّه:

=

....

=

«إن السيدة سكينة لم تكن متروكة سدى ترتكب الشنع وتقتحم المخاريق وإنما كانت بمرصد من أخيها زين العابدين وابنه الباقر والصادق وبعين رعايتهم لها وهب أن الخلافة الصورية والسلطة العامة كانت مبتزة منهم لكن لم تبتز منهم القدرة على نسائهم وعائلاتهم كيف وكل من سوقة الناس يقدر على من تحت حيطته من أهل بيته فيكبحهم عما يحط بكرامته أو لا يراه من صالحهم لجهات أخرى.

فهل من المعقول أن الإمام زين العابدين عليه السلام يدع أخته الكريمة عليه في حيث تنيخ فيه الضعة والصغار وهو القائل لأبي خالد الكابلي حين دخل عليه ورأى الباب مفتوحاً فتعجب من ذلك:

«لا تعجب أن الخادمة خرجت من الدار ولا علم لها بفتح الباب ولا يجوز لبنات رسول الله أن يخرجن فيصفقن الباب» [مدينة المعاجز ص٣١٨ رقم ٨٦].

أمن المعقول أنه لا يجوز لهن رد الباب وليس فيه إلا الخروج إلى مظنة رؤية الأجنبي لهن من وراء الأزر والأخمرة ويكون من الجائز لهن التبرج إلى الأجانب والمحادثة معهم والخوض في مجاملتهم.

ثم ما بال الإمام الباقر عليه السلام يذر عمته السيدة بين تلكم المخازي، وما بال الأباة الهاشميين يغضون الطرف عما هنالك من بواعث العيب والنقص فإلى من يدخرون الإصلاح وهم يتركون عقائل بيتهم، وإلى أي زمن يرجئونه إن أخروه عن أيام حياتهم في خفراتهم.

وهذه جبلة فطر الله عليها العرب جمعاء فضلاً عمن قيضهم المولى سبحانه لهداية البشر وإرشادهم إلى ما هو الأصلح فإنهم لا يرضخون لمنافيات الغيرة والشهامة وإن بلغوا في القساوة كل مبلغ حتى كان من أمرهم أن وأدوا البنات كيلا يلحقهم بسببهن العار، وكانوا لا يزوجون المرأة من الرجل إذا شبب بها [شرح أمالي القالي للبكري ٢/ ٦٥٩].

ولما شبب عبد الله بن مصعب المعروف بعائذ الكلب بامرأة من بني نصر بن دهمان وكان اسمها «جمل» عمد إليها اخوتها فقتلوها غيرة منهم [ن.م].

ولما بلغ الحجاج الثقفي أن محمد بن عبد الله النميري شبب بأخته زينب أسمعه السباب المقذع ولم يتركه حتى كتب إلى عبد الملك بن مروان بذلك [ن.م ٢/ ٦٥٨].

وشبب الهذلي بابنة جندل بن معبد بن الحساس، فساء ذلك أباها فعدا عليه وقتله ثم أحرقه. [ن.م ٢/ ٧٢١].

وكان ابن رهيمة يشبب بزينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فاستعدى عليه اخوها هشام بن عبد الملك فأمر بضربه خمسمائة سوط وأباح دمه إن وجد يفعل مثل ذلك.

وغضب يزيد بن معاوية على عبد الرحمن بن حسان لما شبب باختة رملة بنت معاوية واستعدى عليه أباه.

واشترى ابن معبد (سحيم) الشاعر فلما شبب سحيم بابنته عميرة وشهرها عدا ابن معبد عليه فأحرقه بالنار [ن.م ٢/ ٧٢١].

وفي هذه الشواهد مقنع للتعريف بما جبلت عليه نفوس العرب من الغيرة والشهامة فكيف بالهاشميين منهم الذين لم يرضخوا للدنايا، وترفعوا عن كل ما يمس كرامتهم، فتراهم ينكرون =

....

= على من يتناول أعراض غيرهم فضلاً عن أعراضهم.
فهذا الحسن بن زيد بن الحسن المثنى ابن الامام السبط الحسن ابن أمير المؤمنين «عليه السلام» بلغة يوم كان والياً على المدينة أن ابن المولى الشاعر يشبب بحرم المسلمين فأغلظ القول له وتهدده ولم يتركه حتى حلف بالأيمان المغلظة أنه لم يقصد امرأة بعينها وإنما عنى في شعره قوسه وسماها «ليلى» .ولقد أنكر الرشيد على إسحاق الموصلي لما غناه بشعر عمر بن أبي ربيعة وفيه لفظ سكينة ولم يتعين أنها ابنة الحسين ولأجل هذه المشابهة في الاسم قال له:
لعن الله الفاسق ولعنك معه ويحك أتغنيني بأحاديث الفاسق في سكينة، ألا تتحفظ في غنائك وتدري ما يخرج من رأسك .
فهل والحالة هذه ترى الهاشميين الذين هم في المدينة يغضون الطرف عما تفعله خفرة من نسائهم من المخاريق والشنع، وإذا لم يسعهم ذلك معها فلا يسعهم أن يوصدوا الأبواب دون من يريد الاجتماع معها من شعراء ومغنين مع أنه لم يكن لهؤلاء أنصار يخاف منهم سوء العاقبة.
ثم هل يعذر إمام قيضه الله تعالى لتأديب البشر عامة وتحت سيطرته من لم يتأدب بأدبه الآلهي وهو ومن جرى مجراه من أئمة الهدى يوصون شيعتهم بمنع المرأة عن الابتذال ومزاولة الرجال فيقولون: المرأة عي وعورة فداووا عيهن بالسكوت وعوراتهن بالبيوت، وأنها إذا خرجت من بيتها لعنها كل ملك في السماء حتى ترجع إلى بيتها وإن تعطرت وخرجت حتى يوجد ريحها فهي زانية، وأنها لتلعن حتى ترجع إلى بيتها، وليس لها أن تجلس مع الرجال في الخلاء، ولا أن تتعلم الكتابة، ولا سورة يوسف لما فيها من الفتن، وعليها أن تتعلم سورة النور لما فيها من التهديد والزجر، ولا تنزل الغرف فيراها الأجانب وليس عليها إذان ولا إقامة كيلا يسمع صوتها الرجال، ولا جمعة وجماعة ولا عيادة مريض ولا تشييع جنازة، ولا الاجهار بالتلبية، ولا الهرولة بين الصفا والمروة، ولا استلام الحجر، ولا تولي القضاء، ولا الإمارة ولا المشاورة في الأمور.
وفي وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للحسن عليهما السلام:
أيصح على هذا الحال نسبة المسامحة إلى إمام الأمة «عليه السلام» باسدال الستر على السيدة وكبحها عن محادثة الرجال أم ينسب إليها المروق عن طاعته وعدم قدرته على التوصل إلى ذلك بكل صورة.
كبرت كلمة تخرج من أفواههم، أن يقولوا إلا زورا.
ويافض فم القائل أن لهج بشيء من ذلك.
والذي يهون الخطب أن أحاديث أبا الفرج لا قيمة لها في حق السيدة الزكية بعد أن كان مصدرها الزبير بن بكار وابن اخيه مصعب والهيثم بن عدي وأضرابهم ممن هو شانيء لهذا البيت الطاهر أو مستأجر لسياسة الوقت وأن تاريخ حياة السيدة سكينة مما نطق به أقوام أخذهم الحنق على حملة الوحي وسادات الأمة كما لوثوا ساحة غيرها من رجالات هذا البيت الرفيع وخفراته بعد أن أعوزتهم الرسائل إلى الطعن في قدس الأئمة الطاهرين فطفقوا يحطون من كرامة أبنائهم وذوي قراباتهم من أمثال هذه النواحي وهم لا يعلمون أن المستقبل الكشاف سيوقف أرباب البحث على نواياهم السيئة ودحر ما افتعلوه فإن للحق أنصاراً ولا بد للباغي من مصرع. =

[٤]

الغَريض(١)

لا يناضل على غرض، ولا يفاضل في عرض، كان أشجى من النوائح، وأهزّ لكريم من المدائح، لو أصغت إليه الحمائم، لخلعت عليه أطواقها، أو الحوائم لما بلّت بغيره أشواقها، لا يَدع عبرة لم تسكب، ولا حشاشة لم تُسلب، ولا زمان صِبا لم يُذكر، ولا ذيول صبابة لم تُسحب.

أخذ الغناء في أول أمره عن ابن سريج؛ لأنه كان يخدمه؛ فلما رأى ابن سريج طبعه وظرفه وحلاوة منطقه، خشي أن يأخذ غناءه، فيغلبه بصوته، وحسن وجهه،

= وقد عرفت فيما تقدم أن سكينة التي تجتمع مع عمر بن أبي ربيعة في محفل الغناء هي ابنة خالد بن مصعب بن الزبير ومنه تعرف كيف زحزح آل الزبير هذه الشناعة عن ابنتهم وألصقوها بمن شابهتها في الاسم فراجت هذه الأكذوبة حتى على من زعم أنه محص الحقائق وأخذت به الثقافة إلى حد بعيد وفي الحقيقة لا يعرف من أين تؤكل الكتف.

ولعل هذا البيان الضافي لم يدع للقارىء ملتحداً عن الاخبات بأن المصونة الطاهرة هي تلك البريئة من كل شين وعار والرضية المخفورة تحت خباء النبوة وبين سرادق الإمامة يكتنفها الشرف ويحف بها الصون من جميع نواحيها ولم تبرح ترفل في مطارف من الحصافة قشيبة، ولها أشواطها البعيدة في مستوى الآداب الأحمدية تزينها العفة والحياء، وتجللها الرزانة والوقار، ويزدان بذكرها المدح والثناء، وإن كان لأرباب الأهواء والمطامع حول حياتها جلبة وتركاض، فدعهم يخوضوا ويلعبوا ويلههم الأمل الخائب والامنية المخفقة والظن المكدي.

وإن كلمة الحسين في حقها:

«أما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله تعالى».

تتشوف منها منزلة كبرى في اليقين والتجرد عن هذه العوارض الدنيوية الفانية.

وأن هذه الجلبة بسرد هاتيك القصص الخرافية كما غرت أبا الفرج اغتر بها من جاء بعده من المؤرخين فنشروا فضائح في حق السيدة البريئة سودوا بها صفحة التاريخ حسباناً منهم أن صاحب الأغاني ومن تقدمه لا يرسل ما لا تعويل عليه، وقد عرفت بما أوضحناه أن هؤلاء كحاطب ليل لم يريدوا إلا جمع أضغاث من هنا وهنا فألبسوها أطماراً من الظنون والأوهام».

(١) الغَرِيض، عبد الملك، مولى العبلات، من مولدي البربر: من أشهر المغنين في صدر الإسلام، ومن أحذقهم في صناعة الغناء، سكن مكة، وكان يضرب بالعود، وينقر بالدف، ويوقع بالقضيب. كنيته أبو يزيد أو أبو مروان. ولقب «الغريض» لجماله ونضارة وجهه. توفي نحو سنة ٩٥هـ/ نحو ٧١٤م.

ترجمته في: الأغاني ٢/ ٣٥٣- ٣٩٥ وفي الكامل للمبرد أنه كان مملوكاً للثريا وأختها عائشة بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر. وأعتقتاه؛ انظر رغبة الآمل ٥/ ٢٣٣ وفيه تعليق المرصفي على الكامل، برواية ابن جامع أنه كان مملوكاً لسكينة. الأعلام ٤/ ١٥٦.

فحسده واعتلَّ عليه، وجعل يتجنى عليه فيطردوه. فشكا ذلك إلى مولياته، وأعلمهنَّ غرض ابن سريج في تنحيته إياهُ عنه، وأنّه حسده على تقدمه، / ١٢/ فقلن له: هل لك أن تسمع نوحنا على قتلانا، فتأخذه وتغني عليه؟ قال: نعم، فأسمعنه المراثي، فاحتذاه، فخرج غناؤه عليها، وكان ينوح مع ذلك ويدخل المآتم، ويُضرب دونه الحجب، ثم ينوح فيفتن كلّ من سمعه.

ولما كثر غناؤه اشتهاهُ الناس، وعدلوا إليه لما فيه من الشَّجا، وكان ابن سريج لا يغني صوتاً إلا عارضه، فغنى فيه لحناً آخر؛ فلما رأى ابن سريج موضع الغريض، اشتدَّ عليه وحسده، فغنى الأرمال والأهزاج، فاشتهاها الناس، وقال الغريض: يا أبا يحيى قصّرت الغناء وحذفته، قال: نعم يا مخنَّث، جعلت تنوح على أبيك وأمك.

قال إسحاق: سمعتُ جماعة من البصراء بالغناء قد أجمعوا على [أنّ] الغريض أشجى غناءً، وابن سريج أحكم صنعة.

قال بعض أهل العلم بالغناء: لو حكمت بين أبي يحيى وأبي زيد، لما فرَّقت بينهما. وإنما يفضل أبا يحيى بالسبق، فأما غير ذلك فلا، لأنَّ أبا زيد عنه أخذ ومن بحره اغترف، وكذلك قالت سكينة لما غنّى الغريض وابن سريج[١]: [من الرجز]

عَــوجِـي عــلــيــنــا رَبَّــةَ الــهَــوْدجِ

والله ما أفرّق بينكما، وما أنتما عندي إلاّ كمثل اللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحسان، لا يدرى أيّ ذلك أحسن.

قال يونس الكاتب: أمر بعض أمراء مكة بإخراج المغنين من الحرم؛ فلما كانت الليلة التي عزم على النفي فيها، اجتمعوا في غدها إلى أبي قبيس، وكان معبد قد زادهم فبدأ فغنّى[٢]: [من الطويل]

أَيـنَ لـي مـنْ عـلـيـا مَـعَـدٍ هُـدِيـتُـمـا   أَجِـدّ الـبُـكـا إنّ الـتـفـرّقَ بـاكِـرُ
فَـمَـا مـكـنَّـا دامَ الـجـمـيـلُ عـلـيـكُـمـا   بـشـهـال إلا أَنْ تُـزَمَّ الأبـاعِـرُ

قال: فتأوّه أهل مكة، وأبوا، وتمحصوا، واندفع الغريض يغني ويقول[٣]: [من الخفيف]

أَيّـهـا الـرَّائـحُ الـمُـجِـدُّ ابـتـكـارُ..

---

(١) صدر بيت للعرجي، وعجزه: «إنك إن لم تفعلي ترجي» «ديوانه ١٨٩».

(٢) الأغاني ٢/ ٣٥٧.

(٣) صدر بيت لعمر بن أبي ربيعة، تتمته: «قد قفى من تهامة الأوطار» «ديوانه ٤٩٣».

واندفع ابن سريج يغني ويقول[١]: [من الخفيف]

جَـدِّدي الـوَصـلَ يـا قـريـبُ وجُـودِي   لـمُـحِـبٍّ خـيـالُـهُ قـدْ أَلَـمَّـا

فاندفع الصراخ في الدور بالويل والحرب، واجتمع الناس إلى الأمير يستعفونه /١٣/ من نفيهم فأعفاهم.

قال أبو الفرج: أخبرني عبد الرحمن بن محمد السعدي قال: حضرت شَيطا المغنية جارية علي بن جعفر ذات يوم وهي تغني[٢]: [من الخفيف]

لـيـسَ بـيـنَ الـرَّحـيـلِ والـبَـيـنِ إلا   أَنْ تـردّوا جـمـالَـهُـمْ فَـتُـزمّـا

فطرب علي بن جعفر وصاح: سبحان الله لا يكون قربه ولا يشدونه ألا يعقلون بشعره، ألا تسلمون على جار؟ هذه والله العجلة.

قال إسحاق: بلغني أن سكينة حجَّت، فدخل إليها ابن سريج والغريض، فقال لها ابن سريج: يا سيدتي إني كنتُ صنعتُ صوتاً وحسنتُه، وتنوقتُ فيه، وخبأتُه لك في درج مملوءٍ مسكاً، فنازعنيه هذا الفاسق ـ يعني الغريض ـ وأردنا أن نتحاكم إليك فيه فأينا قدمتيه تقدّم، قالت: هاته، فغنّاها[٣]: [من الرجز]

عُـوجِـي عـلـيـنـا ربَّـةَ الـهَـودَجِ   إنَّـكِ إنْ لـمْ تـفـعـلـي تـخـرجِـي

فقالت: هاته أنت يا غريض فغناها إياه، فقالت: لابن سريج: أعده، فأعاده، فقالت: أعده يا غريض، فأعاده، فقالت: ما أشبهكما إلاّ بالجَديين الحار والبارد، لا أدري أيهما أطيب؟

قال إسحاق: ولي قضاء مكة الأوقص المخزومي، فما رأى الناس مثله في عفافه ونبله، فإنه لنائم في جناح إذ مرَّ به سكران يغني: [من الرجز]

عُـوجِـي عـلـيـنـا ربَّـةَ الـهَـودجِ..

فلم يُجِدْهُ، فقال له: يا هذا شربت حراماً، وأيقظت نياماً، وغنيت خطأ؟ خذه عني، فأصلحه له، وانصرف.

قال: خرج ابن أبي عتيق على نُجب له من المدينة قد أوقره من طرقها المأرب وغير ذلك فلقي فتى من بني مخزوم مقبلاً من بعض ضياعه، فقال: يا ابن أخي أتصحبني؟، قال: نعم، قال المخزومي: فمضينا حتى إذا قربنا من مكة جزناها فصرنا إلى قصر فاستأذن ابن أبي عتيق فأذن له فدخلنا فإذا رجل جالس كأنه عجوز ويداه

(١) لعمر بن ربيعة، انظر: ديوانه ٥٠١.
(٢) البيت لعمر بن أبي ربيعة، انظر: ديوانه ٥٠١.
(٣) البيت للعرجي، انظر: ديوانه ١٨٩.

مختضبة لا شك في ذلك فإذا هو الغريض قد كبر. فقال له ابن أبي عتيق: تشوقنا إليك وأهدى له ما كان معه، ثم قال: نحبّ أن نسمع:

عـــوجـــي عـــلـــيـــنـــا ربـــة الـــهـــودج..

فقال: ادع فلانة جارية له فجاءت فغنت، فقال لها: ما صنعت شيئاً، ثم حلّ خضابه /١٤/ وغنّى:

عـــوجـــي عـــلـــيـــنـــا ربـــة الـــهـــودج..

فما سمعت أحسن منه، فأقمنا عنده أياماً كثيرة، وخبّازه قائم، وطعامه كثير. ثم قال ابن أبي عتيق: إني أريد الشخوص فلم يبق بمكة تحفة عدني ولا يماني ولا عودٌ إلا أو قربه راحلته، فلما رحلنا وزرنا، صاح به الغريض: هي هي فرجعتُ إليه، فقال: ألم ترووا عن النبي ﷺ «يحشر من بقيعنا هذا سبعون ألفاً على صورة القمر ليلة البدر» فقال له ابن أبي عتيق: بلى، فقال: هذه سن انتُزعتْ فأحِبّ أن تدفنها لي بالبقيع، فخرجنا والله ولم ندخل المدينة حتى دفناها بالبقيع.

قال: خرج الغريض مع قوم، فغناهم هذا الصوت[1]: [من الطويل]

جَرَى نـاصـحٌ بـالـودِّ بـيـنـي وبـيـنَـهـا   فـقـرَّبـنـي يـوم الـخـضـابِ إلـى قـتـلـي

فاشتدّ سرور القوم، وكان معه غلام فأعجبه، وطلب إليهم أن يكلّموا الغلام في الخلوة معه، ففعلوا وانطلق مع الغلام حتى توارى بصخرة؛ فلما قضى حاجته أقبل الغلام إلى القوم، وأقبل الغريض يتناول حجراً حجراً، ويقرع به الصخرة، ففعل ذلك مراراً فقالوا: ما هذا يا أبا زيد؟، فقال: كأني بها وقد جاءت يوم القيامة رافعة ذيلها تشهد علينا بما كان معنا إلى جانبها، فأردت أن أجرح شهادتها على ذلك اليوم، والشعر الذي غناه لعمر بن أبي ربيعة[2]: [من الطويل]

جـرى نـاصـحٌ بـالـودِّ بـيـنـي وبـيـنّـهـا   فـقـرَّبـنـي يـوم الـخـضـابِ إلـى قـتـلـي
فـقـالـتْ وأَرخَـتْ جـانـبَ الـسّـتـرِ إنّـمـا   معي فَـتـحـدَّثْ غـيـرّ ذي رقـبـةٍ أَهْـلـي
فـقـلـتُ لـهـم: مـا بـيْ لـهـمْ مِـنْ تَـرَقُّـبٍ   ولـكـنَّ سـرِّي لـيـسَ يـحـمـلُـهُ مـثْـلِـي

قال الزبير: رأيت علماءنا جميعاً لا يشكون في أن أحسن ما يروون في حفظ السرّ قول ابن أبي ربيعة:

ولـــكـــنَّ ســـرِّي لـــيـــسَ يـــحـــمـــلُـــهُ مـــثْـــلِـــي

قال المدائني: بلغني أن الفرزدق سمع عمر بن أبي ربيعة ينشد هذه القصيدة؛ فلما بلغ إلى قوله:

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة، انظر: ديوانه ص٣٣٤.
(٢) ديوانه ٣٣٤.

فقُمن وقدْ أَفهمنَّ ذا اللبِّ أنَّما فعلنَ الذي يفعلنْ منْ ذاكَ منْ أجلِي

فصاح الفرزدق وقال: والله هذا هو الذي أرادته الشعراء، فأخطأته، وبكت الديار.

قال / ١٥/ مصعب الزبيري[١]: اجتمع نسوة فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه، وحسن مجلسه وحديثه، فقالت سكينة: أنا لكن به، فبعثت رسولاً إليه، ووعد الصورين ليلة سمتها له، فوافاها على راحلته، ومعه الغريض، فحدثهنّ حتى رأى الفجر، وحان انصرافهن، فقال لها: والله إني لمشتاق إلى قبر رسول الله ﷺ والصلاة في مسجده، ولكن والله لا أخلط زيارتكن بشيء، ثم انصرف إلى مكة فقال[٢]: [من البسيط]

أَلِمْ بزينبَ إنَّ البيْنَ قد أَفِدا قَلَّ الثواءُ لئنْ كانَ الرَّحِيلُ غَدَا

قَدْ حَلَّفتْ ليلةَ الصورَينِ جاهِدَةً وما على الحرِّ إلا الصبرَ مُجتهدا

لأُختِها ولأُخرى منْ مناصِفِها لقدْ وجدتُ بهِ فوقَ الذي وَجَدَا

لَعمرُها ما أُرَانِي إن نوًى نَزَحتْ وهكذا الحبُّ إلا مَيِّتٌ كَمَدَا

قال: يا غريض إني أريد أن أخبرك بشيء يتعجل لك نفعه ويبقى ذكره، فهل لك فيه؟ قلت: من ذاك ما أنت أهله؟ قال: إني قد قلت في الليلة التي كنّا فيها شعراً، فامض به إلى النسوة، فانشدهن ذلك وأخبرهن أني قد وجهت بك عامداً. قال: نعم فحمل الغريض الشعر، ورجع إلى المدينة، فقصد سكينة وقال لها: جعلت فداك سيدتي ومولاتي إنّ ابا الخطاب أبقاه الله وجهني إليك قاصداً، قالت: أوليس في خير وسرور وبركة؟ قال: نعم، قالت: وفيم وجهك أبو الخطاب ـ حفظه الله ـ؟ قال: جعلتُ فداك إنَّ ابن أبي ربيعة حملني شعراً، وأمرني أن أنشدك إياه، فقالت: هاته فأنشدها: [من البسيط]

الِمْ بزينبَ إنَّ البينَ قدْ أفدا قَلَّ الثَّواءُ لئنْ كانَ الرَّحيلُ غَدَا

الشعر كله. فقالت: يا ويحه ما كان عليه أن لا يرحل في غدٍ، فوجهت إلى النسوة، فجمعتهنْ وأنشدتهن الشعر، وقالت للغريض: هل عملت فيه شيئاً؟ قال: قد غنيت ابن أبي ربيعة، قالت: فهاته فغناهُ الغريض، فقالت سكينة: أحسنت والله وأحسن ابن أبي ربيعة ولولا أنك سبقت وغنيته ابن أبي ربيعة لأحسنا جائزتك بأبياته. أعطه لكلّ ألف درهم، فأخرجت بأبياته أربعة آلاف درهم، فدفعتها إليّ، وقالت سكينة: لو / ١٦/ زادنا عمر لزدناك.

قال محمد بن سلام: حجَّت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، فجاءتها الثريا وأخواتها، ونساء أهل مكة القرشيات وغيرهن، وكان الغريض ممن جاء، ودخل النسوة

(١) حول هذا الموضوع، انظر: ترجمة رقم ٣ (حنين الحيري) وهوامشها.

(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص٣٨٣.

عليها، فأمرت لهن بكسوة وألطاف كانت قد أعدتها لمن جاءتها، فجعلت كل واحدة تخرج ومعها جاريتها تحمل ما أمرت لها به عائشة، والغريض بالباب حتى خرج مولياته مع جواريهن الخلع، فقال الغريض: أين نصيبي من عائشة، فقلن له: أغفلناك، وذهبت عن قلوبنا، فقال: ما أنا ببارح من بابها، وآخذ بحظّي منها، فإنها كريمة واندفع يغني بشعر جميل[1]: [من الطويل]

تـذكَّـرتُ لـيـلـى والـفـؤادُ عـمـيـدُ وشَـطَّـتْ نَـواهـا والـمـزارُ بـعـيـدُ

فقالت: ويلكم هذا مولى العبلات بالباب قد ذكّر بنفسه هاتوه، فدخل، فلما رأته ضحكت، ثم قالت: لم أعلم بمكانك، ثم دعت بأشياء أمرت له بها، ثم قالت له: إن رأيت غنيتني صوتاً في نفسي، فلك حكمك، فغناها في شعر كثير[2]: [من الطويل]

ومـا زلـتُ مـنْ لـيـلـى لَـدُنْ طَـرَّ شـازي إلـى الـيـومِ أُخـفِـي حُـبَّـهـا وأُدَاجِـنُ
وأَحْـمِـلُ فـي لـيـلـى لـقـومٍ ضَـغِـيـنـةً وتُـحْـمَـلُ فـي لَـيـلـى عَـلَـيَّ الـضـغـائـن

فقالت: ما عدوت والله ما في نفسي، ووصلته وأجزلته.

قال إسحاق؛ فقلت لأبي عبد الله: فهل علمت هذين البيتين؟ ولم سألت الغريض ذلك؟، قال: نعم، حدّثني أبي قال؛ قال الشعبي: دخلتُ المسجد فإذا بمصعب بن الزير على سرير جالس، والناس حوله، فسلّمت ثم ذهبت لأنصرف، فقال لي: ادنُ فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه، ثم قال لي: إذا قمت فاتبعني، فجلس قليلاً ثم نهض، فتوجه نحو دار موسى بن طلحة، فتبعته فلما طعن في الدار التفت إلي، فقال: ادخل، فإذا حجلة وإنها لأول حجلة رأيتها لأميرٍ، فقمت ودخلت الحجلة، فسمعت حركة كرهت الجلوس، ولم يأمرني بالانصراف، فإذا جاريته قد خرجت فقالت: يا شعبي إنَّ الأمير يأمرك أن تجلس، فجلست على وسادة، ورفع سجف الحجلة، فإذا أنا بمصعب بن الزبير، ورفع السجف الآخر فإذا أنا بعائشة بنت طلحة، فلم أر زوجة قطّ أحسن منهما مصعب وعائشة فقال مصعب: يا شعبي هل تعرف هذه؟، قلت: نعم، /١٧/ أصلح الله الأمير. قال: ومن هي؟ قلت: سيدة نساء المسلمين عائشة بنت طلحة، قال: ولكن هذه ليلى [التي] يقول فيها الشاعر:

ومـا زلـتُ مـن لَـيْـلـى لـدنْ طَـرَّ شـاربـي..

ثم قال: قم إذا شئت، فقمت؛ فلما كان العشي، رُحتُ فإذا هو جالس في المسجد على سرير، فسلّمت عليه، فلما رآني قال: ادن مني، فدنوت حتى وضعت يدي على

(١) البيت لجميل بن معمّر، انظر: ديوانه ص٦٣. (٢) البيتان لكثير عزّة، انظر: ديوانه ٣٥٨.

مرافقه، فأصغى لي، وقال: رأيت مثل ذلك الإنسان قطّ؟ قلتُ: لا والله، قال: أفتدري لم أدخلناك؟ قلت: لا، قال: لتحدّث بما رأيت، ثم التفت إلى عبد الله بن فروة فقال: أعطه عشرة آلاف درهم، وثلاثين ثوباً وانصرف، وما انصرف أحد بمثل ما انصرفت، بعشرة آلاف درهم، وبمثل كارة القصّار ثياب، وبنظرة من عائشة بنت طلحة.

قال: وكانت عائشة بنت طلحة عند عبد الرحمٰن بن أبي بكر، وكان أبا عذرتها، ثم هلك، وتزوجها مصعب بن الزبير فقتل، ثم تزوجها عمر بن عبد الله بن معمر فبنى بها بالحيرة، ثم انصرف عن سبع مرات تلك الليلة، فلقيته مولاة له حين أصبحن، فقالت: يا أبا حفص كَمُلتَ في كل شيء حتى في هذا. فلما مات ناحت عليه قائمة ولم تنح على أحد منهم. وكانت العرب إذا ناحت المرأة قائمة على زوجها علم أنها لا تريد أن تتزوج بعده، فقيل لها: يا عائشة ما صنعت هذا بأحد من أزواجك؟ قالت: إنه كان أقرب مني قرابة، وأردت أن لا أتزوج بعده.

قال: وقدم يزيد بن عبد الملك مكة، فبعث إلى الغريض سراً، فأتاه فغناه بهذا اللحن في شعر كثير[١]: [من الطويل]

وإنّي لأرعى قومَها مِنْ جلالِها وإن أَظهروا غِشّاً نصحتُهم جُهْدِي
ولوْ حاربوا قومِي لكنتُ لقومِها صديقاً ولمْ أَحْمِلْ على قومِها حِقْدِي

فأشير إلى الغريض أن اسكت، وفطن يزيد، فقال: دعوا أبا زيد يُغني بما يريد، فأعاد عليه الصوت مراراً، ثم قال: زدني مما عندك، فغناه في شعر عمرو بن شأس الأسدي[٢]: [من الطويل]

فواندماً على الشباب واندمْ ندمت وبان اليوم مني بغير ذمْ
أردتُ غِراراً بالهَوان مَنْ يُرِدْ غِراراً لَعمرِي بالهوانِ فقدْ ظلمْ

/١٨/ قال إسحاق: فحدث أبا عبد الله بهذا الحديث، وكنا قد أخذنا في أحاديث الخلفاء، ومن كان يسمع الغناء، فقال أبو عبد الله: كان قدم يزيد مكة وبعثه إلى الغريض سرّاً قبل أن يستخلف، قلتُ له: فلم أشير إلى الغريض أسكت حيث غناه[٣]:

(١) ديوان كثير عزة ١٣٥.
(٢) شعره ١٠٢.
(٣) صدر بيت لكثير عزّة، وتتمته: «وإن أظهروا غشاً نصحت لهم جهدي» «انظر: ديوانه ١٣٥».

وإنْي لأرعى قومَها من جلالها ..

وما السبب في ذلك؟، قال: أنا أحدثك حديث أبي. قال: كان عبد الملك بن مروان أشدّ الناس حبّاً لعاتكة بنت يزيد بن معاوية امرأته ـ وهي أم يزيد بن عبد الملك ـ فغضبت مرّة على عبد الملك، وكان بينهما باب فأغلقته، فشقَّ غضبها على عبد الملك، وشكاه إلى خاصته، فقال له عمرو بن بلال الأسدي: ما لي عندك إن رضيت؟، قال: حكمك، فأتى بابها، فجعل يتباكى، وأرسل إليها بالسلام، فخرجت إليه حاضنتها وجواريها، فقلن: ما لك؟ فقال: فزعت إلى عاتكة في أمر رجوتها له؛ فقد علمت مكاني من أمير المؤمنين معاوية، ومن أبيها بعده، فقلن: ومالك؟ قال: ابناي لم يكن لي غيرهما، فقتل أحدهما صاحبه، وقال أمير المؤمنين: أنا قاتل الآخر به، فقلت: يا أمير المؤمنين أنا الولي، وقد عفوت، قال: لا أعود الناس هذه العادة. وقد رجوت أن يحيي الله ابني هذا على يدها، فدخلن عليها، فذكرن لها ذلك، فقالت: فكيف أصنع مع غضبي عليه وما أظهرت له؟، قلت: إذاً والله يقتل، فلم نزل بها حتى دعت ثيابها، فأحضرتها، ثم خرجت نحو الباب وأقبل جريج الحصيني، فقال: يا أمير المؤمنين هذه عاتكة قد أقبلت، قال: ويلك ما تقول؟ [قال:] قد والله طلعت فأقبلت فسلّمت، فلم يردّ عليها السلام، فقالت: والله لولا عمرو ما جئت. تعدّى أحد ولديه على الآخر، وأردت قتل الآخر، وهو الولي وقد عفا، قال: إني أكره أن أعود الناس هذه العادة، قالت: أنشدك الله يا أمير المؤمنين قد عرفت مكانه من أمير المؤمنين معاوية، ومن أمير المؤمنين يزيد؛ وهو ببابي. فلم تَزل به حتى أخذت رجله فقبلتها، فقال: هو لك، فلم يبرحا حتى اصطلحا، ثم راح عمرو بن بلال على عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين كيف رأيت؟، قال: رأينا أثرك، فهات حاجتك، قال: مزرعة بعبيدها، وما فيها، وألف دينار، وفرائض لولدي وعيالي، قال: ذلك لك، ثم اندفع عبد الملك، / ١٩/ فتمثل بقول كثير:

وإنِّـي لأرعـى قـومَـهـا مـن جـلالـهـا

ثم فعلت عاتكة ما أرادت فلما غنّى يزيد هذا الشعر، كره مواليه إذ كان عبد الملك تمثل به في أمه.

قال عبد الملك: وأما خبره لما غنى بشعر عمرو بن شاس، فإن ابن الأشعث لمّا قتل، بعث الحجاج إلى عبد الملك برأسه مع عرار بن عمرو بن شاس، فلما ورد به وأوكل كتاب الحجاج إليه، جعل عبد الملك يقرأه، وكلّما شكّ في شيء سأل عَراراً عنه فأخبره فعجب عبد الملك من بيانه وفصاحته مع سواده، فقال عبد الملك متمثلاً[1]:

(١) البيت لعمرو بن شأس الأسدي، ديوانه ٥٧.

وإنَّ عـراراً إنْ يـكـنْ غـيـرَ واضـح فإنِّي أُحِبُّ الجَونَ ذا المنكبِ العممْ

فضحك عرار من قوله ضحكاً غاظ عبد الملك، فقال له: مم ضحكت ويلك؛ قال: ألا تعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر؟، قال: لا، قال: فأنا والله هو، فضحك عبد الملك وقال: حقّاً وافق حكمه، وأحسن جائزته، وسرّحه.

قال أبو عبد الله: وإنما أراد الغريض يغني يزيد بتمثيلات عبد الملك، وسائر أموره.

يونس الكاتب قال؛ حدّثني معبد، قال: خرجت إلى مكة في طلب لقاء الغريض، وقد بلغني حسن غاية في لحنه[1]:

ومـا آنـس مِـلأَشـيـاءِ لا أَنـس شـادِنـاً بـمـكـةَ مَـكـحُـولاً أسِـيـلاً مـدامِـعُـهْ

وقد كان بلغني أنه أول لحن صنعه، وأنَّ الجن نهته أن يغنيه؛ لأنه فتن طائفة منهم من مكة لأجل ذلك وحسنه؛ فلما قدمت مكة سألت عنه، فدللت على منزله، فأتيتُه فقرعتُ الباب فما كلّمني أحد، فسألت بعض الجيران، فقلت: هل في الدار أحد؟، قالوا: إنّ الغريض هناك، فرجعت فدققت الباب، فلم يجبني، فقلت: إن ينفعني غنائي يوماً من الدهر نفعني اليوم فاندفعت فغنيت لحني في شعر جميل[2]: [من الطويل]

علقتُ الهوى [منها] وليداً فلمْ يزلْ إلى اليومِ ينمي حبُّها ويزيدُ

فوالله ما سمعت حركة الباب، فقلت: بطل سحري، وضاع تعبي، وجئت أطلب ما هو /٢٠/ عسير عليّ، واحتقرت نفسي، وقلت: لم يتوهمني لضعف غنائي عنده، فما شعرت إلاّ بصائح يصيح بي: يا معبد أبلغني أفهم، وبلغ عني شعر جميل الذي تغني؛ يا شقي النجب، وغنّى[3]:

ومـا أنـسَ مـلأشْـيـاءِ لا أَنـسَ قـولَـهـا وقـدْ قـربـتْ نـضـوى لـمـصـرَ تُـريـدُ
ولا قَـولَـهـا لـولا الـعـيـونُ الـتـي تَـرَى أتـيـتُـكَ فـاعـذرْنـي فـدتْـكَ جُـدُودُ
خـلـيـليَّ مـا أُخـفِـي مـن الـوَجـدِ بـاطـنٌ ودمـعـي بـمـا قـلـتُ الـغّـداةَ شـهـيـدُ
يـقـولـونَ: جـاهـدْ يـا جـمـيـلُ بـغـزوةٍ وأيّ جـهـادٍ غـيـرَهُـنَّ أُريـدُ
لَـكـلِّ حـديـثٍ بـيـنـهـنَّ بَـشَـاشَـةٌ وكـلِّ قـتـيـلٍ بـيـنـهـنَّ شـهـيـدُ

قال: فلقد سمعت شيئاً لم أسمع قط أحسن منه، وقصر إلى نفسي وعلمتُ فضله علي، وقلت: إنه لحري بالاستتار من الناس ترفيهاً لنفسه وتعظيماً لقدره، وإنَّ مثله لا يستحقّ الابتدار، ولا أن يتداوله الرحال، فأردت الانصراف إلى المدينة راجعاً؛ فلما

(١) الأغاني ٢/ ٣٨٠.
(٢) ديوان جميل بن معمر ٦٠.
(٣) ديوان جميل بثينة ٥٨ـ ٦٠.

كنت غير بعيد فإذا بصائح يصيح: يا معبد انظر أكلمك، فرجعت، فقال لي: إنَّ الغريض يدعوك، فأسرعت فرحاً، فدنوت من الباب، فقال: أتحبّ الدخول، فقلت: وهل إلى ذلك سبيل؟ فقرعت الباب، فقال لي: ادخل، فدخلت فإذا الشمس طالعة في بيته، فسلّمت فردّ علي السلام، ثم قال: اجلسن فجلست فإذا أنبل الناس، وأحسنهم وجهاً وخلقاً، فقال: يا معبد كيف تطربت إلى مكة؟ فقلت: جعلت فداك، وكيف عرفتني؟، قال: بصوتك، قلت: وكيف ولم تسمعه؟ فقال: لما غنيت، عرفتك وقلت: إن كان معبد في الدنيا فهذا، فقلت: جعلت فداك كيف أحسنت بقولك:

ومـا أنـس مـلأشـيـاءِ لا أنـس قـولَـهـا　　وقـدْ قـربـتْ نَـضـوي لـمـصـرَ تُـريـدُ

فقال: علمت أنك تريد تسمع صوتي:

ومـا أنـسَ مـلأَشـيـاءِ لا أنـس شـادِنـاً　　لـمـكـةَ مـكـحـولاً أَسـيـلاً مـدامـعُـهْ

فلم يكن إلى ذلك سبيل؛ لأنّه صوت قد نهيت أن أغنيه فغنّيتَك هذا الصوت جواباً لما سألت، فقلتُ: والله ما عدوت ما أردت، فهل لك من حاجةٍ، فقال: يا أبا عباد لولا ملالة الحديث، وثقل إطالة الجلوس لاستكثرت منك فاعذرني فخرجت من عنده، /٢١/ وإنه لأجل الناس عندي، ورجعت فما رأيت إنساناً وهو أعظم منه في عيني، وذكرتُ جميلاً وبثينة، فقلت: لئن أصبت إنساناً يحدّثني بقصة جميل وقوله هذا الشعر، فسألت عن ذلك، فإذا الحديث مشهور، وقيل: إن أردت أن تخبر بما شاهدته، فأت بني حنظلة؛ فإن فيهم شيخاً منهم يقال له فلان، فيخبرك الخبر، فأتيت الشيخ فسألته، فقال: نعم بينا أنا في إبلي في الربيع إذ أنا برجل منطوٍ على راحلته كأنه جان، فسلَّم علي ثم قال لي: فمن أنت يا أبا عبد الله ـ أحد بني حنظلة ـ قال: فنسبني حتى بلغت فخذي الذي أنا منه، ثم سألني عن بني عُذرة، فقلت: هل ترى ذلك الشيخ فإنهم نزلوا من ورائه، قال: يا أخا بني حنظلة هل لك من معروف تصنعه لي؟ فوالله لو أعطيتني ما أصبحت تسوق إليه من الإبل ما كنت أشكر مني لك عليه، فقلت: ومن أنت أولاً؟ فقال: لا تسألني من أنا، ولا أخبرك، إني رجل بيني وبين هؤلاء القوم ما يكون بين بني العم، فإن رأيت أن تأتيهم، فإنك تجد القوم في مجلسهم، فتنشدهم.

بـكـرة أدام بـحـر حـفـيـهـا عـبـلاء واسـمـةً

فإن ذكروا لك شيئاً فذاك، وإلا استأذنتهم في البيوت، وقلت: إنَّ الصبي والمرأة يريان ما لا يرى الرجال، فتنشدهم ولا تدع أحداً تصيبه عينك، ولا بيتاً من بيوتهم إلا وأنشدتها فيه، فأتيت القوم، فإذا بهم على جزرهم يقسمونها، فسلّمت وانتسبت وذكرت لهم ضالتي، فلم يذكروا لي شيئاً، فاستأذنتهم في البيوت، وقلت: إنَّ الصبي والمرأة يريان ما لم ير الرجل، فأذنوا لي، فأتيت أقصى بيت، ثم استقريتها بيتاً بيتاً، فلا يذكرون لي شيئاً

حتى انتصف النهار، وآذاني حرّ الشمس، وعطشت وفرغت من البيوت، وذهبت لأنصرف، فحانت مني التفاتة فرأيتُ ثلاثة أبيات، فقلت: ما عند هؤلاء إلا ما عند غيرهم، ثم قلت لنفسي: سوءةً ونوًى زعم أن حاجته تعدل مالي ثم أتيته فأقول: عجزت عن ثلاثة أبيات: فانصرفت عائداً إلى أعظمها بيتاً، فإذا هو قد أرخى مقدمه ومؤخره، فسلّمت فردّ علي السلام، وذكرت لهم ضالتي، فقال: يا عبد الله قد أصبت ضالتك وما أظنّك إلا وقد اشتد عليك الحر، واشتهيت الشراب، فقلت: أجل، فدخلت فأتتني بصحفةٍ فيها تمر من / ٢٢/ تمر هجر، وقدح فيه لبن، والصحفة مصرية، والقدح مفضض لم أر إناءً قطّ أحسن منه، فقالت: دونك، فأكلتُ وشربتُ من اللبن حتى رويت، ثم قلتُ: يا أمة الله ما أنستُ اليوم أكرم منك، ولا الحقّ بالفضل، فهل ذكرت من ضالتي ذكراً، فقالت: أجل ترى هذه الشجرة فوق الشرف؟، قلت: نعم قال: فإن الشمس غربت أمس وهي تطيف حولها، ثم حال الليل بيني وبينها، فقمت وجزيتها الخير، وقلت: والله لقد تغديت وترويتُ، فخرجتُ حتى أتيت الشجرة، فأطفت بها، فوالله ما رأيت من أثر، فانصرفت إلى صاحبي فإذا هو متشح في الإبل بكسائه ورافع عقيرته يغني، فقلت: السلام عليك، قال: وعليك السلام. قال: ما وراءك؟ قلت: ما ورائي من شيء. قال: لا عليك، فأخبرني بما فعلت. قال: فقصصت عليه القصة حتى انتهيت إلى ذكر المرأة، وأخبرته بالذي صنعت. قال: قد أصبت ضالتك، فوجبت من قوله، ولم أجد شيئاً، ثم سألني عن صفة القدح والصحفة، فوصفتها له، فتنفس الصعداء، ثم قال: أصبت طلبتك، ثم ذكرت له الشجرة، وأنها رأتها تطيف بها، فقال: حسبك فمكث حتى إذا أوت أبلي إلى مباركها دعوته إلى العشاء، فلم يدن وجلس عني بمزجر الكلب؛ فلّما ظنّ أني قد نمت رمقته، فقام إلى عيبة له، فاستخرج منها بردين، فاتزر بأحدهما، وارتدى بالآخر، ثم انطلق عامداً نحو الشجرة، واستبطنت الوادي فجعلت أحضر حتى إذا خفت أن يراني، أشحطت فلم أزل كذلك حتى سبقته إلى شجرات قريبة من تلك الشجرة حيث أسمع كل منهما، فاستترت بهنّ، وأقبل حتى إذا كان غير بعيد، قالت: اجلس. فوالله لكأنه لصق بالأرض، فسلم عليها وسألها عن حالها أكرم سؤال ما سمعته قطّ، وأبعده من كل ريبة، وسألته عن مثل مسألته، ثم أمرت الجارية، فقرَّبت إليه طعاماً، فلما أكل، قالت: أنشدني ما قلت، فأنشدها[1]: [من الطويل]

علقتُ الهوى منها وَلِيداً ولمْ يزلْ ... إلى اليوم ينمى حبُّها ويزيد

ولم يزالا يتحدّثان ما يقولان فحشاً ولا هجراً حتى التَفتت التفاتة، فرأت الصبح قد طلع، فودع كل منهما صاحبه أحسن وداع سمعته، ثم انصرفا فمضيت إلى إبلي،

(١) البيت لجميل بن معمر، ديوانه ٦٠.

فاضطجعت، وكل واحد منهما يمشي خطوة، ويتلفت إلى صاحبه فجاء بعدما أصبحا فرفع برديه ثم / ٢٣/ قال: يا أخا بني حنظلة حتى متى تنام، فقمت وتوضأت وصليت، وأعانني عليها وهو أظهر الناس سروراً، ثم دعوته إلى الغداء فتغدينا، ثم قام إلى عيبته ففتحها، فإذا فيها السلاح وبردان مما كسته الملوك، فأعطاني أحدهما، وقال: والله لو كان معي شيء ما ادخرته عنك، وحدّثني حديثه، وانتسب إليّ فإذا جميل بن معمر، والمرأة بثينة، وقال لي: إني قد قلت أبياتاً في منصرفي من عندها، فهل لك في أن أنشدها لك، قلت: نعم[1].

وما أنس مِلأشياءِ لا أنس قولَها   وقد قرُبتْ نضوى أمصرَ تريدُ

الأبيات

ثم ودعني وانصرفت، فمكث حتى أخذت إبلي مراتعها، ثم عمدت إلى دهن كان معي فدهنت به رأسي، ثم ارتديت بالبردة، وأتيت المرأة، فقلت: السلام عليكم، إني جئت أمس طالباً، وجئت اليوم زائراً، فتأذنون؟، فقالت: نعم فجعلت جارية تعول: يا بثينة عليه برد جميل، فجعلت أثني على ضيفي وأشكره، فقلت: إنه ذكرك، فأحسن الذكر، فهل أنت بارزة حتى أنظر إليك، قالت: نعم، فلبست ثيابها، ثم برزت، ودعت لي بمطرف وقالت: يا أخي بني تميم والله ما ثوباك هذان بمشبهين، ودعت بعيبتها، وأخرجت لي ملحفة مروية مشبعة من العُصفر، ثم قالت: أقسمت عليك لتقومن إلى كِسْرِ البيت، لتلتحفن مدرعتك، ثم لتزرّن بهذه الملحفة فهي أشبه ببردك، فقمت ففعلت، وأخذت مدرعتي بيدي، فوضعتها إلى جانبي، وأنشدتها الأبيات، فدمعت عيناها، وتحدثنا طويلاً من النهار، ثم انصرفت إلى إبلي بملحفة بثينة وبردة جميل ونظرة من بثينة. قال: فجزيت الشيخ خيراً، وانصرفت من عنده، وأنا أحسن الناس حالاً بنظرة إلى الغريض، واستماع غنائه، وعلم بحديث جميل وبثينة فيما غنيت أنا به، وفيما غنّى به الغريض على حقّ ذلك وصدقه، فما رأيت قطّ، ولا سمعت بزوجين أحسن من جميل وبثينة، ومن الغريض ومني.

قال: قدم الوليد بن عبد الملك مكة، فأراد أن يأتي الطائف، فقال: هل من رجل عالم يخبرني عنها؟ فقالوا: عمر بن أبي ربيعة، قال: لا حاجة لي به، ثم دعا فسأل، فذكروه إياه، ثم دعا فذكروه إياه، فقال: هاتوه. فأتوا به، فركب / ٢٤/ معه، ثم جعل يحدّثه، ثم حول عمر رداءه ليصلحه على نفسه فإذا على ظهره أثر، فقال الوليد: ما هذا الأثر؟ فقال: كنت عند جارية لي إذ جاءتني جارية برسالة جارية أخرى، وجعلت تسارّني، فعضت التي كنت عندها منكبي فما وجدت ألم عضّها من لذة ما كانت تلك

---

(١) ديوان جميل بثينة ٥٨.

تفت في أذني حتى بلغت ما ترى، فضحك الوليد، فلما رجع عمر قيل له: ما الذي كنت تضحك به أمير المؤمنين؟، قال: ما زلنا في حديث الزناني حتى رجع.

وكان حمل الغريض معه فقال له: يا أمير المؤمنين إنَّ عندي أجمل الناس وجهاً، وأحسنهم حديثاً، فهل لك أن تسمعه؟، فقال: هاته، فدعابه، فقال له: اسمع يا أمير المؤمنين أحسن شيء قلته، فاندفع يغني بشعر جميل(١): [من الكامل]

إنِّي لأَحفَظُ سرَّكُمْ ويسرّكم لوْ تعلمينَ بصالحٍ أَنْ تُذكري
ويكونُ يومٌ لا أرى لكِ مرسَلاً أَوْ نلتقي فيهِ عليَّ كأَشْهُرِ
يا ليتني أَلقى المنيةَ بَغْتَةً إنْ كانَ يومَ لقائِكُمْ لمْ يُقْدَرِ
ما كُنْتُ والوعدُ الذي تَعِدِينَهُ إلا كبرقِ سَحابةٍ لم تمطرِ
تُقضى الديونُ وليسَ يَنْجِزُ عاجِلاً هذا الغَريمُ لنا وليسَ بمُعْسِرِ

قال: فاشتدَّ سرور الوليد بذلك، وقال: يا عمر هذه رقيتك، ووصله وكساه حوائجه.

قال: وكانت وفاة الغريض في أيام سليمان بن عبد الملك، أو عمر بن عبد العزيز، ولم يتجاوزها، وكان موته باليمن؛ لأن الوليد كان ولّى نافع بن علقمة مكة فهرب منه الغريض، فأقام باليمن، فاستوطنها مدّة، ثم مات بها.

قال عمر بن شبة: زعم المكيون أن الغريض أتى بلاداً من بلاد الجن، فغنى ليلاً(٢): [من الهزج]

هُمُ رَكْبٌ لَقِي رَكْباً كَمَا قَدْ يُجْمَعُ السَّيْلُ

فصاح به صائح: أكفف يا أبا مروان، فقد سفّهتَ حلماءَنا وأصبيتَ سفهاءنا قال: فأصبح ميتاً.

قال إسحاق، قال أبو قبيل: رأيت الغريض في عرس أو ختان لبعض مواليه، فقيل له: : تغنَّ، فقال: هو ابن زانية إن فعل، فقال له بعض مواليه: فأنت هو والله كذلك، قال: أفكذلك أنا؟ قال: نعم، قال: أنت أعلم، ثم أخذ الدف، فرمى به، ثم مشى مشية / ٢٥/ مواليه، لم أر أحسن منها، ثم غنّى(٣): [من الطويل]

تشرَّبَ لونَ الرازقيِّ بياضُهُ أو الزعفَرانِ خالطَ المسكَ رادعُهْ

فجعل يغنيه مقبلاً ومدبراً حتى التوتْ عنقه، فخرَّ صريعاً، وما رفعناه إلا ميتاً، فظننا فالجاً عاجله.

---

(١) ديوان جميل بثينة ١٠١ـ ١٠٢.
(٢) الأغاني ٢/ ٣٩٣.
(٣) الأغاني ٢/ ٣٩٣.

قال إسحاق: وحدّثني ابن الكلبي عن أبي مسكين، قال: إنما نهته الجن أن يغني هذا الصوت[١]:

وما أنس مِلأشياءِ لا أنسَ شادِناً بمكةَ مكحولاً أَسِيلاً مدامِعُهْ

ومنهم:

[٥]

طويس[٢]

كان مشؤوم الطلعة، مذموم السمعة، ما بشَّر به، ولا بشر بحظ جليل، ورزء ليس بقليل، ومصاب أبات الناس بليل طويل. جُرّب فصح أنه مشوم، أن والداً أو ولده ملوم، وأنه ممن لو وضع الملح في الطعام لفسد منه، ولو أبصره إبليس لحيّاه، وقال: فديت من لا يفلح لو مرَّ بسوق النفاق لكسد، أو جاز الخمر الرحيق لفسد، أو دخل بين أخوين متحابين لداخل كلاًّ منهما لأخيه الحسد، أو نظر نظرة في الطب لما قنع حتى يفرّق بين الروح والجسد. فعجباً إن عُدّ من أهل الإيمان، وواأسفاً إذا لم يبق في حِرِ أُمِّهِ إلى آخر الزمان.

قال ابن الكلبي: أول من غنى بالعربي بالمدينة طويس، وهو أول من ألقى الخنث بها، وكان طويلاً أحول، وكان لا يضرب بالعود، وإنما ينقر بالدف، وكان ظريفاً عالماً بالمدينة وأنساب أهلها، وكان يتقى لسانه.

قال: وسُئل عن مولده، فذكر أنه ولد يوم قبض رسول الله ﷺ وفُطم يوم مات أبو بكر، وختن يوم قتل عمر، وتزوج يوم قتل عثمان، وولد له يوم قتل علي - رضي الله عنهم -.

قال: وكانت أمه تمشي بين نساء الأنصار بالنميمة.

قال: وأول غنائه وهزجه[٣]: [من مجزوء الرمل]

---

(١) الأغاني ٢/ ٣٨٠.

(٢) طويس، عيسى بن عبد الله، أبو عبد المنعم، مولى بني مخزوم: أول من غنّى بالمدينة غناءاً يدخل في الإيقاع. كان ظريفاً، عالماً بتاريخ المدينة وأنساب أهلها، يجيد النقر على الدف. وهو من أشهر المغنين والعارفين بصناعة الغناء، في صدر الإسلام. ولد بالمدينة سنة ١١هـ/ ٦٣٢م وأقام إلى أيام مروان بن الحكم، فانتقل إلى السويداء (على ليلتين من شمالي المدينة) فلم يزل فيها إلى أن توفي سنة ٩٢هـ/ ٧١١م. وفيه المثل «أشأم من طويس» لما يقال من أنه ولد يوم وفاة النبيّ ﷺ وفطم يوم مات أبو بكر، وختن يوم قتل عمر، وتزوج يوم قتل عثمان، وولد له يوم قتل علي، فتشاءموا به.

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٤٠٠ والأغاني ٣/ ٢٨ـ ٤٥ ثم ٤/ ٢١٩ـ ٢٢٣ وفيه: «اسمه طاووس، ولقب بطويس». والنويري ٤/ ٣٦٣، الأعلام ٥/ ١٠٥.

(٣) الأغاني ٣/ ٢٩.

كَيفَ يأْتي مِنْ بَعيدٍ وهو يُخفيهِ القَريبُ
لاحَ بالشامِ عِشاءً وهوَ مشكاكٌ هَبُوبُ
قَدْ بَرَاني الحبُّ حتَّى كِدْتُ مِنْ وَجْدٍ أَذُوبُ

وهذا البيت يسمّى الدائب.

قال يونس: وكان أول من يغني بالمدينة /٢٦/ غناء يدخل في إيقاع طويس.

قال ابن الكلبي: كان بالمدينة مخنَّث يقال له النعاشي، فقيل لمروان: إنه لا يقرأ من القرآن شيئاً، فبعث إليه، وهو بالمدينة يومئذ، فأسمعوه أم الكتاب، فقال: والله ما أقرأ البنات، فكيف أمهنّ؟!، فقال: أتهزل لأم القرآن لا أم لك؟، فأمر به فقتل، وقال: من جاءني بمخنث، فله عشرة دنانير، فأخبر طويس، فهرب من وقته حتى نزل السويداء على ميلين من المدينة، فلم يزل بها عُمْرَ[هُ] وعاش إلى ولاية الوليد بن عبد الملك.

قال المدائني: كان عبد الله بن جعفر معه رفقة له في عشية من عشيات الربيع، فراحت عليهم السماء بمطر جَوْدٍ، فسال كل شيء، فقال لهم، عبد الله في العقيق، وهو متنزه أهل المدينة في أيام الربيع والمطر، فركبوا دوابهم، ثم انتهوا إليه، فوقفوا على شاطئه، وهو ويرمي بالزمل مثل الفرات.

فإنه لينظرون إذ هاجت السماء، فقال عبد الله لأصحابه: ليس معنا جنة نستجن بها، وهذه سماء خليفة قبل ثيابنا، فهل لكم في منزل طويس؟ فإنه قريب منا، فنستكن فيه، فيحدثنا ويضحكنا، وطويس في النظارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر، فقال له عبد الرحمن بن حسان: جعلت فداك وما تريد من طويس عليه غضب الله مخنث شائن لمن عرفه؟، فقال له عبد الله بن جعفر: لا تقل ذلك؛ فإنه خفيف مليح لنا فيه أنس، فلما استوفى طويس كلمهم يجعل إلى منزله، فقال لامرأته: ويلك قد جاء سيدنا عبد الله بن جعفر، فما عندك؟، قالت: تذبح هذه العفاف، وكانت عندها عليفة قد ربتها باللبن، واختبز رقاقاً فبادر ذبحها، وعجنت هي، ثم خرج، فتلقاه مقبلاً إليه، فقال له طويس: بأبي أنت وأمي هذه المطر فهل لك في المنزل لتسكن فيه إلى أن تكفّ السماء؟، قال: إياك أريد، قال: فامض يا سيدي على بركة الله، وجاء يمشي حتى جلسوا حتى أدرك الطعام، فقال: بأبي أنت وأمي تكرمني إذ دخلت منزلي أن تتعشّى عندي، قال: هات ما عندك؟ فجاء بعناق سمينة ورقاق، فأكل كل القوم حتى تملوا، وأعجبه طيب طعامه؛ فلما غسلوا أيديهم قال: بأبي أنت وأمي أتمشى لك وأغنيك؟، قال: بلى يا طويس،

فأخذ ملحفة فاتزر بها، وأرخى لها ذنبين، ثم أخذ المربع فتمشى وغنّى[١]: [من المديد]

/٢٧/ يا خليليَّ يا بَني سُهُديْ لَمْ تنَمْ عيني ولَمْ أَكدِ
كيفَ تَلْحُوني على رجلٍ ابنةُ تلتذُّهُ كَبِدِيْ

قال: فطرب القوم، وقال: أحسنت والله يا طويس، ثم قال: يا سيدي أتدري لمن هذا الشعر؟، قال: لا أدري لمن هو؟ إلا أني سمعتُ شعراً حسناً قال: هو لفارعة بنت ثابتَ وهي تتعشق عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. فنكس القوم رؤوسهم، وضرب عبد الرحمن برأسه، فلو شقت له الأرض، لدخل فيها.

قال المدائني: حُدِّثت أن طويساً تبع جارية فردعته، فلم ينقطع عنها، فلما جاوزت مجلس قوم، وقفت وقالت: يا هؤلاء لي صديق، ولي زوج، ولي مولًى فسلوا هذا ما يريد مني؟ قال: أضيق ما وسعوه.

قال المدائني: وكان طويس مولعاً بالشعر الذي قالته الأوس والخزرج في حروبهم، فقلَّ مجلس اجتمع هذا الحيان، فغنى طويس إلا وقع فيه شر.

قال المدائني قدم ابن سريج المدينة، فجلس يوماً في جماعة، وهم يقولون: أنت والله أحسن الناس غناءً، إذ مرَّ بهم طويس فسمع قولهم، فاستلَّ دفه ونقره وغنّى[٢]: [من مجزوء الكامل]

إنَّ المخنثةَ التي مَرَّت بنا قبلَ الصَّباح
في حُلَّة موشيةٍ يمنيةٍ غَرْثَى الوِشاح
زينٌ لمشهدِ فِطْرِهمْ وتزينُهمْ يومَ الأَضاحي

فقال ابن سريج: هذا والله أحسن الناس غناءً إلا أنا.

[٦]
يزيد حوراء[٣]

كان مطرباً لو مزج بغناه الماء لأسكر، أو قرع به المساء لما تنكر به، أو قرن به

---

(١) الأبيات متنازع عليها، انظر: الأغاني ٣/ ٣٤ـ ٣٥.
(٢) الأبيات لابن زهير المخنث، انظر: الأغاني ٣/ ٣٧.
(٣) يَزِيدُ حَوْرَاء، من الموالي، كنيته أبو خالد: مغن من طبقة إبراهيم الموصلي. ولد ونشأ بالمدينة. ورحل إلى العراق، فاتصل بالمهدي العباسي، وعاش زمناً من أيام الرشيد. وكان الرشيد يسر منه. ومرض فبعث إليه الرشيد خادمه مسروراً يعوده. وكان صديقاً لأبي العتاهية، وله غناء ببعض شعره. مات ببغداد نحو سنة ١٨٥هـ/ نحو ٨٠١م.
ترجمته في: الأغاني طبعة الدار ٣/ ٢٤٨ـ ٢٥٣، الأعلام ٨/ ١٨٢.

القدماء، وأنصف لم يكن معه أحد يذكر، ولهذا حسد حتى تحيل عليه، وتوصل إلى ما لديه، فأخذ ما كان به يمتاز، وترك ما عنده شيء أحد يعتاز، وعلى هذا كان مقدماً، وكان سامعه كأنما يفتح منه إناءً معدماً.

قال أبو الفرج: قدم على المهدي في خلافته فغناه، وكان حسن الصوت مليح الشمائل؛ فذكر ابن خرداذبة: أن إبراهيم الموصلي حسده على شمائله وإشاراته في الغناء، واشترى عدّة جوارٍ، وشاركه /٢٨/ فيهن، وقال له: علمهنَّ الغناء، فما رزق من ربح، فهو بيننا، وأمرهن يجعلن وَكْدَهُنَّ أخذ إشارته ففعلن ذلك، وكان إبراهيم يأخذ عنهنّ هو وابنه، ويأمرهن بتعليم كلّ من يعرفنه ذلك، حتى شهرها في الناس، فأبطل عليه ما كان منفرداً به في ذلك.

قال إسحاق، قال يزيد حوراء: كنت أجلس بالمدينة على أبواب قريش، وكانت تمرّ بي جارية تختلف إلى الزرقاء تتعلّم منها الغناء، فقلت لها يوماً: افهمي قولي، وردّي جوابي، وكوني عند ظنّي، فقالت: هات ما عندك، فقلت: بالله ما اسمُك، قالت: ممنعة، فأطرقت طيرة من اسمها مع طمعي فيها، ثم قلت: باذلة أو مبذولة إن شاء الله، فاسمعي مني، وهي تبتسم، فقالت: إن كان عندك شيء فقل، فقلت[1]: [من الطويل]

لِيَهْنِكِ منهي أَنَّني لستُ مُفْشياً هواكِ إلى غيرِي ولوْ مُتُّ من حُبِّي
[و] لا مانحاً خَلقاً سِوَاكِ مودَّةً ولا قائلاً ما عِشْتُ مِنْ حُبِّكُمْ حَسْبِي

قال: فنظرت إليّ طويلاً، ثم قالت: أنشدك الله أعن فرط محبّةٍ، أو اهتياج غلمة؟، فقلتُ: لا والله إلا عن فرط محبة، فقالت:

فَوَاللهِ ربِّ الناسِ لا خُنْتُكَ الهَوَى ولا زِلْتَ مخصوصَ المحبَّةِ مِنْ قلبي
فَثِقْ بيْ فإنِّي قدْ وثقتُ ولا تكنْ على غيرِ ما أظهرتَ لي يا أَخَ الحُبِّ

قال: فوالله لكأنما أضرمت في قلبي ناراً، فكانت تلقاني في الطريق الذي كانت تسلكه فتحدّثني أتفرَّج بها ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء، وكانت تكاتبني وتلاطفني دهراً.

قال عبد الله بن العباس الربيعي: كان يزيد حوراء نظيفاً ظريفاً، حسن شكلاً، لم يقدم من الحجاز أظرف، ولا أشكل منه، وكان يتعصب لإبراهيم الموصلي على ابن جامع، وكان إبراهيم يرفع منه ويشيع ذكره بالجميل، وينبّه على تقدّمه وإحسانه، وكان

(١) الشعر ليزيد حوراء، انظر: الأغاني ٣/ ٢٥٢.

يبعث ابنه إسحاق يأخذ عنه، وكان يزيد صديقاً لأبي مالك التميمي الأعرج ولا يكاد يفارقه، فمرض يزيد مرضاً شديداً فاغتم عليه الرشيد، وبعث مسروراً مراتٍ يسأل عنه ثم مات، فقال أبو مالك[١]: [من الخفيف]

لَمْ يُمتَّعْ مِنَ الشبابِ يزيدُ ... صار في التُّربِ وهوَ غَضٌّ جديدُ
/٢٩/ فَكَأَنْ لم يكنْ يزيدُ ولم يَشْـ ... ـخُ نديماً يهُزُّهُ التَّغرِيدُ

[٧]

عبد الرحمن الدف[٢]

كان مغنيّاً مُغنياً، ومقرَّباً للسرور مُدْنياً، كان يُحيي أطايب الطرب، ويدني غرائب الرغب، لطرفه إلى القلوب خلوص، وبطربه مثل رقص القلوص، ما طرب وأبقى من إرب، إلا أن الجدّ لم يُقل من عثاره، ولم يقد ظباء الحلميين لأخذ ثأره.

قال أبو الفرج: كان منقطعاً إلى علي بن المهدي المعروف بريطة.

قال عبد الصمد بن المعذل: غنَّت جارية يوماً بحضرة الرشيد[٣]: [من المنسرح]

قُل لعليٍّ أَيا فتى العربِ ... وخيرَ نام وخيرَ مُنْتَسِبِ
أَعلاكَ جدَّاك يا عليُّ إذا ... أَقصَر جَدٌّ عنْ ذروةِ النَّسبِ

فأمر بضرب عنقها، فقالت: يا سيدي وما ذنبي، هذا الصوت عُلِّمتُه والله، وما أدري من قاله، ولا فيمن قيل؛ فعلم صدقها، فقال لها: عمن أخذتيه، قالت: عن عبد الرحمن الدفاف فأمر بإحضاره، وقال: يا ماص بظر أمّه، أتغني في شعر تفاخر بيني وبين أخي؟ جرّدوه، فجرّدوه عن ثيابه، ودعا له بالسياط، فضرب بين يديه مائة سوط.

قال عبد الرحيم: دخلت يوماً على ريطة وستارته منصوبة، فغنَّت جاريته[٤]: [من الطويل]

أناسٌ أَمِنَاهُمْ فَنَمُّوا حديثَنا ... فلمَّا كَتَمْنَا السِّرَّ عنْهم، تقوَّلُوا

فقلت له: أرأيت ان أغنيك هذا الصوت، وفيه تمامه زيادة ببيت آخر، أيّ شيء

---

(١) الأغاني ٣/ ٢٥٠.

(٢) عبد الرحمن بن الفضل الكوفي، أبا القاسم، مولى الأشعث بن قيس، وقيل مولى خزاعة، كان أيام هارون الرشيد، وكان منقطعاً إلى علي بن المهدي المعروف بابن ريطة بنت أبي العباس.
ترجمته في: الأغاني ٣/ ٢٦٤ ـ ٢٦٧ وفيه اسمه «عبد الرحيم الدفاف».

(٣) الأغاني ٣/ ٢٦٥.

(٤) ديوان العباس بن الأحنف ص٢٣٠.

عليك؟، قال: جعلتني هذه فغنيته:

فَلَمْ يحفظوا الردَّ الذي كانَ بيننا ... ولا حينَ همُّوا بالقطيعةِ أَجْمَلُوا

قال: فنزع خلعته، فجعلها عليَّ، وأقمت عنده بقية يومي على عربدة كانت فيها.

[٨]

ابن مسجح[١]

سابق أغرّ وسارق ما غرّ، أول من تفطن لغناء فارس، وكان له في بلاد العرب الفارس أي برّ من العجم، وألقى سمعه إلى أصواتها، وابتز أرواح طربها من لهواتها، ونقل ما تصور في خاطره من تلك الصور الأعجمية، والتماثيل التي لا ترى للعيون العمَّية إلى أن أبرزها عرباً أبكاراً، وأسكنها أسماعاً وأفكاراً، وأدارها شمولاً لا يسمع عليها إنكاراً، ثم منه أدهقت آنيتها، وسمعت قاصيتها /٣٠/ ودانيتها.

قال أبو الفرج، قال هاشم بن المُرِّيَّة: إنَّ أول من غنَّى هذا الغناء العربي بمكة ابن مسجح، وذلك أنه مرّ بالفرس وهم ينصّون المسجد الحرام فسمع غناءهم بالفارسية فنقله في شعر عربي، وهو الذي علم الغريض وابن سريج.

قال: وهو أول من غنّى الغناء الثقيل. وعاش ابن مسجح حتى لقيه معبد، وأخذ عنه في أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

قال دحمان: كنت عاملاً لعبد الملك بن مروان بمكة، فقيل: إنَّ رجلاً أسود يقال له: ابن مسجح قد أفتن فتيان قريش فأنفقوا عليه أموالهم، فكتب إليه: أن اقبض ماله وسيِّره، ففعل وتوجه ابن مسجح إلى الشام، فصحبه رجل له جوار مغنيات في طريقه، يقال له يزيد، فأخبره خبره، وقال: أريد الشام، قال له: فكن معي، فصحبه حتى بلغا دمشق، فدخلا مسجدها، فسألا عن أخصّ الناس بالأمير، قالوا: هؤلاء النفر من قريش من بني عمّه، فوقف ابن مسجح عليهم وسلّم، ثم قال: يا فتيان، هل فيكم من يضيف رجلاً غريباً من أهل الحجاز؟، فنظر بعضهم إلى بعض، وكان عليهم موعدٌ أن

---

(١) ابن مِسْجَح، سعيد بن مسجح، مولى بني جمح، أبو عثمان أو أبو عيسى: ملحّن من كبار المغنين. كان أسود، من أهل مكة. رحل إلى الشام، فأخذ ألحان الروم، وانتقل إلى فارس، فنقل غناءها إلى غناء العرب، وعاد إلى الحجاز، فأهمل ما لم يستسغه من النبرات والنغم في غناءي الفرس والروم، وجعل لنفسه مذهباً في التلحين تبعه فيه الناس من بعد. وكان من تلاميذه ابن سريج والغريض. توفي نحو سنة ٨٥هـ/ نحو ٧٠٤م.

ترجمته في: الأغاني ٣/ ٢٧٣ـ ٢٨٢، الأعلام ٣/ ١٠١.

يذهبوا إلى قينة يقال لها: برق الأفق فتثاقلوا به إلاَّ فتًى منهم تذمم، فقال: أضيفك، وقال لأصحابه: انطلقوا أنتم وأنا أذهب مع ضيفي، قالوا: بل تجيء معنا أنت وضيفك، فذهبوا جميعاً إلى بيت المغنية، فلما أتوا بالغداء، قال لهم سعيد: إني رجل أسود، ولعلَّ فيكم من يقذرني وأنا أجلس فآكل ناحية، فاستحيوا منه، وبعثوا له بما أكل؛ فلما صاروا إلى الشراب، قال لهم مثل ذلك، ففعلوا، وأخرجوا جاريتين، فجلستا على سرير قد وضع لهما، فغنتا إلى العشاء ثم دخلتا وخرجت جارية حسنة الوجه والهيأة وهما معها، فجلست على السرير، وجلسا أسفل منها عن يمين السرير وشماله، قال ابن مسجح فتمثلت بهذا البيت، فقلت[1]: [من الطويل]

أَصُبْحٌ أمْ مصابيحُ بَيْعَةٍ   بَدَتْ لكَ خلفَ السّجْفِ أمْ أنتَ حالمُ

فغضبت الجارية، وقامت وقالت: أيضرب مثل هذا الأسود فيّ الأمثال فنظروا إليّ نظراً منكراً، ولم يزالوا بها حتى غنت، فقلت: أحسنت والله، فغضب مولاها، فقال: مثل هذا الأسود يقدم على جاريتي؟، فقال لي الرجل الذي أنا عنده: قم فانصرف /٣١/ إلى منزلي، فقد ثقلت على القوم، فذهبت لأقوم، فتذمم القوم، وقالوا: بل أقم وأحسن أدبك، فأقمت وغنَّتْ، وقلت: أخطأت وأسأت، ثم اندفعتُ فغنيتُ الصوت، فقالت الجارية: هو والله أبو عثمان سعيد بن مسجح، فقلت: أيّ والله أنا هو، والله لا أقيم عندكم، فوثب القرشيون، فقال [أحدهم]: هذا يكون عندي، فقلت: لا والله لا أقيم إلا عند سيدكم ـ يعني الرجل الذي أنزله عنده ـ وسألوه عما أقدمه فأخبرهم الخبر، فقال له صاحبه: أنا أسمر الليلة عند أمير المؤمنين فهل تحسن أن تحدو؟، فقلت: لا والله، ولكنّي أصنع حداءً، قال له: إن منزلي بحذاء أمير المؤمنين فإذا وقعت منه على طيب نفسه، أرسلت إليك. ومضى إلى عبد الملك؛ فلما رآه طيب النفس، أرسل إلى ابن مسجح، فأخرج رأسه من وراء شرف القصر، ثم حدا، فقال عبد الملك للقرشي من هذا؟ قال: رجل صحاري قدم عليّ، قال: أحضره، فأحضره، فقال له: احدُ فحدا، فقال له: هل تغني غناء الركبان؟ قال: نعم، قال: غنّه، فغنّى، فقال له: هل تغني الغناء المتقن؟، قال: نعم، قال: غنه، فتغنى فاهتزّ عبد الملك طرباً، ثم قال: أقسم أن لك في القوم اسماً كبيراً، فمن أنت؟، قال: أنا المظلوم المقبوض ماله، المسيّر عن وطنه، سعيد بن مسجح، قبض مالي عامل الحجاز، ونفاني، فتبسَّم عبد الملك، ثم قال: قد وضح غدر فتيان قريش أن ينفقوا

---
(١) الأغاني ٣/ ٢٨٠.

عليك أموالهم، وأمنه، ووصله وكتب إلى عامله بردّ ماله، وأن لا يعرض له.

قال: ومن غنائه القديم الذي صنعه[١]: [من الكامل]

أسلامُ إنَّكِ قدْ ملكتِ فأَسْجِحي ... قدْ يملِكُ الحرُّ الكريمُ فيَسْجَحُ
مُنِّى على عانٍ أَطَلْتِ عَناءَهُ ... في الغِلِّ عِنْدَكِ مَنْ يغشُّ وينصحُ
إنِّي لأنصحُكمْ وأعلمُ أنَّهُ ... سِيَّانَ عنْدكِ مَنْ يغشُّ وينصحُ
وإذا شكوتُ إلى سلامةَ حبَّها ... قالتْ: أَجِدٌ منكَ ذا أمْ تمزحُ

[٩]

عَطَرَّد[٢]

وكان عطرد عطاردياً، لبقاً، ذكياً، أرضياً، سماوياً، كان خُلق للسرور، وخُلي لبلابل الصدور، وكان رحيب الباع، كثير الأتباع، لوْ لاطف الصخر لداب، ولو خضر يوم الفراق لطاب، لو غنى للجواد الممتد في طلقه لصَفَنَ، وللميت استغفر الله، لقام ينفض الكفّ لا يلد إلاّ به العزل، ولا يعد أحد من طبقته إلاّ إذا نزل.

قال أبو الفرج، قال / ٣٢/ إسحاق: كان جميل الوجه، حسن الغناء، جيد الصنعة، طيب الصوت، حسن الزي، فقيهاً قارئاً للقرآن، وكان يغني مرتجلاً، وأدرك دولة بني العباس، وبقي إلى أيام الرشيد، وكان معدل الشهادة بالمدينة.

قال إسحاق: ولي مسلمة بن عباد القضاء بالبصرة، فقصد ابنه عباد بن مسلمة عطرد، وهو بها مقيم، قد قصد إلى سليمان بن علي، وأقام معهم، فأتى بابه ليلاً فدق عليه، ومعه جماعة من أصحابه أصحاب القلانس، فخرج عطرد إليه؛ فلما رآه، ومن معه ارتاع، فقال: لا ترع[٣]: [من الكامل]

إنِّي قصدتُ إليكَ مِنْ أَهلي ... في حاجةٍ يأتي بها مِثْلي

---

(١) الشعر للأحوص الأنصاري، انظر، ديوانه ١٠٨ـ ١٠٩.

(٢) عَطَرَّد: مولى الأنصار، ثم مولى بني عمرو بن عوف، وقيل: إنه مولى مُزَينة، يكنى أبا هرون. وكان ينزل قباء. وزعم إسحاق أنه كان جميل الوجه، حسن الغناء، طيب الصوت، جيد الصنعة، حسن الرأي والمروءة فقيها، قارئاً للقرآن، وكان يغني مرتجلا. وادرك دولة بني أمية وبقي إلى أيام الرشيد. وذكر ابن خُرداذبة فيما حدثني به علي بن عبد العزيز عنه: إنه كان مُعَدَّل الشهادة بالمدينة.

ترجمته في: الأغاني ٣/ ٣٠٠ـ ٣٠٧.

(٣) الأغاني ٣/ ٣٠٠.

قال: وما هي أصلحك الله؟، فقال:

لا طـلـبـاً شـيـئـاً إلـيـكَ سِـوَى (حـيِّ الـحـمـولِ بـجـانـبِ الـعَـزْلِ)[١]

قال عطرد: على بركة الله. ولم يزل يغنيهم هذا، وغيره حتى أصبحوا.

قال: ولي زيد الهاشمي المدينة، فأمر بأصحاب الملاهي، فحبسوا وحبس عطرد فيهم، وحضر لعَرضهم، وشفع في عطرد رجال من المدينة، وأخبروه أنه من أهل الدين والمروءة، فخلَّى سبيله، وخرج فإذا هو بالمغنين قد أحضروا؛ ليعرضوا، فرجع إليه عطرد، فقال: أصلح الله الأمير على الغناء حَبست هؤلاء؟، قال: نعم، قال: فلا تظلمهم، فوالله ما أحسنوا شيئاً منه قطّ، فضحك وأطلقهم جميعاً.

[١٠]

الأبجر[٢]

وكان إذا طرب يفرط في لجاجته، ويُلهي العجول عن حاجته، ينهب حبّات القلوب نصباً، ويأخذ حِبَا الملوكِ غصباً، لو تغنّى ساعة عرفة لألهى الحجيج، أو ثنى يوم منى لأكثر الضجيج، لو قدمت الخمس الظوامي، وهو يترنم إلى الماء، لطوت جوانحها على الغلل الظلماء، وكان لا يرى إلا في هيأة تسرّ المبصر، وتسول للغويّ أنه لا يقصّر.

قال أبو الفرج؛ قال إسحاق: لم يكن أحد أظرف منه ولا أحسن هيأة منه، كانت حلّته بمائة دينار، وكان يقف بين المأزمين، ويرفع صوته، فيقف الناس له، ويركب بعضهم بعضاً.

قال إسحاق: جلس الأبجر في ليلة يوم السابع من أيام الحجّ على قريب من التنعيم، فإذا عسكر جرار قد أقبل في آخر الليل، وفيه دواب تجنب، وفيها /٣٣/ فرس أدهم حليته ذهب، فاندفع يغني[٣]: [من الطويل]

---

(١) صدر بيت لامرىء القيس بن عابس، وقيل لامرىء القيس بن حجر، انظر: ديوان امرىء القيس ص٢٣٦.

(٢) واسمه «عبيد الله بن القاسم بن ضبية» وقيل إن اسمه «محمد بن القاسم بن ضبية» أبو طالب، مولى كنانة ثم لبني بكر وقيل: إنه مولى لبني ليث. كان ظريفاً حسن الهيئة مترفاً، كان بمكة ثم خرج إلى مصر فمات بها.
ترجمته في: الأغاني ٣/ ٣٤٠ـ ٣٤٦.

(٣) الأغاني ٣/ ٣٤٢.

عَـرَفْـتُ ديـارَ الـحـيِّ خـالـيـةً قَـفْـرَى   كـأَنَّ بـهـا لـمَّـا تـوهَّـهـمتُـهـا سَـطْـرا

فلما سمعه من في القباب والمحاملَ أمسكوا وصاح صائح: ويحك، أعد الصوت، فقال: لا والله إلا بالفرس الأدهم بسرجه ولجامه وأربعمائة دينار. وإذا الوليد بن يزيد ـ صاحب العسكر ـ فنودي: أين منزلك؟، ومن أين أنت؟ قال: أنا الأبجر ومنزلي على رأس زقاق الحرازين، فغدا إليه رسول الوليد بذلك الفرس، وأربعمائة دينار، وتخت من ثياب وشي، وغير ذلك، ثم أُتي به الوليد فأقام عنده، وراح مع أصحابه عشية التروية، وهو أحسنهم هيأة، وخرج معه إلى الشام.

قال عمر بن حفص بن كلاب: كان الأبجر مولانا، وكان إذا قدم المدينة نزل علينا، فقال لنا يوماً: أسمعوني غناء ابن عائشتكم هذا، فأرسلنا إليه، فجمعنا بينهما في بيت ابن هفان، فغنّى ابن عائشة، فقال الأبجر: كل مملوك لي حرّ إن غنيت معك إلا بنصف صوته، ثم أدخل إصبعه في شدقة، ثم غنّى، فسمع صوته من في السوق، فحشر الناس علينا، فلم يفترقا حتى تشاتما، وقال: كان ابن عائشة حديداً جاهلاً.

قال إبراهيم بن المهدي؛ حدثني ابن شعيب عن أبيه، قال: دعا الوليد بن يزيد ذات يوم المغنين، وكنت نازلاً معهم، فقلتُ للرسول: خُذني معهم، فقال: لم أؤمر بذلك، وإنما أمرت بإحضار المغنين، وأنت بطال لا تدخل فيهم، قلت له: والله أنا أحسن غناءً منهم، ثم اندفعت فغنيت، فقال: لقد سمعتُ حسناً، ولكنّي أخاف، فقلتُ: لا خوف عليك ولك مع هذا شرط، قال: وما هو؟، قلت: كلّ ما أصبته فلك شطره، فقال للجماعة: اشهدوا عليه فشهدوا، ومضينا فدخلنا على الوليد، وهو خاثر النفس فغنّاه المغنون في كل فنّ من ثقيل وخفيف، فلم يتحرك ولا نشط، فقام الأبجر إلى الخلاء وكان خبيثاً واهياً، فسأل الخادم عن خبره، وبأيّ شيء هو خاثر النفس؟، فقال: بينه وبين امرأته كلام؛ لأنه عشق أختها. فغضبت عليه، وهو إلى أختها أميل، وقد عزم على طلاقها، وحلف لها لا يذكرها بمراسلة، ولا مخاطبة، وخرج على هذا الحال من عندها. وعاد الأبجر إلينا / ٣٤/ فما استقرَّ به مجلسه حتى اندفع يغنّي[(١)]: [من الطويل]

فَـبِـيـنـي فـإنِّـي لا أُبـالـي وأيـقـنِـي   تـصـاعَـدَ بـاقـي حُـبِّـكـمْ أمْ تَـصـوَّبـا
أَلَـمْ تـعـلـمِـي أَنِّـي عَـزُوفٌ عَـنِ الـهـوى   إذا صـاحِـبي مِـنْ غـيـرِ شـيءٍ تَـغَـضَّـبـا

فطرب وارتاح وقال: أصبت والله يا عبيد ما في نفسي وأمر له بعشرة آلاف

---

(١) البيتان لعبد الرحمن بن الحكم، انظر: الأغاني ٣/ ٣٤٥.

درهم، وشرب حتى سكر، ولم يحظ أحدٌ بشيء سوى الأبجر، فلما أيقنت بانقضاء المجلس، وثبت وقلت: يا أمير المؤمنين إن أردت أن تأمر من يضربني مائة الساعة، فضحك ثم قال: قبحك الله، وما السبب في ذلك؟ أخبرته بقصّتي مع الرسول، فأريد أن أضرب مائة، ويضرب بعدي مائة، فقال: لقد ألطفت، بل أعطوه مائة دينار، وأعطوا الرسول: خمسين ديناراً من مالنا عوض الخمسين التي أراد أن يأخذها من أشعب، فقبضتها وقمنا، فما حظي أحد بشيء غيري، وغير الأبجر.

قال إسحاق: حُدثت أن الأبجر أخذ صوتاً من الغريض ليلاً، ثم دخل الطواف، فلقي عطاء بن أبي رباح يطوف، فقال له: يا محمد اسمع صوتاً أخذته في هذه الليلة من الغريض، فقال له: ويحك في هذا الموضع؟، فقال: كفرت بربّ هذه البنية لئن لم تسمعه منّي سرّاً إن لم أجهر به، فقال: هاته فغناه[1]: [من الزجر]

عُوجي علينا ربَّةَ الهودجِ إنَّكِ إنْ لمْ تفعلي تخرجي
في الحجِّ إنْ حَجَّتْ وماذا مِنًى وأَهلُهُ إنْ هيَ لم تَحْجُجِ

فقال له عطاء: الخير كلّه في منى وأهله، حجّت أو لم تحج، فاذهب الآن.

قال: وختن عطاء بنيه، أو بني أخيه، فكان الأبجر يختلف إليهم ثلاثة أيام يُغنّي.

[١١]

فريدة[2]

وكانت فريدة جمال، ووحيدة كمال، وبديعة حسن وإحسان، وفصيحة عودٍ ولسان، ربيبة خدر، وشبيهة بدر، ومتقنة لضرب، ومحسنة لا يقاس بها من إذا أحسن، كان قد ضرب توقع الضرب فلا تبين أناملها اللمس، ويضرب بالدف فلا يُظن إلا أن البدر في يد الشمس، ولع بها الواثق أشد الولوع، وكان يضنّ بها على من بعده،

---

(١) ديوان العرجي ١٨٩.

(٢) فريدة: هما اثنتان محسنتان لهما صنعة تسميان بفريدة فأما إحداهما وهي الكبرى، فكانت مولدة نشأت بالحجاز، ثم وقعت إلى آل الربيع فُعلّمت الغناء في دورهم، ثم صارت إلى البرامكة، فلما قتل جعفر بن يحيى ونكبوا هربت وطلبها الرشيد فلم يجدها، ثم صارت إلى الأمين، فلما قتل خرجت فتزوجها الهيثم بن مسلم فولدت له ابنه عبد الله، ثم مات عنها فتزوجها السندري بن الحريش فماتت عنده، وأما فريدة الأخرى فكانت حظية عند الواثق وأثيرة عنده، وكان عمرو بن بانة هو الذي أهداها إلى الواثق، وكانت من الموصوفات المحسنات، كانت حسنة الوجه حسنة الغناء حادة الفطنة والفهم، ولما مات الواثق تزوجها المتوكل.

ترجمتها في: الأغاني ٤/ ١١٩ـ ١٢٦.

ويجري الدموع.

قال أبو الفرج، قال علي بن يحيى المنجم؛ حدّثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر، قال: كانت لي في خدمة الواثق في كل جمعة نوبة، إذا حضرت ركبت إلى الدار، فإن نشط للشرب / ٣٥/ أقمت عنده، وإن لم ينشط انصرفت، وكان رسمنا لا يحضر أحد منا إلا في يوم نوبته. فإني لفي منزلي في غير يوم نوبتي، إذ أرسل الواثق قد هجموا علي، وقالوا لي: احضر، قلت: لخيرٍ؟، قالوا: خيراً إن شاء الله، فقلت: إن هذا يوم لم يحضرني فيه أمير المؤمنين قطّ ولعلكم غلطتم، قالوا: الله المستعان، لا تطوّل، وبادر فقد أمرنا أمير المؤمنين أن لا ندعك تستقرّ على الأرض، فدخلني فزع عظيم، وخفت أن يكون ساعٍ سعى علي، أو بلية قد حدثت في رأي الخليفة فيّ، فتقدّمت لما أردت حتى وافيت الدار، فذهبت لأدخل من حيث كنت أدخل، فمنعت وأخذ بيدي الخادم، فعدلوا بي إلى ممرات لا أعرفها، فزاد ذلك من جزعي، ثم لم يزل يسلموني من خدم إلى خدم حتى أفضيت إلى دار مفروشة الصحن، ملبسة الحيطان بالوشي المنسوج بالذهب، ثم أفضيت إلى رواقٍ أرضه وحيطانه كذلك، ثم نظرت فإذا الواثق في صدره على سرير مرصع بالجواهر، وعليه ثياب منسوجة بالذهب، وإلى جانبه فريدة جاريته عليها مثل ثيابه، وفي حجرها عود؛ فلما رآني، قال: جودت والله يا محمد. إلينا إلينا، فقبلت الأرض وقلت: خيراً يا أمير المؤمنين؟، قال: خيراً ما ترانا طلبت والله ثالثاً يؤنسنا، فلم أرد أحقّ بذلك منك بحياتي بادر، وكُلْ شيئاً، وعجل إلينا، فقلت: قد والله يا سيدي أكلت وشربت آنفاً، فقال: فاجلس، فجلست، وقال: هاتوا لمحمد رطلاً في قدح، فاندفعت وفريدة تغني(١): [من الطويل]

أَهــابُــكِ إجــلالاً ومــا بِــكِ قُــدْرَةٌ عــلـيَّ ولـكـنْ مـلءُ عـيـنٍ حـبـيـبـهـا
ومـا هـجـرتْـكِ الـنَّـفـسُ إنَّـكِ عـنـدَهـا قـلـيـلٌ ولـكـنْ قَـلَّ مـنْـكِ نَـصـيـبُـهـا

فجاءت والله بالسحر الحلال، ثم إنَّ الواثق جعل يحادثها في خلال ذلك، وتُغني الصوت بعد الصوت، وأغني أنا أيضاً في خلال غنائها، فمرَّ لنا يوم حسن ما مرَّ لأحدٍ مثله. فإنا لكذلك إذ رفع رجله، فضرب بها صدر فريدة ضربة فدحرجه من السرير إلى الأرض، وتفتت عودها، ومرت تصيح، وبقيت كالمنزوع الروح لم أشك في أن عينه وقعت عليّ وقد نظرت إلى الأرض، وأطرقت أتوقَّع ضرب العنق، فإنا كذلك إذ قال: يا محمد، فوثبت قائماً، فقال: ويحك أرأيت ما أتفق علينا؟، قلت: يا سيدي الساعة

(١) ديوان نصيب بن رباح ٦٨.

تخرج روحي، فقل لي: من أصابنا بالعين /٣٦/ لعنه الله وما كان السبب؟ قال: لا والله ولكنّي فكرت في أن جعفراً كان يقعد هذا المقعد ويقعد معه كما هي قاعدة معي فلم أطق الصبر وخامرني ما أخرجني إلى ما رأيت فسري عني، وقلت: بل يقتل جعفر ويحيا أمير المؤمنين أبداً، وقبلت الأرض وقلت: الله الله يا أمير المؤمنين ارحمها، فأمر بردها، فقال لبعض الخدم الوقوف مرحى بها، فلم يكن بأسرع من أن أقبلت وفي يدها عودها، وعليها غير الثياب التي كانت عليها؛ فلما رآها جذبها إليه، وعانقها فبكت، وجعل يبكي واندفعت أنا في البكاء، وقالت: ما ذنبي يا مولاي؟، وبأيّ شيء استوجبت هذا؟ فأعاد عليها ما قاله لي، وهو يبكي، فقالت: سألتك الله يا أمير المؤمنين إلا ضربت عنقي، وأرحتني من الفكر في هذا، وأرحت نفسك من الهم في هذا، وجعلت تبكي ويبكي، ثم مسحا أعينهما، ورجعت إلى لغناء، وأومأ إلي خدم، فمضوا وأحضروا أكياساً فيها عينٌ ووَرِقٌ ورزمٌ فيها ثياب كثيرة، وجاء خادم بدرج ففتحه، فأخرج منه عقداً ما رأيت مثله قطّ، وألبسها إياه، وأحضرت بدرة فيها عشرة آلاف درهم، فوضعت بين يدي، وخمسة تخوت ثياب، وعدنا إلى أمرنا، وإلى أحسن ما كنا فيه، فلم نزل كذلك إلى الليل ثم تفرّقنا، وضرب الدهر مَنْ ضَرَبَهُ، وتقلّد المتوكل الخلافة، فوالله إني لفي منزلي في غير يوم نوبتي، إذ هجم عليّ رسل الخليفة، فما أمهلوني حتى ركبت، وصرت إلى الدار، فأدخلت والله الحجرة بعينها، وإذا المتوكل في الموضع الذي كان فيه الواثق بعينه، وعلى ذلك السرير وإلى جانبه فريدة؛ فلمّا رآني قال: ويحك ما ترى ما نحن فيه من هذه؟ أنا من غدوة أطلبها أن تغني، فتأبى ذلك، فقلت: سبحان الله تخالفين سيدك وسيد البشر. بحياته غنّي فضربت والله العظيم، واندفعت تغني[1]: [من الوافر]

مُقيمٌ في ضريحٍ لا يُرجَّى ... إيابٌ منهُ إلا في المعادِ
فلا تبعدْ فكلُّ فتًى سيأتي ... عليهِ الموتُ يطرقُ أو يُغادِيْ

ثم رمت بالعود إلى الأرض، ورمت نفسها عن السرير، وقامت تعدو، وهي تصرخ واسيداه!، فقال: ويحك ما هذا؟ فقلت: ما أدري، قال: ويحك ما ترى؟، فقلت: أرى والله يا سيدي /٣٧/ أن أنصرف أنا، وتحضُر هذه ومعها عودها، ويحضر غيرها من الجواري، فإنَّ الأمر يؤول إلى ما يحبّ أمير المؤمنين، قال: فانصرف في حفظ الله، فانصرفت، ولم أ در ما كانت القصة بعد ذلكَ.

---

(١) ديوان كثير عزة ١٣٨ـ ١٣٩.

[١٢]
الدلال[1]

ألأم لئيمَ وأخبث زنيم، وأفنج مؤنث مذكر، وساعٍ بين اثنين في منكر، سواء لديه شهوات الرجال والنساء، وبياض الصباح وظلمة المساء، قد انغمس في القبيح، وارتكس في الغش ذي النصيح، كان يسلك المنهجين، ويهتك الفرجين، ويهلك في الزوجين مع الوقوع فذهب مفتوناً، وخلّد في النار ملعوناً.

قال أبو الفرج: لم يكن في المخنثين أحسن وجهاً ولا أنظف ثوباً، ولا أظرف في الدلال؛ وهو أحد من خصاه ابن حزم؛ فلما فعل ذلك به قال: الآن ثم المخنث.

قال: وكان إذا تكلّم أضحك الثكلى، وكان مبتلى بمخاطبة النساء، فكان كُلّ من أراد خطبة من امرأة جليلة سأله عنها، وعن غيرها، فلا يزال يصف له واحدةً واحدةً حتى ينتهي إلى ما يعجبه منهنّ.

قال مصعب الزبيري: أنا أعلم خلق الله بالسبب الذي من أجله خصي الدلال؛ وذلك أنَّ القادم يقدم المدينة، فيسأل عن امرأة يتزوجها فيدل على الدلال، فإذا جاء فقال: صف لي من تعرف من النساء للتزوج، فلا يزال يصف واحدة واحدة حتى يوافق قوله، فيقول: كيف لي بذلك؟، فيقول: مهرها كذا وكذا، فإذا رضي بذلك أتاها الدلال، فقال لها: إني قد أصبت لك زوجاً وهو هيأته ويساره، ولا عهد له بالنساء وإنما قدم آنفاً، لا يزال بذلك يشوقها ويحركها حتى تطيعه فيأتي الرجل فيعلمه أنه قد أحكم ما أراد فإذا سوى الأمر تزوجته الامرأة، وقال لها: قد آن لهذا الرجل أن يدخل بك والليلة موعده وأنت مغتلمة شبقة جامَّة، فساعة يجامعك قد دفعت عليه مثل سيل العرم فيقذرك، ولا يعاودك، وتكونون من أشأم الناس على نفسك وعلى غيرك فتقول: ما أصنع؟، فيقول لها: أنت أعلم بدواء فرجك ودائه وما يسكن عليه، فتقول: ما أعرف شيئاً أشفى من الجماع فيقول لها: إن لم تخافي من الفضيحة فابعثي إلى بعض الزنوج حتى يقضي بعض وطرك ويكفّ عادية فرجك، فتقول: ويلك ولا كل هذا فلا تزال المحاورة بينهما حتى يقول: فكما جاء عليّ فأنا أقوم أخفف، وإني إلى التخفيف

(١) الدلال: واسمه ناقد، وكنيته أبو زيد، مدني مولى بني فهم، لم يكن في المخنثين أحسن وجهاً ولا أنظف ثوباً ولا أظرف منه.
ترجمته في: الأغاني ٤/ ٢٦٦ـ ٢٩٧.

أحوج، فتقول المرأة: هذا ما لا أمر مستور /٣٨/ فيجامعها حتى إذا قضى لذته منها، قال لها: أما أنت فقد استرحت وأمنت العيب، وبقيت أنا.

ثم يجيء إلى الزوج فيقول له: قد وعدتها أن تدخل إليك الليلة، وأنت رجل غريب عَزَبٌ، ونساء أهل المدينة يردن المطاولة، وكأني بك لما تقربها تفرغ وتقوم، فتبغضك وتمقتك، ولو أعطيتها الدنيا لا تنظر في وجهك بعدها. ولا يزال في مثل هذا القول حتى يعلم أنه قد هاجت شهوته، فيقول: تطلب زنجية تجامعها مرتين ثلاثة حتى يسكن عليك، فإذا دخلت الليلة بأهلك، لم يجر أمرك إلا جميلاً، فيقول له: أعوذ بالله من هذا الحال زنًى وزنجية؟ لا والله ما أفعل، فإذا أكثر محاورته، فيقول له: قم فافعل بي أنا حتى تسكن غلمتك وشبقتك، فيفرح ويفعل ذلك مرة، أو مرتين، فيقول له: قد استوى أمرك، وطابت نفسك، فتدخل على زوجتك فتجامعها مجامعة تملأها سروراً ولذّة. فيقرب المرأة قبل زوجها، والرجل قبل امرأته. فكان ذلك دأبه فبلغ سليمان بن عبد الملك ـ وكان غيوراً ـ فأمر بأن يخصى هو وسائر المخنثين، وقال: إنَّ هؤلاء لا يدخلون على نساء قريش ويفسدونهن، فورد الكتاب على ابن حزم.

وقد قيل: إن الذي هيَّج سليمان بن عبد الملك على ما فعله بمن كان بالمدينة من المخنثين، أنه كان مستلقياً على فراشه في الليل، وجارية إلى جانبه، وعليها غلالة ورداء معصفران، وعليها وشاحان من ذهب، وفي عنقها فضلات من حبّ اللؤلؤ وزبرجدٍ وياقوت، وكان سليمان بها مشغوفاً، وفي عسكره رجل يقال له سمير الأيلي يغني، فلم يفكر سليمان في غنائه شغلاً بها، وإقبالاً عليها، وهي لاهية عنه لا تجيبه، مصغية إلى الرجل حتى طال ذلك على سليمان، فحوّل وجهه مغضباً، وعاد إلى ما كان من همّه بها، فسمع سميراً يغني بأحسن صوت، وأطيب نغمة[1]: [من البسيط]

مـحـجـوبـةٌ سـمـعـتْ صـوتـي فـأرَّقَـهـا   مِـنْ آخـرِ الـلـيـلِ لـمـا طـلَّـهـا الـسَّـحَـرُ
تُـدنِـي عـلـى جِـيـدِهـا رُدْنَـيْ مُـعَـصْـفَـرَة   والـحَـلْـيُ منـهـا عـلـى لَـبَّـاتِـهـا خَـضِـرُ
في لـيـلـةِ الـنّـصـفِ ما يَـدري مُـضـاجـعُـهـا   أَوَجْـهُـهـا عـنـدَهُ أَبـهـى أم الـقَـمَـرُ
لـوْ خُـلِّـيـتْ لَـمَـشَـتْ نـحـوي عـلـى قَـدَمٍ   يـكـادُ مـن رِقَّـةٍ لـلـمـشـي تـنـفـطِـرُ

قال: فلم يشك سليمان أن الذي بها مما سمعت، وأنها تهوى سميراً، فوجّه من وقته بمن أحضره، ودعا /٣٩/ لها بالسيف والنطع، وقال لها: والله لتصدّقيني أو لأضربن عنقك؟، قالت: سلني عما تريد، قال: أخبريني عمّا بينك وبين هذا الرجل،

---

(١) الأغاني ٤/ ٢٧٢.

قالت: والله ما أعرفه، ولا رأيته قطّ، وأنا جارية منشأي الحجاز، ومن هنالك حُملت إليك. والله ما أعرف بهذا البلد أحداً سواك، فرقَّ لها، وأحضر الرجل، فسأله عن مثل ذلك، وتلطف في المسألة، فلم يجد بينه وبينها شائبة، ولم تطلب نفسه بتخليته سوياً، فخصاهُ، وكتب إلى جميع عماله بذلك.

قال: لما أخصى المخنثين مرّ بابن أبي عتيق، فقال: أخصيتم الدلال، والله لقد كان يجيد[1]: [من الوافر]

لمَنْ رَبْعٌ بذات الجيش أمسى دارساً خَلِقا

ثم رجع فقال: إنما أغنّي خفيفه، لستُ أغني ثقيله.

قال حمزة النوفلي: صلّى الدلال المخنث إلى جانبي فضرط ضرطة هائلة سمعها من في المسجد، فرفعنا رؤوسنا، وهو ساجد يقول في سجوده رافعاً صوته: سبح لك أعلاي وأسفلي، فلم يبق أحد في المسجد إلا فتن وقطع صلاته بالضحك.

قال المدائني: اختصم شيعي ومرجىء، فجعل بينهما أول من يطلع فطلع الدلال، فقالا: يا أبا زيد أيُّما خير الشيعي أو المرجىء؟ قال: لا أدري إلا أن أعلاي شيعي، وأسفلي مرجىء.

قال: قدم مخنث من مكة فجاء الدلال فقال له: يا أبا زيد دلني على بعض مخنثي المدينة أكايده وأمازحه وأحادثه قال: قد وجدته لك، وكان خيثم بن غزال صاحب شرطة زياد بن عبد الله جاره، وقد خرج في ذلك الوقت ليصلي في المسجد، فقال: الحقه في المسجد، فإنه يقوم فيه ليصلي ليرائي الناس، فإنك ستظفر بما تريد منه، فدخل المسجد وجلس إلى جانب ابن غزال، فقال: عجل صلاتك لا صلى الله عليك، قال خيثم: سبحان الله، فقال المخنث: سبحت في جامعه فراحه انصرفي حتى أتحدّث معك، فانصرف خيثم من صلاته وعاد بالشرطة، فقال: خذوه، فأخذوه [فضربوه] مائة سوط وحبسوه.

قال إسحاق: صلى الدلال يوماً خلف الإمام بمكة، فقال: ﴿لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾[2] قال الدلال: لا أدري والله فضحك أكثر الناس، وقطعوا الصلاة.

قال: سأل رجل الدلال أن يزوّجه امرأة، فزوّجه، فلما أعطاه صداقها وجاء بها

(١) لجعفر بن الزبير بن العوام. الأغاني ٤/ ٢٧٣.
(٢) سورة يس: الآية ٢٢.

إليه ودخل بها؛ فلما قام يواقعها ضرطت قبل أن يطأها، فكسل عنها ومقتها، وأمر بها فأخرجت، وبعث إلى /٤٠/ الدلال فعرفه ما جرى عليه، فقال له الدلال: فديتك هذا من غيرة نفسها، فقال: دعني منك، فإني قد أبغضتها، فاردد إليّ دراهمي، فردّ بعضها، فقال: لم رددت بعضها، وقد خرجت كما دخلت؟ قال: للروعة التي أدخلتها على أستها. فضحك وقال: أنت أقضى الناس وأفقههم.

قال: خرج الدلال يوماً إلى نزهة مع فتية وكان معهم غلام جميل الوجه فأعجبه، وجلس يشرب، وسألوه أن يغنيهم فغناهم[1]: [من الطويل]

زُبَيريَّةٌ بالعَرْجِ منها منازلٌ وبالخَيْفِ مِنْ أَدْنى منازِلِهِمْ رَسْمُ
أُسائِلُ عنها كلَّ ركبٍ لقيتُهُ وما لي بها مِنْ بَعْدِ مُكْثَتِها عِلْمُ
أيا صاحِبَ الجاماتِ مِنْ بَطْنِ أرمدٍ إلى البخلِ مِنْ ودَّانَ ما فعلتْ نُعْمُ
فإنْ يكُ حَربٌ بينَ قومي وقومِها فإنَّ لها في كلِّ نائرةٍ سِلْمُ

قال: فطرب القوم، وصاحوا فندر بهم السلطان، وتعادت الشرط، فأحسّوا بالطلب فهربوا، وبقي الغلام والدلال ما يطيقان براحاً من فرط السكر، فأُخذا وأُتي بهما أمير المدينة، فقال للدلال: يا فاسق، قال: من فمك إلى السماء، فقال: يا عدو الله ما وسعك بيتك حتى خرجت بهذا الغلام إلى الصحراء تفسق به؟، قال: لو علمت أنك تغار علينا، وتشتهي أن تفسق به سرّاً، ماخرجت به من بيتي، قال: جردوه واضربوه حداً، قال: وأي شيء ينفعك هذا، وأنا والله أضرب في كل يوم حدوداً، قال: ومن يتولّى ذلك؟ قال: أيور المسلمين، قال: ابطحوه واجلسوا على ظهره، قال: أحسبُ أن الأمير قد اشتهى أن يراني كيف أناك، قال: أقيموه لعنه الله وأشهروه في المدينة مع الغلام، فأخرجا يدارُ بهما في السكك، فقيل له: ما هذا يا دلال؟، قال: اشتهى الأمير أن يجمع بين الرأسين، فجمع بيني وبين هذا ونادى علينا، ولو قيل له الآن: إنك قواد غضب، فبلغ خبره الوالي، فقال: خلُّوا سبيلهما، لعنة الله عليهما.

قال: كان سليمان بن عبد الملك يبلغه نوادر الدلال وطيب حديثه، فوجّه مولى له، وقال: جئني به سرّاً، فنفذ المولى إليه وأعلمه ما أمر به، فخرج معه إلى الشام، فدخل على سليمان ليلاً، فقال: ويلك ما خبرك؟ قال: خنثت من القبل مرّة يا أمير المؤمنين، فهل تريد أن تخنثني الكرة من الدبر؟ فضحك، /٤١/ وقال: أغرب أخزاك

(١) الأغاني ٤/ ٢٧٩.

الله، ثم قال له: غنِّ، فغناه في شعر العرجي[(١)]: [من الطويل]

أَفي رَسْمِ دارٍ دمعُكَ المُتَحَدِّرُ سَقاها وما استبكأتَ ما ليس يخبرُ
تغيَّرَ ذاكَ الرَّبعُ مِنْ بعْدِ جدَّةٍ وكلُّ جديدٍ مرّةً يتغيَّرُ

فقال له سليمان: حُقَّ لك يا دلال أن يقال لك: أحسنت وأجملت، فوالله ما أدري أي أمريك أعجب: سرعة جوابك، أم حسن غنائك، وجودة فهمك، بل جميعاً عجب، وأمر له بصلة سنية، وأقام عنده شهراً يشرب على غنائه، ثم سرّحه إلى الحجاز.

قال: كان الدلال لا يشرب النبيذ، فخرج مع قوم إلى منزه لهم، ومعهم نبيد، فشربوا وسقوه عسلاً مجدوحاً، فكان كلّما تغافل، صبُّوا عليه نبيذاً، فلا ينكر حتى كثر ذلك، وسكر وطرب، فقال: اسقوني من شرابكم، فسقوه حتى ثمل، ونام عرياناً، فغطّاه القوم بثيابهم، وحملوه إلى منزله ليلاً فنوموه وانصرفوا عنه، فأصبح وقد تلونت ثيابه فأنكر نفسه، فحلف ألا يغني أبداً، ولا يعاشر من شرب نبيذاً، فوفّى بذلك إلى أن مات، وكان يجالس المشيخة والأشراف، فيفيض معهم في أخبار الناس وأيامهم حتى قضى نحبه.

[١٣]

أبو سعيد[(٢)]

مولى فائد، رجل حق وباطل، وزينة محلّى وعاطل، لم يحط بمروءته الغناء، ولا أثرّ في مروته العناء، وكان على اشتهاره بالغناء، ومداومته، وإقامة شوقه ومقاومته من رجال أهل المدينة عرضاً مصوناً، وجنباً حصيناً، لا ينظر بعين نقيصة ولا يرى إلا والمسامع على أصواته حريصة؛ فكان لا يرى مسؤولاً، ولا يبرح يداوي بريئاً ومتبولاً.

قال أبو الفرج الأصبهاني: ذكر أن أبا سعيد مولى فائد حضر مجلس محمد بن عمران التميمي قاضي المدينة لأبي جعفر المنصور، وكان مقدماً لأبي سعيد، فقال له: يا أبا سعيد أنت القائل[(٣)]: [من الطويل]

---

(١) ديوانه ٢٢٣.

(٢) أبو سعيد، مولى فائد، وفائد مولى عمرو بن عثمان بن عفان. وذكر ابن خُرداذبة أن اسم أبي سعيد: إبراهيم. وهو يعرف في الشعراء بابن أبي سَنَّة مولى بني أمية، وفي المغنين بأبي سعيد مولى فائد. وكان شاعراً مجيداً، ومغنياً ناسكاً بعد ذلك، فاضلاً مقبول الشهادة بالمعرفة.
وعمر إلى خلافة الرشيد، ولقيه إبراهيم بن المهدي وإسحاق الموصلي وذووهما. وله قصائد جياد في مراثي بني أمية الذين قتلهم عبد الله وداود ابنا علي بن عبد الله ابن العباس.
ترجمته في: الأغاني ٤/ ٣٢٤ـ ٣٣٦.

(٣) الأغاني ٤/ ٣٢٥ـ ٣٢٧.

لقدْ طُفْتُ سبعاً قلتُ لمَّا قضيتُها ... ألا ليتَ هذا لا عليَّ ولا لِيا
يساءلني صحبي فما أَعْقِلُ الَّذي ... يقولونَ من ذكرٍ لليلى اعْتَرَانِيا

قال: لعمر أبيك، إني لقائله، وإني لأدمجه إدماجاً من لؤلؤ؛ فَرَدَّ محمد بن عمران شهادته في ذلك المجلس، وقام أبو سعيد من مجلسه مغضباً وحلف أن لا يشهد عنده /٤٢/ أبداً، فأنكر أهل المدينة ردّ شهادته، وقالوا لابن عمران: عرَّضت حقوقنا للبوار، وأموالنا للتلف؛ لأنا كنا نستشهد هذا الرجل لعلمنا ما كنتَ عليه ـ والقضاء من قبلك ـ من الثقة به وتقديمه وتعديله، فندم ابن عمران على ردّ شهادته ووجه إليه، فسأله حضور مجلسه والشهادة عنده، ليمضي شهادته، فامتنع، وذكر أنه لا يقدر على حضور مجلسه ليمين لزمه إن حضر حنث. قال، فكان ابن عمران إذا ادَّعى أحد عنده شهادة أبي سعيد، صار إلى منزله وإلى مكانه من المسجد حتى يسمع ويسأله عما يشهد به فيخبره.

وكان محمد بن عمران عظيم اللحم، كبير العجز، صغير القدمين، دقيق الساقين، يشتدّ عليه المشي، وكان كثيراً يقول: لقد أتعبني هذا الصوت، لقد طفت سبعاً، وأتعبني وأضرّ بي إضراراً طويلاً، وأنا رجل ثقال ترددني لا إلى أبي سعيد؛ لأسمع شهادته.

وتمام الأبيات[1]: [من الطويل]

إذا جئتَ بابَ الشِّعْب شِعْبِ ابن عامرٍ ... فأَقْرِي غَزَالَ الشِّعْب مني سلاميا
وقلْ لغزالِ الشِّعْبِ هلْ أنتَ تاركٌ ... لسعيكَ أَمْ هلْ يُصبحُ القلبُ ثاويا
لقدْ زادني الحُجَّاجُ شوقاً إليكمُ ... وإنْ كنتُ قبلَ اليوم للحَجِّ قاليا
وما نظرتْ عيني إلى وجهِ قادمٍ ... مِنَ الحجِّ إلا بَلَّ دمعي ردائيا

قال إسحاق: حججتُ مع الرشيد فلما قربت من مكة، استأذنته في التقدم، فأذن لي، فدخلت مكة، فسألت عن أبي سعيد مولى قائد، فقيل لي: هو بالمسجد الحرام، فأتيت المسجد، فدُلِلتُ عليه فإذا هو قائم يصلي، فجلست قريباً منه، فلما فرغ قال: يا فتى ألك حاجة؟ قلت: نعم تغنيني: لقد طفت سبعاً، فقال لي: أغنيك أحسن منه، قلت: أنت وذاك، فاندفع يغني شعره[2]: [من الخفيف]

إنّ هذا الطويلَ منْ آلِ حَفْصٍ ... أنشرَ المجدَ بعد ما كانَ ماتا
وبناهُ على أساسٍ وَثيقٍ ... وعمادٍ قدْ أُثبتا إثباتا
مثلَ ما قدْ بنوا له أَوَّلُوهُ ... وكذا يُشْبِهُ النَّباتُ النباتا

(١) الأغاني ٤/ ٣٢٧ـ ٣٢٨.
(٢) الأغاني ٤/ ٣٢٨.

فأحسن فيه، فقلت: يا أبا سعيد، فغنني: لقد طفت سبعاً، قال: أو أغنيك ما هو أحسن منه، /٤٣/ فقلت: أنت وذاك، فغنّى فاندفع وقال[1]: [من الكامل]

قدمَ الطويلُ فأشرقتْ واستبشرتْ   أرضُ الحجازِ وبانَ في الأشجارِ
إنَّ الطويلَ مِن آلِ حفصٍ فاعلموا   سادَ الحضورَ وسادَ في الأسفارِ

فأحسن فيه، فقلت: أحسنت يا أبا سعيد، فغنني: لقد طفت سبعاً، فقال: أَو أغنيك ما هو أحسن[2]: [من الخفيف]

أَيُّها السائلُ الذي يَخْبِطُ الأر   ضَ دَعِ الناسَ أجمعينَ وَرَاكا
وأتِ هذا الطويلَ مِنْ آلِ حفصٍ   إنْ تخوَّفتَ غفلةً أوْ هلاكا

فأحسن فيه، فقلت: غنِّ: قد طفت سبعاً، فقد أحسنت فيما غنيت، ولكني أحب أن تغنيني ما سألتك فيه، فقال: لا سبيل إلى ذلك؛ لأني رأيت النبي ﷺ في منامي وفي يده شيء لا أدري ما هو؛ وقد رفعه ليضربني به، وهو يقول: يا أبا سعيد لقد طفت سبعاً ما صنعت بأمتي هذا الصوت، فقلت: بأبي أنت وأمي اغفر لي، فوالذي بعثك بالحق نبياً لا غنيت هذا الصوت أبداً، فردّ يده عني، وقال: عفا الله عنك أبداً، ثم انتبهت وما كنت لأعطي رسول الله ﷺ شيئاً في منامي فأرجع فيه في يقظتي. قال إسحاق: فبكيت وقلت: لا تعدْ أبا سعيد في غنائه، فقال شيئاً إذا أردت أن تسمعه، فاسمعه من جارية البرامكة، فودعته وانصرفت.

قال إبراهيم بن المهدي: كنت بمكة في المسجد الحرام فإذا شيخ قد طلع، وقد قلب إحدى نعليه على الأخرى، فسألت عنه، فقلت: من هذا؟، فقيل: هو أبو سعيد مولى فائد، فقلت لبعض الغلمان: احصبوه، فحصبوه، فأقبل علي، وقال: ما يظنّ احدكم إذا دخل المسجد إلا أنه له، فقلت للغلام: ما يقول لك أبلغني، فقال له أبو سعيد: ومن مولاك حفظك الله؟، فقال: مولاي إبراهيم بن المهدي، فقام فجلس بين يدي، فقال: لا والله بأبي أنت وأمي ما عرفتك، فقلت: لا عليك أخبرني هذا الصوت[3]: [من المتقارب]

أفاضَ المدامعَ قبلي الكَرَى   وقيلَ بكيرةُ لم تُرمَسِ

فقال: هو لي، وربّ هذا البيت لا تبرح حتى تسمعه، ثم قلب إحدى نعليه وأخذ

---

(١) الأغاني ٤/٣٢٨.
(٢) الأغاني ٤/٤٢٨-٤٢٩.
(٣) الأغاني ٤/٣٣٣.

/ ٤٤/ بعقب الأخرى، وجعل يقرع بحرفيها على الأخرى، ويغنيه حتى أتى عليه، فأخذته منه.

وهذا البيت من قصيدة يرثي بها أبو سعيد بني أمية الذين قتلهم عبد الله وداود ابنا علي بن عبد الله بن عباس(١):

أولـئـكَ قـومـي أنـاخـتْ بـهـمْ نـوائـبُ مِـنْ زمـنٍ مُـتـعـسِ
إذا ركـبـوا زيـنـةُ الـمـوكـبَـيـنِ وإنْ جـلـسـوا زيـنـةُ الـمـجـلـسِ
هـمُ أرضـعـونـي لـريـبِ الـزَّمـانِ وهُـمْ الـزَقُـوا الـغَـمَّ بـالـمـغْـطِـسِ

قال: لما وضع رأس مروان بين يدي أبي عباس، خرّ لله ساجداً، وقال: الحمدُ لله الذي أظفرني بك، وأظهرني عليك، ولم يُبقِ ثأري قبلَك، وقبلَ رهطك أعداء الدين، ثم تمثل بقول ذي الإصبع العدواني(٢): [من البسيط]

لـوْ يـشـربـون دمـي لـمْ يـرو شـاربُـهـم ولا دمـاؤهـم لـلـغـيـظِ تُـرْويـنـي

قال: نظر عبد الله بن علي في القتال إلى فتى عليه أبّهة الشرف، وهو يقاتل مستقبلاً، فناداه: يا فتى لك الأمان، لو كنت مروان بن محمد الأكبر، قال: إن أكنهَ فلست بدونه، قال: فلك الأمان من كنت، فأطرق، ثم قال(٣): [من المتقارب]

احـلّ الـحـيـاةَ وكـرهَ الـمـمـاتِ وكُـلاً أراه طـعـامـاً وَبـيـلا
فـإنْ لـمْ يـكـنْ غـيـرُ إحـداهُـمـا فـسـيـراً إلـى الـموتِ سيراً جـمـيـلا

ثم قاتل حتى قتل، فإذا هو ابن مسلمة بن عبد الملك.

قال الزبير: سبب قتل السفاح بني أمية بحضرته أن السفاح مدح بقصيدة، فأقبل على بعضهم، فقال: أين هذا مما مدحتم به؟ فقال: هيهات لا يقول والله أحد فيكم مثل ما قال ابن قيس الرقيات فينا(٤): [من المنسرح]

مـا نَـقَـمُـوا مِـنْ بـنـي أُمـيَّـةَ إلـ ـلا أَنَّـهـمْ يـحـلُـمـونَ إن غَـضِـبُـوا
وأَنَّـهـمْ مـعـدنُ الـمـلـوكِ ولا تـصـلـحُ إلاَّ عـلـيـهـم الـعَـرَبُ

فقال: يا ماصَّ كذا وكذا، إنَّ الخلافة لفي شكٍّ بعد. خذوهم، فاخذوا، وقتلوا، ثم أمر ببساط فبسط عليهم، ودعا بالغداء، فجلس فوقه يأكل، وهم يضطربون تحته، فلما فرغ، قال: ما اعلم أني أكلتُ أكلةً قطُ كانت أطيب، ولا أهنأ من هذه في نفسي،

(١) الأغاني ٤/ ٣٣٣، وفيه هذه الأبيات والبيت السابق لعبد الله بن عمر العبلي.
(٢) ديوانه ٩١، الأغاني ٤/ ٣٣٧.
(٣) الأغاني ٤/ ٣٣٨.
(٤) ديوانه ٤.

/ ٤٥/ فلما رفع الطعام قال: جرُّوا بأرجلهم، فالقوهم في الطريق، ليلعنوهم أمواتاً كما لعنوهم أحياءً.

قال: رأيتُ الكلاب تجرّ بأرجلهم، وعليهم سراويلات الوشي حتى أنتنوا، وحفرت لهم بئر، فألقوا فيها، وقال ابن هرمة في ذلك[1]: [من البسيط]

فلا عَفَا اللهُ عَنْ مروانَ مَظْلَمةً ... ولا أميَّةَ بئسَ المجلسُ النادِي

كانوا كعادٍ فأمسى اللهُ أهلكَهُمْ ... بمثْلِ ما أهلكَ الماضينَ مِنْ عادِ

[١٤]

فُلَيح بن العوراء[2]

رجل طالما ندم نديماً، وعادت صباه عقيماً، تمرُّ به الراح مرورها بالخيف، ويقوم به السرور فيميل بالحنف، فكان يثقل على محاضره، وينغّص على جليسه وناظره، لكنه كان من الجلَّة السوابق، وأهل التقدم المأخوذة عنهم الطريق. ما غنّى إلا أطرب، ولا قال إلا أعرب.

قال أبو الفرج الأصفهاني: قال محبور بن لهفا: دعاني محمد بن سليمان، فقال: قدم فليح بن العوراء من الحجاز، وقد نزل عند مسجد ابن عنان، فسر إليه، وأعلمه إن جاءني قبل أن يدخل إلى الرشيد، خلعت عليه خلعة من ثيابي، ووهبت له خمسة آلاف درهم. فمضيت، فأخبرته بذلك، فأجابني إليه إجابة سرور به، نشيط له، وخرج معي، فعدل إلى حمام كان بقربه، فدعا القيم، فأعطاهُ درهمين، وسأله أن يجبه بشيء يأكله، ونبيذ يشربه، فجاءه بشراب، ورأس عجل، وشابي غليظ مسحوري رديء. فقلت: لا تفعل، وجهدت به أن لا يأكل، ولا يشرب إلا عند محمد بن سليمان، فلم يلتفت إليّ، وأكل من ذلك الرأس، وشرب من ذلك النبيذ حتى طابت نفسه، وغنى القيم معه ملياً، ثم خاطب القيم بما أغضبه، وتلاحيا، وتواثبا، فأخذ القيم شيئاً على

---

(١) ديوانه ١٠٢ـ ١٠٣، الأغاني ٤/ ٣٤١ـ ٣٤٢.

(٢) وفي الأغاني: فُليح بن أبي العوراء:
وهو رجل من أهل مكة، مولى لبني مخزوم، أحد مغني الدولة العباسية له محل كبير من صناعته، وموضع جليل.
وكان إسحاق إذا عدّ من سمع من المحسنين ذكره فيهم، وبدأ به وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المائة صوت للرشيد في كتاب الأغاني.
ترجمته في: الأغاني ٤/ ٣٥٣ـ ٣٥٩.

رأسه، فشجه حتى جرى دمه؛ فلما رأى الدم سائلاً على وجهه، اضطرب وجزع، ثم قام فغسل وجهه، وعاجله بصوفة محروقة، وزيت وعصابة، وتعمَّم وقام معي؛ فلمّا دخل دار محمد بن سليمان، ورأى الفرش والآلة، وحضر الطعام، ورأى سروره وطيبه، وحضر النبيذ وآلته، ومدَّت الستائر وغنّى الجواري، أقبل عليّ، وقال: يا محبور، سألتك الله أيُّما أحق بالعربدة وأولى، منزل القيم، أو مجلس الأمير؟، فقلت: وكأنّه لا بدَّ من /٤٦/ عربدة، قال: لا والله ما لي منها بدّ، فأخرجها من رأسي هناك، فقلت: أما على هذه الشريطة، فالذي فعلت أجود، فسألني محمد بن سليمان عمّا كان منه، فأخبرته، فضحك ضحكاً كثيراً، وقال: هذا الحديث والله أظرف وأطيب من كل غناء، وخلع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم.

قال فليح بن العوراء: كان في المدينة فتًى يعشق ابنة عمّ له فوعدته أن تزوره، وشكا إليّ أنها تأتيه، ولا شي عنده، فأعطيته كسر دينار للنفقة، فلما زارته قالت له: من يلهينا؟، قال: صديق لي، ووصفني لها، ودعاني فأتيته، وكان أول ما غنيت(١): [من الوافر]

مِنَ الخَفِرَاتِ لَمْ تَفضحْ أَخاها ... ولَمْ تَرفَعْ لِوالِهِا شَنارا

فقامت إلى ثوبها لتلبسه وتنصرف، فعلق بها وجهد أن تقيم، فلم تقم، وانصرفت، وأقبل عليَّ يلومني في أن غنيت ذلك الصوت، فقلت: لا والله، ما هو شيء أعتمد فيه مساءتك، ولكنه شيء اتفق، قال: فلم يبرح إذ غادر رسولها بعدها، ومعه صرَّة دفعها إلى الفتى، وقال له تقول لك ابنة عمك: هذا مهري ادفعه إلى أبي واخطبني، ففعل ذلك، وتزوجها.

والبيت للسليك بن السلكة، وبعده: [من الوافر]

كأنَّ مجامعَ الأَردافِ منْها ... نَقاً دَرَجَت عليهِ الريحُ هَارا

يعافُ وصالَ ذاتِ البدرِ قلبي ... ويَتَّبِعُ المُمنَّعةَ النَّوَارا

ومنهم:

[١٥]

الهذلي(٢)

كان من القدماء المشاهير، ومن أهل الغناء في المجاهير، لم يذكر معه أحد زاد

---

(١) شعر السليك بن السلكة ص٥٥.

(٢) سعيد بن مسعود الهُذَلي، أبو عبد الرحمن، أو أبو مسعود: من كبار المغنين، من أهل مكة. كان =

في حسن الصنعة إلا انتقص، ولا مال إليه أحد نجوى سمعه إلا رقص، لو سمعه صاحبه أبو ذؤيب[(١)] لأنساه مُشكلَ بنيه، وسلاه إذ كان غناه في التسلي يغنيه، ولما عرف بأنه بين الشعراء يتفجع، ولما رُئي إلا مسروراً لا يقول[(٢)]: [من الكامل]

أَمِنَ الـمَنُونِ ورَيبِـها تَـتَـوَجَّـعُ

قال أبو الفرج: كان فتيان قريش يعدون إليه، وقد عمل عمله بالليل، ومعهم الطعام والشراب والدراهم، فيقولون: قد جئنا، فيقول: الوظيفة الأخرى أنزلوا أحجاري، فيلقون ثيابهم ويأتزرون بأزرهم، وينقلون الحجارة وينزلونها ثم ينزل على شنخوبٍ /٤٧/ من شناخيب الجبل، ويجلسون تحته في السهل ويشربون وهو يغنيهم حتى المساء وكانوا كذلك مدّة.

قال إسحاق: زوج ابن سريج لما حضرته الوفاة الهذليَّ بابنته، فأخذ عنها أكثر

= نقاشاً يصنع البُرَم من حجارة أبي قبيس (بمكة) فإذا أقبل المساء رفع صوته بالغناء، فيتسارع إليه فتيان قريش وغيرهم، فيساعدونه في تقطيع الحجارة ويحدرونها عن الجبل، وينزل معهم فيغنيهم. وسمعه الحارث بن خالد المخزومي، وكان أمير مكة، فطرح عليه مقطعات من الخزّ. وتزوج بابنة «ابن سريج» أشهر المغنين في عصره، فأخذ عنها غناء أبيها. وكان يُقترح عليه الغناء بالأبيات من الشعر، فيضع لها اللحن ارتجالاً، ويغنيها. توفي نحو سنة ١١٠هـ/ نحو ٧٢٨م.
ترجمته في: الأغاني ٥/ ٧٠ـ ٧٩، الأعلام ٣/ ١٠٢.

(١) أبو ذُؤَيْب الهُذَلي، خويلد بن خالد بن محرِّث، من بني هذيل بن مدركة، من مضر: شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. وسكن المدينة. واشترك في الغزو والفتوح. وعاش إلى أيام عثمان فخرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى إفريقية (سنة ٢٦هـ) غازياً، فشهد فتح إفريقية وعاد مع عبد الله بن الزبير وجماعة يحملون بشرى الفتح إلى عثمان (رضي الله عنه) فلما كانوا بمصر مات أبو ذؤيب فيها. نحو سنة ٢٧هـ/ نحو ٦٤٨م. وقيل مات بإفريقية. أشهر شعره عينية رثى بها خمسة أبناء له أصيبوا بالطاعون في عام واحد، مطلعها:

«أمِـن الـمـنـون وريـبـه تـتـوجـع»

قال البغدادي: هو أشعر هذيل من غير مدافعة. وفد على النبي ﷺ ليلة وفاته، فأدركه وهو مسجّى وشهد دفنه. له «ديوان أبي ذؤيب ـ ط» الجزء الأول منه.
ترجمته في: شواهد المغني للسيوطي ١٠، والأغاني ٦/ ٢٧٩ـ ٢٩٥، ومعاهد التنصيص ٢/ ١٦٥، والآمدي ١١٩ والتبريزي ٢/ ١٤٣، والشعر والشعراء ٢٥٢، وخزانة البغدادي ١/ ٢٠٣ وفيه: هلك أبو ذؤيب في زمن عثمان في طريق مصر ودفنه ابن الزبير، وقيل مات في طريق إفريقية، وفي الخزانة أيضاً ٢/ ٣٢٠ ثم ٣/ ٥٩٧ و٦٤٧ بعض أخباره، وفي الكامل لابن الأثير ٣/ ٣٥ قتل أبو ذؤيب بإفريقية ودفن هناك، الأعلام ٢/ ٣٢٥.

(٢) صدر بيت لأبي ذؤيب، وعجزه:

والدهر ليس بمعتب من يجزع

«شرح أشعار الهذليين ١/ ٤».

غنائه، وادّعاه، فغلب عليه، وولدت ابناً فلمّا يفع أجاز يوماً بأشعب[١]، وهو جالس في فتية من قريش، فوثب فحمله على كتفه وجعل يرقصه، ويقول: هذا ابن مزامير داود، فقيل له: ويلك ما تقول؟، ومن هذا الصبيّ؟، قال: أوما تعرفونه؟ هذا ابن الهذلي من ابنة ابن سريج، ولد على عودٍ، واستهلَّ على غناء بملوى، وشُدّت سرّته بزمر، وختن بمصراب.

[١٦]

مالك بن السمح[٢]

مطرب لو لم يَضُمّه معبد إليه، لكان نظيره، أو يزيد عليه. طرح أصواته، فحفظها، وسجا حساده، وأحفظها، وأخذ جوائز الأمراء، وحصل جزيل الثراء، وكان يُرمى بحمقٍ ربما أدّاه إلى صواب الرأي وهداه، وسبب حياته ومدَّ مداه، وأحياه ليميت به عداه.

قال أبو الفرج الأصفهاني ـ رحمه الله تعالى ـ قال الورد: كان مالك بن أبي السمح من طيّىء، فأصابتهم حطمة في بلادهم بالجبلين، فقدمت به أمه وأخوه، وأخوات أيتام لا شيء لهم، وكان يسأل الناس عن باب حمزة بن عبد الله بن الزبير، وكان معبد منقطعاً إلى حمزة يكون عنده يغنيه، فسمع مالك بن أبي السمح غناءه، فأعجبه واشتهاه، وكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناء معبد إلى الليل، فلا يطوف

---

(١) أَشْعَبُ الطَّامِع، أشعب بن جبير، المعروف بالطامع، ويقال له ابن أم حُميدة، ويكنى أبا العلاء وأبا القاسم: ظريف، من أهل المدينة. كان مولى لعبد الله بن الزبير. تأدب وروى الحديث، وكان يجيد الغناء. يضرب المثل بطمعه. وأخباره كثيرة متفرقة في كتب الأدب. عاش عمراً طويلاً، قيل: أدرك زمن عثمان (رضي الله عنه) وسكن المدينة في أيامه. وقدم بغداد في أيام المنصور العباسي، وتوفي بالمدينة سنة ١٥٤هـ/ ٧٧١م.
ترجمته في: تهذيب ابن عساكر ٣/ ٧٥، وفوات الوفيات ١/ ٢٢، وثمار القلوب ١١٨، وميزان الاعتدال ١/ ١٢٠، ولسان الميزان ١/ ٤٥٠ ثم ٤/ ١٢٦، والنويري ٤/ ٣٤، وتاريخ بغداد ٧/ ٣٧، الأعلام ١/ ٣٣٢.

(٢) ابن أَبي السَّمْح، مالك بن جابر بن ثعلبة الطائي، أبو الوليد: أحد المغنين المقدمين في العصر الأموي وشطر من العصر العباسي. أخذ صناعة الغناء عن معبد، وانقطع إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ثم إلى بني سليمان بن علي. وكان من دعاة بني هاشم. مولده وإقامته في المدينة. رحل إلى البصرة وبغداد، وعلت شهرته. وكان طويلاً أجنى، فيه حوَل، عاش إلى خلافة المنصور العباسي، وتوفي نحو سنة ١٤٠هـ/ نحو ٧٥٧م، وروى له صاحب الأغاني أخباراً حساناً.
ترجمته في: الأغاني ٤/ ١١١ـ ١٢٩، النويري ٤/ ٣٠٥، الأعلام ٥/ ٢٥٨.

بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئاً، ولا يريم فينصرف إلى أمه، ولم يكسب شيئاً فتضربه، وهو مع ذلك يرنّم بألحان معبد ويؤديها دوراً دوراً، نغماً بغير لفظ ولا روى شيئاً من الشعر، وجعل كلّما غدا وراح، رآهُ ملازماً لبابه، فقال لغلامه: أدخل هذا الغلام الأعرابي إليّ، فأدخله إليه، فقال له حمزة: من أنت يا غلام؟، قال: أنا غلام من طيِّىء، أصابتنا حطمة بالجبلين، فحطتنا إليكم، ومعي أمٌّ لي وأخوة، وإني لزمت بابك، فسمعت من دارك صوتاً أعجبني، فلزمت بابك من أجله، فقال: هل أنت تعرف منه شيئاً؟، قال: أعرف لحنه كلّه، ولا أعرف الشعر، /٤٨/ قال: إن كنت صادقاً، إنك لتفهم ودعا بمعبد، فأمره أن يغني صوتاً فغنّاه، ثم قال لمالك: هل تستطيع أن تقوله؟ قال: نعم، قال: هاته، فاندفع فغنّاه، وأدّى نغمته بغير شعر، يؤدِّي مدّاته، وليّاته، وعطفاته، ونبراته، وتعليقاته، لا يخرم حرفاً، فقال لمعبد: خذ هذا الغلام، وخرّجه فليكونن له شأن.

قال معبد: ولم أفعل ذلك؟ قال: لتكون محاسنه منسوبة إليك، وإلا عدل إلى غيرك، وكانت محاسنه منسوبة إليه، فقال صدق الأمير، وأنا أفعل ما أمرني به.

ثم قال حمزة لمالك: كيف وجدت ملازمتك لبابنا؟، قال: والله، ثم والله، ما شبعت على بابك شبعة قط، ولا انقلبت إلى أهلي منه بخير، فأمر له ولإخوته وأمه بمنزل، وأجرى لهم رزقاً وكسوة، وأمر لهم بخادم يخدمهم، وعبد يسقيهم الماء، وأجلس مالكاً معه في مجلسه، وأمر معبداً أن يطارحه. فلم يلبث أن مهر وحذق، وكان ذلك بعقب مقتل هُدبة بن خشرم[1]، فخرج مالك يوماً، فسمع امرأة تنوح على زياد

(١) هدبة بن خَشْرَم بن كُرْز، من بني عامر بن ثعلبة، من سعد هذيم، من قضاعة: شاعر، فصيح، مرتجل، راوية، من أهل بادية الحجاز (بين تبوك والمدينة) كنيته أبو عُمير. وهو القائل:

«عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب»

وفي الأغاني: كان هدبة راوية الحطيئة، والحطيئة راوية كعب بن زهير وأبيه، وكان جميل راوية هدبة، وكثير راوية جميل. وقال حازم القرطاجني (في المناهج) بعد أن ذكر أن «كثيراً» أخذ علم الشعر عن جميل: «وأخذه جميل عن هدبة بن خشرم، وأخذه هدبة عن بشر بن أبي خازم». وأكثر ما بقي من شعره، ما قاله في أواخر حياته بعد أن قتل رجلاً من بني رقاش، من سعد هذيم، اسمه «زيادة بن زيد» في خبر طويل، خلاصته: أن زيادة كان شاعراً أيضاً، وتهاجيا، ثم تقاتلا، فقتله هدبة، وابتعد عن منازل قومه، مخافة أن يقبض عليه والي المدينة (سعيد بن العاص) وأرسل سعيد إلى أهل هدبة فحبسهم بالمدينة. وبلغ هدبة ذلك، فأقبل مستسلماً، وأنقذ أهله. وبقي محبوساً ثلاث سنوات، ثم حكم بتسليمه إلى أهل المقتول، ليقتصوا منه، فأخرج من السجن، وهو موثق بالحديد، ودفع إليهم، فقتلوه أمام والي المدينة وجمهور من أهلها نحو سنة ٥٠هـ/ =

الذي قتله هدبة بشعر أخي زياد[1] : [من الطويل]

أَبَعْدَ الَّذي بالنَّعفِ نعفِ كُوَيكبٍ رهينة رمسٍ ذي تراب وجندلِ
أُذكّرُ بالبُقيا على ما أصَابَني وبُقياي أنّي جاهِدٌ غيرَ مُؤْتَلي
فلا يَدعُني قومي كَريماً لحُرَّةٍ لئنْ لمْ أُعَجِّلْ ضَرْبةً أَوْ أُعَجَّلِ

فغنّى في هذا الشعر لحنين أحدهما نحا فيه نحو المرأة في زوجها، ورفئه وأصلحه، وزاد الأخرى نحا فيه نحو معبد في غنائه، ثم دخل على حمزة، فقال: أيها الأمير إني صنعت غناءً سمعته من بعض أهل المدينة ينشده فأعجبني، فإن أذن الأمير، غنيته فيه، فقال: هات فغناه اللحن الذي نحا فيه نحو معبد، فطرب حمزة، وقال: أحسنت يا غلام، هذا الغناء غناء معبد وطريقته، فقال: لا تعجل أيها الأمير، واسمع منّي شيئاً آخر ليس من غناء معبد، ولا من طريقته، فقال: هات فغناه باللحن الذي يشير فيه بنوح المرأة، فطرب حمزة حتى ألقى حلّة كانت عليه قيمتها مائة دينار، ودخل معبد، فرأى حلة حمزة عليه فأنكرها، وعلم حمزة بذلك، فأخبر معبداً بالسبب، فأمر مالكاً فغناه / ٤٩/ الصوت، فقال: قد كرهت أخذها، فيتعمد غنائي، ويدعيه لنفسه، فقال له حمزة: لا تعجل واسمع غناء صنعةٍ ليس من شأنك، ولا من طريقتك، وأمره أن يغني اللحن الآخر، فغناه، فأطرق معبد، فقال حمزة، والله لو تفرَّد بهذا، لضاهاك، ثم يتزايد على الأيام، وكلما كبر هو زاد، وكلّما شخت أنت، نقصت فلأنْ يكون منسوباً إليك أجمل، فقال معبد، وهو منكسر: صدق الأمير، فأمر حمزة له بخلعة من ثيابه وجائزة حتى طابت نفسه، وسكن فقام مالك على رجله، فقبل رأس معبد، وقال له: يا أبا عباد ما سمعت من غنائي بالله العظيم لا أغني لنفسي شيئاً أبداً ما دمت حيّاً، فإن

=

نحو ٦٧٠م. وأظهر صبراً عجيباً حين قتل، وارتجل في السجن وبين يدي قاتليه شعراً كثيراً. قال مروان بن أبي حفصة: كان هدبة أشعر الناس منذ دخل السجن إلى أن أقيد منه.

ترجمته في: الأغاني، طبعة الساسي ٧/ ٧٣ و٢١/ ١٦٩ وطبعة بريل ٢١/ ٢٦٤ـ ٢٧٦ وحماسة ابن الشجري ٦٠ـ ٦١ والمرزباني ٤٨٣ والزهرة: انظر فهرسته. والتبريزي ٢/ ١٢ والشعر والشعراء ٢٤٩ وخزانة البغدادي ٤/ ٨٤ـ ٨٧ والمحبر ٣٩٠، ٢٩٧ ومعجم ما استعجم ٧٥٥ والتاج ٢١/ ٥١٣ ورغبة الآمل ٢/ ٢٤٢ـ ٢٤٣ و٣/ ١٨٨ و٨/ ٢٣٩ وسمط اللآلي ٢٤٩، ٦٣٩، والعيني ٢/ ١٨٤ وعرفة بالعذري؛ ومثله الجاحظ في الحيوان ٧/ ١٥٥ـ ١٥٧ وبنو عذرة من أبناء عمومته يلتقي نسبه بهم في «سعد هزيم» كما في جمهرة الأنساب ٤١٩ وانظر بعض أخباره في أسماء المغتالين، من نوادر المخطوطات ٢/ ٢٥٦ـ ٢٦٢، الأعلام ٨/ ٧٨، معجم الشعراء للجبوري ٦/ ٨٥.

(١) الشعر لعبد الرحمن بن زيد أخي زياد. الأغاني ٥/ ١١٥.

غلبتني نفسي فغنيت شعراً استحسنته، لأنسبنَّهُ إليك، فطب نفساً، وارض عنّي، فقال له معبد: أو تفعل هذا وتفي به؟، قال: أي والله وأزيد، وكان مالك بعد ذلك إذا غنى صوتاً، فسُئل عنه، قال: هذا لمعبد ما غنيت لنفسي شيئاً قط، وإنما آخذ غناء معبد، فأنقله إلى الأشعار وأحسنه، وأزيد فيه، وأنقص منه.

قال ابن عائشة: حضرت الوليد بن يزيد يوم قتل، وكان مالك بن أبي السمح معنا، وكان أحمق الخلق، فلما قتل الوليد، قال: اهرب بنا، فقلت: وما يريدون منا، فقال: وما يؤمنك أن يأخذوا رأسينا، فيجعلوا رأسه بينهما؛ ليخفوا أمرهم بذلك؟، قال ابن عائشة: فما رأيت منه عقلاً قط قبل ذلك اليوم.

وفي مالك بن أبي السمح يقول الحسين بن عبد الله بن العباس[1]: [من المنسرح]

أَبيضُ كالبدرِ أَوْ كما يلمعُ الـ ... ـبارقُ في حالكٍ مِنَ الظُّلَمِ
مَنْ ليسَ يَعْصيكَ إنْ رشدتَ ولا ... يَعصيكَ حقّ الإسلامِ والحرمِ

فيقال: إنَّ مالكاً قال له: والله ولا إنْ غويت أيضاً أغضبك.

[١٧]

دحمان الأشقر[2]

نفق على الخلائف، ونفذ من برّهم باللطائف حتى سمتْ به نفسه إلى رتب الصعود، وطلب ما لم ينله إلا ولاة العهود، وكان له على المهدي نفاق وبكرمه المجدي أراق، وكان أ طرب من سُمع، وأطيب من عليه جُمع، كان إذا غنّى كأنما يستلّ الأكباد، / ٥٠/ ويسلب في كل لحن قطعة من الفؤاد.

قال أبو الفرج؛ كان يقول: ما رأيت باطلاً أشبه بحق من الغناء.

ويقال: إن دحمان شهد عند عبد العزيز بن حنظلة ـ وهو يلي القضاء ـ لرجل من أهل المدينة على رجل من أهل العراق شهادة، فأجازها، وعدَّله، فقال العراقي: إنه

(١) الأغاني ٥/ ١٢٢.

(٢) دَحْمَان الأَشْقَر: عبد الرحمن بن عمرو، الملقب بدحمان الأشقر، من موالي ليث بن عبد مناة: عالم بالغناء، علت له شهرة في أوائل العهد العباسي. أخذ الغناء عن معبد. ونبغ، فاتصل بالخليفة المهدي، وفاز بعطاياه. وكان يعلم الجواري وغيرهم صناعة الغناء. وله في «الأغاني» عدة أصوات. وكان صالحاً، كثير الصلاة. من كلامه: «ما رأيت باطلاً أشبه بحق من الغناء» توفي نحو سنة ١٦٥هـ/ نحو ٧٨٢م.

ترجمته في: الأغاني، طبعة الدار ٦/ ٢٨ـ ٤٠ وانظر فهرسته، الأعلام ٣/ ٣٢٠.

دحمان، قال: أعرفه، ولو لم أعرفه، لسألتُ عنه، فقال: إنه يغني ويعلم الجواري الغناء، قال: غفر الله لنا ولك، وأينا لا يتغنّى؟ اخرج إلى الرجل من حقه.

قال عمر بن شبه: بلغني أن المهدي أعطى دحمان في ليلةٍ خمسين ألف دينار وذلك أنه غناه من شعر الأحوص[(١)]: [من الوافر]

قَطُوفُ المشي إنْ تَمشي تَرَى في مشِيها خُرَقا

فطرب واستخفّه السرور حتى قال لدحمان: سلني ما شئت؟، قال: ضيعتان بالمدينة يقال لهما: أركا، وغالب. فأقطعه إياهما، فلمّا خرج التوقيع إلى ابن عبد الله وعمر بن بزيغ راجعا المهدي فيه، وقالا: إنَّ هاتين الضيعتين لم يملكهما قطّ إلا خليفة، وقد استقطعهما ولاة العهود في أيام بني أمية، فلم يعطوهما. فقال: والله لا أرجع عنها إلا بعد أن يرضى. فصُولح على خمسين ألف دينار.

قال إسحاق: مرّ دحمان الأشعر المغنّي، وعليه رداء جيد، فقال له بعض من حضر: بكم اشتريت هذا يا أبا عمر، فقال[(٢)]: [من الخفيف]

[ما] ضَرَّ جيرانَنا إذ انْتَجَعُوا

[١٨]
سياط[(٣)]

كان سروراً للسامع، وشجاً لابن جامع، لا يزال يعنطه، ويرهق باقي دمائه ويفنطه، ولم يكثر عدّ أصواته التي صنّفها وأبياته في الأنغام التي ألّفها، إلا أنه يكثر فيها الصناعة، ويظهر فيها البراعة، ويطرب بها ما لا يطرب اليراعة، وكانت أخباره قلائل، وآثاره عليه دلائل.

قال أبو الفرج، قال إسحاق: ولقب هذا اللقب؛ لأنه كان كثيراً ما يغني[(٤)]: [من الوافر]

---

(١) ديوانه ١٧٨.

(٢) صدر بيت للأحوص الأنصاري، وتتمته: لو أنهم قبل بينهم ربعوا «ديوان الأحوص ١٧٨».

(٣) سِيَاط: عبد الله بن وهب، مولى خزاعة، المعروف بسياط: أحد المقدمين في صناعة الغناء والعزف .من أهل مكة. وهو أستاذ إبراهيم الموصلي وطبقته. وسياط هو زوج أم ابن جامع، توفي سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م.
ترجمته في: الأغاني ٦/ ١٦١ـ ١٦٩، الأعلام ٤/ ١٤٣.

(٤) البيت للمتنخل الهذلي في شرح أشعار الهذليين٣/ ١٢٧٣.

كأنَّ مزاحفَ الحيَّاتِ فيها قُبيلَ الصُّبحِ آثارُ السِّياطِ

قال المهدي يوماً وهو يشرب لسلامة الأبرش: جئني بسياط، وعقال، وحبال. فارتاع كل من حضر، وظنَّ جمعيهم أنه يريد الإيقاع بهم، فجاءه بسياط المغني، /٥١/ وعقال المدائني ـ الذي كان يوقع عليه ـ وحبال الزامر، فجعل الندماء يشتمونهم، والمهدي يضحك.

قال: دخل ابن جامع على سياط، وقد نزل به الموت، فقال له: ألك حاجة؟ قال: نعم. قال: أن لا تزد في غنائي شيئاً ليس منه. دعه رأساً برأس، فإنما هو ثمانية عشر صوتاً.

[١٩]

ابن جامع(١)

مطرب جليل، ومطر ما عنده قليل، لم يقصر عن إسحاق، فما جمع، ولا تأخر فيما لم يعلق به طمع، وكان لا يرى إلا أن يكون طيره، وأن يعد نظيره، وله في كل حديث إذا شاء نصيب، وكلام مصيب، إلا أن الغناء كان عليه العَلَم الذي به عُرف والسبب الذي لولاه لما كان عليه عكف.

قال أبو الفرج: كان حسن السمت، كثير الصلاة، قد أخذ السجود في جبهته، وكان يعتمّ بعمامة سوداء على قلنسوة، ويلبس لباس الفقهاء، ويركب حماراً مريسياً في زي أهل الحجاز، فبينما هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتمس الإذن عليه، إذ أقبل أبو يوسف القاضي بأصحابه أهل القلانس، فوقف ابن جامع إلى جانبه، فالتفت إليه أبو يوسف فرأى سمته وحلاوة هيأته، فقال له: أمتع الله بك، توسَّمت فيك الحجازية؟ قال: أصبت، قال: فمن أي قريش؟، قال: من بني سهم، قال: فأي الحرمين منزلك؟، قال: مكة، قال: فمن لقيت من فقهائهم؟، قال: عمن شئت. ففاتحه

---

(١) اسماعيل بن جامع السهمي القرشي، أبو القاسم، ويعرف أيضاً بابن أبي وَدَاعة: من أكابر المغنّين الملحنّين. كان من أحفظ الناس للقرآن، متعبداً، كثير الصلاة، يعتّم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة، ويلبس لباس الفقهاء، في زي أهل الحجاز. ولد بمكة وضاق به العيش، فانتقل بعياله إلى المدينة واحترف الغناء فذاعت شهرته، فرحل إلى بغداد، فاتصل بالخليفة هارون الرشيد، فحظي عنده. وكان من أقران إبراهيم الموصلي إلا أن هذا يزيد عليه الضرب بالعود، توفي سنة ١٩٢هـ/٨٠٨م.

ترجمته في: الأغاني ٦/ ٣٠٤ـ٣٥٦، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٠٧، الأعلام ١/ ٣١١.

الحديث، فوجد عنده ما أحبّ، فأعجب به، ونظر الناس إليهما، فقالوا: هذا القاضي قد أقبل على المغني، وأبو يوسف لا يدري أنه ابن جامع، فقال أصحابه: لو أخبرناه عنه، ثم قالوا: لا لعلّه لا يعود إلى مرافقه بعد اليوم، فلم نغمُّه، فلما كان في الإذن الثاني ليحيى غدا عليه الناس، وغدا عليه أبو يوسف، فنظر ابن جامع، فلما رآه ذهب، فوقف إلى جانبه، فحادثه كما فعل؛ فلما انصرف قال له ـ بعض أصحابه: أيها القاضي تعرف هذا الذي ترافقه وتحادثه؟، قال: نعم، رجل من قريش من أهل مكة من الفقهاء، قالوا: هذا ابن جامع المغنّي، قال: إنا لله، قالوا: إنَّ الناس قد شهدوا مرافقته، فأنكروا ذلك من فعلك؛ فلما كان الإذن الثالث جاء أبو يوسف، ونظر إليه فتنكبه، وعرف ابن جامع أنه قد / ٥٢/ أنذر، فجاء حتى وقف وسلّم عليه، فردّ أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه، ثم انحرف عنه، فدنا منه ابن جامع، وعرف الناس القصة، وكان ابن جامع جهيراً، فرفع صوته، ثم قال: يا أبا يوسف ما لك تعرض عني؟ أيّ شيء أنكرت؟ قالوا لك ابن جامع المغني، فكرهت مرافقتي، أسألك عن مسألة، فاصنع ما شئت. وأقبل الناس نحوهما مستمعين، فقال: يا أبا يوسف، لو أنّ أعرابياً جلفاً وقف بين يديك، فأنشدك بجفاء وغلظة من لسانه، فقال وحكى الأعرابي[(١)]: [من البسيط]

يا دارَ ميَّةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ أَقْوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأَبَدِ

أكنت ترى بذلك بأساً؟ قال: لا، وقد روي عن رسول الله ﷺ في سماع الشعر، وقد روى عنه الحديث. قال ابن جامع: فإن قلت هكذا، ثم اندفع يغني فيه حتى أتى عليه، ثم قال: يا أبا يوسف رأيتني زدت فيه أم نقصت؟، قال: عافاك الله، إعفنا من هذا، قال: يا أبا يوسف، أنت صاحب فتيا، هل زدته، أم حسنته بألفاظي، فحسن في السمع، ووصل إلى القلب؟ ثم تنحى عنه ابن جامع.

قال: دعا الرشيد يوماً جعفر بن يحيى، وابن جامع عنده، فلم يزل يغنيهما يومهما، ثم انصرف؛ فلما كان من الغد دخل إبراهيم الموصلي على جعفر بن يحيى، فسأله عن يومه، فقال له: إنه لم يزل ابن جامع يغنينا إلا أنه كان يخرج عن الإيقاع؛ وهو في قوله هذا يريد أن يطيب نفس إبراهيم، قال؛ فقال إبراهيم: أنت تريد أن تطيب نفسي بما لا تطيب إلا بالله. ما ضرط ابن جامع منذ ثلاثين سنة إلا بالإيقاع، فكيف يخرج عن الإيقاع في الغناء؟!

---

(١) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ٧٦.

كان ابن جامع برّاً بوالدته، وكانت مقيمة بمكة، فدعاه إبراهيم بن المهدي، فأظهر كتاباً إلى أمير المؤمنين في نعي والدته، فجزع لذلك جزعاً شديداً، وجعل يعزّيه جميع من حضر، وجاءوا بالطعام، فلم يتركوه حتى أكل وشرب، وسألوه الغناء، فامتنع، فقال له إبراهيم: إنك ستبذل هذا لأمير المؤمنين، فابذله لإخوانك، واندفع يغني[1]: [من البسيط]

كَمْ بالدّروبِ وأَرضِ الشامِ مِنْ قدم ومِنْ مصارعِ قومٍ ما هُمُ قُبِرُوا
يعتدها ومَنْ تُقْدَرْ منيَّتُهُ بقُنْدهارَ يُرَجَّمْ دُونَهُ الخَبَرُ

/ ٥٣/ وجعل إبراهيم يستزيده حتى صلح له، ثم قال: لا والله ما كان مما أخبرناك شيئاً، فإنما مزحنا معك، فطابت نفسه، ثم قال له إبراهيم: ردّ عليه الصوت فغناه فلم يكن من الغناء الأول في شيء، فقال إبراهيم: خذه الآن عليّ، فأدّاه إبراهيم على السماع، فقال له ابن الجامع: أحبّ أن تطرحه أنت عليّ كذلك.

---

(١) الشعر ليزيد بن مُفَرَّغ الحميري، انظر: شعره ٧٩ـ ٨١، الأغاني ٦/ ٣٢٠.
وهو يزيد بن زياد بن ربيعة الملقب بمفرغ، الحميري، أبو عثمان: شاعر غزل، هو الذي وضع «سيرة تُّبع وأشعاره» كان من أهل تبالة (قرية بالحجاز مما يلي اليمن) واستقرَّ بالبصرة. وكان هجاء مقذعاً، وله مديح. ونظمه سائر. وهو صاحب البيت الشائع، من قصيدة أوردها المرصفي:

«العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامه»

وفد على «مروان بن الحكم» فأكرمه. وصحب عبّاد بن زياد ابن أبيه، فأخذه معه إلى سجستان، وقد ولي عباد إمارتها، فأقام عنده زمناً. ولم يظفر بخيره، فهجاه. وسجنه عباد، مدة، ثم رقَّ له وأخرجه، فأتى البصرة. وانتقل إلى الشام. وجعل ينتقل، ويهجو عباداً وأباه وأهله؛ فقبض عليه عبيد الله بن زياد (في البصرة) وحبسه، وأراد أن يقتله، فلم يأذن له معاوية، وقال: أدبه. فقيل: إنه أمر به، فسقي مسهلا، وأركب حماراً، وطيف به في أسواق البصرة، واتسخ ثوبه من المسهل، فقال:

«يغسل الماء ما صنعت، وشعري راسخ منك في العظام البوالي!»

وقيل: كان ابن مفرغ يكتب هجاءه لعباد على الجدران، فلما ظفر به عبيد الله ألزمه محوه بأظفاره. وطال سجنه، فكلم فيه بعض الناس معاوية، فوجه بريداً إلى البصرة بإخراجه، فأطلق .وسكن الكوفة إلى أن مات سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨م. وأخباره كثيرة. وورد اسمه في كثير من المصادر «يزيد بن ربيعة» وفي بعضها «يزيد بن مفرغ» واخترت ما ابتدأ به ابن خلكان ترجمته. ولداود سلوم «شعر يزيد بن مفرغ الحميري ـ ط» .
ترجمته في: الأغاني ٦/ ٣٢٦، خزانة البغدادي ٢/ ٢١٢ـ ٢١٦، والوفيات ٢/ ٢٨٩، وإرشاد الأريب ٧/ ٢٩٧، والشعر والشعراء ٣١٩ـ ٣٢٤ والجمحي ٥٥١، ٥٥٤ـ ٥٥٧ وسير أعلام النبلاء ٣/ ٥٢٢ـ ٥٢٣ رقم ١٢٩، والعيني ١/ ٤٤٢ ومنتخبات في أخبار اليمن ٨٢ والتاج ٦/ ٢٦ والأغاني ١٧/ ٥١ـ ٧٣ ورغبة الآمل ٢/ ٧٠ و٤/ ٩٣، ١٦٣ وشرح نهج البلاغة، طبعة بيروت ١/ ٣٨٥ وأمالي الزجاجي ٢٩. الأعلام ٨/ ١٨٣. معجم الشعراء للجبوري ٦/ ١٤٩.

قال ابن جامع: ضمَّني الدهر ضماً شديداً بمكة، فانتقلت عنها بعيالي إلى المدينة، فأصبحت يوماً ولا أملك إلا ثلاثة دراهم، فهي في كمي إذ أنا بجارية حميراء على رقبتها جرّة تريد الركيَّ تستقي، وهي ترنّم بصوت شجي[1]: [من الطويل]

شكَونا إلى أحبابِنا طُولَ ليلنا فقالوا لنا ما أَقصَر الليلَ عندَنا
وذَاك بأَنَّ النومَ يَغْشَى عيونَهُمْ سراعاً ولا يَغْشَى لنا النومُ أَعْيُنا
إذا ما دَنا الليلُ المضرُّ بذِي الهَوَى جزِعْنا وهمْ يستبشرونَ إذا دَنَا
فلو أنَّهُمْ كانوا يلاقونَ مثلَ ما نُلاقي لكانوا في المضاجِع مثلَنا

قال: فأخذ الغناء بقلبي، ولم يُدرْ لي منه حرف، فقلت: يا جاريةَ ما أدري أوجهك أحسن أم غناؤك؟ فلو شئت أعدت، قالت: حبّاً وكرامة ثم اندفعت فغنته، فوالله ما دار لي منه حرف، فقلت أحسنت فلو تفضَّلت فأعدتيه مرَّة أخرى، فقطبت وكلحت، وقالت: ما أعجب أحدكم لا يزال يجيء إلى الجارية عليها الضريبة فيشغلها فضربت يدي إلى الثلاثة دراهم، فدفعتها إليها، وقلت لها: أقيمي بها وجهك اليوم إلى أن نلتقي، فأخذتها كالكارهة، وقالت: أنت الآن تريد أن تأخذ مني صوتاً أحسبك ستأخذ عليه ألف دينار، وألف دينار، قال: واندفعت تغني، فأعملت فكري في غنائها حتى بان لي الصوت، وانصرفت مسروراً إلى منزلي أردده حتى خفَّ على لساني، ثم إني لما خرجت أريد بغداد، دخلتها، فنزل بي المكاري على باب المحول، ولا أدري أين أتوجه، ولا من أقصد، فما زلت أمشي مع الناس حتى أتيت الجسر، فعبرت، ثم انتهيت إلى الشارع بالميدان، فرأيت مسجداً بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعاً، فقلت: مسجد قوم سراةٍ فدخلته، وحضرت صلاة المغرب، فصليت، وأقمت مكاني حتى صليت / ٥٤/ العشاء الآخرة على جوع وتعب، وانصرف أهل المسجد، وبقي رجل يصلّي خلفه جماعة من الخدم، وفحول ينتظرون فراغه، فصلّى ملياً، ثم التفت إليّ، فقال لي: أحسبك غريباً، فقلت: أجل، فقال: متى كنت في هذه المدينة؟، فقلت: آنفاً، وليس لي بها منزل، ولا معرفة، وليست صناعتي، من الصنائع المذكورة لأهل الخير، قال: وما صناعتك؟ قلت: الغناء، فوثب مبادراً، فدخل، ووكل بي بعض من معه، فسألت الموكل بي فقال: هذا سلام الأبرش. قال: فانتهى إلى قصر من قصور الخليفة، وجاز بي من مقصورة إلى مقصورة حتى أدخلني إلى مقصورة في آخر الدهليز ودعا بطعام فأُتيت بمائدة عليها طعام من طعام الملوك، فأكلت حتى امتلأت. فإني

(١) الأغاني ٦/ ٣٢٦.

لكذلك، إذ سمعت ركضاً من الدهليز، وقائلاً يقول: أين الرجل، قال: ها هو ذا، قال: ادعوا بغسول وخلعة وطيب، ففعل ذلك بي، وحملت على دابة إلى دار الخليفة، فعرفتها بالتكبير والحرس والنيران، فجاوزت مقاصير عدّة حتى صرت إلى دار قوراء فيها أسرّة في وسطها، قد أضيف بعضها إلى بعض. قال: فأمرني الرجل بالصعود فصعدت وإذا رجل جالس عن يمينه ثلاث جوار في حجورهن العيدان، وفي حجر الرجل عود، فرحب الرجل بي، وإذا مجالس خالية كان فيها قوم قد قاموا عنها، فلم ألبث أن خرج خادم من وراء الستر، فقال الرجل تغنّ، فانبعث يغني بصوت فيه لي وهو[1]: [من البسيط]

لم تمشِ ميلاً ولم تركبْ على قتبٍ ولمْ ترَ الشَّمسَ إلا دُوْنَها الكِلَلُ
تمشي الهُوَينا كأنَّ الشمسَ تُوحِشُها مَشْيَ اليَعَافِيرِ في جنباتِهِ الوَهَلُ

فغنّى بغير إصابة، وأوتار مختلفة، ودساتين مختلفة، ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تليه، فقال: تغنّي، فغنت بصوت لي كانت فيه أحسن حالاً من الرجل، وهو[2]: [من البسيط]

يا دارُ أضحتْ خَلاءً لا أنيسَ بها إلا الظباءُ وإلا الماشطُ الفَرَدُ
أينَ الذينَ إذا ما زرتُهم جَذِلوا وطارَ عَنْ قلبيَ الأَشواقُ والكَمَدُ

ثم عاد الخادم إلى الجارية الثانية، فاندفعت تغني بصوت لحكم الوادي، وهو[3]: [من الطويل]

---

(١) الشعر للأعشى في ديوانه ٣٥٣. (٢) الأغاني ٦/ ٣٢٩.

(٣) الشعر لابن ميّادة في ديوانه ٧٣، الأغاني ٦/ ٣٣٦.

وهو الرمّاح بن أبرد بن ثوبان الذبياني الغطفاني المضري، أبو شرحبيل، ويقال أبو حرملة: شاعر رقيق، هجاء، من مخضرمي الأموية والعباسية، قالوا: «كان متعرضاً للشرّ طالباً لمهاجاة الناس ومسابّة الشعراء». وفي العلماء من يرى أنه أشعر الغطفانيين في الجاهلية والإسلام، وأنه كان خيراً لقومة من النابغة. مدح من الأمويين الوليد بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان، ومن الهاشميين المنصور، وجعفر بن سليمان، وكان مُقامه بنجد، يفد على الخلفاء والأمراء ويعود. اشتهر بنسبته إلى أمه ميادة. وأخباره كثيرة. وقيل: اسم أبيه يزيد، وجدّه ثَرْيَان. وللزبير بن بكار «أخبار ابن ميادة». توفي سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م.

ترجمته في: الأغاني ٢/ ٢٥٦ ـ ٣٣٣، معجم الأدباء ٤/ ٢١٢ وتهذيب ابن عساكر ٥/ ٣٢٨ وشرح شواهد المغني ٦٠ والتبريزي ٣/ ١٥٩ والآمدي ١٢٤ وسمط اللآلي ٣٠٦ وفيه: «شعراء غطفان المنسوبون إلى أمهاتهم في الإسلام ثلاثة: ابن ميادة، وشبيب ابن البرصاء وأبوه يزيد، وأرطاة بن سهية وأبوه زفر»، والشعر والشعراء ٢٩٨ وخزانة البغدادي ١/ ٧٧ والقاموس/ ميادة. الأعلام ٣/ ٣١ ـ ٣٢، معجم الشعراء للجبوري ٢/ ٢٦٤.

فوالـلـهِ مـا أدري أيـغـلـبُـنـي الـهـوى إذا جَـدَّ جِـدُّ الـبـيـنِ أمْ أنـا غـالـبُـهْ
فإنْ أستطعْ أَغلِبْ وإنْ يغلِبِ الهوى فمثْلُ الذي لاقيتُ يغلِبُ صاحِبُهْ

/ ٥٥/ ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة، فغنته بصوت لحنين وهو[1]: [من الطويل]

مَـرَرْنـا عـلـى قَـيـسـيَّـةٍ عـامـرِيَّـةٍ لـهـا بَـشَـرٌ صـافـي الأديـم هِـجـانِ
فقالتْ وألقتْ جانبَ السِّترِ دُوْنَها مِـنَ أيَّـةِ أرضٍ أمْ مَـنِ الـرَّجُـلانِ
فـقـلـتُ لـهـا إمَّـا تـمـيـمٌ فـأُسْـرَتـي هُـدِيْـتِ وإمـا صـاحـبـي فـيـمـانـي
رفـيـقـانِ ضَـمَّ الـسَّـفْـرُ بـيـنـي وبـيـنَـهُ وقَـدْ يـلـتـقـي الـشَّـتَّـى فـيـأتـلـفـانِ

قال: ثم خرج الخادم، فقال: تغنَّ عافاك الله، فغنيت بصوت الرجل على غير غنائه، فإذا الخادم قد خرج، فقال لي: ويحك لمن هذا الغناء؟ فقلت: لي، فانصرف عني، ثم عاد فقال: كذبت. هذا الغناء لابن جامع. ودار الدور فلما انتهى إلي، غنيته بصوت الجارية الثانية، فخرج الخادم، فقال: ويحك لمن هذا الغناء؟ فقلت: لي، فرجع وخرج، فقال: كذبت هذا لابن جامع، ودار الدور، فلما انتهى إلي الغناء تغنيت بصوت لي لا يعرف إلاّ بي وهو[2]: [من الكامل]

عُـوجـي عـلـيَّ وسَـلِّـمـي حَـبْـرُ فـيـمَ الـصُّـدُودُ وأَنـتُـمُ سَـفْـرُ
مـا نـلـتـقـي إلا ثـلاثَ مِـنـى حـتَّـى يـفـرِّق بـيـنـنـا الـنَـفْـرُ

قال: فتزلزلت والله الدار عليهم، وخرج الخادم، فقال: ويحك لمن هذا الغناء، فقلت: لي فرجع ثم خرج، فقال: كذبت هذا الغناء لابن جامع، فقلت: أنا إسماعيل بن جامع، قال: فما أشعر إلا وأمير المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلا من وراء الستر الذي كان يخرج منه الخادم، فقال له الفضل بن الربيع: هذا أمير المؤمنين قد أقبل إليك فلما صعد السرير وثبت قائماً، فقال لي: ابن جامع؟، فقلت: ابن جامع جُعلت فداك يا أمير المؤمنين، فقال لي: ويحك متى كنت في هذه المدينة؟، فقلت: آنفاً دخلتها في الوقت الذي علم بي أمير المؤمنين، قال: اجلس، ويحك يابن جامع غنِّ، ومضى هو وجعفر بن يحيى، فجلسا في بعض تلك المجالس، وقال لي: ابشر يابن جامع، وابسط أملك، فدعوت له، ثم قال: غنني يا ابن جامع غنني، فخطر ببالي صوت الجارية، فاندفعت أغنية، فنظر الرشيد إلى جعفر، وقال: أسمعت كذا قطّ؟، قال جعفر: لا والله

(١) الأغاني ٦/ ٣٢٩.
(٢) الشعر للعرجي في ديوانه ٢٣٢، الأغاني ٦/ ٣٤٠.

ما خرق مسامعي قطّ مثله، فرفع الرشيد رأسه إلى خادم له بالقرب منه فدعا /٥٦/ بكيس فيه ألف دينار، فرمى به إليّ، فصيّرته تحت فخذي، ودعوت لأمير المؤمنين، فقال جعفر: يا ابن جامع ردّ على أمير المؤمنين الصوت، فرددته، وتزيدت في غنائي، فقال له جعفر: يا سيدي ما تراه كيف يتزيد في الغناء؟ هذا خلاف ما سمعناه أولاً، وإن كان الأمر في اللحن واحداً، ثم دعا بكيس آخر فيه ألف دينار، فجاءني به، فصيّرته تحت فخذي، وقال: تغنَّ يا إسماعيل ما حضرك، فجعلت: أقصد الصوت بعد الصوت مما كان يبلغني أنه يشتري عليه الجواري، فأغنيه، فلم أزل أفعل ذلك إلى أن عسعس الليل فقال: أتعبناك يا إسماعيل هذه الليلة بغنائك، فأعد على أمير المؤمنين الصوت ـ يعني صوت الجارية ـ فغنيت به، فدعا بكيس ثالث فيه ألف دينار، قال: فذكرت ما كان من قول الجارية، فتبسمت فقال: يا ابن الفاعلة مم تتبسم؟ فجثوت على ركبتي، وقلت: يا أمير المؤمنين: الصدق منجاة، فقال بانتهارٍ قل؛ فأقصصت عليه خبر الجارية، فقال: صدقت قد يكون هذا. وقام فنزل عن السرير، وبقيت لا أدري أين أقصد، فابتدرني فراشان، فصارا بي إلى دار قد أمر لي بها أمير المؤمنين، ففرشت، وجعل فيها جميع ما يكون في مثلها من آلة جلساء الملوك وندمائهم، فدخلت بغداد فقيراً، وأصبحت من جلّة أهلها ومياسيرهم.

قال: كان ابن جامع يُعِدُّ[صيحة الصوت](١) قبل أن يصنع عمود اللحن.

قال ابن جامع: لولا أن القمار، وحبّ الكلاب قد شغلاني، ما تركت أحداً من المغنين يأكل خبزاً.

قال: أهدى رجل إلى ابن جامع كلباً، فقال: ما اسمه؟، قال: لا أدري، فأخرج دفتراً فيه أسماء الكلاب، فجعل يدعوه باسمٍ اسم حتى أجابه.

[٢٠]
جميلة(٢)

مُغنِّيَة المدينة ومُغْنِيَة أهلها عن كل زينة، وكان بيتها منتدى الظرفاء، ومنتأى

---

(١) ما بين المعقوفتين من الأغاني ٨/ ١٩٧.

(٢) جَمِيلة السُّلمية: موسيقية ملحنة، كانت أعلم المغنين والمغنيات في العرب بصناعة الغناء. وكان معبد (أستاذ المغنين في أواسط المئة الثانية للهجرة) يقول: أصل الغناء جميلة، ونحن فروعه، ولولا جميلة لم نكن نحن مغنين. وهي مولاة لبني سُليم، تزوجت بمولى لبني الحارث بن الخزرج (من الأنصار) وكانت تنزل بالسنح (في عوالي المدينة) ووضعت ألحانا تهافت الناس على =

الشرفاء، وفتنة لأهل القريتين، ومظنّة لسكان الحرَّتين، لا يفتأ فتيان الحيّ تبغي ائتلافها، وتولي الودّ ورّادها وأُلاّفها. ونوت نية صالحة في ترك الغناء، فما تركت، وكثر عليها فلو لم تكف لأصبحت المدينة وكم فيها مهجة سفَكت.

/٥٧/ قال أبو الفرج، قال إسحاق: بلغني أنَّ جميلة قعدت يوماً على فرش لها، وقالت لآذنتها: لا تحجبي عنا أحداً، واقعدي على الباب، وكلّ من مرَّ، فاعرضي عليه مجلسي، ففعلت وذلك حتى غصّت الدار بالناس، فقالت جميلة: اصعدوا إلى العلالي، فصعدت جماعة حتى امتلأت السطوح، وتعالى النهار، واشتدَّ الحرّ، فاستسقى الناس الماء، فدُعي لهم بالسَّويق، فشرب من أراد، وقام على رؤوسهم الجواري بالمناديل والمرواح الكبار، ثم قالت: إني رأيت في منامي شيئاً، فأزعجني، وقد خفت أن يكون قد قرب أجلي، وليس ينفعني إلا صالح عملي، وقد رأيت أن أترك الغناء كراهة أن يلحقني منه شيء عند ربي، فقال قوم منهم: نفعك الله، وثبت عزمك، وقال آخرون: لا حرج عليك، وقال الشيخ منهم: قد تكلّمت الجماعة، و﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾(١) فاسمعوا قولي وانصتوا، ثم حمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ ثم قال: يا معشر أهل الحجاز، إنكم متى تخاذلتم، فشلتم، وثب عليكم عدوكم، وظفر بكم، فلا تفلحوا بعدها أبداً، قد انقلبتم على أعقابكم لأهل العراق وغيرهم فمن لم يزل ينكر عليكم ما هو وراثة فيكم، لا ينكره عالمكم، ولا يدفعه عائدكم، وأكثر ما يكون الجلوس عنه الزهد في الدنيا؛ لأنَّ الغناء من أكبر اللذات، وأسر للنفوس من سائر.. للشهوات، يحيي القلب، ويزيد في العقل، ويسرّ النفوس، ويفسح في الرأي، ويسرّ به العين، ويفتح به الحصون، وتذلل به الجبابرة حتى يمتهنوا أنفسهم عند استماعه، ويبرىء المرض، ومن مات عقله، وقلَّت شهوته. يزيد أهل الثروة غناءً وأهل الفقر قناعة ورضاً، ومن تمسَّك به، كان عالماً، ومن فارقه، كان جاهلاً. وكيف يستحسن تركه، ولا يستعان على النشاط في عبادة ربنا إلا به، فما زاد أحد عليه حرفاً، ولا أنكر ذلك عليه، وعاد كل بالخطأ على نفسه، وأقرَّ له بالفضل. ثم قال لجميلة: أوعيت ما قلت، ووقع في نفسك ما ذكرت؟ قالت: أجل وأنا أستغفر الله، قال:

= سماعها، وأحسنت الضرب على العود أيضاً أيما إحسان، فكانت نابغة الغناء والتلحين والموسيقى في عصرها.

توفيت نحو ١٢٥هـ/ نحو ٧٤٣م.

ترجمتها في: الأغاني ٨/ ١٩٥ـ ٢٤٤، والنويري ٥/ ٤٠، الأعلام ٢/ ١٣٩.

(١) سورة الروم: الآية٣٢.

فاختمي مجلسنا، وفرّقي جمعنا بصوت واحدٍ فغنَّت هذا البيت[١]: [من الطويلِ]

أَفي رَسْمِ دارٍ دمعُكَ المترقرِقُ   سقاها وما استنطاقُ ما ليس يَنْطِقُ

/٥٨/ فقال الشيخ: حسنٌ والله. أمثل هذا يترك؟ فبم يشاهد الرجال، لا والله، ولا كرامة للشيطان، ثم قام الناس معه، وقال: الحمد لله الذي [لم] يفرّق جماعتنا على إنكارٍ حسن ولا جحود فضيلةٍ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته يا جميلة.

ومن مشهور غناء جميلة صنعتها في بيتين لامرىء القيس وهما[٢]: [من الطويل]

ولمّا رأتْ أَنَّ الهجيرَ يضرّها   وأَنَّ البياضَ في فرائِصها دامي

تيممتِ العينَ التي عِنْدَ ضارحٍ   يفيءُ عليها الظلَّ عَرْمَضُها طامي

[٢١]

معبد[٣]

رأس الجماعة وأساس الطرب، الذي لا يملّ أحد سماعه، وهو الذي ينشىء السامع، وينسى حديث سواه خروق المسامع، ويأتي بالبدائع التي يضرب دونها أعناق الرجال المطامع، ويتفرد بالصنائع التي لم يقع على مثلها عين، وما طهرتها بالمدامع. سمعت منه الأصوات، وقرعت به اللهوات، وجاء بكلّ المراد، فلم يدع عرضاً للعريض، ولا شهوة لشهوات. أكرم به من معبد لم ير مثله من يمشي بنظره في الجامع كتاب أبي الفرج، وطلب الزيادة وصعد الدرج، بل ولو زاد في شدّة الأسر، وحلق حتى حام على النسر.

وما قصبات السبق إلا لمعبد[٤]

---

(١) الشعر لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٤٥٤.

(٢) ديوان امرىء القيس ٤٧٦.

(٣) مَعْبَد المُغَنِّي، معبد بن وهب، أبو عباد المدني: نابغة الغناء العربي في العصر الأموي. كان مولى لبني مخزوم (أو لابن قطن، مولى معاوية) ونشأ في المدينة يرعى الغنم لمواليه، وربما اشتغل في التجارة. ولما ظهر نبوغه في الغناء أقبل عليه كبراء المدينة. ثم رحل إلى الشام فاتصل بأمرائها وارتفع شأنه. وكان أديباً فصيحاً. وعاش طويلاً إلى أن انقطع صوته. ومات في عسكر الوليد بن يزيد. سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٣م. أصواته وأخباره كثيرة.

ترجمته في: الأغاني ١/ ٤٣ـ ٦٩ وانظر فهرسته، وتاريخ الإسلام للذهبي (السنوات ١٢١ـ ١٤٠هـ) ص ٢٦٨، ورغبة الآمل ٦/ ٤، ١٧ـ ٤٢، العقد الفريد ٤/ ٤٥٥، ٦/ ٢٥، ٣٠، ٣٩٠، عيون الأخبار ٤/ ٩٠، الأعلام ٧/ ٢٦٤.

(٤) عجز بيت في الأغاني ١/ ٤٦ وصدره: أجاد طويس والسريجي بعده

قال أبو الفرج الأصفهاني؛ قال إسحاق: كان معبد يقول: لقد صنعت ألحاناً لا يقدر أن يغنّيها شبعان، ولا يقدر سقاء يحمل القربة على الترنّم بها حتى يقعد مستوفراً، ولا القاعد حتى يقوم.

قال إسحاق؛ قيل لمعبد: كيف تصنع إذا أردت أن تصوغ الغناء، قال: أرتحل قَعُودي، وأوقع بالقضيب على رحلي، وأترنّم عليه بالشعر حتى يتبيَّن لي الصوت. فقال له: ما أبين هذا في غنائك.

قال ابن الكلبي: قدم ابن سريج والغريض المدينة يتعرَّضان لمعروف أهلها؛ فلما شارفاها، تقدّما ثقلهما، ليرتادا منزلاً حتى إذا كانا بالعسيلة، وهي جبّانة على طرف المدينة يغسل فيها الثياب، وإذا هما بغلام ملتحف بإزار، وطرفة على رأسه، وبيده حبالة يتصيد بها الطير، وهو يغني هذا الصوت[1]: [من البسيط]

القَصْرُ فالنَّخلُ فالجمَّاءُ بينَهما أشهى إلى القلبِ مِنْ أبوابِ جَيرُونِ

/ ٥٩/ فإذا الغلام معبد؛ فلما سمعاه، مالا إليه، فاستعاداه منهُ فسمعا شيئاً لم يسمعا مثله قطّ، فأقبل أحدهما على الآخر، فقال: هل سمعت مثل هذا قطّ، قال: لا والله، قال: فما رأيك؟، قال ابن سريج: هذا غناء غلام يتصيد الطير، فكيف بمن في الحومة يُغني المدينة؟ أما أنا فثكلت والدته إن لم يرجع مكرّاً راجعين.

قال إسحاق: أخبرت عن معبد أنه كان بعث إلي بعض أمراء مكة بالشخوص إليه، فشخصت، قال: فتقدمت غلامي في بعض الطريق واشتدَّ علي الحرُّ والعطش، فانتهيت إلى خباء، وفيه غلام أسود، وإذا حباب ماء قد بردتْ، فملت إليه، وقلت: يا هذا اسقني من الماء شربة، قال: لا، قلت: تأذن لي في أن أكن ساعة، فأنخت ناقتي، ولجأت إلى ظلّها، واستترت به، وقلت: لو أخذت لهذا الأمير شيئاً أقدم عليه، ولعلّي أيضاً إن حرّكت لساني أن يبتل حلقي بريقي، فيخفّ عنّي بعض ما أجده من العطش، فترنمت صوتي:

(١) الشعر لأبي قَطِيفَة المعيطي في الأغاني ١/ ١٣، وهو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، الأموي القرشي: شاعر، رقيق الشعر، جليَّ المعاني. كان يقيم في المدينة. ونفاه عبد الله بن الزبير إلى الشام مع من نفاهم من بني أمية، فأقام زمناً في دمشق أكثر فيه الحنين إلى المدينة، حتى رق له ابن الزبير فأذن برجوعه، فبينما هو عائد أدركه الموت قبل أن يبلغ المدينة نحو سنة ٧٠هـ/ نحو ٦٩٠م. وفي الأغاني عدة أصوات من شعره.
ترجمته في: الأغاني ١/ ١٥ـ ٤٢ وانظر فهرسته، والمرزباني ٢٤٠، الأعلام ٥/ ٨٧، معجم الشعراء للجبوري ٤/ ١٠٥.

القَصرُ فالنَّخلُ فالجَّماءُ بينَهما أشهى إلى القلبِ من أبوابِ جَيْرُون

فلما سمعه الأسود، ما أشعر إلا وهو قد حملني حتى أدخلني خباء، وقال: بأبي أنت وأمي، هل لك في سويق السلت بهذا الماء البارد، قلت: قد منعتني أول من ذلك شربة ماء تجربني، قال: فسقاني حتى رويت وأقمت عنده إلى وقت الرواح؛ فلما رأيت الرحلة، قال: بأبي أنت وأمي الحرّ شديد، ولا آمن عليك مثل هذا الذي أصابك، فتأذن لي في أن أحمل قربة من ماء على عاتقي، وأسعى بها معك، فكلما عطشت سقيتك صحناً، وغنيتني صوتاً، قال؛ قلت: ذلك لك، قال: فأخذ قربة، فملأها ماءً بارداً من ذلك الماء، وحملها على عاتقه، وركبت أنا راحلتي، فأقبل يسقيني شربة، وأغنيه صوتاً حتى بلغت المنزل الذي أردت، ولحقت بغلامي وثقلي.

قال إسحاق: حدّثني سياط عن يونس الكاتب، قال: كان معبد قد علم جارية من جواري الحجاز الغناء تسمّى ظبية الوادي، وعني بتخريجها، فاشتراها رجل من أهل العراق، فأخرجها إلى البصرة، وباعها هناك، فاشتراها رجل من أهل الأهواز، فأعجب بها، وذهبت به كل مذهب، وغلبت عليه، ثم ماتت بعد أن أقامت عنده زماناً، فأخذ جواريه أكثر غنائها، وكان لمحبته وأسفه عليها لا يزال يسأل عن معبد، وأين /٦٠/ مستقره، ويظهر التعصب له، والميل إليه، والتقديم لغنائه على سائل أغاني أهل عصره إلى أن عُرف ذلك منه، وبلغ معبداً خبره، فخرج إليه، فلما قدم البصرة، صادف الرجل قد خرج عنها في ذلك اليوم إلى الأهواز، فلم يجد إلا سفينة الرجل، وليس يعرف أحدهما صاحبه، فأمر الرجل الملاح، فأجلسه معه في مؤخر السفينة، ففعل ذلك وانحدر؛ فلما صاروا في نهر الأُبلَّة، تغدوا وشربوا، وأمر جواريه يغنين، ومعبد ساكت وهو بثياب السفر، وعليه فرو وخفّان غليظان، إلى أن غنّت إحدى جواريه صوت معبد في شعر النابغة[1]: [من البسيط]

بانَتْ سعادُ وأمسى حبلُها انْصَرَما واحْتَلَّتِ الغورَ والأجزاعَ مِنْ أَضَما

ولم تُجد أَداءَه، فصاح معبد: يا جارية هذا ليس بمستقيم، فقال مولاها ـ وقد غضب ـ: وأنت ما يدريك الغناء ما هو؟ لم لا تمسك، وتلزم شأنك؟ فأمسك، ثم غنت صوتاً من غناء غيره، وهو ساكت لا يتكلم حتى غنت صوتاً آخراً لمعبد في شعر عبد الرحمن بن أبي بكر[2]: [من الرمل]

يا بنةَ الجودي قَلْبي كَئيبُ مُستهامَ عندَها ما يُثِيبُ

---

(١) ديوانه ٢١٥.

(٢) الأغاني ١/ ٥٧.

فأخلَّتْ ببعضه، فقال معبد: يا جارية قد أَخللت بهذا الصوت إخلالاً بيناً، فغضب الرجل، وقال: ويلك ما أنت والغناء ألا تكفّ عن الفضول؟ فأمسك، فغنت إحداهن في شعر كُثير وقالت[1]: [من الطويل]

خَلِيليَّ عُوجا فابكِيا ساعةً مَعِي   على الرَّبْع نقضي حاجةً ونُودِّعِ

فلم تصنع شيئاً، فقال معبد: يا هذه ما تقوين على أداء صوت واحد؟، فغضب الرجل وقال: أقسم بالله لئن عاودت، لأخرجنك من السفينة، فلما سكن الجواري اندفع معبد يغني الصوت الأول، فصاح الجواري: أحسنت والله يا رجل! فأعده، فقال: لا والله ولا كرامة، ثم غنّى الثاني، فقلن لسيدهن: هذا والله أحسن الناس غناء، فاسأله أن يُعيد علينا ولو مرّة واحدة، لعلنا نأخذ منه، فوالله إن فاتنا، لم نجد مثله أبداً، فقال الرجل: قد أسلفناه مكروهاً، فاصبرن حتى نداويه، ثم غنّى الثالث، فزلزلت عليهم الأرض، فوثب الرجل، فقبل رأسه، وقال: يا سيدي أخطأنا عليك، ولم نعرف موضعك وسأله أن يختلط معه، ففعل. وسأل: من أين أخذ جواريه الغناء، فأعلمه، فقال معبد: وإنك /٦١/ لأنت هو فتعرفني؟ قال: لا والله، قال معبد: أنا معبد وإليك قدمت من الحجاز. والله لا قصرت في جواريك. فأكب على يديه ورجليه، ثم خلع الرجل عليه عدة خلع، وأعطاه من وقته ثلاثمائة دينار وطيباً وهدايا، وانحدر معه إلى الأهواز، فأقام عنده حتى رضي حذق جواريه، وما أخذنه عنه، ثم ودّعه وانصرف إلى الحجاز.

قال؛ قال الوليد بن يزيد يوماً: لقد اشتقت إلى معبد، فوجه إليه البريد إلى المدينة، فأتاه بمعبد، وأمر به فجلس، والبركة بينهما مملوءة بالخمر والماء، وستر مرخى، فقال: غَنِّ يا معبد، فقال[2]: [من البسيط]

لَهْفِي على فِتْيَةٍ دانَ الزمانُ بهمْ   فما أصابَهُمُ إلا بما شاءُوا
ما زالَ يغدُو عليهمْ رَيْبُ دهرِهمُ   حتَّى تَفَانَوا وريبُ الدَّهْرِ غرّاء
أَبلى فِراقُهم عيني فأَرَّقَها   إنَّ التفرُّقَ للأحباب بَكَّاءُ

فغناه إياه، فرفع الوليد الستر، ونزع ملاءة مطيبة كانت عليه، وقذف بنفسه في البركة، فنهل فيها نهلة، ثم أُتي بأثواب غيرها وتلقوه بالمجامر والطيب، ثم قال: يا معبد غنّني، فقال: [من مجزوء الكامل]

(١) البيت لكثير عزّة، ديوانه ١٧٩، الأغاني ٥٨/١.
(٢) الأغاني ٦١/١.

ولـــو انَّ دون لـــقـــائـــهـــا جَـبَـلاً بـمـزلـقـةٍ هـضـابُـهْ
لأتـيـتُـهـا إنَّ الـمُـحِـبَّ إذَا نـأى طـالَ اكـتـئـابُـهْ
ولـــو أنّ دونَ لـــقـــائِـــهـــا ضـرغـامـةً كـالـرُّمـح نـابُـهْ
لأَتـيـتُـهـا بـالـسـيـفِ لـكـنْ لا أخـافُ ولا أَهـابُـهْ

فغناه إياه. قال: فرمى نفسه، فنهل منها نهلة كان فيها النقصان، ثم أُتي بأثواب غيرها، وتلقوه بالمجامر والطيب، ثم قال لي: غنني يا معبد، فقلت(١): [من الكامل]

يـا ربـعُ مـالـكَ لا تـجـيـبُ مُـتَـيَّـمـا قـدْ عـاجَ نـحـوَكَ زائـراً ومُـسَـلِّـمـا
جـادَتْـكَ كُـلُّ سـحـابَـةٍ هَـطَّـالَـةٍ حـتَّـى تُـرَى عَـنْ زهـرِهِ مُـتَـبَـسِّـمـا

قال: فدعا له بخمسة عشر ألف دينار فصبّها بين يديه، ثم قال: انصرف إلى أهلك واكتم ما رأيت.

قال: قال يزيد بن عبد الملك يوماً لمعبد: يا عباد أريد أن أخبرك عن نفسي وعنك، فإن قلت فيه خلاف ما تعلم فلا تحاش أن تردّه عليَّ فقد /٦٢/ أذنت لك، فقال: يا أمير المؤمنين لقد وضعك ربك بموضع لا يعصيك إلا ضال، ولا يردّ عليك إلا مخطىء. فقال: إنَّ الذي أجده في غنائك، لا أجده في غناء ابن سريج. أجد في غنائك مبانه وفي غنائه انحناتا وليناً، فقال: والذي أكرم أمير المؤمنين بخلافته، وأرضاه لعباده، وجعله أميناً على أمة نبيّه محمد ﷺ ما عدا صفتي وصفة ابن سريج، وكذا يقول ابن سريج، وأقول، ولكن إنْ رأى أمير المؤمنين أن يُعلمني هل وضعني ذلك عنده؟ فليفعل، قال: لا والله، ولكني أوثر الطرب على كل شيء. قال: يا سيدي كلما كان ابن سريج يذهب إلى الخفيف من الغناء، أذهب أنا إلى الكامل التام، فأغرّب أنا ويشرّق هو، فمتى نلتقي؟. قال: فتقدر أن تحكي رقيق ابن سريج؟ قال: نعم، فصنع لحناً في الخفيف(٢): [من الهزج]

أَلا لـــلّـــهِ أمّ و لــدتْ أُخــتُ بــنــي سَــهْــمِ
هــشــامٌ وأبـــو عـــبـــدِ مَــنــافٍ وَمَــدْرَهُ الــخَــصْــمِ
وذو الــرمــحــيــنِ أشــبــالٌ عــلــى الــقــوةِ والــحــزمِ
فــهــذان يَــذودانِ وذا عــنْ كَــثَــبٍ يَــرْمــي

وغناه فردّ عليه أولاً، فأعاد ثم قال: أعد، فأعاد، فاستخفه، ثم قال لجواريه،

---

(١) الأغاني ١/ ٦١.
(٢) الشعر لعبد الله بن الزبعرى، شعره ٤٨، الأغاني ١/ ٧١.

افعلن كما أفعل، وجعل يدور في الدار ويقول[1]: [من مجزوء الرجز]

يـــا دارُ دوِّريـــنـــي ... يـــا قـــومُ أمـــسـكُـــونِـــي
آلـــيـــتُ مـــنـــذُ حِـــيْـــنِ ... حـــقّـــاً لـــتـــضْـــرِمـــيـــنِـــي
إنْ لـــمْ تُـــواصـــلـــونِـــي ... بـــالـــلـــهِ فـــارْحـــمـــيـــنـــي
لـــمْ تـــذكـــري يـــمـــيـــنـــي

قال: فلم يزل يدور كما تدور الصبيان، ويدورون معه حتى خرَّ مغشياً عليه ما يعقل، ولا يعقلن، فابتدره الخدم، فأقاموا من كان على ظهره من الجواري، وحملوه حتى أدخلوه.

قال إسحاق: أخبرت عن حكم الوادي. قال: كنت أنا وجماعة من المغنين نختلف إلى معبد نأخذ منه، ونتعلم فغنانا يوماً ما صنعَهُ وأعجب به هو: [من البسيط]

القصرُ فالنَّخلُ فالجَّماءُ بينَهما ... أَشهى إلى القلبِ مِنْ أبوابِ جَيْرُونِ

فاستحسناه، وكنت أول من أخذه عنه ذلك اليوم، فاستحسنه مني، وأعجبته نفسه، فلما انصرفت، عملت فيه لحناً آخرَ، وبكّرتُ إلى معبد مع أصحابي، وأنا معجب بلحني؛ فلما تغنينا أصواتنا، قلت له: إني قد عملتُ بعدك لحناً في الشعر الذي غنيت فيه. واندفعت فغنيته /٦٣/ لحني، فوجم معبد ساعة يتعجب منه، ثم قال: قد كنت أمس أرجى مني اليوم لك وأنت اليوم أبعد من الفلاح، قال حكم الوادي: فأُنسيتُ ـ علم الله ـ صوتي منذ تلك الساعة، فما ذكرته إلى وقتي هذا.

[٢٢]

ابن سريج[2]

مطرب كان في أصحابه من أهل الانتهاء نظير موافقة ابن سريج في الفقهاء لم يكن إلا من يذعن بتقدمه، ويهابه فلا يكلّمه إلا [عند] تبسمه، ويفتح وما سمعه، ويلتقط ويتشطط بأمانته، ويشترط ويُصلح خلله الكثير منه باليسير، ويتخذ منه ما يُلقيه في

---

(١) ليزيد بن عبد الملك، الأغاني ١/ ٧٨.

(٢) عبيد الله بن سُرَيْج، مولى بن نوفل بن عبد مناف، أبو يحيى: من أشهر المغنين وأصحاب هذه الصناعة في صدر الإسلام. كان يغني مرتجلاً فيأتي باللحن المبتكر. وهو من أهل مكة، وأول من ضرب بها على العود بالغناء العربي. قال إبراهيم الموصلي: ما كان ابن سريج إلا كأنه خلق من كل قلب فهو يغني له ما يشتهي! كانت ولادته سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م ووفاته سنة ٩٨هـ/ ٧١٦م.
ترجمته في: الأغاني ١/ ٢٤٣ـ ٣١١، وورد اسمه في نسخها مختلفاً: عبيد الله. وعبيد. وعبد الله، الأعلام ٤/ ١٩٤.

اصواته كالأسير، وكان لأهل مكة البطحاء ضنانة، وبسببه تهتك نسبه صيانة، تتقيّل لضَلاله، وتقيل في ظِلاله، وعلى هذا مضى عُبّاد الحجاز، كانوا لا يرون بالغناء بأساً، ولا يرون أوقات أُنسهم لغيره مقياساً.

قال أبو الفرج، قال إسحاق: أصل الغناء أربعة نفر: مكيّان ومدنيّان، فالمكيّان: ابن سريج، وابن محرز؛ والمدنيّان: معبد ومالك.

قال إبراهيم: أدركت يونس الكاتب فحدّثني عن الأربعة: ابن سريج، وابن محرز، ومعبد، والغريض، فقلت له: من أحسن الناس غناءً؟، قال: أبو يحيى، قلت: عبيد بن سريج، قال: نعم، قلت: وكيف ذلك؟، قال: إن شئت فسرَّت، وإن شئت أجملت، قلت: أجمل، قال: كأنه خلق من كل قلب، فهو يغني لكل إنسان ما يشتهي.

قال إسحاق: وسألت هشام بن مرية، وكان عُمِّرَ، وكان حاذقاً بالغناء، فقلت له: من أحذق الناس بالغناء؟، فقال لي: تحبّ الإطالة والاختصار؟، فقلت: أحبّ اختصاراً يأتي عليّ سؤالي، فقال: ما خلق بعد النبي داود ﷺ أحسن صوتاً من ابن سريج، ولا صاغ الغناء أحذق منه، ويدل على ذلك أنَّ معبد كان إذا أعجبه غناؤه، قال: أنا اليوم سريجي.

قال: وكان ابن أبي عتيق يسوق في كل عام بدنة ينحرها عنه، ويقول: هذا بأقل حقّه علينا.

قال أبو نافع الأسود ـ وكان آخر من بقي من غلمان ابن سريج: إذا أعجزك القرشي أن تطرب، فغنه غناء ابن سريج في شعر ابن أبي ربيعة، فإنك ترقصه.

قال جحظة: حدَّثني علي بن يحيى، قال: أرسلني محمد بن الحسن بن مصعب إلى إسحاق أسأله عن لحنه، ولحن ابن سريج / ٦٤/ في[1]: [من الطويل]

تشكى الكميت الجر لما جهدته

أيهما أحسن؟ فصرت إليه، فسألته عن ذلك، فقال لي: يا أبا الحسن، والله، لقد أخذت بخطام راحلته فذعرتها، وأنخت بها، وقمت بها فما بلغني، فرجعت إلى محمد بن الحسن، فأخبرته، فقال: والله، إنه ليعلم أنّ لحنه أحسن من لحن ابن سريج، ولقد تحامل لابن سريج على نفسه تفضيل القدماء.

قال إبراهيم بن المهدي: حدّثني إبراهيم الموصلي، قال: حدّثني الزبير بن

---

(١) صدر بيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٤٦٢: وعجزه:

وبيّن لو يسطيع أن يتكلما

دحمّان عن أبيه: إن معبداً تغنى في شعر عبد الرحمن بن حسان[1]: [من الرمل]

رُبَّ قلبٍ بهموم وفِكَرْ   مِنْ حبيبٍ هاجَ حَزْني والسَّهَرْ
يومَ أَبصرتُ غُراباً واقعاً   شَرّ ما طارَ على شرِّ الشَّجَرْ

فعارضه مالك، فغنّى في أبيات من هذا الشعر:

وجَرَتْ لِي ظبيةٌ يتبعُها   لَيِّنُ الأَظلافِ مِنْ جو البَقَرْ
كُلَّما كَفْكَفْتُ منها عَبْرَةً   فاضَتِ العينُ بمنهَلٍّ دُرَرْ

قال: فتلاحيا جميعاً فيما صنعاه من هذين الصوتين. قال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أجود صنعة منك. قال: فتنافرا إلى ابن سريج إلى مكة، فلمَّا قدماها سألا عنه، فأخبرا أنه خرج يتطرف بالحناء في بعض بساتينها فاقتصّا أثره حتى وقفا عليه، وفي يده الحناء، فقالا له: إنا خرجنا إليك من المدينة؛ لتحكم بيننا في صوتين صنعناهما، فقال لهما: ليغنّ كل واحد منكما صوتين. فابتدأ معبد، فغنّى لحنه، فقال له: أحسنت والله على سوء اختيارك للشعر. ويحك ما حملك على ما صنعت هذه الصنعة الحسنة في حزن، وسهرٍ، وهموم، وفكر. أربعة ألوان من الحزن في بيت واحد، وفي البيت الثاني شرّان في مصراع واحد، وهو شر ما طار على شر الشجر، ثم قال لمالك: هات صوتك فغنّاه. مالك، فقال: أحسنت والله ما شئت، فقال له مالك: وإنما هو ابن سهر، فكيف تراه يا أبا يحيى إذا حال عليه الحول.

قال دحمان: فحدّثني / ٦٥/ معبد أن ابن سريج غضب عند ذلك غضباً شديداً، ثم رمى بالحناء من يده وأصابعه، ثم قال: يا مالك لي تقول هذا؟ هو ابن شهره اسمع ابن ساعته، ثم قال: يا أبا عباد أنشدني القصيدة التي تغنيتما منها، فأنشدته القصيدة حتى انتهيت إلى قوله:

يُنكرُ الأيمن ما يعرفهُ   غيرَ أَنْ يسمعَ منْهُ بخَبَرْ

فصاح بأعلى صوته: هذا خليلي، وهذا صاحبي، ثم تغنى فيه، فانصرفا مغلوبين مفضوحين من غير أن يقيما بمكة ساعة واحدة.

قال: لما ضاد ابن سريج الغريض وتلاحيا، جعل ابن سريج لا يغني صوتاً إلا عارضه الغريض يغني فيه لحناً غيره، وكانت في بعض أطراف مكة في دار يأتيها كل جمعة، ويجتمع إليها ناس كثيرة، فيوضع لكل واحد منهما كرسي يجلس عليه، ثم يتقاضيان الغناء، ويترددانه، فلما رأى ابن سريج موقع الغريض وغناءه من الناس، لقربه

---

(١) الأغاني ١/١٦٧، وقد أخل بها شعره.

من النوح، وشبهه به مال إلى الأرمال والأهزاج، فاستخفها الناس، وقال له الغريض. يا أبا يحيى قصرت الغناء وحذفته، وأفسدته، قال: نعم يا مخنث، جعلت تنوح على أبيك وأمك إلى أن تقول هذا. والله لأغنين غناءً ما غنّى أحد أثقل منه، ولا أجود، ثم غنّى: [من الطويل]

تَشكّى الكُميتُ الجريَ لمَّا جهدتُهُ

قال إسحاق حدثني شيخ من موالي المنصور قال: قدم علينا المدينة فتيان من بني أمية يريدون مكة، فسمعوا معبداً ومالكاً، فأعجبوا بهما، ثم قدموا مكة، فسألوا عن ابن سريج، فوجدوه مريضاً، فأتوا صديقاً له، فسألوه أن يسمعهم غناءه، فخرج معهم حتى دخلوا عليه، فقالوا: نحن فتيان من قريش أتيناك مسلّمين عليك، وأجبنا أن نسمع غناءك، فقال: أنا مريض كما ترون، قال: إن الذي نكتفي به منك تشير، وكان ابن سريج أديباً، ظاهر الخلق، عارفاً بأقدار الناس، فقال: يا جارية هاتي جلبابي وعودي، فأتته جارية بخامة، فشدها على وجهه، وكان يفعل ذلك إذا تغنّى لقبح وجهه، ثم أخذ العود فغنّاهم حتى اكتفوا، ثم ألقى العود، وقال: معذرة، قالوا: قد قبل الله عذرك، وأحسن إليك، ومسح على ما بك من الضرّ، ثم انصرفوا يتعجبون مما سمعوا، فمروا بالمدينة منصرفين، /٦٦/ فسمعوا من معبد ومالك، فجعلوا لا يطربون، فقال أهل المدينة، نقسم بالله لقد سمعتم ابن سريج بعدنا، قالوا: أجل لقد سمعناه فسمعنا ما لم نسمع مثله قطّ، ولقد نقص إلينا ما بعده.

قال إسحاق: حدَّثني إسحاق بن يحيى بن طلحة، قال: قدم جرير ونحن يومئذ شبان، فطلب الشعر، فاحتشدنا له، ومعنا الشعراء. فبينا نحن عنده، إذ قام لحاجته، فأقمنا لم نبرح، وجاءنا الأحوص الشاعر من قبل على حمار، فقال: أين هذا؟، قلنا قام لحاجته فما حاجتك إليه؟ قال: إني أريد أن أعلمه أن الفرزدق أشرف منه وأشعر، قلنا: ويحك لا تعرض له فانصرف وخرج جرير، فلم يكن بأسرع من أن أقبل الأحوص، فوقف عليه، فقال: السلام عليك، فقال: وعليك السلام، فقال: يا ابن الخطفي الفرزدق أشرف منك وأشعر، قال جرير: من هذا؟، قلنا: الأحوص بن محمد، قال: نعم هذا الخبيث ابن الخبيث، أنت القائل[1]: [من الطويل]

يقرُّ بعيني ما يقرُّ بعينها   وأحسنُ شيءٍ مابهِ العَينُ قرَّتِ

قال: نعم، قال: إنه يقر عينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر، فيقرّ ذلك بعينك؟

(١) للأحوص الأنصاري في ديوانه ص٨٨.

قال: وكان الأحوص يرمى بالأُبنة، فانصرف، فبعث إليهم بتمر وفاكهة، وأقبلنا على جرير نساءله، وألحَّ عليه أشعب، فقال له: والله إني لأراك أقبحهم وجهاً وأظنّك ألأمهم حسباً، وقد أبرمتني منذ اليوم، فقال: إني والله أنفعهم لك، قال: ويحك وكيف ذلك؟، قال: إني أملح شعرك، وأجيد مقاطعه ومبادئه، قال: قل ويحك فاندفع، فنادى بلحن ابن سريج[1]: [من الكامل]

يا أختَ ناجيةَ السَّلامُ عليكمُ ... قبلَ الرحيلَ وقبلَ لوم العُذَّلِ
لو كنتُ أعلمُ أنَّ آخرَ عهدِكُمْ ... يومُ الرَّحيلِ فعلتُ ما لَمْ أَفْعَلِ

فطرب جرير، وجعل يزحف حتى مسَّتْ ركبتُه ركبتَه، وقال: لعمري، لقد صدقت إنك لأنفعهم لي، ولقد حسنته، وأجهدته، وأحسنت والله، ووصله وكساه، فلمّا رأينا إعجاب جرير بذلك الصوت، قلنا له: كيف لو سمعت واضع هذا؟ قال: وإن له / ٦٧/ واضعاً غير هذا؟ قلنا: نعم، قال: وأين هو؟ قلنا بمكة، قال: فلستُ بعازم حجّاً حتى أبلغه. فمضى ومضى معه جماعة ممن يرغب في طلب الشعر في صحابته، وكنت فيهم، فقدمنا مكة، فأتيناه جميعاً، فإذا هو في فتية من قريش كأنهم المها مع ظرف كثير فرحبوا به، وأدنوا مجلساً وسألوه عن الحاجة، فأخبرناهم الخبر فرحبوا بجرير، وأدنوه، وسروا بمكانه وعظم ابن سريج موضع جرير، وقال: سل ما تريد جعلت فداك [قال: أردتُ] أن تغنيني لحناً سمعته بالمدينة أزعجني إليك، قال: وما هو؟ قال:

يا أختَ ناجيةَ السلامُ عليكمْ...

فغناه ابن سريج، وبيده قضيب يوقع به وينكت، فوالله ما سمعت شيئاً أحسن من ذلك، فقال جرير: لله درّكم يا أهل مكة. ماذا أعطيتم؟ والله لو أن نازعاً نزع إليكم ليقيم بين أظهركم يسمع هذا صباحاً ومساء، كان أعظم الناس حظّاً ونصيباً. وكيف، ومع هذا بيت الله الحرام، ووجوهكم الحسان، ورقة ألسنتكم، وحسن شارتكم، وكثرة فوائدكم.

قال إسحاق: كان ابن سريج جالساً، فمرَّ به عطاء، وابن جريج، فحلف عليهما بالطلاق أن ينغنيهما على أنهما إن نهياه عن الغناء بعد أن يسمعا منه تركه أبداً، فوقفا له، وغناهما[2]: [من المديد]

أُخوتي لا تبعدُوا أبداً ... وبَلَى واللهِ قدْ بعدُوا

فغشي على ابن جريج، وقام عطاء، فوقف.

---

(١) الشعر لجرير في ديوانه ٤٩٠.
(٢) الاغاني ١/ ٣٠٥.

قال إسحاق: كان ابن سريج عند بستان ابن عامر فغنى بلحنه في هذا الشعر[١]: [من مجزوء الوافر]

لِمَنْ نارٌ بأَعلى الخبـ ـت دُوْنَ البَيْنِ ما تَخْبُو
أَرِقْتُ لذكرِ مَوقِعِها فَحَنَّ لذكْرِها القَلْبُ

فجعل الحُجَّاج يركب بعضهم بعضاً حتى جاء إنسان من آخر القصرات، فقال: يا هذا قد قطعت على الحجاج، وحبستهم، والوقت ضاق، فاتّق الله، وقم عنهم، فقام وسار الحجاج.

قال إسحاق، قال ابن معمر: دخلت على ابن سريج في مرضه الذي مات فيه، فقلت: كيف أصبحت يا أبا يحيى؟، /٦٨/ قال: أصبحتُ والله كما قال الشاعر[٢]: [من الوافر]

كَأَنِّي مِنْ تذكُّرِ ما أُلاقي إذا ما أَظْلَمَ اللَّيلُ البَهِيْمُ
سَقيمٌ مَلَّ منهُ أَقارِبُوهُ وأَسْلَمَهُ المُداوِي والحَمِيمُ

ثم مات.

قال إسحاق: ، قال ابن لقمة: لما احتُضر ابن سريج، نظر إلى بنته تبكي فبكى، وقال: إنّ من أكبر همّي أنت، وأخشى أن تضيعي بعدي، قالت: لا تخف، فما غنيت شيئاً إلا وأنا أغنيه، قال: هاتي، فاندفعت تغني أصواتاً، وهو مصغٍ إليها، فقال: أصبت ما في نفسي، وهونت عليّ أمرك، ثم دعا سعيد بن مسعود الهذليّ فزوّجه إياها، فأخذ عنها أكثر غناء أبيها وانتحله، فهو الآن ينسب إليه.

قال إسحاق: وأخبرني هشام بن المرته: أنَّ قادماً قدم المدينة، فسارَّ معبداً بشيء، فقال معبد: أصبحت أحسن الناس غناء، فقلنا أو لم تكن كذلك، قال: لا، ثم قال: أتدرون ما خبَّرني به هذا؟ قالوا: لا، قال: أعلمني أن عبيد بن سريج مات، ولم أكن أحسن الناس غناء، وهو حي.

قال إسحاق، قال كثير بن كثير السهمي يرثيه[٣]: [من البسيط]

ما اللَّهوُ عِنْدَ عُبَيْدٍ حينَ تُخبرُهُ مَنْ كانَ يَلْهُو بِهِ منهُ بمطّلبِ
لله قَبْرُ عُبيدٍ ما تضمَّنهُ مِنْ لذَّةِ العيشِ والإحسانِ والطَّرَبِ
لوِ الغريضُ ففيهِ مِنْ شمائِلِه مَشَابِهُ لمْ أَكُنْ فيهِ بذي أرَبِ

---

(١) الاغاني ١/ ٣٠٥.
(٢) الاغاني ١/ ٣٠٧.
(٣) الأغاني ١/ ٣٠٧ـ٣٠٨.

قال مصعب الزبيري: حدّثني شيخ من المكيين. قال: كان ابن سريج قد أصابه الريح الجنبية، فآلى يميناً أن لا يغني، ونسك، ولزم المسجد حتى عوفي، ثم خرج، وبه بقية من العلّة، فأتى قبر النبي ﷺ وموضع مصلاه؛ فلما قدم المدينة، نزل على بعض إخوانه من أهل النسك والقراءة، وكان أهل الغناء يأتونه فيسلّمون عليه، ولا يأذن لهم في الجلوس بالمحادثة له، فأقام بالمدينة حولاً حتى لم يحس في علّته بشيء، وأراد الشخوص، فبلغ سكينة بنت الحسين فاغتمت اغتماماً شديداً، وضاق صدرها /٦٩/ ، وكان أشعب يخدمها وكانت تأنس به وتضاحكه، فقالت: ويلك إنّ ابن سريج شاخص، وقد دخل المدينة منذ حول، ولم أسمع من غنائه لا قليلاً ولا كثيراً، وتعذّر ذلك عليّ، فكيف الحيلة في الاستماع منه، ولو صوتاً واحداً؟، فقال لها أشعب: جعلني الله فداك، أنى لك بهذا والرجل زاهد، ولا حيلة لك فيه؟ فارفعي طمعك، والحسي بوزك حلاوة فمك، فأمرت بعض جواريها، فوطئت بطنه حتى كادت تخرج أمعاؤه، وخنقته حتى [كادت] تزهق روحه، ثم أمرت فسحب على وجهه حتى أخرج من الدار إخراجاً عنيفاً، فخرج، واغتم غمّاً شديداً، وندم على ممازحتها في وقت لم ينبغ له ذلك فيه. فأتى منزل ابن سريج ليلاً فطرقه. قيل له: من هذا؟، قال: أشعب، ففتحوا له، فرأى على وجهه ولحيته التراب، والدم سائل من أنفه وجبهته على لحيته، وثيابه ممزقة، وبطنه وصدره وقد عصرهما الدوس والخنق، ومات الدم فيهما، فنظر ابن سريج إلى منظر فظيع هاله وراعه، فقال: ما هذا ويحك؟ فقصَّ عليه قصّته، فقال ابن سريج: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[1]، ماذا نزل بك، والحمد لله الذي سلَّم نفسك، لا تعودنّ إلى هذا أبداً، قال أشعب: فديتك هي مولاتي ولا بدَّ لي منها ولكن هل لك حيلة في أن تصير إليها وتغنيها، ويكون ذلك سبباً إلى أن ترضى عني؟ قال ابن سريج. لا يكون ذلك أبداً بعد أن تركته. قال أشعب: فديتك قد قطعت أملي، ورفعت رزقي، وتركتني حيران في المدينة لا يقبلني أحد، وهي ساخطة عليّ، فالله الله، وأنا أنشدك الله أن تحملت هذا الأمر، وإن كان إثماً. فقال ابن سريج والله لا يكون ذلك أبداً. فلما رأى أشعب أن ابن سريج قد تمّ على الامتناع، قال في نفسه: لا حيلة لي وهذا خارج، وإن خرج، فصرخ صرخة أذن لها [أهل] المدينة ونبه الجيران من رقادهم، وأقام الناس من فرشهم؛ ثم سكت، فلم يدر الناس ما القضية عند خفوت الصوت، بعد أن قد راعهم، فقال ابن سريج: ويلك ما هذا؟. قال: والله لئن لم تصر

(١) سورة البقرة: الآية١٥٦.

معي إليها، لأصرخنَّ صرخة ثانية لا يبقى بالمدينة أحد إلا صار بالباب، ثم لأفتحنَّه ولأرينهم ما بي، ثم أُعْلِمَنَّهُم أنك أردت أن تفعل كذا وكذا بفلان ـ يعني غلاماً كان لابن سريج شُهر به ـ / ٧٠/ ومنعتك وخلّصت الغلام من يدك حتى فتح الباب ومضى، ففعلت بي هذا غيظاً وتأسّفاً، وأنك إنما أظهرت النسك والقراءة، لتظفر بحاجتك منه، وأهل مكة والمدينة يعلمون بحاله، فقال ابن سريج أغرب خزاك الله، فقال أشعب: والله الذي لا إله إلا هو، وإلا فما أملك صدقة وامرأته طالق ثلاثاً إن أنت لم تنهض معي في هذه الليلة لأفعلن، فلما رأى ابن سريج الجدّ منه، قال لصاحبه: ويحك ما ترى ما وقعنا فيه؟، وكان صاحبه الذي نزل عليه ناسكاً، فقال: ما أدري ما أقول فيما وقع بنا من هذا الخبيث، وتذمم ابن سريج من الرجل صاحب المنزل، وقال لأشعب: أخرج من منزل الرجل، فقال: رجلي مع رجلك، فخرجا فلما صارا ببعض الطريق، قال ابن سريج لأشعب: امضِ عنّي، قال: والله لئن لم تفعل ما قلت، لأصيحن الساعة حتى يجتمع الناس، ولأقولنّ: إنك أخذت مني سواراً من ذهب لسكينة على أن تجيئها، فتغنيها سرّاً، وأنك كابرتني عليه وجحدتني، وفعلت بي هذا الفعل. فوقع ابن سريج فيما لا حيلة فيه، فقال: امض لا بارك الله فيك، فمضى معه، فلما صارا إلى باب سكينة، قرع الباب، فقيل: من هذا؟، فقال أشعب: جاء ابن سريج، ففتح الباب، ودخلا إلى حجرة من دار سكينة، فجلسا ساعة، ثم أذن لهما، فدخلا إلى سكينة،، فقالت: يا عبيد ما هذا الجفاء؟ فقال: قد علمت بأبي أنت وأمي ما كان مني، قالت: أجل فتحدَّث ساعة وقصَّ عليها ما صنع أشعب، فضحكت، وقالت: لقد أذهب ما كان مني عليه، وأمرتْ لأشعب بعشرة دنانير وكسوة، ثم قال لها ابن سريج: أتأذنين بأبي أنت وأمي؟، قالت: وأين تريد؟، قال: المنزل، قالت: برئت من جدي إن برحت من داري ثلاثة أيام، وبرئت من جدي إن لم تغن إن خرجت من داري شهراً، وبرئت من جدي إن أقمت في داري شهراً إن لم أضربك كل يوم عشراً، وبرئت من جدي إن حنثت في يميني إن شفَّعت فيك أحداً، قال عبيد: واسخنة عيناه، واذهاب توبتاه، وافضيحتاه، ثم اندفع يغني[1]: [من الخفيف]

أستعينُ الذي بكفيهِ نفعِي ورجائي على الَّتي قتلتني

قالت سكينة: هل عندك من صبر؟ ثم أخذت دملجاً من ذهب كان في عضدها، وزنته أربعون مثقالاً فرمت به إليه، فقالت: أقسمت عليك لما أدخلته في يدك، ففعل،

---

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٥٠٣.

ثم قالت لأشعب: / ٧١/ اذهب إلى عزة الميلاء[١]، فأقرئها السلام، وأعلمها أن عُبيداً عندنا، فلتأتنا متفضلة بالزيارة، فأتاها أشعب، فأسرعت المجيء، فتحدّثوا باقي ليلهم، ثم أمرت عبيداً وأشعب، فباتا في حجرة مع مواليها؛ فلما أصبحت هيىء لهم غداؤهم، وأذن لابن سريج، فدخل فقعد بالقرب منها مع أشعب في مواليها، وقعدت هي مع عزّة وخوّاص جواريها؛ فلما فرغوا من الغداء قالت: يا عزّة إن رأيت أن تغنينا، قالت: إي وعيشك. فغنت لحنها في شعر عنترة العبسي[٢]: [من الكامل]

حُـيِّـيـتَ مِـنْ طَـلَـلٍ تـقـادَمَ عـهـدُهُ ... أَقْـوَى وأَقـفـرَ بَـعْـدَ أُمِّ الـهَـيـثـم
إنْ كـنـتِ أَزْمَـعْـتِ الـفِـراقَ فـإنَّـمـا ... زُمَّـتْ ركـابُـكُـمُ بـلـيـلٍ مُـظـلِـمِ

فقال ابن سريج: أحسنت والله يا عزّة!، وأخرجت سكينة الدملج الآخر من يدها فرمت به إلى عزّة، وقالت: صيري هذا في يدك، ففعلت، ثم قالت لعُبيد: هات فغناها، فقالت: أحسنت ما سمعت البارحة. فقالت: لا بدَّ أن تغنينا في كل يوم لحناً؟ فلما رأى ابن سريج أنه لا يقدر على الامتناع غنّى[٣]: [من البسيط]

قالتْ: مَنَ أنتَ على ذكرٍ فقلتُ لها ... أَنـا الَّـذي سـاقَـهُ لـلـحَـيْـنِ مـقـدارُ
قـدْ حـانَ مـنـكَ فـلا يـبـعـدْ بـكِ الـدَّارُ ... بـيـنٌ وفـي الـبَـيْـنِ لـلـمـتْـبُـولِ إضـرارُ

ثم قالت لعزّة في اليوم الثاني: أغنّي، فغنّت لحنها في شعر الحارث بن خالد المخزومي[٤]: [من الطويل]

وقـرَّتْ بـهـا عـيـنـي وقـدْ كـنـتُ قـبـلَـهـا ... كـثـيـراً بـكـائـي مـشـفـقـاً مـن صُـدُودِهـا
وبـشـرة جـود مـثـل تـمـثـال بَـيْـعَـةٍ ... تَـظَـلُّ الـنَّـصـارى حـولَـهـا يـومَ عـيـدِهـا

فقال ابن السراج: والله ما سمعت مثل هذا حسناً قط وطيباً، ثم قالت لابن سريج: هات فغنّي بشعر عمر بن أبي ربيعة[٥]: [من مجزوء الوافر]

أَرِقْـــتُ فـــلـــمْ أَنَـــمْ طَـــرَبـــا ... وَبِـــتُّ مُـــسَـــهَّـــداً نَـــصِـــبـــا
لِـــطَـــيْـــفِ أَحَـــبِّ خَـــلْـــقِ الـــلَّــ ... ــهِ إنـــســـانـــاً وإنْ غَـــضِـــبـــا
فـــلـــمْ أَرْدُدْ مـــقـــالـــتَـــهـــا ... ولـــمْ أكُ عـــاتـــبـــاً عَـــتَـــبـــا

فقالت سكينة: قد علمتُ ما أردت بهذا، قالت: وقد شفعناك وإنما كانت يميني على ثلاثة / ٧٢/ أيام، فاذهب في حفظ الله وكلاءته، ثم قالت لعزّة: إذا شئت. وأمرت

(١) سترد ترجمتها برقم (٥٧).
(٢) ديوانه لمولوي ١٨٥.
(٣) الشعر لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٤٩٥.
(٤) شعره ٧٥.
(٥) ديوانه ٤٨٥.

لها بحلّةٍ حسنة، ولابن سريج بمثلها، وانصرفت عزّة، وأقام ابن سريج حتى انقضت ليلته وانصرف ذاهباً إلى مكة.

قال أبو يوسف بن إبراهيم: حضرت أبا إسحاق إبراهيم بن المهدي وعنده إسحاق الموصلي، فقال إسحاق: غنّى ابن سريج ثمانية وستين صوتاً، فقال له ابن المهدي: ما تجاوز قطّ ثلاثة وستين صوتاً، ثم جعلا يتناشدان الصحيح حتى بلغا ثلاثة وستين صوتاً، وهما متفقان في ذلك، ثم أنشد إسحاق بعد ذلك خمسة أصوات، فقال له ابن المهدي: صدقت هذا من غنائه، ولكن لحن هذا الصوت نقله من لحنه في الشعر الفلاني، ولحنه الثاني من لحنه الفلاني حتى عدّ له الخمسة أصوات، فقال له إسحاق: صدقت، ثم قال له إبراهيم: ابن سريج كان رجلاً عاقلاً أديباً، وكان يعاشر الناس بما يشتهونه، فلا يغنيهم صوتاً يمدح به أعداءهم، ولا صوتاً عليهم فيه عار، أو غضاضة، ولكنه يغنيك بتلك الألحان إلى أشعار في أوزانها والصوتان واحد لا ينبغي أن يعتد بها في صوتين عند التحصيل، ثم اتفقا أن قدّما من غنائه ثمانية أصوات؛ فالأول[1]: [من الرمل]

فــإذا مــا عَــثَــرَتْ فــي مِــرْطِــهــا نــهــضــت بــاسـمـي وقـالـتْ يـا عُـمَـرْ

والثاني[2]: [من مجزوء الخفيف]

حَــيِّــيَــا أُمَّ يَــعْــمَــرٍ قَــبْــلَ شَــحْــطٍ مِــنَ الــنَّــوى

والثالث[3]: [من الكامل]

فـتـركـتُـهُ جَـزَرَ الـسِّـبـاعِ يَـنُـشْـنَـهُ مـا بـيـنَ قُـنَّـةِ رأسِـهِ والـمِـعْـصَـمِ

والرابع[4]: [من الطويل]

فـلـمْ أَرَ كـالـتَّـجـمـيـرِ مـنـظـرَ نـاظـرٍ ولا كـلـيـالـي الـحـجِّ يـفـتـنَّ ذا هـوى

والخامس[5]: [من الرجز]

عُـوجِـي عـلـيـنـا ربـةَ الـهَـودجِ إنَّـكِ إنْ لـمْ تـفـعـلـي تـخـرجـي

والــســادس[6]: [مــن الــهــزج]

/٧٣/ أَلا هــلْ هــاجــكَ الأَظْــعــا نُ إنْ جــاوزنَ مُــطَّــلَــحــا

والسابع[7]: [من السريع]

---

(١) الاغاني ١/ ٢٦٢ـ ٢٦٣.
(٢) لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٤٨٤.
(٣) لعنترة في ديوانه ١٢٤.
(٤) لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٤٥٩.
(٥) العرجي في ديوانه ١٨٩.
(٦) لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٤٦٢.
(٧) لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت في الأغاني ١/ ١٦٥.

تـنـكَّـرَ الإثْـمِـدُ لا تـسـمَـعَـهْ مِـنْ غـيـر أَنْ تـسـمـعَ عـنْـهُ الـخَـبَـرْ

والثامن[١]: [من الطويل]

ومِنْ حُبِّ ذاتِ الخالِ أَعلمتُ نَاقتي أُكـلِّـفُـهـا سيـرَ الـكَـلاَل مـعَ الـظِّـلْـعِ

[٢٣]

أبو كامل[٢]

من أجلِّ من ذكره أبو الفرج وحدّث عن بحره، ولا حرج طلع بدره في الدولة الأموية شرقا، ولمع بارق سحبه الروية مبرقا، وخرج بالحناء وأدلج والحظ يسوق إبله بغير الحداء، ودخر من فواضل تلك الأيام ما كان يجد فيه ريحاً، ويجيد به مديحاً، وتأسف إذ لا يجد من مُمِيْح ولا يلقى من نازح ولا سَنِيح، ولا يرى من يشتري الحمد بالثمن البخس، ولا الربيح.

قيل: إنه غنّى الوليد ذات يوم[٣]: [من الخفيف]

جَـنِّـبـانـي أَذاةَ كُـلِّ لـئـيـمِ إنَّـه مـا عـلـمـت شـرُّ نـديـم

فطرب الوليد حتى خلع عليه ثيابه كلّها حتى قلنسية وشي كانت عليه. وكان أبو كامل يصونها ولا يلبسها إلاّ من عيد إلى عيد ثم يمسحها بكمه ويرفعها ويبكي ويقول: إنما أرفعها لأني أجد فيها ريح سيدي الوليد.

وللوليد بن يزيد أشعار كثيرة فمنها ما يُغنى به[٤]: [من مجزوء المتقارب]

سـقـيـتُ أَبـا كـامـلِ مـن الأَصـفـرِ الـبـابـلـي
وسـقَّـيـتُـهـا مـعـبـداً وكُـلَّ فـتًـى بـابـلـي
لـيَ الـمـحـضُ مِـنْ وُدِّهِـمْ ويَـغـمـرُهُـمْ نـائـلـي
ومـا لامـنـي فـيـكُـمُ سِـوَى حـاسـدِ جـاهِـلـي

قال: وكان المعتضد إذا غنِّي هذا الصوت، يقول للجلساء: أما ترون شمائل الملوك في الشعر ما أبينها، يعني بقوله:

---

(١) لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٤٨٤.

(٢) أبو كامل، واسمه الغُزَيِّل، وهو مولى الوليد بن يزيد، وقيل: بل كان مولى أبيه، كان أبوه عبد الملك وكان مغنياً محسناً، وطيبياً مضحكاً، توفي في أيام بني أمية أو قتل معهم.
ترجمته في: الاغاني ٧/ ١٠٤ ـ ١٠٨.

(٣) البيت للوليد بن يزيد، في شعره ١١٤ الأغاني ٧/ ١٠٥.

(٤) شعره ١٠٠، الأغاني ٧/ ١٠٧.

لـيَ الـمـحـض مِـنْ ودِّهِـمْ ... ويَـغـمـرُهُـمْ نـائـلـي

[٢٤]

إسماعيل بن الهِربِذ(١)

ملتقط فوائد، ومحصّل فرائد، تتعب ألف رائد، يبرر إلى محاسن المقال، وينظر /٧٤/ إليه لا إلى من قال: يأخذ الغناء لا من الأمة الوكعاء، وينوي الغناء عن الأمة الخلعاء، وكان من أفراد أهل الطرب، ووراد ما منع منه من موارد الطلب.

وذكر ابن عساكر من أخباره ما ليس هذا مَوْضِعُه، ولا الذي يجب مُرْقِلُه، ولا مُوْضِعُه.

قيل: إنه قدم مكة على الرشيد وعنده [ابن] جامع، وإبراهيم، وابنه إسحاق، وفليح، وغيرهم. والرشيد يومئذ خاثرٌ به خمار شديد، فغنَّى ابن جامع، ثم فليح وإبراهيم، فما حرّكه أحد منهم، ولا أطربهُ فاندفع الهربد يغنّي، فعجبوا من إقدامه في تلك الحال على الرشيد، فغنّى(٢): [من الكامل]

يـا راكـبَ الـعِـيـسِ الـتـي ... وَخَـدتْ إلـى الـبـيـتِ الـحـرام
قُـلْ لـلإمـامِ أَخِـي الإمـا ... م ابـنِ الإمـامِ أَبـي الإمـامْ
زَيْـنِ الـبَـرِيَّـةِ إذْ بـدا ... فَـيـكُـمْ كـمـصـبـاحِ الـظَّـلام
جَـعَـلَ الإلـهُ الـهـربـذيَّ ... فـداكَ مِـنْ بـيـنِ الأَنـامِ

قال: فكاد الرشيد يرقص، واستخفَّه الطرب حتى ضرب بيده ورجليه، وأمر له بعشرة آلاف درهم، فقال له: يا أمير المؤمنين لهذا الصوت خبر، فإن أذن لي أمير المؤمنين، حدثته. قال: حدّث. قال: كنت مملوكاً لرجل من آل الزبير، فدفع إليّ درهمين أبتاع له بهما لحماً، فخرجت، فلقيت جارية على رأسها جرّة مملوءة من ماء العقيق، وهي تغنّي بهذا اللحن في شعر غير هذا الشعر في وزنه ورويه، فسألتُها أن تلعمنيه، فقالت: لا وحقّ القبر إلا بدرهمين، فدفعت إليها الدرهمين، فعلمتنيه، فرجعتُ إلى مولاي بغير لحم، فضربني ضرباً مبرّحاً شغلت بنفسي معه، فأنسيت الصوت، ثم دفع إلي درهمين آخرين؛ لابتاع لهما لحماً، فلقيت الجارية، فسألتُها أن

---

(١) اسماعيل بن الهِربذ: مكي، ابن مولى لآل الزبير بن العوام، وقيل: بل مولى بني كنانة، أدرك آخر أيام بني أمية وغنى للوليد بن يزيد، وعُمّر إلى آخر أيام الرشيد.
ترجمته في: الأغاني ٧/ ١١٨ـ ١٢٠.

(٢) الأغاني ٧/ ١١٨.

تعيد الصوت، فقالت: لا والله إلا بدرهمين. فدفعتهما إليها، فأعادته مراراً عليّ. أخذته؛ فلما رجعت إلى مولاي أيضاً ولا لحم معي، قال: ما القضية في هذين الدرهمين؟، فصدقته عن القصة، وأعدت عليه الصوت، فقبّل بين عيني، وأعتقني، فرحلتُ إليك بهذا الصوت، وقد جعلت لك اللحن في هذا الشعر، فضحك، ثم قال. دع الأول وتناسه، وأقم على هذا / ٧٥/ الشعر بهذا اللحن، وأما مولاك، فإني أدفع إليه بكل درهم ألف دينار، ثم أمر بذلك، فحمل إليه من وقته.

ومما غنّى به إسماعيل الهربذي، الوليد بن يزيد بن عبد الملك[1]: [من الهزج]

قِـفِـي أُخـبـرْكِ أَوْ سـيـرِي ... سُـلـيـمـى تـلـكَ فـي الـعِـيْـرِ
لَـصَـبٍّ الـقـلـبِ مَـغْـمُـوْرِ ... إذا مـا أنـتِ لـمْ تَـرْثِـي
بـأصـواتِ الـعـصـافـيـرِ ... فـلـمَّـا آذَنَ الـصـبـحُ
ـسَ عُـيـونـاً كـالـقَـواريـرِ ... خَـرَجـنـا نـتـبـعُ الـشَّـمـ
رُ مـن حُـورِ الـيَـعَـافِـيـرِ ... وفـيـنـا شـاذِنٌ أَحْـوَ

[٢٥]

أبو دلف[2]

القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير العجلي أحد قواد المأمون، ثم

---

(١) الشعر ليزيد بن ضبّة في الأغاني ٧/ ١٠٧.

(٢) أَبُو دُلَف العِجْلي، القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل، من بني عجل بن لجيم: أمير الكرخ، وسيد قومه، وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء. قلده الرشيد العباسي أعمال «الجبل» ثم كان من قادة جيش المأمون. وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة. وللشعراء فيه أماديح. وله مؤلفات، منها «سياسة الملوك» و«البزاة والصيد». وهو من العلماء بصناعة الغناء، يقول الشعر ويلحنه. توفي ببغداد سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م. جمع شعره وحققه د. يونس أحمد السامرائي ونشره في (شعراء عباسيون) ٢/ ١ـ ١٣٨ ط عالم الكتب ـ بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٩٧م .ترجمته في: المعارف لابن قتيبة ٩٧ و٤٢٠، وعيون الأخبار، له ١/ ٢٢٩ و٣٣٤ و٣/ ١٠ و٥٥ و٢٤٧، والأخبار الموفقيّات للزبير بن بكار ٧٢، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٤٥، وفتوح البلدان للبلاذري ٣٩٧، وطبقات الشعراء لابن المعتزّ ١٧٠ـ ١٧٩، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٣ـ ٢٢٥، ٢٢٧، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٥٣، ٣٨١، ٣٨٢، والبرصان والعرجان للجاحظ ٨٦، وأخبار القضاة لوكيع ٣/ ٢٩٦، ٢٩٧، وتاريخ الطبري ٨/ ٣٩١، ٣٩٢، ٦٥٩، والعقد الفريد ١/ ١٦٠، ١٦١، ٢٥٦، ٢٦٣، ٢٨٥، ٣٠٧، ٣٠٨ و٢/ ١٦٥، ١٦٦ و٢/ ١٧٢ و٣/ ٥٢ و٦/ ١٦٩، وفيه (القاسم بن اسماعيل، والقاسم بن عيسى، والقاسم بن عبد الله)، والخراج لقُدامة ٣٧٨، ومروج الذهب للمسعودي ٩٨٦، ٢٦٩٨ـ ٢٧٠٠، ٢٨٢٣ـ ٢٨٢٦، ٣٢٤٠، وأخبار البحتري للصولي ٩٧، ١٧٧، والعيون والحدائق لمجهول ٣/ =

المعتصم من بعده، ضرب الهام بسيوفه حتى زواها، والجيوش بصفوفه حتى سواها، وعاطى الأعداء كؤوس الدماء، وعامر الأمور البعيدة للأدناء، فاستقلَّ ملكاً مهاباً، وفلكاً كما أطلع شهاباً، وسحّ سحابه وهطل، وصحّ أن اسم من يقدمه بطل، فأصبحت به تضرب المثل، وتركب السبل، فدعته ألسنة الآمال، وبايعته نفائس الآجال، وملئت ساحته بالركائب، وملأت سماحته بالرغائب، وكان يطعن الطعنة النجلاء، ويرشق السهم بنظر النظرة الكحلاء، ويقتاد الحصان يزل اللبد عن صهواته، ويتشكى ساقط الرمح بعد مهواته. سكن الجبال، وسكب على الكفار الوبال، وسلت وكلت عنه النبال، ورعت الخلفاء منه نصيحاً، ودعت منه فصيحا، واستنبطت لأدوائها منه

= ١٨٣، وبغداد لابن طيفور ١٣٣، ١٤٠، وخاص الخاص للثعالبي ٩، ١١٨، وتحسين القبيح، له ٣٤، ونثر النظم وحلّ العقد، له ١١ رقم ٦، وشرح مقامات الحريري ١/ ٢٤٩، ٢٦ رقم ٢٤، و٥٢ رقم ٦٧، والأغاني لأبي الفرج ٨/ ٢٤٨ـ ٢٥٧ و١٩/ ٧٧، ١٠٦، ١٠٩، ١١١ـ ١١٣، ١١٧، ٣٠١ و٢٠/ ١٤ وما بعدها في ترجمة (علي بن جبلة)، و١٩٣ و٢١/ ٥٥ـ ٥٧، ٩٣ و٢٣/ ٤٣، ٤٤، ٦٠ـ ٦٣ و٢٤/ ١٢٩، ١٩٤، ومعجم الشعراء للمرزباني ٢١٦، وذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم ٢/ ١٦٠، والفهرست لابن النديم ١٣٠، وسمط اللآلي ٣٣١، والفرق بين الفرق ٢٦٨، والفرج بعد الشدّة للتنوخي ٢/ ٦٦ـ ٧٥، ٣٤٨، ونشوار المحاضرة، له ٢/ ١٠٢ و٧/ ٢٤٧، ٢٤٧، وأمالي المرتضى ١/ ٢٩٠، ٦٠٨، وربيع الأبرار ٤/ ١٩٢، ٣٣٤، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٣١٣، وتاريخ بغداد ١٣/ ٤١٦ـ ٤٢٣ رقم ٦٨٦٩، والأنساب لابن السمعاني ٨/ ٤٠١، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون ٢/ ١٩٤ـ ١٩٥، ٤٥٣ـ ٤٥٥، ٤٨٣، ونثر الدّرّ ١/ ٣٨٤ـ ٣٨٦، وزهر الآداب ٩١ـ ٩٢، والبصائر والذخائر ٣/ ١ رقم ٣٢٥، ومحاضرات الأدباء للراغب ١/ ٨٨، ٤٩٣، ٤٩٤، وأمالي القالي ١/ ٢٤٧، والمستطرف للأبشيهي ١/ ٥٢٥، ولباب الآداب لابن منقذ ١٩٥، ٢٠٩، ونزهة الألبّاء لابن الأنباري ١١٠، والفهرست لابن النديم ١٦٩، والكامل في التاريخ ٦/ ٥١٦، والجامع الكبير لابن الأثير ٢٤٢، وبدائع البدائه لابن ظافر ٦٥، ١٥٥ـ ١٥٧، ٢٨٩، ٣٨٠، ومعجم ما استعجم للبكري ١١٢٣، والمحاسن والمساوىء للبيهقي ٣٠٧ـ ٣٠٨، ٤٤٧، والأذكياء لابن الجوزي ٦٩، وذم الهوى، له ٤٩٢، ووفيات الأعيان ١/ ٨٢ و٢/ ١٤ و٣/ ١٤٥، ١٩١، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٥١ـ ٣٥٣ و(٤/ ٧٣ـ ٧٩)، ٣١٣، ٦/ ٣٨، وآثار البلاد للقزويني ٣٤١، وثمرات الأوراق لابن حجّة ٩٣ـ ٩٤٤، وتهذيب الكمال (المصوّر) ٢/ ١١١٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٦٣ـ ٥٦٤ رقم ١٩٤، ودول الإسلام ١/ ١٣٦، والعبر ١/ ٤٩٤، ومرآة الجنان ٢/ ٨٦ ـ ٩٠، ومعجم البلدان ٤/ ٤٤٦، واللباب ٢/ ٣٢٦، ونهاية الأرب ٤/ ٢٣٣، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٩٣ـ ٢٩٤، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٣٤، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٢٢، والروض المعطار ٤٩١، وتهذيب التهذيب ٨/ ٣٢٧ـ ٣٢٨ رقم ٥٨٩، وتقريب التهذيب ٢/ ١١٨ رقم ٣٦، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٤٣ـ ٢٤٤، وخزانة الأدب ١/ ١٧٢، وشذرات الذهب ٢/ ٥٧، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣١٣، تاريخ الاسلام (السنوات ٢٢١ـ ٢٣٠هـ) ص ٣٣١ـ ٣٣٥ رقم ٣٣٤.

مسيحاً، وأعدت لأعدائها منه مشيحاً، وكان بسقام الخلافة طباً خبيراً، وبالانتقام لها مبيداً مبيراً، وهو مع هذه الصرامة التي تتآكل منها النار، والشهامة، التي يتفتح بها شجر القناء بالجلّنار أرقّ من النسيم شمائل، وأرق من الغيد بوصف البانة المتمايل، يوفي في كل مقام حقه، وكل مقال صدقه، ويضحي به البؤس، ويضحك الزمان العبوس، حضر مع مواليه للمنادمة، وقد بذل /٧٦/ لهم لبلوغ المنى دمه، وكان يُغنّى له بالأصوات، ويعنى في كل شعر له موات، وكان قوي القريحة مما لا يدرك مهله، ولا يظن البحار إلا نهله.

قال أبو الفرج: وكان أحمد بن أبي دؤاد ينكر أمر الغناء إنكاراً شديداً فأعلمه المعتصم أن صديقه أبا دلف يغني، فقال: ما أراه مع عقله يفعل ذلك فستر المعتصم أحمد بن أبي دؤاد عليه من موضعه، والكراهة ظاهرة في وجهه؛ فلما رآه قال أحمد: سوءةً لهذا من فعل أبعد الستين، وهذا المحلّ تضع نفسك بما أرى؟ فخجل أبو دلف وسور وقال: إنهم أكرهوني على الغناء قال: أفأكرهوك على الإحسان فيه.

قال أحمد بن عبيد الله كنا عند المبرِّد يوماً، وعنده فتًى من ولد أبي البختري؛ وهو ابن أبي وهب بن عمار القاضي له جمال ظاهر، وفتًى من ولد أبي دلف العجلي شبيه في الجمال، فقال المبرّد لابن أبي البختري أعرف لجدك قصة من الكرم حسنة لم يسبق إليها، قال: وما هي؟ قال: دعا رجل من أهل الأدب إلى بعض المواضع فسقي نبيذاً غير الذي يشربون، فقال فيهم[1]: [من المتقارب]

نـبـيـذانِ فـي مـجـلـسٍ واحـد ... لإيـثـارِ مُـثْـرٍ عـلـى مُـقْـتِـرِ
فـلـو كـانَ فـعـلُـكَ ذا فـي الـطـعـامِ ... لـزمـت قـيـاسـك فـي الـمُـسـكِـر
ولـو كـنـتَ تـطـلـبُ شـأوَ الـكـرام ... فـعـلـتَ كـفـعـلِ أبـي الـبـخـتـري
تـتـبـعَ أخـوانـه فـي الـبـلاد ... فـأغـنـى الـمـقـلَّ عـنِ الـمـكـثِـر

فبلغت الأبيات أبا البختري، فبعث إليه ثلاثمائة دينار. قال ابن عمار؛ فقلت له: قد فعل جدّ هذا الفتى في هذا المعنى أحسن من هذا، قال: وما فعل؟، قال: بلغه أن رجلاً افتقر بعد ثروةٍ، فقالت له امرأته: افترض في الجند، فقال[2]: [من البسيط]

إلـيـكِ عـنِّـي فـقـدْ كـلَّـفـتِـنـي شَـطَـطَـاً ... حـمـلَ الـسـلاحِ وقـولَ الـدارعـيـنِ قَـفِ
تـمـشـي الـمـنـايـا إلـى قـوم فـأكـرهُـهـا ... فَـكَـيْـفَ أمـشـي إلـيـهـا عـاريَ الـكـتِـفِ
حـسـبـتُ أنَّ نَـفَـادَ الـمـالِ غـيَّـرنـي ... وأنَّ روحِـيَ فـي جـنـبَـيْ أبـي دُلَـفِ

(١) الأغاني ٨/ ٢٦٤.
(٢) الأغاني ٨/ ٢٦٤.

فبلغت الأبيات أبي دلف، فأحضره، وقال: كم أملت أن تعيش عشرين سنة؟ قال: / ٧٧/ فأمر بإعطائه ألف دينار، قال: فأُريت وجه ابن أبي دلف يتهلل وانكسر ابن أبي البختري انكساراً شديداً في شعر أبي دلف. وله فيه صنعة قوله(١): [من الوافر]

بنفسي يا جنانُ وأنتِ منِّي ... مكانَ الرُّوحِ في جسدِ الجبانِ
ولوْ أنِّي أقولُ مكانَ نفسي ... خشيتُ عليكِ بادرةَ الزمانِ
لإقدامي إذا ما الخيلُ حامتْ ... وهابَ كماتها جَرّ الطِّعانِ

حدّث المبرّد، قال: دخل علي بن جبلة الشاعر على أبي دلف فأنشده قصيدته التي يقول فيها(٢): [من المديد]

إنَّما الدنيا أبو دُلَفٍ ... بينَ باديهِ ومُحْتَضَرهْ
فإذا ولَّى أبو دلفٍ ... ولَّتِ الدنيا على أَثَرهْ
يا أولاء الأرضِ إنْ فسدتْ ... ومجبَرِ العُسْرِ مِنْ يُسُرهْ
لستُ أدري ما أقولُ لهُ ... غيرَ أنَّ الأرضَ في خَفَرهْ
كلُّ مَنْ في الأرضِ مِنْ عَرَبٍ ... بينَ باديهم إلى حَضَرهْ
مُستعيرٌ منكَ مَكْرُمَةً ... يكتسيها يومَ مُفْتَخَرهْ

فاستحسنها القوم، وقالوا: أيها الأمير ما هذه من قبله، وما هي إلا من بحر كانت رقيق الطبع، فقال له أبو دلف: ألا تسمع ما يقولون؟ قال: بلى أصلح الله الأمير قال: والذي يصدقك، قال: أن أعطي صدوراً فأردفها بأعجاز فضحك أبو دلف، وقال: أنصفت وبالغت، ثم تناول أبو دلف القلم والبياض وكتب(٣): [من الرجز]

ريعتْ لمنشورٍ على مَفْرِقِهِ ... ذَمَّ لها عهدُ الصِّبا حينَ انتسبْ
إهرام شيب جدد في رأسه ... مكروهةُ الجدّةِ أنضاءُ العَقِبْ

ثم ناوله ذلك، وقال: ابْنِ لي عليه أبياتاً، وقد أجلتك فيه حولاً، فقال: أيها الأمير تأمر فيفرغ لي بيت حتى يكون أجلى للشك، فأمر أبو دلف أن يُخلى له بيت، ثم ركب أبو دلف إلى المأمون، وخرج معه متصيداً فرجع آخر النهار؛ فلما نزل لم ينزع سواده. قال: ليت شعري ما خبر علي بن جبلة الشاعر، قال: أيها الأمير إنه زعم إنه فرغ من عمل القصيدة، فقال: / ٧٨/ ويحكم أخرجوه إلي فأخرج، فقال أبو دلف: هيه يا علي ما عملت؟، قال: قد فرغت، قال: هات ويحك بيّض وجهي عند من زعم أنك

(١) الشعر لأبي دلف في الأغاني ٨/ ٢٥٦.
(٢) الشعر لعلي بن جبلة العكوك في شعره (ط عطوان) ٦٨.
(٣) الشعر لعلي بن جبلة في شعره (ط عطوان) ٣٢.

لست بشاعر، فأنشأ يقول[1]: [من الرجز]

أشْـرَقْـنَ فـي أسـودَ أَزْرَيْـنَ بِـهِ كـانَ دُجاه لـهـوَى الـبِـيْضِ سَبَبْ
فـاعْـتَـقْـنَ أَيـامَ الـغَـواني والـصِّبـا عَـنْ مَـيِّـتٍ مَـطْـلَـبُـهُ حـيّ الأَدَبْ
لـمْ يـرتـدعْ مـرعـويـاً حـيـنَ ارْعَـوَى لـكِـنْ يـدُ لـم تَـتَّـسِـعْ لـمـطَّـلـبْ
لـمْ أَرَ كـالـشَّـيْـبِ وَقَـاراً يـحـتـوى أَوْ كـالشبابِ الغَضِّ كلاًّ يستكبْ
كـان الـشـبـابُ لـمَّـةً أزْهَـى بـهـا وصـاحـباً غَـمْـراً عزيزَ المُصْطَحَبْ
إذ أنـا أَجْـرِي دَدَنـاً فـي غـيِّـهِ لا أَعْـتِـبُ الـدَّهْـرَ إنِ الـدهـرُ عَـتَـبْ
أبـعـد شـأوِ الـلـهـوِ عـنْ أخـذنـا وأَقـصِـدُ الـجُـودَ وراءَ الـمـحـتَـجَـبْ
وأَذْعَـرُ الـرَّبْـربَ عَـنْ إبـطـالِـهِ بـاعـوجـيٍّ دُلَـفِـيٍّ الـمُـنـتَـسَـبْ
مُـطَّـرداً يـرتـجُّ فـي أَقـطـارِهِ كالماءِ جالَتْ فيهِ ريحٌ فاضطربْ
تـحـسـبُـهُ أقـعـد في اسـتـقـبالِـهِ حتَّى إذا استدبرتَهُ قلتَ أكبْ
فـهـو عـلـى أرضـافـه وضـمـره يـقـصُـر عنهُ المَحْزَمانِ واللَّبَبْ
يـقـولُ فـيـهِ جـنـب إذا اسـتـوى وهْوَ كـمـيـن الـقـدح ما فـيـهِ خَـبَـبْ
إذا تـمـنـيـنـا بـه صـدَّقَـهُ وإنْ تـمـنّـى فَـوْقَـهُ الـغـيـرُ كَـذَبْ
لـمْ يـبـلـغِ الـجُـهْـدَ بـهِ راكـبُـهُ ويـبـلُـغُ الـرمـحُ بـهِ حـيـثُ طَـلَـبْ
ثُـمَّ اقـتـضـى ذاكَ كـأنْ لـمْ نـغـنـه وكـلُّ بُـقـيـاً فـإلـى يـوم الـعَـطَـبْ
فـحـمـل الـدهـرُ ابـنَ عيسى قـاسـمـاً يـنـهـض بـهِ أَبْـلـج فـراجَ الـكُـرَبْ
كـرونـقِ الـسَّـيـفِ انـبـلاجـاً بـالـنَّـدَى أوكـغـرارَيْـه عـلـى أَهْـلِ الـرِّيَـبْ
لأَوسـنَـتْ عـيـنٌ رأتْ رؤيَـتَـهُ فـأيـقـظـتْـهُ نـوبـةٌ مِـنَ الـنّـوبْ
لـولا نـدى الـقـاسـمِ كُـنَّـا هَـمَـلاً لـمْ يُـعـتَـقَـدْ مَـجْـدٌ ولـمْ يُـرْعَ حَـسَـبْ
ولـمْ يـقـم بـيـوم بُـؤْسٍ ونـدى ولا تـلـقـى حَـسَـبٌ إلـى حَـسَـبْ
/٧٩/ تـكـادُ تبدي الأَرضُ ما يُضْمِرُهُ إذا تَـنَـادى خـيـلـهُ هَـلاً وَهَـبْ
وتـسـتـقـلُّ أمـلاً وخـيـفـةً إذا اسـتـقـلَّ وَجْـهـهُ وإن قَـطَـبْ
وهـوَ وإنْ كـانَ ابـنَ فـرعَـيْ وابِـلٍ فـبـمـسـاعـيـهِ تَـرَقَّـى في الـحَـسَـبْ
يـا واحـدَ الـدّنـيـا ويـا بـابَ الـنَّـدّى ويـا مُـجـيـبَ الـرَّغْـبِ في يوم رَهَـبْ
لـولاكَ مـا كـان سـدًى ولا نـدًى ولا قـريـشٌ عُـرِفَـتْ ولا عَـرَبْ
خُـذْهـا امـتـحـانـاً مِـنْ مَـلِـيٍّ بـالـثَّـنَـا لـكـنَّـهُ غـيـرُ مَـلِـيٍّ بـالـنَّـسَـبْ

(١) الشعر لعلي بن جبلة العكوك في شعره (ط عطوان) ٣٢ ـ ٣٦.

وقَرَّ بالأرضِ أو استنفرْ بها أَنت عليها الرَّأسُ والنَّاسُ ذَنَبْ

فتهلل وجه أبي دلف سروراً به، وقال له: أحسنت أنت، ومثلك فليمدح الملوك، ثم أمر له بمائة ألف درهم، وخلعة سنية، وفرس من مراكبه الخاصة، واعتذر إليه من التقصير.

وقدم أبو الشمقمق(١) على أبي دلف؛ فلما دخل عليه سلم فردّ عليه السلام، ثم قال: ليس يمنعني منك أبا الشمقمق ملوك هذه الدنيا، قال: وما ألزمتهم؟، قال: تزعم أن كفك عن الهجاء يقوم مقام المدح، وليس والله تأخذ مني صلة، أو تمدحني. قال: قد مدحتك أيها الأمير، قال: هات.

فأنشأ يقول(٢): [من السريع]

مِنْ مَلَكِ الموتِ إلى قاسم رسالةٌ في بَطْنِ قرطاسِ

فقال أبو دلف: ويلك ما في بطن القرطاس.

قال(٣):

يا فارسَ الهيجاءِ يومَ الوغى مُرْني بِمَنْ شئتَ مِنَ الناسِ

فقال أبو دلف: أحسنت والله، فأسألك الآن بالله هل هجوتني؟ فقال: أيها الأمير سألتني بعظيم، نعم قد هجوتك. قال: فأنشدني. قال: على أن تؤمنّي، قال: أنت في أمان الله تعالى.

فأنشده يقول: [من مجزوء الخفيف]

قدْ بلوناكَ بالحرو بِ فلمْ تأتِ طائلا

---

(١) أبو الشَّمَقْمَق: مروان بن محمد: شاعر هجاء، من أهل البصرة. خراساني الأصل، من موالي بني أمية. له أخبار مع شعراء عصره، كبشار وأبي العتاهية وأبي نواس وابن أبي حفصة، وله هجاء في يحيى بن خالد البرمكي وغيره. كان عظيم الأنف، أهرت الشدقين، منكر المنظر. زار بغداد في أول خلافة الرشيد العباسي. وكان بشار يعطيه في كل سنة مئتي درهم، يسميها أبو الشمقمق «جزية!» قال المبرد: كان أبو الشمقمق ربما لحن، ويهزل كثيراً ويجدّ فيكثر صوابه، توفي نحو سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٥م.

للدكتور محمد سعد الشويعر كتاب «أبو الشمقمق شاعر الفقر والسخرية» ط نادي الطائف ـ السعودية ١٤٠١هـ.

ترجمته في: معجم الشعراء للمرزباني ٣٩٧ ورغبة الآمل ٦/ ١١٠ـ ١١٢ و١٧٦، تاريخ بغداد ١٣/١٤٦، الأغاني ٣/ ١٩٤، الأعلام ٧/٢٠٩، معجم الشعراء للجبوري ٥/ ٣٧٢ـ ٣٧٣.

(٢) هما لعلي بن جبلة العكوك في شعره (عطوان) ٧٣.

(٣) هما لعلي بن جبلة العكوك في شعره (عطوان) ٧٣.

وسألناك نائلاً فوجدناك سائلا

فقال أبو دلف: هجوتني قبل أن أستوجب الهجاء، فقال: أصلح الله الأمير، صيّرته عدّة، وهو ثوب نسجته، ووضعته في تخت، فإن احتجتم إليه نشرته، وإلا كان مطوياً. / ٨٠/ فضحك أبو دلف، وأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: دعه يكون مطوياً.

وقال القاسم بن عيسى المعروف بأبي دلف: [من الطويل]

وقالوا بلادُ الشَّام أرضٌ تقدَّسَتْ فما بالُنا في أرضِنا لا نُقَدَّسُ
فلا شوقُنا فانٍ ولا الهمُّ مُنقضٍ ولا هَدْأَةٌ تَغْشَى العيونَ فَتَنْعَسُ

وقال أيضاً[1]: [من الخفيف]

عاقني عَنْ وَدَاعِكَ الأشغالُ وأمورٌ جَرَتْ عَلَيَّ ثِقَالُ
في بلاد يذِلُّ فيها عزيزُ النَّفسِ حتَّى تُهينُهُ الأنذالُ
حيثُ لا مدفعٌ بسَيفٍ مِنَ الضَّيْـ ـمِ ولا للجِيادِ فيها مَجَالُ

ومما ذكره أبو الفرج: أنّ الأفشين كان عرض لأبي دلف، واعتلّ له باطنه ذوي بدانة، ومليء بالعمل على إرادته، ولم يزل يغري به المعتصم، ويرمي جانبه السليم منه بما يصم حتى أسرّ إليه قتل أبي دلف، وأمر فيه بأمر يقضي به إلى التلف، فأخذه إليه وعفّى على آثاره، وعمّى بصراء أخباره، فأتى الخبر ابن أبي دؤاد، وقد خيّم الليل وطنّب، وأسكت من أنب، ولم يبق إلا وقد أوثق بالرتاج، ولا أحد إلا وجفنه قد طعم النوم أو احتاج، فخاف إن أخر إلى بكرة عده أن تفوت فيه الحيلة، وأن يودعه سرّ تلك الليلة الثقيلة، فدعا بجماعة من عدول الشهود، ونهض بهم إلى باب الأفشين حتى طرقه، واستفتح علقه، ثم دخل عليه هجماً، وانقضّ شيطانه في تلك الليلة رجماً، وقال له: هؤلاء الشهود [شهود] أمير المؤمنين، وأنا قاضيه ورسوله إليك في أمر هو من وراء تقاضيه، وهو يأمرك بالإمهال في أمر أبي دلف، وأنك لا تعجل عليه، ولا تمدّ يدك ببطش إليه، وها هو لديك حيّ يرزق، سالم الأعضاء قادراً على المضاء، وها أنا قد أبلغتك رسالة أمير المؤمنين، وهؤلاء يشهدون، وفي بكرة غد لشهادتهم عند أمير المؤمنين يؤدّون. وكان قد أحضر أبا دلف ليقتله في تلك الساعة، والسيف مصلت قد أظمأه له وأجاعه، ثم كر ابن أبي دؤاد راجعاً، وترك الأفشين فاجعاً، وكان ابن أبي دؤاد قد فعل هذه الأعجوبة، وأتى لإبقاء نفس تلك المسلم / ٨١/ بهذه الأكذوبة، والمعتصم لم يخاطبه فيه ببنت شفة ولا أراه من جنى نخلته له ثمرة ولا حشفة، فلم يكن

---

(١) شعره (للسامرائي) ٢/ ٨٧ـ ٨٨ رقم ٤٧.

له هم إلا أن انتظر آخر الليل حتى طار غرابه، وجرّد عن سيف النهار قرابه، وشرع الفجر ينفجر، والأفق بملاءة الصباح يعتجر، وبكر إلى دار الخلافة، والمعتصم قد انفتل عن المحراب، ولمح ابن أبي دؤاد، فما استراب، فتقدم إليه، وقصّ عليه القصة، والمعتصم يسمع، وحدّثه بما كادت له مقلته تدمع، وقال له: يا أمير المؤمنين إني لم أخنك في عمري سوها، ولا أتيت بمثلها ونفس وما سواها، ولو لم تكن إنقاذ ولي من أوليائك، وسخر بقاؤه من حلوق أعدائك، لما فعلتها ولا اجترأت على أمير المؤمنين وقلتها، فضحك أمير المؤمنين ضحك معجب بجميل صنعه، معجل إلى عدم منعه، وقال له: قد أجزت ما قلت أيها القاضي وما فعلت، ثم بعث رسله إلى الأفشين يأمره بإحضار أبي دلف، فما نشب أن أحضره وسنا إطلاقه، ثم لم يبرح ابن أبي دؤاد حتى أعاده إلى منزله وعاد الأفشين، وأماته بعلّته.

قال ابن خلكان(١): كان أبو دلف كريماً، سرياً، جواداً، ممدحاً، شجاعاً، مقداماً، ذا وقائع مشهورة، وصنائع مأثورة، أخذ عنه الأدباء الفضلاء، وله صنعة في الغناء، وصنَّف عدة كتب في البزاة والصيد، والسلاح، وسياسة الملوك، وغير ذلك، ومدحه أبو تمام الطائي بأحسن المدائح، وفيه يقول بكر بن النطاح(٢): [من الكامل]

يا طالباً للكيمياءِ وعِلمِه ... مَدْحُ ابنِ عيسى الكيمياءُ الأعظَمُ
لوْ لمْ يكنْ في الأرضِ إلاّ درهمٌ ... ومدحتَهُ لأتاكَ ذاكَ الدّرهمُ(٣)

ويحكى أنه أعطاه على هذين البيتين سبعين ألف درهم، فأغفله قليلاً، ثم دخل عليه وقد [ابتاع] بتلك الدراهم قرية في نهر الأبلة، فأنشده(٤): [من الطويل]

بكَ ابتعتُ في نهرِ الأبُلَّةِ قريةً ... عليها قُصَيرٌ بالرُّخامِ مَشِيْدُ
إلى جنبِها أُخْتٌ لها يعرضونَّها ... وعندَكَ مالٌ للهباتِ عتيدُ

فقال له: وكم ثمن هذه الأخت؟، فقال: عشرة آلاف درهم، فدفعها له، ثم قال: /٨٢/ تعلم أنَّ نهر الأبلة عظيم، وفيه قرى كثيرة، وكل أخت إلى جانبها أخرى،

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ٧٤.

(٢) بكر بن النَّطَّاح الحنفي: أبو وائل، شاعر غزل، من فرسان بني حنيفة، من أهل اليمامة. انتقل إلى بغداد في زمن الرشيد، واتصل بأبي دلف العجلي فجعل له رزقاً سلطانياً عاش به إلى أن توفي سنة ١٩٢هـ/ ٨٠٨م.

ترجمته في: فوات الوفيات ١/ ٧٩، البداية والنهاية ١٠/ ٢٠٨، سمط اللآلي رقم ٥٢٠، التبريزي ٣/ ١٤٠، تاريخ بغداد ٧/ ٩٠، الأعلام ٢/ ٧١، معجم الشعراء للجبوري ١/ ٣٦٠.

(٣) شعره ٢٧٤ (شعراء مقلّون)، وفيات الأعيان ٤/ ٧٤.

(٤) وفيات الأعيان ٤/ ٧٤.

وإن فتحت هذا الباب، اتسع الخرق، فاقنع بهذه، ونصطلح عليها، فدعا له، وانصرف.

وقد ألَمَّ أبو بكر محمد بن هاشم[١] أحد الخالديين معنى قول أبي بكر النطاح المذكور في البيتين الأولين، فقال[٢]: [من الكامل]

وتيقَّنَ الشعراءُ أَنَّ رجاءَهُمْ ... في مأْمَنٍ بكَ مِنْ وقوعِ الياسِ
ما صحَّ علمُ الكيمياءِ لغيرِهِمْ ... فيمنْ عَرَفْنا مِنْ جميعِ الناسِ
تعطيهُمُ الأموالَ في بِدَرٍ إذا ... حَمَلُوا الكلامَ إليكَ في قرطاسِ

وكان أبو دلف قد لحق أكراداً قطعوا الطريق في عمله، فطعن فارساً، فأنفذت الطعنة إلى فارس آخر وراءه رديفه، فنفذ فيه السنان، فقتلهما، فقال في ذلك ابن النطاح[٣]: [من الكامل]

قالوا وينظمُ فارسينِ بطعنةٍ ... يومَ الهياجِ ولا نراهُ كَليلا
لا تعجبوا فلوَ انَّ طولَ قناتِهِ ... ميلاً إذاً نظم الفوارسَ مِيلا

وكان أبو عبد الله أحمد بن أبي فنن صلح مولى بني هاشم أسود مشوّه الخلق قصيراً، فقالت له امرأته: يا هذا إنَّ الأدب أراه قد سقط نجمه، وطاش سهمه، فاعمد إلى سيفك، ورمحك، وقوسك، وادخل مع الناس في غزواتهم، عسى الله أن ينفعك من الغنيمة بشيء. فأنشد يقول[٤]: [من البسيط]

مالي ومالكِ قد كلفتِني شَطَطاً ... حَمْلَ السّلاح وقولَ الدارعينَ قِفِ
أَمِنْ رجالِ المنايا خِلتِنِي رجلاً ... أُمسي وأصبحُ مشتاقاً إلى التَّلَفِ
تمشي المنايا إلى غيري فأكرهُها ... فكيفَ أمشي إليها بارزَ الكَتِفِ
ظننتِ أنَّ نزالَ القِرْنِ مِنْ خُلُقِي ... أَوْ انَّ قلبي في جَنْبَي أبي دُلَفِ

---

(١) محمد بن هاشم بن وعلة، أبو بكر الخالدي: شاعر أديب، من أهل البصرة. اشتهر هو وأخوه «سعيد» بالخالديين. وكانا من خواص سيف الدولة ابن حمدان. وولاهما خزانة كتبه. لهما تآليف في الأدب تقدم ذكرها في ترجمة «سعيد بن هاشم» فراجعها هناك. وكانا يشتركان في نظم الأبيات أو القصيدة فتنسب إليهما معاً. ذكر ابن النديم (في الفهرست) أن أبا بكر، هذا، قال له، وقد تعجب ابن النديم من كثرة حفظه: إني أحفظ ألف سفر، كل سفر في نحو مئة ورقة.
توفي نحو سنة ٣٨٠هـ/ نحو ٩٩٠م.
ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٢٧١، وفهرست ابن النديم ٢٤٠، وفي مجلة المجمع العلمي العربي ٢٥/ ٤٩ بعض أخبار «الخالديين». الأعلام ٧/ ١٢٩، معجم الشعراء للجبوري ٥/ ٣٠٢.

(٢) ديوان الخالديين ٦٤، وفيات الأعيان ٤/ ٧٤.

(٣) وفيات الأعيان ٤/ ٧٥، شعراء (عشرة شعراء للضامن) ص ٢٧٠ رقم ٥٧.

(٤) وفيات الأعيان ٤/ ٧٥.

فبلغ خبره أبا دلف فوجه إليه ألف دينار.

وكان أبو دلف لكثرة عطائه قد ركبه الديون، واشتهر ذلك عنه، فدخل عليه بعضهم وأنشده[١]: [من الوافر]

أيا رَبَّ المنائحِ والعَطايا ويا طَلْقَ المُحيَّا واليدينِ

/٨٣/ لقدْ خُبّرتُ أَنَّ عليكَ ديناً فَزِدْ في رَقْمِ دينِكَ واقضِ دَيْني

فوصله، وقضى دينه.

ودخل عليه بعض الشعراء وأنشده[٢]: [من البسيط]

اللهُ أجرى مِنَ الأرزاقِ أكثَرَها على يديكَ بعلم يا أبا دُلَفِ

ما خطَّ لا كاتباهُ في صحيفتِهِ كما تخطّط لا في سائرِ الصُّحُفِ

باري الرياحَ، فأعطى وهي جارية حتَّى إذا وَقَفَتْ أعطى ولمْ يَقِفِ

وكان أبوه قد شرع في عمارة مدينة الكرج، وأتمها هو، وكان بها أهله وعشيرته وأولاده، وكان قد مدحه بها بعض الشعراء، فلم يحصل منه ما في نفسه، فانفصل عنه وهو يقول[٣]: [من الطويل]

دعيني أجوبُ الأرضَ في فلواتِها فما الكرجُ في الدنيا ولا النَّاسُ قاسمُ

وهذا مثل قول بعضهم[٤]: [من البسيط]

فإنْ رجَعْتُمْ إلى الإحسانِ فهوَ لكُمْ عبدٌ كما كانَ مطواعٌ ومِذعانُ

وإنْ أَبَيْتُمْ فأرضُ اللهِ واسعةٌ لا الناسُ أنتمْ ولا الدُّنيا خُرَاسانُ

ولما قدم أبو دلف من الكرج، صنع الأمير علي بن عيسى بن ماهان مائدة، ودعاه إليها، وكان قد احتفل بها غاية الاحتفال، فجاء بعض الشعراء؛ ليدخل الدار على ابن عيسى، فمنعه البواب، فتعرّض الشاعر لأبي دلف، وقد قصد دار علي بن عيسى، وبيده جزازة، فناوله إياها، فإذا فيها[٥]:

قلْ لهُ إنْ لقيتَهُ مُتَأنٍ بلا وَهَجْ

جئتَ في ألفِ فارسٍ لغَداءٍ مِنَ الكَرَجْ

ما على الناسِ بعدَها في الدناءاتِ مِنْ حَرَجْ

فرجع أبو دلف، وحلف أنه لا يدخل الدار، ولا يأكل منها شيئاً؛ وقيل: إن

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ٧٥.

(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٧٦.

(٣) وفيات الأعيان ٤/ ٧٦.

(٤) وفيات الأعيان ٤/ ٧٦.

(٥) وفيات الأعيان ٤/ ٧٧.

الشاعر هو عباد بن الحر.

وقيل إنَّ أبا دلف لما مَرِضَ مَرَضَ موته، حجبَ الناس عن الدخول إليه، لثقل مرضه، فاتفق أنه أفاق في بعض الأيام، فقال لحاجبه: /٨٤/ من بالباب من المحاويج؟ فقال: عشرة من الأشراف، قد وصلوا من خراسان، ولهم بالباب عدّة أيام، لم يجدوا طريقاً، فقعد على فراشه واستدعاهم؛ فلمّا دخلوا، رحب بهم، وسألهم عن أحوالهم، وبلادهم، وسبب قدومهم، فقالوا: ضاقت بنا الأحوال، وسمعنا بكرمك، فقصدناك، فأمر خازنه، بإحضار بعض الصناديق، وأخرج منه عشرين كيساً، من كل كيس ألف دينار، ودفع إلى كل واحد منهم كيسين، ثم أعطى كل واحد منهم مؤونة طريقه، وقال لهم: لا تمسُّوا الأكياس حتى تصلوا بها سالمة إلى بلادكم، واصرفوا هذا في مصالح الطريق. ثم قال: ليكتب لي كل واحد منهم خطه أنه فلان بن فلان حتى ينتهي إلى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ويذكر جدّته فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنها ـ ثم يكتب: يا رسول الله إني وجدت إضاقةً وسوء حال في بلدي، فقصدت أبا دلف العجلي، فأعطاني ألفي دينارٍ كرامة لك، وطلباً لمرضاتك، ورجاء لشفاعتك. فكتب كل واحد منهم ذلك، وتسلَّم الأوراق، وأوصى من يتولّى تجهيزه إذا مات أن يضع تلك الأوراق في كفنه حتى يلقى بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويعرضها عليه.

وحُكي عنه أنه قال: من لم يكن مغالياً في التشيع فهو ولد زناء، فقال ولده دلف له: يا أبتي لست على مذهبك، فقال له أبوه: لما وطئت أمك، وعلقت بك ما كنت بعد استبرأتها، فهذا من ذلك؛ والله أعلم.

ومع هذا فقد حكى جماعة من أرباب التاريخ: أن دُلف بن أبي دلف قال: رأيتُ في المنام آتياً أتاني، فقال لي: أجب الأمير، فقمت معه، فأدخلني داراً وحشة وعرة سوداء الحيطان مغلّقة السقوف والأبواب، وأصعدني على درج منها، ثم أدخلني غرفة منها في حيطانها أثر النيران، وإذا في أرضها أثر الرماد، وإذا بأبي وهو عريان، واضع رأسه بين ركبتيه، فقال لي كالمستفهم: دلف؟، فقلت: دلف، فأنشأ يقول[1]: [من الخفيف]

أَبلِغَنْ أهلَنا ولا تُخْفِ عنْهُمْ ... ما لَقِينا في البَرْزَخِ الخَنَّاقِ
قدْ سُئِلنا عَنْ كُلِّ ما قَدْ فَعَلْنا ... فارْحَمُوا وحشتي وما قَدْ أُلاقِي

(١) وفيات الأعيان ٤/٧٨.

ثم قال: أفهمت؟، قلتُ: نعم فأنشد[١]: [من الوافر]

/٨٥/ فَلَو كُنَّا إذا مُتنا تُرِكْنا لكانَ الموتُ راحةَ كُلِّ حَيِّ
ولكِنَّا إذَا مُتنا بُعِثْنا ونُسأَلُ بعدَهُ عَنْ كُلِّ شيِّ

ثم قال: أفهمت؟ قلت: نعم، وانتبهت.

توفي ببغداد سنة ستّ وعشرين ومائتين.

[٢٦]

البُرْدَان[٢]

فقيه نزّل الغناء منزلة حسن الإنشاد، وبنى منزله على بيوته وشاد، حكم في القضاء، وحتم فيه بالإمضاء، ولم ينكر أنه يعرف الغناء، ويقطف منه اجتناء، لم يَرَ بأساً بتصحيح الأصوات، وتنقيح أناشيد الأبيات تكميلاً لما حصل ذكره من فنون، وحصَّن صدره من مكنون حتى تجلَّت به أولى الليالي الغوابر، وأقالت الأيام الغوابر وكان كأنما التَطَمَ به بحران، وانقاد الفضل كلّه بالجران، وأعاد دجى الليل، وقد طلع بدره الطالع، وهو بدران.

قال إسحاق: قدم إليه رجل خصماً له يدَّعي عليه حقاً ، فوجب الحاكم عليه، فأمر به إلى الحبس، فقال: أنت بغير هذا أعلم منك بهذا، فقال: ردّوه، فردوه، فقال: لعلّك تعني الغناء؟ أي والله إني لعارف به، ومهما جهلت، فإني موجب الحقّ عليك عالم، اذهبوا به إلى الحبس، ليخرج إلى غريمه من حقّه.

قال سباط: رأيت البردان بالمدينة يتولّى سوقها، وقد أسنّ، فقلت: يا عمّ إني قد رويت لك صوتاً صنعته، فأردت أن تصححه لي فقال: لعله[٣]: [من الخفيف]

كَمْ آتى دونَ عهدِ أمِّ جميلِ

قلت: نعم، فقال: قم بنا، ومال إلى دار في السوق، ثم قال عنه، فقلت: بل تتم يا عم إحسانك، وتغنيني أنت به، فإن سمعته كما أقوله غنيته، وإن فيه مصطلحاً استعدته، فضحك وقال: أنت لست تريد تصحيح غناء، إنما تريد أنك تقول إنك ستغني

(١) وفيات الأعيان ٤/ ٧٨.

(٢) البردان: لقب غلب عليه، ومن الناس من يقول: بردان من أهل المدينة، وأخذ الغناء عن معبد وقيلة وعن جميل وعن عزّة الميلاء، وكان معدلاً مقبول الشهادة، وكان متولي سوق بالمدينة.
ترجمته في: الأغاني ٨/ ٢٨٧ـ ٢٨٩.

(٣) الاغاني ٨/ ٢٨٨.

وأنا شيخ، وقد انقطعت / ٨٦/ وأنت شاب، فقلت للجماعة: إن رأيتم أن تسألوه يشفعه فيما طلبت منه. فسألوه، فاندفع، فغناه، وأعاده ثلاث مرات، فما رأيت أحسن من غنائه حتى كبر سنه ونقصان صوته، ثم قال: غنّه، فغنيته، فطرب الشيخ حتى بكى، وقال: اذهب يا بني، فأنت أحسن الناس غناء، وإن عشت؛ ليكونن لك شأن.

[٢٧]

سائب خاثر[١]

مطرب حرّك بغنائه معاوية الحكيم، وحرض على الإنفاق عبد الله بن جعفر الكريم، وأحدث للعرب ما لم تكن تعهد، ونفث، فلم يكن يخلو من نفثاته بيت، ولا معهد. اقترح في الغناء، وفتح فيه للبناء، تقيّل عن الفُرس غرائب الضروب، وغرائز الفكر التي ترنح كل طروب، وحظي لدى أشراف المدينة لغناء كل محل حباهم، ويحل مثل رباهم، إلا أنه جرى جري الجواد وترك الكل للجوّاد.

كان قدم إلى المدينة رجل فارسي يعرف ببسيط يغني بها، فأعجب عبد الله بن جعفر، فقال سائب خاثر: أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسي بالعربي، ثم غدا على عبد الله بن جعفر وقد صنع[٢]: [من الكامل]

لِـمَـن الـديـارُ رسـومُـهـا قَـفـرُ

---

(١) سائب خاثِر، سائب بن يسار الليثي بالولاء، أبو جعفر: أحد أئمة الغناء والتلحين في العرب. فارسيّ الأصل، كان أبوه مولى لبني ليث وأعتقوه. ونشأ سائب في المدينة، فاحترف التجارة وأثرى. وكان حسن الصوت، حلو المعشر. قال النويري: وهو أول من عمل العود بالمدينة وغنى به، وأول «صوت» غُني به في الإسلام، من الغناء العربي المتقن، هو الأبيات التي أولها:

«لـمـن الـديـار، رسـومُـهـا قـفـرُ»

من صنعة سائب. وقال الأصبهاني: لم يكن يضرب بالعود، إنما كان يقرع بقضيب ويغنّي مرتجلاً. وهو أستاذ «معبد» المغني المشهور، و«ابن سريج» و«عزة الميلاء» وآخرين. وسمع معاوية غناءه مراراً. وقيل في سبب تسميته «سائب خاثر» إنه غنى صوتاً ثقيلاً، فقال من سمعه: هذا غناء خاثر، أي غير محذوق، فلصق به لقباً. ولما قدم جيش يزيد بن معاوية. وعليه مسلم بن عقبة المري، يريد دخول المدينة، خرج أهل المدينة لقتاله في «الحَرَّة» وكان في جملتهم «سائب خاثر» فقتل في المعركة سنة ٦٣هـ/ ٦٨٢م.

ترجمته في: نهاية الأرب ٤/ ٢٦١، والأغاني ٨/ ٣٣٣ـ ٣٣٩، وتهذيب ابن عساكر ٦/ ٦٢، الاعلام ٣/ ٦٨.

(٢) صدر بيت في الاغاني ٨/ ٣٣٥ وعجزه:

«لعبت بها الأرواح والقطر».

وهذا أول صوت غُنِّي به في الإسلام من الغناء المتقن في الصنعة.

قال: ثم اشترى عبد الله بن جعفر بسيطاً بعد ذلك، فأخذ عن سائب خاثر الغناء العربي، وأخذ عن سائب أيضاً ابن سريج، وجميلة، ومعبد، وعزة الميلاء، وغيرهم.

قال: وفد عبد الله بن جعفر على معاوية، ومعه سائب خاثر، فوقع له في جواريه، ثم عرض عليه حاجة لسائب خاثر، فقال معاوية: من هذا؟، فقال: رجل من أهل المدينة، ليثي ويروي الشعر، قال: أو كل من روى الشعر ازداد فضله؟. قال: إنه يحسنه، قال: وإن أحسنه. قال: أفأدخله إليك يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، فلما دخل قام على الباب، فرفع صوته ثم غنّى[1]:

لِمَنِ الديارُ رُسومُها قَفْرُ   لَعِبَتْ بها الأَرياحُ والقَطْرُ

فالتفت معاوية إلى عبد الله، وقال: أشهد لقد حسنه. وقضى حوائجه.

قال: /٨٧/ أشرف معاوية ليلاً على منزل يزيد ابنه، فسمع صوتاً أعجبه، واستخفَّه السماع، فاستمع قائماً حتى ملَّ، ثم دعا بكرسي، فجلس عليه، واستمع بقية ليلته؛ فلما أصبح غدا عليه يزيد، فقال له: يا بُني من كان جليسك البارحة؟، قال: أي جليس يا أمير المؤمنين؟، وتجاهل عليه، فقال: عرّفني، فإنّه لم يخف عليّ شيء من أمرك، قال: سائب خاثر، قال: فاخثر له يا بني من برّك، فما بمجالسته بأس.

قال ابن الكلبي: وفد معاوية المدينة في بعض ما كان يفد، فأمر حاجبه بالإذن للناس، فخرج الحاجب، ثم رجع، فقال: ما بالباب من أحد؟، قال: وأين الناس؟، قال: عند عبد الله بن جعفر، فدعا معاوية ببغلته، فركبها، ثم توجه إليهم؛ فلما جلس، قام سائب خاثر ومشى بين السماطين، وتغنّى[2]:

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحى   وأسيافُنا يقطرنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَما

فطرب معاوية وأصغى إليه حتى سكت، وهو مستحسن لذلك، ثم قام، وانصرف.

قال: وقُتل سائب خاثر يوم الحرة؛ فلما عرضت أسماء من قتل على يزيد بن معاوية، مرَّ به اسمه، فقال: إنا لله، وبلغ القتل إلى سائب خاثر إلى طبقته، ما أظنّ أنه بقي بالمدينة من أحد، ثم قال: قبحكم الله يا أهل الشام، تجدهم صادفوه في حديقة، أو حائط مستتراً، فقتلوه؟!

---

(١) للحارث المخزومي في شعره ١٥٩ـ ١٦٠.

(٢) لحسان بن ثابت في ديوانه ١/ ٣٥.

وحدّث مويلك عن ابنه قال: قال لي سائب خاثر يوم الحرة: هل أسمعك شيئاً صنعته، فغناني[1]: [من الطويل]

لمَنْ طَلَلٌ بَيْنَ الكراعِ إلى القَصْرِ يغيِّرُ عنَّا لونُهُ سُبُلَ القَطْرِ

قال: فسمعت عجباً متعجباً من ذكر أهله وولده، فقلت: فما يمنعك من الرجوع إليهم، فقال: أما بعد شيء سمعته ورأيته من يزيد بن معاوية، فلا. ثم تقدم، فقاتل حتى قتل.

وتمام الصوت:

سِوَى خامِداتٍ ما يَرُمْنَ وهامِدٍ وأَشْعَثَ ترميهِ الوليدةُ بالفهرِ

[٢٨]

عبد الله بن جُدعان[2]

/ ٨٨/ سيد تيم في الجاهلية، ومشيد المفاخر الجلية، شرفه رسول الله ﷺ بدخول داره، وطرفه مطارف فخاره، وكان قد أتى كسرى ملك آل ساسان، وسمع عنه غناء الحسان، وشدا جانباً مما سمع، واحتذى منه ما لو حلم جمع، وإنما كان هو وسادات العرب يتغنى غناء الركبان، ويتأنى به خلا الفضلاء، ورؤوس الكثبان.

وقد ذكره أبو الفرج في أبناء صوبٍ ذكر، وصوب من بارقة الجنوبي مبتكر.

قالت عائشة، قلت لرسول الله ﷺ: ابن جدعان في الجاهلية كان يصل الرحم، ويطعم المساكين، فهل تلك نافعة له، قال: لا؛ لأنه لم يقل: اللهم اغفر لي خطيئتي يوم الدين.

قال: قدم أمية بن أبي الصلت[3] على عبد الله بن جدعان، فقال عبد الله، أمر ما

---

(١) الاغاني ٨/ ٣٣٨.

(٢) عبد الله بن جُدْعَان التيمي القرشي: أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية. أدرك النبيّ ﷺ قبل النبوة. وكانت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب، فوقع فيها صبي، فغرق! وهو الذي خاطبه أمية بن أبي الصلت بأبيات اشتهر منها قوله:

«أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك؟ إن شيمتك الحياء»

له أخبار كثيرة، أورد الأصفهاني وغيره بعضها متفرقة. وسماه اليعقوبي بين حكام العرب في الجاهلية.

ترجمته في: الأغاني ٨/ ٣٤٠ـ ٣٤٦، واليعقوبي ١/ ٢١٥، وخزانة البغدادي ٣/ ٥٣٧، والمحبر ١٣٧ وانظر فهرسته. والجمحي ٢٢٢، الاعلام ٤/ ٧٦.

(٣) أمية بن عبد الله أبي الصَّلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي: شاعر جاهلي حكيم، من أهل =

أتى بك؟ فقال أمية: كلاب غرماء قد نبحتني، ونهشتني، فقال له عبد الله: قدمت علي، وأنا عليل من حقوق لزمتني، فانظرني قليلاً بحم ما في يدي، وقد ضمنت قضاء دينك ولا أسألك مبلغه قابل، فأقام أمية أياماً ثم قال[1]: [من الوافر]

أَأَذكرُ حاجَتي أمْ قدْ كفاني ... حياؤُكَ إنَّ شَيمَتكَ الحَياءُ
وعِلْمُكَ بالأُمورِ وأَنْتَ قَرْمٌ ... لكَ الحَسَبُ المُهَذَّبُ والثَّناءُ
كريمٌ لا يغيِّرُهُ صَباحٌ ... عَنِ الخُلُقِ السَّنِيِّ ولا مساءُ
يُباري الريحَ مكرُمةً وجُوداً ... إذا ما الكلبُ أَجْحَرَهُ الشّتاءُ
إذا أثنى عليكَ المرءُ يوماً ... كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ

فلما أنشد أمية هذا الشعر، كانت عنده قينتان، فقال لأمية: خذ إحداهما، فأخذ إحداهما وانصرف، فمرّ بمجلس من مجالس قريش، فلاموه على أخذها، وقالوا: لقد كفيته عائلاً، ولو رددتها، فإنَّ الشيخ محتاج إلى خدمتها، كان ذلك أقرب لك عنده. فوقع الكلام في أمية موقعاً، وندم فرجع لردّها إليه؛ فلمّا أتاه بها، قال ابن جدعان: لعلّك إنما رددتها؛ لأن قريشاً لاموك على أخذها، ووصف لأمية ما قال القوم له، فقال له أمية: والله ما أخطأت يا أبا زهير، فقال عبد الله: فما الذي

=
الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام. وكان مطلعاً على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبداً. وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية. ورحل إلى البحرين فأقام ثماني سنين ظهر في أثنائها الإسلام، وعاد إلى الطائف، فسأل عن خبر محمد بن عبد الله ﷺ فقيل له: يزعم أنه نبي. فخرج حتى قدم عليه بمكة وسمع منه آيات من القرآن، وانصرف عنه، فتبعته قريش تسأله عن رأيه فيه، فقال: أشهد أنه على الحق، قالوا فهل تتبعه؟ فقال: حتى أنظر في أمره. وخرج إلى الشام. وهاجر رسول الله إلى المدينة، وحدثت وقعة بدر، وعاد أمية من الشام، يريد الإسلام، فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له، فامتنع. وأقام في الطائف إلى أن مات سنة ٥هـ/ ٦٢٦م، أخباره كثيرة، وشعره من الطبقة الأولى، وعلماء اللغة لا يحتجون به لورود ألفاظ فيه لا تعرفها العرب. وهو أول من جعل في أول الكتب: باسمك اللهم. فكتبتها قريش. قال الأصمعي: ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة، وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر ابن أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب.

ترجمته في: خزانة الأدب ١/ ١١٩ وتهذيب ابن عساكر ٣/ ١١٥ وسمط اللآلي ٣٦٢ وجمهرة الأنساب ٢٥٧، والأغاني ٤/ ١٢٧ـ ١٤٠، والخميس ١/ ٤١٢ وفيه وفاته سنة ٢هـ، وابن سلام ٦٦ وهو فيه: «أمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة»، والبلخي٢/ ١٤٤ وفيه قطعتان من شعره، والشعر والشعراء ١٧٦، وتهذيب الأسماء ١/ ١٢٦، الأعلام ٢/ ٢٣، معجم الشعراء للجبوري ١/ ٣١٧.

(١) ديوانه ١٥٢ـ ١٥٣، الأغاني ٨/ ٣٤١.

قلت في ذلك؟ فقال / ٨٩/ أمية[١]: [من الطويل]

وليس بشينٍ لامرئٍ بذلُ وجهِهِ إليكَ كما بعضُ السؤالِ يَشِينُ

فقال عبد الله لأمية، خذها ـ يعني الأخرى ـ فأخذهما جميعاً، وانصرف.

قال الحسن المروزي: سألت سفيان بن عيينة، فقلت: يا محمد ما تفسير قول رسول الله ﷺ كان دعاء أكثر الأنبياء قبلي بعرفة: «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير» وإنما هو ذكر وليس فيه من الرجاء شيء. فقال لي: أعرفت حديث مالك بن الحويرث يقول الله ـ جلّ ذكره ـ «إذا شغل عبدي ثناؤه عليَّ عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين؟»، قال: نعم، أنت حدثتنيه عن منصور عن مالك بن الحويرث. قال: فهذا تفسير ذلك! ثم قال: أعلمت ما قال أمية بن أبي الصلت حين خرج إلى ابن جدعان يطلب نائله؟، قلت: لا أدري، قال: قال فيه[٢]:

أأذكرُ حاجتي أمْ قدْ كفاني حياؤُك إنَّ شيمتَكَ الحياءُ
إذا أثنى عليكَ المرءُ يوماً كفاهُ مِنْ تعرضه الثَّناءُ

ثم قال سفيان: فهذا مخلوق بسبب الجود، قيل له: يكفينا من مسألتك أن نثني عليك ونسكت حتى تأتي حاجتنا، فكيف بالحق ـ عزّ وجل.

وكان ابن جدعان ممن حرم على نفسه الخمر في الجاهلية؛ وذلك أنَّ أمية شرب معه؛ فلما أصبح رأى بعين أمية أثراً، فقال: ما هذا؟، فعرّفه أنه فُعل به فأعطاه عشرة آلاف درهم دية عينه، وقال: الخمر عليّ حرام.

[٢٩]

مُتَيَّم الهشامية[٣]

كانت متيّم سرور، ومديم غرور، لو مرّت بأم خشفٍ سانح، سلبت منها ما في

---

(١) ديوانه ٣٠٩. (٢) الاغاني ٨/ ٣٤١.

(٣) سترد هذه الترجمة مكررة في هذا السفر برقم (١١٤).
مُتَيَّم الهِشَامِيَّة، مولاة لبانة بنت عبد الله بن اسماعيل المواكبي: شاعرة عارفة بالأدب أحسنت صناعة الغناء. ولدت ونشأت وتأدبت في البصرة. واشتراها علي بن هشام (أحد القواد في جيش المأمون) فنسبت إليه. وولدت له. ولما مات عتقت. واتصلت بالمأمون العباسي، فكان يبعث إليها كثيراً فتغنيه وتسامره. واختص بها المعتصم في خلافته، فأشخصها معه إلى سامراء، فكانت إذا أرادت زيارة بغداد استأذنته فتقيم أياماً وتعود، توفيت سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م.

الجوانح. كانت لبني هاشم سرّة البطحاء، ومسرّة أهل الروحاء. نشأت في تلك البيوت يمتع بحلولها، ويحدّ لحاظها في غلولها. إذا غنت، تجدد صبوة الهرم، وتشبّ صفحة الماء فيضطرم، لا تحلو بادي سراةٍ لها من ذكر لا ينصرف سراه، ولا يتفرّق مجمع أولها فضل عليه مجمع ودامت.

قال أبو الفرج: كلَّم علي بن هشام / ٩٠/ متيمًا بشيء، فأجابته جواباً لم يرضه، فدفع في صدرها، فغضبت، ونهضت، وتثاقلت عن الخروج إليه، فكتب إليها[(١)]: [من الطويل]

فليتَ يَدِي بانتْ غَدَاةَ مددتُها ... إليكِ فلمْ تَرْجِعْ بكفٍّ وساعِدِ
فإنْ يُرجعِ الرحمانُ ما كان بينَنا ... فلستُ إلى يومِ التنادِي بعائدِ

قال: فتمادى غضبها، وترضاها، فلم ترض، فكتب إليها: إلادلال يدعو إلى الآمال، وربّ هجر دعا إلى صبر، وإنما سميّ القلب قلباً لتقلّبه، ولقد صدق العباس بن الأحنف[(٢)] حيث يقول[(٣)]: [من الخفيف]

ما أُرَاني إلا سأَهجرُ مَنْ ليـ ... سَ يَرَاني أَقوى على الهِجْرَانِ
ملَّني واثقاً يُحْسنِ وفائي ... ما أَضَرَّ الوفاءَ بالإنسانِ

قال: مرّت متيّم في نسوة، وهي متخفية، بقصر علي بن هشام بعد أن قتل؛ فلما رأت بابه مغلقاً لا أنيس به، وقد علاه التراب، وقد طرحت في أفنيته المزابل، وقفت

=
ترجمتها في: الأغاني، طبعة دار الكتب ٧/ ٣١٢-٣٢٦ وانظر فهرسته. والنويري ٥/ ٦٢ وجاء اسمها فيه «متيم الهاشمية» وكذا في الدر المنثور ٤٨٨ وهو تصحيف، الاعلام ٥/ ٢٧٥.

(١) الأغاني ٧/ ٣١٧.

(٢) الاغاني ٧/ ٣١٨.

العبّاس بن الأحَنَفْ بن الأسود الحنفي اليمامي، أبو الفضل: شاعر غزل رقيق، قال فيه البحتري: أغزل الناس. أصله من اليمامة (في نجد) وكان أهله في البصرة. وبها مات أبوه. ونشأ هو ببغداد ، وتوفي بها سنة ١٩٢هـ/ ٨٠٨م وقيل بالبصرة. خالف الشعراء في طريقتهم فلم يمدح ولم يهجُ، بل كان شعره كله غزلاً وتشبيباً. له «ديوان شعر - ط» وهو خال إبراهيم بن العباس الصولي .

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٤٥ ومعاهد التنصيص ١/ ٥٤ والأغاني ٨/ ٣٦٦-٣٧٨ والشعر والشعراء ٣٣٥ والنجوم الزاهرة ٢/ ١٢٧ والبداية والنهاية ١٠/ ٢٠٩ وفيه: أصله من عرب خراسان، ومنشأه ببغداد، وتاريخ بغداد ١٢/ ١٢٧ وفيه ما خلاصته: انتقل أهله من البصرة إلى خراسان ونشأ هو ببغداد، ومات بالبصرة. الاعلام ٣/ ٢٥٩. الموسوعة الموجزة ١٨/ ٥٣. معجم الشعراء للجبوري ٣/ ٤٢.

(٣) ديوانه ٢٦٢.

عليه وتمثلت[١]:

يـا مـنـزلاً لـمْ تَـبْـلَ أطـلالُـهُ حـاشـا لأطـلالِـكَ أن تَـبْـلَـى
لـمْ أبـكِ أطـلالَـكَ لـكـنَّـنـي بـكـيـتُ عـيـشـي فـيـكَ إذْ ولَّـى
قـدْ كـانَ لـي فـيـكَ هـوًى مـرةً غـيَّـبَـهُ الـتُّـرْبُ فَـمَـا مَـلاَّ
فـصـرتُ أَبـكـي بـعـدَهُ جـاهـداً عـنـدَ ادّكـاري حـيـثُ إذ حَـلاَّ
والـعـيشُ أولَـى مـا بـكـاهُ الـفَـتَـى لا بُـدَّ لـلـمـحـزونِ أنْ يَـسْـلَـى

قال: ثم بكت حتى سقطت من قامتها، وجعل النسوة يقلن لها نفسك؛ فإنك تؤخذين الآن. فبعد لأيٍ احتُملت بين امرأتين حتى جاوزت الموضع.

[٣٠]

سَلاَّمَة القَسّ[٢]

وكانت شمس كواكب، وأنس لاعب، لو قابلت البدر، لاستتر، أو هابت النسيم، لفتر، وقد طالت مُنًى وطابت جنًى، وعرفت بالقس؛ لأنَّ بها لا يقاس، لأنَّ كل قلب لها دير أو كناس، أوفقت الغوادي، وبدتْ كالقمر البادي إلى غناء تخليس الجليس، وتحبيس الظعائن، /٩١/ وقد شدت العيس، يغني عن منّة الأوتار، وزنة الإعلان عند بلوغ الأوطار.

قال أبو الفرج: إنما سميت سلامة القس؛ لأنَّ رجلاً يعرف بعبد الرحمن بن عمار الجشمي من قراء أهل مكة، كان يلقب القس لعبادته وأنه مرَّ بمنزل أستاذ سلامة، فسمع غناءها فهويها وهويته، وشُغف بها، واشتهر حتى غلب عليها لقبه. وفيها يقول[٣]: [من الوافر]

---

(١) الإماء الشعراء ١٢٠، الأغاني ٧/ ٣٢٠ـ ٣٢١.

(٢) سَلاَّمَة القَسِّ: مغنية شاعرة، من مولدات المدينة. نشأت بها، وأخذت الغناء عن معبد وطبقته، فمهرت في الغناء وحذقت الضرب على الأوتار، وقالت الشعر الكثير. وشغف بها عبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي (من قراء مكة) الملقب بالقَسّ لكثرة عبادته، وكان تابعياً، فنسبت إليه وغلب عليه لقبه. وسمع بها يزيد بن عبد الملك، فاشتراها ـ قيل بعشرين ألف دينار ـ فانتقلت إلى دمشق، وبقيت عنده إلى أن توفي. ولها شعر في رثائه. وكان يقدم عليها حبابة. وأدركت سلامة مقتل الوليد بن يزيد، توفيت نحو سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٨م.
ترجمتها في: الأغاني ٨/ ٣٤٧ـ ٣٦٥ والدر المنثور ٢٥٠ وأعلام النساء ٢/ ٦٢٦، والتاج/ مادة سلم، الاعلام ٣/ ١٠٧.

(٣) لعبد الرحمن بن عمار الجشمي في الأغاني ٨/ ٣٤٨.

أهابُكِ أنْ أقولَ بَذَلْتُ نفسي ... وَلَوْ أَنِّي أُطِيْعُ القلبَ قالا
حياءً منكِ حتّى سُلَّ جسمي ... وشقَّ عليَّ كِتماني وطالا

قال إسحاق: كانت حبابة وسلاّمة من قيان أهل المدينة، وكانتا حاذقتين، ضاربتين، طريفتين، وكانت سلامة أحسنهما غناء، وحبابة أحسنهما وجهاً، وكانت سلامة تقول الشعر، وكانت حبابة تعاطاه فلا تحسنه.

قال أيوب بن عباية: كانت سلامة أحسنهما غناءً؛ وهي المقدمة، فلما صارتا إلى يزيد بن عبد الملك، ورأت حبابة إيثار يزيد لها، ومحبته إياها استخفت لسلامة، فقالت لها: يا أخية نسيت فضيلتي عليك، ويلك أين تأديب الغناء، وأين خلق التعليم، أنسيت قول جميلة وهي تطارحنا وتقول لك: خذي اتقان ما أطارحك من أختك سلامة، ولا تزالين بخير ما بقيتْ لك، وكان أمركما مؤتلفاً، قالت: صدقت يا أخت، والله لا عُدْت إلى شيء تكرهينه، فما عادت إلى مكروه، وماتت حبابة، وعاشت سلامة بعدها زماناً طويلاً.

قال: لما قدم عثمان بن حيان المري المدينة والياً عليها، قال له قوم من وجوه الناس: إنك وليت المدينة على كثرة من الفساد، فإن كنت تريد أن تصلح، فظهرها من الغناء والزناء، فصاح في ذلك، وأجل أهله ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة، وكان ابن أبي عتيق غائباً؛ فلما كان آخر ليلة من الأجل، قدم. قال: لا أدخل على منزلي حتى أدخل على سلامة القس، فدخل عليها، فقال: ما دخلت منزلي حتى جئتكم أسلّم عليكم، قالوا: ما أغفلك عن أمرنا، وأخبروه الخبر، فقال: /٩٢/ اصبروا الليلة، فقالوا: نخاف لا يمكنك شيء، قال: إن خفتم شيئاً، فأخرجوا في السحر، ثم خرج فاستأذن على عثمان بن حيان، فأذن له وذكر عيينة أنه جاء لقضاء حقّه ثم جزاه خيراً على ما فعل من إخراج أهل الغناء والزناء، وقال: لا تكون عملت عملاً هو خير لك من ذلك، قال عثمان: قد فعلت وأشار به علي أصحابك. قال: قد أصبت، ولكن ما تقول أكرمك الله في امرأة كانت هذه صناعتها، وكانت تكره على ذلك، ثم تركته، وأقبلت على الصوم والصلاة، والخير، وإني رسولها إليك تقول: أتوجه إليك وأدعو بك أن تخرجني من جوار رسول الله ﷺ ومسجده. قال: فإني أدعها لك، ولكلامك. قال ابن أبي عتيق: لا يدعك الناس، ولكن تأتيك، وتسمع كلامها، وتنظر إليها؛ فإن رأيت أن مثلها ينبغي أن تترك تركتها، قال: نعم، فجاء بها، وقال: احملي معك سبحة، وتخشعي ففعلت؛ فلما دخلتْ عليه حدّثته، فإذا هي أعلم الناس بالأخبار والأحاديث، فأعجب بها، وحدّثته عن آبائه وأمورهم، ففكر لذلك فقال لها ابن أبي

عتيق: اقرأي على الأمير، فقرأت له، فقال: إحدي للأمير، ففعلت، فكثر عجبه بها، فقال: كيف لو سمعتها في صناعتها؟ فلم يزل يزين لها شيئاً بعد شيء حتى أمرها بالغناء، فقال لها ابن أبي عتيق عند ذلك غنّ[١]: [من الطويل]

سَدَدْنَ خَصاصَ الخَيْمِ لما دخَلْنَهْ بِكُلِّ لَبانٍ واضحٍ وجَبِيْنِ

فغنته، فقام عثمان من مجلسه، فقعد بين يديها، ثم قال: لا والله ما مثل هذه من يخرج، فقال له ابن أبي عتيق: لا يدعك الناس يقولون: أقرَّ سلامة، واخرج غيرها، قال: فدعوهم جميعاً، فتركوا، وأصبح الناس يتحدّثون بذلك، يقولون: كلم ابن أبي عتيق في سلامة، فتركوا جميعاً.

قال ابن أبي أويس: كان يزيد بن عبد الملك [يقول]: ما يقرّ بعيني ما أوتيت من أمر الخلافة حتى اشتروا سلامة وحبابة، فأرسل فاشترينا، فلما اجتمعنا عنده، قال: أنا والله كما قال الشاعر[٢]: [من الطويل]

فألقَتْ عَصاها فاستقرَّ بها النَّوى كما قَرَّ عَيناً بالإيابِ المُسافر

/ ٩٣/ فلما توفي يزيد رثته سلامة، وهي تنوح على قبره[٣]:

لا تَمَلَّنا إن خَشَعْنا أَوْ هَمَمْنا بخُشُوعِ
إذْ فَقَدْنا سَيِّداً كا نَ لنا غيرَ مُضِيْعِ
قدْ لَعَمْرِي بِتُّ لَيْلي كأخِي الداءِ الوجِيْعِ
كلما أبصرتُ رَبْعاً خالياً فاضتْ دُمُوعِي

[٣١]

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر[٤]

توشح بالأدب، وترشح للطلب، واقتنى الجواري، وأخذهن بالإحسان، وألقى

---

(١) الأغاني ٨/ ٣٥٦.
(٢) لمرداس بن أبي عامر في المنتحل ١/ ٩٥.
(٣) للأحوص الأنصاري في ديوانه ١٩٨ـ ١٩٩.
(٤) عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخُزَاعي، أبو أحمد، وقد يعرف بابن طاهر: أمير، من الأدباء الشعراء. انتهت إليه رياسة أسرته. ولي شرطة بغداد. ومولده فيها سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م وفيها وفاته أيضاً سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٣م. وكان مهيباً، رفيع المنزلة عند المعتضد العباسي، له براعة في الهندسة والموسيقى، حسن الترسل. وله تصانيف، منها «الإشارة» في أخبار الشعراء، و«السياسة الملوكية» و«البراعة والفصاحة» و«مراسلات» مع ابن المعتز، جمعها في كتاب .

=

عليهن الأصوات، وأبقى لهن حياةً في الأموات، ولم يكن يُذكر بالغناء إلا جواريه، ولا يظهر، ولو فعل لم يكن أحد يباريه، وإنما كان كلفاً بالشعر، والإحسان قريضه، ومحاسن تصريحه وتعريضه، وهو فرع من تلك الخضراء، وبقية من تلك الدولة الغراء.

قال أبو الفرج، قال جحظة: كان المعتضد بصوت الصنعة لساعي، فأرسل إلى عبيد الله يقسم بأن يأمرها بزيارته، ففعل.

قال جحظة: فحدّثني من حضر من المغنيات ذلك المجلس يخدمن المعتضد، قلن: دخلت علينا، وما منا إلا من يرفل في الحلي والحلل؛ وهي في أثواب ليست كأثوابنا، فاحتقرناها؛ فلما غنت، احتقرنا أنفسنا، ولم يزل كذلك حالنا إلى أن صارت في أعيننا كالجبل، وصرنا كلا شيء، قال: ولما انصرفت أمر لها المعتضد بمالٍ وكسوة، ودخلت على مولاها، فجعل يسألها عن خبرها، وما استطرفت مما رأت، وما استغربت مما سمعت؟ فقالت: ما استحسنت هناك، ولا استغربته من غناء، ولا غيره إلا عوداً محفوراً من عودٍ، فإني استظرفته. قال جحظة: فما قولك فيمن دخل إلى دار الخلافة، فلم تمتدّ عينه إلى شيء استحسنه إلا عوداً؟

=

ترجمته في: تاريخ الطبري ٩/ ٢٥٨، ٢٩٦، ٣١٠، ٣١١، ٣١٣، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٤٢، ٣٤٨، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٨٠، ٣٩٩ـ ٤٠١، ٤٤٠، ٥٤٩، ٦١٣ و١٠/ ١٦، ٤١، ٤٩، ١١٩، والمعجم الصغير للطبراني ١/ ٢٣٩، ٢٤٠ وفيه: «عبيد الله بن عبد الله بن طاهر»، وتاريخ بغداد ١٠/ ٣٤٠ـ ٣٤٤ رقم ٥٤٧٩، ومروج الذهب ٣٠٦٠، والفرج بعد الشدّة للتنوخي ١/ ١٥١، ٢٣٧، ٣٥٣ و٢/ ١٠٤ و٣/ ١٠٥، ٣٥٩، ٣٦٢ و٥/ ١٩، ٣٤، ٧٣، وثمار القلوب ٢٠٩، ٢٩٢، ٥٧٣، ٦١١، ٣٦٤، ٦٤٦، ٦٦٦، ٦٩٣، وخاص الخاص ١٠٥، ويتيمة الدهر للثعالبي ١/ ٩٨، والمطرب له ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٩، ٢٨٥، وأحسن ما سمعت له ٦٠، ٧٣، ١٤٤، وأشعار أولاد الخلفاء ٣٧، ١١٣، ١٣٢، والفهرست لابن النديم ١٧٠، والأغاني ٩/ ٤٠ـ ٤٨، وتحسين القبيح ٥٤، وربيع الأبرار ٤/ ١٢١، ١٤٦، والأمالي للقالي ١/ ١٨٠ و٣/ ٩٩، وأمالي المرتضى ١/ ٤٤٩ و٢/ ١١٩، والجليس الصالح ٣/ ١٤٦، والتذكرة الحمدونية ١/ ٤٤٠، و٢/ ٢٦٤، ٢٧٠، وسراج الملوك ٣٤٩، ونثر الدرّ للآبي ٤/ ٨٣ و٥/ ٢٩، والبصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ٦، رقم ٦٢٣، والبيان والتبيين ٣/ ٤٥، وكتاب العصا لابن منقذ ٣٠٤، والكامل في التاريخ ٨/ ٧٥، والمنتظم ٦/ ١١٨، ٢٨٣، والفخري ٢٧٤، ونزهة الألبّاء ١٢١، ووفيات الأعيان ٢/ ١٤٨، ٥٢٠ و٣/ ٨٩ (١٢٠ـ ١٢٣) و٤/ ٣٤٠ و٥/ ٩٣ و٦/ ٤١٢، ٤١٣، ٤١٧، ٤٣٠، وصلة تاريخ الطبري لعُريب ٢٢، والديارات للشابشتي ٧١ـ ٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٢ رقم ٣٢، والبداية والنهاية ١١/ ١١٩، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٨٠، ١٨١، والأعلام ٤/ ٢٥٠، والروض المعطار ٢١٧، ٢٥٢، ٣١١، ٣٨٤، وآثار البلاد ٣١٥، ٣٩٥، ٣٩٦، تاريخ الاسلام (السنوات ٢٩١ـ ٣٠٠هـ) ص ١٩٨ـ ٢٠٠ رقم ٢٨٨ وفيه «عبيد الله بن طاهر بن الحسين».

قال بعضهم: كنت عند عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وعنده أخوه محمد يأمره بإحضاري، وتقليدي القضاء، وقد بلغتُ هذا السن وأتولى القضاء بعدها، وبعدما قد رويت: مَنْ ولي القضاء، فقد ذبح بغير سكين؟ / ٩٤/ فقال محمد: فتلحق أمير المؤمنين بسرّ من رأى، وتسأله: إعفاءك، قال: افعل، فأمر له بمال ينفقه، وبظهر يحمله، ويحمل ثقله.

ثم قال: إن رأيت يا أبا عبد الله أن تفيدنا منك شيئاً قبل أن نفترق. قال: انصرفت من عمرة المحرم، فبينما أنا بالعَرْج، إذ أنا بجماعة مجتمعة فأقبلت إليهم فإذا أنا برجل كان يتقبّض الظباء، وقد وقع ظبي في حبائله، فذبحه، فانتفض في يده، فضرب بقرنه صدره، فمات.

وأقبلت فتاة كأنها المهاة؛ فلما رأت زوجها ميتاً، شهقت، وقالت[1]: [من البسيط]

يا حصنُ جَمَّعَ أحشائي وقَلْقَلَها ... رَدَاكَ يا حصنُ لولا غرَّةٌ جَلَلُ
أضحتْ فتاةُ بني نهدٍ عَلانيةً ... وبعلُها فوقَ أيدي القومِ مُحْتَمَلُ

قال: ثم شهقت، فماتت؛ فما رأيت أعجب من الثلاثة: الظبي مذبوح، والرجل ميت جريح، والفتاة ميتة حرّى. قال: فأمر له عبيد الله بمال أجزاه، ثم أقبل على أخيه محمد، فقال له: أما إنّ الذي أخذنا من الفائدة من خبر حَسَن، وفي قولها:

أضحتْ فتاةُ بني نهدٍ علانيةً

تريد ظاهره أكثر مما أعطيناه من الصلة.

ومن شعر عبيد الله بن طاهر[2]: [من الطويل]

فانفقْ إذا أَيسرتَ غيرَ مُقَصِّر ... وانفقْ إذا خيّلتَ أنَّكَ مُعْسِرُ
فلا الجودُ يُفني المالَ والجَدُّ مقبِلُ ... ولا البُخْلُ يبقي المالَ والجَدّ مُدْبِرُ

[٣٢]

محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر[3]

رئيس طرب، يستحيي صوته الورقاء إذا ناحت، وذات اللقاء إذا باحت، طالما

---

(١) الاغاني ٩/ ٥٤. (٢) الاغاني ٩/ ٥٣.

(٣) محمد بن الحارث بن بُسخَنَّر، ويكنى ابا جعفر. وهم فيما يزعمون موالي المنصور. واحسبه ولاء خدمة لا ولاء عتق، وأصلهم من الري. وكان محمد يزعم انه من ولد بهرام جوبين. وولد محمد =

صبّ الدموع دماً، وصدّ الثاكل أن يتذكر عدما، لو باكى السيل لاستوقفه إذ جرى، أو شاكى المُسهَّد لأشغله عن الكرى، راق الخلفاء كأس غنائه، واتخذوه لذماء الروح أجلّ غذائه، فكانوا لا يرون سروراً بغيره يتم، ولا حبوراً بسواه يلمّ.

قال أبو الفرج: كان قديماً يغني بالمعزفة / ٩٥/ ، وكانت تحمل معه [إلى] دار الخلافة، فمرَّ غلامه بها يوماً، فقال قوم: كانوا جلوساً على الطريق: مع هذا الغلام مصيدة الفأر، فقال بعضهم: لا هذه معزفة محمد بن الحارث، فحلف يومئذ بالطلاق والعتاق لا يغني بمعزفة أبداً آنفةً أن ينسبه التي يغني بها بمصيدة الفار، فصار يغني مرتجلاً، وكان أحسن الناس أخذاً للغناء، وأحسنهم أداءً.

قال أبو عبد الله الهاشمي: سمعت إسحاق المصعبي يقول للواثق، قال لي إسحاق بن إبراهيم الموصلي: ما قدر أحد أن يأخذ شيئاً مستوياً إلا محمد بن الحارث، فقال له الواثق: حدّثني إسحاق عن إسحاق الموصلي بكذا وكذا، قال: قد قال لي إسحاق مراراً، قال له الواثق، فأيّ شيء أخذت من صنعته أحسن عندك، فقال ـ وهو يزعم: أنه لم يأخذ منه أحد قطّ ـ هذا الصوت كما أخذته، وهو هذا[1]: [من الطويل]

إذا المرءُ قاسَى الدَّهرَ وابيضَّ رأسُهُ ... وثُلِّم تثليمَ الإناءِ جوانبُهْ
فليسَ له في العيشِ خيرٌ وإن بكى ... على العيشِ أوْ رَجَّى الَّذي هوَ كاذِبُهْ

فأمره الواثق أن يغنيه إياه، فأحسن واستعاده الواثق منه، فاستحسنه، وأمره بردّه مراراً حتى أخذه الواثق، وأخذه جواريه والمغنون.

وذكر يحيى المنجم: أن إسحاق غنّى بحضرة الواثق[2]: [من الطويل]

ذكرتُكِ إذْ مرَّتْ بنا أمُّ شادِنٍ ... أمامَ المَطايا تَشْرَئِبُّ وتَسْنَحُ

= بالحيرة، وكان يغني مرتجلاً الاّ ان اصل ما غنى عليه المعزفة، وكانت لا تحمل معه إلى دار الخليفة... وكان محمد أحسن خلق الله تعالى أداء، واسرعه أخذاً للغناء.

وفي ترجمة اخرى: مولى المنصور، وأصله من الري، من اولاد المرازبة، وكان الحارث ابن بسخنر أبوه رفيع القدر عند السلطان، من وجوه قواده وولاه الهادي ـ ويقال الرشيد ـ الحرب والخراج بكور الاهواز كلها.

وعن ابراهيم بن المهدي اخذ الغناء. ومن بحره استسقى وعلى منهاجه جرى.

وكان محمد يغني بالمعزفة فنقله (ابراهيم بن المهدي) إلى العود وواظب عليه حتى حذقه.

ترجمته في: الاغاني ١٢/ ٦١ـ ٦٨.

(١) الشعر لإسحاق الموصلي في ديوانه ٩٠، الأغاني ١٢/ ٦٣.

(٢) لذي الرمة في ديوانه ٢/ ١١٩٧، الأغاني ١٢/ ٦٥.

مِنَ الولفاتِ الرَّملِ أدماءُ حُرَّةٌ   شعاعُ الضُّحَى مِنْ مَتْنِها يَتَوَضَّحُ

فأمر الواثق أن يعيده على الجواري، وأحلفه بحياته أن ينصح فيه، فقال: لا يستطعن الجواري أن يأخذنه مني، ولكن يحضر محمد بن الحارث، فيأخذه مني، ويأخذنه الجواري منه، فأحضره، وألقاه عليه، فأخذه منه، وألقاه على الجواري.

قال أحمد بن الحسن بن هشام: جاءني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر يوماً، فقال لي: قم حتى أطفل بك على صديق لي حر، وله جارية أحسن خلق الله تعالى وجهاً وغناءً، فقلت: أنت طفيلي وتطفل بي. هذا والله /٩٦/ أحسن حالٍ، وقمت معه، فقصد بي دار رجل من فتيان سر من رأى كان لي صديقاً، ويكنى أبا صالح، وقد غيّرت كنيته على سبيل القلب، فلقب أبا الصالحات، وكان ظريفاً، حسن المروءة، ويضرب بالعود على مذهب الفرس ضرباً حسناً، ولم يكن منزله يخلو من طعام وشراب؛ لكثرة من يقصده من إخوانه؛ فلما طرق بابه، قلت: فرجت عن صديقي، فدخلنا، وقدم إلينا طعاماً نظيفاً، فأكلنا وأحضر النبيذ، وأحضر جاريته، فغنَّت غناء حسناً، ثم غنت صوتاً كانت أخذته من محمد بن الحارث من صنعته، والشعر لابن أبي عيينة[1]: [من الكامل]

ضيَّعتِ عَهْدَ فتًى لعهدِكِ حافظٍ   في حفظِهِ عَجَبٌ وفي تضْييعِكِ[2]

إنْ تقتُليهِ وتّذْهبي بفُؤادِهِ   فبحُسْنِ وجهكِ لا بحُسْنِ صَنِيْعِكِ

فطرب محمد بن الحارث ونقطها بدنانير مُسَيَّفة كانت في خريطته، ووجّه بغلامه، فجاءها ببرنية فيها غالية، فغلفها منها، ووهبها الباقي، وكان معنا أخ لمحمد بن الحارث يكنى أبا هارون، ظريف، طيب، فطرب، ونعر، ونخر، وقال لأخيه: والله إني أريد أن أقول لك شيئاً في السرّ، وأسألك أن تخبرني هل فيه حرج؟، قال: قله

(١) لابن أبي عيينة في الأغاني ١٢/ ٦٧.
وهو أبو عيينة اسمه، وكنيته ابو المنهال، وابن أبي عيينة هو محمد ابن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة.
كان أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة يهوى فاطمة بنت عمر بن حفص الملقب هزار مرد وكانت امرأة نبيلة، شريفة. وكان يخاف أهلها ان يذكرها تصريحاً، ويرهب زوجها عيسى بن سليمان، فكان يقول الشعر في جارية لها يقال لها دنيا .وكان ابن أبي عيينة من أطبع الناس، وأقربهم مأخذاً من غير ادب موصوف، ولا رواية كثيرة .وكان يقرب البعيد، ويحذف الفضول، ويقل التكلف، وكان اصغر من اخيه عبد الله ومات قبله .
كان جنديا في عداد الشطار.
ترجمته في: الأغاني ٢٠/ ٨٥- ١٣٠.
(٢) الأغاني ١٢/ ٦٧.

علانية، قال: لا يصلح، قال: والله ما بيني وبينك شيء إني إن أقوله جهراً. فقله، قال: أشتهي أن تسأل أبا الصالحات أن ينيكني فعسى صوتي أن ينصلح، ويطيب غنائي، فضحك أبو الصالحات وخجلت الجارية، وغطّت وجهها.

قال أبو العباس: حدّثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر عن أبيه، قال: قال لي الرشيد: أنا على أن أتغدّى عندك في غدٍ. قال: فضاق علي من الأرض العريض فجئت إلى عبد الملك بن صالح، وقلت له: قد وقعت في بلية، قال: وما هي؟ قلت: زعم الرشيد أنه يتغدى عندي غداً، فقال: اذهب ففرغ جهدك للقلايا والمعلكة، ولا تحفل بسوى ذلك، قال: ففعلت؛ فلما جاءني، قال: دعني من تخليطك، وهلمّ إليّ بقلايا ومعلكة، قال: فجئت بها، فقال: ضع يدك على رأسي، واحلف لتصدقني، قال: فوضعت يدي على رأسه وحلفت. /٩٧/ قال: من أشار عليك بهذا؟، قلت: عبد الملك بن صالح، قال: أما والله لو طولب بالعشرة آلاف التي عليه لما تفرغ لفضول الرأي.

قال محمد بن الحارث: كنت مع المأمون، وهو يريد بلاد الروم، ومعه عدّة من المغنين فجلس يوماً والمعتصم والعباس، فبعث إلى المأمون بأصل شاهسفوص، وقد لف على رأسه حرير فجاءني الغلام، وقال: أعد الصوت فأخذته وشممته، ووثبت فغنيته قائماً، ووضعت الأصل بين يدي، وقلت للمغنين: حكم لي أمير المؤمنين عليكم بالحذق بالغناء، قال: وكيف وقد دفع إليَّ لواء الغناء من بينكم؟، قالوا: ليس كما ذكرت، ولكن حيّاك إذ أطربته، والرسول قائم فانصرف بالخبر، فما لبث أن رجع، فقال كما قلت.

قال صنع محمد بن الحارث لحناً في[1]: [من مجزوء الكامل]

أَصبحتُ عبداً مسترَقَّا أبكي الأُلى سكنُوا دمشقا
أعطيتُهمْ قلبي فَمَنْ يبقى بلا قلبٍ فأَبْقَى

وطرحه على المسدود الطنبوري، فوقع له موقعاً حسناً، واستحسنه محمد بن الحارث منه، فقال له: أتحبّ أن أهبه لك؟، قال: نعم، قال: قد فعلت، فكان المسدود يغنيه ويدعيه، إنما هو لمحمد بن الحارث.

قال: دعا إسحاق بن إبراهيم المصعبي المأمون فصار إليه معه المعتصم وعبد الله بن طاهر وسائر جلسائه ومغنيه؛ فلما جلس المأمون على شرابه كان ممن حضر

---

(١) الأغاني ٢٣/ ٨٧.

المجلس من المغنين محمد بن الحارث، وقد شاع في المأمون الطرب فغناه[١]: [من المنسرح]

لَوْ كانَ حَوْلِي بنو أُميَّةَ لَمْ يَنطِقْ رِجالٌ أَرَاهُمْ نَطَقُوا

قال: فغضب المأمون، ودارت عينه في رأسه، وكان لا يكاد يغضب، فإذا غضب، بلغ غاية الغضب، ثم التفت إليه، فقال: تغنيني في وقت سروري، وساعة طربي في شعر تمدح فيه أعدائي، وأنت مولاي، وربيب نعمتي؟! ادعوا أحمد /٩٨/ ابن هشام، وكان على حرسه، وكان المأمون لا يمضي إلى موضع إلا ومعه صاحب شرطته وحرسه، وكان أحمد قاعداً في حرّاقة على باب إسحاق في دجلة، فجاء أحمد حتى مثل بين يديه، وكان عبد الله بن طاهر قد قام ليجدد وضوءاً فقال أحمد: خذه إليك فاضرب عنقه، وانتسفه من الأرض، ومرَّ به مبادراً لينفذ أمره فيه، ولم يتهيأ لإسحاق كلام المأمون فيه، وعدل إلى عبد الله بن طاهر، فأخبره الخبر، وقال: إن تهيأ هذا في منزلي يوم فخري وسروري، كانت سنة عليّ، وعلى أهلي فهدأ أحمد، فسأله أن يتوقف، ويبادر إلى أمير المؤمنين يسأله العفو عنه، فقال عبد الله بن طاهر لأحمد في التوقف عنه، وجاء حتى قام بين يدي المأمون، وهو على غضب، فأمره بالجلوس، فأبي، فقال: ولم؟، قال: يا أمير المؤمنين نعمك عليّ جليلة، ومننك لدي نفيسة، وفي نفسي وأهلي عظيمة، وهذا يوم شرفت فيه ابن عمي إسحاق بزيارته، ورفعت بذلك من قدره، وأعلنت من ذكره، وقد كان من هذا الجاهل ما كان فلم في سعة خلق أمير المؤمنين، وكرم عفوه أن يعود عليه بفضله، والطَّول بصفحه، ولا يخرجه إلى ما خرج من الأمر بقتله، فإنّ هذا شيء إن تهيأ في منزل خادمه كان سُبّة عليه وعلينا إلى آخر الدهر، هذا إلى حرمة محمد وخدمته، وأن الذي تم عليه كان بسوء الاتفاق لا العمد، فإنَّ رأى أمير المؤمنين أن يعود بحلمه، ويراجع ما عوّد الله خدمه من العفو والإقالة. قال: قد فعلت، وأمر بردّه إلى مجلسه، فجاء فوقف بين يديه، فقال: إياك ومعاودة مثل ما كان منك. وأخذ في لهوٍ ولعب وسرور.

[٣٣]

عبد الله بن طاهر[٢]

ملك علا علوّ النجوم، وجاد جواد الغيوم، وأجاد في كل ضرب من الإحسان،

---

(١) لعبيد الله بن قيس الرقيات في الأغاني ١١/٣٥٩، وديوانه ٧٢.

(٢) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي، بالولاء، أبو العباس: أمير خراسان، =

وكانت أيامه أيام الورد في نيسان، مُحلى النجاد بأدب حلَّ منه النجاد، ووقارٍ رأى

=

ومن أشهر الولاة في العصر العباسي. أصله من «باذغيس» بخراسان. وكان جده الأعلى «زريق» من موالي طلحة بن عبيد الله (المعروف بطلحة الطلحات) ولد سنة ١٨٢هـ/ ٧٩٨م، وولي صاحب الترجمة إمرة الشام، مدة.ونقل إلى مصر سنة ٢١١هـ، فأقام سنة ونقل إلى الدينور. ثم ولاه المأمون خراسان، وظهرت كفائته فكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والريّ والسواد وما يتصل بتلك الأطراف. واستمر إلى أن توفي بنيسابور (وقيل: بمرو) سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م، وللمؤرخين إعجاب بأعماله وثناء عليه.

قال ابن الأثير: كان عبد الله من أكثر الناس بذلاً للمال، مع علم ومعرفة وتجربة، وللشعراء فيه مراثٍ كثيرة.

وقال ابن خلكان: كان عبد الله سيداً نبيلاً عالي الهمة، شهماً، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه.

وقال الذهبي في دول الإسلام: كان عبد الله من كبار الملوك.

وقال الشابشتي: كان المأمون تبناه وربّاه.

ترجمته في: تاريخ خليفة ٤٧٢، والمحبَّر لابن حبيب ٣٧٦، والمعارف لابن قتيبة ٣٩٠ و٣٩١ و٥٢٥، والشعر والشعراء ١/ ٣١، وعيون الأخبار له ١/ ٥١ و٢/ ١٩٨ و٣/ ٥٣ و٥٥، والأخبار الطوال ٤٠٢، والمعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ٧١٩، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٥٦، ٤٥٩، ٤٦١، ٤٦٣، ٤٧٠، ٤٧٢، ٤٧٧، ٤٨٠، وفتوح البلدان للبلاذري ٢١٥، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢١، ٤١٦، ٤١٧، ٥٢٩، وبغداد لابن طيفور ١٨، ١٩، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٣٥، ٤٢، ٤٧، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٨١، ٨٥، ٨٨، وطبقات الشعراء لابن المعتز ١٨٦ـ ١٩٠، ٢٩٩ـ ٣٠١، ٣٠٧، ٤٤٢، ٤٤٨، والبرصان والعرجان للجاحظ ١٧٤، ٢٠١، وأخبار القضاة لوكيع ٣/ ٢٤٠، ٢٦٤، ٢٨٣، وتاريخ الطبري ٨/ ٥٨٠، ٥٨١، ٥٩٢، ٥٩٥، ٥٩٨ـ ٦٠١، ٦٠٩ـ ٦١٣، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٨، ٦٢٢، ٦٤٦، ٦٦٢ و٩/ ٧، ٨٠، ٨٥، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٥ـ ٩٩، ١٠٣ـ ١٠٧، ١١٠، ١٢٢، ١٣١، ٣٣٨، والعقد الفريد ١/ ٥٠، ٢٤٣، ٢٥٠، ٣١٤ـ ٣١٦، ٣٢١ و٢/ ١٣٠، ١٩٨، ٢٠٥، ٢٧٣، ٣١٧، ٤٣٠، ٤٤٩ و٤/ ١٢٤، ١٥٩، ١٩٩، ٢٢٣ و٦/ ٣٤٥، والخراج لقُدامه ١٧٢، ٣١٧، ٣٢١، ٤١٣، والجليس الصالح للجريري ٢/ ٩٦، ومروج الذهب للمسعودي (طبعة الجامعة اللبنانية) ٢٧٩٩، ٢٨١٩، ٢٥٥٦، ٣١٥٨، وتاريخ سِنّي ملوك الأرض لحمزة الأصفهاني ١٦٨، والعيون والحدائق لمجهول ٣/ ٣٦١ـ ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٨٢، ٣٩٩، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٩ـ ٤٦٣، ٤٦٦، ٤٧١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٥، ٥٠٨ـ ٥١٠، ٥١٢، ٥١٤، ٥١٧ـ ٥١٩، ٥٢٣، ٥٢٨، ومقاتل الطالبيين ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٨٠ـ ٥٨٥، ٦٣٩، وروضة العقلاء ٢٥٢، ونثر النظم وحلّ العقد للثعالبي ٤٢، ٥٦، ٥٧، ٥٢ وثمار القلوب للثعالبي ١٩٨، ٢٨٠، ٣٨٤، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، وتحسين القبيح له ٥٥، ٩٥، وولاة مصر للكندي ٢٠٤ـ ٢٠٨، والولاة والقضاة له ١٨٠ـ ١٨٥، ٤٢٩، ٤٣٥، ٤٤٠، والأغاني لأبي الفرج ١٢/ ١٢١ـ ١٤٩، والفرج بعد الشدّة للتنوخي ١/ ١٥٥، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٧، ٣٥٠ـ ٣٥٤ و٢/ ٥٣، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٣، ١٧٥ و٣/ ٣٠، ٥٤، ٨٣، ١١٠، ٢٨٥، ٣٥٩ و٤/ ٣٥٨، وأمالي المرتضى ١/ ١٥٣، ٢٢٧، ٥٨٥ و٢/ ٤٣، وربيع الأبرار للزمخشري ٤/ ١٥، ٣/ ١٩ و١١٨، ٢٦٨، وأمالي القالي ١/ ٥٠، ١٣٠ و٢/ ٢١، ٣/ ٤٩، ٨٨،

=

الطود إليه الافتقار، وهو من أبناء الشيعة العباسية في رأس فرقها، ومجمع طرقها، صعدت فيها حدوده الذروة، وسعدت لتمسكها بالعروة.

وكان عبد الله يتكلم الغناء وهو معبدُه وغريضه، ويده فيه لا تقصر به ولا نهوضه، /٩٩/ إنما كان يخاف الأزراء، ويعد أصواته المنسوبة إليه الأرزاء.

قال أبو الفرج: ذكر المبرد أنَّ المأمون أعطى عبد الله بن طاهر مال مصر لسنة خراجها وضياعها، فوهبه كله، وفرقه على الناس، ورجع صفراً من ذلك فغاظ المأمون فعله، فدخل إليه يوماً بعد مقدمه، فأنشده[1]: [من البسيط]

نفسي فداؤُكَ والأعناقُ خاضعةٌ ... للنائباتِ أبيّاً غيرَ مُهْتَضَمِ
إليكَ أقبلتَ مِنْ أرضٍ أقمتُ بها ... حَولَينِ بعدكَ في شوقٍ وفي أَلَمِ
أَقْفُو مساعِيَكَ اللاّتي خُصِصْتَ بها ... حَذْوَ الشِّراكِ على مثلٍ من الأَدَمِ
فكانَ فضليَ فيها أنّني تَبَعٌ ... لما سَنَنْتَ مِنَ الإحسانِ والكَرَمِ

فضحك المأمون، وقال: أما والله ما نفست عليك مكرمة نافلتها، ولا أحدوثة

=

وتاريخ بغداد ٩/ ٤٨٣ـ ٤٨٩ رقم ٥١١٤، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون ٢/ ٤٩، ٥٠، ١٣٣ـ ١٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، والهفوات النادرة للصابي ٣٦، ٤٣، ٢٥٤، ٣٩٠، وتاريخ حلب للعظيمي ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٤، والكامل في التاريخ ٧/ ١٣ـ ١٦، وبدائع البدائه لابن ظافر ٩٤، ١١١، ٢٨٩، ٣٣٧، ومعجم ما استعجم للبكري ٥٨٣، وتاريخ الزمان لابن العبري ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٩ وفيه (عبد الله بن الطاهر)، والمحاسن والمساوىء للبيهقي ١١٥، ٢٦٢، ٤١٠، ٤٤٤، ٤٤٦، وتهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٢، والأذكياء لابن الجوزي ٥٦، وديوان أبي تمام ٤/ ٤٤٦، والبصائر والذخائر ٢/ ٢/ ٧١٥، ونثر الدّرّ ٢/ ٢٨، ومحاضرات الأدباء ١/ ٤٢١، وتمام المتون ٩١، والمستطرف ١/ ١١٧، ١٣٥، ووفيات الأعيان ١/ ٢٠٠، ٤٢١، ٤٢٣ و٢/ ٢٤، ٥٢٠، ٥٢٢ و(٣/ ٨٣ـ ٨٩) ٩٠ و٤/ ٦١، ٢٧٤، ٢٩١، ٤٤٩ و٦/ ١٨٦، ٤٢٥، ومختصر التاريخ لابن الكازروني ١٦٧، ونهاية الأرب للنويري ٢٢/ ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٥٧، وآثار البلاد للقزويني ٣١٥، ٣٩٥، ٣٩٦، وبدائع السلك في طبائع المُلْك لابن الأزرق ١/ ١٦٥، ٨٣ـ ١٩٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٨٤ـ ٦٨٥ رقم ٢٥٢، ودول الإسلام ١/ ١٣٠، ١٣٨، والعبر ١/ ٣٥٧، ٣٦٦، ٤٠٦، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٠٢ـ ٣٠٣، وتسهيل النظر وتعجيل الظفر للماوردي ١٣٠، والديارات للشابشتي ٨٦ـ ٩١، ومرآة الجنان ٢/ ٩٩ـ ١٠٠، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٣٥ـ ٣٦، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٢٣، والوافي بالوفيات ١٧/ ٢١٩ـ ٢٢٣ رقم ٢٠٥، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ٢٩/ ٢١٦ـ ٢٤٢ رقم ٣٣٥٣، وأمراء دمشق في الإسلام ٤٨ رقم ١٥٥، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٥٢ـ ٢٥٣، ٢٦٥، والروض المعطار ٢١٧، ٢٥٢، ٣١١، ٣٨٤، وشذرات الذهب ٢/ ٦٨، وعصر المأمون ٣/ ٢٩٥ـ ٢٩٧، والأعلام ٤/ ٩٣ـ ٩٤، تاريخ الاسلام (السنوات ٢٢١ـ ٢٣٠هـ) ص ٢٢٩ـ ٢٣٤ رقم ٢١١.

(١) الأغاني ١٢/ ١٢١.

حسن عنك ذكرها، ولكن هذا شيء إذا عودته نفسك، افتقرت ولم تقدر على لمّ شعثك، ولا إصلاح حالك، وزال ما كان في نفسه.

وقال غيره: لما افتتح عبد الله بن طاهر مصر، سوغه المأمون خراجها، فصعد المنبر، فلم يزل حتى أجاز بها ثلاثة آلاف ألف دينار ونحوها، فأتاه معلى الطائي، وقال: أعلموه ما صنع، وكان واجداً عليه، فوقف بين يديه تحت المنبر، وقال: أصلح الله الأمير، أنا معلى الطائي، وقد بلغ مني ما كان منك من جفاءٍ، وغلظة، فلا يغلظنّ على قلبك، ولا يستخفنّك الذي بلغك، أنا الذي أقول[1]: [من البسيط]

يا أعظَمَ الناسِ عفواً عندَ مقدرةٍ وأعظَمَ الناسِ عندَ الجودِ للمالِ
لو أصبحَ النيلُ يجري ماؤُه ذَهباً لما أَشرتَ إلى خزْنٍ بمثقالِ

وهي عدة أبيات، فضحك عبد الله بن طاهر، وقال: يا أبا السمراء أقرضني عشرة آلاف دينار، فما أمسيت أملكها، فأقرضه، فدفعها إلى معلى الطائي.

قال محمد بن الفضل الخراساني ـ أحد قواد عبد الله بن طاهر ـ: لما قال عبد الله بن طاهر قصيدته التي يفتخر فيها بمآثر أبيه وأهله، ويفخر بفضلهم، وبقتلهم المخلوع عارضه محمد بن زياد الأموي الحصني ـ من ولد مسلمة بن عبد الملك ـ فأفرط في السب، وتجاوز قبح الردّ، وتوسط بين القوم وبين بني هاشم / ١٠٠/ فأربى في التوسط، وكان فيما قال فيه[2]: [من المديد]

يا بنَ بنتِ النارِ يوقِدُها ما لحادِيهِ سَرَاوِيلُ
مَنْ حسينٌ مَنْ أبوكَ ومَنْ مُصْعَبٌ غالتكُمُ غُوْلُ
نَسَبٌ في الفَخْرِ مُؤْتَشَبٌ وأُبُوَّاتٌ أَرَاذِيْلُ

وهي قصيدة طويلة؛ فلما ولي عبد الله بن طاهر، ورُدّ إليه أمر الشام، علم الحصني أنه لا يفلت منه إن هرب، ولا ينجو من يده، فثبت في موضعه وأحرز حرمه، وترك أمواله ودوابه، وكل ما يملك في موضعه، وفتح باب حصنه، وجلس عليه يتوقع من عبد الله بن طاهر أن يوقع به؛ فلما شارفنا بلده، وكنا على أن نصبح، دعاني عبد الله في الليل، فقال: أنت عندي الليلة ولتكن فرسك عندك لا تردّ؛ فلما كان في السحر أمر غلمانه وأصحابه أن لا يرحلوا حتى تطلع الشمس، وركب في السحر أنا وخمسة من خواص غلمانه، وسار حتى أصبح الحصن، فرأى بابه مفتوحاً، ورآه جالساً مسترسلاً،

---

(١) لمعلى الطائي في الأغاني ٢/ ١٢٢.
(٢) لمحمد بن زياد الحصني في الاغاني ١٢/ ١٢٤.

فقصده، وسلَّم عليه، ونزل عنده، وقال: ما أحلّك ههنا، وحملك على أن فتحت بابك، ولم تتحصن من هذا الجيش المقبل، ولم تتنحَّ عن عبد الله بن طاهر مع ما في نفسه عليك وما بلغه عنك، فقال: إن الذي قلت لم يذهب علي، وإنما تأملت أمري، وعلمت أني قد أخطأت خطيئة حملني عليها نزق الشباب، وغرّة الحداثة، وأني إن هربت لم آمنه، فباعدت البنات والحرم، واستسلمت بنفسي وكل ما أملك؛ فإني من أهل بين قد أسرع القتل فينا، ولي فيمن مضى أسوة، فإن الرجل إذا قتلني وأخذ مالي، وشفى غيظه، لم يجاوز ذلك إلى الحرم، ولا له فيهن إرب ولا يوجب جرمي إليه أكثر مما بذلته. قال: فوالله ما اتّقاه عبد الله إلا بدموعه تجري على لحيته، ثم قال: أتعرفني؟ قال: لا والله، قال: أنا عبد الله بن طاهر، وقد أمنَّ الله خوفك، وحقن دمك، وصان حريمك، وحرس نعمتك، وعفا عن ذنبك، وما تعجلت إليك وحدي إلا لتأمن من خوف، وأن لا تخالط عفوي عنك روعة. فبكى الحصني، وقام يقبّل رأسه وضمّه إليه عبد الله، وأدناه، ثم قال: أما الآن، فلا بد من عتاب يا أخي، جعلت فداك. قلت شعراً في قومي أفخر بهم، /١٠١/ لم أطعن فيه على حسبك، ولا ادعيت فضلاً عليك، وفخرت بقتل رجل هو وإن كان من قومك، فهم القوم الذين ثأرك عندهم، وكان يسعك السكوت، وإن لم تقترف لم تسرف. فقال: أيها الأمير قد عفوت، فاجعله العفو الذي لا يخالطه تثريب، ولا يكدر صفوه تأنيب، قال: قد فعلت، فقم بنا ندخل منزلك حتى نوجب عليك حقاً بالضيافة، فقام مسروراً فدخلنا منزله، ودعا بالطعام الذي كان أعدّه لنفسه فأكلنا، وجلسنا نشرب في مشترف له، وأقبل الجيش، وأمرني عبد الله أن أتلقاهم فأرحلهم، ولا يُترك أحد منهم في البلد، ثم دعا بدواة، فكتب له يسوغه خراجه سبع سنين، وقال: إن نشطت لنا فالحق بنا وإلا فأقم مكانك، فقال: أنا أتجهَّز، وألحق الأمير، ففعل، ولحق بمصر. ولم يزل عبد الله بن طاهر لا يفارقه حتى دخل العراق، فودّعه، وأقام ببلده.

قال ابن خرداذبة: كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر، وكان نديمه وجليسه، وكان له مؤثراً مقدماً، فأصاب معه، معروفاً كثيراً، وأجازه جوائز سنية، ثم إنه وجد عليه في بعض الأمر، فجفاه، فرجع موسى إلى بغداد، فكتب إليه[1]: [من السريع]

إنْ كـــانَ عـــبـــدُ الله خَـــلانـــا لا مُـــبْـــدِيـــاً عُـــرْفـــاً وإحْـــسَـــانـــا

---

(١) الأغاني ١٢/١٢٣.

فحسبنا اللهُ رَضِينا بِهِ ثُمَّ بعبدِ اللهِ مَولانا

يعني بعبد الله الثاني المأمون، وتغنت فيه جارية لحناً من الثقيل الأول، وسمعه المأمون منها، فاستحسنه، ووصله وإياها، فبلغ ذلك عبد الله بن طاهر، فغاظه، وقال: أجل صنعنا المعروف إلى غير أهله، فضاع.

[٣٤]

معبد اليقطيني(١)

مطرب كم أُخذ عنه صوت، ومجيد كم استُدرك به لمعبد الأول فوت، وإن قيل:

وما قصبات السبق إلا لمعبد

وغنى الأول أنه أعرب قيل ذلك له، وللثاني منه ما أطرب، ثم صل لبيباً، وقتل كئيباً، وفعل بالغناء ما يفعل بالناي. كان أطيب من العود أنفاساً وأقرب إيناساً، يختلب الألباب، ويستلب العقول للأحباب، ويجتلب /١٠٢/ الهوى لذكر زينب اجتلاب الرباب.

قال أبو الفرج، قال عبد الله بن أبي سعيد: حدّثني معبد غلام ابن يقطين. قال: كنت منقطعاً إلى البرامكة أخدمهم وألازمهم، ولا أفارقهم، فبينا أنا ذات يوم في منزلي إذا بابي يُدق، فخرج غلامي، ثم رجع، فقال: على الباب فتىً ظاهر المروءة يستأذن عليك، فأذنت له، فدخل عليّ شابٌ ما رأيت أحسن وجهاً، ولا أنظف ثوباً، ولا أجمل زيّاً منه، عليه آثار السقم ظاهرة، فقال لي: إني أخاف لقاك مُذ مدة فلا أجد إليه سبيلاً. إن لي حاجة، قلت: وما هي؟ فأخرج ثلاثمائة دينار فوضعها بين يدي، ثم قال: أسألك أن تقبلها، وتصنع في بيتين قلتهما لحناً تغنيني به، قلت: هاتها، فأنشدني(٢):
[من البسيط]

والله يا طَرْفِيَ الجاني على بَدَني لتطفِيَنَّ بدَمعِي لوعَةَ الحَزَنِ
أَوْلا أَبُوحَنَّ حَتَّى تحجبُوا سَكَنِي فلا أَرَاهُ وَلَوْ أُدرِجْتُ في كفَني

---

(١) معبد اليقطيني: كان معبد اليقطيني غلاماً مولداً خلاسياً من مولدي المدينة. اشتراه بعض ولد علي بن يقطين وقد شدا بالمدينة، وأخذ الغناء عن جماعة من أهلها، وعن جماعة أخرى من عليه المغنين بالعراق في ذلك الوقت، مثل اسحق، وابن جامع وطبقتهما. ولم يكن فيما ذكر بطيب المسموع ولا خدم احدا من الخلفاء الا الرشيد. ومات في ايامه. وكان أكثر انقطاعه إلى البرامكة.
ترجمته في: الأغاني ١٤/ ١١٥ـ ١١٩.
(٢) الأغاني ١٤/ ١١٦.

قال: فصنعت فيهما لحناً، ثم غنيته إياهما، فأغمي عليه حتى ظننته قد مات، ثم أفاق، فقال: أعد فديتك فناشدته الله في نفسه، وقلت: أخشى أن تموت، فقال: هيهات أنا أشقى من ذلك. وما زال يخضع ويتضرّع حتى أعدته، فصعق صعقة أشدّ من الأولى حتى ظننت أن نفسه قد فاظت، فلما أفاق رددت عليه الدنانير، ووضعتها بين يديه، وقلت له: يا هذا خذ دنانيرك وانصرف عني، فقد قضيت حاجتك، وبلغت طرفاً مما أردته، ولست أحبّ أن أشرك في دمك، فقال: يا هذا لا حاجة لي في الدنانير، وهذه مثلها لك، وأخرج مثلها ثلاثمائة دينار أخرى فوضعها بين يدي، وقال: أعد الصوت عليّ مرة أخرى، وخلاك ذم. فشرهت نفسي إلى الدنانير، فقلت: لا والله، ولا بعشرة أمثالها إلا على ثلاث شرائط، قال: وما هنّ؟، قلت أولهن أن تقيم عندي وتتحرم بطعامي؛ والثانية: أن تشرب أقداحاً من النبيذ تشدّ قلبك وتسكن ما بك؛ والثالثة: أن تحدّثني بقضيتك.

قال: أفعل ما تريد. فأخذت الدنانير ودعوت بالطعام، فأصاب منه إصابة معذر، ثم دعوت بالنبيذ، فشرب أقداحاً، وغنيته بشعر غيره في نحو معناه، فجعل يبكي أَحَرَّ بكاءٍ، وينشج /١٠٣/ أشد نشيج؛ فلما رأيت النبيذ قد شدَّ قلبه، كررت عليه صوته مراراً، ثم قلت: حدثني حديثك، قال: أنا رجل من أهل المدينة، وخرجت متنزهاً في ظاهرها، وقد سال العقيق في فتية من أترابي، فبصرنا بفتيات قد خرجن لمثل ما خرجنا إليه، فجلسن حجزة منا، وبصرت بفتاةٍ كأنَّها قضيب قد طلّه الندى، فأَطَلْنا وأطلْن حتى تفرّق الناس، وانصرفت وقد أثبتت في قلبي جرحاً بطيئاً اندماله، فعدت إلى منزلي، وأنا وقيذ، وخرجت من الغد إلى العقيق وليس به أحد فلم أر لها أثراً فجعلت أتبعها في طرق المدينة، وأسواقها فلم أحسّ بها بعين ولا أثر، وسقمت حتى أيس مني أهلي. وخلت بي ظئرٌ لي واستعملنني، وضمنتْ لي كتمانها، والسعي فيما أحبّه، فأخبرتها بقصتي فقالت لا بأس عليك هذه أيام الربيع، وهي سنة خصب وأنواء، وليس يبعد عنك المطر فأخرج أنا وأنت إلى العقيق، فإنَّ النسوة سيجئن، فإذا فعلن فرأيتها، عرفتها حتى اتبعها، فأعرف موضعها، فأتبعُها وأصل بينك وبينها، وأسعى لك في تزويجها. فكأنَّ نفسي اطمأنت إلى ذلك، ووثقت به، وسكنت إليه. فقويت نفسي وتراجعت، وجاء مطر بعقب ذلك، فسال العقيق، وخرج الناس، وخرجت مع إخواني، فجلسنا مجلسنا الأول بعينه كما كنا، والنسوة أقبلن، فأومتْ إلى ظئري، فجلست حجزة منا ومنهن، وأقبلت إلى إخواني، فقلت: لقد أحسن القائل[1]: [من الطويل]

(١) الاغاني ١٤/١١٨.

رَمَتْني بسهمٍ أَقْصَدَ القلبَ وانْثَنَتْ وقدْ غادرتْ جُرحاً بهِ ونُدُوبا

فأقبلت على صويحباتها، وقالت: أحسن والله القائل حيث يقول[1]: [من الطويل]

بنا مثلُ ما يشكو فصبراً لعلَّنا نرى فَرَجاً يشفي السَّقامَ قريبا

فأمسكت عن الجواب خوفاً أن يظهر ما يفضحني وإياها، وعرفتُ ما أرادت. ثم تفرّق الناس وانصرفنا، فتبعتها ظئري حتى عرفتْ منزلها، وصارت إلي، فأخذت بيدي، ومضينا إليها، فلم نزل نتلطف حتى وصلت إليها فتلاقينا على حال مجالسة، فشاع حديثنا، فحجبها أهلها، فسألت أبي أن يخطبها، فمضى أبي ومشيخة أهلي إلى أبيها، فخطبوها، فقال: لو كان فعل هذا قبل أن يفضحها، لأسعفته بما التمس، فأما الآن، وقد عرَّها، فما / ١٠٤/ كنت لأحقق ظنَّ الناس بتزويجها إياه، فانصرفت على يأس منها ومن نفسي. قال معبد فسألته: أين تنزل؟ فخبرني، وصارت بيننا عشرة، ثم جلس جعفر بن يحيى للشرب، فأتيته، وكان أول صوت غنيته في شعر الفتى، فطرب عليه طرباً شديداً، فقال: ويحك ما سمعت هذا منك قط، فقلت: إن لهذا الصوت حديثاً. قال: فما هو؟ فحدثه، فأمر بإحضاره، فأحضر الفتى بين يديه، فاستعاده الحديث، فأعاده عليه، فقال: هي في ذمتي حتى أزوجك إياها، فطابت نفسه، فأقام معنا حتى أصبح، وغدا جعفر إلى الرشيد، فحدّثه الحديث العجيب، فأعجب منه، وأمر بإحضارنا جميعاً، فأحضرنا وأمر أن أغنيه الصوت، فغنيته، فشرب وطرب، وأمر من وقته بكتاب إلى عامل المدينة بإشخاص الرجل، وأمر ابنته وجميع أهله إلى حضرته، فلم يمض إلا مسافة الطريق، فأحضروا، فأمر الرشيد بإيصاله إليه فأوصل، وخطب الجارية للفتى، وأقسم لا يخالف أمره، فأجابه أبوها، وحمل إليه الرشيد ألف دينار لنفقة الطريق، وألف دينار لجهازها، وأمر للفتى بألفي دينار، ولي بألف دينار، وأمر لنا جعفر بألفي دينار لي وله وكان الفتى بعد ذلك من ندماء جعفر بن يحيى.

[٣٥]

محمّد الزَّفّ[2]

سابق لا يكر معه في حوله، ولا يقرّ معه لصوله، ولا يذكر مع بوارقه برقه، ولا لحلوله، ما أبو كامل عنده ناقص، ولا الكميت المذكور في صوت ابن سريج عنه إلا

---

(١) يتبع ما قبله.

(٢) ترجمته في: الأغاني ١٤/ ١٨٥ـ ١٩٠.

ناكص، ولا ابن محرز معه ممن تحرّز، ولا ابن ميمون الموصلي إلا ممن يغني، وما نسج مثل نسجه، ولا طرّز.

قال أبو الفرج الأصفهاني: كان أسرع خلق الله أخذاً للغناء من جميع الخلق، وأصحّه أداء له. وكان يتعصب على ابن جامع، ويميل إلى إبراهيم وابنه، فكانا يرفعان منه، ويقدمانه ويجلبان له الصلات من الخلفاء، وكان في ابن جامع بخل شديد لا يقتدر معه أن يسعفه ببرٍ، وقد كان ابن جامع إذا غنّى صوتاً أصغى إليه حتى يحكيه، ويلقيه على جماعة المغنين، فغنّى ابن جامع يوماً بحضرة الرشيد[1]: [من الخفيف]

أَرسلتْ تُقرِئُ السلامَ الرَّبابُ ... في كتابٍ وقدْ أتانا الكتابُ

/١٠٥/ فيه: لو زرتَنا لزرناكَ ليلاً ... بِمِنًى حيثُ تستقلُّ الركابُ

قال إسحاق: ونظر إلي الزَّف فغمزته، وقمت إلى الخلاء، فإذا هو جاءني، فقلت: أيّ شيء قد عملت؟ قال: قد فرغت لك منه، فقلت: هاته فردّه علي ثلاث مرات حتى عرفت مقاطعه وفهمته، وصحّ لي، فأخذته، وعدت إلى مجلسي وأنا مسرورٌ، وغمزت عقيداً ومخارقاً، فقاما وتبعهما، فألقاهُ عليهما، وابن جامع لا يعرف الخبر؛ فلما عاد إلى المجلس، أومأت إليهما أسألهما عنه، فعرّفاني أنهما أخذاه؛ فلما بلغ الدور إليّ كان الصوت أول ما غنيته فجدد الرشيد نظره إليَّ. ومات ابن جامع، وأسقط في يده، فقال لي الرشيد: من أين لك هذا؟، قلت: أنا أرويه قديماً، وقد أخذه عني مخارق وعقيد، فقال: غنياه، فوثب ابن جامع، فجلس بين يديه، وحلف بالطلاق ثلاثاً أنه صنعه في ليلته الماضية ما سبقه إليه أحد من الناس، فنظر إليَّ الرشيد، فغمزته بعيني أنه صدق. وجدّ الرشيد في العبث به بقية يومه، ثم سألني بعد ذلك في الخبر، فصدقته، فجعل يضحك ويقول: لكل شيء آفة، وآفة ابن جامع الزَّف.

ومن مشهور صنعته في طريقة الرمل[2]: [من البسيط]

بانَ الحبيبُ فلاحَ الشيبُ في راسي ... وبتُّ منفرِداً وحدِي بوَسْواسِي

ماذا لقيتُ فدتْكِ النفسُ بعدَكُمُ ... مِنَ التبرُّم بالدنيا وبالناسِ

لو كانَ شيءٌ يسلّي القلبَ عنْ شَجَنٍ ... أَسْلَتْ فُؤادِيَ عنكمْ لذّةُ الكاسِ

ما دارتِ الكأسُ إلا كانَ ذكرُكُمُ ... كَأسي وأُنسي [جميعاً] بينَ جُلاَّسي

---

(١) الأغاني ١٤/ ١٨٧.

(٢) الاغاني ١٤/ ١٩٠.

[٣٦]

عثعث[١]

برز في تصاريف العقلاء وتبرأ من تكاليف الثقلاء، واطّرحتْ الخلفاء معه الاحتشام، وجعل بوارق السرور متى ألاح بشام، وكان قمر تلك المجالس، وقمري تلك الرحاب الأوانس، لا يرقل ركائب المدام إلا على حُدائه، ولا تطل خدود الكؤوس إلا بأدنائه. تترنح به المعاطف ترنح الأغصان بالنسيم، وتهتزّ القلوب اهتزاز المُفارق للمعهد القديم.

قال أبو الفرج: قال ابن حمدون: /١٠٦/ قال عثعث: دخلت يوماً على المتوكل، وهو مصطبح وابن المارقي يغنيه شعره[٢]: [من الطويل]

أقاتلتي بالجِيْدِ والخَدِّ والقَدِّ   وباللونِ في وجهٍ أَرَقَّ مِنَ الوَرْدِ

وهو على البركة جالس، وقد طرب، فاستعاده الصوت مراراً، وأقبل عليه، فجلست ساعة، ثم قمت لأبول، فصنعت هزجاً في شعر البحتري[٣] يصف

---

(١) كان عثعث أسود مملوكاً لمحمد بن يحيى بن معاذ، ظهر له منه طبع وحُسنُ أخذ وأداء فعلمه الغناء وخرّجه وأدبه، فبرع في صناعته ويكنى أبا دُلَيجة، وكان مأبوناً. والله أعلم.
ترجمته في: الاغاني ١٤/ ٢٠٩ـ ٢١٤.

(٢) الأغاني ١٤/ ٢١١.

(٣) البُحتُري، الوليد بن عبيد ين يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري: شاعر كبير، يقال لشعره «سلاسل الذهب». وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبي، وأبو تمام، والبحتري. قيل لأبي العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟ فقال: المتنبي وأبو تمام حكيمان، وإنما الشاعر البحتري. ولد بمنبج (بين حلب والفرات) سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م ورحل إلى العراق، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي، ثم عاد إلى الشام، وتوفي بمنبج سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٨م له «ديوان شعر ـ ط» وكتاب الحماسة ـ ط» على مثال حماسة أبي تمام. وللآمدي «الموازنة بين أبي تمام والبحتري ـ ط» وللمعري «عبث الوليد ـ ط» في تصحيح نسخة وقعت له من ديوانه. ولعبد السلام رستم «طيف الوليد أو حياة البحتري ـ ط» ولرفيق فاخوري «البحتري ـ ط» ولحنا نمر؛ ولمحمد صبري «أبو عبادة البحتري ـ ط» ولجرجس كنعان «البحتري، درس وتحليل ـ ط» وكلها رسائل، وفيها ما يحسن الرجوع إليه.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ١٧٥ ومعاهد التنصيص١/ ٢٣٤ والشريشي ١/ ٣٦ وتاريخ بغداد ١٣/ ٤٤٦ ومفتاح السعادة ١/ ١٩٣ وHuart 83 والمنتظم ٦/ ١١ وفيه: وفاته سنة ٢٨٥ ويقول مرجليوث A.S.Margoliouth في دائرة المعارف الإسلامية ٣/ ٣٦٥ـ ٣٦٨ إن النقاد الغربيين يرون البحتري أقل فطنة من المتنبي وأوفر شاعرية من أبي تمام. وفي كتاب العرب والروم ٣٥٢ لفازيليف، بعض ما ورد في شعر البحتري من الاشارات إلى حروب الروم، البحتري: للدكتور =

البركة[1]: [من البسيط]

إذا الـنـجـومُ تـراءَتْ فـي جـوانِـبِـهـا ليـلاً حَـسِبْـتَ سـمـاءً رُكِّـبَـتْ فـيـهـا
وإنْ عَلَتْـهـا الـصَّـبـا أَبَـدَتْ لـنـا حُـبُـكاً مثلَ الـجَـواشـنِ مَـصـقـولاً حـواشِـيـهـا
قـدْ زانَـهـا زِيـنـةٌ مِـنْ بـعـدِ زيـنـتِـهـا أَنَّ اسـمَـهُ حـيـنَ يُـدعـى مِـنْ أسـامِـيـهـا

فلما سكت ابن المفارقي مستوفياً، اندفعت أغني هذا الصوت، فأقبل علي، وقال: أحسنت وحياتي. أعد فأعدت، فشرب ولم يزل يستعيده، ويشرب حتى اتكأ، ثم قال للفتح بن خاقان: بحياتي ادفع إليه الساعة ألف دينار، وخلعة تامة، وأحمله على شهري فارهٍ بسرجه ولجامه فانصرفت بذلك أجمع.

قال ابنٌ لابن جامع: كنا مجتمعين في منزل أبي عيسى بن المتوكل، وقد عَزمنا على الصبوح، ومعنا جعفر بن المأمون وسليمان بن وهب، وإبراهيم بن المدبر، وحضرت عريب وشارية، وجواريها، ونحن في أتمّ سرور، وكان أهل الطرف والمتقابنون في ذلك الوقت ضربين: عريبية وشروية، فمال كلّ حزب إلى من يتعصب له منهما في الاستحسان والطرف والأفراح، وعريب وشارية ساكتتان لا تنطقان، وكل واحدة من جواريهما تغني صنعة استهلالاً، [لا] تجاوزها حتى غنت عرفان[2]: [من المديد]

بِـأَبِـي مَـنْ زارنـي فـي مـنـامـي فَـدَنـا مـنِّـي وفـيـهِ نـفـارُ

فأحسنت ما شاءت وشربنا جميعاً؛ فلما أمسكت قالت عريب لشارية:

يا أختي لمن هذا اللحن؟، قالت لي: كنت صنعته في حياة سيدي - تعني إبراهيم بن المهدي - فاستحسنه، وعرضه على إسحاق، وغيره، فاستحسنوه. وأمسكت عريب. ثم قالت لأبي عيسى أحبّ /١٠٧/ يا بني فديتك أن تبعث الساعة إلى عثعث الأسود من يجيئني به، فوجه إليه، فحضر وجلس؛ فلمّا اطمأن وشرب وغنّى، قالت له عريب: يا أبا دلجة أتذكر صوتاً غناه زبير [بن] دحمان عندي وأنت حاضر، فسألتني مسألته أن يطرحه عليك؟ فقال: وهل الغواني لها عذرها؟ نعم والله إني لذاكره حتى كأنّا أمس افترقنا عنه، قالت: غنّه، فاندفع يغني الصوت الذي ادّعته شارية حتى استوفاه، وتضاحكت الأخرى عريب، ثم قالت لجواريها: خذوا في الحق، ودعوا الباطل،

= أحمد بدوي - القاهرة ٩٦٠، البحتري لجرجي كنعان، وطيف الوليد: حياة البحتري لعبد السلام رستم. الموسوعة الموجزة ٢/ ١٤٦، الاعلام ٨/ ١٢١، معجم الشعراء للجبوري ٦/ ١١٠-١١١.

(١) ديوان البحتري ٤/ ٢٤١٨، الأغاني ١٤/ ٢١١.

(٢) الأغاني ١٤/ ٢١٠.

وغنُّوا الغناء القديم. فغنَّت بدعة، وسائر جواريها، وغنى غريب، وخجلت سائر جواريها، وأطرقت، وظهر الإنكار فيها، ولم تنتفع هي يومئذ، ولا أحد من جواريها، ولا متعصبيها بأنفسهم.

[٣٧]

بَصْبَصْ جارية ابن نفيس[١]

جارية سمراء تهزأ بالأسمر، وترسل في طرفها الأسود الموت الأحمر. انغمست في ماء الدلال، وطبعت على صورة الهلال، بحمرة دبَّت في وجناتها، وأمكنت بواكير الورد من جناتها، وذبلت نرجس العيون، وأقاح المقل من جناتها، وروقت في رضابها الرحيق، وأشعلت فيما تحت نقابها الحريق، وجلتها كالبدر يعلوه تحت الشقوق غيم رقيق. كلف بها المهدي على عفاف مضاجعه، وكف مطامعه، وصارت إلى ملك والده حيث الملوك إلى أبوابه وافدة، والأقدار له على عدوُه مرافدة، واختصّها بأنسه، وأولدها علية بنت المهدي، ولهذا نزعت إلى أمها، واغترفت الغناء من يمّها، وكان أدّبها ابن نفيس، فهرب وحجبها مدّة مقصورة على التعليم حتى ظهرت.

قال أبو الفرج: كان يحيى بن نفيس مولاها صاحب قيان يغشاه الأشراف ويسمعون غناء جواريه، وكان فيمن [يغشاه] عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، فحجّ أبو جعفر في بعض السنين، ومرَّ بالمدينة، فقال عبد الله بن مصعب: تذكر[٢]: [من السريع]

أَراحــلٌ أَنــتَ أَبــا جــعــفــرٍ ... مِنْ قبلِ أَنْ تسمعَ مِنْ بُصبُصا

لَــوْ أَنَّــهــا تــدعُــو إلــى بَــيْــعَــةٍ ... بــايــعــتُــهــا ثــمَّ شــقــقــتُ الــعَــصَــا

/١٠٨/ فبلغت أبا جعفر فدعا به، فقال: أما إنكم يا آل الزبير قديماً قادتكم النساء وشققتم العصا حتى صرت أنت آخر الحمقى تبايع النساء المغنيات فدونكم يا آل الزبير هذا المرتع الوخيم.

---

(١) بَصْبَص: جارية مولدة من مولدات المدينة، حلوة الوجه، حسنة الغناء، قد اخذت عن الطبقة الاولى من المغنين. وكان يحيى بن نُفيس مولاها... صاحب قيان يغشاه الأشراف ويسمعون غناء جوارية... وكانت بصبص هذه أنفسهن، واشدهن تقدماً.
وذكر ابن خرُداذبه ان المهدي اشتراها وهو ولي العهد سراً من أبيه، بسبعة عشر الف دينار، وان الذي صح ان المهدي اشترى بهذه الجملة جارية غيرها، وولدت عليه.
ترجمتها في: الاغاني ١٥/ ٢٥ـ ٣٥.

(٢) الأغاني ١٥/ ٢٧.

قال: ثم بلغ المنصور بعد ذلك أن عبد الله بن مصعب قد اصطلح مع بصبص، وهي تغنيه[١]: [من السريع]

إذا عــزرت صــراحــيــة . . . كـمـثـلِ ريح الـمـسـكِ أَوْ أطـيـبُ
ثــمَّ يُـغـنِّـي لـي يـا هـزاجـة . . . زيـدٌ أخـو الأنـصـارِ أَوْ أَشْـعَـبُ
حَـسِـبـتُ أنّـي مَـلِـكٌ جـالـسٌ . . . حـفَّـتْ بـهِ الأمـلاكُ أو مـوكِـبُ
ومــا أُبــالــي وإلــهِ الـورَى . . . أَشَـرَّقَ الـعـالـمُ أَوْ غـرَّبُـوا

قال أبو جعفر: لكن العالم لا يبالون كيف أصبحت، ولا كيف أمسيت، ثم قال أبو جعفر: لكن الذي يعجبني الليلة أن يحدو بي الحادي بشعر طريف العنبري[٢] فهو ألذّ في سمعي من غناء بصبص ثم دعا الجارية وكان إذا حدا، صغت الإبل إلى صوته وانقادت انقياداً عجيباً. فسأله المنصور ما بلغ من حسن حدائه تعطش الإبل خمساً، وتدنو من الماء وأحدو أنا، فتتبّع كلها صوتي، ولا تقرب الماء، فحفظ الشعر وهو[٣]: [من الكامل]

إنِّـي وإنْ كـانَ ابـنُ عـمِّـي كـاشِـحـاً . . . لـمُـزَاحِـم مِـنْ دونـهِ وورَائِـهِ
ومُـمِـدُّهُ نـصـري وإنْ كـانَ امْـرأً . . . مُـتـزحـزحـاً فـي أرضـهِ وسـمـائِـهِ
وأكـونُ مـأوى سـرِّهِ وأَصُـونُـهُ . . . حـتَّـى يـحـقَّ عـلـيَّ يـومُ أدائِـهِ
وإذا أتـى مِـنْ غَـيْـبَـةٍ بـطـريـقـةٍ . . . لـمْ أطَّـلـعْ مـاذا وراءَ خـبـائِـهِ
وإذا تـحـيَّـفـتِ الـحـوادثُ مـالَـهُ . . . قُـرِنَـتْ صـحِـيـحَـتُـنـا إلـى جَـرْبـائِـهِ
وإذا تـريَّـشَ فـي غِـنـاهُ وَفَـرْتُـهُ . . . وإذا تـصـعـلـكَ كـنـتُ مِـنْ قُـرنـائِـهِ
وإذا غـدا يـومـاً لـيـركَـب مَـرْكـبـاً . . . صَـعْـبـاً قـعـدتُ لـهُ عـلـى سيـسـائِـهِ

قال: فلما كان الليل حدا به الحادي بهذه الأبيات، فقال: هذا والله أحث /١٠٩/ على المروءة، وأشبه لأهل الأدب من غناء بصبص. قال: فحدا به ليله أجمع؛ فلما أصبح قال: يا ربيع أعطه درهماً. قال: يا أمير المؤمنين حدوت لهشام بن عبد الملك، فأمر لي بعشرين ألفاً، تأمر لي أنت بدرهم؟ قال: إنا لله ذكرت ما لم نحب أن تذكره، وصفت أنّ رجلاً ظالماً أخذ مال الله من غير حلّه، وأنفقه في غير حقّه، يا ربيع أشدد يديك به حتى

---

(١) لعبد الله بن مصعب في الأغاني ١٥/ ٢٨ـ ٢٩.

(٢) طريف بن تميم العنبري، أبو عمرو: شاعر مقلّ، من فرسان بني تميم في الجاهلية، قتله أحد بني شيبان.
ترجمته في: سمط اللآلي ٢٥٠ـ ٢٥١، الأعلام ٣/ ٢٢٦، معجم الشعراء للجبوري ٣/ ١٣.

(٣) الاغاني ١٥/ ٢٩ـ ٣٠.

يردّ المال، فبكى الحادي، وقال: يا أمير المؤمنين، قد مضت به السنون، وقضيت به الديون، ولا والذي أكرمك بالخلافة ما بقي منه شيء. فلم يزل به أهله وخاصته يسألونه في أمره حتى كفّ عنه، وشرط عليه أن يحدو به ذاهباً وراجعاً، ولا يأخذ منه شيئاً.

قال: هوى محمد بن عيسى الجعفري بصبصاً ـ جارية نفيس ـ فهام بها وطال عليه ذلك، فقال لصديق له: لقد شغلتني هذه عن ضيعتي، وكل أمري، وقد وجدت مسّ السلوّ عنها، فاذهب بنا حتى أكاشفها بذلك، واستريح فأتيتها، فلما غنت لهما، قال محمد بن عيسى: تغنيني[1]: [من الوافر]

وكنتُ أحبُّكم فسَلَوتُ عنْكُمْ ... عليكُمْ في ديارِكُمُ السَّلامُ؟

قالت: لا ولكنّي أغني: [من الوافر]

تَحَمَّلَ أهلُها عنَّا فبانُوا ... على آثارِ مَنْ ذَهَبَ العَفَاءُ

قال فاستحسنها، ، ثم زاد بها كلفاً، فأطرق ساعة، ثم قال لها: أتغنيني[2]: [من الطويل]

وأخضعُ بالعُتْبَى إذا كنتُ مذنباً ... وإنْ أذْنَبَتْ كنتُ الذي أتَفَضَّلُ

قالت: نعم، وأغنّي [من الطويل]

فإنْ أقبلُوا بالوُدِّ نقبلُ مثلَهُ ... وننزلُكُمْ مِنَّا بأقربِ منزلِ

قال: فتقاطعا في بيتين، وتواصلا في بيتين.

وفي بصبص هذه يقول ابن أبي الزوائد[3]: [من السريع]

بصبصُ أنتِ الشمسُ مِنْ ذاتهِ ... فإنْ تبدَّلْتِ فأنتِ الهِلالْ
سبحانَكَ اللهمَّ ما هكذا ... فيما مَضَى كانَ يكونُ الجَمَالْ
/١١٠/ إذا دَعَتْ بالعودِ في مَشْهَدٍ ... وعاودتْ يُمنى يديها الشِّمالْ
غنّت غناءً يستفدْهُ الفَتَى ... حِذْقاً وزاد الحِذْقُ منها الدَّلالْ[4]

---

(١) الأغاني ١٥/ ٣٣. (٢) الأغاني ١٥/ ٣٣.

(٣) ابن أبي الزوائد: اسمه سليمان بن يحيى بن زيد بن معبد بن أيوب بن هلال بن عوف بن نضلة بن عصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوزان بن المنصور ويقال له: ابن أبي الزوائد أيضاً. شاعر مقل من مخضرمي الدولتين. وكان يؤم الناس في مسجد رسول الله ﷺ... كان ابن أبي الزوائد يتعشق جارية سوداء مولاة الصهيبيين وكان يختلف اليها وهي في النخل بحاجزة.
كان عند امرأة انصارية فطال لبثها عنده حتى ملّها وأبغضها...
ترجمته في: الاغاني ١٤/ ١٢٠ـ ١٢٩، ١٥/ ٣٢.

(٤) الاغاني ١٥/ ٣٢.

[٣٨]

الزَّرْقَاء جارية ابن رَامِين[١]

ذكر زرقاء اليمامة، وغنَّت فأغنت عن الورقاء والحمامة، لم يبق معها لليمامة ولو أنها أفضل عين ولا أثر، ولا الزرقاء أم بني أمية، خير يقع عليه الطرف إذا عثر، أبدعت في تكميل الغناء، وتحصيل ما لا ينصرف عنه للاستغناء، ثم أصبحت والحجب تضرب عنها دونها، والستر يسيل عنها مصونها، والنجوم لا ترمقها، والشموس تشهد منها مشرقها.

قال أبو الفرج، قال إسحاق: كان روح بن حاتم المهلبي كثير الغشيان لمنزل ابن رامين، وكان يختلف إلى الزرقاء، وكان محمد بن جميل يهواها وتهواه، فقال لها روح بن حاتم، قد ثقل عليها، قالت: فما أصنع قد غمر مولاي ببرّه، قال: احتالي له، فبات عندهم روح ليلة، أخذت سراويله، وهو نائم فغسلته؛ فلما أصبح سأل عنه، فقال: غسلناه فظن أنه أحدث فيه، فاحتيج إلى غسله، فاستحيا من ذلك، وانقطع عنها، وخلا وجهها لابن جميل.

قال: واشترى جعفر بن سليمان الزرقاء بثمانين ألف درهم؛ فلما مضت لها مدة عنده، قال لها يوماً: هل ظفر أحد منك ممن كان يهواك بخلوةٍ أو قبلة، فخشيت أن تبلغه بشيء كانت فعلته بحضرة جماعة، أو يكون قد بلغه، فقالت: لا والله إلا يزيد بن عون العبادي، قبّلني قبلة، وقذف في فمي لؤلؤةً بعتها بثلاثين ألف درهم، فلم يزل جعفر يطلبه، ويحتال له حتى وقع في يده، فضربه بالسياط حتى مات.

قال إسحاق: شربت الزرقاء دواء، فأهدى لها ابن المقفع ألف دراجة على جمل فراسي.

قال محمد بن سلام: اجتمع عند الأمير معن بن زائدة روح بن حاتم، وابن المقفع؛ فلما غنت بعث معن إلى بدرة فصبّها بين يديها وبعث روح إلى أخرى، فصبّها بين يديها، ولم يكن عند ابن المقفع دراهم، فجاء بصلفيعة، وقال: هذه عهدة ضيعتي، خذيها، فأما الدراهم، /١١١/ فما عندي منها شيء.

---

(١) اسمها سلامة الزرقاء، وسيّدها اسمه عبد الملك بن رامين مولى عبد الملك بن بشر.
ترجمتها في: الأغاني ١٥/ ٥٤ـ ٦٩.

قال إسماعيل بن عمار[١]: كنت أختلف إلى منزل ابن رامين، فأسمع جاريته الزرقاء وسُعدة. وكانت سعدة أظرف من الزرقاء، فأعجبت بها، وعلمت ذلك مني، وكانت كاتبة، فكتبت إليها أشكو ما ألقى بها فوعدتني، فكتبت إليها رقعة مع بعض خدمهم فيها[٢]: [من البسيط]

يا ربَّ ابْنُ رامينٍ له بَقَرٌ عيْنٌ وليسَ لنا غيرُ البَّراذِينِ
لوْ شئتَ أَعطيتَهُ مالاً على قَدَرٍ يرضَى بهِ منكَ غيرَ الخُرَّدِ العِيْنِ
فإنْ تجودِي بذاكَ الشيءِ أحيا بهِ وإنْ بخلتِ بهِ عنّي فَزَنِّيْنِيْ

قال: فجاءني الخادم فقال: ما زالت تقرأ رقعتك وتضحك. وكتبت إلي: حاشاك من أن أزنيك، ولكن أصير إليك، وأغني، وألهينك، وأرضيك. وصارت إليّ فأرضتني بعد ذلك.

قال ابن عمار[٣]: [من الخفيف]

لابنِ رامينَ خُرَّدٌ كلُّها الوحـ ش حسانٌ وليسَ لِي غيرُ بَغْلِ
ربِّ فضَّلتهُ عليَّ ولو شئـ تَ لفضَّلتني عليهِ بفَضْلِ

وقال محمد بن الأشعث بن فجوة الكاتب الكوفي[٤]: [من البسيط]

أَمسى لسلاّمةَ الزرقاءِ في كَبِدِيْ صَدْعٌ مُقيمٌ طَوَالَ الدّهرِ والأبَدِ
لا يستطيعُ صَنَاعُ القومِ يشعبُهُ وكيفَ يُشعبُ صَدْعُ الحُبِّ في الكَبِدِ

[٣٩]

حَبَّابَة[٥] جارية يزيد بن عبد الملك[٦]

أَمَة غلبت على الحرائر، وفنيت بأطرابها، وحسنت بين أترابها، وسفرت فراب

---

(١) اسماعيل بن عمّار بن عيينة بن الطفيل الأسدي: شاعر، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان ينزل بالكوفة فيسمع غناء قيان لرجل يدعى «ابن رامين» ويقول فيهن الشعر. اتهمه أمير الكوفة بأنه من الشراة؛ وأنهم يجتمعون عنده، وأنه من دعاة «المختار» فسجنه، ثم أطلقه الحكم ابن الصلت لما ولي الكوفة، وأحسن إليه، فأكثر من مدحه. وكان هجاءاً مراً. توفي نحو ١٥٧هـ/ نحو ٧٧٤م.

ترجمته في: الاغاني ١١/ ٣٦٧ـ ٣٨٢، الأعلام ١/ ٣٢٠، معجم الشعراء للجبوري ١/ ٢٠٨ـ ٢٨١.

(٢) الأغاني ١٥/ ٦١.
(٣) الاغاني ١٥/ ٦٠.
(٤) الاغاني ١١/ ٣٦٨.
(٥) جارية يزيد بن عبد الملك. مغنية، من ألحن من رؤي في عصرها، ومن أحسن الناس وجهاً =

البدور سفورها، وملأ الصدور سرورها، ووصلت إلى حجب يزيد، وكان حبّ شغفه لها يزيد، فكان لو خيّر بينها وبين الخلافة، لاختارها، أو شهي هي والشهد، لترك الشهد واستشارها، وكانت هي سبب الطعن عليه حتى أنفذته الرماح، ونبذته لقًى في مهبات الرياح، صارت إليه هي وسلامة القس، ونعم بهما طول مدته مثل ليلة العرس، إن هوى حبابة سكن حبَّةَ قلبه، وأشعله حتى ذهب بلبه، ثم وهبها سلامة، ورضي بها ولم يسخطه ملامه.

/ ١١٢/ قال أبو الفرج: أول ما ارتفعت به منزلة حبابة عند يزيد أنه أقبل يوماً إلى البيت الذي هي فيه، فقام من وراء الستر فسمعها ترنّم وتغني[1]: [من الخفيف]

كانَ لِيْ ما يزيدُ حبُّكَ حَيناً كادَ يقضِي عليَّ لمَّا التَقَينا

والشعر كان لأبي سفيان، فرفع الستر، فوجدها مضطجعة مقبلة على الجدار، فعلم أنها لم تعلم به، فألقى نفسه عليها، وخزلت منه.

= وأكملهم عقلاً وأفضلهم أدباً. قرأت القرآن وروت الشعر وتعلمت العربية . وهي مولَّدة، كانت لرجل من أهل المدينة يُعرف بابن رمانة خرَّجها وأدّبها، فأخذت الغناء عن ابن سريج وابن محرز وطبقتهما، فاشتراها يزيد بن عبد الملك بأربعة آلاف دينار، فغلبت على عقله، وشغل بها. ثم ماتت سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٣م، فحزن عليها ومات بعدها بأربعين يوماً .

ترجمتها في: الاغاني ١٥/ ١١٩ـ ١٤٢، اعلام النساء ١/ ١٩٥، الاعلام ٢/ ١٦٣.

(٦) يَزيد بن عَبْد المِلِك بن مروان، أبو خالد: من ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد في دمشق، سنة ٧١هـ/ ٦٩٠م، وولي الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز (سنة ١٠١هـ) بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك، بالبصرة، فوجه إليه أخاه مسلمة فقتله. وكان أبيض جسيما مدوَّر الوجه، مليحه؛ فيه مروءة كاملة، مع إفراط في الانصراف إلى اللذات. مات في إربد (من بلاد الأردن) أو بالجولان سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٤م بعد موت «قينة» له اسمها «حبابة» بأيام يسيرة، وحمل على أعناق الرجال إلى دمشق، فدفن فيها. وكان لحبابة هذه، أثر في أحكام التولية والعزل، على عهده. ونقل الدياربكري (في تاريخ الخميس) أنه: «مات عشقاً» قال: «ولا يعلم خليفة مات عشقاً غيره» وكان يلقب بـ«القادر بصنع الله» ونقش خاتمه: «فني الشباب يا يزيد!» وربما قيل له «يزيد ابن عاتكة» نسبة إلى أمه عاتكة بنت يزيدبن معاوية. ونقل اليافعي أنه لما استخلف قال: سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز؛ فأتوه بأربعين شيخاً شهدوا له أن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عذاب! وكانت مدة خلافته أربع سنين وشهراً.

ترجمته في: ابن الأثير ٥/ ٤٥ والنجوم الزاهرة ١/ ٢٥٥ واليعقوبي ٣/ ٥٢ والطبري ٨/ ١٧٨ والأغاني طبعة السباسي: انظر فهرسته. وتاريخ الخميس ٢/ ٣١٨ وبلغة الظرفاء ٢٥ ورغبة الآمل ١/ ٦٠ و٦/ ١٨١، والوزراء والكتاب ٥٦ـ ٥٨ ومرآة الجنان ١/ ٢٢٤ والمسعودي ٢/ ١٣٧ وعنوان المعارف ١٧ وزبدة الحلب ١/ ٤٧ ومعجم ما استعجم ٩٥٠، ١٠٩٧ وانظر: طبقات ابن سعد ٨/ ٣٤٨ في ترجمة فاطمة بنت الحسين، الاعلام ٨/ ١٨٥.

(١) لعمر بن ابي ربيعة في ديوانه ٥٠٢.

قال ابن شبة: لما ألحَّ يزيد على الشرب، وسماع الغناء، أقبل مسلمة عليه يلومه، ويقول له: إنك وليت بعقب عمر بن عبد العزيز وعدله، وقد تشاغلت بهذه الأمة عن النظر في أمور المسلمين، الوفود ببابك، وأصحاب الولايات والظلامات يضجّون، وأنت غافل عنهم. فقال: صدقت والله، واعتبه، وهم بترك الشراب أياماً، ولم يدخل على حبابة مدة، فدسَّت حبابة إلى الأحوص أن يقول بيتاً في ذلك، وقالت: إن رددته عن رأيه، فلك ألف دينار، فدخل الأحوص على يزيد، فاستأذنه، فأذن له، فقال[1]: [من الطويل]

ألا لا تلُمْهُ اليومَ أنْ يَتَبَلَّدا فقدْ غُلِبَ المخزونُ أنْ يَتَجَلَّدا
بكيتُ الصِّبا جهدي فَمَنْ شاءَ لامَنِي ومَنْ شاءَ آسَى في البكاءِ فأَسْعَدَا
وإنِّي وإنْ قَدَّرْتَ في طَلَبِ الصِّبا لأَعلمُ أنِّي لستُ في الحُبِّ أَوْحَدَا
إذَا أَنْتَ لمْ تَعْشَقْ ولمْ تَدْرِ ما الهَوَى فكُنْ حجراً مِنْ يابسِ الصَّخرِ جَلْمَدَا
فما العِشْقُ إلاّ ما يَلَذُّ ويُشْتَهَى وإنْ لامَ فيهِ ذُو الشّنانِ وفَنّدَا

وحفظت حبابة الأبيات، وعملت فيها لحناً، وكان يزيد قد أقام جمعة لا يدخل إليها؛ فلمّا كان يوم الجمعة، قالت لبعض جواريها: إذا خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة فأعلميني؛ فلما أراد الخروج أعلمتها؛ فتلقته والعود في يدها، فغنَّت البيت الأول، فغطّى وجهه، وقال: مه لا تفعلي، ثم غنت الأبيات؛ فلمّا بلغت إلى:

فما العشقُ إلا ما يلذُّ ويشتهى

عدل إليها، وقال: صدقت والله، قبَّح الله من لامني فيك يا غلام مُرْ مسلمة /١١٣/ فليصل بالناس، وأقام معها وعاد إلى حاله.

وذكر ابن عياش: أن سلامة وحبابة اختلفتا في صوت معبد[2]: [من الوافر]

ألا حَيِّي الديارَ بسَعْدَ إنِّي أحِبُّ لحبِّ فاطمةَ الدِّيارا
إذا ما حَلَّ أَهْلُكِ يا سُلَيْمَى بِدارةِ صَلصَلٍ شَحَطُوا المَزَارَا

فبعث يزيد إلى معبدَ فأتى فسأل: لم بعث إليه؟ فأخبر، فقال: لأيتهما المنزلة عند أمير المؤمنين؟ قالوا لحبابة، فلما عرضنا عليه الصوت حكم لحبابة، فقالت سلامة: والله يابن الزانية إنك لتعلم وتتحقق أنّ الحق والصواب ما قلت، ولكنك سألت أيهما

(١) للأحوص الأنصاري في ديوانه ١١٧ـ ١٢٦، الأغاني ١٥/ ١٢٥ـ ١٢٦.
(٢) لجرير في ديوانه ٣٠٦، الاغاني ٨/ ١٥.

آثر عند أمير المؤمنين، فقيل لك: حبابة، فاتبعت هواه ورضاه. فضحك يزيد وطرب. وقالت سلامة: أتأذن لي يا أمير المؤمنين في صلة معبد، فإنَّ له عليّ حقّاً. قال: قد أذنت، فوصلته بما لم تصله به حبابة.

وقال الزبير بن بكار: حدّثتني ظبية أن حبابة أنشدت يوماً يزيد بن عبد الملك[1]. [من الوافر]

لَعَمْرُكَ إنَّني لأُحِبُّ سَلْعاً لِرُؤيتِها ومن بِحبوبِ سَلْعِ

ثم تنفّس شديداً، فقال لها: مالك؟ أنت في ذمّة أبي، لئن شئت لأقلعنه إليك حجراً حجراً، فقالت: وما أصنع به؟ ليس إياه أردت، إنما أردت ساكنه.

قال الزبير: وحدّثتني ظبية: أن يزيد قال لحبابة وسلامة: ايتكما غنّتني ما في نفسي، فلها حكمها، فغنّت سلامة وملاها. قال: اطلبي غير هذا، فأبت، فقال لها: قد وهبتها لك. فلقيت سلامة من ذلك أمراً عظيماً، فقالت لها حبّابة: اطمأني فإنك لا ترين إلا خيراً. فجاءها يزيد يوماً، فسألها أن تبيعه إياها بحكمها. قالت: أشهد أنها حرّة، فاخطبها حتى أزوجك مولاتي.

قال المدائني: كانت حبابة إذا غنت وطرب يزيد، قال: أطير، فتقول: إلى من تدع أمور المسلمين؟ فيقول: إليك!

قال الزبير؛ وحدثتني ظبية: أن حبابة غنت يوماً، فطرب يزيد، ثم قال لها: هل رأيت أطرب [مني]؟، /١١٤/ قالت: نعم، مولاي الذي غنَّى، فغاظه ذلك فكتب في حمله مقيّداً، فلمّا قدم أمر بإدخاله إليه، فأُدخل يرسف في قيده، وأمرها بالغناء، فغنت[2]:

تَشَطَّ غداً دارُ جيرانِنا ولَلْدارُ بعدَ غدٍ أَبْعَدُ

فوثب، فألقى نفسه على الشمعة، فأحرقت لحيته، وجعل يصيح الحريق يا أولاد الزنا. فضحك يزيد، وقال: لعمري إنَّ هذا لأطرب منّي، وأمر بحلّ قيوده، ووصله بألف دينار، ووصلته حبابة بمثلها، وزودته إلى المدينة.

قال: نزل يزيد بيت ديرانية بالشام، ومعه حبابة، فقال: زعموا أنه لا يصفو لأحد عيشه إلى الليل لا يكدره شيء، وسأجرّب ذلك، ثم قال: لمن معه، إذا كان غد لا تخبروني بشيء، ولا تأتوني بكتاب، وخلا بحبابة، فأُتيا بما يأكلان، فأكلت رمانة،

(١) لقيس بن ذريح في معجم البلدان ٣/ ٢٣٦ـ ٢٣٧، الأغاني ١٥/ ١٣٥.
(٢) الأغاني ١٥/ ١٣٩.

فشرقت بحبة، فماتت، فأقام لا يدفنها ثلاثة حتى نتنت، وامتنع من الأكل والشرب، وخطاب الناس، وجعل يشمّها، ويترشفها، فعابته أقرباؤه، وقالوا: قد صارت جيفة بين يديك. ولم يزالوا به حتى أذن لهم في دفنها، وأمر، فأخرجت في نطع وخرج لا يتكلم حتى جلس على قبرها، فقال: أصبحت والله كما قال كثير(١): [من الطويل]

فإنْ تَسْلُ عنكِ النفسُ أَوْ تدعُوَ الصِّبا ... فباليَأْسِ تسلو عنكِ لا بالتَّجَلُّدِ
وكلُّ خليلٍ زارني فهوَ قائلٌ ... مِنَ أجلِك هذا هامَةَ اليومِ أوغَدِ

قال: فما أقام إلا خمسة عشر يوماً حتى مات، ودفن إلى جانبها.

وروى المدائني: أنه اشتاق إليها بعد ثلاثة أيام من دفنها، فأمر بنبشها، فنبشت فكشف عن وجهها وقد تغيّر تغيّراً قبيحاً، فقيل له: اتقّ الله، ألا ترى كيف صارت؟، فقال: ما رأيتها قطّ أحسن من هذا اليوم أخرجوها فجاءه مسلمة، ووجوه قومه، وأهله، فلم يزالوا به حتى أزالوه عن ذلك ودفنوها.

[٤٠]

بُدَيْح مولى عبد الله بن جعفر(٢)

/ ١١٥/ صاحب فكاهة يحلو مذاقها، ومحاسن تعرو بها البدور محاقها، وكان لا يعاصيه احتيال، ولا يلاويه احتيال، لو رقى بالجندل لا يستخرج ماءه، أو لاطف الدجى لجلا ظلماءه، وأعرق في شرف الولاء، وأجزل له طرف الآلاء، ولم تنقص له عطية، ولا قصرت به رتبة علية.

قال أبو الفرج: روى الحديث عن عبد الله بن جعفر، وقيل: إنّ عبد الله بن جعفر دخل على عبد الملك بن مروان، وهو يتأوّه من عرق النسا، فقال: يا أمير المؤمنين ما لك؟، قال: قد هاج بي عرق النسا في ليلتي هذه، فبلغ مني، فقال: إنَّ بديحاً مولاي يرقي منه، فوجّه إليه عبد الملك بن مروان؛ فلما مضى الرسول، قال عبد الله في نفسه: كذبة قبيحة عند خليفة، وأُسقط في يده، فما كان بأسرع من أن طلع بديح، فقال له: كيف رقيك عرق النَّسا؟، قال: أرقى الخلق يا أمير المؤمنين،

---

(١) في ديوانه ١٣٣، الأغاني ١٥/ ١٤٠.

(٢) بُدَيْح مولى عبد الله بن جعفر، وكان يقال: بُديح المليح، وله صنعة يسيرة، وإنما كان يغني أغاني غيره مثل سائب خاثر، ونشيط، وطويس، روى بديح الحديث عن عبد الله بن جعفر. وكان صاحب فكاهة يعرف بها .
ترجمته في: الأغاني ١٥/ ١٦٩ـ ١٧٣.

قال: فسُري عن عبد الله بن جعفر؛ لأنَّ بديحاً كان صاحب فصاحة وفكاهة يعرف بها، فمدّ رجله، فتفل عليها ورقاها مراراً، فقال عبد الملك: الله أكبر وجدت والله حقّاً يا غلام، ادعُ فلانة حتى تكتب الرقية فإنا لا نأمن هيجانها بالليل، فلا تدع بديحاً؛ فلما جاءت الجارية، قال بديح: يا أمير المؤمنين امرأته طالق إن كتبتها حتى تعجل حبائي، فأمر له بأربعة آلاف درهم؛ فلما صارت بين يديه، قال امرأته طالق إن كتبتها، أو يصير المال في منزله، فأمر فحمل؛ فلما أحرزه، قال: يا أمير المؤمنين امرأتي طالق إن كنت قرأت عليك وعلى رجلك إلا أبيات نصيب[1]: [من الطويل]

أَلا إنَّ ليلى العامريةَ أَصبحتْ على النأيِ عنّي ذنبَ غيري تنقمُ
وما ذاكَ عنْ ذنبٍ يكونُ اجترمْتُهُ إليها لتجزيني بها حيثُ أَعْلَمُ
ولكنَّ إنساناً إذا مَلَّ صاحباً وحاولَ صَرْماً لم يَزَلْ يتجرَّمُ

قال: ويلك ما تقول؟، قال: امرأته طالق إن كان رقاك إلا بما قال /١١٦/ فاكتمها، قال: وكيف ذلك؟ ما تقول، وقد سارت بها البرد إلى أخيك بمصر، فطفق عبد الملك ضاحكاً.

[٤١]

هاشم بن سليمان[٢]

محصّل ثروة، ومحصن ذروة، بفطانة تقطع ما في النفوس، وتذكر منه ما لا يدرك بالمحسوس، بحدس كأنّما كان به يتكهن، ويقوى لديه ولا يتوهَّن، وله في صناعة الغناء يد لا تطيش، وسهم في القلوب تسويداً وإنها تريش، يجني المسامع ثمراً، ويخيّل للسامع أنه ازداد عمراً.

قال أبو الفرج، قال هاشم بن سليمان: أصبح موسى الهادي يوماً وعنده جماعة منا، فقال: غنّنا[٣]: [من الكامل]

أَبَهارُ قدْ هيَّجتِ لي أَوْجاعا وتركتِني عبداً لكمْ مِطْوَاعا

فإن أصبت حاجتي، فلك حاجة مقضية، فغنته، فقال: أصبت، وأحسنت. سل

---

(١) شعره ١٢٣.

(٢) هاشم بن سليمان: مولى بني أمية، ويكنى أبا العباس، وكان موسى الهادي يسميه أبا الغريض، وهو حسن الصنعة غزيرها. وكان موسى الهادي يميل إليه ويمازحه.
ترجمته في: الأغاني ١٥/ ٢٤٢ـ ٢٥٦.

(٣) الأغاني ١٥/ ٢٤٤ ومعه الأبيات الآتية.

تعط حاجتك، فقال: يا أمير المؤمنين تأمر بأن يملأ هذا المكان دراهم، وكان بين يديه كانون عظيم فأمر به فملىء.

فلما حصّلها قال: يا ناقص الهمة والله لو سألت أن أملأها دنانير لفعلت، فقلت: أقلني يا أمير المؤمنين. قال: لا سبيل إلى ذلك ولم يسعدك الجدّ به. وتمام الصوت الذي اقترحه موسى الهادي على هاشم بن سليمان:

بحديثكِ الحَسَنِ الذي لوْ كُلِّفَتْ وَحْشُ الفلاةِ بهِ لجئنَ سراعا
وإذا مَرَرْتِ على البَهارِ مُنَضداً في السُّوقِ هيجَ إليكِ نراعا
واللهِ لو علمَ البَهارُ بأنَّها أَضْحَتْ سميَّتَهُ لطالَ ذِرَاعا

[٤٢]

عمرو ابن بانة(١)

مفيد في طرب، ومجيد إذا ضرب، طالما غنّى فخرَّق كلّ حجاب، واستنفق العبرة بغير حساب. كم له في الطرب دقة داخلة، ويد غير باخلة بكل إشارة وافية، وعبارة للعود الأعجم، بما يتخير من معاني العرب كافية. كم حضر في مجلس، فقال السرور ما غبت، وانجح فقال لا استحقاق ما خبت، /١١٧/ وكان مهما حضر دار الخلافة استقلّه معروفها، ودنت إليه قطوفها، فكان أنّى أَمَرَ الدهرَ ائتمر، ومهما غرس الطرب في سمع اجتنى الثمر.

قال أبو الفرج: كان نابهاً معجباً، وكان ينادم الخلفاء على ما فيه من الوضح، وفيه يقول الشاعر(٢): [من المتقارب]

أقول لعمرٍو، وقد مرَّ بي فسلَّم تسليمةً خافِيَهْ
لئِنْ فَضَّلوكَ بحُسنِ الغناءِ لقدْ فضَّلَ اللهُ بالعافيهْ

قال أبو معاوية الباهلي: سمعت عمرو ابن بانة يقول لإسحاق في كلام جرى بينهما: ليس كمثلي يقاس بمثلك؛ لأنك تعلمت الغناء تكسباً، وتعلَّمته تطرّباً، وكنت أضرب؛ لأن لا أتعلمه، وأنت تضرب؛ لأن تتعلمه.

---

(١) عمرو ابن بانَة عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد، مولى ثقيف، وبانة أمه نسب إليها: نديم، من الشعراء العلماء بالغناء. كان خصيصاً بالمتوكل العباسي. منزله ببغداد ووفاته بسامراء سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م له كتاب في «الأغاني».
ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٩١ والأغاني ١٤/ ٢٦٠- ٢٧٥، الاعلام ٥/ ٨٥.

(٢) الأغاني ١٥/ ٢٦٠.

قال: اجتمع عمرو ابن بانة والحسين بن الضحاك[١] في منزل أبي شعوف، وكان له خادم يقال له مقحم، وكان عمرو يتهم به؛ فلما أخذ منهم الشراب سأل عمرو ابن بانة الحسين بن الضحاك أن يقول شعراً يُغنّى، فقال[٢]: [من المنسرح]

وابـأبـي مـقـحـمٌ بـغُـرَّتِـهِ قـلـتُ لَـهُ إذْ خـلـوتُ مُـكْـتـتـمـا
تـحـب بـالله [مـن] يـخـصّـك بـالـ ـحـب فـلا، قـال: لا ولا نَـعَـمَـا

فغنّى فيه عمرو ابن بانة، ولم يزل هذا الشعر غناءهم، وفيه طربهم، فأتاهم في عشيتهم إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فسألوا ابن شعوف أن لا يأذن له، فحجبه، وانصرف إسحاق إلى منزله؛ فلما تفرقوا مرّ به الحسين بن الضحاك، فأخبره بجميع ما دار في مجلسهم، فكتب في ذلك إسحاق إلى ابن شَعُوف[٣]: [من الرمل]

يـا ابـنَ شـعـوفَ مـا عـلـمـتُ بـمـا قـدْ صـارَ فـي الـنـاسِ كـلِّـهـم عَـلَـمـا
أَتــاك عــمــروٌ فــبــاتَ لــيــلــتَــهُ فـي كـلِّ مـا يـشـتـهـي كـمـا زَعَـمَـا
حـتَّـى إذا مـا الـظـلامُ خـالـطَـهُ سَـرَى دَبـيـبـاً يـجـامـعُ الـخَـدَمـا
ثـمَّـتَ لـمْ يَـرْضَ أَنْ يـفـوزَ بـذا سِـرّاً، ولـكـنْ أَبْـدَى الَّـذي كَـتَـمَـا
حـتَّـى تـغـنَّـى لـفـرطِ صـبـوتِـهِ صـوتـاً سـقـى مـنْ فـؤادِهِ سَـقَـمَـا:
/١١٨/ وابـأبـي مـقـحـمٌ بـغـرَّتِـهِ قـلـتُ لـهُ إذْ خَـلَـوت مُـكْـتَـتـمـا
يـحـب بـالله يـخـصّـك بـالـحـب فـمـا قـال: لا ولا نَـعَـمَـا

قال: فهجر ابن شعوف ابن بانة، وقطع عشرته.

قال: جمع عبد الله بن طاهر بين المغنين، وأراد أن يمتحنهم، وأخرج بدرة دراهم سبقاً لمن تقدم منهم وأحسن، فحضر مخارق، وعلوية، وعمرو ابن بانة، ومحمد بن الحارث، فغنّى علوية، فلم يصنع شيئاً، وتبعه محمد بن الحارث، فكانت

---

(١) الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي. من مواليهم أو هو منهم، أبو علي الخَلِيع: شاعر من ندماء الخلفاء، قيل: أصله من خراسان، ولد في البصرة سنة ١٦٢هـ/ ٧٧٩م ونشأ بها، وتوفي ببغداد سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م اتصل بالأمين العباسي ونادمه ومدحه. ولما ظفر المأمون، خافه الخليع. فانصرف إلى البصرة، حتى صارت الخلافة للمعتصم. فعاد ومدحه ومدح الواثق. أخباره كثيرة، وكان يلقب بالأشقر، وأبو نواس متهم بأخذ معانيه في الخمر. وشعره رقيق عذب، جمع عبد الستار أحمد فراج طائفة منه باسم «أشعار الخليع ـ ط».
ترجمته في: الأغاني ١٥/ ٢٦١ ووفيات الأعيان ١/ ١٥٤، وتهذيب ابن عساكر ٤/ ٢٩٧ والآمدي ١١٣ وتاريخ بغداد ٨/ ٥٤، الاعلام ٢/ ٢٣٩.

(٢) ديوانه ١٦٤.

(٣) ديوان إسحاق الموصلي ١٨٣ـ ١٨٤.

هذه سبيله، وامتدت الأعين إلى مخارق، فبدأ مخارق فغنّى[(١)]: [من مجزوء الرجز]

إنِّــي امــرؤٌ مِــنْ جُــرْهُــم   عَــمِّــي وخــالــي مِــنْ جــذام

فما نهاه عمرو ابن بانة من انقطاع نَفسه حتى غنّى[(٢)]: [من السريع]

يـا رَبْـعَ سَـلاَّمَـةَ بـالـمُـنْـحَـنَـى   بِـخِـيْـفِ سَـلْـعٍ خـادل الـوابـل

وكان إبراهيم بن المهدي حاضراً، فبكى طرباً، وقال: أحسنت والله. استحققتَ السبق، فإن أُعطيته، وإلا فخذه من مالي. يا حبيبي عني أخذت هذا الصوت، وقد والله زدت عليّ فيه، وأحسنت غاية الإحسان، ولا يزال صوتي عليك أبداً. فقال عبد الله بن طاهر: من حكمت له بالصوت لسبق، فقد حصل له، وأومأ بالبدرة فحملت إلى عمرو، فلقي اسحاق بن أسد الخناق، فقال له: بلغني خبر المجلس الذي جمع فيه عبد الله بن طاهر المغنين ليمتحنهم، ولو شاء كفيته.

قال: قال: أمّا مخارق، فأحسن الناس غناءً، إذا اتفق له أن يحسن، وقلّ ما يتفق له ذلك، وأما محمد بن الحارث فأحسنهم شمائل، وأملحهم إشارة بأطرافه ووجهه في الغناء، وليس عنده غير ذلك، وأما عمرو بن بانة، فإنه أعلم القوم وأوفاهم، وأما علوية، فمن أدخله مع هؤلاء.

[٤٣]

وجه القرعة[(٣)]

وجه كلّه أسارير، وصباح كلّه تباشير، ورسيل قيان يقال له رفقاً سيرك بالقوارير. جار على قديم، وسار على طريق قويم، وسبق وما تخلف، وجدّ وما تكلف، وقال كلّ قولٍ يشق المسامع ويلجها، ويقع على الخواطر ويبلجها.

/ ١١٩/ قال أبو الفرج الأصفهاني؛ قال محمد بن حية: دخلنا على إسحاق الموصلي نعوده من علّة كان وجدها، فصادف عنده مخارقاً، وعلوية، وأحمد بن حمزة

---

(١) الأغاني ١٥/٢٦٦.
(٢) الأغاني ١٥/٢٦٦.
(٣) وجه القرعة: هو محمد بن حمزة بن نصير الوصيف، مولى المنصور، ويكنى ابا جعفر، ويلقب: «وجه القرعة» وهو أحد المغنين الحذاق والضراب الرواة. وقد اخذ عن إبراهيم الموصلي وطبقته. وكان حسن الأداء، طيب الصوت لاعلة فيه، الا انه كان إذا غنى الهزج خاصة خرج لا لسبب يعرف، الا لآفة تعرض للحس في جنس من الاجناس، فلا يصح له بتة... وكان شرس الخلق، أبي النفس، فكان اذا سئل الغناء اباه، فاذا امسك عنه كان هو المبتدىء به.
ترجمته في: الأغاني ١٥/ ٣٤٤ـ ٣٤٩.

ـ وجه القرعة[١] ـ فعرض عليهم إسحاق أن يقيموا عنده، ليفرح بهم ويخرج إليهم ستارة يغنون من ورائها، ووضع النبيذ، فغنّى مخارق صوتاً من الغناء القديم، فخالفه محمد بن حمزة في صناعته مدامها في ذلك، وإسحاق ساكت، ثم تحاكما إليه، فحكم لمحمد، فراجعه مخارق، فقال له إسحاق: حسبك فوالله ما فيكم أدرى بما يخرج من رأسه منه، فقال: ثم غنّى أحمد بن يحيى المكي[٢]: [من البسيط]

قُـلْ لـلـحـمـامـةِ لا تـعـجـلْ بـإسـراجِ

فقال محمد: هذا اللحن لمعبد، ولا يعرف له هزج غيره، فقال أحمد: ما على ما شرط أبو محمد آنفاً من أنَّه ليس في الجماعة أدرى بما يخرج من رأسه منك، فلا معارض لك؟ فقال له إسحاق: يا أبا جعفر ما غنيتك والله فيما قلت، ولكن قد قال: إنه لا يعرف لمعبد هزج غيره، فأكذبه أنت بهزج آخر له مما لا يشك فيه. فقال أحمد: لا أعرف تمام الصوت[٣]: [من البسيط]

قـلْ لـلـحـمـامـةِ لا تـعـجـلْ بـإسـراجِ   لـيسَ الـجـوادُ بـذاكَ الـسَّـانـحِ الـنَّـاجِـي
لـمـا دَعَـا دعـوةً أُخـرى فـأَسـمـعَـنـي   أَخَـذْتُ قـولِـيَ واسـتـعـجلْـتُ إدْلاجِـيْ

[٤٤]

شارية[٤]

جارية بيضاء مذكورة، هيفاء ممكورة، باهت بالغناء، وتاهت تيه الحسناء، وأربت على كل مجيد، وأبرَّت على كل ذات سالفة وجيد. يقال: إنها ريحانة من رياحين مخزوم، وممن حان بحبها للزوم، فكانت ذروة تقلّدها ملكٌ فخر بأجداده، وجمع النقيضين ببياضها وسواده، وكانت تفوق كل جارية، وتفوت الكواكب وهي سارية.

قال أبو الفرج، قال عيسى بن هارون المنصوري: إنَّ مولاة شارية قدمتها ببغداد

---

(١) في الأغاني: «أحمد بن المكي».
(٢) الأغاني ١٥/ ٣٤٧.   (٣) الأغاني ١٥/ ٣٤٧.
(٤) شارية: مولّدة من مولدات البصرة، يقال إن أباها كان رجلاً من بني سامة بن لؤي المعروفين ببني ناجية، وأنه جحدها، وكانت أمها أمة فدخلت في الرق، وقيل بل سرقت فبيعت، فاشترتها امرأة من بني هاشم بصرية، من ولد جعفر بن سليمان فأدّبتها، وعلمتها الغناء، ثم اشتراها إبراهيم بن المهدي فأخذت غناءها كله أو أكثره عنه.
ترجمتها في: الأغاني ١٦/ ٥ ـ ٢٠.

لتبيعها فعرضتها على إسحاق بن إبراهيم / ١٢٠/ الموصلي فأعطى بها ثلاثمائة دينار، ثم استعادها بعد ذلك، ولم يردْها، فجيء بها إلى إبراهيم بن المهدي، فعرضت عليه، فساوم بها، فقالت مولاتها: قد بذلتها لإسحاق بثلاثمائة دينار، والأمير، ـ أعزّه الله ـ أحقّ بها، فقال: زنوا لها ما قالت، ثم دعا بقيّمة، فقال لها: خُذي هذه الجارية، ولا ترينها سنة، وقولي للجواري يطرحن عليها؛ فلما كان بعد سنة، أخرجت إليه، فنظر إليها، وسمعها، فأرسل إلى إسحاق، وأراه إياها، وأسمعه غناءها. قال: هذه جارية تباع فبكم تأخذها لنفسك؟، فقال إسحاق: آخذها بثلاثمائة دينار وهي رخيصة فقال إبراهيم: أتعرفها؟. قال: لا، قال: هذه الجارية التي عرضتها عليك الهاشمية بثلاثمائة دينار، فلم تقبلها. فبقي إسحاق متعجباً من حالها، وما انقلبت إليه.

قال ابن المعتز: ذكر أبو يوسف بن إبراهيم المصري ـ صاحب إبراهيم بن المهدي ـ أن إبراهيم وجه إلى عبد الوهاب بن علي في حاجة كانت له، قال: فلقيته، وانصرفت من عنده، فلم أخرج من دهليزه حتى استقبلتني امرأة؛ فلما بصرت سترت وجهها عني، فأخبرني بعض الشاكرية أن الامرأة [أم] شارية جارية إبراهيم، فبادرت إلى إبراهيم، وقلت: أدرك أم شارية في دار عبد الوهاب، وهي من تعلم، فقال لي في جواب ذلك: أشهدك أن جاريتي شارية صدقة مني على ميمونة ابنة إبراهيم بن المهدي، ثم أشهد ابنه على مثل ذلك، وأمرني بالركوب إلى دار ابن أبي دؤاد، وإحضار من قدرت عليه من الشهود، فأحضرتهم، وكانوا أكثر من عشرين شاهداً، وأمر بإخراج شارية، فأخرجت، فقال: اسفري، فجزعت من ذلك. فأعلمها إنما أمرها بذلك لحير يريده لها، ففعلت، فقال: تسمي، فقالت: شارية أمتك، فقال لهم: تأملوا وجهها، ففعلوا، فقال: أشهدكم أنها حرّة لوجه الله تعالى، وأني قد تزوجتها، وأصدقتها عشرة آلاف درهم. يا شارية مولاة إبراهيم بن المهدي أرضيتي؟، قالت: نعم، والحمد لله على ما أنعم علي، وأمرها بالدخول / ١٢١/ وأطعم الشهود وطيبهم، وانصرفوا، فما أحسبهم بلغوا دار ابن أبي دؤاد حتى دخل علينا عبد الوهاب بن علي، فأقرأه السلام من المعتصم، ثم قال: يقول لك أمير المؤمنين المفترض على طاعتك وصيانتك من كل ما يعودك: إذا كنت عمّي، وصنو أبي؛ وقد رفعت امرأة من قريش قصة ذكرت فيها أنها من بني زهرة صليبة، وأنها أم شارية أمتك، وكيف يكون امرأة من قريش أمةً؟ فإن كانت هذه المرأة صادقة في أن شارية ابنتها، وأنها من بني زهرة، فمن المحال أن تكون شارية أمة، والأصلح بك، والأشبه إخراج شارية من دارك، وتصيّرها عند من تثق به من أهلك حتى ينكشف ما قالته المرأة، وكان في ذلك الحظّ الأوفر لك في دينك وحقك،

وإن لم يصح ذلك، أعيدت الجارية إلى منزلك، وقد زال عن نفسك القول الذي لا يليق بك، ولا يحسن. فقال له إبراهيم: فديتك هب شارية بنت زهرة بن كلاب، أتنكر على ابن العباس بن عبد المطلب أن يكون بعلاً لها؟، قال: لا، فقال إبراهيم: فأبلغ أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ أنَّ شارية حرّة وقد تزوجتها بشهادة جماعة من العدول، وقد كان الشهود بعد منصرفهم من عند إبراهيم صاروا إلى ابن أبي دؤاد، فشمَّ رائحة الطيب منهم فأنكر. فسألهم عنه، فأعلموه أنهم حضروا عند شارية جارية إبراهيم بن المهدي، وتزوّجه إياها، فركب إلى المعتصم، فحدّثه الحديث، فقال: خلّ سعي عبد الوهاب؛ فلما رآه يمشي في صحن الدار، شدّ المعتصم أنف نفسه، فقال: ياعبد الوهاب إني أشمّ رائحة صوت محرق، وأحسب عمّي لم يقنعه درك على أذنك صوفة حتى أحرقها، فشممت رائحتها منك، فقال: الأمر على ما ظن أمير المؤمنين واسمح.

ولما انصرف عبد الوهاب من عند إبراهيم ابتاع إبراهيم من ميمونة شارية بعشرة آلاف درهم، وستر ذلك عنها، وكان عُقبة أتاها وهي ملك غيره، ثم ابتاعها من ميمونة، فحلَّ له فرجها، فكان يطأوها على أنها أمة، وهي تتوهم على أنه يطأها أنها زوجته حرّة؛ فلمّا توفي ظلت مشاركة أم محمد/ ١٢٢/ بنت خالد زوجته في المهر، فأظهرت خبرها، وسألت ميمونة، وهبة الله عن الخبر بأخبرتا به، فأمر المعتصم بابتياعها، فابتيعت من ميمونة بخمسمائة دينار، فحولت إلى داره، فكانت في ملكه إلى أن توفي.

قال ابن المعتز: وحدث حمدون بن إسماعيل أنه دخل على إبراهيم يوماً فقال له: أتحب أن أسمعك شيئاً لم تسمع قطّ مثله؟، فقلت: نعم، فقال: هاتوا شارية، فخرجت، فأمرها أن يغني لحن إسحاق(١): [من البسيط]

هلْ بالديارِ التي أحببتَها أَحَدٌ..

قال حمدون: فغنى شيئاً لم أسمع قطّ مثله، فقلت: لا والله يا سيدي ما سمعت هكذا قطّ. قلت: أيحب أن نسمعه أحسن من هذا؟، قلت: لا يكون، قال: بلى والله نقرُّ بذلك، فقلت: على اسم الله. فغناهُ هو فرأيت فضلاً عجيباً، فقلت: وما ظننت أنَّ هذا يفضل ذلك هو الفضل. قال: أفتحب أن تسمعه أحسن من هذا وذلك؟ قلت: هذا الذي [لا] يكون أبداً، فقال: بلى والله، فقلت: هات، قال: بحياتي يا شارية قوليه، واختلى خلفك. قال: فغنت، فسمعت والله فضلاً بيناً، فأكثرت العجب، فقال: بلى

(١) الأغاني ١٦/ ١١.

والله يا أبا جعفر ما أهون هذا على السمع. تدري كم رددت عليها موضعاً في هذا الصوت؟ قلت: لا، قال: قُل وأكثر، قلت: مائة مرّة، قال: أضعف ما بدا لك، قلت: ثلاثمائة مرة، قال: أكثر والله من ألف مرّة حتى قالته. كذا برق، تقول: إن شارية إذا اضطربت في صوت، فغاية ما يكون عنده من عقوبتها أن يقيمها تغنيه على رجليها، فإن لم تبلغ الذي أراد، ضرب ربق بين يديها.

قال محمد بن سهل بن عبد الكريم: ثم أعطى المعتصم شارية سبعين ألف دينار.

قال عبد الله بن طاهر: أمرني المعتز ذات يوم بالقيام عنده، فأقمت، ومدّت الستارة وغنَّت شارية،/ ١٢٣/ ولم أكن سمعتها قبل، فاستحسنت ما سمعت، فقال لي المعتز: يا عبد الله كيف تسمع منها عندك؟، فقلت: حظ العجب من هذا الغناء أكثر من حظ الطرب، فاستحسن ذلك، فأخبرها فاستحسنه.

[٤٥]

خليدة المكية[(١)]

خلدت لها ذكراً، وخلت حديثها يستحسن وإن كان نكراً، خلقت من طينة العنبر الورد، وطابت أنفاساً وإن اسود، كأنَّما نقضت عليها صنعتها الحدق مما حدقت ناظره إليها إلا أنها كانت ذات مُلح ما اشتملت عليها أحناء ظلام، ولا محاجة أقلام، فلهذا عشقت، وما ضاعت الأعمار التي أنفقت.

قال أبو الفرج؛ قال الفضل بن الربيع: ما رأيت ابن جامع يطرب لغناء كما يطرب لغناء خليدة المكيَّة.

قال عمر بن شبّة: بلغني أنَّ محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أرسل إلى خليدة المكية مولاه أبا عمرو يخطبها عليه، فاستأذنها عليه فأذنت له، وعليها ثياب رقاق لا تسترها، فوثبت، وقالت: إنما ظننّك بعض سفهائنا، ولكني ألبس لك لباس مثلك، ثم أخرج إليك، ففعلت، ثم قالت: قُل قلت: أرسلني إليك مولاي، وهو من تعلمين ابن رسول الله وابن علي وابن عثمان، وهو ابن عم أمير المؤمنين يخطبك، قالت: قد نسبته، فأبلغت، فاسمع نسبي أنا بأبي أنت.

---

(١) خليدة المكيّة: وهي مولاة لابن شماس، كانت هي وعقيلة وربيحة يعرفن بالشماسيات، وقد أخذت الغناء عن ابن سريج ومالك ومعبد.
ترجمتها في: الأغاني ١٦/ ٢٠١ـ ٢٠٤.

أما أبي فبيع على غير عقد الإسلام، ولا عهده، فعاش عبداً، ومات في رجليه قيد، وفي عنقه سلسلة على الأباق والسرقة، وولدتني أمي منه على غير رِشْدَة، وماتت وهي آبقة، وأنا من تعلم، فإن أراد صاحبك نكاحاً مباحاً، أو زنًى صراحاً، فليهُم إلينا، فنحن له. فقلت: إنه لا يدخل في الحرام، فقالت: ولا ينبغي أن يستحي من الحلال، فأمّا نكاح السرّ، فلا والله ما فعلته، ولا كنت عاراً على القيان أبداً. فأتيت محمداً، فقال: ويلك أتزوّجها معلناً وعندي بنت طلحة بن عبيد الله، لا، ولكن إرجع إليها، فقل لها: تختلف إليّ أردّدُ بصري فيها /١٢٤/ لعلّي أن أسلو. فرجعت إليها فأبلغتها الرسالة، فضحكت، وقالت: أما هذا، فنعم.

[٤٦]

عمرو الميداني(١)

مطرب مجالس، ومطري مجالس، وزند سرور قادح، وعهد حبور سلم من فادح، اقتصر على الطرب بالطنبور، فيبست العيدان، ويبست أن يحور صنعة الميدان، ووضع لها في الأصوات ما يناسب، وقنع منها بما تيسر من المكاسب، ثم ما ضمَّ مصروراً، ولا مضى مسروراً.

قال أبو الفرج، قال علي بن أمية: دخلتُ على عمرو الميداني وكان له بقال على باب داره ينادمه، ويقترض منه إذا أعسر، فوجدته عنده، فقال: يا أبا عمرو معي أربعة دراهم اشتروا بها ما أحببتم، وعندي نبيذ، وأنا أغنيكم، والبقال يحضركم من الأبقال اليابسة مما في حانوته، فوجهنا البقال، فاشترى لنا لحماً وخبزاً وفاكهة، وجاءنا من دكانه بحوائج سكباج ونَقْل، فبينا نحن نتوقع فراغ القدر إذا بغرانق يدق الباب، وقال: أجب إسحاق بن إبراهيم، فحلف علينا أن لا نبرح، ومضى هو، وأكلنا وشربنا، وانصرفت عشاءً، وبكر إلي رسوله، فصرت إليه، فقلت له: اعطني خبرك، قال: أدخلت، فوضعت بين يدي مائدة كأنها خزعة يمانية، قد فرشت في عراصها أنواع الأطعمة، فأكلت وسقيت رطلين، فدفع إليّ الطنبور، فدخلت إلى إسحاق، فوجدته جالساً وخلفه ستارة، وعنده مخارق وعلوية، فقال: أنت عمرو الميداني؟ فقلت: نعم،

---

(١) عمرو الميداني: رجل من أهل بغداد، كان ينزل الميدان، فعرف به، وكان لا يفارق محمداً وعلياً ابني أمية، وأبا حشيشة ينادمهم ويغني في أشعارهم، وكان منزله قريباً منهم، وهو أحد المسنين المتقدمين في الصنعة والأداء.
ترجمته في: الأغاني ٢٣/ ١٤٩ـ ١٥١.

قال: أكلت؟ قلت: نعم، قال: ههنا أوفي منزلك؟ قلت: بل ههنا قال: أحسنت، تغنّ بصوتك[1]: [من مجزوء الخفيف]

يا شبيه الهلال كلك في الأفق أنجما

فغنيته فضرب الستارة، وقال: قولوا أنتم، فقال لمخارق وعلوية: كيف تسمعان؟، فقالا: هذا والله ذاك، وذاك هذا، وشرب عليه مراراً، ثم قال لي: أنا اليوم على خلوة، ولك إليّ عودات فانصرف اليوم بسلامةٍ، فخرجت ودفع إليّ الغلام خمسة /١٢٥/ دراهم هذه والله لا استأثرت عليكم منها بدرهم فما أزال عنده يقصف بها حتى نفدت كلها.

ومنهم:

[٤٧]

أشعب الطامع[2]

رجل من أهل المدينة كان يعد الوهم حقيقة، ويظنّ وادي العقيق عقيقة، لو رأى البرق المقتدح لحسبه طابخا، أو الفجر الطالع في الليل لظنه لإهاب شاةٍ ملحاه سالخا، ما خيَّم الضباب إلا قال هذه دخان رفعت لنار القرى، وما بانت له الآكام إلا قال سأستضيف بعض هذه القرى، لو قدر من طمعه لتعلّق بحبال الشمس واستردّ اليوم ما فات في أمس، لو حضر امرؤ القيس للزمه وتبتل، ووقف يندب عقائره التي تقتل، ولخاطف العذارى منها على لحم وشحم كهذّاب الدمقس المُفَتَّل، لا يسلك في غير الخدع المطعمة الحدد، ولا يعرف من قدماء العرب إلا طابخة بن أدد. لو سئل عن فواتر الأجفان لقال: لا أعرف إلا فوائر الجِفان، يعجله النهم عن التسمية والحمد، ولا يحمله الشره على أطراف الأكيل على عمد. لو نظر إلى خيال النجوم في الغدير لقال: دعوني بلفظ ملاحظة هذه الدنانير، أوفاته تحصيل ذر الهباء، لعض على الأباهم، وكان على هذه الخصال التي تسود الصحف، وتخزي ما تحت اللحف من أقيال الغناء، وأهل أقوال الطرب المعروفة لابن اللخناء إلى نوادر له في الطمع، ونكتٍ له كالنطافة في الطبع، وعلى هذا أصبح الناس، وأصبح واحداً والخلق في أجناس.

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ: كان يحكي عن أمه أنها كانت تغرْي بين أزواج رسول الله ﷺ وتمشي بينهم بالنميمة، وأنها زنت فحلقت، وطوّف بها أسواق المدينة،

---

(١) الاغاني ٢٣/ ١٥٠.

(٢) مرّت ترجمته في هامش سابق.

وكانت تنادي على نفسها من رآني، فلا يزني، فقالت لها امرأة: يا فاعلة، نهانا الله ـ عز وجل ـ عنه فعصيناه، نطيعك أنت وأنت مجلودة راكبة جمل؟!

وقد روى الحديث عن جماعة من الصحابة، من الحديث الذي رواه عن عبد الله بن جعفر أن النبي ﷺ قال[1]/ ١٢٦/ : «لو دعيت إلى كراع لأجبت».

قال المدائني: دفعت ابنة عثمان أشعب في البزازين، فقالت له: بعد حول السنة أتوجهت بشيء، قال: نعم توجهت، وتعلَّمت نصف العلم، قالت: وما هو؟، قال: تعلمت النشر، وبقي الطيّ.

قال المدائني، قال أشعب: تعلَّقت بأستار الكعبة وقلت: اللهم أذهب عني الحرص والطلب إلى الناس. ومررت بالقرشيين وغيرهم، فلم يعطني أحد شيئاً، فجئت إلى أمي، فقالت: ما لك قد جئت خائباً؟ فأخبرتها فقالت: لا والله لا تدخل حتى ترجع، فتستقيل ربَّك، فرجعت فقلت: يا ربّ أقلني، فلم أمرّ بمجلس من قريش وغيرهم إلا أعطوني ووهب لي غلام، فجئت أمي موقراً من كل شيء، فقالت: ما هذا الغلام؟، فجئت لأخبرها، فخفت أن تموت فرحاً، فقلت: وهبوا لي، قالت: أي شيء؟ قلت: غين، قالت: أيش غين؟، قلت: لام، قلت: ألف، قالت: أي شيء ألف، قلت: ميم، قلت: غلام، فغشي عليها، ولو لم أقطع الحروف، لماتت الفاسقة فرحاً.

قال أشعب: سمعت الناس يموجون في أمر عثمان، ثم أدركت المهدي، وقال: تغدى أشعب مع زياد الحارثي، فجاءه بصحفة فيها مضيرة، فقال أشعب للخباز ضع ذلك على يدي، فقال زياد: من يُصلّي بأهل السجن؟، فقالوا: ليس لهم إمام، فقال: أدخلوا أشعب يصلي بهم، فقال أشعب: أوخير من ذلك؟، قال: وما هو؟، قال: أحلف أن لا آكل مضيرة أبداً.

قال صلّى أشعب يوماً إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان، وكان مروان عظيم العجز والخلقة، فما لبث أن افتلتت منه ريح عند نهوضه لها صوت، فانصرف أشعب من الصلاة يوهم الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح؛ فلما انصرف مروان إلى منزله، جاءه أشعب، فقال له: الدية، قال: دية ماذا؟ قال: الضرطة التي تحملتها. ولم يدعه حتى أخذ منه.

---

(١) صحيح البخاري رقم ٤٨٨٣، مسند أحمد ٢/ ٤٢٤، ٤٨١، ٥١٢.

قال أبو بكر الزيني: حدثني من رأى أشعب علّق رأس كلبه، وهو يضربه ويقول: تنبح للهدية، وتبصبص للضيف.

/١٢٧/ قال: غذا أشعب جدياً بلبن أمه وغيرها حتى بلغ غاية. قال، وقال لزوجته ابنة وردان: أحب أن ترضعيه بلبنك، ففعلت، ثم جاء به إسماعيل بن جعفر الصادق، فقال: بالله إنه قد رضع بلبن زوجتي حبوتك به، ولم أجد من يستأهله سواك. قال: فنظر إسماعيل إلى الجدي أعجبه، فأمر بذبحه واسمط، فأقبل أشعب، وقال: ما عندي والله شيء، ونحن من تعرف ذلك غير فائت؛ فلما أيس منه، قام من عنده، فدخل على أبيه جعفر بن محمد، ثم اندفع يشهق حتى التقت أضلاعه، ثم قال: أخلني، قال: ما معنا أحد قال: وثب ابنك إسماعيل على ابني فقتله، وأنا أنظر إليه، قال: فارتاع جعفر، وقال: ويحك وفيم، وتريد ماذا؟ قال: ما أريد فوالله ما لي في إسماعيل حاجة، ولا يسمع هذا سامع أبداً بعدك، فجزاه خيراً، وأدخله منزله، وأخرج له مائة دينار، وقال: خذ هذه ولك عندي ما تحبّ. قال: وخرج جعفر إلى إسماعيل لأن ينظر ما بطؤ عليه، فإذا به مسترسل؛ فلما رأى وجه أبيه، نكره، وقام إليه، فقال: يا إسماعيل، وفعلتها بأشعب، وقتلت ولده؟ فاستضحك وقال: جاءني بجدي من صفته، وخبّره الخبر، فأخبره أبوه بما كان منه وصار إليه.

قال: وكان جعفر يقول لأشعب: رعتني راعك الله، فيقول: روعتي في الجدي أكثر من روعتك في المائتي دينار.

قال: وقف أشعب على امرأة، وهي تعمل طبق خوص، فقال: كبريه، قالت: ولم أتريد أن تشتريه؟ قال: لا، ولكن عسى أن يشتريه إنسان فيُهدَى إليّ فيه شيء.

قال المدائني: قالت صديقة أشعب لأشعب: هبْ لي خاتمك أذكرك به، فقال: اذكريني بأني منعتك إيّاه فهو أحبّ إليّ.

قال أشعب مرَّة للصبيان: هذا عمرو بن عثمان يقسم مالاً فامضوا إليه، فلمَّا أبطأوا عليه، اتَّبعهم يحسب أن الأمر قد صار حقّاً كما قال.

قال المدائني؛ قال رجل: رأيت أشعب بالمدينة يقلّب مالاً كثيراً، فقلت له: ويحك ما هذا ولعلك أن يكون أيسر من الذي يعطيك؟ قال: إني مهرت المسألة، وأخاف أن أدعها فتفلت مني.

قال المدائني، قيل لأشعب: ما بلغ /١٢٨/ من طمعك؟ قال: ما رأيت اثنين يتشاوران قطّ إلا ظننت أنهما قد أمرا لي بشيء.

قال المدائني؛ قال أشعب لأمه: رأيتك في النوم مطلية بعسل وأنا مطلي بعذرةٍ،

فقالت: يا فاسق هذا عملك الخبيث أراكه الله ـ عز وجل ـ قال: إنَّ في الرؤيا شيئاً آخر، قالت: وما هو؟ قال: رأيت أني ألطعك وأنت تلطعينني، قالت: لعنك الله يا فاسق.

قال المدائني: كان أشعب يتحدّث إلى امرأة بالمدينة حتى عُرف بذلك، فقالت لها جاراتها: لو سألتيه شيئاً، فإنه موسرٌ؛ فلما جاء قالت: إنَّ جاراتي ليقلن لي ما يصلك بشيء. فخرج نافراً من منزلها، فلم يقربها شهرين، ثم إنه جاء ذات يوم، فجلس على الباب، فأخرجت له قدحاً مملوءاً ماءً، فقالت: اشرب هذا من الفرع، فقال: اشربيه أنت من الطمع.

قال المدائني؛ قال رجل لأشعب: لو تحدّثت عندي العشية، فقال: أكره أن تجيء بثقيل، فقلت: أليس غيري وغيرك؟، قال: فإذا صليت الظهر، فأنا عندك، فصلّى وجاء؛ فلما وضعت الجارية الطعام إذا أنا بصديق لي يدق الباب، فقال: ألا تراها؟ قد جاءنا ثقيل عندي له عشرة خصال، قلت: أولها أنه لا يأكل، ولا يشرب، قال: رضيت والسبع خصال له أدخله.

قال المدائني: دخل أشعب يوماً على الحسين بن علي ـ رضي الله عنه ـ وعنده أعرابي قبيح الوجه، فسبَّح أشعب حين رآه، ثم قال للحسين: بأبي أنت وأمي تأذن لي أن أسلح عليه؟ فقال له الأعرابي: إن شئت. ومع الأعرابي فرس وكنانة، ففوق نحوه سهماً، وقال: والله لئن فعلت، لتكونن آخر سلحة سلحتها، فقال أشعب للحسين: فديتك قد أخذني القولنج.

قال المدائني: توضأ أشعب، فغسل رجله اليسرى، وترك اليمنى، فقيل له: لم تركت غسل اليمنى؟، قال: لأنَّ النبي ﷺ قال: أمتي غراء محجلين من آثار الوضوء، فأنا أحب أن أكون مطلق اليمين.

قال: سمع أشعب حُبَّى بالمدينة وهي تقول: اللهم لا تمتني أو تغفر لي ذنوبي، فقال لها: يا فاسقة أنت لم تسأليه المغفرة، إنما سألتيه عمر الأبد.

قال: ساوم أشعب بقوسٍ عربية، فقال صاحبها لا أنقصها من مائة دينار، فقال أشعب: أعتق ما تملك لو أنها إذا رمي بها طائر في جو السماء /١٢٩/ وقع مستوياً بين رغيفين ما أخذتها بدينار واحد.

قال: قيل لأشعب: رأيت أحداً أطمع منك؟ قال: نعم كلب تبعني أربعة أيام على مضغ العلك.

قال: لقي أشعب صديق لابنه، فقال له: ويحك يا أشعب كان أبوك ألْحَى وأنت

أفظ فإلى من خرجت؟ قال إلى أَمتي.

قال: ولما ولَّى الرشيد إبراهيم بن المهدي دمشق، بعث إلى عبيد بن أشعب، وكان قدم عليه من الحجاز، وأراد أن يُطرفه به، فقدم عليه، قال إبراهيم: فكان يحدّثني من حديث أبيه بالطرائف. وعادلته يوماً وأنا خارج من دمشق في قبة على بغل؛ لألهو بحديثه، فأصابنا في الطريق برد شديد، فدعوت بدواج سمور لألبسه، فأتيت به، فلما لبسته أقبلت على ابن أشعب، فقلت: حدَّثني بشيء مما بلغ طمع أبيك، فقال: ما لك ولأبي ها أنا حين دعوت بالديباج، فما شككت والله إنما جئت به لي. فضحكت، ثم دعوت له بغيره، ثم قلت له: لأبيك غيرك من الأولاد؟ قال: كثير، قلت: عشرة، قال: أكثر، قلت: فخمسون؟ قال: أكثر، قلت: فمائة، قال: دع المئين، وخذ الألوف. قال: ويلك أي شيء تقول؟ قال: ليس بينك وبينه أب كيف يكون له ألوف؟ فضحك ثم قال: في هذا خبر ظريف، فقلت له: حدثني به قال: كان منقطعاً إلى سكينة بنت الحسين، وكانت متزوّجة زيد بن عثمان بن عفان، وكانت محبّة له، وكان لا يستقرّ معها. تقول له: أريد الحج فيخرج معها، فإذا مضوا إلى مكة، قالت: أريد الرجوع إلى المدينة، فإذا عاد إلى المدينة قالت: أريد العمرة، فهو معها في سفر لا ينقضي.

قال عبيد بن أشعب: فحدّثني أبي كانت قد حلَّفته يميناً لا كفارة لها، أن لا يتزوج عليها، ولا يتسرّى، ولا يُلم بنسائه، ولا جواريه إلا بإذنها. وحجّ الخليفة في سنة من السنين، فقال لها: قد حجَّ أمير المؤمنين، ولا بُدَّ لي من لقائه. قال: فحلف لها أنه لا يدخل الطائف، ولا يلمّ بجواريه، بعد أن قالت له: لا آذن لك إلا على هذا، ثم قالت: احلف بالطلاق، فقال: لا أفعل ذلك، ولكن ابعثي معي ثقتك، فدعتني وأعطتني ثلاثين ديناراً، وقالت: أخرج معه وحلفتني بالطلاق من أتيت وردان زوجتي أن لا أطلق له الخروج إلى الطائف بوجهٍ، ولا سبب، فحلفت لها بما أثلج صدرها. وأذنت له، فخرج، وخرجت معه، فلما حاذينا الطائف، قال لي: يا أشعب أنت تعرفني، وتعرف /١٣٠/ صنيعتي عندك، وهذه ثلاثمائة درهم فخذها، وأذن لي أن ألمّ بجواريي؛ فلما سمعتها ذهب عقلي، وقلت يا سيدي: إنها سكينة فالله الله في، قال: أو تعلم سكينة الغيب؟ فلم يزل بي حتى أذنت له، فمضى وبات عند جواريه؛ فلما أصبحنا رأيت أبيات قوم من العرب قريبة منا، فلبست حلّة وشي كانت لزيد قيمتها ألف دينار، وركبت فرسه، وجئت إلى النساء فسلَّمت، فرددن علي السلام، وأجللنني، وسألنني عن نسبي، فانتسبت بنسب زيد، فحادثنني، وأنسن بي، فجاءني شيخ، فسلم علي، وعظَّمني، وسألني، فخبر بنسبي، فنظر إلي، وقال: ما هذه خلقة قرشي، ولا هو إلا عبد، ثم بادر إلى بيته، وعلمت أنه يريد شرّاً، فركبت الفرس، ثم مضيت، ولحقني

فرماني بسهم ما أخطأ قربوس السرج، وما شككت في أنه يلحقني بآخر فيقتلني، فسلحت ـ يعلم الله ـ في ثيابي، ولوثتها، ونفذ إلى الجلد فصيرها شهرة، وأتيت رحل زيد، فجلست أغسل الحلة، وأنشفها. وأقبل زيد فرأى ما لحق الحلة والسرج، فقال لي: ما القصة ويلك؟ فقلت: يا سيدي الصدق أنجى وأسلم، وحدثته الحديث، فاغتاظ، ثم قال: لم يكفك أن تلبس حلتي، وتصنع ما صنعت، وتركب فرسي، وتجلس إلى النساء حتى انتسبت بنسبي، وفضحتني، وجعلتني عند العرب ولآجاً. أنا نَفِيٌّ من أبي منسوب إلى أبيك إن لم أسؤك وأبالغ فيك، أو قال: في ذلك. ثم لقي الخليفة، وعاد فدخلنا على سكينة، فسألته عن خبره كله، فحدّثها، فقالت له: هل مضيت إلى جواريك؟؛ فقال: لا أدري سلي ثقتك، فدعت بي، فسألتني، فبدأت فحلفت بكل يمين محرجة أنه ما مرَّ بالطائف، ولا فارقني، ولا دخلها، فقال: اليمين الذي حلفها لازمة لي إن لم أكن دخلت الطائف، وبتّ عند جواريي، وغشيتهن جميعاً، وأخذ مني ثلاثمائة دينار، وفعل كذا وكذا، وأراها الحلة والسرج، فقالت لأشعب: فعلتها. أنا نفية من أبي إن لم أنفقها إلا فيما يسوؤك، ثم أمرت بكبس منزلي وإحضارها، وإحضار الدنانير، فأحضرت، واشتري بها خشب، وبيض، وسرجين، فعملت من الخشب بيتاً وحبستني فيه، وحلفت ألا أخرج منه حتى أحضن البيض كله، فمكثت أربعين يوماً إلى أن نقب كله، وخرج منه فراريج كثير، فربيتهن، وتناسلن، وكنّ في المدينة يسمين أولاد أشعب، وهنَّ إلى اليوم بالمدينة يسمين بذلك، وتزيد على الألوف كلّهن أقاربي وأهلي. قال /١٣١/ إبراهيم: فضحكت والله منه ضحكاً ما أذكر أني ضحكت قدره قطّ، ووصلته، ولم يزل عندي زماناً حتى خرج إلى المدينة.

قال: كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأولعهم، وبلغ من عبثه أنه كان يجيء إلى منزل الرجل له لقب يغضب منه فيقول: أنا فلان بن فلان، ثم يهتف به بلقبه، فيشتمه أقبح شتم، وأبان يضحك. قال: فبينا أشعب ذات يوم عنده في داره إذ أقبل أعرابي معه جمل، والأعرابي أشقر أزرق غضوب يتلظى كأنه أفعى، ويبين الشرّ في وجهه، فقال أبان: هذا والله من البادية، ادعوه فدعا به، فقيل له: إن الأمير أبا عثمان يدعوك، فأتاه، فسلّم عليه، فسأله عن تسبه، فانتسب له، فقال: حياك الله يا خال. اجلس، فقال: إني في طلب مثل جملك هذا منذ مدّة، فلم أجده كما أشتهي بهذه الهامة، وبهذا اللون والصدر والورك والأخفاف، والحمد لله الذي أظفرني به عند من أحبُه، أتبيعه؟، قال: نعم أيها الأمير، قال: فإنّي قد بذلت لك مائة دينار، وكان الجمل يساوي عشرة، فطمع الأعرابي وسرّ وانتفخ وبان الطمع في وجهه، فأقبل أبان على أشعب، وقال: ويلك يا أشعب إن خالي من أهلك وأقاربك ـ يعني في الطمع ـ فأوسع

له ما عندك. قال: نعم بأبي أنت وأمي وزيادة، فقال له: يا خال إنما زادك في الثمن على بصيرة أن الجمل يساوي ستين ديناراً. ولكني زدتك، وبذلت لك مائة، فزاد طمع الأعرابي، وقال: قد قبلت ذلك أيها الأمير، فأسرَّ إلى أشعب وأخرج شيئاً مغطّى، وقال: أظهر ما جئت به قال: فاخرج جرد عمامة خزّ تساوي أربعة دراهم، فقال: قوّمها يا أشعب، فقال: عمامة الأمير تعرف به، وتشهد فيها الأعياد والجمع، وتلقى فيها الخلفاء خمسين ديناراً، فقال: ضعها بين يديه، وقال لكاتبه: أثبت قيمتها، فكتب ذلك، ووضعت العمامة بين يدي الأعرابي، فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً، ولم يقدر على الكلام، ثم قال: هات قلنسيتي، فأخرج قلنسية طويلة خلقة، قد علاها الوسخ والدهن، وتخرَّقت تساوي نصف درهم، فقال: قلنسية الأمير تعلو هامته، ويُصلي فيها الصلوات، ويجلس للحكم ثلاثين ديناراً، فقال: أثبت فأثبت ووضعت /١٣٢/ بين يدي الأعرابي فتربد وجهه، وجحظت عيناه، وهمَّ بالوثوب، وتماسك قليلاً، وهو مقلقل، ثم قال أبان لأشعب: هات ما عندك، فأخرج خفين خلقين قد نقبا، وتقشرا، فقال: قوّم فقال: خفّا الأمير يطأ بهما الروضة، ويعلو منبر النبي ﷺ أربعين ديناراً، فقال: ضعها بين يديه، فوضعها ثم قال لبعض الأعراب: اذهب فخذ الجمل، وقال لآخر: امض مع الأعرابي، فاقبض ما عنده من بقية الثمن المبتاع وهو عشرون ديناراً، فوثب الأعرابي وأخذ القماش فضرب به وجه القوم ثم قال لأبان: أتدري أصلحك الله من أيّ شيء أموت؟ قال: لا، قال: حيث لم أدرك أباك عثمان فأشرك والله في دمه أن ولد مثلك. ثم نهض مثل المجنون، فأخذ بزمام بعيره، وضحك أبان حتى سقط، وكان الأعرابي إذا لقي أشعب، فيقول: يا ابن الخبيثة، هَلم إليّ حتىَ أكافيك على تقويمك المتاع، فيهرب منه أشعب.

قال: لاعب [أشعب] رجلٌ بالنرد، فأشرف على أن يقمره إلا أن يضرب دُوْيَك ووقع النقصان في يد الرجل، فأصابه زمع، وخرج، فضرب بكين وضرط مع الضربة، فقال أشعب: عليه من امرأته الطلاق إن لم أحسب له الضرطة نقطة حتى يصير المكان دُوْيَك ويقمر، فسلّم إليه القمر بسبب الضرطة.

وكانت صنعته في الغناء طيبة فمن صنعته في شعر كثير، وهو الصوت الذي ذكر أخباره بسببه(١): [من المتقارب]

إلى نارِ جيرانِنا نَقْصِدُ   فنقضي اللُّبابَةَ أو نعهدُ

(١) لكثير عزة في ديوانه ١٢٤ـ ١٢٥، الاغاني ١٩/ ١٤٣.

كـأنَّ عـلـى كَـبـدِي جَـمْـرَةً   حـذاراً مِـنَ الـبَـيْـنِ مـا تَـبْـرُدُ

توفي أشعب سنة أربع وخمسين ومائة.

[٤٨]

يونس الكاتب(١)

كمل بالطرب أدواته، وجعل حسن العود دواته، وكانت أنامله بالوتر أليق من القلم، وأوفق بأمداده مما يمده المداد من الظلم. حلَّق فيه تحليق الطائر، وحقق فيه ما لا يحقق من النظائر، وأطرب من سمع، وأطرف كل مجتمع، حتى ألف إنعامه، وخلف لأنف الحاسد إرغامه، وقسم أنواع الضروب، وغال /١٣٣/ الأفئدة بالأكول الشروب.

قال أبو الفرج: هو أول من دون الغناء، ويقال: إنه خرج [إلى] الشام في تجارة، فبلغ الوليد بن يزيد مكانه، فلم يعلم يونس إلا ورسله قد دخلت عليه الخان، والوليد إذ ذاك أمير، فنهضت معهم حتى أدخلوني على الأمير لا أدري من هو؟، إلا أنه أحسن الناس وجهاً، فسلمت وأمرني بالجلوس ثم دعا بالشراب والجواري فغنيت(٢): [من الخفيف]

إنْ يـعـشْ مُـصْـعَـبٌ فـنـحـنُ بـخـيـرٍ   قـدْ أتـانـا مِـنْ عَـيـشِـنـا مـا نُـرجـي

ثم نهضت، فقطَّعت الصوت، فقال: ما لك؟ فأخذت أعتذر من غنائي بشعر في مصعب، فضحك، وقال: إنَّ مصعباً قد مضى، وانقطع أثره، ولا عداوة بيني وبينه، إنما أريد الغناء، فامض في الصوت، فعدت فيه، فغنيته، ولم يزل يستعيده حتى أصبح، فشرب عليه مصطحباً، وهو يستعيد في الصوت لا يجاوزه حتى مضت ثلاثة أيّام. قلت: أيها الأمير جعلني الله فداك إني رجل تاجر، خرجت مع تجارة، وأخاف أن يرحلوا، فيضيع مالي، فقال: أنت تغدو غداً، وشرب باقي ليلته وأمر لي بثلاثة آلاف دينار

---

(١) يُونس بن سليمان بن كرد بن شهريار، من ولد هرمز: كاتب شاعر، بارع في صناعة الغناء. منشأه ومنزله بالمدينة. سافر في تجارة إلى الشام، فاستدعاه الوليد بن يزيد (قبل أن يلي الخلافة) فأكرمه وسُر به. ثم لما وُلي، بعث إليه، فجاءه من المدينة، فلم يزل معه حتى قتل، فعاد يونس إلى المدينة، وتوفي بها نحو سنة ١٣٥هـ/نحو ٧٥٢م. أخذ الغناء عن معبد وطبقته. وهو أول من دون الغناء في العرب. صنف كتاباً في «الأغاني» ونسبتها إلى من غنى بها، قال فيه الأصفهاني: إنه هو الأصل الذي يعمل عليه ويرجع إليه.

ترجمته في: الأغاني ٤/ ٣٩٠ـ ٣٩٦، وانظر فهرسته. والنويري ٤/ ٣٠٩ والوسائل إلى مسامرة الأوائل ١٣٧، الاعلام ٨/ ٢٦١.

(٢) لعبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه ١٨٠، الأغاني ٤/ ٣٩٣.

فحملت إليّ، وغدوت وأصحابي؛ فلما خرجت من عنده سألت عنه، فقيل لي: هذا الأمير الوليد بن يزيد ولي عهد أمير المؤمنين هشام؛ فلما استخلف، بعث إلي، فأتيته، ولم أزل معه إلى أن قتل.

[٤٩]

أحمد النَّصْبِيّ[١]

رجح سعداً، ونجح وعداً، وأقمر أمله، وأثمر بحسن الصنيعة عمله، وكان من رؤساء أهل الغناء، وجلساء الملوك المصغين لمسامعهم للاجتناء. إذا استقرَّ في المجلس تحرّك، وراجع رابهُ زمانُ السرور، واستدركَ وتكاثر الآباء، وتناثر الحباء، وجاءت النعم وفاقاً، والديم دفاقاً، واقتدحت بروح، وتتوجت بأقداحها هام الراح، وتسلبت حتى الهموم القطاع، وحفظ الأدب وأما الند فضاع.

قال أبو الفرج: هو أول من غنّى بالطنبور في الإسلام، وكان ينادم عبيد الله بن زياد سرّاً، /١٣٤/ ويغنيه وله صنعة كثيرة حسنة، كان مواجباً لأعشى همدان، وأحمد النصبي، مواصلاً له وأكثر غنائه في شعره، يقال: لقي أعشى همدان أحمد النصبي خرجا في بعض مغازيهما، فنزلا على سليمان بن صالح بن سعيد بن جابر العنبري، وكان منزله بساباط المدائن، فأحسن قراهما، وأمر لدوابهما بعلوفة وقضيم، وأقسم عليهما أن ينتقلا إلى عنده، ففعلا فعرض عليهما الشراب، فأجابا، فوضع بين أيديهما وجلسا يشربان، فقال أحمد للأعشى: قل في هذا الرجل الكريم شعراً تمدحه به حتى أغني فيه، فقال الأعشى يمدحه[٢]: [من السريع]

يا أيَّها القلبُ المطيعُ الهوى ... إنِ اعتراكَ الطَّربُ النَّازحُ
تَذْكُرُ جُمْلاً فإذا ما نَأَتْ ... طَارَ شَعَاعاً قَلْبُكَ الطَّامِحُ

يقول فيها:

إنّي تَوَسَّمتُ امرأً ماجِداً ... يصْدقُ في مِدْحَتِهِ المادِحُ

---

(١) أحمد بن أُسامة الهمداني النَّصْبِيّ: من رهط الأعشى الأدنين، ولقب بالنصبي نسبة إلى الأنصاب مفردها النصب، وهو أول من غنى بها، وعنه أخذ النصب في الغناء. وكان يغني بالطنبور في الاسلام، يقال انه كان ينادم عبيد الله بن زياد سرّاً ويغنيه، وله صنعة حسنة لم يلحقها أحد من الطنبوريين ولا كثير ممن يغني بالعود. سترد ترجمته مكررة برقم (٩٩).
ترجمته في: الأغاني ٦/ ٧٢_ ٧٨.

(٢) الاغاني ٦/ ٧٤_ ٧٥.

دَوَى بِـهِ الـعَـنْبَـرُ واخْـتـرتُـهُ والـمـرءُ قـدْ يُـنـعِـشُـهُ الـصَّـائِـحُ
قَـدْ عَـلِـمَ الـحَـيُّ إذَا أَمْـحَـلُـوا أَنَّـكَ رَفَّـادٌ لـهـمْ مـانِـحُ
فـي الـلـيـلـةِ الـغـالـي قِـرَاهـا الَّـتـي لا غـائـقٌ فـيـهـا ولا صـالِـحُ
فـالـضَّـيـفُ مـعـروفٌ لـهُ حَـقُّـهُ لـكـمْ عـلـى أَبـوابِـكُـمْ فـاتِـحُ
والـخـيـلُ قـدْ تـعـلَـمُ يـومَ الـوَغَـى أنَّـكَ عَـنْ جـمـرتِـهـا نـاصـحُ

قال: فغنى أحمد النصبي في هذه الأبيات وجارية لسلم في السطح جالسة، فسمعت الغناء، فنزلت إلى مولاها، فقالت: إني سمعتُ من أضيافك شعراً ما سمعت أحسن منه، وغنّى في غنوة فيه أحسن غناء سمعته، فخرج مولاها، فاستمع حتى فهم، ثم لم يزل، فدخل عليهما، فقال: لمن هذا الشعر والغناء، ومن أنتما؟، فقال: الشعر لهذا وهو أبو الصبح أعشى همدان، والغناء لي وأنا همدان النصيبي، فانكبّ على رأس أعشى همدان فقبلهما، وقال: كتمتماني أنفسكما، وكدتما تفارقاني، ولم أعرف خبركما. قال: فاحتبسهما عنده شهراً، ثم حملهما على فرسين، وقال: /١٣٥/ خلّفا عندي ما كَلَّ من دوابكما، ثم ارجعا من مغزاكما إليّ، فمضينا إلى مغزاهما، فأقاما حيناً، ثم انصرفا؛ فلما تشاوفا منزله، قال أحمد للأعشى: إني أرى عجباً، قال: وما هو؟ قال: أرى فوق سطح سليم ثعلباً، قال: لئن كنت صادقاً، فما بقي في القرية أحد. قال: فدخلنا القرية فوجدنا سليماً، وجميع أهل القرية قد أصابهم الطاعون، فمات أكثرهم، وانتقل باقيهم.

[٥٠]

سُلَيم(١)

مطرب قد هزج، ومُدير سُلاف لو مزج بالروح لامتزج، وكان في أمره عجباً، وبطربه لا يدع محتجباً، وفتى القيان، وأتى بما يملأ العيان، وكان هذا شحيحاً لحزاً، لا تجري دفقاً ولا نزراً على ما كان له من وفور إدرار وسنى الجوائز التي يقرّ لها كل قرار.

قال أبو الفرج: قال أبو الحاجب الأنصاري: قال لي سليم يوماً: امضِ إلى موسى بن إسحاق الأزرق فادعه، ووافياني مع الظهر، فجئناه الظهر فأخرج إلينا ثلاثين

(١) سُليم بن سلام الكوفي، ويكنى أبا عبد الله، وكان حسن الوجه، حسن الصوت، انقطع وهو أمرد إلى ابراهيم الموصلي فمال إليه، وتعشقه، فعلمه، وناصحه، فبرع، وكثرت روايته، وصنع فأجاد. **ترجمته في**: الأغاني ٦/ ١٧٣ـ ١٨٠.

جارية محسنة، ونبيذاً، ولم يطعمنا شيئاً، ولم نكن أكلنا، فأمر موسى غلامه فذهب، فاشترى لنا خبزاً وبيضاً، ودخلنا الكنيف، فجلسنا نأكل، فدخل إلينا، فلما رآنا نأكل خاصمنا، وقال: أهكذا يفعل الناس، تأكلون، ولا تطعموني، وجلس معنا في الكنيف يأكل كما نأكل حتى فتي ذلك.

قال إسحاق: غنّى سليم يوماً وبرصوم يزمر عليه بين يدي الرشيد فقصر في موضع صيحة، فأخرج برصوم الناي من فمه ثم صاح: يا عبد الله صُمّه أشدّ من هذا، فضحك الرشيد حتى استلقى، قال إسحاق: وضحكت أنا ضحكاً ما أذكر أني ضحكت قطّ مثله.

قال محمد بن الحسن: إنما أخّر سليماً عن أصحابه في الصنعة ولعه بالأهزاج، فإن ثلثي صنعته هزج.

وغنّى سليم بين يدي الرشيد ثلاثة أصوات من الهزج، فأطربه، فأمر له بثلاثين ألف درهم، وقال: لو كنت حكم الوادي، ما زدت على هذا الإحسان في أهزاجك شيئاً.

[٥١]

ابن عباد الكاتب[١]

/ ١٣٦/ جمع الصنعتين فأبدع، وفاق فيهما، لكنه سرَّ من أرى دون سروره من أسمع. كان في الغناء للخِلْبِ خالباً، وللبّ سالباً، وللسرر جالباً، وللهم الذي شدَّ خناقه على الصدور غالباً، وله طُرَفٌ تحكمي، وغرائب تروى، وأثار تنقل، وأصوات تطرب.

قال أبو الفرج الأصفهاني: قال ابن عباد: إني لأمشي بأعلى مكة في العشر، إذا أنا بمالك على حمار له، ومعه فتيان من أهل المدينة، فظننت أنهما قالا له: هذا ابن عباد، فمال إليّ، فملت إليه، فقال لي: أنت ابن عباد؟ فقلت: نعم، فقال: مل معي ههنا، فأدخلَني شعب ابن عامر. ثم أدخلني دهليز ابن عامر، قال: غنني، قلت: أغنيك، وأنت مالك؟ وقد كان يبلغني أنه ينكت أهل مكة، ويتعصب عليهم، فقال: بالله إلا غنيتني صوتاً من صنعتك، فاندفعت فغنيته[٢]: [من الوافر]

---

(١) ابن عبّاد: محمد بن عباد، مولى بني مخزوم، وقيل: إنه مولى بني جمح، ويكنى أبا جعفر، مكي، من كبراء المغنين، من الطبقة الثانية منهم، وقد أخذ يونس الكاتب عنه الغناء، متقن الصنعة كثيرها، وكان أبوه من كتّاب الديوان بمكة، فلذلك قيل: ابن عبّاد الكاتب.
ترجمته في: الأغاني ٦/ ١٨١ ـ ١٨٢.

(٢) الأغاني ٦/ ١٨١ ـ ١٨٢.

أَلا يـا صـاحـبـيَّ قِـفـا فـعُـوجـا   عـلـى رَبْـعِ تـقـاوَمَ بـالـمُـنـيـفِ
فـأمـسـتْ دارهـم شَـحَـطَـتْ وبـانَـتْ   وأَضحى الْقَـلبُ يـخـفِـقُ ذا سَفِـيـفِ

وما غنيته إياه إلا على احتشام؛ فلما فرغت نظر إليّ، وقال: والله لقد أحسنت، ولكنَّ حلقك كأنه حلق زانيةٍ فقلت: أما إذا أفلتُّ منك بهذا، فقد أفلتُّ.

قال: وبقي ابن عباد إلى أيام المهدي، فقدم بغداد، وتوفي بها في أيامه، ودفن بباب حرب.

[٥٢]

يحيى المكي[١]

رابط فكر سانح، وخاطر مانح، واضطلاع فيما نقل، واطلاع على ما كان يظن أنه لم يقل، واتقانٍ لصنعته بجميع طرقها، ويعرف فرقها، ويؤنس غريبها، ويُجلِّي غِرْبيبها، وأذن الخلافة مصغية إلى اجتناء الطرائف، واقتناء الشرايف، واستحسان الحسن، واستنطاق الألسن فنفقت بضاعته، وفتقت الحجب إلى القلوب صناعته.

قال أبو الفرج؛ قال أحمد بن سعيد المالكي: حضرت يحيى المكيّ يوماً وقد غنّى لحناً لمالك، فسأل عن صانعه، فقال: هذا لي، فقال إسحاق: قلتُ: ماذا، قلت فديتك؟ وتضاحك به وأخبر /١٣٧/ أنه لمالك فغنّى الصوت، فخجل يحيى، وأمسك عنه، ثم غنّى بعد ساعة صوتاً آخر، فسأله عنه، فنسبه إلى الغريض، فقال له إسحاق: يا أبا عثمان ليس هذا من نمط الغريض، ولا طريقته، فلو شئت لأخذت مالك وتركت الغريض مكانه، ولم تتعب، فاستحيا يحيى، ولم ينتفع بنفسه يومه؛ فلما انصرف بعث إلى إسحاق بألطاف وهدايا، وكتب إليه يعاتبه ويقول له: لستُ من أقرانك فتضادني، ولا أنا ممن يتصدّى لمباغضتك ومباراتك، فتكايدني وأنت أولى أن أفيدك، وأعطيك ما تعلم أنك لا تجده عند غيري، فتسمو بي على أكفائك أحوج منك على أن تباغضني، وأعطي غيرك سلاحاً إذا حمله عليك لم يقم له، وأنت أولى، وما تختار فعرف إسحاق صدقهُ فكتب إليه يعتذر وردّ الألطاف، وحلف له أن لا يعارضه بعدها، وكان يأخذ عنه

---

(١) يحيى بن مَرْزُوق المكي، من الموالي: أديب، من المغنين المشهورين. نشأ بمكة في العصر الأموي. وعاش طويلاً، فكان له في العصر العباسي شأن. وأقام ببغداد، فاتصل بالمهدي وغيره من الخلفاء، وصنف كتاباً في «الأغاني» جمع فيه نحو ثلاثة آلاف صوت، أهداه إلى عبد الله بن طاهر. وتوفي ببغداد نحو سنة ٢٢٠ هـ/نحو ٨٣٥م.
ترجمته في: الأغاني ٦/ ١٨٣ ـ ٢٠٠، الأعلام٨/ ١٧١.

غناءَ المتقدمين ويستفيد منه أشياء فاق بها نظراءه، وكان يحيى بعد ذلك إذا سئل بحضرته عن شيء صدق فيه، وإذا غاب إسحاق خلط فيما سئل عنه.

قال إسحاق يوماً للرشيد قبل أن تصلح الحال بينه وبين يحيى المكي: أتحبّ يا أمير المؤمنين أن أظهر لك كذب يحيى فيما ينسبه من الغناء؟ قال: نعم، قال: أعطني أي شعر شئت حتى أصنع فيه لحناً وسلني بحضرته عن صانعه، فإني سأنسبه إلى رجل لا أصل له، وسلني، وسل يحيى عنه إذا غنيته، فإنه لا يمنع أن يدّعي معرفته، فأعطاهُ شعراً، وصنع فيه لحناً، وغنّاه الرشيد بحضرة يحيى، فسأله لمن هو؟، فقال له إسحاق: لعتاريس المدني، فاقبل الرشيد على يحيى، فقال له: لقيت عتاريس اليمني؟ قال: نعم وأخذت عنه صوتين ثم غنّى صوتاً، وقال: هذا أحدهما؛ فلما خرج يحيى، حلف إسحاق بالطلاق ثلاثاً، وعتق جواريه إن الله جل وعزّ ما خلق أحداً اسمه عتاريس، ولا سمع في المغنين، ولا غيرهم، وأنه وضع هذا الاسم في وقته.

قال زُرزُر مولى علي المالقي، قال إبراهيم بن المهدي يوماً لمولاي: ويلك يا مارق إن يحيى المكي غنّى البارحة أمير المؤمنين ذكر فيه صوتاً فيه زينب، وكان النبيذ أخذ مني، فأنسيت شعره، فاستعدته إياه، فلم يعده، /١٣٨/ فاحتل لي عليه حتى تأخذه لي منه ولك عليّ سبق، فقال لي مولاي: اذهب إليه، وأعلمه أني أسأله أن يكون اليوم عندي. فمضيت إليه، فجئت به، فلما قعدنا، ووضع النبيذ، قال له المارقي: إني كنت سمعتك تغني صوتاً فيه ذكر زينب، وأنا أحب أن آخذه منك. وكان يحيى يوفي هذا الشأن حقه، ولا يحضر إلا بحذر، ثم لا يدع الطلب والمسألة، ولا يلقي صوتاً إلا بعوض، فقال له: وأي شيء العوض إذا ألقيت عليك هذا الصوت؟ فقال: ما تريد؟، فقال: هات الولية الأزمنية. أما آن لك أن تملّها، قال بلى وهي لك، قال: وهذه الظباء الحرمية؟ أنا مكي وأنا أولى بها منك. قال: هي لك؟ وأمر بحمل ذلك إليه، وقال: غلام هات العود، فقال يحيى: والميزان والدراهم. وكان لا يغني صوتاً إلا بخمسين درهماً، فأعطاه إياها، وألقى عليه الصوت وهو[1]: [من الطويل]

بزينبَ ألِمْ قبلَ أنْ يظعنَ الركبُ   وقُلْ: إنْ تَملّينا فَمَا مَلَّكِ القَلْبُ

فلم يشك المارقي أنه قد أخذ الصوت الذي طلبه إبراهيم، وأدرك حاجته، فبكر إلى إبراهيم، وقد أخذ الصوت، فقال: جئتك بالحاجة، فدعا بالعود فغنّاه إياه، فقال: لا والله ما هذا هو، وقد خدعك، فعاود الاحتيال عليه.

(١) لنصيب بن رباح في شعره ٦٠.

قال زُرزر: فبعثني إليه، وبعث معي خمسين درهماً؛ فلما دخل إليه وأكلا وشربا، قال له يحيى: قد واليت بين دعوتك لي ولم تكن برّاً ولا وصولاً، فما هذا؟ قال: تذكرت الصوت الذي سألتك إياه، فإذا ليس هو الذي ألقيته قال: فتريد ماذا؟، قال: تذكر الصوت. قال: افعل، ثم غناه[1]: [من البسيط]

أَلـمِـمْ بـزيـنـبَ إنَّ الـبَـيْـنَ قـدْ أَفِـدَا قـلَّ الـثَّـواءُ لـئِـنْ كـانَ الـرحـيـلُ غَـدَا

فقال: نعم فديتك يا أبا عثمان. هذا هو فالقه علي، قال: العوض؟ قال: ما شئت؟، قال: هذا المطرف الأسود، قال: هو لك، فأخذه، وألقى عليه الصوت حتى استوى له، وبكر إلى إبراهيم، فقال له: ما وراءك؟ قال: قد قضيت الحاجة، فغناه إياه، فقال: خدعك والله ليس هو هذا، فأعد الاحتيال عليه، وكلّما تعطيه إياه، فألزمني به؛ /١٣٩/ فلما كان في اليوم الثالث بعث إليه، وفعل مثل فعله بالأمس، فقال له يحيى: مالك أيضاً؟، فقال: يا أبا عثمان ليس هذا هو الصوت الذي أردت، قال له: لست أعلم ما في نفسك، فأذكره، وإنما عليّ أن أذكر ما فيه زينب من الغناء كما التمست حتى لا يبقى زينب البتة إلا حضرت بها، قال: هات على اسم الله تعالى أذكر العوض. قال: هذه الدراعة الوشي التي عليك، فأخذها. قال: والخمسين درهماً، فأحضرت، فأخذها وألقى عليّ[2]: [من الطويل]

لـزيـنـبَ طـيـفٌ تـعـتـريـنـي طَـوَارِقُـهْ هُـدوّاً إذا الـنَّـجـمُ ارجَـحَـنَّـتْ لـواحِـقُـهْ

فأخذه، ومضى إلى إبراهيم، فصادفه يشرب مع الحرم، فقال له: حاجته ما تصل إليه، فقال له: قُل له قد جئتك بحاجتك، فدخل، فأعلمه، فقال: يدخل، فيغنيه في الدار قائماً، فإن كان هو، وإلا فليخرج. قال: ففعل ذلك، فقال: لا والله ما هو هذا فعاود الاحتيال عليه، ففعل مثل ذلك، فقال له يحيى، وهو يضحك: ما ظفرت بزينبك بعد؟، قال: لا والله يا أبا عثمان، وما أشك إلا أنك تعدني بالمدح مما أريده، وقد أخذت كل شيء عندي معاينة، فقال له يحيى: قد استحييت الآن منك، وأنا ناصحك على شريطة. قال: نعم، قال: الشريطة أن لا تلمني ان أعاتبك؛ لأنك أخذت في معاتبتي والمطلوب إليه أقدر من الطالب، فلا تعاود أن تحتال عليّ؛ فإنك لا تظفر بما تريد. قد دسَّك إبراهيم عليّ؛ لتأخذ صوتاً غنيته، وسألني إعادته، فمنعته إياه بجلاً عليه به؛ لأنه لم يلحقني منه خير، ولا بركة، ويريد أن يأخذ غنائي باطلاً، وطمع بموضعك

(١) لعمر بن ربيعة في ديوانه ٣٩١.
(٢) لمحمد بن عبد الله النميري في الأغاني ٦/ ١٩١.

عندي أن يأخذ الصوت بلا ثمن، ولا حمد. لا والله إلا بأوفر الثمن، وبعد اعترافك وإلا فلا تطمع في الصوت، فقال له: أما إذ قد فطنت، فتغنّه الآن إن كان هو، وإلا فعليك إعادته بعينه، ولو غنيتني كل شيء تعرفه، لما أحسنت لك إلا به، فقال: اشتره. فتساومنا طويلاً، وماكسته إلى أن استقرَّ الأمر على ألف درهم، فدفعتها إليه وألقى[1]: [من الكامل]

طَرَقْتكَ زينبُ والمزارُ بعيدُ ... بِمِنًى ونحنُ مُعَرِّسُونَ شُهُودُ
فكأنَّما طَرَقْتَ بِرَيَّا رَوضة ... أُنُفٍ تُسَحِّحُ مَزْنَها وتَجُودُ

/١٤٠/ قال: وهو صوت كبير العمل، حلو النغم، كثير الصنعة، صحيح القسمة، حسن المقاطع، فأخذه وبكر إلى إبراهيم، فقال له: قد أفقرني هذا الصوت وأعراني، وابلائي بوجه يحيى، وشحذه، وشرهه. وحدثته بالقصة فضحك إبراهيم، وغناه إياه، فقال: هو هذا وأبيك هو بعينه، فألقاهُ عليه حتى أخذه وأخلف كلّ شيء أخذه يحيى منه، وزادهه خمسة آلاف درهم، وحمله على برذون أشهب بسرجه ولجامه، وقال له: يا سيدي فغلامك زرزر المسكين قد تردد إليه حتى طلع. هب له شيئاً، فأمر له بألف درهم.

قال: كان إبراهيم بن المهدي في مجلس محمد الأمين، والمغنون حضور، فغنّى يحيى المكي[2]: [من مجزوء الوافر]

خليلٌ لي أهيمُ بهِ ... فلا كافى ولا شَكَرَا

فاستعاده إبراهيم، وأحبّ أن يأخذه، فجعل يحيى المكي يفسده، وفطن الأمين بذلك، فأمر له بعشرين ألف درهم، وأمره بردّه، وترك التخليط فيه. فدعا له، وقبل الأرض بين يديه، وردّه الصوت وجوده فاستعاد إبراهيم، فقال له يحيى: لست تطيب نفسي لك به إلا بعوض من مالك ولا أنصحك والله؛ فهذا مال أمير المؤمنين مولاي، فلم تأخذ أنت غنائي؟ فضحك الأمين، وحكم على إبراهيم بعشرة آلاف درهم، فأحضره، وقبّل يحيى يده، فأعاد الصوت وجود فنظر إلى مخارق وعلوية متطلعين لأخذه فقطع الصوت ثم أقبل عليهما، فقال: قطعة من خصية الشيخ تغطي أَستاه عدة صبيان، والله لا أعدته بحضرتكما، ثم أقبل على إبراهيم بن المهدي، فقال له: يا سيدي أنا أصير إليك حتى تأخذه متمكناً، ولا يشركك فيه أحد، فصار إليه، فأعاده حتى أخذه، وأخذ جواريه.

---

(١) الأغاني ٦/ ١٩٢ ـ ١٩٣.
(٢) الأغاني ٦/ ١٩٤.

قال: غنّى ابن جامع للرشيد يوماً بيتاً، وهو هذا[١]: [من السريع]

إنِّي امرؤٌ مالي يقي عِرْضي وبيت جاري آمناً جَهْلي

فأعجب به الرشيد فاستعاده مراراً، وأسكت ابن جامع سائر المغنين وجعل يسمعه ويشرب عليه، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة خلع وعشرة خواتيم، وانصرف فمضى إبراهيم الموصلي من وجهه إلى يحيى المكي فأخبره بالذي كان /١٤١/ من ابن جامع واستغاث به، فقال له يحيى: أفزاد على البيت الأول شيئاً، قال: لا، قال: أفرأيت إن زدتك بيتاً ثانياً لم يعرفه إسماعيل أو عرفه ثم أنسيه، وطرحته عليك حتى تأخذه ما تجعل لي؟، قال: النصف مما يصل إلي بهذا البيت. قال: والله؟ قال: والله؛ فلمَّا استوثق منه بالأيمان ألقى عليه:

وأَرَى الدَّمامَة للرَّفيقِ إذا أَلْقى رحالتَهُ إلى رَحْلي

فأخذه وانصرف؛ فلما حضر المغنون من غدٍ كان أول صوت غناه إبراهيم هذا الصوت، وتحفظ فيه، وأحسن فيه كل الإحسان، فطرب الرشيد عليه، واستعاده حتى سكر، وأمر لإبراهيم بعشرة آلاف دينار، وعشرة خواتيم، وعشر خلع، فحمل ذلك معه، وانصرف من وجهه إلى يحيى، فقاسمه، ومضى إلى منزله، وانصرف ابن جامع إليه من دار الرشيد، وكان يحيى في بقايا علّة، فاحتجب عنه، فدفع ابن جامع في صدر بوابه، ودخل إليه، وقال: إيهٍ يايحيى، كيف صنعت؟ ألقيت الصوت على الجرمقاني؟ لادفع الله صرعتك، ولا وهب عافيتك، وتشاتما ساعةً، وخرج ابن جامع من عنده، وهو مدوح.

قال يحيى المكي: أرسل إليَّ الرشيد، فدخلت عليه، وهو جالس على كرسي بتلِّ دارا، فقال يحيى: غنِّ[٢]: [من الطويل]

متى تَلْتَقِي الأُلاَّفُ والعَيْشُ كلَّما تَصَعَّدْنَ مِنْ وادٍ هَبَطْنَ إلى وادِي

قال: فلم أزل أغنيه ويتناول أقداحاً إلى أن أمسى فعددتُ عليه عشر مرات استعاد فيها وشرب عليه عشرة أقداح، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم وأمرني بالانصراف.

[٥٣]

حكم الوادي[٣]

تنقل في فنون الطرب، وتوقل الرجال في الطلب، وكان مثل حمامة الوادي

---

(١) الأغاني ٦/١٩٨. (٢) الأغاني ٦/ ١٩٥.

(٣) حكم الوادي: أبو يحيى، الحكم بن ميمون، فارسي الأصل، مولى الوليد بن عبد الملك، وكان =

طرباً، يصدع زجاجة الأحشاء، ويكون حاجة الانتشاء، ويفعل في هذا شبيه السحر في النخيل، ونظيره في التضليل، ومثله في تحصيل الأباطيل، وكان على اتفاق، وعمله كله على النفاق.

/ ١٤٢/ قال أبو الفرج؛ قال إسحاق: سمعتُ حكم الوادي يغني صوتاً، فأعجبني، فسألته: لمن هذا؟ قال: ولمن يكون إلا لي.

قال: وغنّى حكم الوادي يوماً، فقال له رجل: أحسنت!، فألقى الدفّ بين يديه، وقال للرجل: قبحك الله أتراني مع المغنين منذ ستين سنة.

قال إسحاق: أربعة بلغوا في الإحسان في أربعة أجناس مبلغاً قصر عندهم غيرهم: معبد في الثقيل الأول، وابن سريج في الرمل، وحكم في الهزج، وإبراهيم في الماخوري.

ويقال: إنَّ حكم الوادي غنّى في الأهزاج في آخر عمره فلامه ابنه على ذلك؟ وقال: بعد الكبر تغني غناء المخنثين؟ فقال: اسكت فإنك جاهل غنيت الثقيل ستين سنة فلم أفد إلا القوت، وغنيت الأهزاج منذ سنين، فأكسب ما لم تر مثله قط.

قال يحيى بن خالد: ما رأينا فيمن يأتينا أحداً من المغنين أجود أداءً من حكم الوادي، وليس أحد يُسمع منه غناء إلا وهو يغيّره، ويزيد فيه وينقص إلا الحكم، فقيل للحكم ذلك، فقال: إني لست أشرب، وهؤلاء يشربون، فإذا شربوا تغيَّر غناء غنائهم.

[٥٤]

عمر الوادي(١)

رجل نغمه بالطرب موصول، وإلى خِلْبِ الكبد له وصول، لو مرَّ به السيل المنحدر لوقف وأنصت، والطير في جو السماء لخرس وما صوّت، مع حسن صنعة لا

=

أبوه حلاقاً يحلق رأس الوليد، فاشتراه فأعتقه. وكان حكم طويلاً، أحول، يكري الجمال ينقل عليها الزيت من الشام إلى المدينة.

ترجمته في: الأغاني ٦/ ٢٩٦ ـ ٣٠٣.

(١) عمر بن داود بن زاذان، وجدّه زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفان، وكان عمر مهندساً، وأخذ الغناء عنه حكم وذووه من أهل وادي القرى، وكان قدم إلى الحرم فأخذ من غناء أهله، فحذق وصنع فأجاد وأتقن. وكان طيب الصوت، شجياً مطرباً، وكان أول من غنّى من أهل وادي القرى، واتصل بالوليد بن يزيد في أيام إمارته، فتقدم عنده جداً، وكان يسميه جامع لذاتي ومحيي طربي، وقتل الوليد وهو يغنيه، وكان آخر عهده به من الناس.

ترجمته في: الأغاني ٧/ ٩٨ ـ ١٠٣.

يدخل الخلل ضروبها، ولا يكون ببلوغ الأمل ضريبها، ولا يتم سرور المجالس إلا إذا سمع منه في جنباتها، وطلع عود المخضر الغصن في جناتها، فكان محنى المحاضر، ومنى السامع والناظر.

قال أبو الفرج: اتصل بالوليد بن يزيد فتقدم عنده، وكان يسميه: جامع لذّاتي، ومحيي طربي، وقتل الوليد وهو يغنيه، وكان آخر الناس عهداً به.

وقيل: إنَّ الوليد كان يوماً جالساً، وعنده عمر الوادي، وأبو رقية، وكان ضعيف العقل، /١٤٣/ وكان يُملي المصحف على الوليد، فقال الوليد لعمر، وقد غناه صوتاً: أحسنت والله! يا جامع لذَّاتي. وأبو رقية مضطجع، وهم يحسبونه نائماً، فرفع رأسه إلى الوليد، وقال له: أنا جامع اللذات لأمك، فغضب الوليد، وهم به، فقال له عمر الوادي: والله، جعلني الله فداك، ما يعقل أبو رقية، وهو سكران، فأمسك عنه.

قال عمر الوادي: بينا أسير ليلةً من العرج والسقيا إذ سمعت إنساناً يغني غناء لم أسمع قطّ أحسن منه وهو هذا[1]: [من الطويل]

وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى بأرضِها ... أرى الأرضَ تُطوى لي ويدنُو بعيدُها
مِنَ الخَفِرَاتِ البِيضِ وَدَّ جليسُها ... إذا ما قَضَتْ أحدُوثةً لو تُعِيدُها

فكدت أسقط من ناقتي طرباً، فقلت: والله لألتمسنَّ الصوت والوصول إليه، ولو بذهاب عضو من أعضائي. فقصدت نحو الصوت حتى ذهبت من الشرف، وإذا أنا برجل يرعى غنماً، فإذا هو صاحب الصوت، فأعلمته الذي قصدني إليه، وسألته إعادته عليّ، فقال: والله لو كان عندي قرًى، لما فعلت، ولكني أجعله قراك، فربما ترنمت به وأنا جائع، فأشبع، وكسلان فأنشط، ومتوحش، فآنس. فأعاده عليّ مراراً حتى أخذته، فوالله ما كان لي كلام غيره حتى دخلت المدينة. ولقد وجدته كما قال:

عمر الوادي، خرج إلى الوليد بن يزيد يوماً، وفي يده خاتم فضّة، وعليه ياقوت أحمر، فقال لي: أتحبّ أن أهبه لك؟ قلت: نعم والله يا مولاي، فقال: غنّ في هذه الأبيات التي أُنشدَكها، وأجهد نفسك، فإن أصبت إرادتي فهنيئاً لك فقلت: أجهد، وأرجو التوفيق. فقال[2]: [من الهزج]

أَلا يُسلِّيكَ عَنْ سلمى ... قتيرُ الشَّيبِ والحِلْمُ
وأَنَّ الشكَّ مُلْتَبِسٌ ... فلا وصلٌ ولا صَرْمُ

---

(١) لكثير عزّة في ديوانه ١٢٥ ـ ١٢٦، الأغاني ٧/ ١٠٠ ـ ١٠١.
(٢) للوليد بن يزيد في ديوانه ١١١، والأغاني ٧/ ١٠٢.

وكيفَ بظلمِ جاريةٍ ومِنها اللِّينُ والرُّحْمُ

فخلوت في بعض المَجالس، وما زلت أُديره حتى استقام، ثم خرجت إليه، وعلى رأسه وصيفة، وبيدها كأس، وهو يروم شربه، فلا يقدر خُمَاراً، فقال: ما صنعت؟، قلتُ: قد /١٤٤/ فرغت ممَّا أمرت به، وغنيته فصاح هذا والله؟ ووثب قائماً، وأخذ الكأس، وقال: أعد فديتك، فأعدته عليه، فشرب، ودعا ثانية وثالثاً ورابعاً، وهو على حاله يشرب قائماً حتى كاد أن يسقط، وجلس ونزع الخاتم والحلة التي كانت عليه، وألبسنيها، وأجلسني في حجره، وقال: و[الله] العظيم لا تبرح هكذا حتى أسكر، وما زلت أعيده ويشرب حتى مال على جنبه سكراً، ونام.

[٥٥]

أحمد بن يحيى المكي(١)

أطنب، فأطرب، وأعرب، فأغرب، وجمع شتى الأصوات وزينها، وأتى بالغرائب وحسنها، وانهل منه صيّت لا يعرف الإمساك، وتدفق سَكُوبٌ لو كنت تتذكر معه البحر لأنساك، تقدم في أهل صناعته حتى كان لا يراهم إلا إذا التفت وفرغ منهم حاجة الجلساء حتى تمسكت به، فاكتفت.

قال أبو الفرج: قال جحظة: حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي، قال: ناظر أبي بعض المغنين ليلة بين يدي المعتصم، وطال تلاحيهما في الغناء، فقال للمعتصم: يا أمير المؤمنين من شاء منهم، فليغنّ عشرة أصوات، لا أعرف فيها ثلاثة، وأن أغنّي عشرة وعشرة وعشرة، لا يعرف أحد منهم صوتاً منها، فقال إسحاق: صدق يا أمير المؤمنين واتبعه ابن بسخنر وعلوية، فقالا: صدق إسحاق يا أمير المؤمنين فأمر له بعشرة آلاف درهم.

قال محمد: ثم عاد ذلك الرجل إلى مماطلته يوماً، فقال: قد دعوتك إلى النصفة

---

(١) أحمد بن يحيى بن مرزوق المكي، ويكنى أبا جعفر، وكان يلقب ظنيناً، وقد تقدم ذكر أبيه وأخباره بترجمة رقم ٥٢، وهو أحد المحسنين المبرزين الرواة للغناء المحكمي الصنعة.
وكان إسحق يقدمه ويؤثره، ويشيد بذكره، ويجهر بتفضيله، وكتابه المجرد في الأغاني ونسبها، أصل من الأصول المعول عليها. وما اعرف كتاباً بعد كتاب إسحق الذي ألفه كتاباً يقارب كتابه، ولا يقاس به. وكان مع جودة غنائه، وحسن صنعته، أحد الضراب الموصوفين المتقدمين.
توفي أحمد بن يحيى المكي في خلافة المستعين في أولها.
ترجمته في: الأغاني ١٦/ ٣٣٦ ـ ٣٤٢.

فلم تقبل، وإنما أبدأ بما دعوتك إليه، فاندفع فغنَّى عشرة أصوات، فلم يعرف أحد منهم صوتاً واحداً كلّها من الغناء القديم والغناء الملاحق به صنعة المكيين الحذاق الخاملي الذكر، فاستحسن المعتصم منها صوتاً، فأسكت المغنين له، وأعاده مرات، وهو يستعيده، ولم يزل يشرب عليه سحابة يومه، وأمر له بألفي دينار، وخلع عليه، وعلى جماعته الندماء مماطر لها شأن من ألوان شتّى، فسأل عبد الوهاب بن علي أن يردّ عليه الصوت، /١٤٥/ ويجعل له مِمْطَرَةً فغنّاه إياه، فلمّا خرجوا للانصراف أمر غلمانه بدفع الصوت الممطر إلى غلمان أبي، فسلَّموه إليهم. والصوت(١): [من مجزوء الخفيف]

لَعَنَ اللهُ مَنْ يَلُومُ مُحِبَّاً ... ولَحَا اللهُ مَنْ يُحِبُّ فيأبَى
رُبّ إلْفَيْنِ أَظْهرَا الحُبَّ دَهْراً ... فَعَفَى اللهُ عنْهما حِيْنَ تَأْبَى

[٥٦]

بذل(٢)

جارية نقصت البدور المقمرة، واستنقصت فيها القناطر المقنطرة، وتحاسدت عليها الملوك أصحاب الأسرة، واهتبلت فيها الغرة، وسخنت فيها البحر عني وامتحنت بمماثلة طيبها المسك، فأصبح تحت القهر ممتهناً، وكانت رأساً في الطرب، إلا أنه بالتاج معتصب، ولهوى الخلفاء مغتصب، وبرزت على كل ذات قناع، وأخذت القلوب بلا امتناع، وكانت أعلام الغناء نكرات لديها، ومبكرات لا تصل إليها، يعترف لها مثل ابن المهدي، ويعترض عليها حتى يحضر معها في الندي، وكان لا يرى بنو العباس غير فينتها شرفاً، ولا بعد أدنى هُون الرشيد في سواها إلا سرفاً.

---

(١) الأغاني ١٦/ ٣٣٩.

(٢) بذل: كانت بذل صفراء مولدة من مولدات المدينة، وربيت بالبصرة، وهي إحدى المحسنات المتقدمات الموصوفات بكثرة الرواية .
يقال: إنها كانت تغني ثلاثين ألف صوت، ولها كتاب في الأغاني منسوب الأصوات غير مجنس يشتمل على اثني عشر ألف صوت.
يقال: إنها عملته لعلي بن هشام. وكانت حلوة الوجه، ظريفة ، ضاربة متقدمة. وابتاعها جعفر بن موسى الهادي فأخذها منه محمد الأمين، وأعطاه مالاً جزيلاً، فولدهما جميعاً يدعون ولاءها.. كانت بذل من أحسن الناس غناء في دهرها. وكانت أستاذة كل محسن، ومحسنة. وكانت صفراء مدينية، وكانت أروى خلق الله للغناء. ولم يكن لها معرفة .
ترجمتها في: الأغاني ١٧/ ٨٠ ـ ٨٦.

قال أبو الفرج: كانت حلو الوجه، ضاربة متقدمة. وابتاعها جعفر بن موسى الهادي وأخذها منه محمد الأمين، وكانت قد وُصفت له، فبعث إلى جعفر يسأله أن يريه إيّاها، فأبى فزاره إلى منزله فسمع شيئاً لم يسمع مثله، فقال لجعفر: بعني يا أخي هذه الجارية، فقال: يا سيدي مثلي لا يبيع جاريةً، فقال: هبها لي، فقال: هي مدبرة، فاحتال محمد حتى أسكره، وأمر ببذل، فحملت معه على الحرَّاقة، وانصرف بها؛ فلما انتبه جعفر سأل عنها، فأخبر بخبرها، فسكت، فبعث إليه محمد من الغد، فجاءه وبذل جالسة، فلم يقل شيئاً، فلما أراد جعفر الانصراف، قال: أوقروا حرَّاقة ابن عمي دراهم، فكان مبلغ ذلك عشرين ألف ألف درهم. قال: وبقيت بذلك في دار محمد إلى أن قتل.

ثم خرجت، وكان ولد محمد يدّعون ولاءها، فلما ماتت، ورثها ولد عبد الله /١٤٦/ ابن محمد الأمين.

وقيل: كان محمد الأمين قد وهب لها من الجواهر شيئاً لم يكن يملك أحدٌ مثله، فسلم لها، فكانت تخرج منه الشيء، فتبيعه بالمال العظيم إلا أن ماتت.

وكان إبراهيم بن المهدي يعظّمها ويتوافى لها، ثم تغير بعد ذلك استغنى بنفسه عنها، فعلمت ذلك، وصارت إليه ودعت بعودٍ، وغنّت في طريقة واحدةٍ وإيقاع واحد مائة صوت لم يعرف إبراهيم منها واحداً، ووضعت العود، وانصرفت، فلم تدخل داره حتى طال طلبه لها، وتضرعه إليها في الرجوع إليه.

قال أحمد بن شعيب المكي: خالف بذل إسحاق في صوتٍ غنته بحضرة المأمون، فأمسكت عنه ساعةً، ثم غنَّت ثلاثة أصوات في الثقيل الثاني واحداً بعد واحد، وسألت إسحاق عن صانعها، فلم يعرفه، فقالت للمأمون: هي والله يا أمير المؤمنين لأبيه أخذتها من فيه فإذا كان لا يعرف غناء أبيه فكيف يعرف غناء غيره فاشتدَّ ذلك على إسحاق حتى بان فيه.

قال: وذكر أن المأمون كان قاعداً يوماً يشرب، ومعه قدح إذ غنت بذل(١): [من الطويل]

أَلا لا أَرَى شـيـئـاً أَلَـذَّ مِـنَ الـوَعْـدِ ... ومِـنْ أَمَلِـي فـيـهِ وَإِنْ كـانَ لا يُـجْـدِي

فجعلته:

أَلا لا أرى شـيـئـاً أَلَـذَّ مِـنَ الـسَّـحْـقِ

(١) الأغاني ١٧/ ٨٥.

فوضع المأمون القدح من يده، والتفت إليها، فقال: بلى النيك ألذّ من السحق، فتسورت، وخافت غضبه، فأخذ قدحه، وقال: أتمي صوتك وزيدي فيه[١]:

ومِنَ غَـفْـلَـةِ الـوَاشـي إذا مـا أتـيـتُـهـا ... ومِنْ زَوْرَتي أبياتَـهـا خـالـيـاً وَحْـدِي
ومِنْ ضحكةٍ في الملتقى، ثم سَكْتَةٍ ... وكِلـتـاهـمـا عـنـدي ألـذُّ مِـنَ الـخُـلْـدِ

[٥٧]

عزّة الميلاء[٢]

وضرّة الظبية الكحلاء، كان بيتها مأوى كل شريف، ومثوى كلّ ظريف، وندي كل ذي كلفٍ نزح به الغرام، وقرّح جفنه وأدماه حبّ الآرام. أقامت بالمدينة وفتية قريش تغشى معهدها المعمور، وترى مشهدها من مهمّات الأمور، وأدركت من الأول السلف قوم شرفت برؤياهم، ولزمت /١٤٧/ بهم، ومن لطوالع الشموس بان تلحق بأُخراهم.

قال أبو الفرج؛ قال يونس: كان ابن سريج في حداثته يأتي المدينة، فيسمع من عزّة، ويتعلم غناءها، وكان إذا سُئل من أحسن الناس غناءً، قال: مولاة الأنصار المفضلة على كل من غنّى وضرب بالمعازف والعيدان من الرجال والنساء.

وكان عبد الله بن جعفر، وابن أبي عتيق، وعمر بن أبي ربيعة يغشونها في منزلها

---

(١) الأغاني ١٧/ ٨٥.

(٢) عَزَّة المَيْلاء: أقدم من غنى غناءاً موقعاً في الحجاز. كانت تضرب بالعيدان والمعازف. إقامتها بالمدينة، وهي مولاة للأنصار. وكانت وافرة السمن، جميلة الوجه، لقبت بالميلاء لتمايلها في مشيتها.
سمعها معبد المغني وحسان بن ثابت الشاعر. وزارها النعمان بن بشير الأنصاري في بيتها، وسمع غناءها في أيام يزيد بن معاوية وابن الزبير، وقال فيها: «إنها لَمَن يزيد النفس طيباً والعقل شحذاً» وكان عبد الله بن جعفر وابن أبي عتيق وعمر بن ابي ربيعة يزورونها في منزلها فتغنّيهم. ويقال إن ابن سريج كان في حداثة سنه يأتي المدينة ليسمعها ويتعلم غناءها .
وسئل: من أحسن الناس غناءاً؟ فقال: مولاة الأنصار. قال طويس: «هي سيدة من غنى من النساء مع جمال بارع وخلق كريم وإسلام لا يشوبه دنس، تأمر بالخير وهي من أهله، وتنهى عن السوء وهي مجانبة له» وكانت من أظرف الناس ومن أعلمهم بأمور النساء، ولها في ذلك أخبار .
توفيت نحو سنة ١١٥هـ/ نحو ٧٣٣م.
ترجمتها في: الأغاني ١٧/ ١٦٤ ـ ١٨٢، وأعلام النساء ٢/ ١٠١٣ والطرب عند العرب لعبد الكريم العلاف ١٩ والدر المنثور ٣٤١ ولم أجد من ذكر تاريخ وفاتها، غير أن القول بزيارة «معبد» لها وقد أسنت، وهو المتوفى سنة ١٢٦هـ، والقول بأن «ابن محرز» تعلم الضرب منها، وهو المتوفى سنة ١٤٠ يرجح أنها ماتت في العشر الثاني من المئة الثانية، الأعلام ٤/ ٢٣٠.

فتغنّيهم. وغنَّت يوماً عمر بن أبي ربيعة لحناً لها في شيء من شعره، فشقَّ ثيابه، وصاح صيحة عظيمة صعق منها؛ فلما أفاق، قال له القوم: لغيرك الجهل يا أبا الخطاب. قال: إني سمعت والله ما لم أملك به نفسي، ولا عقلي.

قال خارجة بن زيد: دعينا إلى مأدبة في آل نبيط، فحضرتها وحسان بن ثابت، فجلسنا معاً على المائدة، وهو يومئذ قد ذهب بصره، ومعه ابنه عبد الرحمن، وكان إذا أُتي بطعام سأل: أطعام يد، أو يدين ـ يعني باليد الثريد، وباليدين الشواء ـ إلا أنه يمس مسّاً، فإذا قيل له طعام يدٍ، أكل، وإذا قيل: يدين، أمسك يده؛ فلما فرغوا من الطعام أتي بجاريتين مغنيتين أحدهما ريقة، والأخرى عزّة، فجلستا، وأخذنا مزهريهما وضربتا ضرباً عجباً غنتا بقول حسان:

أنظُر نهاراً بباب خلق هل تونس دون البلقاء من أحد

فأسمع حسان يقول: قد رآني هناك سميعاً بصيراً، وعيناه تدمع، فإذا سكنتا، سكت عنه البكاء، فإذا غنَّتا بكى، فكنت أرى ابنه عبد الرحمن إذا سكت يشير إليهما أن يغنياه، فيُبكي أباه.

قال: كان بالمدينة رجل ناسك من أهل العلم والفقه، وكان يغشى عبد الله بن جعفر(١)، فسمع جارية لبعض النخاسين تغنّي(٢): [من البسيط]

بانتْ سعادُ وأضحى حليها انقطعا

فاشتهر بها وهام، وترك ما كان عليه حتى مشى إليه عطاء(٣) وطاوس(٤)، فلاماه،

---

(١) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي: صحابي.
ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها. وهو أول من ولد بها من المسلمين سنة ١هـ/ ٦٢٢م.
وأتى البصرة والكوفة والشام. وكان كريماً يُسمى بحر الجود. وللشعراء فيه مدائح. وكان أحد الأمراء في جيش عليّ يوم «صفين»، ومات بالمدينة سنة ٨٠هـ/ ٧٠٠م.
ترجمته في: الإصابة/ ت ٤٥٨٢ والجمع ٢٣٩ وفوات الوفيات ١/ ٢٠٩ وذيل المذيل ٢٣ والمحبر ١٤٨ والجمحي ٥٣٣ وتهذيب ابن عساكر ٧/ ٣٢٥ وفي سنة وفاته اختلاف، الأعلام ٤/ ٧٦.

(٢) الأغاني ١٧/ ١٧٨.

(٣) عطاء بن أسلم بن صفوان: تابعي، من أجلاء الفقهاء، كان عبداً أسوداً، ولد في جند (باليمن) سنة ٢٧هـ/ ٦٤٧م، ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم، وتوفي فيها سنة ١١٤هـ/ ٧٣٢م.
ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣١٨ وفيه: «توفي سنة ١١٥ وقيل ١١٤» تذكرة الحفاظ ١/ ٩٢، تهذيب ٧/ ١٩٩، صفة الصفوة ٢/ ١١٩، ميزان الاعتدال ٢/ ١٩٧، حلية الأولياء ٣/ ٣١٠، نكت الهميان ١٩٩، الأعلام ٤/ ٢٣٥.

(٤) طاوس بن كَيْسَان الخولاني الهمداني، بالولاء، أبو عبد الرحمن: من أكابر التابعين، تفقهاً في =

فكان جوابه أن تمثل بقول /١٤٨/ الشاعر: [من البسيط]

ويلُومُني فيكِ أقوامٌ أُجالسُهُمْ فَمَا أُبالي أطارَ النومُ أَمْ وَقَعَا

وبلغ عبد الله بن جعفر خبره، فبعث إليه النخاس، فاعترض الجارية، وسمع غناءها بهذا الصوت، وقال لها: ممن أخذتيه؟، فقالت: من عزّة الميلاء، فابتاعها بأربعين ألف درهم، ثم بعث إلى الرجل، فسأله عن خبره، فأعلمه إياه، وصدقه عنه، فقال: أتحبّ أن تسمع هذا الصوت ممن أخذت عنه تلك الجارية؟ قال: نعم. فدعا بعزّة الميلاء، وقال: غنيه إياه فغنته، فصعق الرجل، وخرَّ مغشياً عليه، فقال ابن جعفر: أتمنا فيه الماء الماء فنضح على وجهه؛ فلما أفاق قال: أكلَّ هذا بلغ بك عشقها؟، فقال: وما خفي عليك أكثر، قال: أتحبّ أن تسمع منها؟ قال: قد رأيت ما نالني حين سمعته من غيرها؟ فكيف تكون حالي إن سمعته منها؟ وأنا لا أقدر على ملكها، قال: أفتعرفها إن رأيتها؟، قال: أوأعرف غيرها؟ فأمر بها، فأخرجت، وقال: خذها فهي لك، والله ما نظرت إليها إلا عن عرض. فقبّل الرجل يديه ورجليه، وقال: أنمت عيني، وأحييت نفسي، وتركتني أعيش بين قومي، ورددت إليّ عقلي، ودعا له دعاءً كثيراً، فقال: ما أرضى أن أعطيها هكذا. يا غلام احمل معه مثل عنها، لكي تهيم بك، وتهيم بها.

[٥٨]

فِنْد مولى عائشة(١)

جملة عجز، وصدر صدّ، وحجر أشد من مرزمة الإبل توانياً، وأعظم من مكدية الأمل تفانيا، أبطأ من الخيل نهوضاً، وأطول من كلب أهل الكهف ربوضاً. لو سابقه المقيد في الوثائق، لسبقه الطائر المقصوص الجناح، لبلغ قبله طلقه. يرى المخالفة

=

الدين ورواية للحديث، وتقشفاً في العيش، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك. أصله من الفرس، ومولده في اليمن سنة ٣٣هـ/٦٥٣م ومنشأه فيها. توفي حاجاً بالمزدلفة أو بمنى سنة ١٠٦هـ/ ٧٢٤م، وكان هشام بن عبد الملك حاجّاً تلك السنة، فصلى عليه. وكان يأبى القرب من الملوك والأمراء، قال ابن عيينة: متجنبو السلطان ثلاثة: أبو ذر، وطاوس، والثوري.

ترجمته في: تهذيب التهذيب ٥/٨، وصفة الصفوة ٢/ ١٦٠، وحلية الأولياء ٤/ ٣، وذيل المذيل ٩٢، ووفيات الأعيان ١/ ٢٣٣، الأعلام ٣/ ٢٢٤.

(١) فِنْد، أبو زيد: مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، ومنشؤه المدينة، وكان خليعاً متهتكاً، يجمع بين الرجال والنساء في منزله.

ترجمته في: الأغاني ١٧/ ٢٧٩ ـ ٢٨١.

طاعة، والسنة بمضي بتمامها إذا أسرع في الحاجة ساعة إلى تخلفٍ عن كل خير، وتوالٍ إلا في فند يحثّ إليه السير، وقبح فعله، بقيت بقاء الأبد، وعمرت أكثر من نسور لبد، وشؤم طلعة، وكساد سلعة، إلا أنه ممن ألحفه الأصفهاني الجناح، وذكر فغدا أرواح.

قال أبو الفرج: كان يجمع بين السناء والرجال في منزله، فكذلك يقول فيه عبد الله بن قيس الرقيات(١): [من الخفيف]

/١٤٩/ قلْ لفيدٍ يُسَيِّرُ الأَظعانا طَالما سَرَّ عيشَنا وكَفانا

صادراتٍ عَشِيةً من قُديدٍ وارداتٍ معَ الضُّحَى عُسفانا

وبه يضرب المثل في الإبطاء، قال: أرسلته عائشة بنت سعيد؛ ليجيئها بنار، فخرج لذلك؛ فلقي عيراً خارجة إلى مصر، فخرج معهم؛ فلما كان بعد سنةٍ، رجع فأخذ ناراً، ودخل على عائشة، وهو يعدو، فسقط، وقد قرب منها، فقالت: تعست العجلة.

قال بعض الشعراء في رجل وصفه بذلك: [من الرمل]

ما رأينا لعبيدٍ مَثَلا إذْ بَغَيْنَاهُ يَجي بالمسألَهْ

غيرَ فيدٍ بَعَثُوهُ قابِساً فَثَوى حَوْلاً وسَبَّ العَجَلَهْ

[٥٩]

دنانير البرمكية(٢)

جارية منذرة، وملهية للآلي الدمع مبذرة، ومطربة لو جاءت بكل ورقاء على فنن، لأسكتتها، أوطارحت كل ذات شجن لبكّتها، وكانت أعزّ مما سميت به من الدنانير التي تدخل عليها الصرف، ويظهر عليها سيماء الوجل لا الظرف، نالت عواليها آل برمك خطًى قاد لها الجامع، وقال به في فيء خدرها الطامح، وأبدعت صورة، وكانت فيها المحاسن محصورة.

(١) ديوانه ١٥٦ ـ ١٥٧، الأغاني ١٧/ ٢٧٩.

(٢) دنانير: مغنية، نسب إليها «كتاب» في الأغاني. وكانت مولاة لرجل من أهل المدينة، خرَّجها وأدبها. واشتراها يحيى بن خالد البرمكي، فنبغت في بيته. وممن أعجب بها الرشيد. فلما نكب البرامكة امتنعت عن الغناء لغيرهم، فأمرها الرشيد بالغناء بين يديه، فعصته، فأمر بصفعها، ثم رقَّ لها فأطلقها. وخطبت للزواج فأبت، ولزمت حالها إلى أن توفيت سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥م.
ترجمتها في: أعلام النساء ١/ ٣٥٨ والدر المنثور ١٩٢، الأغاني ١٨/ ٧٠ ـ ٨٠، الإماء الشواعر ٥٣ ـ ٥٦، الأعلام ٢/ ٣٤١.

قال أبو الفرج: كانت صادقة الملاحة، فرآها يحيى، فوقعت بقلبه، فاشتراها، وكان الرشيد يصير إلى منزله، ويسمعها حتى ألفها، واشتدَّ عجبه بها ووهب لها هبات سنية، منها؛ أنه وهب لها في ليلة عيد عقداً قيمته ثلاثون ألف دينار، فردته عليه في مصادرة البرامكة بعد ذلك، وعرفت أم جعفر الخبر، فشكته إلى عمومته، فصاروا جميعاً إليه، فعاينوه، فقال لهم: مالي في هذه الجارية من أرب في نفسها، وإنما أربي في غنائها، فاسمعوها إن استحقت أن تؤلف غناءها فذاك، وإلا فقولوا ما شئتم. فأقاموا عنده، ونقلهم يحيى حتى سمعوا عنده، فعذروه، وعادوا إلى أم جعفر، فأشار عليها أن لا تلح عليه في أمرها، فقبلت، وأهدت إلى الرشيد عشر جوارٍ منهن مراجل أم المأمون، وماردة أم المعتصم، / ١٥٠/ وفاردة أم صالح.

قال إسحاق، قال لي أبي قال لي يحيى بن خالد: إنَّ ابنتك دنانير قد عملت صوتاً اختارته، وأعجبت به، فقلت لها: لا يشتد عُجابك بما صنعتيه حتى تُعرضيه على شيخك، فإن رضيه، واستجاده، وشهد بصحته، فارضيه لنفسك، وإن كرهه، فاكرهيه. امض حتى تعرضه عليك. قال؛ فقلت له: أيها الوزير كيف إعجابك أنت به؛ فإنّك: ثاقب الرأي، عالي الفطنة، صحيح التمييز. قال: أكره أن أقول لك: أعجبني، فيكون عندك غير معجب، إذ كنت رئيس صناعتك تعرف بها ما لا أعرف، وتقف من لطائفها على ما لا أقف، وأكره أن أقول لك: لم تعجبني، وقد بلغ من قلبي مبلغاً محموداً، وإنما يتمّ لي السرور به إذا صادف ذلك منك استجادة وتصويباً. قال: فمضيت إليها وقد كان تقدم إلى خدمة بذلك وقال لدنانير: إذا جاءك إبراهيم فأعرضي عليه الصوت الذي صنعتيه، واستحسنتيه، فإن قال لك: أصبت، سريني بذلك، فإنَّ كرهه، فلا تعلميني لئلا يزول سروري بما صنعت؛ فلما حضر الباب أدخلت، ونصبت الستائر، فسلمت على الجارية، فردّت عليّ السلام، وقالت: يا أبه أعرض عليك صوتاً قد تقدّم إليك خبره، وقد سمعت الوزير يقول: إنّ الناس يفتنون بغنائهم، ويعجبهم منهم ما لا يعجبهم من غيرهم، وكذلك يفتنون بأولادهم فيحسن في أعينهم منهم ما ليس يحسن. وقد خشيت على هذا الصوت أن يكون كذلك، فقلت: يا بنية هات، فأخذت عودها فغنَّت(١): [من الكامل]

نـفـسـي أَكُـنْـتُ عـلـيـكِ مُـدَّعـيـاً ... أَمْ حـيـنَ أَزْمَـعَ بـيـنـهُـم خُـنـتِ
إنْ كـنـتِ مُـوَلَـعـةً بـذكـرِهُـم ... فَـعَـلـى فـراقِـهِـمُ أَلا مُـتِّ

(١) الأغاني ١٨/ ٧٢.

قال: فأعجبني والله غاية الإعجاب، واستخفَّني الطرب حتى قلت لها: أعيديه، وأنا طالب فيه موضعاً أصلحه، أو أغيره، لتأخذه عنّي، فلا والله ما قدرت على ذلك. ثم قلت لها: أعيديه الثالثة، فأعادته، فإذا هو كالذهب المصفّى، فقلت لها: أحسنت يا بنيَّة، وأصبت، وأخذت، وقد قطعتِ عنك بجودة إصابتك، /١٥١/ وحسن إحسانك فائدة المتعلمين؛ إذ قد صرت تحسنين الاختيار، وتجيدين الصنعة، ثم خرج فلقيه يحيى ابن خالد، فرآه متهللاً، فقال له: كيف رأيت صنعة ابنتك دنانير؟، فقال: أعزّ الله الوزير ما يحسن كثير من حذّاق المغنين مثل هذه الصنعة، ولقد قلت لها: أعيديه، فأعادته ثلاث مراتٍ، كل ذلك أريد إعانتها؛ لأجلب لنفسي مدخلاً يؤخذ عني، وينسب إليّ، فلا والله ما وجدته، فقال له يحيى: وصفك لها يقوم مقام تعليمك إياها، والله لقد سرَّتني، وسأسرّك، فوجه إليه بمال كثير.

قال حمّاد البشيري: مررت بمنزل من منازل طريق مكة يقال لها النباج، وإذا كتاب على حائطٍ في منزل، فقرأته، فإذا هو: النيك أربعة: شهوة، والثاني لذَّة، والثالث شفاء، والرابع داء؛ وحِرٌ إلى أيرين، أحوج من أير إلى حِرَين. وكتبت دنانير مولاة البرامكة بمدة طويلة.

قال ابن شبة: أخذت دنانير غناء إبراهيم حتى كانت تغني غناءه، فتحكيه فيه حتى لا يكون بينهما فرق، وكان إبراهيم يقول ليحيى: متى فقدتني ودنانير باقية، فما فقدتني.

قال: أصاب دنانير العلَّة الكلبية، فكانت لا تصبر عن الأكل ساعة واحدة، وكان يحيى يتصدّق عنها في كل شهر رمضان بألف دينار؛ لأنها كانت لا تصومه. وبقيت بعد البرامكة مدة طويلة.

[٦٠]

الزبير بن دحمان(١)

واقع على غرض، وراقع لبعض ما عرض، كان مشهور الأصوات، مشكور

(١) الزبير بن دحمان: أحد المحسنين المتقنين الرواة الضراب المتقدمين في الصنعة.
وقدم على الرشيد من الحجاز، وكان المغنون في أيامه حزبين، أحدهما في حزب إبراهيم الموصلي وابنه إسحق، والآخر في حزب ابن جامع وابن المهدي. وكان إبراهيم بن المهدي أوكد أسباب هذا التحزب والتعصب، لما كان بينه وبين إسحاق. وكان الزبير بن دحمان في حزب إسحق وأخوه عبيد الله في حزب إبراهيم بن المهدي.
ولما قدم الزبير بن دحمان على الرشيد من الحجاز، قدم رجل ما شئت من رجل عقلاً ونبلاً، =

الفعل حتى بألسن الأموات. متى رفع عقيرته، متّع جيرته لضربٍ لا تدعيه مطمعه، ولا تعيه الآن مسمعه. أكثر استنهاضاً من الحمية في الأمور، وأكبر إعراضاً من صدّ الكؤوس عن الخمور، وله في مجالس الخلفاء ولوج حيث يُرى اذن، ولا يقبل الآراء أفن.

قال أبو الفرج: كان الرشيد بعد قتله البرامكة شديد الندم على ما فعله بهم، ففطن الزبير لذلك، وكان يغنيه في هذا /١٥٢/ المعنى، فيحرّكه، فغناه يوماً[1]: [من البسيط]

مَنْ للخُصُوم إذا جَدَّ الخِصَامُ بِهِمْ ... يومَ الجيادِ، ومَنْ للضُّمَّرِ القُوْدِ
فَرَّجْتَهُ بلسانٍ غيرِ مُشتَبهٍ ... عندَ الحِفاظِ وقلبٍ غيرِ رِعْدِيدِ
ومَوقفٍ قدْ كفَنت الناطقينَ بهِ ... في مجمعٍ مِنْ نَواصِي النَّاسِ مشهُودِ

فقال له الرشيد: أعد، فأعاد، فقال: ويحك كأنَّ قائل هذا الشعر يصف به يحيى بن خالد، وجعفر بن يحيى، وبكى حتى جرت دموعه، ووصل الزبير بصلة سنية.

قال إسحاق: كان عندي الزبير بن دحمان، يوماً فغنيت لأبي[2]: [من الطويل]

أَشَاقَكَ مِنْ أَرْضِ العِراقِ طُلُولُ

فقال الزبير: أنت الأستاذ وابن الأستاذ السيد، وقد أخذت عن أبيك هذا الصوت، وأنا أغنيه أحسن من هذا، فقلت له: والله إني لأحبّ أن يكون كذلك، فغضب وقال: أنا والله أحسن غناءً منك، ومن أبيك. فتلاحينا طويلاً، فقلت له: هلمّ نخرج إلى صحراء الرقة، فيكون أكلنا وشربنا هنالك، ونرضى في الحكم بالأول ممن يطلع علينا، فقال: افعل، فأخرجنا طعاماً وشراباً، وجلسنا على الفرات نشرب، فأقبل حبشي يضرب الأرض، فقلت له: ترضى بهذا؟ فقال: نعم فدعوناه، فأطعمناه، وسقيناه، وبادرني الزبير بالغناء، فغنى الصوت، فطرب الحبشي، وحرّك رأسه حتى طمع الزبير، ثم أخذت العود، فغنيته، فتأملني الحبشي ساعة وصاح: وأي شيطان أنت، ومدَّ بها صوته، فما أعلم أني ضحكت مثل ضحكي يومئذٍ، وانخزل الزبير، واستحيا.

= وديناً، وأدباً، وسكوناً، ووقاراً. وكان أبوه قبله كذلك. وقدم معه أخوه عبيد الله.
ترجمته في: الأغاني ١٨/٣٠٨ ـ ٣١٨.

(١) الأغاني ١٨/ ٣١١.
(٢) صدر بيت لأبي العتاهية وعجزه:
«تحمل منها جيرة وحمول»
ديوانه ٣٣٢، الأغاني ١٨/ ٣١٥.

قال: غضب الرشيد على أم جعفر، ثم ترضاها، فأبت أن ترضى عنه، فأرق ليلة، ثم قال: افرشوا لي على دجلة، ففعلوا فقعد ينظر إلى الماء، وقد زاد زيادة عجيبة، فسمع غناءً في هذا الشعر[١]: [من الطويل]

جَرَى السَّيلُ فاستبكاني السَّيلُ إذْ جَرَى وفاضَتْ لَهُ مِنْ مُقْلَتَيَّ غُرُوبُ
وما ذاكَ إلا حينَ أيقنتُ أنَّهُ /١٥٣/ يمرُّ بوادٍ أنْتَ عنْهُ قَريبُ
يكونُ أُجاجاً دُوْنَكُمْ فإذا انْتَهَى إليكمْ يُلَقَّى نَشْرَكُمْ فَيَطيْبُ
فيا ساكني أكْنَافِ دجلةَ إنَّكُمْ إلى القلبِ مِنْ أَجْلِ الحبيبِ حبيبُ

فسأل عن الناحية التي فيها الغناء، فقيل: دار ابن المسيب فبعث إليه بأن ابعث لي بالمعنى، فبعث به، فإذا هو الزبير بن دحمان، فسأل عن الشعر، فقال: هو للعباس بن الأحنف، فأحضره، فاستنشده إياه، وجعل الزبير يغنيه، والعباس ينشده، وهو يستعيدهما حتى أصبح، وقام فدخل على أم جعفر، فسألت عن دخوله، فعرفته، فوجهت إلى العباس بن الأحنف بألف دينار، وإلى الزبير بألف دينار.

ومنهم:

[٦١]

عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع[٢]

بيت رفيع، وقوم لهم بالفضل الربيع، من طراوة ندى، وطلاوة جدى، ورونق

---

(١) للعباس بن الأحنف في ديوانه ٤٤ـ ٤٥، الأغاني ١٨/ ٣١٦.

(٢) عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، والربيع ـ على مايدعيه أهله ـ ابن يونس بن أبي يونس فروة. وقيل: إنه ليس ابنه، وآل أبي فروة يدفعون ذلك ويزعمون أنه لقيط، وجد منبوذا فكفله يونس بن أبي فروة، ورباه، فلما خدم المنصور ادعى إليه... وكان شاعراً مطبوعاً ومغنياً محسناً، جيد الصنعة، نادرها، حسن الرواية، حلو الشعر، ظريفه، ليس من الشعر الجيد الجزل، ولا من المرذول، ولكنه شعر مطبوع ظريف، مليح المذهب من أشعار المترفين وأولاد النعم.
وفي الأغاني: حدثني أبو بكر الربيعي. قال: حدثتني عمتي ـ وكانت ربيت في دار عمها عبد الله بن العباس ـ كان عبد الله لا يفارق الصبوح أبداً إلا في يوم جمعة أو شهر رمضان وإذا حج. وكانت له وصيفة يقال لها هيلانة قد رباها وعلمها الغناء، فاذكره يوماً وقد اصطبح، وأنا في حجره جالسة، والقدح في يده اليمنى وهو يلقي على الصبيه صوتاً أوله:

صدع البين الفؤادا إذ به الصائح نادى

فهو يردده ويومىء بجميع أعضائه إليها يفهمها نغمه، ويوقع بيده على كتفي مرة، وعلى فخذي أخرى وهو لا يدري حتى أوجعني. فبكيت وقلت: لقد أوجعتني، مما تضربني وهيلانة لا تأخذ الصوت، وتضربني أنا. =

يزيّن الدنيا أبداً، ومعالٍ أثرت بها مآثرهم، ومعانٍ أثرها أكابرهم فورثها أصاغرهم. حُجاب الخلفاء الأغراء الأكارم، وحفظة أبوابٍ كالأنهار وراء بحور خضارم. وجدُّه الربيع خدم المنصور، فادعى إليه ولاءا، وارتقى به إلى أن عقدت له ذوائب الكواكب لواءاً، وعبد الله هذا من سرّ صميمهم، وأرج شميمهم، إلا أنه بالغناء وضع قدر حسبه، وصنع ما لا يليق بنسبه، تعلَّم الغناء سرّاً وتقدّم قشراً، فأطرب كل مخزونة، وأنفق من ذخائر العاشقين سقيمها، وحَنَّ العود في يده حنين الحمام عليه أيام تأود.

ذكر أبو الفرج، فقال يحيى بن حازم: حدّثني عبد الله بن العباس الربيعي، قال: دخل محمد بن عبد الملك الزيات على الواثق وأنا بين يديه أغنّي، وقد استعادني صوتاً، فأعدته، فاستحسنه، فقال له ابن الزيات: هذا والله يا أمير المؤمنين أولى الناس بإقبالك عليه، واستئمانك له، واصطناعك إياه، فقال: أجل؛ فلما كان الغد /١٥٤/ جئت محمد بن عبد الملك الزيات شاكراً لحسن محضره، فقلت له: في أضعاف كلامي: وإفراط الوزير ـ أعزّه الله ـ في وصفي وتقريظي بكل شيء حتى وصفني بجودة الشعر، وليس ذلك عندي، وإنما أعبث بالبيتين والثلاثة، ولو كان عندي شيء يعد من ذلك لصغر عن أن يصف الوزير، ومحله في هذا الباب المحل الرفيع المشهور. فقال لي: والله إنك عرفت مقدار قولك حين تقول[1]: [من مجزوء الخفيف]

يـــا شـــادِنـــاً رَامُ إذْ مَـــرَّ ... فـــي الـــشَّـــعـــانِـــيْـــنِ قَـــتْـــلِـــي
يَـــقُـــولُ لـــي كـــيـــفَ أَصْـــبَـــحْـــ ... تَ، كـــيـــفَ يُـــصـــبـــحُ مِـــثْـــلـــي؟

لما قلت هذا القول والله لو لم يكن لك شعر في عمرك كله إلا قولك: كيف أصبحت؟، كيف يصبح مثلي؟ لكنت شاعراً.

قال إسحاق: لقيت عبد الله بن العباس يوماً في الطريق، فقلت له: ما كان خبرك أمس، فقال: أصبحت، فقلت: على ماذا؟ ومع من؟ فقال: مع خادم صالح بن عجيف وأنت به عارف وبخبري معه ومحبتي له فاصطحبا على صفة بنت الخسّ[2] لما

= فضحك حتى استلقى، واستملح قولي، فوهب لي ثوب قصب أصفر، وثلاثة دنانير جدداً فما أنسى فرحي بذلك وقيامي به إلى أمي، وأنا أعدوا إليها، وأضحك فرحاً به.
ترجمته في: الأغاني ١٩/ ٢٣٤ ـ ٢٧٥.

(١) لعبد الله بن العباس في الأغاني ١٩/ ٢٣٥.

(٢) هي هند بنت الخسّ بن حابس الإيادية: شاعرة فصيحة جاهلية من أهل الدهاء والنكراء واللسن واللقن والجواب العجيب والكلام الصحيح والأمثال السائرة والمخارج العجيبة، كانت ترد سوق عكاظ. =

حملت[١]: [من الطويل]

أَشَمُّ كغُصنِ البانِ جَعْدٌ مُرَجَّلٌ شُغِفْتُ بِهِ لَوْ كانَ شيئاً مُدَانِيا
ثُكِلْتُ أَبي إنْ كنتُ ذُقْتُ كرِيقِهِ سُلافاً ولا ماءً مِنَ المُزْنِ صَافيا
وأُقْسِمُ لوْ خُيِّرتُ بينَ فِرَاقِهِ وبينَ أَخِي لاخْتَرتُ أَنْ لا أَخَالِيا
فإنْ لمْ أُوَسِّدْ ساعِدِيْ بَعْدَ قَدِّهِ غُلاماً هِلالياً فَشَلَّتْ بَنَانِيا

فقلت له: أقمت على لواطٍ، وشربت على زناءٍ. والله ما سبقك إلى هذا أحد، فقلت وقد كان على جلالة قومه، ونباهتهم ونومه مغرًى بالاصطباح، مغرماً به في كل صباح. ومثاله مما قاله في هذه الحالة[٢]: [من الخفيف]

ومُستطيلٍ على الصهباءِ باكَرَها في فِتْيَةٍ باصطباحِ الرَّاحِ حُذاق
فَكُلّ كفٍّ رآه ظنَّه قَدَحاً وكُلّ شخصٍ رآه ظَنَّه السَّاقِي

وقوله في ذلك[٣]: [من المجتث]

فباكرِ الراحَ صُبْحاً لا يَسْبِقَنَّكَ فَجرُ
وإنْ يَفُتْكَ اصطباحٌ فلا يَفُوتَنْكَ سُكْرُ

/ ١٥٥/ ويقال: إنه شرب أواخر شعبان، وكان نما إلى الخليفة انهماكه على المدام، وانتهاكه للحياء مع الندام، وكذلك بلغه عن غيره، فبثّ رسله القيام في طلب هتك حرمة الصيام، وأتاه النذير، وهو بين تربه مقبل على شربه فقال[٤]: [من الخفيف]

عَلِّلانِي نَعِمتُما بِمُدامِ واسْقيانِي مِنْ قبلِ شهرِ الصيام
حرَّمَ اللهُ في الصِّيامِ التَّصابِي فَتَرَكناهُ طاعةً للإمام

ثم دام على غيه وضلاله، وأقام عمر قمر شعبان وهلاله حتى قارب رمضان أن يستهلّ، وملّ خيط المدام أن يسل، ولم يبق غير دنو رمضان وإقباله، وانّ ليله يلقى حافر هلاله، فقال[٥]: [من المديد]

اسْقِني صهباءَ صافيةً ليلةَ النّوروزِ والأَحَدِ
حرَّمَ اللهُ اصطباحَتَها فتزوَّدْ شُرْبَها لِغَدِ

= ترجمتها في: بلاغات النساء ٥٨، عيون الأخبار ٢/ ٢١٤، الحيوان ٥/ ٤٥٩ البيان والتبيين/ الفهرس.

(١) لابنة الخسّ في الأغاني ١٩/ ٢٤٥.
(٢) لعبد الله بن العباس في الأغاني ١٩/ ٢٤٨.
(٣) الأغاني ١٩/ ٢٧١.
(٤) الأغاني ١٩/ ٢٧١.
(٥) الأغاني ١٩/ ٢٦٥.

قال ابن حمدون: كنا عند الواثق في يوم دجن، فلما برق واستطار، فقال: قولوا في هذا شيئاً، فبدرهم عبد الله [بن العباس بن] الفضل بن الربيع، فقال[١]: [من المتقارب]

أُغنِّي على بارقٍ لامعٍ خفيٍّ كلمحِكَ بالحاجِبِ
كأنَّ ناطقَهُ في السَّماءِ يداً كاتبٍ أوْيدا حاسِبِ

وصنع فيه لحناً شرب الواثق عليه بقية يومه، واستحسن شعره، وغناءه وصنعته ووصله بصلة سنية.

وكان لدخول عبد الله في الغناء بسبب حكاه وقصد استهون به فحواه، واستهول عقباه حتى أصباه، وذلك أنه هوى جاريةً لعمته، وكان لا يقدر عليها، ولا يستطيع الجلوس إليها خيفة أن يبدو حبّه، فتمنعه عنها، وتفطن لما بطن، فلا يمكنه منها، فأسرَّ في نفسه عرضه، وداوى مرضه بعلّة ممرضة، وجملة معترضة، واحتال في رأي على عمته عرضه، وهو أنه أظهر لها الرغبة في الغناء وتعلّمه، واستكتمها عن جدّه في طيّ تكتمه، فأَنِفَتْ / ١٥٦/ له عمتُه الغناء ومذهبه، وكرهت ما يشين أباه وجدّه ومنصبه، فأبى إلا طرباً، وتصابى حتى صبا، وتلاعب حتى جدَّ لعباً، وداوم حتى أحسن قوة التصنيف، فصنع صوتين أنفق عليهما جهده من الثقيف، وعرضهما على الجارية، فقالت: هذا في الصنعة فوق الإتقان، ولا يحسن أحد في الزمان أكثر من هذا الإحسان، ونما خبر الصوتين حتى غُنِّيا للرشيد، فسأل عنهما، وعلم لمن هما، فطلب جدّه وجدته بما عنده، وعتبه على إخفاء أمره، وظنّ أنه يعلم به، وقد أخفاه عنه، فأقسم الفضل أنه إلى الآن لم يعلم أنَّ له ولداً من الغناء بهذا المكان، قم كان من شهرته ما كان.

وقد ذكر أبو الفرج هذه القصة فقال؛ قال أحمد بن المرزبان: حدّثني عبد الله بن العباس، قال: كان سبب دخولي في الغناء، وتعلّمي إيّاه أني كنت أهوى جارية لعمّتي رقية بنت الفضل بن الربيع، وكنت لا أقدر عليها، ولا الجلوس معها خوفاً من أن يظهر مالها عندي، فيكون سبباً لمنعي منها، فأظهرت لعمَّتي أنني أشتهي أن أتعلم الغناء، ويكون ذلك [في] ستر من جدّي، وكان جدّي وعمَّتي على حال من الرقة علي، والمحبَّة لي؛ لأنَّ أبي توفي في حياة جدّي الفضل، فقالت: يا بني ما دعاك إلى ذلك؟ قلت: شهوة غلبتني إن منعتُ منها، متّ غماً، وكان لي في الغناء طبعٌ قوي، فقالت لي: أنت

(١) الأغاني ١٩/ ٢٥٠.

أعلم وما تختاره والله ما أحبّ منعك من شيء، وإني لأكره أن تشتهر به، فتسقط، ويفتضح أبوك وجدك. فقلت: لا تخافي من ذلك، فإنما آخذ منه مقدار ما ألهو به، ولازمت الجارية لمحبتي إياها بعلّة الغناء حتى تقدّمت سائرهم حذقاً وصنعة، وأقررن لي بذلك، وبلغت ما كنت أريده منه، ومن أمر الجارية، وصرت ألازم مجلس جدّي، وكان يسرُّ بذلك، ويظنّه تقرُّباً إليه، وإنما كان وَكْدي فيه أخذ الغناء، فلم يكن يمرُّ لإسحاق، ولا لابن جامع، ولا للزبير بن دحمان، ولا لغيرهم صوت إلا أخذته، ثم أحسست من نفسي قوة في الصنعة، فصنعت أول صوت صنعته في شعر العرجي[1]: [من الطويل]

/ ١٥٧/ أماطتْ كِساءَ الخَزِّ عَنْ حُرِّ وجهِها وأبدَتْ على الخَدَّينِ بُرداً مُهَلَّلا

ثم صنعت[2]: [من المنسرح]

أقْفَرَ مِنْ بعْدِ أهلِهِ سَرِفٌ فالمُنحنى فالعَقيقُ فالجُرفُ

وعرضتهما على الجارية التي كنت أهواها، وسألتها عمّا عندها فيهما، فقالت: لا يجوز أن يكون في الصنعة شيء فوق هذا، وكان جواري الحارث بن بسخنر وجواري ابنه محمد يدخلن إلى دارنا، ويطرحن على جواري عمّي، وجواري جدّي، ويأخذ أيضاً ما ليس عندهن من غناء دارنا، فسمعتني ألقي هذين الصوتين على الجارية، فأخذته منّي وسألن الجارية عنهما، فأخبرتهن أنهما من صنعتي، ثم اشتهرا حتى غُني الرشيد بهما يوماً، فاستظرفهما، وقال لإسحاق: تعرفهما؟، قال: لا وإنهما لمن حسن الصنعة ومتقنها، ثم سأل الجارية عنها فتوقفت خوفاً من عمّتي، وحذراً أن يبلغ جدي أنها ذكرتني، فانتهرها الرشيد، فأخبرته القصة، فوجه من وقته فدعا جدّي، فأحضره، فقال: فضل أن يكون لك ابن يغني، ثم يبلغ في الغناء المبلغ الذي يمكنه أن يضع صوتين يستحسنهما إسحاق، وسائر المغنين، ويتداولهما جواري القيان، ولا تعلمني بذلك كأنك رفعت قدره عن خدمتي في هذا الشأن. فقال له جدي: وحق ولائك يا أمير المؤمنين ونعمتك، وإلا فأنا نفي منها، بريء من تبعتك، وعلى العهد والميثاق والعتق، والطلاق إن كنت علمت بشيء من هذا من ولدي قطّ إلا منك الساعة. فجاء جدّي، وهو يكاد أن ينشقّ غيظاً، فدعاني، فخرجت إليه، وقال: يا كلب بلغني من أمرك ومقدارك أن تحسن أن تتعلم الغناء بغير أمري، ثم لم تقنع بهذا حتى ألقيت صنعتك على الجواري في داري، ثم تجاوزهن إلى جواري الحارث بن بسخنر، فاشتهرت وبلغ أمير

---

(١) ديوانه ٢٨٥، الأغاني ١٩/ ٢٣٧.

(٢) الأغاني ١٩/ ٢٣٧_ ٢٥٣.

المؤمنين ذلك، فتنكر لي، ولامني وفضحني، وفضحت آباءك في قبورهم، وسقطت إلى الأراذل من المغيض، فبكيت غماً بما جرى مني، وعلمت أنه قد صدق، فرحمني وضمّني إليه وقال: قد صارت الآن في أبيك مصيبتان أحدهما به، وقد مضى وفات، والأخرى فيك، وهي موصولة بحياتي، ومصيبة باقية العار عليّ وعلى أهلي بعدي. وبكى، وقال: يعزّ عليّ يا بني أن أراك على غير ما أحبّ، وليس لي /١٥٨/ في هذا الأمر حيلة؛ لأنه قد خرج عن يدي. ثم قال: جئني بعود حتى أسمعك، وانظر كيف أنت، فإن كنت تصلح للخدمة في هذه الفضيحة، وإلا جئته بك مفرداً، وعرفته بخبرك، واستعفيته لك. فأتيته بعود، وغنيت غناءً قديماً، فقال: بل عن صوتيك اللذين صنعتهما، فغنيته إياهما، فاستحسنهما، وبكى، ثم قال: بطلت والله يا بني، وخاب أملي فيك، فواخزنا عليك، وعلى أبيك. فقلت: ليتني متّ يا سيدي من قبل ما أنكرته، ولخرست وما لي حيلة، ولكن وحياتك يا سيدي وإلا فعليّ عهد الله وميثاقه والعتق والطلاق، وكل يمين يحلف بها حالف لازمة لي، لا أغنية أبداً إلا خليفة، أو ولي عهد. فقال لي: قد أحسنت فيما قد تنبهت عليه من هذا، ثم ركب وأمرني، فأحضرت، ووقفت بين يدي الرشيد، وأنا أرعد، فاستدناني حتى صرت أقرب إليه، ومازحني، وأقبل على، وسكن مني، وأمر جدّي بالانصراف، وأومأ إلى الجماعة فحدَّثوني، وسقوني أقداحاً، وغنّى المغنون جميعاً، وأومأ إلى إسحاق أن أغني إذا بلغت النوبة إليّ؛ ليكون ذلك أملح؛ فلمَّا بلغت النوبة إليَّ أخذت عوداً ممن كان إلى جانبي، وقمت قائماً واستأذنت في الغناء، فضحك الرشيد، وقال: غنِّ جالساً، فجلستُ، فغنيت لحني الأول، فطرب واستعادني ثلاث مرات، وشرب عليه ثلاثة أقداح وأنصاف، فكانت هذه حاله، فدعا مسرور فقال: احمل إليه الساعة عشرة آلاف درهم، وثلاثين ثوباً من فاخر ثيابي، وعتيدةً مملوءة طيباً، فحمل ذلك أجمع معي.

قال عبد الله: ولم أزل كلَّما أراد ولي عهد أن يعلم من الخليفة بعد الخليفة الوالي هو أم غيره، عادني، وأمرني أن أغنّي فأعرفه يميني، ولا أعرف أنه غيره حتى كان آخرهم الواثق، فدعاني في أيام المعتصم، وسأله أن يأذن لي في الغناء، فأذن لي، ثم دعاني المعتصم من الغد، فقال: ما صار غناؤك إلا سبباً لإظهار سرّي وأسرار الخلفاء قبلي، قد هممت أن آمر بضرب عنقك، لا يبلغني أنك امتنعت من الغناء عند أحدٍ، فوالله لئن بلغني، لأقتلنَّك، وأعتق من كنت تملكه يوم خلّفت من المماليك، وأطلق من كان عندك يومئذ من الحرائر. وأستبدل بهنَّ، وعلى العوض من ذلك وأرحنا من يمينك هذه المشؤومة، فقمت من عنده وأنا لا أعقل، فاستقبلت أبا يوسف القاضي

حتى /١٥٩/ خرجت من يميني، وصرت بعد ذلك أغنّي لإخواني جميعاً حتى اشتهر أمري، وبلغ المعتصم خبري، فتخلّصت منه، ثم غضب عليَّ الواثق لشيء أنكره، وولي الخلافة وهو ساخط عليّ، فكتبت إليه[١]: [من الكامل]

أَدْعُو إلهي أن أراكَ خليفةً بينَ المقامِ ومسجدِ الخيفِ

فدعاني ورضي عني.

قال سليمان بن أبي شيخ: دخلتُ على العباس بن الفضل بن الربيع ذات يوم، وهو مختلط مغتاظ، وابنه عبد الله عنده، فقلت له: ما لك أمتع الله بك، فقال: لا يفلح والله، ابني هذا أبداً، فظننته قد جنى جناية، فجعلت أعتذر إليه، فقال: ذنبه أعظم من ذلك وأشنع، قلت: وما ذنبه؟، قال: جاءني بعض غلماني فحدّثني أنه رآه يشرب بقُطْرُبُّل، الداذي بغير غناء. فهذا فعل من يفلح؟ فقلت له وأنا أضحك: سهلت علي القصة. فقال: لا تقل ذاك؛ فإن هذا من ضعة النفس، وسقوط الهمة. فكنت إذا رأيت عبد الله بعد ذلك في جملة المغنين، وشاهدت تبذله في هذا الحال، وانخفاضه عن مرتبة أهله، ذكرت قول أبيه.

قال: قالت بذل الكبيرة لعبد الله بن العباس: قد بلغني أنك قد عشقت جارية يقال لها عساليج، فاعرضها علي، فأما أن عذرتك في حبها، أو عذلتك في أمرها، فوجّه بها إليها، وقال لبذل: هذه سيدتي، فانظري، واسمعي، ومري بما شئت، أطعك، فأقبلت عليه عساليج، فقالت: يا عبد الله، أتشاور فيّ، والله ما شاورتُ فيكَ لما صاحبتك، فنعرت بذلك وقالت: أحسنت والله يا صبية، ولو لم تحسني شيئاً، ولا كانت فيك خصلة تجمل، لو حبَّ أن تعشقي لهذه الكلمة، ثم قالت لعبد الله: ما صنعت أحتفظ بصاحبتك.

قلت وربما أن فيها قوله[٢]: [من الرمل]

إنَّ في القلبِ مِنَ الظَّبْيِ كُلُومُ فَدَعِ اللَّومَ فإنَّ اللَّومَ لُومُ
لمْ أَكُنْ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الهَوَى فَدَعِ العَذْلَ فذا داءٌ قَدِيمُ

قال عبد الله بن العباس الربيعي: /١٦٠/ لَقيني سوار بن عبد الله القاضي[٣]،

(١) لعبد الله بن العباس في الأغاني ١٩/ ٢٤٠. (٢) لعبد الله بن العباس في الأغاني ١٩/ ٢٧٣.

(٣) سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة العنبري: زمن بني العنبر من تميم، أبو عبد الله، قاضي له شعر رقيق وعلم بالفقه والحديث من أهل البصرة، سكن بغداد وولي بها قضاء الرصافة، وكفّ بصره في أواخر أعوامه، وتوفي ببغداد في سنة ٢٤٥هـ/ ٨٦٠م.
ترجمته في: تاريخ بغداد ٩/ ٢١٠، الأعلام ٣/ ١٤٥.

وهو سوار الأصغر، فأصغى إلي، وقال: إنَّ لي إليك حاجة، فأتني في خفي، فأتيته، فقال لي: قد أنست إليك؛ لأنك لي كالولد، ولي إليك حاجة، فإن ضمنت لي كتمانها، أفضيت بها إليك، فقلت: ذاك للقاضي عليَّ فرض واجب. فقال لي: إني قلت أبياتاً في جارية لي أميل إليها، وقد هجرتني، وأنا أحبُّ أن تصنع فيها لحناً، وتسمعنيه، فإن غنيته وأظهرته بعد أن لا يعلم أحد أنه شعري، فلست أبالي. أفتفعل ذلك؟ قلت: حبّاً وكرامة للقاضي، فأنشدني في سوار لنفسه[1]: [من الطويل]

سَلَبْتِ عِظامي لحمَها فتَرَكْتِها ... عَواريَ في أَجلادِها تتكَسَّرُ
وأَخليتِ منْها مخَّها فتَرَكْتِها ... أَنابيبَ في أَجْوَابها الرِّيحُ تصفرُ
إذا سمعتْ ذِكرَ الفِراقِ تَرَعَّدَتْ ... مفاصِلُها من هول ما تتحدَّرُ
خُذِي بيدي ثمَّ ارفعي الثوبَ فانظري ... بِلَى جسدي لكنَّني أَتستَّرُ
وليسَ الذي يجريْ مِنَ العَيْنِ ماؤُها ... ولكنَّها روحٌ تذوبُ فتقطرُ

قال عبد الله: فصنعت لحناً، ثم عرفت خبره في رقعة، وسألته أن يعدني المصير إليه، فكتب إلي: نظرت في القصة، فوجدت هذا لا يصلح، ولا ينكتم حضورك، ولا سماعي إياك. وأسأل الله أن يسرك ويقيك. فغنيت بالصوت حتى ظهر وتغنّى به الناس فلقيني سوار يوماً، فقال لي: يا ابن أخي قد شاع أمرك في ذلك الباب حتى سمعناه من بعيد كأننا لم نعرف القصة.

[٦٢]

أبو صدقة[2]

من المشهورين في أهل الموسيقى، والمشكورين تحقيقاً، أطرب أصواتاً وأحيا

---

(١) الأغاني ١٩/ ٢٦٩.

(٢) أبو صدقة: اسمه مسكين بن صدقة من أهل المدينة، مولى لقريش، وكان مليح الغناء، طيب الصوت، كثير الرواية، صالح الصنعة، من أكثر الناس نادرة، وأخفهم روحاً، وأشدهم طمعاً، وألحهم في مسألة.
وكان له ابن يقال له صدقة، يغني، وليس من المعدودين، وابن ابنه أحمد بن صدقة الطنبوري أحد المحسنين من الطنبوريين وله صنعة جيدة. وكان أشبه الناس بجده في المزح والنوادر... وأبو صدقة من المغنين الذين أقدمهم هارون الرشيد من الحجاز في أيامه.
قيل لأبي صدقة: ما أكثر سؤالك، وأشد الحاحك. فقال: ما يمنعني من ذلك، واسمي مسكين وكنيتي أبو صدقة، وامرأتي فاقة، وابني صدقة؟!
ترجمته في: الأغاني١٨/ ٣٠٣ ـ ٣١٣.

نفوساً مواتاً، خطب للتقريب، وخطا إليه من مكان قريب، وإذا كان اندفع يغني، استوجف الطير، وأوقف الراكب العجل عن السير، فكل مطرب يطير في الأوتار، ويطيب به حتى ذو الأقتار، لا يغلب على تندير، ولا يشبه يلعبه بالقلوب اللاعب بالماء في الغدير.

قال أبو الفرج: كان الرشيد يعبث به كثيراً، فقال ذات يوم لمسرور: قُل لابن جامع، وإبراهيم الموصلي، والزبير /١٦١/ بن دحمان، وبرصوما، وابن أبي مريم المديني: إذا رأيتموني قد طابت نفسي، فليسأل كل واحد منكم حاجة مقدارها مقدار صلته، وذكر لكل واحد منهم مبلغ ذلك، وأمرهم أن يكتموا أمرهم عن أبي صدقة، فقال لهم مسرور ما قال له، ثم أذن لأبي صدقة قبل إذنه لهم؛ فلما جلس، قال: يا أبا صدقة قد ضجرتني كثرة مسائلك، وأنا في هذا اليوم ضجر، وقد أحببت أن تفرح وأفرح ولست آمن أن تنغص علي مجلسي بمسألتك، فأما ان أعفيتني أن تسألني اليوم حاجة قال: يا سيدي لست أسألك في يومي هذا، أو إلى شهر حاجة، فقال له الرشيد: أما إذ قد شرطت لي هذا على نفسك، فقد اشتريت منك بخمسمائة دينار، وها هي ذي، فخذها طيبة معجلة، فإن سألتني بعدها في هذا اليوم، فلا لوم عليّ إن لم أصلك سنة بشيء. فقال له: نعم، فقال له الرشيد. زدني في الوثيقة، فقال: قد جعلت أمر أم صدقة إليك، فطلقها متى شئت، إن شئت واحدة وإن شئت ألفاً إن سألتك في يومي هذا حاجة، وأشهدت الله، ومن حضر على ذلك، ودفع المال إليه، ثم أذن للجلساء والمغنين، فدخلوا، وشرب القوم؛ فلما طابت نفس الرشيد، قال ابن جامع: يا أمير المؤمنين قد نلت بك ما لم تبلغه أمنيتي، وكثر إحسانك إليَّ حتى قتلت أعدائي، وليس لي بمكة دار تشبه حَالي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بمال أبني به داراً وأفرشها؛ لأفقأ عيون أعدائي، وأزهق بنفوسهم، فعل، فقال: كم قدرت لذلك، قال: أربعة آلاف دينار، فأمر له بها، ثم قام إبراهيم الموصلي، فقال: قد ظهرت نعمتك عليّ وعلى أكابر ولدي، وفي أصاغرهم من قد بلغ، وأريد تزويجه، ومنهم من احتاج أن أطهّره، ومنهم صغار احتاج أن أتخذ لهم خدماً، فإن رأى أمير المؤمنين أن يحسن معونتي على ذلك. فأمر له بمثل ما أمر لابن جامع، وجعل كلّ واحد منهم يقوم فيقول من الثناء ما يحضره، ويسأل حاجته على قدر جائزته، وأبو صدقة ينظر إلى الأموال تفرَّق يميناً وشمالاً، فوثب على رجليه قائماً، ورمى بالدنانير من كمه، وقال: يا أمير المؤمنين أقلني أقال الله عثرتك، فقال له الرشيد: لا أفعل، فجعل يستحلفه ويضطرب ويلحّ، والرشيد يضحك ويقول: /١٦٢/ ما لي إلى ذلك سبيل «الشرط أملك»، فلما

عيل صبره، أخذ الدنانير فرمى بها بين يدي الرشيد، فقال: هاكها قد رددتها عليك، وزدتك فرج أم صدقة، فطلقها إن شئت واحدة، وإن شئت ألفاً، وإن لم تلحقني بجوائز القوم، فألحقني بجائزة هذا البارد ابن البارد، وأراد بذلك عمر بن الغزال، وكانت ثلاثة آلاف دينار معها، وكان ذلك أكثر ما أخذه منه منذ يوم خدمته إلى أن مات.

قال: دخل جعفر بن يحيى على الرشيد صبيحة يوم مطر، فسأله عن يومه الماضي وما صنع فيه، فقال: كان عندي أبو زكار الأعمى، وأبو صدقة، فغناني أبو صدقة صوتاً من صنعه، فطربت والله يا أمير المؤمنين طرباً ما أذكر أني طربت مثله وهو[1]: [من الخفيف]

فَتَنَتْنِي بِفَاحِمِ اللونِ جَعْدٍ وَبِثَغْرٍ كَأَنَّهُ نَظْمُ دُرِّ
وبِوجهٍ كأَنَّهُ طَلعةُ البدرِ وعَيْنٍ في طَرْفِها نفثُ سِحْرِ

فقلت له: أحسنت يا أبا صدقة، فلم أسكت عن هذه الكلمة حتى قال لي: يا سيدي، إني قد بنيت داراً، وقد أنفقت عليها حرسي، وما أعددت لها فرشاً فأفرشها بحد الله لك ألف قصر في الجنة. فتغافلتُ عنه، وأعاد الغناء والمسألة، فتغافلت، فقال: يا سيدي هذا التغافل متى حدث لك؟ سألتك الله وبحق أبيك عليك إلا أجبتني عن كلامي، ولو بشتم. فأقبلت عليه، وقلت: أنت والله بغيض، فاكفف عن المسألة الملحة. فوثب بين يدي، فظننت أنه يخرج لحاجةٍ، فإذا هو قد نزع ثيابه، وتجرّد منها خوفاً من المطر، ووقف تحت السماء لا يواريه شيء والمطر يأخذه فرفع رأسه فقال: يا رب أنت تعلم أني مثله، ولست نابحاً. وعبدك هذا الذي رفعته عليَّ وأحوجتني إليه يقول لي: أحسنت، ولا يقول لي: أسأت وأنا منذ جلست أقول له: بنيت، لا أقول له: هدمت، فيحلف بك جرأة عليك أني بغيض. فاحكم بيني وبينه يا سيدي، فأنت خير الحاكمين. فغلبني الضحك، وأمرت به فجيء، وجهدت به في أن يغنيني، فامتنع حتى حلفت له بحياتك أني أفرش له داره يا أمير المؤمنين، وخدعته فلم اسم له ما أفرشها به، فقال الرشيد، /١٦٣/ طيب والله تم لنا اللهو، هو ذا ادعوه، فإذا رآك فسينتجز لك الفرش؛ لأنك حلفت له بحياتي، فهو يقتضيك ذلك بحضرتي؛ ليكون أوثق فإن قال لك فيه، فقل: أنا أفرشها لك بالبواري، وإن شئت فبالبردي من الحصر، وحاكمه إليّ. ثم دعا به، فأحضر؛ فلما استقرَّ في مجلسه، قال لجعفر الفرش الذي حلفت بحياة أمير المؤمنين الذي يفرش به داري بقدم فيه، فقال له جعفر: تخيَّر إن شئت فرشتها لك

(١) الأغاني ١٩/ ٣١٠.

بالبواري وإن شئت، فبالبردي من الحصر. فضج واضطرب فقال له الرشيد: وكيف كانت القصة؟ فقال له: أخطأت يا أبا صدقة إذ لم تسم النوع، ولم تجد القيمة فإن فرشها لك بالبواري، أو بما دون ذلك، فقد وفى بيمينه، وإنما خدعك، ولم تفطن أنت، ولا توثقت، وضيَّعت حقك. فسكت، وقال: نوفّر عليه أيضاً البردي والبواري - أعزّه الله - وغنّى المغنون حتى انتهى الدور إليه، فأخذ يغني غناء الفلاحين والملاحين والسقائين، وما جرى مجراه من الغناء. فقال له الرشيد: وأيّ شيء هذا من الغناء؟ ويلك من فرش داره البواري والبردي فهذا الغناء كثير منه، وكثير أيضاً لمن هذه صلته. فضحك الرشيد وطرب وصفق، وأمر له بألف دينار من ماله فقال له: افرش دارك من هذه، فقال: وحياتك لا آخذها، أو يحكم لي عليه بما وعدني وإلا مت والله أسفاً لفوت ما وعدني به. فحكم له جعفر بخمسمائة دينار، فقبلها جعفر، وأمر له بها.

[٦٣]

عمرو بن أبي الكنَّات(١)

مطرب نهج السنين القديم، وأحلّ الغائب في محلّ النديم، وأسمع كل ذي إصغاء، وجمع كل ذي ابتغاء، وغنّى والناس في صنوف المعايش لاهية قلوبهم، أشتاب مطلوبهم، بين دان ونازح، ومقبل على معاشه، ومقبل في رياشه، فجعلوا رؤيته دواب نواظرهم، وغناء شغل خواطرهم، حتى لكاد يطرب الحيتان في الماء، والطير صافات في جوّ السماء.

قال أبو الفرج الأصفهاني؛ قال بعضهم: وافقت ابن أبي الكناث في جسر بغداد في أيام الرشيد، فحدّثته اتصل بي عن ابن عائشة /١٦٤/ في الموسم أنه مرَّ به، فقال: إني أعرف رجلاً لو تكلَّم لحبس الناس، فلم يذهب أحد، ولم يجيء، فقلت: ومن هذا الرجل؟، قلت: أنا. ثم اندفع يغني(٢): [من الوافر]

جَرَتْ سَنَحاً فقلتُ لها أحيزى نَرَى مشمولةً فَمَتى اللِّقاءُ

قال: فحبس الناس، واضطربت المحامل، وكادت الفتنة أن تقع، فأُتي به

---

(١) ورد في الأصل: «الكاتب» وصوّبناه من الأغاني.
وهو عمرو بن عثمان بن أبي الكنَّات: مولى بني جمح، مغن محسن، موصوف بطيب الصوت، من طبقة ابن جامع وأصحابه، وكان الرشيد يؤثره ويكرمه، وكان معجباً بنفسه.
ترجمته في: الأغاني ٢٠/ ٣٧١ - ٣٧٦.
(٢) لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ٥٩/الأغاني ٢/ ٢٠١.

هشام، فقال له: يا عدو الله، أردت أن تفتن الناس، فأمسك عنه، وكان تياهاً، فقال له: ارفق بتيهك، فقال ابن عائشة: حقٌّ لمن كانت هذه مقدرته على القلوب أن يكون تيَّاهاً. فضحك، وأطلقه، فقال: ابن أبي الكتاب: فأنا أفعل كما فعل، وقدرتي على القلوب أكثر من قدرته كانت. ثم اندفع يغني في هذا الصوت، ونحن على جسر بغداد، وكان إذ ذاك على بغداد ثلاثة جسور معقودة، فانقطعت الجسور بالناس من ازدحام الخلق عليها، فأُتي به الرشيد، فقال: يا عدو الله، أردت أن تفتن الناس، قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن بلغني أن ابن عائشة فعل مثل هذا في أيام هشام، فأردت أن أكون في أيامك، فأمر له بمالٍ، واحتبسه عنده؛ ليسمع غناءه.

قال يحيى بن يعلى بن معبد: بينا أنا ليلة في منزلي في الرمضة أسفل مكة، إذ سمعت صوت عمر بن أبي الكنَّات كأنه معي، فأمرت الغلام، فأسرج لي دابتي، وخرجت أريده، فلم أزل أتبع الصوت حتى وجدته جالساً على الكثيب العارض على بطن عرفة.

قلت: وهذا كذب لا شكّ فيه إذ لا يبلغ حاسة الأذن إلى بعض ذلك.

[٦٤]

خُلَيْلان المعلم(١)

رجل كان لما أراد مهيأً، خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، كان يلقن القرآن ويعلم الغناء، ويقرب من هذا وهذا الإدناء، وكان بابه الذكر في أهل الشان، تائه العطف لا يتقدم الزمان، لو جالس كئيباً، لانشرح وحبيباً مسكه تيه الحب لا طرح لألحان حرّها، وأصوات مثل بيت حان لم تصوّرها.

قال أبو الفرج: كان يعلّم الصبيان القرآن ويعلّم الجواري الغناء / ١٦٥/ في موضع واحد.

قال بعضهم: وكنت يوماً عنده، وهو يردد على صبي: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾(٢) ثم يلتفت إلى صبيةٍ بين يديه يردّدها

---

(١) خليلان المعلم: هو الخليل بن عمرو، مكي، مولى بني عامر بن لؤي، مُقِل لا تعرف له صنعة غير هذا الصوت، وكان أحسن الناس غناءً وأفتاهم وأفصحهم في عصره.
يلقب خُلَيْلان، وكان يؤدب الصبيان ويلقنهم القرآن والخط، ويعلم الجواري الغناء في موضع واحد .**ترجمته في**: الأغاني ٢١/ ٢٠٠ ـ ٢٠٤.

(٢) سورة لقمان: الآية ٦.

عليها[١]: [من السريع]

اعـتـادَ هـذا الـقـلـبَ بَـلْـبَـالُـهُ إذْ قُـرِّبَـتْ لـلـبـيـن أَجـمـالُـهُ

قال عبد الصمد بن المعذّل: دخل يوماً خليلان المعلم على عقبة بن مسلم الأزدي فاحتبسه عنده، فأكل وشرب، فحانت منه التفاته، فرأى عوداً معلقاً، فعلم أنه عرض له به، فدعا به، وأخذه، وغنّى[٢]: [من المديد]

يـا بـنـةَ الأزديِّ قـلـبـيْ كـئـيـبُ مُـسـتـهـامٌ عِـنْـدَهُ مـا تـتـيـب

والتفت فرأى وجه عقبة بن مسلم متغيّراً، وقد ظن أنه عرّض به، ففطن، فغنّى غيره، فسرّ عقبة وشرب؛ فلما فرغ، وضع العود من حجره، وحلف بعد ذلك بالطلاق ثلاثاً أنه لا يغني إلا من يجوز أمره عليه.

والصوت الذي من صنعته[٣]: [من المتقارب]

أَلا طَـرَقَـتْ فـي الـدُّجـى زيـنـبُ وأَحْـبِـبْ بـزيـنـبَ إذ تَـطْـرُقُ

عـجـبـتُ لـزيـنـبَ أَنَّـى سَـرَتْ وزيـنـبُ مـن ظِـلِّـهـا تَـفْـرَقُ

[٦٥]

عبيدة الطنبورية[٤]

مهز قضيب، وممر كثيب، وزبيبة كباس، وحبيبة أناس. برعت في الضرب بالطنبور، وأسرعت إلى الصدور بالحبور، وعدلت عن العود وتعب صناعته، وتأبي طاعته، وصدود نشيزه، وكثرة تعجيزه، إلى ما خف موقعاً، وكان مقنعاً، وجاءت فيه بكل إجادة، وجازت غاية العود وزيادة.

قال أبو الفرج؛ قال علي بن الهيثم اليزيدي: دعوت يوماً إسحاق الموصلي وكان يألفني، فقال: /١٦٦/ من عندك؟، قلت: محمد بن عمرو بن مسعدة وهارون بن هشام، وقد دعونا عبيدة الطنبورية، فقال: افعل؛ فإني كنت أشتهي أن أسمع عبيدة،

---

(١) لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٤٩٩، الأغاني ٢١/ ٢٠٠.
(٢) لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق في الأغاني ١/ ٥٨، ٢١/ ٢٠١.
(٣) لأبي رهيمة في الأغاني ٢١/ ١٩٩.
(٤) عبيدة الطنبورية من المحسنات المتقدمات في صناعة الغناء والمعرفة والأدب، من أهل بغداد. وبعض علماء الفن من معاصريها يرون لها الرياسة والأستاذية في صناعتها. كانت من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم صوتاً. وكان إسحاق بن إبراهيم يقول: الطنبور إذا تجاوز عبيدة هذيان. توفيت في أيام المعتصم العباسي نحو سنة ٢٢٥هـ/ نحو ٨٤٠م.
ترجمتها في: الأغاني ٢٢/ ٢٠٧ ـ ٢١٤، والدر المنثور ٣٢٧، الأعلام ٤/ ١٩٩.

ولكن لي عليك شريطة، فقلت: هاتها، قال: إن عرفتني، وسألتموني أن أغنّي بحضرتها، لم يخف عليها أمري وانقطعت فلم تصنع شيئاً فدعوتها على جملتها، فقلت: افعل ما أمرت به، فنزل وردّ دابته، وعرفت صاحبي ما جرى، وأكلنا ما حضر، وقدم النبيذ فغنت لحناً[(١)]: [من مجزوء الوافر]

قَــريـــبٌ غــيـــرُ مــقـــتَـرِبِ ومُـــؤتـــلـــفٌ كــمُـــجـــتَـــنِـبِ
لــــهُ وُدِّي ولــــــي مـــــنْــــــهِ دَوَاعـــــي الـــــهَـــمِّ والـــكَـــرَبِ
أُواصِــــلُــــهُ عـــلـــى سَـــبَـــبٍ ويـــهـــجُـــرُنـــي بـــلا سَـــبَـــبِ
ويـــظـــلـــمُـــنِـــي عـــلـــى ثِـــقَـــةٍ بـــأَنَّ إلـــيـــهِ مُـــنـــقـــلَـــبـــي

فطرب إسحاق وشرب نصفاً، ثم غنت وشرب حتى والى بين عشرة أنصاف وشربناها معه، وقام يصلي، فقال لها هارون بن أحمد بن هشام: ويحك يا عبيدة ما تبالين والله متى مُتِّ؟ قالت: ولم؟، قال: أتدرين مَنِ المستحسنُ غناءَكَ والشارب عليه ما شرب؟ قالت: لا والله، قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: فلا تعرّفيه أنك قد عرفتنيه؛ فلما جاء إسحاق ابتدأت تغني، فلحقها هيبة له، واختلاط، فنقصت نقصاناً بيناً، فقال لنا: أعرّفتموها من أنا؟ فقلنا: نعم عرّفها هارون بن أحمد، فقال إسحاق نقوم إذاً فننصرف، فلا خير في عشرتكم الليلة، ولا فائدة لي، ولا لكم، ثم قام، فانصرف.

قال جحظة: حدّثني شرائح، قال: كانت عبيدة تتعشقني، فتزوّجت، فمرت بي يوماً، فسألتها الدخول إليّ، فقالت: يا كشخان كيف أدخل إليك وقد أقعدت في بيتك صاحب مسلحة؟ ولم تدخل. قال: وكان لها غلام يضرب عليها، يقال له علي، ويلقب طير عبيدة، وكانت إذا خلت في البيت، وشبقت، اعتمدت عليه. وتقول: بغل الطحان يصلح للحمل، والطحن، والركوب.

قال: اجتمع الطنبوريون عند أبي العباس الرشيد يوماً، وفيهم المسدود وعبيدة: فقالوا للمسدود: غنّ، فقال: لا والله لا تقدمتُ عبيدة، /١٦٧/ وهي الأستاذة. فما غنّى حتى غنَّت.

قال جحظة: وأهدى لي جعفر بن المأمون طنبوراً، فإذا عليه مكتوب[(٢)]:

كـــلُّ شـــيءٍ سِـــوَى الـــخـــيـــا نـــةِ فـــي الـــحـــبِّ مُـــحْـــتَـــمَـــلْ

---

(١) الأغاني ٢٢/٢٠٨.
(٢) الأغاني ٢٢/٢١٠.

[٦٦]

أبو حشيشة[١]

سرى فأصبح، وأرى بصره الفاسد فأصلح، وفهم دقائق الغناء وأوضحها، وعلم حقائق الطرب وفضحها، وسارّ الأوتار وسامى النظراء.

لا يرهقه الإقتار، ودخل أخبية الملوك، وأخذ عطاياها، وحثّ بطاياها، وفاز بصفوة مواهبها، وجلا عليهم حسان الأصوات المختارة في مذاهبها، وادخر خير أموالهم، وأبقى الفضول لناهبها.

قال أبو الفرج، قال نوبخت رأيته، وقد حضرت عريب عند ابن المدبر وقد تغنّى، فقالت له عريب: أحسنت يا أبا جعفر ولو عاش الشيخان ما قلت لهما: هذا علوية ومخارق.

قال جحظة: حدَّثني أبو حشيشة قال: هجم عليَّ خادمٌ أسود، فقال: البس ثيابك؛ فعلمت أن لا يكون إلا عن أمر خليفة، أو أمير، فلبستها، ومضيت معه، فعبَّرني الجسر، وأدخلني داراً لا أعرفها، فأدخلني في حجرة مفروشة، وجاءني بمائدة كأنها جزعة، وقد نشر في أعراضها الخبز، فأكلتُ، وسقاني رطلين، وجاء بصندوق ففتحه، وإذا فيه طنابير، فقال: اختر ما تريد، فاخترت واحداً، وأخذ بيدي، فأدخلني إلى دار فيها رجلان على أحدهما قباء غليظ مُلْحَم، وعلى الآخر ثياب مُلْحَم وخز، فقال لي صاحب الخزّ: اجلس، فقال لي: أكلت وشربت؟ قلت: نعم، فقال: قُل ما نقول لك، فقلت: قُل، فقال: غنّ بصنعتك[٢]: [من الخفيف]

يا مَلِيحَ الإقبالِ والانصرافِ ومَلُولاً ولَوْ يَشَا قلتُ: جافي

فغنيته إياه، ولم يزل يطلب منّي صوتاً بعد صوت من صنعتي، فأغنّيه، ويستعيده، ويشرب هو والرجل واستقى بالإنصاف المختوتة إلى أن صلّوا العشاء /١٦٨/ الآخرة، ثم أومأ إلي الخادم، فقمتُ فقال لي صاحب القباء منهما: أتعرفني؟، قلت: لا، قال: أنا إسحاق بن إبراهيم الظاهري، وهذا محمد بن أسد الخناق، والله لا بلغني أنك تقول

(١) محمد بن علي بن أمية: أبو جعفر، وأبو حشيشة لقب غلب عليه، وكان أهله جميعاً متصلين بإبراهيم بن المهدي، وكان هو من بينهم مغنياً بالطنبور، أحسن الناس غناءً، وخدم جماعة من الخلفاء من المأمون إلى المعتمد.
ترجمته في: الأغاني ٢٣/ ٨١ـ ٩١.
(٢) الأغاني ٢٣/ ٨٣.

رأيتني، لأضربن عنقك، انصرف. وخرجت ودفع إليّ الخادم ثلاثمائة دينار، فجهدت أن يقبل منها شيئاً على سبيل البرّ فلم يفعل.

[٦٧]

إسحاق الموصلي(١)

رجل تعقد عليه الخناصر، ويعتدّ عليه الناصر، علم منوّع، ويمٌّ لا يخلو من

(١) إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي، أبو محمد ابن النديم: من أشهر ندماء الخلفاء. تفرد بصناعة الغناء، وكان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام، راوياً للشعر حافظاً للأخبار، شاعراً، له تصانيف، من أفراد الدهر أدباً وظرفاً وعلماً. فارسي الأصل، مولده ببغداد سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م ووفاته فيها سنة ٢٣٥هـ/ ٨٥٠م. وعمي قبل موته بسنتين.
نادم الرشيد والمأمون والواثق والعباسيين. ولما مات نُعي إلى المتوكل فقال: ذهب صدر عظيم من جمال المُلك وبهائه وزينته.
وألف كتباً كثيرة، قال ثعلب: رأيت لإسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب كلها سماعه. من تصانيفه «كتاب أغانيه» التي غنى بها، و«أخبار عَزة الميلاء» و«أغاني معبد» و«أخبار حماد عجرد» و«أخبار ذي الرمة» و«الاختيار من الأغاني» ألفه للواثق، و«مواريث الحكماء» و«جواهر الكلام» و«الرقص والزفن» و«الندماء» و«النغم والإيقاع» و«قيان الحجاز» و«النوادر المتخيرة» ولابن بسام الشاعر كتاب «أخبار إسحاق النديم» ومثله للصولي. ولماجد بن أحمد السامرائي «ديوان إسحاق الموصلي» ط بغداد ١٩٧٠ **ترجمته في**: بغداد لابن طيفور ١٠٤، ١٠٥، ١١١، ١٦٨، ١٧٣، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٩٠، والكامل في الأدب للمبرد ١/ ٣٩٠، ٣٩١، وطبقات الشعراء لابن المعتز ١٢٦، ٣١٠، ٣١٢، ٣٥٩ـ ٣٦١، وتاريخ الطبري ٧/ ٦٥٠ و٨/ ١٩، ٨٥، ٨٨، ٨٤، ٩٧٧٩٦، ١٧٥، ٢١٠، ٢٢٦، ٦٦٣، ٦٦٤ و٩/ ١٢٢، ١٢٤، وثمار القلوب للثعالبي ١٢٤، ١٥٣، ٣١٣، ٣٦٠، ٤٧٣، والبرصان والعرجان للجاحظ ٢٩٤، وتهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٤١٧ ـ ٤٣٠، والبخلاء للخطيب ٥٨، ٥٩، وتاريخ بغداد ٦/ ٣٣٨ـ ٣٤٥ رقم ٣٣٨٠، والأنساب لابن السمعاني ١١/ ٢٥٣، والتذكرة الحمدونية ٢/ ١٩٧، ٢٧٥، والوزراء والكتاب ١٩٨، والكامل في التاريخ ٧/ ٥٣، والعقد الفريد ١/ ٢٦٦، و٤/ ٢١٦، ٢٢٥، ٦/ ٣٢، ٣٣، ٤٦، ٤٩، ٥١، ٦٠، ٦٥، ٧٣، ٨٠، ٢٨٤، ٣٨٨، ٤٠٣، ٤٠٥، والهفوات النادرة للصابي ١٧، ٣٢، والإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني ٢٦، ٧٧، ٨٠، ١٠٤، ١٠٥، ١١٢، ١١٣، وخاص الخاص ٧٦، ١٠٩، ومروج الذهب ٨، ٢١٦١، ٢٢٠٠، ٢٢٠٤، ٢٢٤٣، ٢٥٤٣، ٢٥٦٢، ٢٧١٥، ٢٧٥٧، ٣٥٥٧، والفخري في الآداب السلطانية ٢٧٦ ـ ٢٧٩، وربيع الأبرار ٤/ ١٢٧، ٢٧٧، ٣٤١، ٤٤٥، ونزهة الألباء لابن الأنباري ١٣٢ ـ ١٣٥، والفهرست لابن النديم ١٤٠، والجامع الكبير لابن الأثير ١٨٦، ١٨٩، ١٩٠، والمحاسن والمساوىء للبيهقي ٣٢٥ـ ٤٣٦، ٤٤٧، وأخبار الحمقى لابن الجوزي ٦٨، والأذكياء، له١١٦، وبدائع البدائه لابن ظافر ١٨، ٦٦، ١١٨، ١٢٤، ١٤٧، ١٤٨، ١٦٠، ٢٣٠، ٣٣١، ١٣٧٤، وأمالي القالي ١/ ٣١، ٥٥، ٧١، ١٩٦، ٢١٨، ٢٤٩ و٢/ ٦٠، ٦١، =

الإخلاطة بكل مشرع، أخذ من كل فنٍ طرفاً، وعلى كل فضلٍ شرفاً حتى كان بعد القضاء ناظر العلماء، وأبكى بغلبة الجفون دماء، وكان يربأ بنفسه إلى أن يدخل على الخلفاء مع أهل الفقه ويختلط بهذا الشبه، وبرع في الأدب وأفانينه، وغنّى بالشعر وتحسينه، وخلّف وراءه السباق، في حسن نظمه وتحسينه، وحلّ من الرشيد فمن بعده من الخلفاء محل الأصفياء، وفازوا منه بالوفاء، وفا... بما تجلّى له منهم من موارد الصفاء، وكانوا يرونه القلب الذي يسع سرورهم، والشباب الذين يحسن غرورهم، وأيامه مطويات إلى بلوغ آرابه، وسبوغ النعمة فيما زنده أورى به. هذا إلى عفاف تشهد به المضاجع، وكرم وخير وتقدّم في أولٍ وآخر، ونفس ما أُشربت حبّ الحرام، ولا اشرأبَّت إلى غير اختلاف الكرام.

قال أبو الفرج، قال إسحاق: بقيتُ زماناً من دهري أغسل كل يوم إلى هشام، ثم أصير إلى الكسائي، وأقرأ عليه جزءاً من القرآن، وآتي الفراء، فأقرأ عليه أيضاً، ثم آتي منصور زلزل، فيضاربني طريقين، أو ثلاثة، ثم آتي عاتكة بنت شهدة، فآخذ منها صوتاً، أو صوتين، ثم آتي الأصمعي، فأناشده، وآتي أبا عبيدة فأذاكره، ثم أصير إلى أبي فأعلمه ما صنعت، ومن لقيت، وما أخذت وأتغدى معه، فإذا كان العشاء، رحت إلى الرشيد.

قال إسحاق: دعاني المأمون يوماً، فسألني عن صوت، فقال: أتدري من صنعه؟، فقلت: اسمعه ثم أخبر أمير المؤمنين بذلك إن شاء الله تعالى. فأمر جارية من جواريه وراء الستارة، فغنَّت، وضربت [فإذا] / ١٦٩/ هي قد شبهته بالقديم، فقلت:

= ١٢٧ و٣/ ١٦، ٧٠، ٨٥، ٨٨، ١٢٣، ١٨٩، وأمالي المرتضى ١/ ١٥، ٣٦٠ـ ٣٦٢، ٥٠٦ـ ٥٠٨، ٥٩٦، ٦٠٥، والجليس الصالح ٢/ ٢٢٨ـ ٢٣٠، ٢٣٣، أخبار النساء لابن القيم ١٠٨، ١٨٠، ٢١٥، ونزهة الظرفاء ٣٢، ٣٣، والأغاني ٥/ ٣٢٢ و١٧/ ٤١، ٤٩، ١٧٤، ١٧٨، ٢١٤، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٧٦، ٣٠٢، ٣٥١، ٣٥٥، و١٨/ ٣، ٩٣، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣٢٨، ٣٥٦، ١٩/ ٣٠، ٢٢٦، و٢٠/ ٤٦، ٥٥، ٢٥٧، ٢٩٥، ٣٢٤٣٠١، ٢١/ ٥٦، ٥٧، ٦٧ و٢٤/ ٩، ١٦، ٩٧، والروض المعطار ٥٦٤، ووفيات الأعيان ١/ ٢٠٢ـ ٢٠٥، وإنباه الرواة ١/ ٢١٥، ونور القبس ٣١٦، ومرآة الجنان ٢/ ١١٤ـ ١١٦، والبداية والنهاية ١٠/ ٣١٤، ٣١٤، ونهاية الأرب ١/ ١٠١، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٣٨، والوافي بالوفيات ٨/ ٣٨٨ـ ٣٩٣ رقم ٣٨٢٦، وسمط اللآلي ١٣٧، ٢٠٩، ٥٠٩، ومعجم الأدباء ٦/ ٥، ٥٨، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١١٨ـ ١٢١ رقم ٤٢، والعبر ١/ ٤٢٠، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٦٠، ٢٨٠، ٢٨١، ولسان الميزان ١/ ٣٥٠، وشذرات الذهب ٢/ ٨٢، الأعلام ١/ ٢٩٢، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٣١ـ ٢٤٠هـ) ص٩٢ـ ٩٧ رقم ٥٤ .

زدني معها عوداً آخر؛ فإنه أثبت لي، فزادني عوداً آخر، فقلت: يا أمير المؤمنين هذا الصوت محدث لامرأة ضاربة، فقال: من أين قلت ذلك؟ فقلت: لما سمعته، وسمعت لينه، عرفت أنه من صنعة النساء، ولما رأيت جودة مقاطعه، علمت أنَّ صاحبته ضاربة، وقد حفظت مقاطعه وأجزاءه، ثم طلبت عوداً آخر فلم أشك، قال: صدقت الغناء لعريب.

قال إسحاق بن إبراهيم الظاهري، حدّثتني مخارق مولاتنا، قالت: كان لمولانا الذي علَّمني الغناء فراش رومي، وكان يغني بالرومية صوتاً مليح اللحن، فقال لي مولاي: يا مخارق خُذي هذا اللحن الرومي فانقليه إلى شعر صوت من أصوات العربية حتى أمتحن به إسحاق الموصلي، فاعلم أين يقع من معرفته. ففعلت ذلك، فصار إليه إسحاق فأجلسه، وبعث إلى مولاي أن أدخل اللحن الرومي في وسط غنائك، فغنيته إياه في درج أصوات مرَّت، فأصغى إليه إسحاق، وجعل يتفهمه ويقسّمه، ويتفقد أوزانه، فقال: هذا الصوت رومي اللحن. فمن أين وقع إليك؟ فكان مولاي بعد ذلك يقول: ما رأيت شيئاً أعجب من استخراجه لحناً رومياً لا يعرفه، ولا العلّة فيه، وقد نقل إلى غناءٍ عربيّ، وامتزجت نغمته حتى عرفه، ولم يخف عليه.

قال: تناظر المغنيّون يوماً عند الواثق: فذكروا الضرّاب وحذقهم، فقدم إسحاق زبزباً على ملاحظة الملاحظ الرياسة في ذلك عليهم جميعهم، فقال لهم الواثق: هذا حيف وبعده منك، فقال: إسحاق يا أمير المؤمنين أجمع بينهما وامتحنهما، فإنَّ الأمر سينكشف لك فيهما، قال: فأمر بهما، فأحضرا، قال له إسحاق: إنَّ الضرّاب أصواتاً معروفاً فامتحنهما بشيء منهما، قال: أجل افعل فسمّى ثلاثة أصوات كان أولها[1]: [من السريع]

عُلِّقَ قَلْبِي ظَبْيَةَ السَّبْتِ..

فضربنا عليه فتقدم زبرب، وقصر عنه ملاحظ، فعجب الواثق من كشفه لما ادعاه في مجلس واحد، فقال له ملاحظ: /١٧٠/ ما باله يا أمير المؤمنين يحيلك على الناس، ولم لا يضرب هو؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنه لم يكن أحدٌ في زماني أضرب مني إلا أنكم أعفيتموني، فقلت مني وعليّ أن معي بقية لا يتعلّق بها أحد من هذه

---

(١) صدر بيت لإسحاق الموصلي وعجزه:
«جهلاً فقد أغري بتعذيب»
«الأغاني ٥/ ٢٩١».

الطبقة، ثم قال: يا ملاحظ شوش عودك وهاته، ففعل ذلك ملاحظ، قال إسحاق: يا أمير المؤمنين هذا خلط الأوتار خلط متعنتٍ فهو لا يألو ما أفسدها، ثم أخذ العود فجسَّه ساعة حتى عرف مواضعه، وقال: يا مخارق غنّ أيّ صوتٍ شئت، فغنّى ملاحظ، فضرب عليه إسحاق بذلك العود الفاسد التسوية، فلم يخرج عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن تقوية واحدة، ويده تصعد وتنحدر على الدساتين، فقال الواثق: لا والله ما رأيت مثلك قطّ، ولا سمعت به. اطرح هذا على الجواري، فقال: هيهات يا أمير المؤمنين. هذا شيء لا تفي به الجواري، ولا يصلح لهنَّ، وإنما بلغني أنَّ الفلنهد ضرب يوماً بين يدي كسرى أبرويز، فأحسن، فحسده رجل من حذاق صنعته، فترقبه حتى قام لبعض شأنه، ثم خالفه إلى عوده، فشوش بعض أوتاره، فرجع فضرب لا يدري، والملوك لا تصلح في مجالسها العيدان، فلم يزل يضرب بذلك العود إلى أن فرغ، ثم [قام] على رجله فأخبره الملك بالقصة، فامتحن العود، فعرف ما فيه، فقال: زه زه وزهان زه، ووصله بالصلة التي كان يصل بها من خاطبه بهذه المخاطبة؛ فلما تواترت الروايات بهذا أخذت نفسي بها، ورضيتُها عليه، وقلت لا ينبغي أن يكون الفلنهد أقوى على هذا مني، فما زلت أستنبط بضع عشرة سنة حتى لم يبق في الأوتار موضع على طبقة من الطبقات إلا وأنا أعرف نغمته كم هي، والمواضع التي تخرج النعم كلها منها، وهذا شيء لا يفي به الجواري. فقال له المأمون وعنده...: لعمري لقد صدقت ولئن مت، لتموتن هذه الصناعة بموتك، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

قال إسحاق: دعاني إبراهيم بن المهدي، وفي مجلسه عشرون جارية، قد أجلس عشراً عن يمينه، وعشراً عن يساره، ومعهن العيدان؛ فلما دخلت، سمعت من الناحية اليسرى خطأً، فأنكرنه، فقال المأمون: يا إسحاق أتسمع خطأً؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين! مُر الجواري اللواتي في الناحية اليمنى / ١٧١/ يمسكن، فأمرهن فأمسكن، فقلت لإبراهيم: هل تسمع خطأً؟ فقال: ها هنا خطأ، فقلت: يا أمير المؤمنين يمسكن، وتضرب الثامنة، فأمسكن وضربت الثامنة، فعرف إبراهيم الخطأ، فقال: نعم يا أمير المؤمنين ها هنا خطأ، فقال المأمون عند ذلك لإبراهيم بن المهدي: لا يُمارى إسحاق بعدها فإنَّ رجلاً يعرف الخطأ بما بين وتر وعشرين لجديرٌ أن لا تماريه، فقال: صدقت يا أمير المؤمنين.

قال أحمد بن حمدون سمعت الواثق يقول: ما غناني قطّ إسحاق، إلا ظننتُ أنه قد زيد لي في ملكي، ولا سمعته يغني غناء ابن سريج إلا ظننت أن ابن سريج نشر، وأنه ليحضرني غيره إذ لم يكن حاضراً، فتقدمه عندي يطيب الصوت حتى إذا اجتمعا عندي

رأيت إسحاق يعلو، ورأيت غيره ينقص، وأن إسحاق لنعمة من نعم الملوك التي لم يحظ أحد بمثلها، ولو أنَّ العمر والشباب والنشاط مما يشترى، لاشتريتهنَّ له بشطر ملكي.

قال ابن المنجم: سأل إسحاق الموصلي المأمون أن يكون دخوله إليه مع أهل الرواية والعلم لا مع المغنين، فإذا أراد الغناء غنَّاه، فأجابه إلى ذلك، ثم سأله بعد ذلك أن يأذن له في الدخول مع الفقهاء فأذن له، ثم سأله أن يأذن في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة، فقال: ولا كل هذا يا إسحاق، وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم، قال: وكان معه جماعة من المغنين يحضرون عند الواثق، وعيدانهم معهم إلا إسحاق فإنه كان يحضر بلا عود للشرب والمجالسة، فإذا أراد الخليفة أن يغني له أحضر له عوداً، فإذا غنى وفرغ الواثق من شرب قدحه، قطع الغناء فلم يعد حرفاً، إلا أن يكون في بعض بيت فيتمه، ثم يقطع ويضع العود من يده.

قال: كان إبراهيم يأكل المغنين أكلاً، حتى إذا حضر إسحاق فيداريه إبراهيم، ويطلب مناقبه، ولا يدع إسحاق تبكيته ومعارضته، وكان إسحاق / ١٧٢/ آفته، كما لكل شيء آفة.

قال محمد بن راشد الجنان: سألني إسحاق أن أصير إلى إبراهيم بن المهدي، وقال: قل له: أسألك عن شيء، فإذا قال لك: سل، قل له: أخبرني عن قولك[(١)]: [من الطويل]

ذَهبْتُ من الدنيا وقد ذَهبتْ منّي هوى الدهرُ بي عنها وولى بها عنّي

أيّ شيء كان معنى صنعتك فيه وأنت تعلم أنه لا يجوز في غنائك التي صنعته إلا أن تقول: ذهبوا بالواو، فإن قلت: ذهبت ولم تمدّها، تقطع اللحن، وإن مددتها، قبح الكلام وصار مثل كلام النبط، فقال له: يا محمد كيف أخاطب إبراهيم بهذا، فقال: هي حاجتي إليك وقد كلفتك إياها. قال: فأتيت إبراهيم، وجلست عنده، وتحادثنا إلى أن جئنا إلى ذكر الغناء، فذكرت له ما قال إسحاق، فتغيَّر لونه، وانكسر، وقال: يا أبا محمد ليس هذا من كلامك، هذا من كلام ابن الجرمقاني، قل له: غني أنتم تصنعون هذا للصناعة، ونحن نصنع هذا للهو واللعب والعبث.

---

(١) في الأصل:
«ذهبت عن الدنيا وأذهبتها عني وقد ذهبت مني..»
وهو مضطرب، صوّبناه من الأغاني ١٠/ ١٩٦٩.

قال يحيى بن محمد الظاهري: حدّثني ينشو مولى أبي أحمد بن الرشيد، قال: اشتراني مولاي أبو أحمد بن الرشيد، واشترى معي رفيقي يحموم، ودفعنا إلى وكيل له خراساني، وقال له: انحدر بهذين الغلامين ـ إلى بغداد ـ إلى إسحاق الموصلي، وادفع إليه مائة ألف درهم، وشهرياً بسرجه ولجامه، وثلاثة أدراج فضة مملوءة طيبا، وسبعة تخوت وشي كوفيٍّ وثلاثين ألف درهم للنفقة، وقال للرسول: عرف إسحاق أنَّ هذين الغلامين لرجل من وجوه العرب من أهل خراسان، وجه بهما إليه، ليتفضل عليه بتعليمهما أصواتاً اختارها، وكتبها له في الدرج، وقال له: كلما علمهما صوتاً، فادفع إليه ألف درهم حتى يتعلما بها مائة صوت، فإذا علمهما الصوتين اللذين بعد المائة، فادفع إليه الشهري، ثم إذا علمهما الثلاثة التي بعد الصوتين، فادفع إليه لكل صوت من الأصوات درجاً من الأدراج، ثم لكل صوتين بعد ذلك تختاً وسفطاً حتى ينفد ما بعث به معك، ففعل وانحدر بنا إلى بغداد، وأتينا إسحاق، فغنينا بحضرته، وأبلغه الوكيل الرسالة، فلم يزل يلقي / ١٧٣/ علينا الأصوات حتى أخذناها كما أمر سيدنا، ثم صرنا إلى سر من رأى، فدخلنا عليه وغنيناه جميع ما أخذناه فسرَّ بذلك، وقدم إسحاق من بغداد إلى سر من رأى، فلقيه مولانا فدعا بنا، وأوصانا بما أراد، وغدا بنا إلى الواثق، وقال: إنكما ستريان إسحاق بين يديه، فلا توهماه إنكما رأيتماه قطّ، وألبسنا أقبية خراسانية، ومضينا معه إلى الواثق؛ فلما دخلنا عليه، قال له: يا سيدي هذان غلامان اشتُريا لي من خراسان يغنيان بالفارسية، فقال: غنِّيا، فضربنا ضرباً فارسياً، وغنينا غناء فلهنديا، فطرب الواثق وقال: أحسنتما، فهل تغنيّان بالعربية؟ قلنا نعم، واندفعنا فغنينا ما أخذنا من إسحاق، وإسحاق ينظر إليه، ويتغافل حتى غنيناهُ أصواتاً من غنائه، فقام إسحاق وقال: وحياتك وبيعتك وإلا فكل مملوك لي حرّ، وكل مال صدقة، إن لم يكن هذان الغلامان من تعليمي، ومن قصتهما كيت وكيت، فقام أبو أحمد وقال للواثق: والله ما أدري ما يقول هذا، إني اشتريتهما من رجل عاسٍ خراساني. من أين يجيد تلك الأغاني؟ فضحك أبو أحمد، وقال للواثق: صدق والله أنا احتلت عليه، ولو رمت أن أعلمهما ما أخذاه منه إذا علم أنهما لي بأضعاف ما أعطيته، ما فعل، فقال له إسحاق: قد تمَّت عليّ حيلتك يا أمير المؤمنين.

قال: كنت عند الرشيد، فقال: يا إسحاق: تغنّ[1]: [من الوافر]

شـربـتُ مُـدامـةً وسُـقـيـتُ أُخـرى ... وراع الـمُـنـتـشـونَ ومـا انـتَـشَـيْـتُ

(١) الأغاني ٥/ ٣٠٧.

فغنيته، فأقبل على إبراهيم بن المهدي، وقال لي: ما أصبت يا إسحاق، فقال له: ليس هذا مما تحسنه أنت، ولا تعرفه، وإن شئت فغنيته، فإن لم أجدك أن تخطئ فيه منذ ابتدائك إلى انتهائك، فدمي حلال، ثم أقبلت على الرشيد وقلت: يا أمير المؤمنين هذه صناعتي، وصناعة أبي التي قرَّبتني منك واستخدمتنا لك، وأوطأتنا بساطك، وإذا نازعناها أحد، فلا يجد أبداً من الإيضاح والذب. فقال: لا غرو، ولا لوم عليك. وقام الرشيد ليبول، فأقبل إبراهيم بن المهدي عليّ وقال: ويحك يا /١٧٤/ إسحاق، وتجترىء علي وتقول لي ما قلت؟ يا ابن الزانية، فدخلني ما لم أملك نفسي معه، وقلت له: أنت تشتمني، ولا أقدر على إجابتك، وأنت ابن الخليفة، ثم أخو الخليفة؛ ولولا ذلك، لكنت أقول لك يا ابن الزانية، كما قلت لي، ولكن قولي في ذمتك ينصرف إلى خالك الأعلم، ولولاك لذكرت صناعته ومذهبه.

قال إسحاق: وكان بيطاراً. قال: وسكت إبراهيم وعلمت أنه يشكوني إلى الرشيد، وأن الرشيد سوف يسأل من حضر عما جرى، فيخبر به، ثم قلت له: أتظن أنَّ الخلافة تصير إليك، فلا تزال تهدّدني بذلك، وتعادي سائر أولياء أخيك حسداً له ولولده على الأمر، وأنت تضعف عنه وعنهم، فتستخف بأوليائهم تشفياً. وإني أرجو أن لا يخرجها الله عن الرشيد وولده، وأن يقيلك دونها، فإن صارت إليك وبالله العياذ، فحرام عليّ العيش حينئذ والموت أطيب من الحياة معك، واصنع حينئذ ما بدا لك؛ فلما خرج الرشيد، وثب إبراهيم، فجلس بين يديه، وقال: يا أمير المؤمنين شتمني، وذكر أمي، واستخف بي، فغضب الرشيد، وقال لي: ما تقول ويلك؟، فقلت: لا أعلم سل من حضر، فأقبل على مسرور وحسين، فسألهما عن القصة، فجعلا يخبرانه ووجهه يريد إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة، فسُري عنه ورجع، وقال لإبراهيم: ما له ذنب. شتمته فعرَّفك أنه لا يقدر على جوابك، ارجع إلى مكانك، وأمسك عن هذا. فلما انقضى المجلس، وخرج الناس، أمر أن لا أبرح، وخرج كل من خصر حتى لم يبق غيري، فساء ظنّي، وهمتني نفسي، فقال: ويحك يا إسحاق أتراني لا أعرف وقائعك. قد والله زبنته دفعات، ويحك لا تعدو، ويلك حدّثني عنك لو ضربك إبراهيم، أكنت أقتصّ لك منه فأضربه وهو أخي؟ يا جاهل أتراه لو أمر غلمانه فقتلوك، أكنت أقتله بك؟ فقلت: قد والله قتلتني يا أمير المؤمنين بهذا الكلام، ولئن بلغه ليقتلني، وما أشك في أنه قد بلغه الآن، فصاح بمسرور، وقال: عليّ بابراهيم الساعة، وقال لي: قم فانصرف، فقلت لجماعة من الخدام، وكلّهم لي محبّ وإليَّ مائل: خبروني بما يجري فأخبروني من غدٍ أنه لما دخل عليه وبَّخه، وجهَّله، وقال له: تستخف بخادمي

وبصنيعتي ونديمي، وابن خادمي وصنيعتي / ١٧٥/ ، وصنيعة أبي، وتقدم علي وتصنع في مجلسي: هاه وهاه. تقدم على هذا وأمثاله وأنت أنت ما لك والغناء؟ وما يدريك ما هو؟ ومن أخذك به، وطارحك إياه؟ حتى تظنّ أنك تبلغ منه مبلغ إسحاق الذي غذي به، وهو صناعته، ثم تظن أنك تخطئه فيما لا تدريه، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك، فلا تثبت لذلك، وتعتصم منه بشتمه، أليس هذا مما يدل على الشطوط، وضعف العقل، وسوء الأدب من دخولك فيما لا يشبهك، ثم إظهارك إياه، ولم تحكمه، وادعى بك ما لا تعلمه حتى ينسبك الناس إلى إفراط الجهل ألا تعلم ويحك أنَّ هذا سوء الأدب، وقلة معرفة ومبالاة بالخطأ، والتكذيب والردّ القبيح، ثم قال له: والله العظيم، وحقّ رسول الله الكريم [و] إلا فأنا نفي لأبي إن أصابه سوء، أو سقط من دابته، أو سقط عليه سقفه، أو مات فجأة، لأقتلنَّك، فوالله، والله، والله، وأنت أعلم فلا تعرض له، قم الآن، فاخرج، فخرج، وقد كاد يموت؛ فلما كان بعد ذلك، دخلت عليه وإبراهيم عنده، فأعرضت عنه، وجعل ينظر إليه مرة، وإليّ أخرى، ويضحك، ثم قال له: إنّي لأعلم محبتك لإسحاق، وميلك إليه، وإلى الأخذ عنه، وإنَّ هذا لا يجيئك من قبله إلا أن يرضى، والرضا لا يكون بمكروهٍ، ولكن أحسن إليه وأكرمه، وأعرف قدره وحقّه، وصله، فإذا فعلت ذلك، ثم خالف ما تهواه، عاقبته بيدٍ منبسطة، ولسان منطلق. ثم قال لي: قم إلى مولاك، وابن مولاك، فقبَّل رأسه، فقمت إليه، وأصلح الرشيد بيننا.

قال إسحاق: لما أراد الفضل بن يحيى الخروج إلى خراسان ودَّعته، ثم أنشدت(١): [من المتقارب]

فِـرَاقُـكَ مِـثْـلُ فِـرَاقِ الـحـيـاةِ وفـقـدُكَ مِـثْـلُ افـتـقـادِ الـنِّـعَـمْ
عـلـيـكَ الـسـلامُ فـكـمْ مِـنْ وَفَـاءٍ أفـارقُ مِـنْـكَ وكـمْ مِـنْ كَـرَمْ

قال: فضمَّني إليه، وأمر لي بألف دينار، وقال: يا أبا محمد لو حلَّيت هذين البيتين بصنعة وأودعتهما بعض من يصلح من الخارجين معنا، لأهديت لي بذلك أنساً وأذكرتني نفسك. ففعلت ذلك، وطرحته على بعض المغنين، وكان كتابه لا يزال يرد / ١٧٦/ عليّ ومعه ألف دينار، وألفا دينار يصلني بذلك كلّما غنّي بهذا الصوت.

قال أحمد بن يحيى المكي: دعاني الفضل بن الربيع ودعا علوية ومخارقاً، وذلك في أيام المأمون بعد رجوعه له، ورضاه عنه؛ فلما اجتمعنا عنده كتب إلى إسحاق

(١) لإسحاق الموصلي في ديوانه ١٥٣ـ ١٥٤، الأغاني ٥/ ٣١٢.

الموصلي يسأله أن يصير إليه، ويعلمه الحال في اجتماعنا عنده، فكتب إليه: لا تنتظروني في الأكل؛ فإني قد أكلت، وأنا أصير إليكم بعد ساعة، فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قربت صلاة العصر، ثم وافى إسحاق، وجاء غلامه بقطر ميز بنبيذ، فوضعه ناحية، وأمر صاحب الشراب بإسقائه منه، وكان علوية يغني الفضل صوتاً اقترحه عليه وأعجبه، وهو[1]: [من الطويل]

فإنْ تعجبي أَوْ تنظرِي الدهر ضَمَّني بأَخْدانِهِ ضَمَّ المُقَصَّصِ بالجَلم
فقدْ أَترُكُ الأضيافَ يبدى رحالهم وأُكرِمُهُمْ بالبحص الناصلِ الشَّيْم

فقال إسحاق: أخطأت يا أبا الحسن في قسمة هذا البيت، وأنا أصلحه له، فجنَّ علوية، واغتاظ، وقامت قيامته، فأقبل عليه إسحاق، وقال: يا حبيبي ما أردت الوضع منك بما قلت لك، وإنما أردت تهذيبك وتقويمك؛ لأنك منسوب في الصواب والخطأ إلى أبي وإليَّ، فإن كرهت ذلك تركتك وقلت لك: أحسنت، وأجملت، فقال له علوية: والله ما هذا أردت إلا ما تتركه أبداً من سوء عشرتك، أخبرني عنك حين تجيء هذا الوقت لما دعاك الأمير، وعرفك أنه قد نشط للاصطباح، ما حملك على الترفع من مباكرته وخدمته؟ أمن شغلٍ؟، فمما [لا] يشغل عنه بشيء إلا الخليفة بحبه معك قطر ميز نبيد ترفعاً عن شرابه، كما ترفعت عن طعامه ومجالسته، وترى أنك تحبه كما تشتهي حتى يبسطكما الأكفاء، ثم تعمد إلى صوتٍ قد اشتهاه واقترحه وسمعه جميع من حضر فما عابه أحد فعتبه! ليتمَّ تنغيصك إياه لذّته؛ والله لو أنَّ الفضل بن يحيى وأخاه جعفراً - لا والله بل بعض أتباعهم - دعاك إلى مثل ما دعاك إليه الأمير، لبادرت وباكرت، وما تأخرت، ولا اعتذرت.

قال: وأمسك الفضل إعجاباً مما خاطب علوية إسحاق، فقال له /١٧٧/ إسحاق: أما ما ذكرته من تأخري إلى الوقت الذي حضرت فيه، فهو يعلم أني لا أتأخر عنه إلا بعائق قاطع إن وثق بذلك مني، وإلا ذكرت الحجة سرّاً من حيث لا يكون لك فيه مدخل، وأما ترفعي عنه، فكيف أترفع عنه؟ وأنا أنتسب إلى صنائعه، واستميحه، وأعيش في فضله مذ كنت. وهذا تضريب منك لا أبالي به، وأما حملي النبيذ معي فإنّ لي في النبيذ شرباً من طعمه إن لم أجده، فلم أقدر على ذلك الشرب منه، وينغص علي يومي أجمع، وإنما حملته ليتمَّ نشاطي، فينتفع بي، وأما طعني على ما اختاره، فإني لم أطعن على اختيار. وإنما أردت تقويمك، ولست والله تراني متتبّعاً لك بعد اليوم، ولا

---

(١) الأغاني ٥/٣١٧.

مقوّماً شيئاً من خطاياك، وأنا أغنّي له ـ أعزّك الله ـ هذا الصوت، فيعلم وتعلم ويعلم من حضر أنك قد أخطأته، وقصرت فيه، وأما البرامكة وملازمتي لهم فأشهر من أجحده. وذلك والله أقلّ ما يستحقونه مني، ثم أقبل على الفضل، وقد غاضه في مدحه لهم. فقال: اسمع مني شيئاً أخبرك به فيما فعلوه بي ليس هو كثيراً في صنائعهم عندي، ولا عند أبي فإن وجدت لي في ذلك عذراً، وإلا فلم كنت مع ابتداء أمري نازلاً مع أبي في داره، فكان لا يزال يجري بين غلماني وغلمانه، وجواريّ وجواريه الخصومة كما تجري بين هذين الطبقات فيشكونهم إليه، فيبين الضجر في وجهه فاستأجرت داراً واسعة، فلم أرض ما معي من الآلات لها لمن يدخل إليّ من إخواني أن يرى مثله عندي، وفكرت في ذلك، وكيف أصنع فيه، وزاد فكري حتى خطر بقلبي فتح الأحدوثة من نزول مثلي في داره بأجرة، وأني لا آمن في وقت أن يستأذن علي وعندي بعض الرؤساء والأصدقاء الذي أحتشمهم، ولا يعلمون حالي، فيقول صاحب دارك أو توجه في وقت فيطلب أجرة الدار، وعندي من أستحشمه، فضاق بذلك صدري ضيقاً عظيماً حتى جاوز الحدّ، فأمرتُ غلماني بأن يسرج لي حماراً كان عندي؛ لأمضي إلى الصحراء أتفرج فيها مما دخل إلى قلبي. فأسرجه وركبت برداء ونعل فأفضى بي المسير وأنا مفكر لأميّز الطرق التي أسلك فيها وهجم بي على باب /١٧٨/ يحيى بن خالد، فوثب غلمانه إلي وقالوا: أين هذا الطريق، فقلت: إلى الوزير، فدخلوا فاستأذنوا وخرج إليّ الحاجب، فأمرني بالدخول، وبقيت خجلاً قد وقعت في أمرين قبيحين، إذ دخلت عليه برداء ونعل، وأعلمته أني قد قصدته في تلك الحال، كان سوء أدب، وإن قلت له: إني كنت مجتازاً، ولم أقصدك، فجعلتك طريقاً كان قبيحاً، ثم عزمت على صدقه؛ فلما رآني تبسّم، وقال: ما هذا الزي يا أبا محمد؟ احتسبنا لك بالبرّ والقصد والتفقد، ثم علمنا أنك جعلتنا طريقاً، فقلت: لا والله يا أيها الوزير، ولكني أصدقك، قال: هات فأخبرته بالقصّة من أولها إلى آخرها، فقال: هذا أحقّ مستوى، فهذا شغل قلبك؟ قلت: أيّ والله وزاد. فقال: لا تشغل قلبك بهذا يا غلام ردّ حماره، وهاتوا خلعة، فجاؤني بخلعة من ثيابه تامة، فلبستها، وجيء بالطعام، فأكلنا، ووضع النبيذ، فشربت، وشرب، وغنيته، ثم دعا بدواةٍ ورقعةٍ، فكتب أربع رقعات، فظننت بعضها توقيعاً لي بجائزة، فإذا هو قد دعا بعض وكلائه، فساره بشيء، فزاد طمعي في الجائزة، ومضى الرجل، وجلسنا نشرب، وأنا أنتظر، فلا أرى شيئاً إلى العتمة، ثم اتكأ يحيى فنام، وقمت من عنده وأنا متكسر خائب، فخرجت وقدم إليّ حماري، فلما عاودت الدار قال لي غلامي... قال: قد بيعت، وأشهد على صاحبها، وابتيع الدرب كلّه،

ووزن ثمنه والمشتري جالس على بابك، ينتظر ليعرفك، وأظنّه ابتاع ذلك للسلطان؛ لأني رأيت الأمر في عجلة، واستحثاث أمراً سلطانياً، فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حسابي، وأنا لا أدري ما أعمل، فلما نزلت على باب داري إذا بالوكيل الذي ساره يحيى قد قام إليّ وقال: ادخل - أيدك الله - حتى أدخل إليك في أمر احتاج إلى مخاطبتك فيه، فطابت نفسي بذلك، ودخلت الدار، ودخل إليّ، فأقرأني توقيع يحيى «يطلق لأبي محمد إسحاق مائة ألف درهم تبتاع له داره، وجميع ما يجاورها ويلاصقها»، والتوقيع الثاني إلى ابنه الفضل «قد أمرت لأبي محمد إسحاق يبتاع له بها داره، فأطلق له مثلها على إصلاح الدار كما يريد وبناءها على ما يشتهي» والتوقيع الثالث إلى ابنه جعفر /١٧٩/ «قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يبتاع له منها منزل يسكنه، وأمر له أخوك بمائة ألف درهم ينفقها على بنائها ومرمتها على ما يريد، فأطلق أنت مائة ألف درهم يبتاع بها قرشاً لمنزله»، والتوقيع الرابع: إلى محمد ابنه «قد أمرت وأخويك بثلاثمائة ألف درهم لمنزل يبتاعه، وفرش يتبدله فيه، ونفقة ينفقها عليه» فأمر له بمائة ألف درهم يصرفها في سائر نفقته، وقال لي الوكيل: قد حملت المال كلّه، واشتريت كل شيء حولك بسبعين ألف درهم، وهذه كتب الابتياعات باسمي، والإقرار لك، وهذا المال الباقي في يدي ها هو بورك لك فيه، فقبضتُه، وأصبحت أحسن الناس حالاً ومرأى في منزلي وفرشي، ولكني والله ما هذا من أكثر شيء فعلوه بي. أفألام على ذلك في شكرهم؟! فبكى الفضل بن الربيع وكل من حضر وقالوا: لا والله لا يلام على شكرهم، ثم قال له الفضل: بحياتي عليك. غنِّ الصوت، ولا تبخل على أبي الحسن أن تقوّمه له، قال: أفعل، وغناه فتبين علوية أنه كما قال، فقام فقبَّل رأسه، وقال: أنت أستاذنا، وابن أستاذنا، وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كل أحد، وردَّده إسحاق مرات حتى استوى عُلوية.

قال إسحاق: قلتُ في ليلة من الليالي[1]: [من الخفيف]

هلْ إلى نظرةٍ إليكَ سُبيلُ يُروَ منها الصَّدى ويُشفى العَليلُ
إنما قلَّ منكَ يكثُر عندي وكثيرٌ ممَّنْ تُحبُّ القليلُ

فلما أصبحت أنشدتهما الأصمعي، فقال: هذا الديباج الخسرواني، هذا الوشي الإسكندراني. لمن هذا؟ فقلت: ابن ليلته، فتبينت الحسد في وجهه وقال: أفسدته، أما إنّ التوليد فيه لبيّن.

---

(١) ديوانه ١٦٦، الأغاني ٥/٣٢٨.

قال الأصمعي: دخلتُ أنا وإسحاق الموصلي يوماً على الرشيد، فرأيته لقس النفس، فأنشده إسحاق[١]: [من الطويل]

وآمرةٍ بالبخلِ قيلَ لها اقْصري   فَذَلكَ شيء ما إليهِ سبيلُ
أرى الناسَ خُلاَّن الكريم وَلا أرى   بخيلاً لهُ حتَّى المماتِ خليلُ
/١٨٠/ وإني رأيتُ البُخْلَ يُزرِي بأهلِهِ   فأكرمتُ نفسي أَنْ يقالَ بَخيلُ
ومِنْ خيرِ حالاتِ الفتى قدْ علمته   إذا نالَ خيراً أَنْ يكونَ نبيلُ
وكيفَ أخافُ الفقرَ أو أُحرمُ الغِنَى   ورأيُ أميرِ المؤمنينَ جميلُ

فقال الرشيد: لا كيف إن شاء الله. ثم قال: لله درّ أبيات تأتينا بها ما أشدّ أصولها!، وأحسن فصولها!، وأقل فضولها؛ وأمر له بخمسين ألف درهم، فقال له إسحاق: وصفك والله يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه، فعلام آخذ الجائزة؟! فضحك الرشيد، وقال: اجعلوها لهذا القول [مئة ألف درهم]. قال الأصمعي؛ فقلت يومئذ: إنَّ إسحاق أحذق بصيد الدراهم.

قال إسحاق: جاءني الزبير بن دحمان مسلماً، فاحتبسته، فقال لي: قد أمرني الفضل بن الربيع بالمصير إليه، فقلت له[٢]: [من الطويل]

أقم يا أبا العوام ويحك نشرب   ونَلْهُ مع اللاهين يوماً ونلعب
إذا ما رأيتَ اليومَ قدْ بانَ خَيْرُهُ   فَخُذْهُ بسُكْرٍ واتركِ الفَضْلَ يَصخَبُ

فأقام عندي وشربنا يومنا، ثم صار إلى الفضل بن الربيع، فسأله عن سبب تأخره عنه، فجاذبه الحديث، وأنشده الشعر، فعتب وحوّل وجهه عني، وأمر عوناً حاجبه أن لا يدخلني إليه، ولا يستأذن لي عليه، ولا يوصل لي رقعة إليه فقلت[٣]: [من الطويل]

حرامٌ عليَّ الكأسُ ما دُمْتَ غَضْبانا   وما لَمْ يَعُدْ عَنِّي رِضاكَ كما كَانا
فأَحْسِنْ فإنِّي قدْ أَسأْتُ ولَمْ تَزَلْ   تعوِّدُني عندَ الإساءَةِ إحسانا

قال: فأنشدته إياها، فضحك، ورضي عني، وعاد لي، وإلى ما كان عليه.

قال ابن المكي: كان المغنون يجتمعون مع إسحاق وكلّهم أحسن صوتاً منه، ولم يكن فيه عيب إلا صوته، فيطمعون فيه، فلم يزل بلطفه وحذقه ومعرفته حتى يغلبهم، ويبذهم جميعاً، ويفضلهم، ويتقدّم عليهم. قالوا: هو أول من أحدث المجنب؛ ليوافق

---

(١) ديوانه ١٦٣، الأغاني ٥/ ٣٣١.
(٢) ديوانه ٩٧، الأغاني ١٨/ ١٣١.
(٣) لإسحاق الموصلي في ديوانه ٢٠٣، الأغاني ٥/ ٣٣٤.

صوته، ويشاكله، فجاء معه عجباً من العجب، وكان في حلقه نبوة من الوتر.

قال إسحاق: كنت يوماً عند إسحاق بن إبراهيم بن مصعب؛ فلما جلسوا للشرب جعل الغلمان يسقون من حضر وجاء غلام قبيح الوجه إليّ /١٨١/ بقدح فيه نبيذ، فلم آخذه، ورآني إسحاق، فقال: لم لا تشرب؟، فقلت له[١]: [من البسيط]

أَصبِحْ نديمَكَ أَقْداحاً تُسَلْسِلُها مِنَ الشَّمُولِ وأَتْبِعْها بأَقْداحِ
مِنْ كَفِّ رِيمٍ مليحِ الدَّلِّ رِيقَتُهُ بَعْدَ الهُجُوعِ كمِسْكٍ أَوْ كتفَّاحِ
لا أشربُ الرَّاحَ إلا مِنْ يَدَيْ رَشَأٍ تَقْبيلُ راحتِهِ أشهى من الرَّاحِ

فضحك، وقال: صدقت والله، ودعا بوصيفة تامة الحسن في زي غلام عليها أقبية ومنطقة، فقال لها: تولي سقي أبي محمد، فما زالت تسقيني حتى سكرت، ثم أمر بتوجيهها، وكل مالها في دارها إلي فحملت معي.

قال ابن المكي: تذاكرنا يوماً عنده صنعة إسحاق، وقد كان بالأمس عند المأمون، فغناه إسحاق لحناً صنعه في [شعر] ابن ياسين[٢]: [من مجزوء الخفيف]

الطُّلولُ الدَّوارِسُ فارقَتْها الأوانِسُ
أَوْحَشَتْ بَعْدَ أَهلِها فهيَ قَفْرٌ بَسَابِسُ

قال، فقال لي أبي: لو لم يكن من بدائع إسحاق غير هذا لكفاه!: «الطلولُ الدوارسُ»..

كلمتان قد غنى فتهيّأ استهلالاً، وبسطاً، وصاح، وسجح، ورجح النغمة، واستوفى ذلك كله في كلمتين، وأتى بالباقي مثله. فمن شاء، فليفعل مثل هذا، أو فليفارقه، ثم قال إسحاق: والله، والله ما في زماننا فوق ابن سريج والغريض ومعبد، ولو عاشوا حتى يروه، لعرفوا فضله، واعترفوا له به.

قال صالح بن الرشيد: كنا يوماً عند المأمون ومعه جماعة من المغنين فيهم إسحاق وعلوية ومخارق وعمرو ابن بانة، فغنّى مخارق صوتاً من صنعة إسحاق وهو[٣]: [من الطويل]

أعاذلُ لا آلُوكِ إلا خَلِيْقَتي فلا تجعليني في لسانِكِ مبرَدَا
ذَرِيني أَكُنْ للمالِ رَبّاً ولا يكنْ لي المالُ غِبّاً تحمدي غِبَّةَ غَدَا

---

(١) ديوانه ١٠٣، الأغاني ٥/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠.
(٢) لابن ياسين في الأغاني ٥/ ٣٥٢، ٤٣٩، ٤٤١.
(٣) الأغاني ٥/ ٣٥٤.

ذَرِينِي يكُنْ مالي لعِرْضي وقايةً يقي المالُ عِرْضي قبلَ أنْ يَتَبَدَّدَا
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي إذَا الضَّيفُ نابَنِي وعَزَّ القِرَى أُقْرِي السَّديفَ المُسَرْهَدَا

/١٨٢/ فقال له المأمون: لمن هذا اللحن؟، قال: لهذا الهربد الجالس يعني إسحاق، فقال المأمون لمخارق: قم فاقعد بين يدي، وأعد عليّ الصوت، فقام: فجلس بين يديه، فغناه، فأجاد، وشرب المأمون عليه رطلاً، ثم التفت إلى إسحاق، فقال: غنّ هذا الصوت، فغنّاه، فلم يستحسنه كما سمعه من مخارق، ثم دار الدور إلى علوية فغنّى صوتاً من صنعة إسحاق أيضاً وهو[1]: [من الوافر]

أَرَأَيْتَ القومَ نارَكَ لمْ نغمضِ بواقصةٍ ومَشْرِقُنا زَرُودُ
فلمْ أَرَ مِثْلَ مَوقِدِها ولكنْ لأيةِ نظرةٍ زَهَرَ الوقُودُ
فبتُّ بليلةٍ لا نومُ فيها أكابدُها وأصحابِي رُقُودُ
كأنَّ نُجُومَها رُبِطَتْ بصَخْرٍ وأمراسٍ تَدُورُ وتستزيدُ

فقال المأمون: لمن هذا الصوت؟، فقال: لهذا الجالس، وأشار إلى إسحاق، فقال لعلوية: أعده، فأعاده، وشرب عليه رطلاً، وقال لإسحاق: غنّه، فغنَّاه، فلم يطرب عليه طربه لعلوية، فالتفت إسحاق وقال: أيها الأمير لولا أنه مجلس سرور، وليس بمجلس حجاج وجدل، لأعلمته أنه طرب على خطأ، وأنَّ الذي استحسنه إنما هو وتزايد منهما يفسد قسمة اللحن وتجزئته، وكان الصواب ما غنيته لا ما زاداه، ثم أقبل عليهما وقال: يا مخنثين قد علمت أنكما لم تريدا بما فعلتما مدحى، ولا رفعي، وأنا على مكافأتكما قادر، فضحك المأمون، وقال له: ما كان ما رأيته من طربي إلا استحساناً لأصواتهما، لا تقديماً لهما، ولا جهلاً بفضلك.

قال إسحاق: كانت أعرابية تقدم من البادية فأفضل عليها، وكانت فصيحة، فقالت لي: والذي تعلم مغربي كل ناطقٍ، لكأنّك في علمك ولدت فينا ونشأت معنا، ولقد أريتني نجداً بفصاحتك، وأحللتني الربيع بسماحتك، فلا اطرد لي قول إلا شكرتك، ولا نسمتْ لي ريح إلا ذكرتك.

قال الهشامي: كان أهلنا يعترون إسحاق فيما يقوله في نسبة الغناء واختياره، بأن يجلسوا كاتبين فهمين خلف الستارة /١٨٣/ يكتبان ما يقوله ويضبطانه ثم يتركونه مدة حتى ينسى ما جرى، ثم يعيدون تلك المسألة عليه، فلا يزيد فيها، ولا ينقص منها حرفاً كأنه يقرأه من دفتر، فعلموا حينئذ أنه لا يقول في شيء يسأل عنه إلا الحق.

---

(١) الأغاني ٥/ ٣٥٤.

قال عبد الله بن العباس الربيعي: اجتمعنا بين يدي المعتصم، فغنّى علوية[١]: [من الطويل]

لـعـبـدةَ دارٌ مـا تـكـلِّـمُـنـا الـدَّارُ

فقال له إسحاق: شتمنا ـ قبحه الله ـ وسكت وبان ذلك فيه، وكان علوية أخذه من إبراهيم.

قال يحيى بن معاذ: كان إسحاق الموصلي وإبراهيم بن المهدي: إذا خلوا فهما أخوان، وإذا التقيا عند خليفة، تكاشفا أقبح تكاشفٍ فاجتمعا يوماً عند المعتصم، فقال لإسحاق: يا إسحاق إنَّ إبراهيم يثلبك ويغض منك، فقال إسحاق: يا أمير المؤمنين أفعل الساعة فعلاً إنْ زعم أنه يحسنه، فلست أحسن شيئاً وإلا فلا ينبغي أن يدعي ما لا يحسنه ثم أخذ عوداً فشوش أوتاره، فقال لإبراهيم: غنّ على هذا، أو يغني غيرك، واضرب عليه، فقال المعتصم: يا إبراهيم قد سمعت قول إسحاق فما عندك؟، قال: ليفعله هو إن كان صادقاً، فقال إسحاق: غنّ حتى أضرب فأبى، فقال لزرزر الكبير: غنّ أنت فغنّى، وإسحاق يضرب عليه، حتى فرغ من الصوت ما علم أحد أنَّ العود مشوش، ثم قال: هاتوا عوداً آخر، وجعل على كل وتر منه في الشدّة واللين مقدار العود المشوش الأول حتى استويا، فقال لزرزر: خذ أحدهما، فأخذه، ثم قال: انظر إلى يدي، وافعل كما أفعل، واضرب ففعل، وجعل إسحاق يغني، ويضرب، وزرزر ينظر إليه ويضرب، ويعمل كما يعمل، فما ظنّ أحد أنَّ في العودين شيئاً من الفساد، ثم قال لإبراهيم: خذ الآن [أحد] العودين فاضرب منه مبدأ أو طريقة أو كيف شئت إن كنت تحسن شيئاً، فلم يفعل، وانكسر انكساراً شديداً، فقال له المعتصم: أرأيت مثل هذا قطّ؟ قال: لا والله، ما رأيت، ولا ظننت أن مثله يتمّ، ولا يكون.

قال: كان الواثق إذا صنع صوتاً، قال لإسحاق: هذا /١٨٤/ وقع إلينا البارحة، فاسمعه، فكان ربما أصلح فيه الشيء بعد الشيء، فكاده مخارق عنده، وقال له: إنما يستجيد صنعتك إذا حضر؛ ليقاربك ويستخرج منك، فإذا فارقك، قال في صنعتك غير ما تسمع، قال الواثق: فأنا أحبّ أن أقف على ذلك، فقال مخارق: وأنا أغنيه صوتك[٢]:

---

(١) صدر بيت لبشار بن برد في ديوانه ٤/٧٨، والأغاني ٥/٢٦٣ وعجزه:
«تـلـوح مـغـانـيـهـا كـمـا لاح أسـطـار»

(٢) ورد في الأصل: «أيا منشر الموتى..» فقط، وما أوردناه من الأغاني ٥/٣٦٩.

أَيا مُنْشِرَ المَوتَى [أقدني من التي بها نَهِلت نفسي سَقَاماً وَعلَّتِ]

فإنه يعلم أنه لك ولم يسمعه من أحد، قال: فافعل؛ فلما دخل إسحاق غناه مخارق، وتعمَّد لأن يفسده بجهده، وفعل ذلك في مواضع خفية، لم يعرفها الواثق من قسمته؛ فلمَّا غناه قال الواثق لإسحاق: كيف ترى هذا الصوت؟ قال: فاسد غير مرضٍ، فأمر به فسحب من المجلس حتى أخرج عنه، وأمر بنفيه من بغداد، ثم جرى ذكره يوماً، فقالت فريدة: يا أمير المؤمنين إنما كاده مخارق، فأفسد الصوت من حيث أوهمك أنه زاد فيه بحذفه نغماً وجودة، وإسحاق تأخذ نفسه بقول الحقّ في كل شيء ساءه أو سرّه، ويفهم من غامض علم الصناعة ما لا يفهمه غيره، فليُحضره أمير المؤمنين، ويحلفه بغليظ الأيمان على حقيقة الصوت، فإن كان فاسداً فصدق عنه إن لم يكنْ عيب، ووافقناه عليه حتى يستوي، فليس يجوز أن يتركه فاسداً، وإن كان صحيحاً، قال فيه ما عنده، فأمر بالكتاب بحمله، فحمل وأحضر وأظهروا الرضا عنه، ولزمه أياماً، ثم أحلفه أنه يصدقه عمّا يمرّ في مجلسه، فحلف له، ثم غنّى الواثق أصواتاً يسأله عنها أجمع، فيخبر فيها بما عنده، ثم غنته فريدة هذا الصوت، وسأله الواثق عنه، فرضيه واستجاده، وقال: ليس على هذا سمعته المرّة الأولى، وأبان عن المواضع الفاسدة، وأخبر بإفساد مخارق إياها، فسكن غضبه الذي كان، وتنكر لمخارق مدة.

قال إسحاق: ما كان يحضر الواثق أعلم منه بالغناء. قال إسحاق: كتبتُ إلى عليّ بن هشام أطلب نبيذاً، فبعث إليّ بما التمستُ، وكتب: قد وجهت إليك بشراب أصلب من الصخر، وأعتق من الدهر، وأصفى من القطر.

/ ١٨٥/ قال: لما غنّى إسحاق لحنه في شعر وهو[1]: [من المنسرح]

يا أيُّها القائمُ الأمينُ فَدَتْ نَفْسَكَ نفْسي بالمالِ والوَلَدِ
بَسَطْتَ للناسِ إذْ وليتَهُمُ يداً مِنَ الجودِ فوقَ كلِّ يدِ

أمر له بألف ألف درهم، فحملت إليه على مائة فراش، حتى أدخلت إليه.

قال عمرو ابن بانة: رأيتُ المهدي يناظر إسحاق في الغناء فتكلّما بما فهماه ولم أفهم منه شيئاً، فقلت لهما: لئن كان ما أنتما فيه من الغناء، فما نحن في قليل منه ولا كثير.

قال: خالف إبراهيم إسحاق في شيء من التجزئة، فقال له: إلى من أُحاكمك؟ فالناس بيننا حمير!

(١) ديوانه ١٢٠، الأغاني ٥/ ٣٧٩.

قال ابن المنجم؛ قال لي محمد بن الحسين بن مصعب ـ وكان بصيراً بالغناء والنغم ـ: لحن إسحاق في «تشكى الكميت الجَرْي»[1] أحسن من لحن ابن سريج فيه، ولحنه «تبدَّى لنا» أحسن من لحن معبد فيه، وذلك من أجود صنعة ابن سريج، وهذا من أجود صنعة معبد. قال: فأخبرت إسحاق بقوله، فقال: فقد أخذت بزمامي راحلتيهما، فزغرتهما، ثم أنختهما، فما بلغتهما. فأخبرت بذلك محمد بن الحسين، فقال: هو الله يعلم أنه قد يرد عليهما، ولكنه لا يدع بغضه للقدماء.

قال أبو الفرج: وكان إسحاق قد اعتلت غناؤه، وضعف بصره، وكفّ في آخر عمره.

قال: وكان السبب في علة عينيه أن إبراهيم ابن أخي سلمة الوصيف نازع إسحاق بين يدي الرشيد في شيء من الغناء، فرَّ عليه فشتمه إبراهيم، فردّ عليه إسحاق وأربى عليه في الردّ، فقال: أتردَ علي وأنا مولى أمير المؤمنين، قال إسحاق: اسكت؛ فإنك من موالي العبدين، فقال له الرشيد: يا إسحاق وأي شيء موالي العبدين؟، فقال: يا أمير المؤمنين يشترى الخلفاء كل صانع في العبيد للعتق فيكون فيهم الحائك، والحجام، والسائس، فهو أحد هؤلاء الذين ذكرتهم. قال: فخرج إبراهيم، فوقف له على طريقه؛ فلما جاز عليه منصرفاً، ضرب رأسه بمقرعة فيها معول، فكان ذلك سبب ضعف نظره. فبلغ الرشيد الخبر، فأمر [أن] يحجب /١٨٦/ عنه إبراهيم، وحلف أن لا يدخل عليه، فدسّ إلى الرشيد مع غنائه[2]: [من الخفيف]

مَنْ لِعَبْدٍ أَذَلَّه مولاهُ ... ما لَهُ شافعٌ إليهِ سِوَاه
يشتكي ما به إليهِ ويَخْشا ... هُ ويرجوهُ مثلَ ما يَخْشاهُ

فسأل الرشيد عن صانع لحنها فعرفه، فحلف أن لا يرضى عنه حتى يرضى إسحاق، فقام وقال: قد رضيت عنه يا سيدي رضاً صحيحاً، وقبّل الأرض لما كان من قوله فرضي عنه، وأحضره وأمره بترضي إسحاق، ففعل.

قال ابن المكي: كان إسحاق إذا غنّى هذا الصوت، يأخذه بلحنه ويبكي[3]: [من الطويل]

(١) جزء من صدر بيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٤٦٢، الأغاني ١/ ٩، ٦٧، ٢١٥ والبيت هو:
تشكى الكميت الجري لما جهدته ... وبيّن لو يسطيع أن يتكلما
(٢) لأبي العتاهية في ديوانه ٣٦، الأغاني ٤/ ٦٩.
(٣) لزبان بن سيَّار الفزاري في الأغاني ٥/ ٣٩٣.

إذا المرءُ قاسى الدَّهرَ وابيضَّ رأْسُهُ وثُلِّمَ تَثْليمَ الإناءِ جَوَانِبُهْ
فَلَلْموتُ خيرٌ مِنْ حياةٍ خَسِيسةٍ تُبَاعِدُهُ طَوراً وطَوراً تُقارِبُهْ

قال أبو الفرج: كان إسحاق يأخذ عن الأصمعي، ويكثر الرواية عنه، ثم فسد ما بينهما، فمحاه إسحاق وثلبه، وكشف للرشيد معايبه، وأخبره بقلّة شكره وبخله وضعف نفسه، وأنَّ الصنيعة لا تزكو عنده، وأنّ أبا عبيدة أوثق منه، وأصدق، وأسمح بالعلم منه، فأنفذ إليه من أقدمه، وأبعد الأصمعي، فقال الأصمعي لإسحاق[1]: [من البسيط]

أَإنْ تغنَّيتَ للشَّرْبِ الكرام ألا ردَّ الخليطُ جِمالَ الحيِّ فافتَرَقُوا
وقيلَ: أحسنتَ فاستدعاكَ ذاكَ إلى ما قلتَ ويحكَ لا تذهب بِكَ الحُرَقُ
وقيلَ: أنتَ حِسَانُ الناسِ كلُّهُمُ وابنُ الحسانِ فقدْ قالوا وقدْ صَدَقُوا
فَمَا بهذا تقومُ النادباتُ وَلا يُثْنى عليكَ إذا ما ضُمَّتِ الحُرَقُ

قال إسحاق: جاء عطاء الملط بجماعة من أهل البصرة إلى قُرَيْبٍ ـ أبي الأصمعي وكان نذلاً من الرجال ـ فوجده ملقىً على وجهه في كساء، نائماً في الشمس، فركله برجله، وصاح به: يا قريب، قم ويلك، فقال: هل لقيت أحداً من أهل العلم، أو من أهل اللغة، أو من العرب، أو من الفقهاء أو من المحدثين؟، قال: لا والله، فقال لمن حضر: هذا أبو الأصمعي، فاشهدوا لي عليه، وعلى ما سمعتم منه. لا /١٨٧/ يقول لكم الأصمعي غداً أو بعده: حدّثني أبي وأنشدني أبي. ففضحه.

قال الصولي: كان لإسحاق غلام يقال له فتح يسقي الماء لأهل داره على بغلين من بغاله دائماً، فقال له إسحاق يوماً: أيّ شيء خبرك يا فتح؟، قال: خبري أنه ليس في هذه الدار أشقى مني ومنك، قال: وكيف ذاك؟، قال: أنت تطعم أهل الدار الخبز، وأنا أسقيهم الماء. فاستظرف قوله، وضحك منه، فقال له: وأيّ شيء يعفيني، وتهب لي البغلين أسقي عليهما، قال: قد فعلت.

قال: وكان إسحاق يقول الإسناد فيه الحديث، فتحدَّث مرة بحديث الإسناد له،

=

وهو، زبان بن سيار بن عمرو بن جابر الفزاري: شاعر جاهلي غير قديم. من أهل المنافرات. عاش قبيل الإسلام وتزوج مليكة بنت خارجة المزنية. ومات وهي شابة، فتزوجها ابنه منظور، وأسلم هذا ففرق الإسلام بينهما. وزبان، من شعراء المفضليات والحماسة الصغرى.
توفي نحو سنة ١٠ق هـ/ نحو ٦١٣م.
ترجمته في: سمط اللآلي ٣/ ٢٦ وطبقات الجمحي ٩٤، والأغاني ٥/ ٣٩٣، والوحشيات ١٧٤ وشرح المفضليات للتبريزي بخطه: الورقة ٢٢٠ والنسخة المطبوعة ١٤٦٣، الأعلام ٣/ ٤١.

(١) للأصمعي أو لأبي المنذر العروضي في الأغاني ٥/ ٣٩٧.

فسئل عن إسناده، فقال: هذا من المرسلات عرفاً.

قال إسحاق؛ قال لي الرشيد يوماً: أيّ شيء يتحدّث الناس؟، قال: يتحدّثون بأنك تقبض على البرامكة، وتولّي الفضل بن الربيع الوزارة، فغضب، وصاح، وقال: ما أنت وذاك ويلك؟ فأمسكت؛ فلما كان بعد أيام عادتنا، فرأيته عياناً، وكان أول شيء غنيته أبياتاً لأبي العتاهية[1]: [من الوافر]

إذا نحنُ صَدَقناك [فـ] قَصَّرَ عِنْدَكَ الصِّدْقُ
طَلَبنا النفعَ بالباطـ ـلِ إذ لم ينفعِ الحَقُّ
فلَوْ قَدَّمَ صَبّاً في هواهُ الصبرُ والرِّفْقُ
لَقُدِّمْتُ على الناسِ ولكنَّ الهَوَى رِزْقُ

فضحك الرشيد وقال: ويلك يا إسحاق قد صرت حقوداً.

قال إسحاق: ذكر المعتصم يوماً بعض أصحابه، وقد غاب عنه، فقال: تعالوا حتى نقول ما يصنع في هذا الوقت، فقال قوم: يلعب بالنرد، وقام قوم: يغني، فبلغتني النوبة، فقال؛ قل يا إسحاق، فقلت: إذا أقوله وأصيب؟ قال: أتعلم الغيب؟، قلت: لا، ولكنّي أفهم ما يصنع، وأقتدر على معرفته. قال: فإن لم تصب؟، قال: فإن أصبت، قال: لك حكمك، قال: فإن لم تصب، قلت: لك دمي، فقال: وجب. فقلت: وجب. قال: فقل، قلت: /١٨٨/ يتنفس، قال: فإن كان ميتاً، فقلت تحفظ الساعة التي تكلمت فيها، فإن كان مات فيها، أو قبلها، فقد قمرتني، فقال: قد أنصفت، قلت: فالحكم. قال: احتكم، فقلت: ما حكمي إلا رضاك يا أمير المؤمنين! قال: فإنَّ رضاي لك، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم. أترى مزيداً؟، فقلت: ما أولاك يا أمير المؤمنين بذلك، قال: فإنها مائتا ألف أترى مزيداً؟، فقلت: ما أحوجني إلى ذلك يا أمير المؤمنين، قال: فإنها ثلاثمائة ألف، قلت: ما أولاك بذلك؟ يا أمير المؤمنين، قال: يا صفيق الوجه ما نزيدك على هذا.

قال إسحاق: لم أر قطّ مثل جعفر بن يحيى كانت له فتوة، وظرف، وأدب، وحسن غناء، وضرب بالطبل، وكان يأخذ بأجزل حظٍّ من كلّ فن: الأدب، والفتوة، فحضرت باب الرشيد يوماً، فقيل لي: إنه نائم، فانصرفت فلقيني جعفر بن يحيى، فقال لي: ما الخبر؟ فقلت: أمير المؤمنين نائم، فقال لي: قف مكانك، ومضى إلى دار أمير المؤمنين، وخرج إليه الحاجب، فأعلمه بأنه نائم ورجع، فقال: صِرْ بنا إلى المنزل

---

(١) في ديوانه ٢٥٩، الأغاني ٥/ ٤١٠ـ ٤١١.

حتى نخلو جميعاً بقية يومنا، وأغنّيك وتغنيني، ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا، فقلت: نعم، فصرنا إلى منزله، فنزعنا ثيابنا، ودعا بالطعام فأكلنا، وأمر بإخراج الجواري، وقال: لتبرزن، فليس عندنا من نحتشمه؛ فلما وضع الشراب دعا بقميص حرير فلبسه، ودعا بخلوقٍ فتخلَّق به، ثم دعا لي بمثل ذلك، وجعل يغنيني وأغنيه، حتى دعا بالحاجب، وتقدم إليه، وأمر بأن لا يأذن لأحدٍ من الناس كلهم، وإن جاء رسول أمير المؤمنين، أعلمه بأنه مشغول، واحتاط في ذلك، وتقدم فيه إلى جميع الحجاب والخدام، ثم قال: إن جاء عبد الملك، فادنوا له ـ يعني رجلاً كان يأنس به ويمازحه، ويحضر خلواته ـ ثم أخذنا في شأننا. فوالله إنّا لعلى حالة سارة عجيبة، إذ رفع الستر، فإذا عبد الملك بن صالح الهاشمي قد أقبل، وغلط الحاجب فلم يفرّق بينه وبين الذي عناه جعفر /١٨٩/ بن يحيى، وكان عبد الملك بن صالح من جلالة قدره، والتقشف والامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل، وكان الرشيد قد اجتهد به أن يشرب معه أقداحاً، فلم يفعل ذلك رفعاً لنفسه؛ فلما رأيناه مقبلاً، أقبل كل واحد منا ينظر إلى صاحبه، وكاد جعفر أن ينشق غيظاً، وفهم حالنا، فأقبل نحونا حتى إذا صرنا بالقرب منه، وصار إلى الرواق الذي نحن فيه، نزع قلنسية، فرمى بها مع قلنسوته جانباً، ثم قال: أطعمونا شيئاً. فدعا له جعفر بالطعام، وهو منتفخ غيظاً وغضباً، فطعم ثم دعا برطل، فشربه ثم أقبل إلى المجلس الذي نحن فيه، فأخذ بعضادتي الباب، ثم قال: أشركونا فيما أنتم فيه، فقال له جعفر: أدخل، ثم دعا بقميص حرير وخلوق فلبس وتخلق، ثم دعا برطل ورطلٍ حتى شرب عدة أرطال، ثم اندفع يغنينا، فكان أحسننا جميعاً غناءً؛ فلما طابت نفس جعفر بن يحيى، وسري عنه ما كان به، التفت إليه، فقال: ارفع حوائجك. قال: ليس هذا موضع حوائج، قال: لتفعلن، قال: فلم يزل يلحّ عليه حتى قال: أمير المؤمنين واجد، واحبّ أن تترضاه لي، قال: فإنَّ أمير المؤمنين قد رضي عنك، فهات حوائجك، قال: هذه كانت حاجتي، قال: ارفع حوائجك كما أقول لك. قال: عليَّ دين فادح، قال: هذه أربعة آلاف درهم، فإن أحببت أن تقبضها من مالي الساعة فاقبضها؛ فإنه لم يمنعني عن إعطائك إياها إلا أن قدرك يجلّ أن يصلك مثلي، ولكنّي ضامن لها حتى تحمل إليك من مال أمير المؤمنين، فاسأل أيضاً إنني يكلم أمير المؤمنين حتى ينوه باسمه، فقال: قد ولاه أمير المؤمنين مصر، وزوجه ابنته العالية، وأمهرها عنه بألفي ألف درهم.

قال إسحاق: فقلت في نفسي: قد سكر الرجل ـ يعني جعفراً ـ فلما أصبحت لم يكن لي همة إلا الحضور لدار الرشيد، فإذا جعفر بن يحيى قد بكر، ووجدت في الدار

جلبة، وإذا أبو يوسف القاضي ونظائره قد دُعي بهم، ثم دُعي عبد الملك بن صالح الهاشمي فأدخلا جميعاً على الرشيد، فقال الرشيد لعبد الملك: إنَّ أمير المؤمنين كان واجداً عليك، /١٩٠/ وقد رضي عنك، وأمر لك بأربعة آلاف درهم، فاقبضها من جعفر بن يحيى الساعة، ثم دعا بابنه فقال: اشهدوا أني قد زوجته العالية بنت أمير المؤمنين، وأمهرتها عنه بألفي ألف درهم، ووليته مصر؛ فلما خرج جعفر بن يحيى، سألته عن الخبر؟، فقال: بكرت على أمير المؤمنين، فحكيت له جميع ما كان منا، وما كنا فيه حرفاً حرفاً، ووصفت له دخول عبد الملك، وما صنع، فعجب لذلك، وسُرّ به، ثم قلت له: وقد ضمنت له يا أمير المؤمنين عنك ضماناً. قال: وما هو؟ فأعلمته. قال: نفي له بضمانك، وأمر بإحضاره، فكان ما رأيت.

قال إسحاق: ما اغتممت بصوت قطّ مليح صنعته بهذا الشعر: [من المديد]

كَانَ لِي قَلْبٌ أعِيشُ بِهِ فاكْتَوَى بالحُبِّ فاحْتَرَقا
أَنا لَمْ أُرْزَقْ مَحَبَّتَها إِنَّما لِلعَبْدِ ما رُزِقا
لَمْ يَكُنْ ما ذاقَ طَعْمَ ردًى ذاقَهُ لا شكَّ مَنْ عَشِقَا

فإني صنعت فيه لحناً، وجعلت أردد[ه] في جناح لي سحراً، فأظنّ أن إنساناً من العامة سمعه فأخذه، وبكرت من غدٍ إلى المعتصم، لأغنيه به وإذا أنا بسواط يسوط الناطف، ويغني اللحن، يغنيه إلا أنه غناء فاسد، فعجبت، وقلت: ترى من أين للسواط هذا الصوت؟ ولعلي أن غنيته أن يكون مرّ بهذه السفلة بعض من يحضر معنا فسمعه يغنيه، وبقيت متحيّراً، ثم قلت له: يا فتى ممن سمعت هذا الصوت؟ فلم يجبني، فالتفت إلى شريكه، فقال: خذ إليك يسألني ممن سمعته؟ والله لو سمعه إسحاق الموصلي لخري في سراويله، فبادرت والله هارباً خوفاً من أن يمرَّ بي إنسان فيسمع ما جرى... وما علم الله أني نطقت بذلك الصوت بعدها.

قال إسحاق: غدوت يوماً ضجراً من ملازمة دار الخلافة والخدمة فيها، فخرجت، وركبت بكرةً، وعزمت على أن أطوف الصحراء أفترج فيها، فقلت لغلماني: إن جاء رسول الخليفة، فعرّفوه أني بكّرت في بعض مهماتي، وأنكم لا تعرفون أين توجهت. ومضيت فطفتُ ما بدا لي، ثم عدت، وقد حمي /١٩١/ النهار، فوقفت في شارع المحرم في فناء ثخين الظلّ، وجناح رحب على الطريق؛ لأستريح، فلم ألبث أن جاء خادم يقود حماراً فارهاً عليه جارية راكبة تحتها منديل ديبقي، وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية بعده، ورأيت لها قواماً عادلاً حسناً، وظرفاً وشمائل حسنة، فحدست عليها أنها مغنية، فدخلت الدار التي كنت واقفاً عليها، ثم لم ألبث أن أقبل خادمان،

ومعهما شابان جميلان، فاستأذنا، فأذن لهما، فنزلا ونزلت معهما، ودخلت فَظَنَّا أن صاحب الدار دعاني، وظنَّ صاحب البيت أني معهما.. فجلسنا وأُتي بالطعام، فأكلنا، وبالشراب، فشربنا أقداحاً، وقمت لأبول، فسأل صاحب المنزل الرجلين عني، فأخبراه أنهما لا يعرفاني، فقال: هذا طفيلي، ولكنه ظريف فأَجملا عشرته، وجئت، فجلست، فغنَّت الجارية في لحن لي[١]: [من الطويل]

ذكرتُكِ إذْ مرَّتْ بنا أُمُّ شادِنٍ أمامَ المطايا تَشْرَئِبُّ وتَسْنَحُ
مِنَ المولفاتِ الرَّمْلَ إذ ما جرّه شعاع الضُّحى في متنِها تتوضَّحُ

فأدَّته أداء صالحاً، ثم غنت أصواتاً شتى، وغنّت في أضعافها [من] صنعتي[٢]: [من مجزوء الخفيف]

الطُّلولُ الدوارسُ فارقتْها الأَوانِسُ
أَوْحشتْ بعد أهلِها فهيَ قفرٌ بَسَابِسُ

فكان أمرها فيه أصلح من الأول، ثم غنت أصواتاً من القديم والحديث، وغنَّت في أضعافها من صنعتي[٣]: [من مجزوء الخفيف]

قُلْ لمنْ صَدَّ عنك تبا ونَأَى عَنْكَ جانبا
قد بلغتَ الذي أَرَدْ تَ ولوْ كانَ لاغِبا

فكان أصلح من الأولين، فاستعدته لأصلح ما فيه، فقال لي أحد الرجلين: ما رأيت طفيلياً أصفق وجهاً منك. لم ترض بالتطفل حتى اقترحت. بهذا غاية المثل: طفيلي مقترح، فأطرقت ولم أجبه، وجعل صاحبه يكفّه عني، فلا يكف، ثم قاموا إلى الصلاة، وتأخرت قليلاً، فأخذت عود الجارية، ثم شددت طبقته، وأصلحته إصلاحاً محكماً، وعدتُ إلى موضعي فصليت /١٩٢/ وعاد وأخذ ذلك من عربدته علي، وأنا صامت، ثم أخذت العود الجارية، فجسته، فأنكرت حاله، وقالت: من مسَّ عودي؟، قالوا: ما مسَّه أحد، قالت: بلى والله قد مسَّه حاذق متقدّم، وشدَّ طبقته وأصلحه إصلاح متمكن. من صناعته، فقلت لها: أنا أصلحته، قالت: فبالله عليك خذه واضرب به، فأخذت وضربت به مبتدأ عجباً ضرباً صعباً نقرات متحركاً، فما بقي أحد منهم إلا وثب، فجلس بين يدي، فقالوا: بالله يا سيدي أتغني؟ قلت: نعم، وأعرفكم بنفسي. أنا

(١) لذي الرمة في ديوانه ١١١، الأغاني ٥/ ٤٣٨_ ٤٣٩.
(٢) لابن ياسين في الأغاني ٥/ ٣٥٢.
(٣) لإسحاق الموصلي في ديوانه ٩٤، الأغاني ٥/ ٤٣٩.

إسحاق الموصلي، ووالله إني لأتيه عن الخليفة إذا طلبني، وأنتم تسمعوني ما أكره منذ اليوم؛ لأني تملَّحت معكم، والله لا نطقت بحرف، ولا جلست معكم حتى تخرجوا هذا المعربد المقيت الغثّ، فقال له صاحبه: من هذا حذّرتك فأخذ يعتذر، فقلت: ما أنطق بحرف، أو تخرجوه، فأخذوا بيده، فأخرجوه، فبدأت، فغنيت الأصوات التي غنَّتها الجارية من صنعتي، فقال لي الرجل: هل لك في خصلةٍ؟، قلت: وما هي؟، قال: تقيم عندي شهراً والجارية والحمار لك مع ما عليه من حليته، فقلت: أفعل، فأقمت عنده شهراً لا يعرف أحد أين أنا والمأمون يطلبني في كل موضع، فلا يعرف لي خبراً؛ فلما كان بعد ثلاثين يوماً سلَّم إليّ الجارية والحمار والخادم، فجئت بذلك إلى منزلي، وركبت إلى المأمون من وقتي، فلما رآني، قال: إسحاق، ويلك أين تكون؟ فأخبرته، فقال: عليَّ بالرجل الساعة، فدللتهم عليه، فأحضر، فسأله المأمون عن القصة، فأخبره بخبرنا، وخبر الرجل المعربد، وما حلفت من إخراجه، فقال: أنت رجل ذو مروءة، وسبيلك أن تعان على مروءتك، ثم أمر له بمائة ألف درهم، وقال له: لا تعاشر ذلك الرجل المعربد، وأمر لي بخمسين ألف درهم، وقال لي: أحضر الجارية، فأحضرتها فغنَّته، فقال لي: قد جعلت عليها نوبة في كل يوم تغني من وراء الستارة مع الجواري، وأمر لها بخمسين ألف درهم، فربحت وأربحت.

قال إسحاق: دخلت يوماً إلى دار الواثق بغير إذن إلى موضع أمر أن أدخله إذا كان جالساً فسمعت صوت عودٍ من بيت، /١٩٣/ وترنماً لم أسمع مثله قطّ حسناً قاطعاً وخادم على رأسه ثم ردّه وصاح بي: فدخلت فإذا الواثق، فقال لي: أي شيء سمعت؟، فقلت: الطلاق لي لازم، وكل مملوك لي حرّ لقد سمعت ما لم أسمع مثله قط حسناً. فضحك وقال: ما هو؟ إنما هو فضلة أدب، وعلم مدحه الأوائل، واشتهاه أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعده من التابعين، وكثر في حرم الله ومهاجر رسول الله ﷺ أتحبّ أن تسمعه؟ قلت: أي والله الذي شرَّفني بخطابك وجميل رأيك قال: يا غلام هات العود واعط إسحاق رطلاً، فدفع الرطل إليّ وضرب وغنّى في شعر لأبي العتاهية بلحن صنعه فيه: [من البسيط]

أَضحتْ قبورُهُمْ مِنْ بَعْدِ عِزِّهِمُ ... تَسْفِي عليها الصَّبا والحَرْجَفُ الشَّمِلُ
لا يدفعونَ هَواماً عَنْ وجُوهِهُمْ ... كأَنَّهم خُشُبٌ بالقاعِ مُنجدِلُ

فشربت، الرطل، ثم قمت، فدعوت له، فأجلسني، فقال: أشتهي أن أسمعه ثانية وثالثة، وصاح ببعض خدمه، وقال: احمل إلى إسحاق ثلاثمائة ألف درهم الساعة، ثم قال: يا إسحاق قد سمعت ثلاثة أصوات، وشربت ثلاثة أرطال، وأخذت ثلاثمائة ألف

درهم، فانصرف إلى أهلك بسرورك، ليسرُّوا معك، فانصرفت بالدراهم.

قال إسحاق: ما وصلني أحد من الخلفاء مثل ما وصلني الواثق، ولا كان أحدٌ منهم يكرمني إكرامه، ولقد غنيته لحني في[1]: [من الطويل]

لَعلَّكَ إنْ طالَتْ حياتُكَ أَنْ تَرَى   بلاداً بِها مبداً لليلى ومَحْضَرُ

فاستعاده مني جمعة لا يشرب على غيره، ثم وصلني بثلاثمائة ألف درهم.

ولقد قدمتُ عليه في بعض قدماتي، فقال لي: ويحك يا إسحاق ما اشتقت إليّ؟، فقلت: بلى والله يا سيدي، وقلتُ في ذلك أبياتاً، إن أمرتني أن أنشدها، فقال: هات، فأنشدتُه[2]: [من البسيط]

أشكو إلى الله بُعْدِي عَنْ خليفتِهِ   وما أُقاسيهِ مِنْ هَمٍّ ومِنْ كِبَرِ
لا أَستطيعُ رحيلاً إنْ هَمَمْتُ بِهِ   يوماً إليهِ ولا أَقوى على السَّهَرِ
أَنوي الرَّحيلَ إليهِ ثمَّ يمنعُني   ما أَحدث الدَّهرُ والأَيامُ في بَصَرِي

ثم استأذنته في إنشاد قصيدة مدحته بها، فأذن لي فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها[3]: [من البسيط]

/١٩٤/ لما أمرتَ بإشخاصي إليكَ هوى   قلبي حَنيناً إلى أَهلي وأَولادي
ثمَّ اعتزمتُ فلمْ أحفلْ لبَيْنِهِمُ   وطابَتِ النَّفسُ عَنْ فضلٍ وحماد
كَمْ نعمةٍ لأبيكَ الخيرُ أفردَني   بها وخصَّ بأمري بَعْدَ إفْرَادي
فلوْ شَكَرْتُ أيادِيكُمْ وأَنعُمَكُمْ   لَمَا أحاطَ بها وصفِي وتَعْدادِي

فقال: أحسنت يا أبا محمد فكناني وأمر لي بمائة ألف درهم.

ثم قلت[4]: [من الطويل]

أَتبكي على بغدادَ وهيَ قريبةٌ   فيكفَ إذا ما ازْدَدْتَ عنْها غداً بُعْدا
لَعَمْرُكَ ما فارقتُ بغدادَ عنْ قلًى   لوَ انَّا وجَدْنا مِنْ فِرَاقٍ لها بُدَّا
إذا ذَكرتْ بغدادَ نَفْسِي تَقَطَّعتْ   مِنَ الشَّوقِ أَوْ كادتْ تموتُ بها وَجْدا
كَفَى حَزَناً أنْ رُحْتَ لمْ تَسْتَطِعْ بها   وَدَاعاً ولمْ تُحْدِثْ بساكنِها عَهْدَا

فقال لي: يا موصلي، قد اشتقت إلى بغداد؟ فقلت: يا أمير المؤمنين لا والله،

---

(١) الأغاني ٩/ ٣٢٤.
(٢) لإسحاق الموصلي في ديوانه ١٣١، الأغاني ٩/ ٣٢٤.
(٣) لإسحاق الموصلي في ديوانه ١٠٩ـ ١١٠، الأغاني ٩/ ٣٢٤.
(٤) لإسحاق الموصلي في ديوانه ١١٦، الأغاني ٩/ ٣٢٦.

ولكني اشتقت إلى الصبيان، وقد حضرني بيتان، فقال: هاتهما، فقلت[1]: [من الوافر]

حَنَنْتَ إلى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغارِ وشاقَكَ مِنْهُمُ قُرْبُ المَزارِ
وكلُّ مفارقٍ يَزْدادُ شَوقاً إذا دَنَتِ الدِّيارُ مِنَ الدِّيارِ

فقال: يا إسحاق صِرْ إلى بغداد، فأقم شهراً مع صبيانك، ثم عُد إلينا، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم.

قال إسحاق الموصلي: قدمت سنة من السنين من الحج فصرت إلى سرّ من رأى فدخلت إلى الواثق، فقال لي: بأي شيء أطرفتني من أحاديث الأعراب وأشعارهم؟، فقلت: يا أمير المؤمنين، جلس فتى من الأعراب في بعض المنازل فحادثني فرايت منه أحلى من رأيت من الفتيان منظراً وحديثاً وظرفاً وأدباً وسألته إنشادي فأنشدني[2]: [من الطويل]

سَقَى العَلَمَ الفَرْدَ الذي في ظِلالِهِ غَزَالانِ مُكْتَنَّانِ مُؤْتَلِفَانِ
إذا أمنا النقا بجيدي تَوَاصُلٍ وطَرْفَاهُما للرِّيْبِ مُسْتَرقانِ
أَرَعْتُهُما ختلاً فلَمْ أَسْتَطِعْهُما وَرِيماً فَفَاتانِي وقَدْ قَتَلانِي

ثم تنفس تنفساً ظننت أنه قد قطع حيازيمه، فقلت: ما لك بأبي أنت، فقال لي: وراء هذين الجبلين / ١٩٥/ شجن وقد حلَّ بيني وبين الوصول إليه وقد نذروا دمي وأنا أتمتع بالنظر إلى الجبلين تعللاً بهما إذا قدم الحاج ثم يحال بيني وبين ذلك، فقلت له: زدني مما قلت شيئاً في ذلك فأنشدني[3]: [من الطويل]

إذا ما وردتَ الماءَ في بعض أهلِهِ حضور فَعَرِّضْ بِي كَأَنَّكَ مازِحُ
فإنْ سَألتْ عنِّي حضورُ فَقُلْ لَهَا بِهِ غِيَرٌ مِنْ دأبِهِ وهوَ صالحُ

فأمرني الواثق، فكتبت له الشعرين؛ فلما كان بعد أيام دعاني، فقال: قد صنع بعض عجائز دارنا في أحد الشعرين لحناً فاسمعه، فإن ارتضيت أظهرناه، وإن رأيت فيه موضع إصلاح، أصلحناه، فغنّى لنا من وراء الستارة، فكان في نهاية الجودة، وكذلك كان يفعل إذا صنع شيئاً. فقلت: أحسن والله صانعه ما شاء، فقال: بحياتي عليك؟ قلت له: إي وحياتك، وحلفت له بما يوثق به، وأمر لي برطلٍ، فشربته، ثم أخذ العود، فغنَّاه ثلاث مرات، وسقاني ثلاثة أرطال، وأمر لي بثلاثين ألف درهم؛ فلما كان بعد أيام دعاني، وقال: قد صنع عندنا أيضاً في الشعر الآخر، وأمر فغني به، فكانت الحال

(١) لإسحاق الموصلي في ديوانه ١٣٣، الأغاني ٩/ ٣٢٦، ٥/ ٣٦٩.
(٢) لأعرابي في الأغاني ٩/ ٣٣١. (٣) لأعرابي في الأغاني ٩/ ٣٣٢.

فيه مثل الحال الأول، ثم غناه لما استحسنته، وحلفت له على جودته، وأعاده لي ثلاث مرات، وسقاني ثلاثة أرطال، وأمر لي بثلاثين ألف درهم، ثم قال: هل قضيتُ حقَّ هديتك؟، قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فأطال الله بقاك، وتمم نعمتك، ولا أَفقدَنِيها منك وبك، فقال: لكنك لم تقض حق جليسك الأعرابي، ولا سألتني معونته على أمره، وقد سبقت مسألتك، وكتبت إلى صاحب الحجاز وأمرته بإحضاره، وخطبت له المرأة، وحمل صداقها إلى قومها عنه من مالي. فقبَّلت يده، وقلت: السبق إلى المكارم لك، وأنت أولى بها من عبيدك، ومن سائر الناس.

قال: لما خرج المعتصم إلى عمورية واستخلف الواثق بسرّ من رأى، وكانت أموره كلها كأمور أبيه، فوجه إلى الجلساء والمغنين أن يبكروا إليه يوماً حدَّه لهم، ووجه إلى إسحاق فحضره، فقال لهم الواثق: إني قد عزمت على الصبوح، ولست أجلس على شهر حتى أختلط بكم، ونكون كالشيء الواحد، فاجلسوا معي حلقة، وليكن كل جليس إلى جانبيه مغنٍ، فجلسوا كذلك، فقال الواثق: أنا أبدأ، فأخذ عوداً، وغنّى /١٩٦/ وشربوا، وغنى من بعده حتى انتهى إلى إسحاق فأعطى العود فلم يأخذه، فقال: دعوه، ثم غني وغنوا دوراً آخر؛ فلما بلغ إلى إسحاق لم يغن، وفعل هذا ثلاث مرات، فوثب الواثق، فجلس على سريره، وأمر الناس، فادخلوا، فما قال لأحدٍ منهم اجلس، ثم قال علي بإسحاق، فلما رآه قال: يا خوزي، يا كلب! أتبذل لك، وأغنّي وترفع عن أترابي، ولو قتلتك، لكان المعتصم يقيدني بك. فبطح وضرب ثلاثين مقرعة، وحلف لا يغنّي سائر يومه، فاعتذر، وتكلمت الجماعة فيه، فأخذ العود، وما زال يغني حتى انقضى ذلك اليوم.

قال إسحاق: دخلتُ يوماً على الواثق، وهو مضطجع، فقال: غنني يا إسحاق صوتاً غريباً لم أسمعه منك حتى أُسرَّ به بقية يومي، قال: وكأنَّ الله ـ عز وجل ـ أنساني الغناء كلّه إلا هذا الصوت(١): [من السريع]

يا دارُ إن كانَ البِلَى قد مَحَاكْ فإنه يُعجِبُني أَنْ أَرَاكْ
أَبكي الذي قدْ كانَ لي مَأْلَفاً فيكَ فآتِي الدارَ مِنْ أَجْلِ ذَاكْ

قال: فتبينت الكراهة في وجهه، وندمت على ما فرط مني، وتجلّد، فشرب رطلاً كان بيده، وعدلت عن الصوت إلى غيره، وكان ذلك اليوم والله آخر جلوسي معه.

قال: وتوفي إسحاق ببغداد أول خلافة المتوكل وكان يسأل الله أن لا يبتليه

---

(١) الأغاني ٩/ ٣٤٢.

بالقولنج لما رأى من صعوبته على أبيه، فأصابه ذرب في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين، وكان يتصدق في كل يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم، ثم ضعف عن الصوم، ومات في رمضان.

قال: لما تولى المتوكل الخلافة بعد الواثق، طلب إسحاق، فلما حضر أرمى إليه مخدة، وقال: اجلس عليها فإنني سمعت أن المعتصم أول يوم خلافته أرمى إليك بها، وقال: ما يستجلب ما عند الحرّ إلا بالكرامة، وسأله سماع شيء من أغانيه، فغناه لحنه نظمه في نفسه، وعماه[1]: [من البسيط]

ما عِلَّةُ الشَّيخِ عَيْنَاهُ بأربعَةٍ ... يغرورقانِ بدمعٍ ثمَّ ينسكِبُ

فأنعم عليه بمائة ألف درهم، وصرفه، وسأله العود، فتوجه من سرّ من رأى - /١٩٧/ إلى بيته ببغداد - فتوفي بعد شهرين. فبلغ المتوكل وفاته، فغمه، وحزن عليه.

قال إدريس ابن حفصة يرثي إسحاق الموصلي[2]: [من الطويل]

سقى اللهُ يا ابنَ الموصليّ بوابلٍ ... مِنَ الغيثِ قبراً أنتَ فيهِ مُقيمُ
ذَهَبْتَ فَأوحشتَ الكِرامَ فَمَا يَنِي ... بعَبرتِهِ يبكي عليكَ كَريمُ
إلى الله أشكو فقدَ إسحاقَ إنَّني ... وإنْ كنتُ شيخاً بالعراقِ مُقيمُ

وقال محمد بن عمر الجرجاني يرثيه[3]: [من الطويل]

على الجَدَثِ الشَّرقِيِّ عُوْجا فسلِّما ... ببغدادَ لما ضَنَّ عنْهُ عَوَائِدُهْ
وقولا لهُ لو كانَ للموتِ فِدْيَةٌ ... فَدَاكَ مِنَ الموتِ الطريف ومائدهْ
أإسحاقُ لا تبعدْ وإنْ كانَ قدْ رَمَى ... بِكَ الموتُ وِرْداً ليسَ يَصْدُرُ وَارِدُهْ
إذَا هَزَلَ اخْضَرَّتْ مُتُونُ حدِيثِهِ ... ورَقَّتْ حواشِيهِ وطَابَتْ مَشَاهِدُهْ
وإنْ جدَّ كانَ القولُ جِداً وأقْسَمَتْ ... مَخارِجُهُ أنْ لا تلينَ مَعاقِدُهُ
فابكِ على ابنِ الموصليِّ بعَبرَةٍ ... كما ارْفَضَّ مِنْ نَظْمِ الجُمانِ قَلائِدُهْ

وقال مصعب الزبيري يرثيه - تغمده الله برحمته -[4]: [من الكامل]

للهِ أيَّ فتًى إلى دارِ البِلى ... حَمَلَ الرّجالُ ضَحًى على الأعْوَادِ
كَمْ مِنْ كريمٍ ما تَجِفُّ دُمُوعُهُ ... مِنْ حاضرٍ يبكي عليهِ وبادِي
أمسَى يُؤَنِّبُهُ ويعْرِفُ فضْلَهُ ... مَنْ كانَ يَثْلِبُهُ مِنَ الحُسَّادِ

---

(١) لأسحاق الموصلي في ديوانه ٩٩، الأغاني ٥/ ٤٢٨.
(٢) الأغاني ٥/ ٤٤٦. (٣) الأغاني ٥/ ٤٤٦.
(٤) هكذا في الأصل، وهي في الأغاني ٥/ ٤٤٧ لأبي أيوب، أحمد بن إبراهيم.

فسقتْكَ يا ابنَ الموصليّ سَحَابَةٌ تَرْمي صداك بِصَوبِها وغَوَادِي

وقال أيضاً[(١)] : [من المتقارب]

تولَّى شبابُكَ إلا قليلا وحَلَّ المشيبُ فصبراً جَميلا
كَفَى حَزَناً بِفَراقِ الصِّبا وإنْ أصبحَ الشيبُ منْهُ بَدِيلا
ولمّا رَأينَ الغَواني المَشِيْـ ـبَ أَغْضَيْن دُونَكَ طَرْفاً كَحِيلا
سأندُبُ عهداً مَضَى للصِّبا وأبكي الشبابَ بكاءً طَويلا

ومنهم:

[٦٨]

إبراهيم بن المهدي[(٢)]

/ ١٩٨/ رجل وضع في شرفه، وخضع من شُرفه، رضع حبّ الغناء منذ فُطم،

---

(١) لإسحاق الموصلي في ديوانه ٢٢٥، الأغاني ٥/ ٣٢٤.

(٢) إبراهيم ابن المهدي، ابراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة: الأمير، أخو هارون الرشيد. في ترجمته طول وفي أخباره كثرة. ولد في بغداد سنة ١٦٢هـ/ ٧٧٩م ونشأ فيها، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلماً، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوماً (٢٠٢ ـ ٢٠٤هـ) وتغلب على الكوفة والسواد، والمأمون بخراسان. وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وظفر به المأمون سنة ٢١٠هـ. وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة. وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لساناً، ولا أجود منه شعراً. وكان وافر الفضل، حازماً بصنعة الغناء. وأمه جارية سوداء اسمها «شكلة» نسبه إليها خصومه. مات في سر من رأى سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م. وصلى عليه المعتصم. ترجمته في: تاريخ خليفة ٤٥٧ و٤٧٣، والمعارف ٣٨٠ و٣٨٨ و٣٨٩ و٣٩٠، وعيون الأخبار ١/ ١٠٠، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٠٢، ٤٣، ٤٤١، ٤٥٠، ٤٥٤، ٤٥٨، وأنساب الأشراف للبلاذري ق٣/ ٢٧٨، ٢٧٩، وأخبار القضاة لوكيع ٣/ ٢٦٩، ٢٧٠، وتاريخ الطبري ٨/ ٢١١، ٣٥٩، ٤٧٦، ٤٨٠، ٤٨٩، ٤٩٥، ٥٢٠، ٥٢٤، ٥٥٥، ٥٥٧، ٥٦٦، ٥٦٩ـ ٥٧٣، و٢٣٧ و٢٤١ و٥/ ٧٢ و٦/ ٢٠٨ و٢١١ و٢٨٤، والزاهر للأنباري ٢/ ٢٦١، والفتوح لابن أعثم الكوفي ٨/ ٣٢٢ـ ٣٣٠، ومروج الذهب (طبعة الجامعة اللبنانية) ٨، ٢٢٤٣، ٢٢٧٦، ٢٤٧٠، ٢٥١٤، ٢٥١٦، ٢٥٤٨، ٢٥٥٠، ٢٦٣١ـ ٢٦٣٤، ٢٦٣٦، ٢٦٩٧، ٢٧٠٨ـ ٢٧١٣، ٢٧٤٦، ٢٧٤٨، ٢٧٥٠، ٢٧٥١، ٢٧٥٤ـ ٢٧٥٧، ٢٨١٤، ٢٨١٦، ٢٨٧٩، ٣٦٤٧، وأولاد الخلفاء للصولي ١٧ـ ٤٩، والفهرست لابن النديم ١٦٨، وثمار القلوب للثعالبي ١٢١، والهفوات النادرة للصابي ١٠، ١٦، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٩٦، ٢٥٥، ٣٧٨، ٣٩٦، ٣٩٧، ولطف التدبير للإسكافي =

وأعطى قياده لغير أهل الغناء وما حُطم، وانحطّ إلى الحضيض، وحط كذا الجناح المهيض، حتى إنه بعد أن أصفقت له الأيدي المبالغة، وصفت له القلوب للمشايعة، وعقدت البيعة في الرقاب، وعينت له الألقاب، وصعد المنبر، وتبوأ علاه، وولج المحراب، وأقام الصلاة، جُذب عن ذلك المقام، وكُذب عليه ليقام، وغير بالغناء مهنته، وشفا له أهنته، حتى استحرّ وخُلع، وعُضد أصل سؤدد وقلع، ثم كان هذا عليه عاراً يلبسه، وشناراً كما نهض به حسبُه يجلسه.

قال أبو الفرج: كان إبراهيم يقول: لولا أني أرفع نفسي عن هذه الصناعة،

= ٢٠٢، والعيون والحدائق لمجهول ٣/ ٢٨١، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٥٦، ٤٥٩، ٤٦٥، ٤٧٢، وبغداد لابن طيفور ١، ٣، ٤، ٥٥، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٩، ١١٤، ١٢٨، وتحفة الوزراء للثعالبي ٩٧، ١٤٩، ١٥٥، وخاص الخاص، له٦٣، ٨٨، وثمار القلوب أيضاً١٥ ـ ١٧، ١٢٤، ١٥٤، ١٥٥، ٣٢٣، ٦٢٠، ٦٧١، والولاة والقضاة للكندي ١٦٨، ١٧٠، وولاة مصر، له ١٩٢ ـ ١٩٤، والأغاني لأبي الفرج ١٧/ ٧٨ و١٨/ ٦٩، ٧١، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٤١، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٤ و١٩/ ١٣٥، ١٦٢، ١٦٣، ٢٨٩، و٢٠/ ١٢١، ١٤٥، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٥، ١٨١، ٢٧٤، و٢١/ ٥٧، ٦٦، و٢٣/ ٤٨ـ ٥١، ٧٥، ٨١ ـ ٨٣، ١٣٤، ١٧٧، و٢٤/ ٩٧، والورقة لابن الجراح ١٩ـ٢٢، والفرج بعد الشدة للتنوخي ١/ ٣٦٦، ٣٧١، ٣٧٢، و٢/ ١٥٤، ١٥٥، ١٩١، ٣٢١، ٣٤٨، و٣/ ١٥٢، ٣٢٩ـ ٣٣١، ٣٣٣ـ ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٧ـ ٣٥١، ٣٦٤ و٤/ ٦٢ و٥/ ٤٣، ٨٢، ٩٤، ونشوار المحاضرة له ٣/ ١٥٦، وأمالي المرتضى ٢/ ٢٤٩، ٢٥٠، وربيع الأبرار للزمخشري ٤/ ٢٠، ١٦٣، ٢٦٥، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٨٠، وأمالي القالي ١/ ٥٣، ١٩٩، ٢١٧، ٢١٨، والإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني ٧٩، ٩٢، ٩٣، ٩٨ـ١٠٠، ١٠٧، ١١٩، ١٢٠، والفخري لابن طباطبا٢١٧ـ ٢١٩، وتاريخ حلب للعظيمي ٢٣٤، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٥١، والمنازل والديار لابن منقذ ٢/ ٢٢٠، ولُباب الآداب، له٣٣٧، والكامل في التاريخ٦/ ٥٠٨، وأنموذج القتال للتلمساني ٢٥٥، وتاريخ الزمان لابن العبري ٢٢ـ ٢٣، وتهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٢٦٦ ـ ٢٨٨، وذم الهوى لابن الجوزي ٤٦٨، ووفيات الأعيان١/ ٣٩ ـ ٤٢، و١٧٤، ٢٨٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٨٥ ـ ٣٩٠ و٢/ ١٢١، ٢٣٤، ٢٦٦، ٢٦٧، و٣/ ١٧٠، ٣٢٩، ٤/ ٣٩، ومختصر التاريخ لابن الكازروني ١٣٤، ١٣٧، وخلاصة الذهب المسبوك للإربلي ١٨٤، ٢٠٤، ٢٠٧، وأخبار النساء لابن قيم الجوزية ٢٤٩، وثمرات الأوراق لابن حجة ٦٥ـ ٦٧، ١٥٨، ١٥٩، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٥٧ـ ٢٦١ رقم١٩٢، والعبر ١/ ٣٨٩، ودول الإسلام ١/ ١٣٥، ومرآة الجنان٢/ ٨٣، واللباب ١/ ٢٢٦، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٤٧ ـ ٢٥٠، ٢٩٠، ٢٩١، والوافي بالوفيات ٦/ ١١٠ ـ ١١٣ رقم ٢٥٤٣، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٣٤، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٢٢، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٤ ـ ٢٤٩ و٢٥٢، ٢٥٣، والروض المعطار ١٨٨، ٢٨٥، ٣٤٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٤٠٠، ومآثر الإنافة للقلقشندي ١/ ٢٢٢، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٧٥، ٣٧٦، ولسان الميزان ١/ ٩٨ـ ٩٩ رقم ٢٩٣، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٤٠ـ ٢٤١، وشذرات الذهب ٢/ ٥٣، وأمراء دمشق ٤ رقم ٥، الأعلام ١/ ٥٩ ـ ٦٠، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٢١ـ ٢٣٠هـ) ص٦٧ ـ ٧٦ رقم ٤٥.

لأظهرت فيها ما يعلم معه أنهم لا يرون قبلي مثلي.

قال إبراهيم: دخلت يوماً على الرشيد، وفي رأسي فضلة من خمار، وبين يدي ابن جامع وإبراهيم الموصلي، فقال: بحياتي يا إبراهيم غنّني فأخذت العود، ولم التفت إليهما، فغنيت[1]: [من الكامل]

أَسْرَى لِخَالِدَةَ الخَيالُ ولا أَرَى شيئاً أَلَذَّ مِنَ الخَيالِ الطَّائِفِ

قال: فسمعت إبراهيم يقول لابن جامع: لو طلب هذا بهذا ما نطلب، لما أكلنا خبزاً أبداً، فقال ابن جامع: صدقت، فلما فرغت من غنائي، وضعت العود، وقلت: خذا في حقكما، ودعا باطلنا.

قال هبة الله بن إبراهيم بن المهدي: اتخذ أبي حَرَّاقة، فأمر بشدّها في الجانب الغربي حذاء داره، فمضيت إليها ليلة، وكان أبي يخاطبنا من داره بأمره ونهيه، وبيننا عرض دجلة فما أجهد نفسه.

قال ابن قتيبة: حدّثني ابن أبي ظبية، قال: كنت أسمع إبراهيم بن المهدي يتنحنح في داره، فأطرب.

قال ابن خرداذبة: حدثني محمد بن الحارث بن يستجير، قال: وجه إبراهيم ابن المهدي يوماً يدعوني، وذلك في أول خلافة /١٩٩/ المعتصم، فصرت إليه، وهو جالس وحده، وشارية جاريته خلف الستارة، فقال لي: قد قلت شعراً، وغنيت فيه، وطرحته على شارية، فأخذته، وزعمت أنها أحذق به مني، وأنا أقول إنها دوني في الحذق، وقد تراضينا بك حكماً لموضعك من هذه الصناعة، فاسمعه مني ومنها، ولا تعجل حتى تسمعه مني ومنها ثلاث مرات، فاندفع يغني هذا الصوت[2]: [من الطويل]

أَضِنُّ بليلى وهيَ غيرُ سَخِيَّةٍ وتبخُلُ ليلى بالهوى وأَجُودُ

فأحسن وأجاد، ثم قال لها: تغني، فغنته، فبرزت فيه كأنه كان معها في الحد، ونظر إليّ، فعرف أني قد عرفت فضلها، فقال: على رِسْلِك وتحدثنا وشربنا، ثم اندفع فغناه ثانية، فأضعف في الإحسان، ثم قال لها: تغني، فغنت، وبرعت، وزادت أضعاف زيادته، وكدت أشقّ ثيابي طرباً، فقال لي: تثبَّت، ولا تعجل، ثم غنّاه ثالثةً فلم يبق عليه في الإحكام.

ثم أمرها، فغنت، وكأنه إنما كان يلعب، ثم قال لي، فقضيت لها عليه، فقال:

---

(١) لجرير في ديوانه ٤٣٤، الأغاني ١٠/ ١٢٢، وفيهما: «الخيال الطارق».
(٢) الأغاني ١٠/ ١٤٠.

أصبت. فكم تساوي الآن عندك، فحملني الحسد عليها له والنفاسة بمثلها أنْ قلت: تساوي مائة ألف درهم، فقال: أو ما تساوي على هذا كله إلا مائة ألف درهم. قبّح الله رأيك. والله ما أجد شيئاً في عقوبتك أبلغ من أن أصرفك. فقم، فانصرف إلى منزلك مذموماً فقلت له: ما لقولك: أخرج من منزلي جواب. فقمت، وانصرفت، وقد أحفظني كلامه، وأرمضني؛ فلما خطوت خطوات، التفتُ إليه، فقلت: يا إبراهيم أتطردني من منزلك؟ فوالله ما تحسن أنت، ولا جاريتك شيئاً، وضرب الدهر من ضربه.

ثم دعانا المعتصم بعد ذلك، وهو بالوزيرية في قصر الليل، فدخلت أنا، ومخارق، وعلوية، وإذا أمير المؤمنين مضطجع، وبين يديه ثلاثة جامات: جام فضة مملوء دراهم جُدُداً، وجام قوارير مملوء عنبراً، وظننتها أنها لنا لم نشك به في ذلك. فغنيناه وأجهدنا أنفسنا، فلم يطرب، ولم يتحرّك لشيء من غنائنا. ودخل الحاجب فقال: إبراهيم بن المهدي، فأذن له، فدخل، فغناه أصواتاً، فأحسن فيها، ثم غنّاه بصوت من صنعته، وهو هذا[1]. [من البسيط]

/٢٠٠/ ما بالُ شمسِ أَبي الخطَّابِ قدْ غَرَبَتْ
يا صاحبيَّ أَظُنُ الساعةَ اقتربتْ

فاستحسنه المعتصم، وطرب، وقال: أحسنت والله. فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين، فإن كنت قد أحسنت، فهب لي إحدى هذه الجامات، فقال: خذ أيها شئت، فأَخذ التي فيها الدنانير، فنظر بعضنا إلى بعض. ثم غناه إبراهيم بشعر له[2]: [من المتقارب]

فَمَا مُزَّةٌ قَهْوَةٌ قَرْقَفٌ   شَمُولٌ تَرُوقُ بَراوُوقِها

فقال: أحسنت والله يا عمّ وسُررت! فقال: يا أمير المؤمنين إنْ كنت أحسنت، فهب لي جاماً أخرى، قال: فخذ أيّها شئت. قال: فأخذ الجام التي فيها الدراهيم، فعندها انقطع رجاؤنا منها، وغنّى بعدها ساعة[3]: [من الطويل]

أَلاَ ليتَ ذاتَ الخالِ تلقى من الهَوَى   عَشيرَ الذي أَلْقَى فيَلْتَئِمَ الحُبُّ

فارتجّ بنا المجلس الذي كنا فيه، وطرب المعتصم، واستخفنا الطرب، فقام على رجليه، وجلس، وقال: أحسنت والله يا عم، قال: فإن كنت قد أحسنت، فهب لي الجام الثالثة، قال: خذها فأخذها وقام أمير المؤمنين، فدعا إبراهيم بمنديل فثناه طاقين، ووضع الجامات فيه، فسده، ودعا بطين فختمه ودفعه إلى غلامه، ونهضنا

(١) لابراهيم بن المهدي في الأغاني ١٠/ ١٤٢، ١٦/ ٣٦٨.
(٢) لابراهيم بن المهدي في الأغاني ١٠/ ١٤٢.
(٣) للعباس بن الأحنف في ديوانه ٣٦.

للانصراف، وقدمت دوابنا؛ فلما ركب إبراهيم، التفت إليّ، وقال: يا محمد بن الحارث زعمت أني لا أحسن وجاريتي شيئاً، وقد رأيت ثمرة الإحسان.

قال: دخل الحسن بن سهل يوماً على المأمون وهو يشرب، فقال: بحياتي عليك يا محمد إلاّ شربت معي قدحاً، وصبَّ له من نبيذٍ قدحاً، فأخذه بيده، وقال له: من تحبّ أن يغنيك، فأومأ إلى إبراهيم بن المهدي فقال له المأمون: غنِّ يا عم[1]: [من البسيط]

تَسمعُ للحَلي وَسْوَاساً إذا انْصَرَفَتْ

تعرَّض به لما كان لحقه من السوداء والاختلاط، فغضب المأمون حتى ظنّ إبراهيم أنه سيوقع به، ثم قال له: أبيت إلا كفراً، يا أكفر خلق الله تعالى النعمة. والله ما حقن دمك غيره، ولقد أردت قتلك فقال لي: إن عفوت عنه، فعلت فعلاً لم يسبقك إليه أحد / ٢٠١/ فعفوت والله عنك لقوله. أفحقه أن تُعرض به ولا تدع كيدك وذحلك، وأنفت من إيمائه إليك بالغناء؟ فوثب إبراهيم قائماً، وقال: يا أمير المؤمنين لم أذهب حيث ظننت ولست بعائد، فأعرض عنه.

قال حمدون: كنت أحبّ أن أجمع بين إبراهيم بن المهدي وأحمد بن يوسف الكاتب لما كنت أراه من تقدم أحمد على الناس جميعاً، بحفظه وبلاغته، وأدبه، في كل محضر ومجلس. فدخلت يوماً على إبراهيم بن المهدي وعنده أحمد بن يوسف وأبو العباس الخزَري، فجعل إبراهيم يحدثنا فيضيف شيئاً إلى شيء، مرّة يذكّر ومرّة من مرة يؤنث، ومر يعظنا، ومرة ينشدنا، ومرة يضحكنا، وأحمد بن يوسف ساكت؛ فلما طال بنا المجلس أردت أن أخاطبه، فسبقني إليه أبو العالية فقال[2]: [من السريع]

مالَكَ لا تنبحُ يا كلبَ الرُّومْ قدْ كنتَ هَرَّاراً فَما لكَ اليَومْ

فتبسم إبراهيم، وقال: لو رأيتني في يد جعفر بن يحيى، لرحمتني منه كما رحمت أحمد مني.

قال إبراهيم بن المهدي؛ قلت للأمين يوماً: يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك، فأعظمت ذلك، فقال: يا عم لا تعظمه، فإنَّ لي عمراً لا يزيد، ولا ينقص؛ فحياتي مع الأحبة أطيب من تجرّعي فقدهم، وليس يضرّني عيش من عاش منهم.

قال إبراهيم بن المهدي غنيت يوماً الأمين[3]: [من مجزوء الكامل]

---

(١) صدر بيت للأعشى في ديوانه ١٠٥، والأغاني ١٠/ ١٦٤ وعجزه: «كما استعان بريح عشرق زجل»
(٢) لأبي العالية الخزري في الأغاني ١٠/ ١٤٨.
(٣) الأغاني ١٠/ ١٥٨.

أَقْوَتْ مَنَازِلُ بالهِضَابِ مِنْ آلِ هِنْدٍ فَالرَّبابِ
خَطَّارَةٌ بِرِكَابِهَا وإذا وَنَتْ ذُلُلُ الرِّكابِ
ترمِي الحَصَى بِمَنَاسِمٍ صُمٍّ صلادِمَةٍ صِلاَبِ

قال: فاستحسن اللحن، وسألني عن صانعه، فأعلمته أن ابن جامع حدّثني عن سباط أنه لابن عائشة، فلم يزل يشرب عليه، ولا يتجاوزه، ثم انصرفنا ليلتنا تلك ووافاني رسوله حتى انتبهت وأنا أستاك، فقالي لي: يقول لك: بحياتي يا عمّ، لا تشتغل بعد الصلاة بشيء غير الركوب، فصليت، وتناولت طعاماً خفيفاً، وركبت إليه؛ فلما رآني من بعيد صاح بي: بحياتي يا عم: «خطارة بزمامها»؛ فلما دخلت المجلس، ابتدأت /٢٠٢/ فغنيته إياه، فأمر بإخراج صبيّة كان يتحظاها، فأخرجت إليه صبية كأنها لؤلؤة في يدها عود، فقال: بحياتي يا عم ألقه عليها، فأعادته مراراً، وهو يشرب حتى ظننت أنها قد أخذته. أمرتها أن تغنيه فإذا هي قد استوى لها إلا في موضع كان فيه، وكان صعباً جداً، فجهدت جهدي أن يقع لها طلباً لشربه، فلم يقع لها بتةً، ورأى جهدي في أمرها، وتعذره عليها، فأقبل عليها، وقد سكر، وقال: نفيت من الرشيد، وكل امرأة لي حرّة، وعلى عهد الله لئن لم تأخذيه في المرة لآمرن بإلقائك في دجلة. قال: ودجلة تطفح بينها وبينها ذراعان، وذلك في الربيع، فتأملت القصة فإذا هو قد سكر، والجارية لا تقوله كما أقوله أبداً، فقلت: هذه والله داهية، وتنغص عليه يومه، وأشرك في دمها، فعدلت عما كنت أغنيه عليه، وتركت ما كنت أقوله، وغنيته كما كانت هي تقوله وجعلت أردّده حتى انقضت ثلاث مرات أعيده عليها كما كانت هي تقوله وأريته أني اجتهدت؛ فلما انقضت الثلاث مرات، قلت لها: هاتيه، فغنته على ما كان وقع لها، فقلت: أحسنتْ والله يا أمير المؤمنين، ورددته عليها ثلاث مرات، فطابت نفسه، وسكر، فأمر لي بثلاثين ألف درهم.

قال محمد بن الحارث بن بسخنر: غنّى إبراهيم بن المهدي يوماً بحضرة المأمون[1]:

يا صاحِ ياذا الضّامرِ العَنْسِ والرَّحْلِ ذي الأَنْساعِ والحِلْسِ
أَمَّا النهارُ فأَنتَ تقطعُهُ رَكْضاً وتُصبحُ مِثْلَ ما تُمسِي

قال فاستحسنه المأمون، وذهبت آخذه، ففطن بي إبراهيم، فجعل يزيد فيه مرة، وينقص أخرى بزوائده التي كان يعملها في الغناء. وعلمت ما يصنع، فتركته؛ فلما قام، قلت للمأمون: يا سيدي إن رأيت أن تأمر إبراهيم أن يلقي علي:

(١) لخالد بن المهاجر في الأغاني ١٠/ ١٦٠، ١٦/ ٢١٠.

يـــا صـــاحِ يـــا ذا الـــضـــامـــرِ الـــعَـــنْـــسِ..

فقال: افعل؛ فلما عاد، قال له إبراهيم: ألق على محمد:

يـــا صـــاح يـــا ذا الـــضـــامـــرِ الـــعَـــنْـــسِ..

فألقاه عليّ كما كان يغنيه مغيراً.

ثم انقضى المجلس، وسكر المأمون، فقال لي إبراهيم: قم الآن فأنت أحذق الناس به، فخرج وخرجت، وجئته إلى منزله، فقلت له: ما في الأرض أعجب منك. أنت ابن خليفة، وأخو خليفة، /٢٠٣/ تبخل على وليٍّ لك مثلي لا يفاخرك بالغناء، ولا يكاثرك بصوت، فقال لي: يا محمد ما في الدنيا أضعف عقلاً منك. والله ما استبطأني المأمون محبَّة لي، ولا صلة لرحمي، ولكنه سمع من هذا الجرم شيئاً فقده من سواه فاستبقاني لذلك. فغاظني قوله؛ فلما دخلت إلى المأمون حدثته بما قال لي، فقال لي: يا محمد هذا أكفر الناس لنعمة، وأطرق ملياً، ثم قال: لا تكدّر على أبي إسحاق، وقد عفونا عنه، لا نقطع رحمه. وأترك هذا الصوت الذي ضنَّ به عليك إلى لعنة الله.

قال محمد بن يزيد: لما رضي المأمون عن إبراهيم بن المهدي ونادمه، دخل إليه متبذلاً في ثياب المغنين وزيهم؛ فلما رآه ضحك، وقال: نزع عمي ثياب الكبر عن منكبه، فدخل فجلس، فأمر المأمون أن يخلع عليه، فلبس الخلع، ثم ابتدأ مخارق يغني[1]: [من الطويل]

خـلـيـلـيَّ مِـنْ كـعْـبٍ أَلـمَّـا هُـدِيـتُـمـا   بـزيـنـبَ لا يـفـقـدْ كـمـاأبـداً كَـعْـبُ

فقال إبراهيم: أسأت وأخطأت، فقال له المأمون: يا عم إن كان أساء وأخطأ، فأحسن أنت. فغنّى إبراهيم الصوت؛ فلما فرغ منه، قال لمخارق: أعده الآن، فأعاده، فأحسن، فقال له إبراهيم: يا أمير المؤمنين كم بينه الآن وبينه في أول الأمر، فقال: ما أبعد ما بينهما. فالتفت إلى مخارق، وقال: مثلك يا مخارق مثل الثوب الوشي الفاخر إذا تغافل عنه أهله، سقط عليه التراب فحال لونُه فإذا نُفض عنه عاد إلى جوهره.

قال إسحاق بن إبراهيم بن رياح: كنت أسأل مخارق، أيُّ الناس أحسن غناءً؟ فيجيبني جواباً مجملاً حتى حقّقت عليه يوماً، فقال لي: إبراهيم الموصلي أحسن غناءً من ابن جامع بعشر طبقات. ثم قال: أحسن الناس غناء أحسنهم صوتاً. وإبراهيم بن المهدي أحسن الأنس والجن، والوحش والطير صوتاً، وحسبك هذا.

قال إبراهيم بن المهدي ـ وقد ذكر الطبل والإيقاع به ـ فقال: هو من الآلات التي لا يجوز أن تبلغ نهايتها، فقيل له: وكيف خصّ الطبل بذلك؟ /٢٠٤/ فقال: لأن عمل

(١) الأغاني ١٠/ ١٦٢.

الدين فيه عملاً ولا بدّ أن يلحق اليسار فيه نقص عن اليمين. ودعا بالطبل ليُرينا ذلك، فأوقع إيقاعاً لم نظن أن يكون مثله، وهو مع ذلك يرينا زيادة اليمين على اليسار.

وقال له الأمين ـ في بعض خلواته ـ: يا عم أشتهي أن أراك تزمر، فقال: ياأمير المؤمنين، ما وضعت على فمي ناياً قطّ، ولا أضعه ولكن يدعو أمير المؤمنين بفلانة من موالي المهدي حتى تنفخ في الناي، وأمرّ يدي عليه. وأحضرت، فوضعت الناي على فمها، وأمسكه إبراهيم فكلما مرَّ الغناء من إصبعه، فسمع زمراً أجمع سائر من حضره أنه لا يسمع مثله قطّ.

قال محمد بن موسى المنجم: حكمت بأنَّ إبراهيم بن المهدي أحسن الناس غناءً ببرهان، وذلك أني كنت أراه في مجلس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم يغني ويغني المغنون، فإذا ابتدأ الصوت لم يبق من الغلمان، والمتصرفين في الخدمة، وأصحاب الصناعات، والمهن الصغار والكبار إلا ترك ما في يده، وقرب من أقرب موضع يمكنه أن يسمعه، فلا يزال مصغياً إليه لاهياً عمّا كان فيه ما دام يغني، حتى إذا أمسك، وغنّى [غيره] رجعوا إلى التشاغل بما كانوا فيه، ولم يلتفتوا إلى ما يسمعون، ولا برهان مثل هذا أقوى من شهادة الفطر، واتفاق الطبائع مثل اختلافها وتشعب طرقها على الميل إليه.

ومنهم:

[٦٩]

عُلَيّة بنت المهدي(١)

ضربت عليها الخلافة سرادقها، وذهبت لها لمهلة نمارقها، وأُسبلت دونها

(١) عُلية بنت المهدي بن المنصور، من بني العباس: العَبَّاسة، أخت هارون الرشيد. أديبة شاعرة، تحسن صناعة الغناء. من أجمل النساء واظرفهن وأكملهن فضلاً وعقلاً وصيانة، كان أخوها إبراهيم ابن المهدي يأخذ الغناء عنها. وكان في جبهتها اتساع يشين وجهها فاتخذت عصابة مكلّلة بالجوهر، لتستر جبينها، وهي أول من اتخذها. قال الصولي: لا أعرف لخلفاء بني العباس بنتاً مثلها. كانت أكثر أيام طهرها مشغولة بالصلاة ودرس القرآن ولزوم المحراب، فإذا لم تصلّ اشغلت بلهوها. وكان أخوها الرشيد يبالغ في إكرامها ويجلسها معه على سريره وهي تأبى ذلك وتوفيه حقه. تزوجها موسى بن عيسى العباسي. وقد لا يكون من التاريخ ما يقال عن صلتها بجعفر بن يحيى البرمكي. لها «ديوان شعر» وفي شعرها إبداع وصنعة.

مولدها ببغداد سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٧م ووفاتها فيها ٢١٠هـ/ ٨٢٥م

ترجمتها في: أشعار أولاد الخلفاء واخبارهم للصولي ٥٥ـ٨٣، ومروج الذهب (طبعة الجامعة اللبنانية) ٣٠٨٤، والأغاني ١٠/ ٢٠١ـ٢٢٨، والفرج بعد الشدّة للتنوخي ١/ ٣٦٦ و٣٩٠ و٣/ ١٧٧ و٥/ ٤٣ و٤٥، والبصائر والذخائر للتوحيدي ١/ ٩١، وزهر الآداب للحصري ١٠، وجمهرة أنساب =

الحجب المنيعة، وأُسدلت بين أخصاء الخدم وبينها الستور الرفيعة.

وكان الرشيد شديد الغيرة عليها، والغيلة لمن أومأ بنظرة إليها، هذا حاله مع خدم الرأي، وحرم من آواه حرم ذلك الجدار، فأما من سواهم، فلا يقع عليها من مُقَل النجوم نظر ناظر، ولا يمرّ من خاطر النعيم ذكر ذاكر؛ إجلالاً لمكانها، وإجفالاً من رقباء الرشيد الطائفة بأركانها، ثم هتكت بالغناء سترها الرفيع، وهونت حجابها المنيع، فعرضت عرضها للتشنيع، وعرضت عرضها للتضييع، ولم يغنهاأن أخلدت إلى هذه الصناعة، ورمت ما لها بالإضاعة، /٢٠٥/ حتى صارت تظهر لأهل الغناء، وتختلط بمن يؤهل من قومه المهناء، فأصبحت لا تعد في ذوات الستور، ولا تعاب إلا بما تحمد به البدور من السفور، وإنما أمها بصبص، وحقّ سرها فيها قد حصحص، وكانت هي وأخوها إبراهيم أقدر أخوين على الغناء، وأقوم رسيلين بالغناء، كانت كأنما أعطيت مزماراً من مزامير داود، وحركت أوتاراً ركبت في لهواتها لا في العود على كمال أدب بارع، وطرف إلى هزّ المعاطف مسارع، مع جمال تنقبت بنقابه، وكمال تجلببت بجلبابه، ورقة خلائق كان نشر الصبا يدمثها، ودقة معان كان صوت اليراع ينفثها.

وكان الرشيد لا يقدر على فراقها لسماع تلك الأغاريد، وإمتاع ذلك اللسان الحلو بلفائظ تلك الأناشيد، وكان لا يتم سروره إلا بحضورها، ولا يعمّ حبوره إلا إذا برزت نحوه من ستورها.

قال محمد بن إسماعيل بن موسى الهادي: كنت عند المعتصم، وعنده مخارق، وعلوية، ومحمد بن الحارث بن بسخنر، وعقيدة، وكنت أضرب عليه فغنّى[1]: [من المديد]

نَامَ عُذَّالِي ولَمْ أَنَمِ ... واشْتَفَى الواشُون مِنْ سَقَمِي
وإذا ما قُلْتُ بِي أَلَمٌ ... شَكَّ مَنْ أَهْوَاهُ فِي أَلَمِي

فطرب المعتصم، وقال: لمن هذا الشعر؟ فأمسكوا، فقلت: لعُليّة، فأعرض عني، فعرفت غلطي، وأنّ القوم أمسكوا عمداً، فقطع بي، وتبيَّن حالي فقال: لا ترع يا

= العرب٢٢، والمنازل والديار لأسامة بن منقذ١/ ٣٥٣، والكامل في التاريخ ٦/ ٤٠١، والجواري المغنيّات للعمروسي ١٣٣ـ١٤٦، ومختصر التاريخ لابن الكازروني ١٢، وعقود الجمان للزركشي ٢٣٦ب، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٩، وخلاصة الذهب المسبوك٩١ و١٤٧، وتتمة تاريخ ابن الوردي ١/ ٢١٧، وفوات الوفيات ٣/ ١٢٣ـ١٢٦، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٨٧ـ١٨٨ رقم ٣٦، والوافي بالوفيات٢٢/ ٣٦٩ـ٣٧٤ رقم ٢٦٣، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٩١، ونزهة الجُلَساء في أشعار النساء ٨٠، وشذرات الذهب ٣/ ١١١، والدرّ المنثور في طبقات ربّات الخدور ٣٤٩ـ٣٥٠، والأعلام ٥/ ٣٥ وتاريخ الإسلام (السنوات٢٠١ـ ٢١٠هـ) ص٢٧٤ـ ٢٧٥ رقم ٢٨٤.

(١) لخالد الكاتب في الأغاني ١٠/ ٢٠٥.

محمد، فإنَّ نصيبك منها مثل نصيبنا.

قال إسحاق الموصلي: عملت في أيام الرشيد لحناً[1]: [من البسيط]

سقياً لأرضٍ إذا ما نمتُ نَبَّهَني بَعْدَ الهُوِيِّ بها قَرْعُ النَّوَاقِيسِ
كَأَن سَوْسَنَها في كلِّ سَارقةٍ على الميادينِ أذنابُ الطَّواويسِ

قال: فأعجبني، وعزمت على أن أباكر به الرشيد، فلقيني في طريقي خادم لعلية بنت المهدي، فقال: مولاتي تأمرك بدخول الدهليز تسمع من بعض جواريها /٢٠٦/ صوتاً أخذته عن أبيك، وشكت فيه الآن، فدخلت معها حجرة قد أفردت لي، كأنها كانت معدّة، فجلست، وقدم لي طعام وشراب، فنلت حاجتي منه، ثم خرج إليّ خادم فقال: تقول مولاتي أنا أعلم أنك قد غدوت إلى أمير المؤمنين بصوت قد أعددته له محدث، فأسمعنيه ولك جائزة سنية، فغنيتها إياه، ولم تستعده مراراً، ثم قالت: اسمعه الآن، فغنته غناء ما سمع سمعي مثله قط، ثم قالت: كيف تراه؟، قلت: أرى والله ما لم أر مثله، ثم أمرت الجارية، فأخرجت لي عشرين ألف درهم، وعشرين ثوباً، فقالت: هذا ثمنه، وأنا الآن داخلة إلى أمير المؤمنين ولم أبتدئ بغناء غيره، وأخبر أنه صنعتي، وأعطي الله عهداً لئن نطقتَ بأن لك فيه صنعة، لأقتلنَّك، هذا إن نجوت منه إن أعلم بمصيرك إليّ، فخرجت من عندها، والله إني كالموقر ما أكره من جائزتها أسفاً على الصوت، فما جسرت والله بعد ذلك أتنغم به في نفسي، فضلاً عن أن أظهره حتى ماتت، فدخلت على المأمون في أول مجلس جلس به للهو بعدها، فبدأت به في أول ما غنيت، فتغيَّر وجه المأمون، وقال: من أين لك هذا ويلك؟ قلت: ولي الأمان على الصدق؟، قال: ذلك لك، فحدّثته الحديث، فقال: يا بغيض فما كان لك في هذا من النفاسة حتى شهرته، وذكرت هذا منه مع ما أخذته من الجائزة، وهجّنني فيه هجنة، وددت معها أنني لم أذكره، فآليت على نفسي أن لا أغنيه بعدها أبداً.

قال: أهديت للرشيد جارية في غاية الجمال والكمال، فخلا معها يوماً، وأخرج كل قينة في داره، واصطبح، فكان من حضر من جواريه للغناء والخدمة والشراب زهاء ألفي جارية في أحسن زي، وفي كل نوع من أنواع الجوهر والثياب، واتصل الخبر بأم جعفر، فغلظ عليها ذلك فأرسلت إلى عُلية تشكو إليها، فأرسلت إليه علية لا يهولنَّكِ ما رأيتِ. والله لأردنه إليك قد عزمت أن أصنع شعراً، وأصوغ فيه لحناً، وأطرحه على الجواري فلا يبقى عندك جارية إلا بعثتِ بها إلي، وألبسهنَّ أنواع الثياب، ليأخذن

---

(١) لاسماعيل بن يسار أو إسحاق الموصلي في الأغاني ١٠/٢٠٧.

الصوت مع الجواري، /٢٠٧/ ففعلت أم جعفر ما أمرتها به عُلَيَّة؛ فلما جاوزت صلاة العصر، لم يشعر الرشيد إلا وعلية قد خرجت إليه من حجرتها معها زهاء ألفي جارية من جواريها، وسائر جواري القصر، عليهنَّ غرائب اللباس، وكلّهن في لحن واحد هزج[1]: [من مجزوء الرجز]

مُـنْـفَـصِـلٌ عَـنِّـي وَمَـا قَـلْـبِـيَ عَـنْـهُ مُـنْـفَـصِـلْ
يَـا قَـاطِـعِـي الـيَـومَ لِـمَـنْ نَـوَيْـتَ بَـعْـدِي أَنْ تَـصِـلْ

فطرب الرشيد، وقام على رجليه حتى استقبل أم جعفر وعلية، وهو على غاية السرور، وقال: لم أر كاليوم قطّ، يا مسرور لا تبقين اليوم درهماً في بيت المال إلا تنثره. وكان بلغ ما نثر يومئذ ستة آلاف ألف درهم.

قال: كانت علية تقول: من لم يطربه الرمل، لم يطربه شيء.

وكانت تقول: من أصبح وعنده طباهجة، ولم يصطبح، ضاع سروره.

قال إبراهيم بن المهدي: ما خجلت قطّ خجلتي من علية بنت المهدي حين دخلت إليها يوماً، فقلت لها: كيف أنت يا أختي جعلت فداك؟، وكيف حالك وخبرك؟، فقالت: بخير والحمد لله، ووقعت عيني على جارية لها كانت تذبّ عنها، فتشاغلت بالنظر إليها، وأعجبتني، وطال جلوسي، ثم استحييت من علية، فأقبلت عليها، فقلت لها: كيف أنت وكيف حالك وكيف جسمك جعلت فداك؟ فرفعت رأسها إلى حاضنةٍ لها وقالت: أليس قد مضى هذا، وأجبنا عنه، فخجلت خجلاً ما خجلت مثله قطّ، وقمت، فانصرفت.

قال محمد بن جعفر بن يحيى: شهدت أبي جعفراً وأنا صغير وهو يحدّث أباه يحيى بن خالد في بعض ما كان يخبره به من خلواته مع الرشيد، فقال: يا أبه أخذ بيدي أمير المؤمنين، ثم أقبل في حجرة يخرقها حتى انتهى إلى حجرة مغلقةٍ، ففتحها بيده، ودخلنا جميعاً، فأغلقها من داخل بيده، ثم صرنا إلى رواق، ففتحه وفي صدره مجلس مغلق، فقعد على باب المجلس فنقر الباب، /٢٠٨/ فسمعنا حسّاً، ثم عاد النقر، فسمعنا صوت عود، ثم أعاد الثالثة، فغنت جارية ما ظننت أن الله تعالى خلق مثلها في حسن الغناء، وجودة الضرب، فقال أمير المؤمنين لها ـ بعد أن غنّت أصواتاً ـ: غنّ صوتي، فغنّت[2]: [من الكامل]

ومـخـنَّـثٍ شَـهِـدَ الـزِّفـافَ مُـقَـنَّـعـاً غَـنَّـى الـجَـوَارِي حَـاسِـراً ومُـنَـقَّـبـا

---

(١) لعلية بنت المهدي في شعرها ١٤٢، الأغاني ١٠/ ٢١١.
(٢) الأغاني ١٠/ ٢١٨.

لَبِسَ الدَّلالَ وقامَ ينقرُ دَفَّهُ   نَقْراً أقرَّ بهِ العُيونَ وأَطْرَبا
إنَّ النساءَ رأَيْنَهُ فعَشِقْنَهُ   يَشكُونَ شدَّةَ ما بهنَّ فأكذبا

قال: فطربت والله طرباً هممت معه أن أنطح برأسي الحائط، ثم قال: غنيني، فغنت[1]: [من المديد]

طالَ تكذيبي وتصديقي   لمْ أَجِدْ عَهْداً لمخلوقِ
لا تراني بعدَهُمْ أبَداً   أشتكي عِشْقاً لمعشُوقِ

قال: فرقص الرشيد، ورقصت معه، ثم قال: امضِ بنا؛ فإنني أخشى أن يبدو منا ما هو أكثر من هذا. فمضينا؛ فلما صرنا إلى الدهليز، قال ـ وهو قابض على يدي ـ عرفت هذه المرأة؟، قلت: لا يا أمير المؤمنين. قال: فإني أعلمك ستسأل عنها فلا تكتم ذلك، وأنا أخبرك بها. هذه علية بنت المهدي؛ والله لئن لفظت به بين يدي أحد، وبلغني، لأقتلنَّك. قال: فسمعت جدي يقول له: قد والله لفظت به، ووالله لأقتلنك، فاصنع ما أنت صانع.

ومن شعرها في طلّ[2]: [من الكامل]

يا ربِّ إنِّي قدْ عرضتُ بهجْرِها   وإليكَ أشكو ذاكَ يا ربَّاهُ
مولاةُ سوءٍ قدْ تضرُّ بعبدِها   نِعْمَ الغُلامُ وبئستِ المولاهُ
طلٌّ ولكنِّي حُرِمْتُ نَعِيْمَها   وهَوَاهُ إنْ لمْ يُغنني اللهُ
يا ربِّ إنْ كانتْ حياتي هكذا   ضَرراً عليَّ فما أُحِبُّ حياهُ

قال: ماتت علية سنة تسع ومائتين، ولها من العمر خمسون سنة، وصلّى عليها المأمون.

وكان سبب وفاتها: أن المأمون يوماً ضمّها إليه، وجعل يقبل رأسها، وكان وجهها مغطّى، فشرقت من ذلك، وسعلت، ثم حمت بعقب هذا أياماً يسيرة، وماتت.

وكانت تحب خادماً لها اسمه طلّ، فأقصاهُ الرشيد / ٢٠٩/ عنها خلافاً لمرادها، وأقصدها من فراقها، بسهم لم يخطِ صميم فؤادها، فأبعده إلا عن موضعه من حبها، وأخرجه إلا من مكانه من قلبها، وإنما أظهرت التجلد لأجله، وأبدت التثبت خوفاً أن يسبق السيف لعذله، فلم تمكن بعد أن نقض عن ستورها سقيط طله إلا أن يبلغ بالبكاء طلّها بوبله، فبلغ الرشيد ولعها بتذكره ودمعها الباكي على ساقط الطل في ثغر الأحق إن الضاحك، فقويت عزيمتها على الطرب، وإن كان مرّ المذاق، وتماسكت وما عسى أن يتماسك المشتاق.

(١) لعلية بنت المهدي في شعرها ١٢٨، ولمحمد حميد الطوسي في الأغاني ١٠/٢١٨.
(٢) لعلية بنت المهدي في شعرها ١٥٦، ونسب لها وقيل لنبيه الكوفي في الأغاني ١٠/ ٢٠١.

فدخل الرشيد عليها يوماً وهي تقرأ ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾[١] فقالت: فإن لم يصبها فما نهى أمير المؤمنين عنه، فقال لها: يا علية ولا في القرآن، ثم أذن له فيما بعد أن يكون بمكانه من بابها في جملة الخدم، ولا يتأخر عنهم، ولا يتقدّم، فكان على ذلك، وهي أشدّ ما كانت به ولوعا، وإليه نزوعا، تتشكّى الظمأ، ولا ترى الماء إلا ممنوعا، ومضت عليها أيام لا تراه، فمشت على ميزاب مخاطرة في هواه؛ فلما وصلت إليه، أنشدت من حرقتها عليه[٢]: [من الكامل]

قَدْ كانَ ما كُلِّفْتُهُ زَمَناً ... يا طَلُّ مِنْ وَجْدٍ بِكُمْ يَكْفِي
حتَّى أتيتُكَ زائراً عَجِلاً ... أَمْشِي إلى حَتْفِي على حَتْفِي

وقالت في طلّ وصحّفت اسمه[٣]: [من الطويل]

أَيا سروةَ البُستانِ طال تِشَوُّقِي ... فَهَلْ لي إلى ظِلٍّ إليكِ سَبِيْلُ
مَتَى نَلْتَقِي مَنْ ليسَ يُقْضَى خُرُوجُهُ ... وليسَ لمنْ يَهْوَى إليهِ دُخولُ

وكانت لأم جعفر جارية يقال لها طعنان، فوشت بعُليَّة إلى رشا، وقالت عنها ما لم تقل فقالت عليّة فيها[٤]: [من الطويل]

لطعنانَ خُفٌّ مُذْ ثلاثينَ حِجَّةً ... جديداً فَمَا يَبْلَى ومَا يَتَخَرَّقُ
وكَيْفَ بِلَى خُفٍّ هوَ الدهرُ كُلُّهُ ... على قَدَميها في السَّماءِ مُعَلَّقُ
فَمَا خَرَقَتْ خُفّاً ولَمْ تُبْلِ جَوْرَباً ... وَأَمَّا سَرَاويلاتُها فتُمزَّقُ

ومن شعرها وقولها[٥]: [من المديد]

/٢١٠/ نامَ عُذَّالي ولَمْ أَنَم ... واشْتَفَى الواشونَ من سَقَمِي
وإذا ما قُلْتُ بي أَلَمٌ ... شَكَّ مَنْ أَهْوَاهُ في أَلَمِيْ

وقولها وقد خرجت مع أخيها الرشيد[٦]: [من الطويل]

ومُغْتَرِبٍ بالمَرْجِ يَبْكِي لِشَجْوِهِ ... وقدْ غابَ عنْهُ المُسْعِدُونَ على الحُبِّ
إذا أَتاهُ الرَّكْبُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ ... تَنَشَّقَ يِسْتَشْفِي بِرائحةِ الرَّكْبِ

وقولها[٧]: [من الطويل]

وأَحسنُ أيامِ الهَوَى يومُكَ الَّذي ... تُرَوَّعُ بالهِجْرانِ فيهِ وبالعَتْبِ

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٥.
(٢) شعرها ١٢٣ـ ١٢٤، الأغاني ١٠/ ٢٠١.
(٣) شعرها ١٣٤، الأغاني ١٠/ ٢٠٢.
(٤) شعرها ١٢٦، الأغاني ١٠/ ٢٠٥.
(٥) شعرها ١٤٥، الأغاني ١٠/ ٢٠٥.
(٦) لعلية بنت المهدي في شعرها ٨٢، الأغاني ١٠/ ٢٢٢.
(٧) لعلية بنت المهدي في شعرها ٨٥.

ومنه قولها[١]: [من مجزوء الكامل]

اشْـرَبْ عـلـى وجْـهِ الـغـزَالِ　　الـنَّـاعـم الـحُـلْـوِ الـدَّلالِ
اشْـرَبْ عـلـيـهِ وقُـلْ لَـهُ:　　يـا غِـلَّ ألْـبـابِ الـرِّجَـالِ

وقولها[٢]: [من مجزوء الرجز]

مُـنْـفَـصِـلٌ عَـنِّـي ومَـا　　قَـلْـبِـيَ عَـنْـهُ مُـنْـفَـصِـلْ
يـا قـاطِـعَـي الـيـومَ لِـمـنْ　　نَـوَيْـتَ بَـعْـدِي أنْ تَـصِـلْ

ومنهم:

[٧٠]

أبو عيسى[٣]

الزبير علمه الغناء والفراغ، وظفره الاعتناء منه بما يراغ، ولم يرعه من صفعة هذه الصنعة شرف أبيه، وشره مثله إلى ما يعليه، ونزوع نفسه إلى التشبّه بأخويه، والتشبث بما كان يؤمل أن يصير إليه، وإنما.... على غرّة شبابه عمّه إبراهيم، فخلط عليه. وكان ذا جمال لا يدع لذي حسن نفاقا، وكمال يزيد عليه من حَذَقٍ نطاقا.

قال الأصفهاني: ومن شعره وله فيه صنعة[٤]: [من مجزوء الرجز]

قـامَ بِـقَـلْـبِـي وقَـعَـدْ　　ظَـبْـيٌ نَـفَـى عـنِّـي الـجَـلَـدْ
خَـلَّـفَـنِـي مُـدَلَّـهـاً　　أهِـيـمُ فـي كُـلِّ بَـلَـدْ
أَسْـهَـرَنِـي ثُـمَّ رَقَـدْ　　ومـا رَثَـى لِـي مِـنْ كَـبَـدْ
ظَـبْـيٌ إذا ازدَدْتُ لَـهُ　　تَـذَلُّـلاً تـاهَ وصَـدْ
/٢١١/ واعَـطَـشـا إلـى فَـمٍ　　يَـمُـجُّ خَـمْـراً مِـنْ بَـرَدْ

وكان يقال انتهى الجمال، وكذا الخلافة، إلى أولاد الرشيد، ومن أولاد الرشيد إلى محمد، وأبي عيسى، وإذا عزم على الركوب جلس الناس له حتى يروه أكثر ما كانوا يجلسون للخلفاء.

---

(١) لعلية بنت المهدي في شعرها١٣٩، الأغاني١٠/ ٢٠٢، في شعرها ١٤٢.
(٢) لعلية بنت المهدي في شعرها ١٤٢، الأغاني ١٠/ ٢١١.
(٣) أبو عيسى بن الرشيد: اسمه أحمد، وقيل: صالح بن الرشيد، ونسبه أشهر من أن يذكر، وأمه ام ولد بربرية، وكان من أحسن الناس وجهاً ومجالسة وعشرة وأمجنهم، وأحدهم نادرة، وأشدّهم عبثاً، وكان يقول شعراً ليناً طيباً من مثله. كان يصرع في اليوم مرات إلى أن مات سنة ٢٠٩هـ وصلى عليه المأمون، ونزل في قبره، وامتنع عن الطعام أياماً.
ترجمته في: الأغاني ١٠/ ٢٢٩ـ ٢٤٢.
(٤) الأغاني١٠/ ٢٢٦.

قال الرشيد لأبي عيسى - وهو صبي - ليت جمالك لعبد الله - يعني المأمون - فقال: على أن حظه منك لي. فعجب من جوابه على صبائه، وضمّه إليه، وقبّله.

ولما قال عيسى[1]: [من الطويل]

دهانِيَ شهرُ الصَّوم لا كانَ مِنْ شَهْرِ ولا صُمْتُ شَهْراً بعْدَهُ آخِرَ العُمْرِ

فَلَوْ كانَ يعْديني الإمامُ بقدرةٍ على الشّهرِ لاستعديتُ جُهْدِي على الشَّهْرِ

ما له بعقب قوله لهذا الشعر صرع، فكان يصرع في اليوم مرات، ولم يبلغ شهراً مثله.

قال ابن حمدون؛ قلت لإبراهيم بن المهدي: من أحسن الناس غناءً؟، قال: أنا، قلت: ثم من؟ قال: أبو عيسى بن الرشيد، قلت: ثم من؟ قال: مخارق.

وقال: كان أبو عيسى بن الحسين، وطاهر بن الحسين يتغديان مع المأمون، فأخذ أبو عيسى هندباة، وغمسها في الخلّ، وضرب بها عين طاهر الصحيحة، فغضب، وقال: يا أمير المؤمنين إحدى عيني ذاهبة والأخرى على يدي عدل يفعل بي هذا بين يديك، فقال المأمون: يا أبا الطيب إنه والله يعبث معي أكثر من هذا العبث.

قيل: كان المأمون يخطب يوم جمعة على المنبر بالرصافة، وأخوه أبو عيسى تلقاء وجهه في المقصورة، إذْ اقبل: أبو يعقوب بن المهدي، وكان أَفْسَى الناس معروفاً بذلك؛ فلما أقبل، وضع أبو عيسى كمّه على أنفه. وفهم المأمون ما أراد، فكاد أن يضحك؛ فلما انصرف بعث إلى أبي عيسى، فأحضره، وقال: والله لهممت أن أبطحك، فأضربك مائة درة، ويلك أردت أن تفضحني بين أيدي الناس يوم الجمعة، وأنا على المنبر. إياك أن تعود لمثل هذه.

وكان يعقوب بن المهدي لا يقدر أن يمسك الفساء، إذا جاءه، فاتخذت داية له مثلثة/ ٢١٢/ يتوقف فيها فلما وضعتها تحته، فقال: هذه ليست بطيبة، وهي مثلثة، فلمّا ربعتها فسدت.

قال: وكان يعقوب هذا محمَّقاً، وكان يخطر بباله الشيء يشتهيه، ثم يثبت تحته ليس عندنا فوجد في دفتر له ثبت ما في الخزانة من الثياب المثقلة الإسكندارنية، لا شيء الفصوص الياقوت الأحمر من حالها كذا ومن نعتها كذا لا شيء. فحمل إلى المأمون ذلك الدفتر، فضحك لما قرأه حتى فحص برجليه، وقال: ما سمعت بمثل هذا قطّ.

قال عمرو بن سعيد: لما مات أبو عيسى بن الرشيد، وجد عليه المأمون وجداً شديداً حتى امتنع من النوم، ولم يطعم شيئاً، فدخل عليه أبو العتاهية فقال له المأمون: حدّثني بحديث بعض الملوك ممن كان قبلنا في مثل بعض حالنا، وفارقها، فحكى له

---

(١) الأغاني ١٠/ ٢٢٨.

حكاية الجارية التي أخبر سليمان بن عبد الملك أنها عرضت له، وهو خارج إلى الجمعة، وأنشدته[١]: [من الخفيف]

أَنتَ خيرُ المَتَاعِ لوْ كُنْتَ تَبْقَى..

البيتان، وأنه أعرض بوجهه، فلم تَدُرْ عليه الجمعة إلا وهو تحت التراب. قال: فبكى المأمون والناس، فما رأيت أكثر باكياً من ذلك اليوم. والبيتان لموسى شهوات.

ومن شعر أبي عيسى وله فيه صنعة[٢]: [من مجزوء الخفيف]

رَقَدَتْ عنكَ سَلْوَتي والهَوَى ليسَ يَرْقُدُ
وأَطارَ السُّهادَ عَنِّي فَنَومِي مُسَهَّدُ
أَنتَ بالحُسْنِ مِنْكَ يا أَحْسَنَ النَّاسِ تَشْهَدُ
وفُؤادي بحُسْنِ وجْهِكَ يَشْقَى ويَكْمَدُ

[٧١]

علوية[٣]

كوكب أفق، وسحب أنواء دفق، توقل مناراً، وتوقد شجره الأخضر ناراً، صنع غرائب الألحان، وظهر بعجائب الامتحان، وأدنته مجالس الخلفاء وأدنته بالزيادة على الأكفاء، وحلّت له عقدة الخط، وعقلة الزمن الفظ، فباء بالنعم الوافرة، وآب بالآمال النافرة، وراد معانده خاسر/٢١٣/ الصفقة خاسىء الرفقة، لا يضم رجاؤه على النجاح كشحا، ولا يأتيه دقائق الرزق إلا رشحا.

قال أبو الفرج؛ قال: أبو عبد الله بن حمدون: حدّثني أبي قال: اجتمعت مع

---

(١) صدر بيت لموسى شهوات في الأغاني ١٠/ ٢٣٤ وعجزه: «غير أن لا بقاء للإنسانِ»

(٢) الأغاني١٠/ ٢٣٥.

(٣) عَلُّويَة: عليّ بن عبد الله بن سيف، أو يوسف، أبو الحسن، المعروف بعلوية، موسيقيّ بغدادي، أصله من السغد (بين بخارى وسمرقند) تخرج على إبراهيم الموصلي وبرع في الغناء والتلحين والضرب بالعود. وغنى للأمين العباسي، وعاش إلى أيام المتوكل.
قال أبو الفرج: «كان مغنياً حاذقاً، ومؤدباً متقدماً، مع خفة روح، وطيب مجالسة، وملاحة نوادر» وكان إسحاق بن إبراهيم يتعصب له على «مخارق» ومات بعد إسحاق بقليل. وكان الواثق العباسي يقول: «غناء علوية مثل نقر الطست، يبقى ساعة في السمع بعد سُكُوته!» وكان أعسر، عوده مقلوب الأوتار: البمّ أسفل الأوتار كلها، ثم المَثْلث فوقه، ثم المَثْنى، ثم الزير. له أخبار مع الأمين والمأمون والمعتصم وإبراهيم ابن المهدي وغيرهم، كانت وفاته سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م.
ترجمته في: الأغاني ١١/ ٣٣٤ـ ٣٦٦، الأعلام ٤/ ٣٠٣.

إسحاق يوماً في بعض دور بني هاشم، وحضر علوية، فغنَّى أصواتاً، ثم غنّى من صنعته(١): [من الطويل]

ونُبِّئْتُ ليلَى أَرْسَلَتْ بشَفَاعةٍ إليَّ فَهَلاَّ وجهُ ليلى شَفِيعُها

فقال له: أحسنت، أحسنت، والله يا أبا الحسن ما شئت، فقام علوية من مجلسه، فقبَّل رأس إسحاق، وجلس بين يديه، وسرَّ بقوله سروراً شديداً، ثم قال له: أنت سيدي، وأستاذي، ولي إليك حاجة، قال؛ قل: فوالله إني أبلغ فيها ما تحب، فقال: أيما أفضل أنا عندك أم مخارق؟ فإني أحب أنِ نسمع منك في هذا المعنى قولاً يؤثر، ويحكيه عنك من حضر، فتشرفني به، قال إسحاق: ما منكما إلا محسن مجمل، ولا زيد أن يجري في هذا شيء قال: سألتك بحقي عليك، وبتربة أبيك، وبكل حقّ تعظمه إلا ما حكمت، فقال: ويحك لو كان... أو أقول غير الحق لقلته فيما تحبّ؛ فأما إذا أبيت إلا ذكر ما عندي، فلو خُيّرت أنا من يطارح جواريَّ أو يغنيني، لما اخترت غيرك، ولكنكما إذا غنيتما بين يدي خليفة، أو أمير، غلبك على إطرابه، واستبدَّ عليك بجائزته، فغضب علوية، وقام وقال: أف من رضاك، وأف من غضبك.

قال عبد الله بن طاهر: سمعت الواثق يقول: علوية أصحّ الناس صنعة بعد إسحاق، وأطيب الناس صوتاً بعد مخارق، وأضرب الناس بعد زلزل، فهو مُصَلِّي كلِّ سابق ناذر، وثاني كل أول فاضل.

وكان الواثق يقول: غناء علوية مثل نقر الطست يبقى ساعة في السمع بعد سكوته.

وكان علوية أعسر، وكان عوده مقلوب الأوتار: البُمّ أسفل، ثم المثلث فوقه، ثم المثنى، ثم الزير، فيكون مستوياً على يده، مقلوباً في يد غيره.

قال: غنّى علوية يوماً بين يدي الأمين(٢): [من الرمل]

/٢١٤/ ليتَ هِنْداً أَنجزتنا ما تَعِدْ وشَفَتْ أَنفُسَنا ممَّا تَجِدْ

وكان الفضل بن الربيع يضطغن عليه شيئاً، فقال للأمين: إنما يُعرّض بك، ويحرض المأمون، ويستبطىء محاربته إياك، فأمر به، فضرب خمسين سوطاً، وجرّ برجله حتى أخرج، وجفاه مدة؛ فلما قدم المأمون تقرَّب إليه بذلك، فلم يقع له بحيث يحب، وقال له: إنَّ الملوك بمنزلة الأسد والنار، فلا تتعرَّض لما يغضبه؛ فإنَّه ربما جرى منه ما يتلفك، ثم لا يقدر بعد ذلك على تلافي ما فرط منه، ولم يعطه شيئاً.

(١) لمجنون ليلى في ديوانه ١٥١، الأغاني ١١/ ٣٣٥.
(٢) لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٣٢٠، الأغاني ١١/ ٣٤٢.

ومثل هذا ما فعل الأمين ما حكاه إسحاق. قال: دخلت يوماً على الأمين، فرأيته متغضباً كالحاً، فقلت: ما للأمير تمم الله سروره، ولا نغصه إياه كالخاثر، فقال: غاضني أبوك الساعة، والله لو كان حيّاً لضربته خمسمائة سوط، ولولاك لنبشت الساعة قبره، وأحرقت عظامه، فقمت على رجلي، وقلت: أعوذ بالله من سخطك يا أمير المؤمنين، ومن أبي وما مقداره حتى تغتاظ منه، وما الذي غاظك، فلعلَّ له عذراً فيه، فقال: شدَّة محبته المأمون، وتقديمه إياه عليَّ. قال في الرشيد شعراً يقدمه عليَّ، وغنَّاه فيه، وغنيته الساعة فأورثني هذا الغيظ، فقلت: والله ما سمعت بهذا قطّ، ولا لأبي غناء إلا وأنا أرويه، قلت: فما هو؟ قال قوله[1]: [من الوافر]

أبـو الـمـأمـونِ فـيـنـا والأمـيـنِ لَـهُ كَـفّـانِ مِـنْ كَـرَمٍ وَلِـيْـنِ

فقلتُ له: لم يقدم المأمون هذا لتقديمه إياه في الموالاة، ولكن الشعر لم يصح وزنه إلا كذا، فقال: وكان ينبغي له إذا لم يصح وزنه إلا كهذا أن يدعه إلى لعنه الله قال: فلم أزل أرفق به إلى أن سكن؛ فلما قدم المأمون، سألني عن هذا الحديث، فحدثته به، فجعل يضحك ويتعجب منه.

قال أحمد بن يحيى المكي: دخلت على علوية أعوده من علّة اعتلّها، فجرى حديث المأمون، فقال: علم الله كدت أذهب ذات يوم وأنا معه لولا أن الله ـ عز وجل ـ سلَّمني، ووهب /٢١٥/ لي حكمة، فقلت: كيف كان ذاك؟، قال: كنت معه لما خرج إلى الشام، فدخلنا دمشق، وجعل يطوف على قصور بني أمية، فدخل صحناً، فإذا هو مفروش بالديباج والرخام الأخضر، وفيه بركة ماء يدخلها ويخرج منها من عين تصبّ إليها، وفي البركة سمك وبين يديها بستان، وعلى أربع زواياه أربع سروات كأنها قُصَّت بمقراض من التفافها أحسن ما رأيت قط من السرو قداً، فاستحسن ذلك وعزم على الصبوح، وقال: هاتوا إليّ الساعة طعاماً خفيفاً، فأتي فأكله، ودعا بالشراب وأقبل علي، فقال: غنني ونشطني، فكأنَّ الله ـ عز وجل ـ أنساني الغناء، فنظر إلي مغضباً وقال: عليك وعلى بني أمية لعنة الله، ويلك أقلت لك: سؤني، أو سرّني؟ ألم يكن لك وقت تذكر فيه بني أمية إلا هذا الوقت تعرّض بي؟ فتحيلت عليه، وعلمت أني قد أخطأت، فقلت: أتلومني على أن أذكر بني أمية؟ هذا مولاكم زرياب عندهم يركب في مائتي غلام له، ويملك ثلاثمائة ألف دينار. وهبوها له سوى الخيل والضياع والرقيق، وأنا عندكم أموت جوعاً قال: أو لم يكن لك شيء تذكرني به نفسك غير هذا؟ فقلت:

---

(١) لإبراهيم الموصلي في الأغاني ١١/ ٣٤٢.

هكذا أخطرني حين ذكرتهم قال: أعدل عن هذا، ونبه على إرادتي، فأنساني الله كل شيء أحسنه إلا هذا الصوت[1]: [من الكامل]

الـحـيْـنُ سـاقَ إلـى دِمَـشْـقَ ومـا كـانـتْ دمـشـقُ لأهـلِـهـا بَـلَـدَا

فرماني بالقدح، فأخطأني وانكسر القدح، وقال: قم عني إلى لعنة الله، وحرّ سقر وقام فركب، فكانت والله تلك الحالة آخر عهدي به حتى مرض ومات.

قال: ثم قال لي علوية، يا أبا جعفر، كم تراني أحسن؟ أغني ثلاثة آلاف صوت، أربعة آلاف صوت، خمسة آلاف صوت؟ وأنا والله أغني أكثر من ذلك. ذهب والله كله عني حتى كأني لم أعرف غير ما غنيت، ولقد ظننت أنه لو كان لي ألف درج ما تحت منها واحدة، ولكنه كان رجلاً حليماً.

قال: وغنّى يوماً علوية بحضرة الرشيد[2]: [من الكامل]

/٢١٦/ وأرى الغواني لا يُواصِلْنَ امرأً فـقـدَ الـشـبـابَ وقـدْ يَـصِـلْـنَ الأَمْـرَدَا

فدعا به الرشيد، وقال: يا عاض بظر أمه تغني في مدح المرد، وتذمّ الشيب، وستارتي منصوبة، وقد شبتُ، كأنك تعرّض بي، ثم دعا بمسرور، فأمره أن يأخذ بيده، فيضربه مائة درّة، ولا يرد إلى مجلسه، ففعل ذلك به، ولم ينتفع الرشيد يومئذٍ بنفسه.

قال: دخل علوية يوماً على إبراهيم بن المهدي، فقال له إبراهيم: ما الذي أحدثت بعدي من الصنعة يا أبا الحسن؟، قال: صنعت صوتين، قال: فهاتهما إذاً، فغناه[3]: [من الطويل]

أَلا إنَّ لي نَفْسَيْنِ: نفْسٌ تقولُ لي: تـمـتَّـعْ بـلـيـلـى مـا بَـدَا لـكَ لِـيْـنُـهـا
ونـفْـسٌ تـقـولُ: اسـتـبـقِ وُدَّكَ واتَّـئِـدْ بِـنَـفْـسِـكَ لا تـطـرحْ عـلى مَـنْ يُـهِـيـنُـهـا

قال: فكاد إبراهيم أن يموت من حسده، وتغيّر لونه، ولم يدر ما يقول له؛ لأنه لم يجد في الصوت مطعناً، فعدل عن الكلام في هذا الكلام، وقال له: هذا المعنى يدل على أن ليلى هذه كانت من لينها مثل المُوْم بدُهن البنفسج.

ثم سأله عن الصوت الآخر[4]: [من الطويل]

إذا كـانَ لـي شـيـئـانِ يـا أُمَّ مـالِـكٍ فـإنَّ لـجـاريْ مـنـهـمـا مـا تَـخَـيَّـرا
وفـي واحـدٍ إنْ لـمْ يـكـنْ غـيـرُ واحـدٍ رآهُ لَـهُ أهـلاً، وإن كـانَ مُـعْـسِـرَا

قال: فكاد إبراهيم أن يموت حسداً له. قال: وإن كان لك امرأتان، قال: يا أبا

(١) الأغاني ١١/ ٣٦٠.
(٢) للأعشى في ديوانه ٢٧٧، الأغاني ١١/ ٣٦٣.
(٣) الأغاني ١١/ ٣٤٩.
(٤) لحاتم الطائي في ديوانه ١٠٩ـ ١١٠، الأغاني ١١/ ٣٤٩.

الحسن حبوت جارك بواحدة؟ فخجل علوية، وما نطق بحرف بقية يومه.

ومنهم:

[٧٢]

مخارق[١]

نبعة لا يقاتل بغرب، ولا يقابل في طرب، أتى في الغناء بكلّ خارق، وواتى ضربه ايماض كل شارق، وزاحم في مجالس الخلفاء، ووقف والقوم جُثيٌّ على الركب، وقام بحصائد لسانه، وكل واحد به نكب، وكان زبدة تلك الحلبة، وذرة تلك الجلبة، وأسرع الكل اقتباساً /٢١٧/ وأبرع نطقاً لا يعرف احتباساً، ولهذا كان لا يعدل بأحد، ولا يعد معه من إذا خوّل النعمة جحد.

قال أبو الفرج: لما صار مخارق للرشيد، كان يقف بين يديه ويغني وهو واقف؛ فغنى ذات يوم ابن جامع[٢]: [من البسيط]

كـأنَّ نـيـرانَـنـا فـي جـنـبِ قـلـعـتِـهِـمْ مُـصَـبَّـغَـاتٌ عـلـى أَرْسـانِ قَـصَّـارِ

هَـوَتْ هِـرَقْـلَـةُ لـمـا أن رأَتْ عَـجَـبـاً حَـمـائـمـاً تَـرْتَـمِـي بـالـنِّـفْـطِ والـنَّـارِ

فطرب الرشيد، واستعاده عدة مرات. وهو شعر مدح به الرشيد في فتح هرقلة، فأقبل الرشيد على ابن جامع، وقال له: أحسنت!، أحسنت! فغمز مخارق إبراهيم الموصلي بعينيه، وتقدمه إلى الخلافة؛ فلما جاء قال له: ما لي أراك منكسراً؟ قال: أما ترى إقبال أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت، فقال له مخارق: قد والله أخذته، فقال: ويحك إنه الرشيد، وابن جامع من تعلم، ولا يمكن معارضته إلا بما يزيد على غنائه، وإلا فهو الموت. فقال: دعني وخلاك ذم، وعرّفه أني أغني به، فإن أحسنت، فإليك ينسب إحساني، وإن أسأت، فعليّ يعود اللوم. قال: صدقت وعاد إلى موضعه، ثم قال: يا أمير المؤمنين أراك معجباً بهذا الصوت؟ فوق ما يستحقه ويستوجبه. قال: فلقد أحسن فيه ابن جامع ما شاء. قال: أولابن جامع هو؟ قال: نعم

(١) مخارق بن يحيى بن ناووس الجزّار، أبو المهنا نشأ بالمدينة وقيل بالكوفة، وكان أبوه جزاراً مملوكاً، وكان في صباه ينادي على ما يبيعه أبوه من اللحم، فلما بان طيب صوته، علّمته مولاته عاتكة بنت شهده وهي من المغنيات المحسنات، المتقدمات في الضرب، ثم أرادت بيعه فاشتراه ثم أعتق، توفي بسامراء سنة ٢٣١هـ.

ترجمته في: الأغاني ١٨/ ٣٤٧ـ ٣٨٥، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٣٠.

(٢) الأغاني ١٨/ ٣٤٩.

هكذا ذكر. قال: فإنَّ عبدك مخارقاً يغنيه غناء أحسن من هذا وأطيب!، فنظر إلى مخارق، وقال: تغنيه؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: هاته، فغناهُ وتحفَّظ فيه، فأتى بالعجائب، فطرب الرشيد حتى كاد يطير فرحاً وشرب، ثم أقبل على ابن جامع فقال: ويلك ما هذا؟ فابتدأ يحلف له بالطلاق، وكل محرجة أنه لم يسمع ذلك الصوت قطّ إلا منه، ولا صنعه غيره، وأنها حيلة تمَّت عليه، فأقبل على إبراهيم، وقال: أصدقني بحياتي، فصدقه في قصّة مخارق. قال: نعم ياмолاي، قال: اجلس إذاً مع أصحابك فقد تجاوزت مرتبة من يقوم، فأعتقه، ووصله بثلاثة آلاف دينار، وأقطعه منزلاً.

قال الحسين بن الضحاك: حدّثني مخارق /٢١٨/ أن الرشيد قال يوماً ـ وهو مصطبح لجماعة المغنين ـ: من منكم يغنّي هذا الصوت[١]: [من البسيط]

يا رَبْعَ سَلْمى لَقَدْ هيَّجْتَ لِي طَرَبا زِدْتَ الفُؤَادَ على غلاتِهِ وصبا

فقمت وقلت: أنا يا أمير المؤمنين، فقال: هاته، فغنيته، فطرب، وشرب وقال: علي بهرثمة، فقلت ـ في نفسي ـ: ما يريد منه، فجاءوا به، فأدخل إليه، وهو يجرّ سيفه، فقال: يا هرثمة مخارق الشاري الذي قتلناه في ناحية الموصل ما كانت كنيته؟، قال: أبو المهنّا، قال: فانصرف، ثم أقبل عليّ بوجهه وقال: قد كنيتك يا أبا المهنّا لإحسانك وأمر لي بمائة ألف درهم.

قال: كان الواثق يقول: أتريدون أن تعرفوا فضل مخارق على جميع أصحابه؟ انظروا إلى هؤلاء الغلمان الذين يقفون في السماط، فكانوا يتفقدونهم، وهم وقوف، وكلهم يستمع الغناء من المغنين جميعاً، وهو واقف مكانه ضابط لنفسه، فإذا غنّى مخارق خرجوا من صورهم، فتغيَّرت وجوههم، وتحرّكت أرجلهم ومناكبهم، وظهرت أسباب الطرب فيهم، وازدحموا على الحبل الذي يقفون من ورائه.

قال: سمع إبراهيم الموصلي يوماً مخارقاً يغنّي ـ وهو صغير ـ فقال له: نعم الفسيلة غرس إبليس منك في الأرض.

قال هارون بن محمد بن هشام: دعاني مخارق يوماً، فأطعمنا جزورية وجلسنا نشرب، فإذا نحن بامرأة تصيح: يا أبا المهنا الله الله في حلف زوجي بالطلاق، إنه يسمع غناءك، ويشرب عليه، قال: اذهبي فجيئيني به، فجاء فجلس، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟، قال: يا سيدي كنت سمعت صوتاً من صنعتك، فطربت عليه حتى استخفَّني الطرب، فحلفت أن أسمعه منك ثقة بك، وكانت زوجته داية هارون بن

(١) لهلال بن الأسعر المازني في الأغاني ٣/ ٥٢، ١٨/ ٣٥٠.

مخارق، فقال له: ما الصوت؟ فقال[(١)]:

بـكَـرَتْ عَـلَـيَّ فَـهَـيَّـجَـتْ وَجَـدا هُـوجُ الـريـاحِ وأَذكَـرتْ نَـجْـدا
أتَـحِـنُّ مِـنْ شَـوقٍ إذا ذُكِـرَتْ نَـجْـدٌ وأَنـتَ تَـركـتَـهـا عَـمْـدا

/ ٢١٩/ فَغَنَّاه إياه، وسقاه رطلاً وأمره بالانصراف، وقال له: احذر أن تعاود، فانصرف، فلم يلبث أن جاءت المرأة، وعاودت الصياح، وهي تقول: يا سيدي قد عاود اليمين الله الله في وفي أولادي، فقال: هاتيه، فأحضرته، فقال لها: انصرفي أنت، فإن هذا كلّما انصرف، حلف وعاود، فدعيه يقيم عندنا اليوم، فتركته، وانصرفت، فقال له مخارق: ما قصتك؟ قال: رجل طروب، وكنت سمعت صوتاً من صنعتك، فاستخفَّني الطرب حتى حلفت أن أسمعه منك، قال: وما هو؟ قال[(٢)]: [من مجزوء الرمل]

أَلِـفَ الـظَّـبْـيُ بِـعَـادِي ونَـفَـى عَـنِّـي رُقَـادِي
وغَـدَا الـهـجـر عـلـى الـوَصـ ـلِ بِـأَسْـيَـافٍ حِـدَادِ

قال: فغناه وسقاه رطلاً، ثم قال: يا غلام ائتني بمقارع، فجيء بها، فأمر بالرجل، فبطح، وضربه خمسين مقرعة، وهو يستغيث، ولا يكلّمه، ثم قال له: احلف بالطلاق أنك لا تذكرني أبداً وإلا كان هذا دأبك إلى الليل، فحلف بالطلاق ثلاثاً على ما أمره به، ثم أخرج، فجعلنا نضحك بقية يومنا من حمقه، وما أصاب الرجل.

قال: كان مخارق ممن إذا تنفس أطرب من يسمع نفسه.

وقال: خرج مخارق مع بعض أخوانه إلى بعض المتنزهات، فنظر إلى قوس مذهبة مع بعض من خرج معه، فسأله أن يهبه له فضنَّ المسؤول. قال: وسنحت ظباء بالقرب منه، فقال مخارق: أرأيت إن غنيت صوتاً، فعطفت به عليك خدود الظباء، أتدفع لي هذه القوس؟، قال: نعم والله فاندفع مخارق يغنّي[(٣)]: [من المجتث]

مَـاذا تَـقُـولُ الـظِّـبَـاءُ أَفُـرْقَـةٌ أَمْ لِـقَـاءُ
أَمْ عَـهْـدُهـا بِـسُـلَـيْـمَـى وفـي الـبَـيَـانِ الـشِّـفَـاءُ
مَـرَّتْ بِـنَـا سَـانِـحَـاتٍ وقَـدْ بَـدا الإمْـسَـاءُ
فَـمَـا أَحَـارَتْ جَـوَابـاً وطَـالَ فـيـهـا الـعَـنَـاءُ

قال: فعطفت الظباء راجعةً إليه حتى وقفت بالقرب منه مستشرفة تنظر إليه، ومصغية تسمع صوته، فعجب من حضر من رجوعها ووقوفها، وناوله الرجل / ٢٢٠/

---

(١) للحسين بن مطير الأسدي في شعره / ٤٩، الأغاني ١٨/ ٣٦٦.
(٢) الأغاني ١٨/ ٣٦٧ـ ٣٦٨.
(٣) الأغاني ١٨/ ٣٦٩.

القوس، فأخذه وقطع الغناء، فعاودت الظباء نفرها، ومضت راجعة إلى سننها.

قال بعض أصدقاء مخارق: ركبت معه مرّة في طيارة ليلاً، وهو سكران؛ فلما توسط دجلة، اندفع بأعلى صوته، فما بقي أحد في الطيارة من ملاح، أو غلام، أو خادم إلا بكى من رقة صوته، ورأيت الشمع والسُّرُج من جانبي دجلة في صحون القصور والدور يتسارعون بين يدي أهلها يسمعون غناءه.

قال هبة الله بن إبراهيم بن المهدي: غنَّت شارية يوماً بحضرة أبي صوتاً، فأَحَدَّ النظر إليها، وقال لها: امسكي فأمسكت، فقال: عرفت إلى أي شيء ذهبت أردت أن تتشبهي بمخارق في تزايده، وإياك أن تعودي؛ فإن مخارقاً خلقه الله وحده في طبعه وصوته ونفسه يتصرّف في ذلك أجمع حيث يحب، ولا يلحقه أحد. قد أراد غيرك أن يتشبه به في هذا الحال، فهلك وافتضح، ولم يلحقه، فلا أسمعنَّك تتعرضين لهذا بعد هذا الوقت.

قال مخارق: ودعاني أمير المؤمنين محمد الأمين يوماً، وقد اصطبح، فاقترح عليّ[1]: [من البسيط]

استقبلتْ وَرَقَ الرَّيحانِ تَقْطَعُهُ وعنبرَ الهندِ والورديَّةَ الجُدُدَا
أَلَسْتَ تعرفُني في الحيِّ جاريةً ولمْ أَخُنْكَ ولمْ ترفعْ إليَّ يَدَا

فغنيته إياه فطرب طرباً شديداً، وشرب عليه ثلاثة أرطال، وأمر لي بألف دينار، وخلع عليّ جبة وشي كانت عليه مذهبة، ودراعة مثلها، وعمامة مثلها، فما لبست ذلك وراءه على ندم، وكان كثيراً ما يفعل ذلك، فقال لبعض الخدم: قُل للطباخ يأتينا بمصليةٍ معقودة الساعة، فأُتينا بها، فقال: كُلْ معي، فامتنعت لما أعرفه من كراهيته، فحلف أن آكل معه، فحين أدخلتُ يدي الغضارة رفع يده، وقال: إني بغضتها والله وقذَّرها إدخالك يدك معي فيها، ثم رفس القصعة رفسة فإذا هي في حجري وودكها يسيل على الخلعة حتى نفذ إلى جلدي، فقمت مبادراً، فنزعتها، وبعثت بها إلى منزلي، وغيَّرت ثيابي، وأنا مغموم بها. وهو /٢٢١/ يضحك؛ فلما رجعت إلى منزلي، جمعت كل صانع حاذق، فجهدوا في إخراج ذلك الأثر منها، فلم يخرج، ولم أنتفع بها حتى أحرقتها، وأخذت ذهبها. وضرب الدهر ضربه، ثم دعاني أمير المؤمنين المأمون يوماً، فدخلت عليه وهو جالس وبين يديه مائدة عليها رغيفين ودجاجتين، فقال لي: تعال فكل، فامتنعت، فقال لي: تعال ويلك، فساعدني، فجلست، وأكلت معه حتى فرغ ووضع النبيذ، ودعا علوية، فجلس وقال: يا مخارق أتغني[2]: [من الطويل]

---

(١) الأغاني ١٨/ ٣٧٢.

(٢) للأحوص الأنصاري في ديوانه ١٠٠، الأغاني ١٨/ ٧٤.

أَقولُ التماسَ العُذْرِ لمَّا ظَلَمتِنِي   وحمَّلتِنِي ذَنباً وما كنتُ مذْنِبا
هَبِيْنِي امرأً إمّا بريئاً ظَلَمْتِهِ   وإمَّا مُسِيئاً قَدْ أَنابَ وَأَعْتَبا؟

فقلت: نعم يا سيدي، قال: غنّه، فغنيته فعبس في وجهي، وقال: قبحك الله، أهكذا تغني هذا، ثم أقبل على علوية، فقال: أتغنيه؟ قال: نعم يا سيدي، قال: غنّه فغناه فوالله ماقاربني فيه، فقال: أحسنت والله وشرب رطلاً، واستعاده ثلاثاً، ثم شرب عليه ثلاثة أرطال، وأعطاه كل مرة يعيده عشرة آلاف درهم، ثم حذف بإصبعه وقال: برق يمان، وكان إذا أراد قطع الشراب، فعل ذلك، وقمنا، فعلمت من أين أتيت؛ ولما كان بعد أيام عادني، فدخلت وهو جالس في ذلك الموضع يأكل، فقال لي: تعال يا مخارق، فقلت: لا والله يا سيدي ما أقدر على ذلك، فقال: تعال ويلك، أتراني على الطعام؟، فقلت: لا، ولكني أردت أن أؤدبك أن السادة لا ينبغي لعبيدها أن تواكلها. أفهمت؟ قلت: نعم، قال: فتعال الآن، وكُل على الأمان، فقلت: إذن أكون أول من أضاع تأديبك إياي، واستحق العقوبة من قريب، فضحك حتى استغرق، وأمر لي بألف دينار، فمضيت إلى حجرتي المرسومة في الخدمة، وأُتيت بطعام، فأكلت، ووضع النبيذ، فدعاني، ودعا علوية؛ فلما جلسنا قال له: ياعلوية أتغني؟[1]: [من البسيط]

أَلَمْ تَقُولي: نَعَمْ قالتْ: أَرَى وَهَماً   مِنِّي وهَلْ يُؤخَذُ الإنسانُ بالوَهَمِ

فقال: نعم يا سيدي. قال: هاته، فغنّاه، فعبس في وجهه، وبسر، ثم أقبل عليّ، / ٢٢٢/ وقال: أتغنيه يا مخارق؟، فقلت: نعم يا سيدي، وعلمت أنه أراد أن يستفيد من علوية، ويرفع مني؛ وإلا فما أتى به علوية لا يعاب به، فغنيته، فطرب، وشرب، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، وفعل بي ذلك ثلاث دفعات كما فعل به، ثم أمر بالانصراف، فانصرفنا، وما عاودت بعد ذلك مواكلة خليفة إلى وقتنا هذا.

قال: حجّ رجل مع مخارق؛ فلما قضيا الحج، وعاد قال الرجل: بحقِّي عليك غنني صوتاً فغنّى: [من الطويل]

رَحَلْنا فَشَرَّقْنا وراحُوا فَغَرَّبُوا   وفاضَتْ لَرَوْعاتِ الفِراقِ عُيُونُ

فرفع الرجل يده إلى السماء، وقال: اللهم إني أشهدك أني قد وهبت حجتي له.

وتوفي مخارق في أول خلافة المتوكل، وقيل: بل في آخر خلافة الواثق.

وذكر ابن خرداذبة: أنه كان أكل قرنبيطة باردة، فقتلته من يومه.

ومنهم:

---

(١) الأغاني١٨/ ٣٧٥.

[٧٣]
عريب جارية المأمون[١]

وهي تحفظ أخبارها ولا يقاس عليها، ولا يقال عن أحد، فيكون بالنسبة إليها، وكانت أنفذ من السهام إلى أغراضها، وأطيب من زوال السقام لأمراضها. غلب معها المأمون، وسرت إلى هواها سرى الأمون.

وكانت لا تتحاشى، ولا ترى لها بغير أن تعاشر انتعاشا، وكانت ذات فنون ومحاسن كما في الظنون، وبديهة تتوقد، وميامن كأنها الفرقد.

ذكرها أبو الفرج الأصفهاني وقال: قال: دخل أبو عبد الله الحسامي على المعتز وعريب تغنّي، فقال: يا ابن هشام غنّ، فقال: تبت من الغناء مُذ قتل سيدي المتوكل، فقالت له عريب: قد والله أحسنت حيث تبت؛ فإن غناءك كان لا متقناً، ولا صحيحاً، ولا مطرباً، فأضحكت أهل المجلس منه، وخجل.

وكانت عريب مولدة في دار جعفر بن يحيى، وقيل: إنَّ أمها كانت تسمّى فاطمة، وأنَّ جعفراً تزوّجها سراً، وأسكنها داراً، ووكل بها من يحفظها، وكان يتردّد إليها، فولدت عريباً في أحد وثمانين ومائة، وعاشت ستاً وسبعين/ ٢٢٣/ سنة.

قال: وماتت أم عريب في حياة جعفر بن يحيى، فدفعها إلى امرأة نصرانية، وجعلها داية لها؛ فلما حدثت الحادثة بالبرامكة، باعتها من شنين النخاس، فباعها من عبد الله بن إسماعيل المراكبي، ثم باعها، فاشتراها المأمون بخمسين ألف درهم.

قال الفضل بن مروان: كنت إذا نظرت إلى قدمي عريب، شبهتها بقدمي جعفر ابن يحيى.

---

(١) عُرَيب المغنّية: كانت بارعة الحُسْن، كاملة الظُّرْف، حاذقة بالغناء وقَوْل الشِّعْر، معدومة المِثْل، اشتراها المعتصم بمائة ألف واعتقها .
ويُقال إنّ جعفر البرمكيّ كان قد أحبَّ امرأةً وهي أمّ عُرَيب، فتزّوجها وتردّد إليها سرّاً، وأسكنها في مكان لئلاّ يعلم أبوه، فولدت له عُرَيْب، ثمّ ماتت. فاسترضع جعفر لعُرَيْب المراضع، وسلّمها إلى امرأةٍ نصرانّية. فلمّا قُتِل باعَتْها النّصرانّية سِرّاً، فاشتراها الأمين من النّخّاسين، ولم يعرف ثمنها، فلّما هلك الأمين عادت إلى سِنْبِس النّخّاس، وصارت له، فشُغِف بها. وقدم المأمون من طُوس، فاشتهر أمرها، واشتراها من سِنْبس كرْهاً، فمات صَبَابةً بها. ثمّ صارت للمعتصم .
ولها أصوات معروفة، وأشعار مُطْرِبة، وصِيت بحُسْن الصَّوت، توفيت بسامراء سنة ٢٧٧هـ.
ترجمتها في: طبقات الشعراء لابن المعتز ٤٢٥، ٤٢٦، وبغداد لابن طيفور ١٥٢، ١٥٤، ١٧٢، ١٨٠، ١٨٢، والدر المنثور ٣٣١، والأغاني ٢١/ ٦١ـ ١٠٣ ومواضع متفرقة، الوافي بالوفيات ١٩/ ٥٥٣ـ ٥٥٧ رقم ٥٦٩، نساء الخلفاء ٥٨ـ ٥٩، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٢١ـ ٢٣٠هـ) ص٢٧٧ـ ٢٧٨ رقم ٢٧٧، الإماء الشواعر ١٣٥ـ ١٤٨، المستطرف من أخبار الجواري ٣٧.

قال: وذكرت بلاغتها لبعض الكتاب، قال: وما يمنعها من ذلك، وهي بنت جعفر بن يحيى.

قال أبو العنبس بن حمدون: حدّثني أبي. قال: دخلنا على عريب يوماً مسلمين، فقالت: أقيموا اليوم عندي حتى أطعمكم لوزينجة صنعتها بدعة بيدها من لوز طيب، وأغنيكم أنا وهي، قال، فقلت لها: على شريطة، قالت: وما هي؟، قلت: شيء أريد أن أسألك عنه، وأنا أهابك، قالت: ذاك إليك وأنا أقدم الجواب قبل أن تسأل. تريد أن تسألني عن شرطي أي شيء هو؟، فقلت: والله ذلك الذي أردت قالت: شرطي أيرٌ صُلْب، ونكهة طيبة، فإن انضاف إلى ذلك حسن وجمال، زاد قدره عندي، وإلا فهذا ما لا بدَّ لي منه.

قال: عتب المأمون على عريب، فهجرها أياماً، ثم اعتلت، فعادها، فقال لها: كيف وجدت طعم الهجر؟، فقالت: يا أمير المؤمنين، لولا مرارة الهجر ما عُرفت حلاوة الوصل، ومن ذم بداء الغضب أحمد عاقبة الرضا. فخرج المأمون إلى جلسائه، فحدّثهم ذلك، ثم قال: أترى هذا لو كان من كلام لم يكن كثيراً.

قال: وكانت عريب تهوى محمد بن حامد، فكتب إليها «أخاف على نفسي» فكتبت إليه[1]: [من المتقارب]

إذا كُـنْـتَ تَـحْـذَرُ مـا تـحـذرُ   وتـزعـمُ أَنَّـك لا تَـجْـسُـرُ
فـمـا لـيْ أقـيـمُ عـلـى صَـبْـوَتِـي   وَلِـمْ فـي لِـقـائِـكَ لا تَـقْـدِرُ

فصار إليها من وقته، واصطلحا، وأقام عندها يومه.

قال /٢٢٤/ ابن حمدون: ركبت ليلة في حاجةٍ للمأمون، فإذا أنا بصوت حافر، ووافت برقة، فأضاء لها وجه الراكب، فإذا عريب، فقلت: عريب؟ قالت: نعم. ابن حمدون؟ قلت: نعم، ثم قلت لها: من أين أقبلت في هذا الوقت؟ قالت: يا نكس عريب في مثل هذا الوقت من عند محمد بن حامد خارجة من مضرب الخليفة، وراجعة إليه تقول: أيّ شيء عملت عنده؟ صليت معه التراويح، أو قرأت عليه جزءاً من القرآن، أو دارسته شيئاً من الفقه يا أحمق! فتحادثنا، وتعاتبنا، وأكلنا، وشربنا، ولعبنا، وغنينا، وتنايكنا. فأخجلتني، وغاظتني، وافترقنا، ومضيت في حاجتي، ثم عدت إلى المأمون، فأخذنا في الحديث، وتناشدنا الأشعار، فهممت أن أحدّثه بحديثها، ثم هبتُ أن أذكر ذلك، فقلت: أقدِّم قبل ذلك تعريضاً بشيء من الشعر، فأنشدته[2]: [من الطويل]

أَلا حَـيِّ آطـالاً لـواسـعـةِ الـحـبـلِ   أَلُـوفٍ تُـسـاوي صـالـحَ الـقـومِ بـالـرَّذْلِ

---

(١) الأغاني ٢١/٩٩.

(٢) الأغاني ٢١/٩٤.

فلوْ أنَّ مَنْ أمْسَى بجانب تَلْعَةٍ إلى جَبَلَيْ طَيٍّ فسَاقِطَةِ الحَبْلِ
جلوسٌ إلى أنْ يقصرَ الظِّلُّ عِنْدَها أَرَاحُوا وَكُلُّ القومِ منْها على وَصْلِ

فقال لي المأمون: اخفض صوتك، لا تسمع عريب، فتغضب، وتظنّ أنك في حديثها. فأمسكت عما أردت، وخار الله في ذلك.

قال اليزيدي: خرجت مع المأمون في خرجته إلى الروم، فرأيت عريباً في هودج؛ فلما رأتني، قالت: يا يزيدي أنشدني شعراً قلته حتى أصنع فيه لحناً، فأنشدتها[1]: [من الرجز]

مَنْ ذَا بِقلبي مِنْ دَوَام الخَفْقِ
إذَا رأيتُ لَمَعانَ البَرْقِ
مِنْ قِبَلِ الأُرْدُنِّ أوْ دمشقِ
لأنَّ مَنْ أهْوَى بِذَاكَ الأُفْقِ
ذاكَ الذي يملكُ مِنِّي رِقِّي
ولستُ أَبْغِي ما حَيِيْتُ عِتْقِيْ

فلما سمعته، تنفَّست نفساً ظننت أن ضلوعها قد تفصَّلت منه، فقلت: والله هذه نفس عاشق، فقالت: اسكت يا عاجز، أنا أعشق؟ والله لقد نظرت نظرة مريبة في /٢٢٥/ مجلس، فادعاها من أهل المجلس عشرون رئيساً، ما علم أحد منهم لمن كانت إلى اليوم.

قال ابن حمدون: وقعت مُلاحاة بين عريب وبين محمد بن حامد وشرّ، وكان في قلبها أكثر مما في قلبه منها، فلقيته يوماً فقالت له: كيف قلبك يا محمد؟، قال: أشقى والله ما يكون، وأقرحه. فقالت: استبدل تسلُ، فقال: لو كانت البلوى باختيار، لفعلت، فقالت: لقد طال إذاً تعبك، فقال: وما يكون؟ أصبرُ مكرهاً. أما سمعت قول العباس بن الأحنف[2]: [من الكامل]

تَعَبٌ يطولُ معَ الرجاءِ لذِي الهَوَى خيرٌ لهُ مِنْ راحةٍ في اليَاسِ
لولا كرامَتُكُمْ لَمَا عاينتُكُمْ ولكنتُمُ عِنْدِي كبعضِ النَاسِ

قال: فذرفت عيناها، واعتذرت إليه، وعاتبته، واصطلحا.

قال أحمد بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي: قالت لي عريب: حجَّ بي

---

(١) لإبراهيم بن أبي محمد اليزيدي في الأغاني ٢١/ ٩٤.
(٢) ديوانه ١٦٦، الأغاني ٢١/ ٩٥.

أبوك، وكان مضعوفاً، فكان عديلي، وكنت في طريقي أطلب الأعراب، فأستنشدهم الأشعار، وأكتب عنهم النوادر، فوقف شيخ من الأعراب يسأل فاستنشدته فأنشدني[١]: [من البسيط]

يا عزَّ هلْ لكِ في شيخٍ فتًى أبداً   وقدْ يكونُ شبابٌ غيرُ فتيانِ

فاستحسنته، ولم أكن سمعته قبل ذلك، فاستنشدني باقي الشعر، فقال لي: هو يتيم، فاستملحت قوله، وبررته، وحفظت البيت، وغنيته فيه لحناً من الثقيل الأول، ومولاي لا يعلم بذلك لضعفه؛ فلما كانت عشية ذلك اليوم، قال لي: ما كان أحسن البيت الذي أنشدك الأعرابي إياه، وقال لك إنه له أنشدينيه، إن كنت حفظته. فأنشدته إياه وأعلمته أني قد غنيته فيه، ثم غنيته له فوهب لي ألف درهم، وفرح بالصوت فرحاً شديداً.

قال أبو الخطاب العباس بن أحمد بن الفرات: حدّثني أبي قال: كنا يوماً عند جعفر بن المأمون يشرب وعريب حاضرة، إذ غنى بعض من كان هناك[٢]: [من الكامل]

/٢٢٦/ يا بدرُ إنَّكَ قَدْ كُسِيتَ مَشَابهاً   مِنْ وجهِ ذاكَ المستنيرِ الواضِحِ
وأراكَ تمحض بالمُحاق وحسنُها   باقٍ على الأيام ليسَ بنازحِ

فطربت عريب، وصفقت، ونقرت، وقالت: ما على وجه الأرض من يعرف خبر هذا الصوت غيري، فلم يعرف، ولم يقدر أحد منا على مسألتها عنه غيري، فقالت: أنا أخبركم بقصته، ولولا أن صاحب القصة قد مات، لما أخبرتكم. إنّ أبا محلم قد قدم بغداد، فنزل بقرب دار صالح المسكين في خانٍ هناك، فأطلعت أم محمد على أبي محلم يوماً، فرأته يبول، فأعجبها متاعه، فأحبت مواصلته، فجعلت لذلك علّة بأن وجهّت إليه تقترض منه مالاً، وتعلمه أنها ضيقة، وأنها ترده إليه بعد جمعة، فبعث إليها عشرة آلاف درهم، وحلف لها أنه لو ملك غيرها، لبعث به، فاستحسنت ذلك منه، وواصلته، وجعلت القرض سبباً للوصلة، وكانت تدخله إليها ليلاً، وكنت أغني لهم، فشربنا ليلةً في القمر، وجعل أبو محلم ينظر إليها، ثم دعا بدواة ورقعة وكتب فيها: [من الكامل]

يا بدرُ إنَّكَ قَدْ كُسِيتَ مَشَابهاً   مِنْ وجهِ أمِّ محمدِ ابنةِ صالحِ

والبيت الآخر، وقال لي: غنّ فيه، ففعلت فاستحسناه، وشربنا عليه، فقالت أم محمد ـ في آخر المجلس ـ: يا أخي إنك قد غنيت في هذا الشعر، وأراه سيبقى عليّ فضيحة آخر الدهر، قال أبو محلم: فأنا أغيره فجعل مكَان أم محمد ابنة صالح، ذاك

(١) لأعرابي في الأغاني ٢١/٩٦.
(٢) لأبي محلم النسابة في الأغاني ٢١/٩٨.

المستنير اللائح، وغنيته كما غيره، وأخذه الناس عني، ولو كانت أم محمد حيّةً، لما أخبرتكم بالخبر.

قال أبو الحسن بن الفرات: كنت يوماً عند أخي أبي العباس بن الفرات، وعنده عريب تغني، فقالت لأخي - وقد جرى ذكر الخلفاء -: ناكني منهم ثمانية ما اشتهيت منهم أحداً إلا المعتزّ. قال ابن الفرات: فأصغيت إلى بعض بني أخي، فقلت: كيف ترى شهوتها الساعة، فضحك من قولي، فقالت: أيُّ شيء قلتم؟ فجحدتُها، فقالت: جواريّ حرائر،/ ٢٢٧/ لئن لم تخبراني بما قلتما، لأنصرفنَّ، ولئن قلتما لي لا حذرت من شيء جرى، ولو أنه تسفيل، فصدقتها، فقالت: وأيُّ شيء في هذا؟ أما الشهوة فبحالها، ولكن الآلة قد ضعفت. عودوا إلى ما كنتم فيه.

قال أبو عبد الله بن حمدون: زارت عريب محمد بن حامد وجلسا جميعاً، فجعل يعاتبها، ويقول: فعلت كذا، وفعلت كذا فقالت: يا عاجز خذ فيما نحن فيه، واجعل سراويلي مخنقتي، وألصق خلخالي بقرطي، فإذا كان غداً، فاكتب إليّ بعتابك حتى أكتب عذري، فقد قال الشاعر[1]: [من الوافر]

دَعِي عَدَّ الذُّنُوبِ إذا التقينا تَعَالَي لا نَعُدُّ ولا تَعُدِّي

قال: اصطبح المأمون وعنده ندمان، وفيهم محمد بن جامع، وجماعة من المغنين، وعريب معه على مصلى، فأوما محمد بن حامد إليها بقبلة، فاندفعت تغني ابتداءً[2]: [من الطويل]

ربي ضرع ناب فاستمر بطعنةٍ كحاشيةِ البُرْدِ اليَمَانِي المُسَهَّمِ

فقال المأمون: امسكي فأمسكت، ثم أقبل على الندماء: من منكم أومأ إلَى عريب بقبلةٍ، والله لئن لم يصدقني لأضربنَّ عنقه، فقام محمد فقال: أنا يا أمير المؤمنين أومأت إليها والعفو أقرب للتقوى، فقال: قد عفوت عنك. فقال: [بم] استدل أمير المؤمنين على ذلك؟، فقال: ابتدأت صوتاً، وهي لا تغني أبداً إلا لمعنى، فعلمت أنها لم تبتدىء بهذا الصوت إلا لشيء أومىء إليها به، ولم يكن من شرط هذا المعنى إيماءً إلا بقبلةٍ، فعلمت أنها إجابة بطعنةٍ.

قال: لما وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد، أمر بإلباسها جُبة صوف، وختم زيقها، وحبسها شهراً في كنيف مظلم لا ترى الضوء، يدخل إليها خبز

---

(١) للمؤمل بن جميل بن يحيى بن أبي حفصة في الأغاني ٢١/ ٨٣.
(٢) الأغاني ٢١/ ٨٠.

وملح وماء من تحت الباب، ثم ذكرها فرقّ لها، وأمر بإخراجها؛ فلما فتح الباب عنها وأخرجت لم تتكلم بكلمة حتى اندفعت تغنّي(١): [من الكامل]

/٢٢٨/ حَجَبُوهُ عَنْ بَصَرِي فمُثِّلَ شَخْصُهُ   في القَلْبِ فهوَ مُحَجَّبٌ ما يُحْجَبُ

فبلغ المأمون ذلك، فعجب منه، وقال: لن تفلح هذه أبداً.

[٧٤]

إبراهيم الموصلي(٢)

أصلح طرائق الغناء وشدّدها، وشيّد شيز العيدان وشددها، أغري بهذه الصناعة حتى أتقنها، ودافع فيها الشك حتى تيقنها، وولع بها والأيام قد لقحت بسعادته، وحملت بحظه ساعة ولادته حتى انتهت الليلة التي فجرها، والحامل التي شهرها، فما جاءها المخاض حتى غرق في السعادة وما خاض. اتصل بالخلفاء، وحصل الاكتفاء، وأثرى ثراءً يضيق به الكنوز، وتضيع في معرفته الرموز، واقتنى الجواري اللاتي طلعن

---

(١) لعريب في الأغاني ٢١/ ٧٩.

(٢) ابراهيم بن ماهان (أوميمون) بن بهمن، الموصلي التميمي بالولاء، أبو اسحاق النديم: أوحد زمانه في الغناء واختراع الألحان. شاعر، من ندماء الخلفاء. فارسي الأصل، من بيت كبير في العجم. انتقل والده إلى الكوفة، فولد بها سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٣م ومات أبوه وهو صغير فكفله بنو تميم وربوه. فنسب إليهم. ورحل إلى الموصل فأقام سنة يتعلم الضرب بالعود، فنسب إليها أيضاً. وأجاد الغناء الفارسي والعربي. وكانت له عند الخلفاء منزلة حسنة. وأول من سمعه منهم المهدي العباسي، ثم حبسه لشربه النبيذ، فحذق القراءة والكتابة في الحبس. ولما ولي موسى (الهادي) أغدق عليه نعمه، وكذلك هارون(الرشيد) من بعده، وجعله من ندمائه وخاصته، واستصحبه معه إلى الشام. ومرض فعاده الرشيد، فمات بعد قليل ببغداد سنة ١٨٨هـ/ ٨٠٤م. أخباره كثيرة جداً. كان ينظم الأبيات ويلحنها ويغنيها.

ترجمته في: الأغاني ٥/ ١٦٩ـ ٢٦٨، والعقد الفريد ٢/ ١٤١ و٥/ ٣٧٧ و٦/ ٣١ و٣٢ و٣٤ و٤٦، والفرج بعد الشدّة للتنوخي ٢/ ٣٩٧ و٤٠٢ و٤/ ٣٣٧ و٣٩٤ و٤١٦، ونشوار المحاضرة ٥/ ٢٨٤ـ ٢٨٦ و٦/ ١٦، وثمار القلوب للثعالبي ٦٥٩ رقم ١١١٨، وتاريخ بغداد ٦/ ١٧٥ـ ١٧٨ رقم ٣٢٣١، وأمالي المرتضى ٢/ ١٥٢، ووفيات الأعيان١/ ٤٢ـ ٤٣ رقم ١٠، والتذكرة الفخرية للإربلّي ٣٧٩، والتذكرة الحمدونية ٢/ ٥٥، ٥٦، ٢٤٦، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٧٩ـ ٨٠ رقم٢٢، والعبر ١/ ٤٢٠، والأذكياء لابن الجوزي ١٥٠ـ ١٥١، وخلاصة الذهب المسبوك ١٥٥ـ ١٥٦، ومرآة الجنان ١/ ٤٢٠ـ ٤٢١، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٠٠، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٢٦، وشذرات الذهب١/ ٣١٨، والوافي بالوفيات ٦/ ٩٩ـ ١٠٠ رقم ٢٥٢٩، الأعلام ١/ ٥٨ـ ٥٩، تاريخ الإسلام (السنوات ١٨١ـ ١٩٠هـ) ص٥٩ـ ٦١ رقم٩.

أقماراً، وسمعن، وكان حديثهن أسماراً.

قال أبو الفرج، قال ابن المنجم: كان سبب قولهم: الموصلي أنه لما نشأ وبلغ صحب الفتيان، واشتهى الغناء، فطلبته، واشتدّ أخواله عليه في ذلك، وبلغوا منه، فهرب إلى الموصل، فأقام بها نحواً من سنة، فلما رجع إلى الكوفة، قال له إخوانه من الفتيان: مرحباً بالفتى الموصلي فمرت عليه.

قال: وأول خليفة غناه إبراهيم، وسمع غناءه المهدي، وكان لا يشرب، وأراد من إبراهيم ملازمته، وترك الشرب، فأبى، وكان يغيب عنه أياماً، فشرب عند موسى وهارون بتَّةً، فوالله لئن دخلت عليهما لأفعلنَّ ولأصنعن، فقال: نعم، ثم بلغه أنه دخل عليهما، وشرب معهما، وكانا مشهورين بالنبيذ، فدعاه، فضربه ثلاثمائة سوط، وقيده، وحبسه فأقام مدَّة، ثم أخرجه، وأحلفه بالطلاق والعتاق، وكل يمين لا فسحة له فيها أن لا يدخل على موسى وهارون أبداً، ولا يغنّيهما، وخلى سبيله.

قال: فلما ولي موسى الهادي الخلافة استتر إبراهيم منه، فكان منزله يكبس في كل وقت، وأهله يروعون بطلبه، حتى أصابوه، فمضوا به إليه، فلما عاتبه، قال: يا سيدي أم ولدي وأعزّ خلق الله علي، ثم غناه في شعره[1]: [من الخفيف]

يا ابنَ خيرِ المُلوكِ لا تَتركَنِّي غَرَضاً للعدوِّ يرمِي خَيالي

/٢٢٩/ فَلَقَدْ في هواكَ فارقتُ أهلي ثُمَّ عرَّضتُ مُهْجتي للزَّوَالِ

ولقدْ عفتُ في هواكَ حَيَاتِي وتغرَّبْتُ بينَ أَهلي ومالي

قال إسحاق: فموله ـ والله ـ الهادي وخوله؛ وحسبك أنه أخذ منه في يوم واحد خمسين ألف دينار، ولو عاش لنا بنينا حيطان دارنا بالذهب والفضة.

قال إسحاق: كان لأبي طعام معد أبداً في كل وقت، وذلك أنه كان له في كل يوم ثلاث شياه؛ واحدة مقطعة في القدور، وأخرى مسلوخة معلَّقة، وأخرى حية؛ فإذا أتاه قوم أطعموا ما في القدور، فإذا فرغ، قطعت الشاة المعلقة، ونصبت القدر، وذبحت الحية فعلّقت، وأتي بأخرى وهي حية في المطبخ، وكانت وظيفته وطيبه في كل شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما يجري، وسوى كسوته، ولولا يقع عندنا من الجواري الودائع لإخوانه ثمانون جارية ما فيهن واحدة إلا ويجري عليها الطعام والكسوة والطيب ما يجري لأخصّ جواريه، فإذا ردّت الواحدة إلى مولاها، أوصلها وكساها، ومات وما في ملكته أكثر من ثلاثة آلاف دينار، وعليه من الدين مائة ألف دينار.

---

(١) لإبراهيم الموصلي في الأغاني ٥/ ١٧٧.

قال إسحاق: اشترى الرشيد من أبي جارية بستة وثلاثين ألف دينار، فأقامت عنده ليلة، ثم أرسل إلى الفضل بن الربيع يقول: إنما اشترينا هذه الجارية من إبراهيم ونحن نحسب أنها من بابتنا، فليس كما ظننا، وما قرَّبتها، وقد ثقل عليّ الثمن، وبينك وبينه ما بيننا، فاذهب إليه، وسله أن يحطنا من ثمنها ستة آلاف دينار. قال: فصار إليه الفضل، فاستأذن، فخرج أبي إليه، فتلقاه، فقال له: دعني من هذه الكرامة التي لا مؤنة فيها. لست ممن يحبّ ذلك وقد جئتك في أمر أصدقته عنه، وخبره بالخبر كله، فقال له أبي: إنما أردت أن يبلو قدرك عندي؟ قال: ذاك أراده. قال: فما لي عليه في المساكين صدقة إن لم أضعفه لك. قد حططتك اثني عشر ألف دينار فرجع إليه الفضل بالخبر، فقال له: ويلك احمل إلى هذا ماله، فما رأيت سوقة قطّ أنبل منه نفساً.

/ ٢٣٠/ قال إسحاق: وكنت قد قلت له. ما كان لحطيطة هذا المال معنىً، فقال لي: ياأحمق أنا أعرف الناس به. والله لو أخذت المال منه كاملاً، ما أخذته إلا وهو كاره له، ولحقد ذلك علي، وكنت أكون عنده صغير القدر، وقد مننت عليه وعلى الفضل، فانبسطت نفسه، وعظم قدري عنده، وإنما اشتريت الجارية بأربعين ألف درهم، وقد أخذت بها أربعة وعشرين ألف دينار؛ فلما حمل المال بلا حطيطة دعاني، فقال: كيف رأيت يا إسحاق؟ من البصير أنا أو أنت؟ فقلت: بل أنت جعلني الله فداك.

قال إبراهيم بن المهدي: انصرفت ليلة من الشماسية، فمررت بدار إبراهيم الموصلي، فإذا هو في روشن قد صنع لحنه في(١): [من الطويل]

أَلاَ رُبَّ نَــدْمــانٍ عَــلَــيَّ دُمُــوعُــهُ   تَفِيْضُ على الخَدَّينِ سَحّاً سُجُومُها

فهو يعيده، ويلعب فيه بنغمة، ويكررها لتستوي له، وجواريه يضربن عليه، فوقفت تحت الروشن حتى أخذته، ثم انصرفت إلى منزلي، فما زلت أُعدِّله حتى بلغت فيه الغاية القصوى، وأصبحت، فغدوت، إلى الشماسية، واجتمعنا عند الرشيد، فاندفع إبراهيم، فغناه أول شيء غناه، فلمَّا سمعه الرشيد، طرب، واستحسنه، وشرب عليه، ثم قال: لمن هذا يا إبراهيم؟ فقال: لي يا سيدي صنعته البارحة، فقلت: كذب ياأمير المؤمنين هذا الصوت قديم، وأنا أغنيه، فقال: غنّه ياحبيبي، فغنيته كما غناه إبراهيم، فبُهت إبراهيم، وغضب الرشيد، وقال: يا ابن الفاجرة أتكذبني وتدّعي ما ليس لك، قال: فضلَّ إبراهيم بأسوأ حال؛ فلما صليت العصر، قلت للرشيد: الصوت وحياتك له، ولكنّي مررت البارحة وهو يردده، وجوار يضربن عليه، فوقفت تحت روشنه حتى حفظته.

(١) الأغاني ٥/ ١٨٧.

قال إسحاق؛ قال ابن جامع يوماً لأبي: رأيت في منامي كأني وإياك راكبان في محمل، فسفلتَ حتى كدتَ تلصق بالأرض وعلا الشق الذي أنا فيه، فلأعلونك في الغناء. قال أبي: الرؤيا حق، والتأويل باطل. / ٢٣١/ إني وإياك كنا في ميزان، فرجحت بي، وشالت هنك، وعلوت، ولصقت أنا بالأرض، فلأبقين بعدك، ولتموتن قبلي.

قال إسحاق: فكان كما قال أبي على عليه، وأفاد من أكثر فوائده، ومات ابن جامع قبله، وعاش أبي بعده.

قال مخارق: اشتغل الرشيد يوماً، واصطبح مع الحرم، وأصبحت السماء مغيمة، فقلت: والله لأذهبن إلى أستاذي إبراهيم، فأعرف خبره، فجئت، فدخلت عليه، وهو في رواق له وبين يديه قدور تغرغر، وقناني تزهر، والستارة منصوبة، والجواري خلفها، وبين يديه صينية فيها رطلية، وكو، وكأس. فقلت: ما بال الستارة لست أسمع من ورائها؟ فقال: أقعد ويحك إني أصبحت على الذي ظننت، فأتاني خبر ضيعة تجاورني قد والله طلبتها زماناً، وتمنيتها، فلم أملكها، وقد أعطي بها مائة ألف درهم، فقلت: وما يمنعك منها، فوالله لقد أغناك الله أضعاف هذا المال وأكثر. قال: صدقت ولست أطيب نفساً بأن أخرج هذا المال، قلت: فمن يعطيك الساعة مائة ألف درهم، وما أطمع في ذلك من الرشيد، فكيف بمن دونه؟ فقال: اجلس فخذ هذا الصوت ثم نقّر بقضيب معه على الداة وألقى علي هذا الصوت(١): [من البسيط]

نَامَ الخَلِيُّونَ مِنْ هَمٍّ ومِنْ سَقَمِ ... وبِتُّ مِنْ كَثْرَةِ الأحزانِ في أَلَمِ
يا طالبَ الجُودِ والمعروفِ مُجتهداً ... اعمِدْ ليحيى حليفِ الجُودِ والكَرَمِ

قال: فأخذته وأحكمته، وقال لي: امض الساعة إلى باب يحيى بن خالد، فإنك تجد الناس عليه، وتجد الباب قد فتح، ولم يجلس بعد، فاستأذن عليه قبل أن يصل إليه أحد، فإنه سينكر مجيئك ويقول لك: من أين أقبلت في هذا الوقت؟ فحدّثه بقصدك إياه، وما ألقيت إليك من خبر الضيعة وأعلمه أني صنعت هذا الصوت، وأعجبني، ولم أر أحداً يستحقه إلا فلانة جاريته، وأني ألقيته عليك حتى أحكمته؛ لتطرحه عليها، فسيدعو بها، ويأمر بالستارة، فتنصب، ويقول لك: اطرحه عليها بحضرتي، فافعل، وائتي بما يكون بعدها من الخبر، قال: فجئت باب يحيى، فوجدته كما وصف، / ٢٣٢/ وسألني، فأعلمته ما أحضرني به، وأمرني به، فأحضر

(١) لأبي النضير عمر بن عبد الملك البصري في الأغاني ٥/ ١٩٤.

الجارية، فألقيته عليها، ثم قال لي: تقيم عندنا يا أبا المهنا، أو تنصرف، فقلت: أنصرف، فقال: يا غلام احمل مع أبي المهنا عشرة آلاف درهم، واحمل إلى إسحاق مائة ألف درهم ثمن هذه الصنيعة، فحملت العشرة آلاف درهم معي، فأتيت منزلي، فقلت: أسرّ يومي هذا، وأسرّ من عندي، ومضى الرسول بالمال وبتّ ليلتي؛ فلما أصبحت، غدوت عليه، فوجدته على مثل ما كان عليه، فترنمت وطربت، فلم يتلق ذلك بما يجب، فقلت: ما الخبر؟ ألم يأتك المال؟، قال: بلى، قال: فما خبرك أنت؟ فأخبرته بما وهب لي، فقال: ارفع السجف، فرفعته فإذا عشر بدر، قلت: في أي شيء بقي عليك في أمر الضيعة؟، فقال: والله ما هو إلا أن دخلت منزلي حتى شححت عليها، وصارت مثل ما حويت قديماً، قلت: سبحان الله العظيم، فتصنع ماذا؟ فقال: قم حتى ألقنك صوتاً يفوق ذلك. فقمت، فجلست بين يديه، فألقى عليّ[1]: [من الطويل]

ويفرحُ بالمولودِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ بُغاةُ النَّدى والسيفِ والرمحِ والنَّصْلِ
وتنبسطُ الآمالُ فيهِ لفضلِهِ ولاسيما إنْ كانَ مِنْ وَلَدِ الفَضْلِ

قال مخارق: فسمعت ما لم أسمع مثله قطّ، وصغر عندي الأول، فأحكمته، وقال: امض الساعة إلى الفضل بن يحيى، فإنك تجده لم يأذن لأحدٍ بعد وهو يريد الخلوة مع جواريه اليوم، فاستأذن عليه، وحدّثه بحديثنا الأول من أمس وأمس، وما كان من أبيه إلينا وإليك، وأعلمه أني صنعت هذا الصوت، وكان عندي أرفع منزلة من الصوت الأول الذي وضعته، وأني ألقيته عليك حتى أحكمته، ووجهت بك قاصداً لتلقيه على فلانة جاريته. فصرت إلى الفضل فوجدت الأمر على ما ذكر، فاستأذنت فوصلت إليه، فسألني عن الخبر، فأعلمته بخبري، وما وصل إلي وإليه من المال، فقال: أخزى الله إبراهيم، ما أبخله على نفسه؟ ثم دعا خادماً، وقال له: اضرب الستارة فضربها، فقال: ألقه. فألقيته، فلمّا ألقيته قال: أحسنَ والله أستاذك وأحسنت أنت يا مخارق، ولم أبرح حتى أخذته الجارية، وأحكمته، /٢٣٣/ فسر بذلك، وقال: يا غلام احمل مع أبي المهنا عشرين ألف درهم، واحمل إلى إبراهيم مائتي ألف درهم فانصرفت إلى منزلي بالمال، فنثرت منه على الجواري، وشربت، وسررت أنا ومن عندي؛ فلما أصبحت، بكرت إلى إبراهيم، فوجدته على الحال التي كان عليها، فدخلت أترنم وأصفق، فقال لي: ادن، فقلت: ما بقي؟ فقال: اجلس وارفع سجف هذا الباب، فإذا عشرون بدرةٍ من تلك العشرة، فقلت: ما تنتظر الآن، فقال: والله ما

(١) لأبي النضير في الأغاني ٥/ ١٩٦.

هو إلا حصلت حتى جرى مجرى ما تقدم، فقلت: والله ما أظنّ أن أحداً نال في هذه الدولة ما نلته، فَلِمَ تبخل على نفسك بشيء تمنيته دهرك، وقد ملكك الله أضعافه؟ ثم قال: اجلس فخذ هذا الصوت. فألقى عليّ صوتاً أنساني الأولين[١]: [من الطويل]

أَفـي كُـلِّ يـومٍ أَنـتَ صـبٌّ ولـيـلـةٍ إلـى أُمِّ بـكـرٍ لا يُـفـيـقُ فَـيـقْـصُـرُ
أُحِـبُّ عـلـى الـهِـجْـرانِ أَكـنـافَ بـيـتِـهـا فـيـا لَـكَ مِـنْ بـيـتٍ يُـحَـبُّ ويُـهْـجَـرُ
إلـى جـعـفـرٍ سـارتْ بـنـا كُـلُّ جَـسْـرَةٍ طـواهـا سُـرَاهـا نـحـوَهُ والـتَّـهَـجُّـرُ
إلـى واسـعٍ لـلـمُـحـدثـيـنَ فِـنـاؤُهُ تـروحُ عـطـايـاهُ عـلـيـهـمْ وتُـنْـكـرُ

قال مخارق: فسمعت ما لم أسمع قطّ مثله حسناً، فردده عليّ حتى أخذته، ففعلت مثل ذلك، وخبّرته بما كان منهما، وعرضت عليه الصوت، فسرّه، وأمر خادماً، فضرب الستارة، وأحضر الجارية، وقعد على كرسي، ثم قال: هات يا مخارق، فاندفعت، وألقيت عليها الصوت حتى أخذته الجارية، فقال: أحسنت يا مخارق، وأحسن أستاذك، يا غلام تحمل معه ثلاثين ألف درهم، وإلى الموصلي ثلاثمائة ألف درهم، فصرت إلى منزلي، بالمال، فأقمت ومن عندي مسرورين، نشرب بقية يومنا ونضرب، ثم بكرت إلى إبراهيم، فتلقاني قائماً، وقال لي: أحسنت يا مخارق؛ فقلت: وما الخبر؟، قال: اجلس، فجلست، فقال لمن خلف الستارة: خذوا فيما أنتم فيه، ثم رفع السجف، فإذا المال كاملاً. قلت: فما خبر الضيعة؟ فأدخل يده تحت مسورة، وهي متكاه، فقال: هذا صك / ٢٣٤/ الضيعة. سل عن صاحبها، فوجد ببغداد، فاشتراها منه يحيى بن خالد، وكتب إليّ: قد علمت أنه لا تسخو نفسك بشراء الضيعة بمال يحصل لك، ولو حيزت لك الدنيا كلها، وقد ابتعتها لك من مالي، ثم وجه إليّ بصكها، وهذا المال كما ترى، ثم بكى. وقال مخارق: إذا عاشرت، فعاشر مثل هؤلاء: ستمائة ألف درهم، وضيعة بمائة ألف درهم، وستون ألف درهم لك، حصلنا ذلك أجمع وأنا جالس في منزلي لم أبرح منه، متى يوجد مثل هؤلاء.

قال إسحاق: حضر أبي يوماً عند موسى الهادي، فقال له: يا إبراهيم غنني جنساً من الغناء ألذّه وأطيبه، وأطرب عليه، ولك حكمك، قال: وكنت أراه لا يصغي إلى شيء من الأغاني إصغاءه إلى النسيب والرقيق، فغنيته[٢]: [من الطويل]

وإنِّـي لَـتَـعْـرُونـي لِـذِكـراكِ نَـفْـضَـةٌ كـمـا انـتفضَ الـعُـصْـفورُ بلَّلهُ الـقَـطْرُ

(١) لمروان بن أبي حفصة في ديوانه ٦٠ـ ٦١، الأغاني ٥/ ١٩٧.
(٢) لأبي الصخر الهذلي في الأغاني ٥/ ١٩٩.

فضرب بيده إلى جيب دراعته، فخرقها ذراعاً آخر، وقال: زدني ويلك أحسنت والله، ووجب حكمك، فغنيته: [الطويل]

هجرتُكِ حتَّى قيلَ لا يعرفُ الهَوَى وزرتُكِ حتَّى قيلَ ليسَ لهُ صَبْرُ

فرفع صوته، وقال: أحسنت لله أبوك! هات ما تريد، قلت: يا سيدي عين مروان بالمدينة، فدارت عيناه في رأسه، وقال: يا ابن اللخناء أردت أن تشهرني بهذا المجلس، فيقول الناس أطربه فحكمه، فتجعلني سمراً وحديثاً؟! يا إبراهيم الحرّاني خذ بيد هذا الجاهل إذا قمت، فادخله بيت المال الخاصة، فإن أخذ كلَّ ما فيه، فخلّه وإياه، فدخلت فأخذت منه خمسين ألف دينار.

قال إسحاق: اشترى أبي لجعفر بن يحيى جارية مغنية بمال عظيم، فقال له جعفر: أي شيء تحسن هذه حتى بلغت هذا المال كلَّه، قال: لو لم تحسن شيئاً إلا أنها تحكي قولي[1]: [من الكامل]

لِمَنِ الدِّيارُ بِبَرْقَةِ الرّوحانِ..

لكانت تساوي وزيادة، فضحك جعفر، وقال: أفرطت.

وقال إسحاق: صنع أبي تسعمائة صوت منها دينارية،/ ٢٣٥/ ومنها درهمية، ومنها فلسية، فأما ثلاثمائة، فإنَّه تقدم الناس جميعاً فيها، وأما ثلاثمائة، فشاركهم، وشاركوه، وأما الثلاثمائة الأُخر، فلعب وطرب. وإسحاق بعد ذلك الثلاثمائة الأخيرة، وكان بعد ذلك إذا سئل عن صنعته، قال: تسعمائة صوت.

قال إسحاق غنّى مخارق بين يدي الرشيد صوتاً فأخطأ في قسمته فقال له: أعد فأعاده، وكان الخطأ خفياً، فقلت للرشيد: سيدي قد أخطأ فيه، فقال لإبراهيم بن المهدي: ما تقول فيما ذكره إسحاق؟ قال: ليس الأمر كما قال ولا ههنا خطأ، فقلت له: أترضى بأبي؟ فقال: أي والله. وكان أبي في بقية علّة، فأمر الرشيد، بإحضاره، فجيء به في محفة، فقال لمخارق: أعد الصوت، فأعاده، فقال له: ما عندك ياإبراهيم في هذا الصوت؟ قال: قد أخطأ فيه، فقال: هكذا قال ابنك إسحاق، وذكر أخي إبراهيم أنه صحيح، فنظر إلي، فقال: هاتوا دواة فأُتي بهما فكتب شيئاً لم يقف أحد عليه، ثم قطعه، ووضعه بين يدي الرشيد، وقال لي: اكتب بذكر الموضع الفاسد من قسمة هذا الصوت، فكتبته، وألقيته، فقرأه، وضحك، وقام، فأقرأه بين يدي الرشيد،

(١) صدر بيت في الأغاني ٥/ ٢٠١ وعجزه:
«إذا لا نبيع زماننا بزمانِ»

فعجب، ولم يكن أحد في المجلس إلا قرظ، وأثنى، ووصف. وخجل إبراهيم بن المهدي.

قال إسحاق: غنّى أبي يوماً بحضرة الرشيد هذا البيت[1]: [من الطويل]

سَلِي هَلْ قَلاَني مِنْ عَشِيْرٍ صَحِبْتُهُ وهَلْ ذَمَّ رحْلِي في الرِّفاقِ رَفِيْقُ

فطرب، واستعاده، وأمر له بألف دينار؛ فلما كان بعد سنين، خطر ببالي ذلك الصوت، وذكرت قصته، فغنيته إياه، فطرب وشرب، ثم قال لي: يا إسحاق كأنّ في نفسك ذكر حديث أبيك، وأني أعطيته ألف دينار على هذا الصوت، فطمعت في الجائزة، فضحكت، وقلت: والله يا سيدي ما أخطأت، فقال: أخذ أبوك ثمنه مرة، فلا تطمع. فعجبت من قوله، ثم قلت: يا سيدي قد أخذ أبي منك أكثر من مائتي ألف دينار ما رأيتك ذكرت منها غير هذا الألف على يحيى أنا، فقال: ويحك أكثر من مائتي ألف، فقلت: أي والله! فوجم من ذلك، وقال: أستغفر الله من ذلك. ويحك /٢٣٦/ فما الذي خلف منها، قلت: خلّف منها عليّ ديوناً، فقضيتها، قال: ما أدرى أينا أشد تضييعاً، والله المستعان.

قال إسحاق؛ قال أبي: أتيت الفضل بن يحيى يوماً، فقلت له: يا أبا العباس جعلت فداك، هب لي دراهم، فإن الخليفة قد حبس يده، فقال: ويحك يا إسحاق ما عندي مال أرضاه لك، ثم قال: هاه الا ان ها هنا خصلة. أتانا رسول صاحب اليمن فقضينا حوائجه، ووجه إلينا بخمسين ألف دينار نشتري لنا بها ما نحب، فما فعلت ضيا جاريتك؟ قلت: عندي، جعلت فداك، قال: فهوذا أقول لهم حتى يشتروها منك، فلا تنقصها من خمسين ألف دينار، فقبلت رأسه، وانصرفت، فبكر علي صاحب اليمن، ومعه صديق له فقال: جاريتك فلانة؟. فقلت: عندي، فقال: أعرضها علي، فعرضتها، فقال: بكم؟ قلت: بخمسين ألف دينار لا أنقص منها واحداً، وقد أعطاني بها الفضل بن يحيى أمس هذه العطية، فقال لي: له أريدها، فقلت: أنت أعلم. إذا اشتريتها، فصيرها لمن شئت، فقال لي: هل لك في ثلاثين ألف دينار مسلّمة، وكان شراء الجارية على أربعمائة دينار؛ فلما وقع في أذني ثلاثين ألف دينار، أرتج علي، ولحقني زمع، وأشار علي صديقي الذي معه بالبيع، وخفت والله أن يحدث بالجارية، أو بي، أو بالفضل [حادثة]، فسلمتها وأخذت المال، ثم بكّرت إلى الفضل بن يحيى، فإذا هو جالس وحده؛ فلما نظر إليّ، ضحك، ثم قال لي: يا ضيق الحوصلة، حرمت

---

(١) لقيس بن ذريح في ديوانه ٩٣، وإلى قيس بن ذريح أو مضرس بن قرط الهلالي في الأغاني ٥/ ٢٠٨.

نفسك عشرين ألف دينار، فقلت له: جعلت فداك دع ذا عنك، فوالله لقد دخلني شيء أعجز عن وصفه، وخفت أن يحدث بي حادثة أو بالجارية، أو بك، أو بالمشتري، فبادرت بقبول ثلاثين ألف دينار، فقال: لا ضير يا غلام جيء بالجارية، فقال: خذها مبارك لك فيها، فما أردنا إلا نفعك، لم نرد الجارية؛ فلما نهضت قال لي: مكانك رسول. صاحب أرمينية قد جاءنا، فقضينا حوائجه، ونفذنا كتبه، وذكرنا أنه قد جاءنا بثلاثين ألف دينار يشتري لنا ما نحب، فاعرض عليه جاريتك هذه، ولا تنقصها من ثلاثين ألف دينار، فانصرفت بالجارية/ ٢٣٧/ وبكر على صاحب أرمينية، ومعه صديق لي آخر، فقاولني بالجارية فقلت: لست أنقصها من ثلاثين ألف دينار، فقال معي: عشرين ألف دينار مسلّمة تأخذها. بارك الله لك فيها، فدخلني والله مثل ما دخلني في المرة الأولى وخفت مثل خوفي الأول، فسلمتها إليهم، وأخذت المال وبكرت على الفضل بن يحيى؛ فلما رآني، ضحك، وضرب برجله، وقال: ويحك حرمت نفسك عشرة آلاف دينار، فقلت له: أصلحك الله، خفت والله مثل ما خفت في المرة الأولى، فقال لي: لا ضير، يا غلام جاريته، فجيء بها، فقال: خذها ما أردناها، ولا أردنا إلا نفعك، فلما ولت الجارية صحت بها ارجعي، فرجعت، فقلت: أشهدك جعلت فداءك أنها حرّة لوجه الله، وأني قد تزوجتها على عشرة آلاف درهم كسبت لي في يوم خمسين ألف دينار فما جزاؤها إلا هذا، فقال: وفقت إن شاء الله.

قال: لماصنع أبي لحنه في [(١)]: [من الرمل].

لـيـتَ هـنـداً أنـجـزتـنـا مـا تَـعِـدْ..

خاصمته، وعتبته في صنعته، وقلت له: ما رأيك من ينتقد أنفاسك، ويعيب محاسنك، وأنت لا تفكر، تجيء إلى صوت قد عمل ابن سريج فيه لحناً، فتعارضه بلحن لا يقاربه، والشعر أوسع من ذلك، فدع ما قد اعتورته صناعة القدماء، وخذ في غيره. فقطب، وكنت لا أزال أفاخره بصنعتي، وأحب ما يعاب من صنعته، فإن قبل مني فذاك، وإن غضب داريته، وترضيته. فقال لي: ما يعلم الله أدعكَ أو تفاخرني بخير صوت صنعته في طريقة هذا الصوت؛ فلما رأيت الجدّ منه، اخترت لحني في[(٢)]: [من مجزوء الخفيف]

قُـلْ لـمـنْ صَـدَّ عـاتِـبـا ونَـأى عَـنْـكَ جـانِـبـا

---

(١) صدر بيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٣٢٠، الأغاني ٥/ ٣١٤ وعجزه: «وشفت أنفسنا مما تجد».

(٢) لإسحاق الموصلي في ديوانه ٩٤، الأغاني٥/ ٢١٤.

وكان ما تجاريناه، ونحن نتساير في الصحراء، لنقطع فضل خمارنا، فقال: من تحب أن يحكم بيننا، فقلت: من ترى يحكم؟ قال: أول من يطلع علينا. أغنيه لحني، وتغنيه لحنك. فطمعت فيه، وقلت: نعم، وأقبل شيخ نبطي على حمار له، فأقبل عليه أبي، وقال إني وصاحبي هذا قد تراضينا بك في شيء، قال: وأيّ شيء هو؟ قال: زعم كلّ واحد منا أنه أحسن غناءً من صاحبه، فتسمع مني ومنه، وتحكم بيننا، فقال: على اسم الله، فبدأ أبي فغنّى لحنه، وتبعته/٢٣٨/ ، فغنيت لحني؛ فلما فرغت أقبل علي، فقال: قد حكمت عليك عافاك الله، ومضى، فلطمني لطمة ما مرّ بي مثلها، وسكتُّ فما عدت عليه حرفاً.

قال الرشيد يوماً لجعفر بن يحيى: قد طال إسماعنا هذه العصابة على اختلاط الأمر فيها، فهلمَّ أقاسمك إياها، فأخايرك، فاقتسمنا المغنين على أن جعلنا بإزاء كل رجل نظيره، فكان ابن جامع في حيّز الرشيد، وإبراهيم في حيّز جعفر، وحضر الندماء لمحنة المغنين، وأمر الرشيد ابن جامع بالغناء، فغنّى صوتاً أحسن فيه كل الإحسان، وأطرب الرشيد غاية الإطراب؛ فلما أقطعه قال الرشيد لإبراهيم: هات هذا الصوت، فغنه، فقال: لا والله يا أمير المؤمنين لا أعرفه، وظهر الانكسار فيه، فقال الرشيد لجعفر: هذا واحد، ثم قال لابن جامع: غنّ يا إسماعيل فغنّى صوتاً ثانياً أحسن من الأول؛ فلما استوفاه، قال الرشيد لإبراهيم: هاته يا إبراهيم، فقال: لا والله ما أعرف هذا، فقال: هذان اثنان يا إسماعيل. غنّ يا إسماعيل ثالثاً يتقدّم الصوتين، فغنّى الثالث؛ فلما أدّاه على آخره، قال: هاته يا إبراهيم، فقال: لا والله ما أعرفه، فقال حعفر: أخزيتنا أخزاك الله!. وأتمَّ ابن جامع يومه، والرشيد مسرور به، وأجازه، وخلع عليه، ولم يزل إبراهيم منخجلاً حتى انصرف. قال: فمضى إلى منزله، فلم يستقر حتى بعث إلى محمد المعروف بالرف، وكان من المغنين المحسنين، وكان أسرع الناس أخذاً للصوت، وكان الرشيد وجد عليه في أمر، فألزمه بيته، وتناساه، فقال إبراهيم للرف: إني اخترتك على من هو أحب إليّ منك لأمر لا يصلح له غيرك، فانظر كيف تكون، قال: أبلغ في ذلك محبتك إن شاء الله. فأدّى إليه الخبر، وقال: أريد أن تمضي من ساعتك إلى ابن جامع، فتعلمه أنَّك صرت إليه مهنياً بما تهيأ له علي، وتبتليني، وتشتمني، وتحتال في أن تسمع منه الأصوات، وتأخذها، ولك كل ما تحبّه من جهتي مع رضا الخليفة إن شاء الله. قال: فمضى من عنده، فاستأذن على ابن جامع، فأذن له، فدخل، وسلم عليه، وقال: جئتك مهنياً بما بلغني من خبرك، والحمد لله الذي كشف الفضل عن محلك في صناعتك. قال: وهل بلغك خبرنا؟، قال: هو أشهر من أن يخفى

/ ٢٣٩/ على مثلي قال: ويحك، إنه يقصر عن العنان قال: أيها الأستاذ سرّني بأن أسمعه من فيك حتى أرويه عنك، وأسقط الأسانيد، قال: أقم عندي حتى أفعل. فدعا ابن جامع بالطعام، فأكلنا، وشربنا، ثم بدأ، وحدّثه بالخبر حتى انتهى إلى خبر الصوت الأول، فقال له الرف: وما هو أيها الأستاذ، فغناه ابن جامع، فجعل محمد يصفّق، ويشرب، وابن جامع مشتغل في شأنه حتى أخذه منه، ثم سأله عن الصوت الثاني، فغناه إياه، وفعل مثل فعله الأول، ثم كذلك في الصوت الثالث؛ فلما أخذ الأصوات، وأحكمها، قال له: يا أستاذ قد بلغت ما أحب، فأذن له في الانصراف فانصرف محمد من وجهه إلى إبراهيم، فلما طلع من باب داره، قال: ما وراءك؟ قال: ما تحب، قال: ادع لي بعود فدعا به، فضرب، وغنّاه الأصوات، فقال إبراهيم: هي وأبيك بصورتها وأعيانها، أرددها علي الآن، فلم يزل يردّدها حتى صحّت لإبراهيم، وانصرف محمد إلى منزله، وغدا إبراهيم إلى الرشيد، فلما دعا بالمغنين دخل فيهم؛ فلما بصر به، قال: أو قد حضرت؟ أما كان ينبغي أن تجلس في منزلك شهراً بسبب ما لقيت من ابن جامع؟ قال: ولم ذلك يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك؟ والله لئن أذنت لي أن أقول لأقولن، قال: وما عساك أن تقول؟ قل. قال: إنه ليس لي ولا لغيري أن يراك متعصباً لخير، فيغاضبك، أو يغالبك، وإلا فما في الأرض صوت إلا وأنا أعرفه، فقال له: دع ذا عنك. قد أقررت أمس بالجهالة بما سمعت من صاحبنا. قال: فإن كنت أمسكت عنه بالأمس على معرفة كما يقول، فهاته اليوم، فليست ههنا عصبية، ولا تمييز، فاندفع يغني الأصوات كلها، وابن جامع مصغٍ مستمع له حتى أتى على آخرها، فاندفع ابن جامع يحلف بالإيمان المحرجة أنه ما عَرفها قطّ، ولا سمعها، ولا هي إلا من صنعته لم تخرج إلى أحد غيره، فقال له: ويحك، فما أحدثت بعدي؟ قال: ما أحدث حدثاً. قال: يا إبراهيم بحياتي أصدقني، قال: وحياتك لأصدقنك. رميته بحجر. بعثت محمداً الرف، وضمنت له ضمانات أولها رضاك عنه، فمضى، فاحتال عليه حتى أخذها عنه، ونقلها إليّ وقد سقط الآن عني اللوم بإقراره بأنه ليس على أن أعرف ما صنعه هذا، ولم يخرجه / ٢٤٠/ إلى الناس. وهذا باب من العتب، وإنما يلزمني أن يعرف هو شيئاً من غناء الأوائل، وأجهله أنا، وإلا فلو لزمني أن أروي صنعته، للزمه أن يروي صنعتي، وللزم كلَّ واحد منا لسائر طبقته ونظرائه مثلُ ذلك. فمن قصر عنه كان مذموماً ساقطاً. فقال له الرشيد: صدقت يا إبراهيم، ونصحت عن نفسك، وقمت بحجتك، ثم أقبل على ابن جامع، فقال له: يا إسماعيل أنت أبطل عليك الموصلي ما فعلته به أمس، وانتصف منك. ثم دعا بالرف ورضي عنه.

قال إسحاق: وأصوات ابن جامع هذه الأوّل منها قول قيس بن ذريح[١]: [من الوافر]

بكَيْتُ نَعَمْ بكَيتُ وكُلُّ إلْفٍ إذا ماتَتْ قرينتُهُ بَكَاها
وما فارقتُ لُبْنَى عَنْ مَقَالٍ ولكنْ شِقْوَةً بَلَغَتْ مَدَاها

قال: والثاني منها قول حماد الرواية[٢]: [من المتقارب]

عَفَتْ دارَ سَلْمَى بمقتضى الرغام رياحٌ توارَثُها كُلَّ عامِ
خلاف الحلولِ بتلكَ الطّلولِ وسحْبُ الذّيولِ بذاكَ المقامِ

قال: والثالث منها قول[العباس بن] الأحنف[٣]: [من الكامل]

نَزَفَ البُكاءُ دُموعَ عينِكَ فاستَعِرْ عيناً لغيرِكَ دمعُها مدرارُ
مَنْ ذا يُعيرُكَ عينَهُ تبكي بها أرَأَيتَ عيْناً للبُكاءِ تُعارُ

قال: لما أنشد بشار قول العباس بن الأحنف:

نزف البكاءُ دموعَ عينِكَ..

«البيتين»

قال: لَحِقَ هذا الفتى بالمُحسنين. ما زال يدخل نفسه معنا، ونحن نخرجه حتى قال هذا الشعر.

قال: ولما أنشد الرشيد قول العباس بن الأحنف: [من الكامل]

مَنْ ذا يُعِيرُكَ عينَهُ تبكي بها..

قال: من يعير عينه؟ من؟ لا حاطه الله، ولا كلاه.

قال لإبراهيم بن المهدي، وإبراهيم الموصلي، وابن جامع، وابن أبي الكنّاث باكروني غداً، وليكن كل واحدٍ منكم قد قال / ٢٤١/ شعراً إن كان يقدر أن يقوله يغني فيه لحناً، وإن لم يكن شاعراً، غنّى في شعر غيره.

قال إبراهيم بن المهدي: قمت في السحر، واجتهدت أن أقدر على شيء أصنعه فلم يتفق؛ فلما خفت طلوع الفجر، دعوت غلماني، وقلت لهم: أريد المضي إلى موضع لا يشعر بي أحد حتى أصير إليه، وكانوا في زنيديات لي يبيتون على باب داري،

(١) ديوانه ١١٢، الأغاني ٥/ ٢٢٣.
(٢) الأغاني ٥/ ٢٢٤ .
(٣) ديوانه ١٢٧، الأغاني ٥/ ٢٢٤ـ ٢٢٥.

فقمت فركبت في إحداهما، وقصدت دار إبراهيم الموصلي، وكان قد حدّثني أنه إذا أراد الصنعة، لم تتم حتى يدير ما يحتاج إليه، فإذا قام إلى حاجته في السحر اعتمد على خشبةٍ له في المستراح، فلا يزال يقرح عليها حتى يفرغ من الصوت، ويرسخ في قلبه. فجئت حتى وقفت بحيث مستراحه، فإذا هو يردد هذا الصوت(١):

إذا سُكِبتْ في [الكأسِ] كانَ مِزَاجُها   تَرَى لونَها في جلدةِ الكأس مُذْهَبا
وإنْ مُزِجتْ راعتْ بلونٍ تخالُهُ   إذا ضَمِنَتْهُ الكأسُ بالكأسِ كوكبا
أَبُوها نجاءِ المُزْنِ والكَرْمُ أُمُّها   ولَمْ أرَ زوجاً منْهُ أَشهى وأَطيبا
فجابك صفرا أَشْبَهَتْ غيرَ جنسِها   وما أَشبهَتْ في اللونِ أُمّاً ولا أَبَا

فما زلت واقفاً أسمع الصوت حتى أخذته، ثم غدونا إلى الرشيد، فلما جلسنا إلى الشرب، جاء الخادم لي، فقال يقول لك أمير المؤمنين: يا ابن أمِّ غنني، فاندفعت، فغنيته هذا الصوت، والموصلي في الموت حتى فرغت منه، وشرب عليه، وأمر لي بثلاثمائة ألف درهم، فوثب الموصلي، وحلف بالطلاق، وبحياة الرشيد أن الشعر له قاله البارحة، وغنّى فيه ما سبقه إليه أحد، فقال إبراهيم: ياسيدي فمن أين هو لي لولا كذبه وبهته؟ وإبراهيم يضطرب، ويصيح؛ فلما قضيت أنا من العبث به قلت للرشيد: الحق أحق ما استعمل. وصدقته، فقال الرشيد: أما أخي فقد أخذ المال، ولا سبيل إلى ردّه، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم عوضاً عما جرى عليك، ولو ابتدأت بالصوت، لكان حظك. فأمر بها فحملت إليه.

وذكر أن الرشيد هبّ من نومه في ليلة من الليالي، فدعا بحمار كان يركبه في القصر أسود قريب من الأرض، فركبه، وخرج في دراعة وشْيٍ ملثماً بعمامة وشي، متلحفاً بإزار وشي، وبين يديه أربعمائة خادم بيضاً سوى الفراشين، /٢٤٢/ وكان مسرور الفرغاني جرياً عليه؛ لمكانته عنده؛ فلمّا خرج قال: إلى أين تريد يا أمير المؤمنين في هذه الساعة؟ قال: أردت بيت الموصلي. قال مسرور: فمضى، ونحن معه، وبين يديه حتى أتى إلى منزل إبراهيم فخرج وتلقاه، وقبّل حافر حماره، وقال له: يا أمير المؤمنين أفي هذه الساعة تظهر؟ قال: نعم شوقك بي، ثم نزل فجلس في طرف الإيوان، وأجلس إبراهيم، فقال: يا سيدي أتنشط لشيء تأكل، فقال: نعم حافر ظبي، فأتي به كأنه كان معداً له، فأصاب منه شيئاً يسيراً، ثم دعا بشراب حمل معه، فقال الموصلي: يا سيدي أغنيك أم تغنيك إماؤك، قال: بل الجواري، فخرج جواري

(١) لإبراهيم الموصلي في الأغاني ٥/ ٢٢٩ـ ٢٣٠.

إبراهيم، فأخذن صدر الإيوان وجانبه، فقال: أيضربن كلهنَّ أم واحدة واحدة، فقال: يضربن اثنتان اثنتان، وتغني واحدة واحدة فعلن ذلك حتى مرّ صدر الإيوان، وأخذ جانبيه، والرشيد يسمع ولا ينشط لشيء من غنائهن، إلى أن غنَّت صبية من حاشية الصفة[1]: [من البسيط]

يا مُورِيَ الزَّنْدِ قَدْ أَعْيَيْتَ قادِحهُ اقبسْ إذا شِئْتَ مِنْ قلبي بِمِقباسِ
ما أَقْبَحَ الناسَ في عينيْ وأَسْمَجَهُمْ إِذَا نظرتُ فلَمْ أنظركَ في الناسِ

قال: فطرب لغنائها، واستعاد الصوت مراراً، وشرب أرطالاً، ثم سأل الجارية عن صانعه، فأمسكت، فاستأذناها، فتقاعست، فأمر بها، فأقيمت حتى أقيمت بين يديه، فأخبرته بشيء أسرّته إليه، ودعا بحماره، فركبه وانصرف، ثم التفت إلى إبراهيم، فقال: ما ضرك يا إبراهيم أن لا تكون خليفة؟ فكادت نفسه تخرج حتى دعا به بعد ذلك وأدناه. وكان الذي أخبرته به الجارية أنَّ الصنعة في الصوت لأخته علية، وكانت لها وجهت بها إبراهيم تطارحه.

قال لي إبراهيم؛ قال لي الرشيد يوماً: يا إبراهيم بكر غداً حتى نصطبح، فقلت: أنا والصبح كفرسي رهان، فبكرت، فإذا به خالٍ وبين يديه جارية كأنها خُوط بانٍ، أو جذل عنان، حلوة المنظر، دمثة الشمائل، في يدها العود، فقال لها: غني، فغنت في شعر أبي نواس وهو هذا[2]: [من الطويل]

تَوَهَّمَهُ قلبي فأَصبحَ خدُّهُ وفيهِ مَكانَ الوَهْمِ مِنْ ناظراي أَثَرْ
ومرَّ بفكري خاطِراً فَجَرَحْتُهُ ولَمْ أرَ جسماً قطُّ تجرحُهُ الفِكَرْ
/٢٤٣/ وصافحهُ قلْبي فآلَمَ كفَّهُ فَمَنْ غَمْزِ قلبي في أنامِلِهِ عقر

قال إبراهيم: فذهبت والله بعقلي حتى كدت أفتضح، فقلت: من هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه التي يقول فيها الشاعر[3]: [من الوافر]

لها قلبي الغَدَاةَ وقلبُها لِي فنُحنَ كذاكَ في جَسَدَينِ رُوْحُ

قال: ثم شرب أرطالاً، وسقاها، وقال: غنّ يا إبراهيم، فغنيت حسب ما في قلبي غير متحفظٍ[4]: [من الطويل]

(١) الأغاني ٥/ ٢٣٢.
(٢) لأبي نؤاس في ديوانه ٧٣٠، الأغاني ٥/ ٢٤٠ـ ٢٤١.
(٣) الأغاني ٥/ ٢٤١.
(٤) لإبراهيم الموصلي في الأغاني ٥/ ٢٤١.

تـشـرَّبَ قـلـبـي حـبَّـهـا ومَـشَـى بِـهـا ... تَمَشِّي حُمَيَّا الكأسِ في كفِّ شارِبِ
ودبَّ هَـوَاهـا فـي عِـظـامـي فَـسُـقْـمُـهـا ... كما دَبَّ في الملسوعِ سُمَّ العَقَارِبِ

قال: ففطن بتعريضي، وكانت جهالة مني، وأمرني بالانصراف، ولم يدع بي شهراً، ولا حضرت مجلسه؛ فلما كان بعد شهر دسَّ إليّ خادماً معه رفعة فيها مكتوب[1]: [من الخفيف]

قـدْ تَـخَـوَّفْـتُ أَنْ أَمُـوتَ مِـنَ الـوَجْـ ... ـدِ ولَـمْ يَـدْرِ مَـنْ هَـوَيـتُ لـمـا بِـي
يـا كـتـابـي فـاقـرَ الـسـلامَ عـلـى مَـنْ ... لا أُسَـمِّـي وقُـلْ لـهُ يـا كـتـابـي
إن كـفـاً إلـيـكَ قـدْ كـتـبـتـنـي ... صَـبَّـتْ فـؤادهُ فـي عـذَابـي

فأتاني الخادمُ بالرقعة فقلت: ما هذا؟ قال: رقعة فلانة التي غنتك بين يدي أمير المؤمنين، فأحسَسْتُ بالقصة، فشتمت الخادم، ووثبت إليه ضربته ضرباً شفيت به غيظي، وركبت إلى الرشيد من فوري، فأخبرته بالقصة، وأعطيته الرقعة، فضحك حتى كاد يستلقي، ثم قال: على عمد فعلت ذلك. أردت لأمتحن مذهبك، وطريقتك، ثم دعا بالخادم؛ فلما رآني قال: قطع الله يديك ورجليك. ويلك قتلتني، فقلت: القتل كان بعض حقّك لما وردت به عليّ، ولكني رحمتك، فأبقيت عليك، وأخبرت أمير المؤمنين ليؤدي عقوبتك بما تستحقه، فأمر لي الرشيد بصلةٍ سنية، والله أعلم ما فعلت الذي فعلت عفافاً، ولكنّي خفت.

قال إسحاق: سمعت الرشيد، وقد سأل أبي كيف يصنع إذا أراد أن يصوغ الألحان؟، قال: يا أمير المؤمنين أخرج/ ٢٤٤/ الهم من فكري، وأمثل الطرب بين عيني، فتسنرع لي مسالك الألحان التي أريد، فأسلكها بدليل الإيقاع، فأرجع مصيباً ظافراً بما أريد، فقال: يحقّ لك يا إبراهيم أن تصيب وتظفر، وأن حُسْنَ وصفك مُشاكلٌ لحسنِ صنعتك وغنائك.

قال ثمامة بن أشرس: مررت بإبراهيم الموصلي، ويزيد حوراء، وهما مصطبحان، وقد أخذ بينهما صوتاً يغنيانه، هذا بيتاً، وهذا بيتاً[2]: [من الطويل]

أَيـا جَـبَـلَـي نـعـمـانَ بـالله خَـلِّـيـا ... سبيلَ الصَّبا يخلُصْ إليّ نسيمُها
فَـإنَّ الـصَّـبـا ريـحٌ إذا مـا تـنـسَّـمَـتْ ... على نفسِ مَكْرُوبٍ تجلَّتْ هُمُومُها

قال ثمامة: فوالله ما خلت أنَّ شيئاً بقي من لذات الدنيا بعد ما كنا فيه.

---

(١) الأغاني ٥/ ٢٤٢.
(٢) لقيس بن الملوح في ديوانه ١٩٣، الأغاني ٥/ ٢٤٣.

قال إبراهيم الموصلي، قال لي جعفر بن يحيى يوماً: صِرْ إليَّ حتى أَهب لك شيئاً حسناً، فصرت إليه، فقال لي: أحبُّ أن أهب لك الشيء الحسن الذي وعدتك به، وأرشدك إلى شيء تكسب به ألف ألف درهم، فقلت: بل يُرشدني الوزير ـ أعزّه الله ـ إلى هذا الوجه، فإنه يقوم مقام إعطائه إياي هذا المال، فقال: إنَّ أمير المؤمنين يحفظ شعر ذي الرمّة حفظ الصبي، ويعجبه، ويؤثره، وإذا سمع فيه غناء، أطربه أكثر مما يطربه غيره ممن لا يحفظ شعره، فإذا غنيته وأطربته، أمر لك بجائزة، فقم على رجلك وقبّل الأرض وقل له: لي حاجة غير هذه الجائزة أريد أن أسألها أمير المؤمنين، وهي حاجة تقوم عندي مقام كل فائدة، ولا تضرّه ولا ترزأه، فإنه سيقول لك: أي شيء حاجتك؟ فقل: قطيعة تقطعنيها سهلة عليه، ولا قيمة لها، ولا منفعة لأحد فيها، فإذا أجابك إلى ذلك، فقل له: تقطعني شعر ذي الرمة أغنّي فيه ما أختاره ويَحظر على المغنين جميعاً أن لا يداخلوني فيه، فإني أحبُّ شعره، وأستحسنه، فلا أحب أن يبغضه على أحد منهم، وتوثق منه في ذلك، فقلت هذا القول منه، وما انصرفت إلا بجائزة من عنده مع ذلك توخيت وقتاً للكلام حتى وجدته، فقمت وسألت كما قال لي، فرأيت السرور في وجهه، وقال: /٢٤٥/ ما سألت شططاً قد أعطيتُك ما سألت، فجعلوا يتضاحكون من قولي ويقولون: لقد استضخمت القطيعة، فقلت: ياأمير المؤمنين أتأذن لي في التوقيع، قال: توقع كيف شئت، فقلت: بالله وبحق رسوله وبتربة أمير المؤمنين المهدي إلاّ جعلتني في ثقة من ذلك، بأن يحلف لي بأن لا يعطي أحداً من المغنين جائزة على شيء يغنيه في شعر ذي الرمة، فإن ذلك وثيقتي. فحلف مجتهداً له لئن غناه أحد منهم في شعر ذي الرمة، لا أثابه ولا أبرَّه، ولا سمع غناءه، فشكرت فعله، وقبّلت الأرض بين يديه، فانصرفنا، فصنعت مائة صوت، وزيادة عليها في شعر ذي الرمة، وكان إذا سمع منها شيئاً، طرب وزاد في الطرب، ووصلني، وأجزل، ولم ينتفع أحدٌ منهم غيري، فأخذت والله منه ألف ألف درهم، وألف ألف درهم.

قال: اجتمع إبراهيم الموصلي وزلزل وبرصوما بين يدي الرشيد، فضرب زلزل، وزمر برصوما، وغنّى إبراهيم[1]: [من الوافر]

صَحَا قلبي وزاغَ عَقْلِي ... وأَقْصَرَ باطلي ونَسِيتُ جهلي

رأَيتُ الغانياتِ وكُنَّ ... إليَّ صَرَمْنَني وقَطَعْنَ حَبْلِي

فطرب هارون حتى وثب على رجليه، وصاح: يا آدم لو رأيت من يحضرني اليوم

(١) لأبي العتاهية في الأغاني ٥/٢٥٢، وقد أخلّ بهما ديوانيه.

من ولدك، لسرَّك، ثم جلس، وقال: أستغفر الله!.

قال علي بن عبد الكريم: زار ابن جامع إبراهيم الموصلي، فأخرج إليه ثلاثين جارية، فضربن جميعاً طريقة واحدة، ثم غنين، فقال ابن جامع: في الأوتار وتر غير مستوٍ، فقال إبراهيم: يا فلانة شدّي مَثناك، فشدّته، فعجبت أولاً من فطنته وابن جامع يغنيه.

قال إبراهيم الموصلي؛ قال لي الرشيد يوماً: يا إبراهيم إني قد جعلت غداً للحرم، وجعلت ليلته للشرب مع الرجال، وأنا مقتصر من المغنين عليك، فلا تشغل غداً بشيء، ولا تشرب نبيذاً، وكن بحضرتي وقت العشاء الآخرة. فقلت: السمع والطاعة لأمير المؤمنين، فقال: /٢٤٦/ وحقّ أبي، لئن تأخرت، أو اعتللت بشيء، لأضربن عنقك. أفهمت؟ قلت: نعم، وخرجت، فما جاءني أحد من إخواني إلا احتجبت عنه، ولا قرأت رقعة لأحد حتى صليت المغرب، وركبت قاصداً إليه؛ فلما قربت من داره، مررت بفناء قصرٍ، وإذا زنبيل كبير مستوثق منه بحبال، وأربع عرى أدم، وقد دلّي من القصر، وجارية تنتظر إنساناً قد وعد؛ ليجلس فيه، فنازعتني نفسي إلى الجلوس فيه، ثم قلت: هذا خطأ، ولعلّه يجري بسبب يعوقني عن الخليفة، فيكون الهلاك، ولم أزل أنازع نفسي، وتنازعني حتى غلبتني، فنزلت، وجلست فيه، ومدّ الزنبيل حتى صار في أعلى القصر، ثم خرجت، فنزلت فإذا جوار كأنهنّ المها جلوس، فضحكن، وطربن وقلن: قد جاء والله؛ فلما رأينني من قريب تبادرن عنّي، وقلن: يا عدو الله ما أدخلك إلينا؟، فقلت: يا عدوات أنفسهن ما الذي أردتن إدخاله ولم صار أولى بها مني؟ فلم يزل ذلك دأبنا، وهنَّ يضحكن، وأضحك معهن، ثم قالت إحداهن: أَمَّا من أردنا، فقد فات، وما هذا إلا ظريف، فهلمن نعاشره عشرة جميلة، فأُخرج إليّ طعام، ودعيت إلى أكله، فلم يكن فيَّ فضل إلا أنني كرهت أن أنسب إلى سوء العشرة، فأصبت منه إصابة معذر، ثم جيء بالنبيذ، فجلسنا نشرب، فأخرجن إلي ثلاث جوارٍ لهنَّ، فغنين غناءً مليحاً، وغنَّت إحداهن صوتاً لمعبد، فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر: أحسن إبراهيم. هذا له، فقلت: كذبت ليس هذا له. فقالت: يا فاسق ما يدريك الغناء ما هو؟ ثم غنت الأخرى صوتاً للغريض، فقالت: اللهم أحسن إبراهيم. هذا له أيضاً، فقلت: كذبت يا خبيثة هذا للغريض، فقالت: اللهم أخزه. ويلك ما يدريك، ثم غنت الأخرى صوتاً لي، فقالت تلك: أحسن ابن سريج [هذا] له. قلت: كذبت هذا لإبراهيم، وأنت تنسبين غناء الناس إليه، وغناءه إليهم. قالت: ويلك وما يدريك؟، فقلت: أنا إبراهيم. فتباشرن بذلك جميعاً، وظهرن كلهنَّ لي، وقلن: كتمتنا نفسك،

وقد سررنا. فقلت: أنا الآن أستودعكم الله، فقلن: وما السبب؟ فأخبرتهن بقصتي مع الرشيد، فضحكن وقلن: الآن طاب حبسك علينا، وعلينا إن أُخرجت أسبوعاً، فقلت: هو والله القتل، فقلن: إلى لعنة الله. فأقمت عندهن أسبوعاً لا أزول؛ فلما كان بعد أسبوع، ودعنني وقلن: إن سلَّمك /٢٤٧/ الله، فأنت بعد ثلاثة أيام عندنا. قلت: نعم. فأجلسنني في الزنبيل، وسرحت، فمضيت لوجهي حتى أتيت دار الرشيد، فإذا النداء قد اتسع ببغداد في طلبي، وأن من أحضرني فقد سُوّغ بي، وأُقطع مالي. فاستأذنت، فبادر الخادم حتى أدخلني إلى الرشيد، فلما رآني شتمني، وقال: السيف والنطع. إيه يا إبراهيم تهاونت بأمري، وتشاغلت بالعوام عمّا أمرتك به، وجلست مع أشباهك من السفهاء حتى أفسدت عليَّ لذتي، فقلت: يا أمير المؤمنين أنا بين يديك، وما أمرتَ غير فائت، ولي حديث عجيب ما سمع بمثله قطّ، وهو الذي قطعني عنك ضرورة لا اختياراً، فاسمعه، فإن كان عذراً، فاقبله وإلاّ فأنت أعلم. قال: هاته، فليس ينجيك، فحدثته، فوجم ساعة، ثم قال: إنَّ هذا لعجب. فتحضرني معك هذا الموضع؟ قلت: نعم، وأجلسك معهن إن شئت قبلي حتى تحضر عندهن، وإن شئت على موعد، قال: بل على موعد. قلت: أفعل. قال: انظر. قلت: ذاك حاصل لك متى شئت، فعدل عن رأيه في، وأجلسني، وشرب، وطرب؛ فلما أصبحنا أمرني بالانصراف، وأن أجيئه من عندهن، فمضيت إليهنَّ في وقت الموعد؛ فلما وافيت الموضع إذا الزنبيل معلَّق، فجلست فيه، ومدت الجواري، وصعدت، فلما رأينني تباشرن بي، وحمدن الله على سلامتي، وأقمت ليلتي؛ فلما أردت الانصراف، قلت لهن: إنّ لي أخاً هو عديل نفسي عندي، وقد أحبّ معاشرتكن، ووعدته بذلك، فقلن: إن كنت ترضاه، فمرحباً. فواعدتهن ليلة غد، وانصرفت، وأتيت الرشيد، فأخبرته؛ فلما كان الوقت خرج معي متخفياً حتى أتينا الموضع، فصعدت، وصعد بعدي، ونزلنا جميعاً، وقد كان الله وفقني بأن قلت لهن: إذا جاء صديقي، فاستترن عني وعنه، ولا يسمع لكن نطقة، وليكن ما تخترنه من الغناء، أو تقلنه من قول مراسلة، فلم يتعدين ذلك، وأقمن على أتم ستر وخفر وشربنا شرباً كثيراً، وقد كان أمرني أن لا أخاطبه بإمرة المؤمنين؛ فلما أخذ مني النبيذ، قلت ـ سهواً ـ: يا أمير المؤمنين، فتبادرن من وراء الستارة حتى غابت عنا حركاتهن، فقال لي: يا إبراهيم قد أفلتَّ من أمر عظيم، والله لو برزت لك واحدة منهن؛ لضربت رقبتك. قم بنا، فانصرفنا، فإذا هنَّ له، وقد /٢٤٨/ كان غضب عليهن، فحبسهن في ذلك القصر، ثم ردد بخدم، فردهن إلى قصري، ووهب لي مائة ألف درهم، وكانت الهدايا والألطاف بعد ذلك تأتيني منهن.

قال مخارق: كنا عند الرشيد بعض أيامنا، فغناه ابن جامع، ونحن يومئذ بالرقة[١]: [من الخفيف]

هَاجَ شَوقاً فِرَاقُكَ الأَحبابا فَتَنَاسَيْتَ أنْ نسيتَ الرَّبابا
حينَ صاحَ الغُرابُ بالبَينِ منهمْ فَتَصَامَمْتَ أنْ سمعتَ الغُرابا
لَوْ علمنا أَنَّ الفِراقَ وشِيكٌ ما انتهينا حتَّى نزورَ القِبابا
أَوْ علمنا حينَ استقلَّت نواهُمْ ما أَقَمنا حتَّى نَزُمَّ الرِّكابا

قال: فاستحسنه الرشيد، وطرب عليه، وأعجبه، واستعاده مراراً، وشرب عليه أرطالاً حتى سكر، وما سمع شيئاً غيره، ولا أعجبه، ولا أقبل على أحد، وأمر لابن جامع بخمسة آلاف دينار؛ فلما انصرفنا، قال لي: يا إبراهيم لا ترمْ منزلك حتى أصير إليك. فصرتُ إلى منزلي، فلم أغيِّر ثيابي حتى أعلمني غلامي بموافاته، فلقيته في دهليزي، فدخل، فجلس، وأجلسني بين يديه، ثم قال لي: يا مخارق أنت نسيلة مني. إحساني إليك، وقبيحي عليك، ومتى تركنا ابن جامع على ما ترى، غلبنا على الرشيد، وقد صنعت صوتاً في طريقة صوته الذي غناه أحسن صنعة منه، وأشجى، وإنما نغلبه عند هذا الرجل بصوته، وإلا قطعن علي صوتي، وإذا أطربته، وغلبت عليه بما يأخذه مني قام ذلك مقام الظفر. وسيصبح أمير المؤمنين، ويدخل الحمام غداً، ويحضر، فيدعو بالطعام، ويدعو بنا، ويأمر ابن جامع، فيردّ الصوت الذي غنّاه، ويشرب عليه رطلاً، ويأمر له بجائزة، فإذا غنَّى، فلا ينتظره أكثر من أن يرد ردّته، حتى تغني ما أعلمك الساعة، فإنه يقبل عليك، ويصلك، ولست أبالي أن لا تصلني بعد أن يكون إقباله عليك. فقلت: السمع والطاعة، فألقى علي لحنه في أبيات لابن هرمة وهي[٢]:
[من المنسرح]

يا دارَ سُعْدَى بالجَزْعِ مِنْ ملل حُيِّيْتِ مِنْ دِمْنَةٍ ومِنْ طَلَلِ
إنِّي إذا ما البَخِيْلُ أمنها بانَتْ ضموراً مِنِّي على وَجَلِ
/٢٤٩/ لا أُمتعُ العودَ بالفصالِ ولاَ أَبْتَاعُ إلا قريبةَ الأَجَلِ

وردّده حتى أخذته، وانصرف، ثم بكَّر عليَّ، فاستعاده مني حتى رضيته حتى ركبنا، وأدارسه حتى صار إلى الرشيد؛ فلما دخلنا فعل الرشيد جميع ما وصفه إبراهيم شيئاً شيئاً، وكان إبراهيم أعلم الناس به، ثم أمر ابن جامع، فردد الصوت ودعا برطل،

(١) الأغاني ٥/ ٢٧٧.
(٢) لابن هرمة في ديوانه ١٨٤ـ ١٨٥، الأغاني ٥/ ٢٦٩.

فشربه، فلما استوفاه واستوفى ابن جامع صوته، لم أدعه يتنفس حتى اندفعت، فغنيت صوت إبراهيم، فلم يزل يصغي إليه، وهو باهت حتى استوفيته، فشرب، وقال: أحسنت، لمن هذا الصوت؟ قلت: لإبراهيم. فلم يزل يستدنيني حتى صرت قدام سريره، وجعل يستعيد الصوت، وأعيده حتى شرب أرطالاً، وأمر لإبراهيم بجائزة سنية، وأمر لي بمثلها، وجعل ابن جامع يجيء بالغناء، فيدسه في اسْتَاهِ الصبيان إن كان محسناً، فليغنه هو. والرشيد يقول له: دع ذا عنك، قد والله استفاد منك وزاد.

قال يحيى بن عروة بن أذينة: خرجت في حاجة لي؛ فلما كنت بالسيالة وقفت على منزل إبراهيم بن هرمة فصحت يا إسحاق فأجابتني ابنته: من هذا؟، فقلت: أعلمي أبا إسحاق، قالت: خرج آنفاً. قال، فقلت: فهل من قِرًى فإني مقوٍ من الزاد؟ فقالت: لا والله ما صادفته حاضراً، قلت: فأين قول أبيك:

لا أمتع العودَ بالفِصالِ ولا ... أبتاعُ إلاّ قَريبَةَ الأَجلِ

قالت: فذاك والله أفناها.

قال إسحاق: لما دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة، اشتدَّ أمر القولنج على أبي، ولزمه. وكان يعتاده في الأحيان، فقعد عن الخدمة للخليفة، وعن نوبته في ذلك، وقال في ذلك[1]: [من مجزوء الرمل]

مَلَّ والله طَبيبي ... عَنْ مقاساةِ الذي بِي
سَوْفَ أَبْغِي عَنْ قَرِيبٍ ... لعَدُوٍّ وحَبِيبِ

/ ٢٥٠/ قال: وركب الرشيد حماراً، ودخل يعوده، فوجده، وهو جالس على الأبزن، فقال له: كيف أنت يا إبراهيم؟، فقال له: أنا والله يا سيدي كما قال الشاعر[2]: [من الوافر]

سَقِيمٌ مَلَّ منهُ أقاربوهُ ... وأَسْلَمَهُ المُداوِي والحَمِيمُ

فقال الرشيد: إنا لله، وخرج، فما بعد
حتى سمع الداعية عليه.

قال عمر بن شبة: مات إبراهيم الموصلي في سنة ثمان وثمانين ومائة، ومات في ذلك اليوم الكسائي وابن الأحنف، فرفع ذلك إلى الرشيد، فأمر المأمون أن يصلي عليهم، فخرج، فصفّوا بين يديه، فقال: من هذا الأول؟ قالوا: إبراهيم الموصلي،

(١) لإبراهيم الموصلي في الأغاني ٥/ ٢٦٣.
(٢) الأغاني ٥/ ٢٦٣.

قال: أخّروه، وقدموا العباس بن الأحنف، فقدّم، فصلّى عليهم، وانصرف، ودنا منه هاشم بن عبد الله الخزاعي، فقال: يا سيدي كيف آثرت العباس بالتقدمة على من حضر؟. قال لقوله[1]: [من الكامل]

وسَعَى بها واشٍ فقالوا: إنَّها لَهِيَ الَّتي تَشْقَى بها وتُكابِدُ

ثم قال: أتحفظها؟ قلت: نعم. قال: أنشدني باقيها، فأنشدته:

لما رأيتُ الليلَ سدَّ طريقَهُ عنِّي وعذَّبني الظَّلامُ الرَّاكِدُ
والنَّجمَ في كَبِدِ السَّماءِ كَأَنّهُ أَعْمَى تحَيَّرَ ما لديهِ قائِدُ
ناديت مِنْ طرف قاد بصدّه عمَّا أُعالِجُ وهوَ خلوٌ جاهِدُ
يا ذا الذي صدعَ الفُؤادَ بصدِّهِ أَنْتَ البلاءُ طَريفُهُ والتَّالِدُ
أَلقيتَ بينَ جفُونِ عَيْني فُرْقَةً فإلى مَتَى أَنا ساهِرٌ يا راقِدُ

فقال المأمون: أليس من قال هذا الشعر حقيقياً بالتقدمة؟!، فقلت: بلى ياسيدي.

قال إسحاق: دخلت يوماً إلى الرشيد بعقب وفاة والدي، وذلك بعد وفاته بشهرين، فلما جلست، رأيت موضعه الذي يجلس فيه خالياً، فدمعت عيني، فكفكفتها، وبصرت، فلمحني الرشيد، فدعاني إليه، وأدناني منه، وقبلت يده ورجله والأرض بين يديه، فاستعبر، وكان رقيقاً، فوثبت قائماً، ثم قلت[2]: [من الخفيف]

/٢٥١/ في بَقَاءِ الخليفةِ الميمونِ خَلَفٌ مِنْ مُصيبةِ المَخزُونِ
لا يَصيْرُ المصابُ خلفاً إذا ما كانَ ذا مَفْزَعٍ إلى هارونِ

قال لي: كذلك والله، ولن يفقد من أبيك ما دمت حيّاً إلا شخصه، وأمر بإضافة رزقه إلى رزقي، فقلت: بل تأمر به يا أمير المؤمنين إلى ولده، ففي خدمته له ما يغنيني أنا، فقال: اجعلوا رزق إبراهيم لولده، وأضعفوا رزق إسحاق.

وأما الصوت الذي ذكرت أخبار إبراهيم بسببه والشعر فيه والغناء له، وهو من المائة المختارة فهو[3]: [من مجزوء الرمل]

رُبَّما نبَّهني الإخوانُ والليلُ بَهِيمُ
حِينَ غَارتْ وتدلَّتْ في مَهاويها النُّجومُ
ونُعاسُ الليلِ في عَينَيَّ كالثَّاوي مُقِيمُ

(١) للعباس بن الأحنف في ديوانه ٩٦، الأغاني٥/ ٢٦٤_ ٢٦٥.
(٢) لإسحاق الموصلي في ديوانه ٢٠٢، الأغاني ٥/ ٢٦٨.
(٣) لإبراهيم الموصلي في الأغاني ٥/ ١٦٨.

أَنَــا بَــالــرَّيِّ مُــقِــيــمٌ فــي قُــرَى الــرَّيِّ أَهِــيــمُ
مَــا أُرَانَــا يَــا خَــلِــيــلــي عَــنْ قُــرَى الــرَّيِّ أَرِيــمُ

ومما رثي به إبراهيم الموصلي قول ابنه[1]: [من الطويل]

أيا قبرَ إبراهيمَ حُيِّيْتَ حُفْرَةً ولا زِلْتَ تُسقى الغَيْثَ مِنْ سُبُلِ القَطْرِ
لقد عَزَّني وجْدِيْ عليكَ فَلَمْ تَدَعْ لِقَلبي نَصيباً مِنْ عَزَاءٍ وَلاَ صَبْرِ
وقدْ كنتُ أبكي مِنْ فِراقِكَ ليلةً فكيفَ إذا صارَ الفِرَاقُ إلى الحَشْرِ

وقال أيضاً[2]: [من الطويل]

سلامٌ على القبرِ الذي لا يُجِيْبُنا ونحن نُحيِّي تربَهُ ونُخاطبُهْ
ستبكيهِ أشرافُ الملوكِ إذا رأوا محلَّ التَّصابي قدْ خَلاَ منْهُ جانِبُهْ
ويَبكيهِ أَهلُ الظَّرْفِ طُرّاً كما بَكَى عليهِ أميرُ المؤمنينَ وحاجِبُهْ
ولمَّا بَدَا لِيْ اليأسُ منْهُ وأَبْرَقَتْ عُيونُ بَوَاكيهِ وقَلَّتْ نَوادِبُهْ
وصارَ شِفاءُ النَّفْسِ مِنْ بعْدِ ما بها إفاضَةَ دَمْعٍ تُسْتَهِلُّ كَوَاكِبُهْ
جَعَلْتُ على عَيْنَيَّ للصُّبْحِ عَبْرَةً ولِلَّيلِ أُخرى ما بَدَتْ لي كَوَاكِبُهْ

/ ٢٥٢/ وقال أيضاً[3]: [من الطويل]

عليكَ سَلامُ اللهِ مِنْ قبرِ فاجعٍ وجادَكَ مِنْ نُورِ السِّماكَيْنِ وابِلُ
أَهَلْ أنتَ محيا القَبْرِ أَمْ أَنْتَ سائِلٌ وكيفَ تُحيى تُرْبَةٌ وجَنَادِلُ
أَظَلُّ كأَنِّي لمْ تُصِبْنِيْ مُصيْبَةٌ وفي الصَّدْرِ مِنْ وَجْدٍ عليكَ بَلاَبِلُ
وهَوَّنَ عِنْدِي فَقْدَهُ أَنَّ شَخْصَهُ على كلِّ حالٍ بيْنَ عَيْنَيَّ ماثِلُ

[٧٥]

أبو زكار[4]

رجل أوفى بعهده، ووفى بعَقده، صحب بني برمك، وهم الغيوث السوافح، والبحار الطوافح، فغمروه بالنعماء، ورعوه أكثر مما رعت ابن ثابت، صنائع إلى جفنة

---

(١) لإسحاق الموصلي في ديوانه ١٣٠، الأغاني ٥/ ٢٦٧.

(٢) لإسحاق الموصلي في ديوانه ٨٩، الأغاني ٥/ ٢٦٧.

(٣) لإسحاق الموصلي في ديوانه ١٧٣، الأغاني ٥/ ٢٦٧ـ ٢٦٨.

(٤) أبو زكار الأعمى الطنبوري: رجل من أهل بغداد، ومن قدماء المغنين، وكان منقطعاً إلى آل برمك، وكانوا يؤثرونه ويفضلون عليه أفضالاً.
ترجمته في: الأغاني ٧/ ٢٤٦ـ ٢٤٨.

الكرماء، فلم ينس لهم حسن الصنيع، ويمن الأيام التي ما لا إنجاب عن مثلها الصديع، وكان في أهل الغناء مقدماً، بصيراً مع ما هو عليه من العمى.

قال أبو الفرج: أخبرت عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي أنه قال: سمعت مسرور[اً] الكبير يحدّث أبي، قال: لما أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى، دخلت إليه، وعنده أبو زكار الأعمى الطنبوري يغنيه[1]: [من الوافر].

فَلاَ تَبْعُدْ فَكُلُ فَتًى سَيأْتي ... عليهِ الموتُ يَطْرُقُ أَوْ يُغادِي

فقلت له: في هذا والله أتيتك، وأمرت بضرب عنقك. فضربت عنقه، فقال لي أبو زكار: نشدتك الله إلا ألحقتني به، فقلت له: وما رغبتك في ذلك، فقال: إنه أغناني عما سواه بإحسانه، فما أحب أن أبقى بعده، فقلت: أستأمِر أمير المؤمنين في ذلك؛ فلما أتيت الرشيد برأس جعفر، أخبرته بقصة أبي زكار، فقال: هذا رجل فيه مصطنع، فضمَّهُ إليك، وانظر ما كان جعفر يجريه عليه، فأقمه له.

قال: غنّى علوية يوماً بحضرة إسحاق[2]: [من البسيط]

عَمَّيْتُ أمري على أهلي فَنَمَّ بِهِ ... دَمْعٌ إذا ذكرتْ مكنونَهُ سَفَحا

فقال أبو إسحاق: هذا صوت معروف في العمى، الشعر لبشار الأعمى، والغناء لأبي زكار الأعمى، وأوله: عميت.

وهذا آخر ما يقع عليه الاختيار/ ٢٥٣/ من جامع أبي الفرج الأصفهاني اقتصر فيه على من ذكره من مشاهير الأغاني.

وقد بقيت مدة لا أجد ما أذيل عليه، ولا ما أصله به إلى زماننا هذا، على ما جبرنا عليه في جمع هذا الكتاب، لقلّة اعتناء المتأخرين ولا سيما بهذا الفن الذي فني، ولم يبق من يعانيه أو يسمعه، لرغبة ملوك زماننا فيما سوى هذا، وشواغل أبناء الزمان بالهموم الصادة عن السرور.

ثم ظفرت لابن ناقيا بتأليف جاء في تضاعيفه عَرَضاً ذكر جماعة على ذيل زمان أبي الفرج[3].

ثم اقتطفت من كتب التواريخ والأخبار المقيدة عن أواخر الخلفاء من بني العباس، وبقايا الخلفاء بالأندلس من بني أمية، وأعقاب الملوك والجلة من كل أفق ما

(١) الأغاني ٧/ ٢٤٦.
(٢) الأغاني ٧/ ٢٤٧.
(٣) وهو «أغاني المحدثين» وسمّاه العمري فيما بعد في ترجمة إسرائيل العوّاد رقم (٧٩) «المحدث في الأغاني».

جمعت مفرقة، وألفت ممزقة، ثم أتبعته بما التقفته من ذمار بقية من أهل الاعتناء ممن تأخر بهم الأجل إلى هذا العصر.

وبذلت الجهد فيه حسب الطاقة، وبقيت فيه حتى لم أجد، وأبديت فيه حتى لم أعد؛ فأما نسبة الصوت، فقد أتيت بما قدرت عليه في ذلك، دون ما صدّني عنه العجز عن حال بيني وبينه يقضي أوقات السرور بأهله، على أنني لم أخل محسناً، ولا أهملت حسناً، وكثيراً ما أثنيت عليه طاقة مثلي، ورماني وإخماد حدثان الدهر لجمرتي، وتكديره لصفوة مسرّتي. وبالله أستعين.

ومنهم:

[٧٦]

دليل الطنبوري[١]

كان بدمشق، وأخذ صناعة الغناء عن مشايخها، وتفرَّد بضرب الطنبور، وأتى العراق ولم يجد له بها عظيم نَفَاق، فعاد إلى دمشق، وأقام بها، ونفق على أمرائها، وحضر مجالس سروائها.

ومن مشاهير أصواته: [من الكامل]

ومُكَلَّلٍ بالدُّرِّ والمَرجانِ ... كالوَرْدِ بينَ شَقائقِ النُّعمانِ
أَخَذَ المِرَآةَ وقدْ أرادَ زيارتي ... فَرَأَى مَحاسِنَ وجهِهِ فَجَفانِي

والشعر لأبي تمام[٢].

قال ابن ناقيا: هو في الثقيل الأول من المعلق، وكذلك صوته الآخر في مشطور السريع وهو[٣]: [من الرجز]

/٢٥٤/ وشادِنٍ مُكتحلٍ بِسحْرِ ... أجفانُه سَكْرى بغيرِ خَمْرِ
أَرَقَّ مِنْ رِقَّةِ ماءٍ يجري ... أَمْلَكَ بي مِنِّي وليسَ يَدْرِيْ
ألَيتُ ألاَّ أملَ عنْهُ صَبْرِي ... واسترِدّ ما مَضَى مِنْ عُمْرِي

والشعر لأبي الفرج الوأواء، شاعر شامي مقل إلا أنه مطبوع الكلام، وكان عامياً مقلاً من الأدب، وله عدة مقاطيع يغنّى فيها، وسيأتي ذكره في موضعه.

---

(١) ترجمت له بهامش في أول هذا السفر.
(٢) لم يرد في ديوان أبي تمام.
(٣) للوأواء الدمشقي في ديوانه ١٠٣.

ومنهم:

[٧٧]

عليُّ بن يحيى المنجم[١]

كان من الشعراء الرواة الإخباريين المحدثين للغناء، وكان الأصبهاني شديد الكراهة له. وروى عن إسحاق الموصل، وذكر أكابر أهل الصنعة الحذاق، وأخذ عنهم وطار اسمه في العراق، وهو ممن جرى مع أولئك السبق، وآخرين تلك الألسنة النطق، فجثم لديه أولئك الملأ العقود، وجفّ كل بنان، ويبس على عود.

وكان يعد من ندماء الخليفة، وأهل القرب والإصغاء، كأنما تخيّر أبوه المنجم لمولده الطالع، وختم عليه من خاتم الزهرة بالطابع، فجاء مطبوعاً على الطرب، لو تنحنح أطرب، ولو تكلم بالكلام المألوف لأعرب، لا يلحق إلا بالشمس، أو هي منه أقرب.

ومن مشاهير أصواته: [من الطويل]

ومجدولةٍ جَدْلَ العِنان كَأَنَّما ... سَنَى البَرْقِ في داجي الظَّلام ابتسامُها
ولمَّا التقينا قالتِ: اليومَ فالتمسْ ... سِوَى جلدِها هيهاتَ منْها مَرَامُها
فقلتُ: معاذَ اللهِ أسألُ حاجةً ... أموتُ وتبقى بعْدَ ذاكَ أثامُها
فبتُّ أُثنِّيها عَليَّ كأنَّها ... مِنَ اللينِ سَكْرَى أَوْ عظات عظامُها

والشعر من أناشيد إسحاق، وقد رواه عنه، والصنعة له فيه خفيف ثقيل مشتركان في الإصبع.

---

(١) علي بن يحيى بن أبي منصور، أَبُو الحَسَن المُنَجِّم: نديم المتوكل العباسي. خص به وبمن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد، يفضون إليه بأسرارهم ويأمنونه على أخبارهم، ويجلس بين أيدي أسرّتهم. وكان راوية للأشعار والأخبار، شاعراً محسناً، ولد سنة ٢٠١هـ/ ٨١٦م، وتوفي بسامراء سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م. ورثاه عبد الله ابن المعتز. له كتب، منها «أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلي» و«كتاب الشعراء القدماء الإسلاميين». وكان أبوه «يحيى» فارسي الأصل، أسلم على يد المأمون.

ترجمته في: تاريخ الطبري ٩/ ٢١٦، ٢٢٩، ٢٥٣، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٤، ومروج الذهب ٢٩٧٢، والأغاني ٨/ ٣٦٩، والفهرست ٢٠٥، ومعجم الشعراء للمرزباني ٢٨٦، وتاريخ بغداد ١٢/ ١٢١ـ ١٢٢ رقم٦٥٧٢، والمحاسن والمساوىء للبيهقي ٢٠٩، ومعجم الأدباء ١٥/ ١٤٤ـ ١٧٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٧٣ـ ٣٧٤ رقم ٤٤١، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٨٢ رقم ١٣٨، وسمط اللآلي ٥٢٥، وعيون الأنباء ١/ ٢٠٥، ونور القبس ٣٣٤، والوافي بالوفيات ٢٢/ ٣٠٣ـ ٣٠٧ رقم ٢٢٢، الأعلام ٥/ ٣١، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٦١ـ ٢٨٠هـ) ص٤٠٥ رقم ٤٧٨.

وذكر ابن ناقيا صوتاً لإسحاق بن إبراهيم، وهو[١]: [من الطويل]

وأَبـرزتُـهـا بـطـحـاءَ مـكَّـةَ بَـعْـدَ مـا أَصـابَ الـمُـنـادي لـلـصَّـلاةِ فـأَعْـتَـمَـا

/ ٢٥٥/ فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمسِ حتَّى تبيَّنَت بـعَـسْـفـانَ نَـخْـلاً شـامِـخـاً ومُـكَـمَّـمـا

وذكر أنه غنّى فيه في باب الرمل المزموم، ثم قال: والشعر لأبي دهبل الجمحي[٢]، وكان له ناقة يقال لها العجاجة، زعم العرب أنه لم يكن في زمانها أسير منها، ولا أحسن صورة؟ وفيها يقول هذا الشعر، يصف حسن سيرها.

قال موسى بن يعقوب السندي: أنشدني أبو دهبل قوله:

فما ذَرَّ قرنُ الشمسِ..

فقلت له: ما كنت إلا على الريح، قال: يا ابن أخي إن عمل كان أذاهم فعل، وهي العجاجة.

قال ابن ناقيا: أنشدنا الشريف المرتضى لنفسه إجازة لقول أبي دهبل:

«وأبرزتها بطحاء مكة..»

ونقل الصفة إلى امرأة من أبيات[٣]: [من الطويل]

فَـطَـيَّـبَ رَيَّـاهـا الـمـقـامَ وضَـوَّءَتْ بـإشـراقِ مَـرآهـا الـحَـطِـيـمَ وزَمْـزَمـا

فـيـا ربِّ إنْ لَـقَّـيْـتَ وَجـهـاً تَـحِـيـةً فـحيِّـي وجـوهـاً بـالـمـدينـةِ سُـهَّـمـا

قال، وقال لي بعض أرباب الصناعة: إنَّ أبا عبد الله بن المنجم قد غنّى في هذين البيتين مع بيتي أبي دهبل في هذا المذهب.

ومن قلائده[٤]: [من الخفيف]

---

(١) لأبي دهبل الجمحي في ديوانه ١٠٦ رقم القطعة ٥٥، الأغاني ٣/ ١٠٥ـ ١٠٦.

(٢) أَبُو دَهْبَل الجُمَحي، وهب بن زمعة بن أسد، من أشراف بني جمح بن لؤي بن غالب، من قريش: أحد الشعراء العشاق المشهورين. من أهل مكة. قال المرتضى: هو «من شعراء قريش، وممن جمع إلى الطبع التجويد».

وله مدائح في معاوية وعبد الله بن الزبير، وأخبار كثيرة مع عمرة الجمحية وعاتكة بنت معاوية. في شعره رقة وجزالة. وله «ديوان شعر ـ ط» من رواية الزبير بن بكار. وكان صالحاً. ولاه عبد الله الزبير بعض أعمال اليمن، وتوفي بعُلْيَب (وفي معجم البلدان: عليب، موضع بتهامة) سنة ٦٣هـ/ ٦٨٢م.

ترجمته في: الأغاني طبعة الدار ٧/ ١١٤ـ ١١٥ والمؤتلف والمختلف ١١٧، وأمالي المرتضى ١/ ٧٩، والشعر والشعراء ٢٣٥، والموشح للمرزباني ٧٠، ١٨٩، والعيني ١/ ١٤١، وسمط اللآلي ٣/ ٨٨، الأعلام ٨/ ١٢٥.

(٣) ديوان الشريف المرتضى ٣/ ٢٠٠.

(٤) للشريف المرتضى في ديوانه ٣/ ٢٠١ـ ٢٠٢.

يـا خـلـيـلـيَّ مِـنْ ذُؤَابَـةِ قـيـسٍ فـي الـتَّـصـابـي ريـاضـةُ الأَخـلاقِ
غـنِّـيـانـي بـذكـرِهِـمْ تُـطْـرِبَـانِـي وَاسْـقِـيـانـي دَمْـعِـيْ بِـكـأْسٍ دِهَـاقِ
وخُـذا الـنـومَ مِـنْ جُـفـونـي فـإِنِـي قـدْ خـلَـعْـتُ الـكَـرَى عـلـى الـعُـشَّـاقِ

والشعر لأبي القاسم الشريف المرتضى والغناء فيه مطلق من سادس الهزج. ويقال: إنَّ أخاه الشريف الرضي لما أنشد هذه الأبيات، قال: لقد وهب ما لا يملك لمن لا يقبل.

وحكى ابن ناقيا: أنه كان يحضر مجلس المرتضى شيخ طيب الخلق يُعرف بالقاضي المالكي، ممن يتوكف برّة، ويصف مع إمساكه وشحه، فلما قال المرتضى:

قـدْ خَـلَـعْـتُ الـكَـرَى عـلـى الـعُـشَّـاقِ

قال المالكي: هذا لما تفضّل سيدنا، وخلع. فضحك منه المرتضى، ولم يؤاخذه به.

ومنهم:

[٧٨]

ذرفل بن إخليج/٢٥٦/ بن عبد الملك الأهوازي

كان إذا نطق اهتزَّ المجلس، واعتز المؤنس، وأهزّ القلوب منه المطمع المؤيس، تضع لأصواته كل حلى يده فوق خِلْبه، ويتقلب والشوق حشو قلبه، ولولاه لم يدر كيف يفتت الأكباد، ولا كيف يتحرّك الجماد، ولا كيف يسمع الأذن فيهيم الفؤاد، كان في كل لهاة له ضارب فتر، وكان له في كل نغمة ما لو صدع الحجر لانفطر.

وأكثر أصواته في الزريقي، وما لهج به خلف المتأخرين من أهل الغناء، ومنها: [من مجزوء الكامل]

اشْـرَبْ مُـعَـتَّـقـةَ الـيـهـودِ صِـرْفـاً تَـضَـرَّمُ فـي الـخُـدُودِ
اشـربْ عـلـى تِـفَّـاحَـةٍ قـدْ أَيـنـعـتْ مِـنْ غـيـرِ عُـوْدِ

[مجزوء الكامل]

أَطِـعِ الـهَـوَى وَاعـصِ الأَدَبْ وكـذاكَ يـفـعـلُ مَـنْ أَحَـبْ
لا يَـشْـغَـلَـنَّـكَ شـاغِـلٌ عَـنْ بـنـتِ صـافـيـةِ الـعِـنَـبْ
جـاءَتْ بِـخَـاتَـمِ ربِّـهـا فـافـتـضَّـهـا شـيـخُ الأربْ

ومنهم:

[٧٩]

إسرائيل العوّاد

ذكره ابن ناقيا في غير موضع في كتابه المسمّى بالمحدث في الأغاني، وذكره غيره في المغنيات والمغاني، وطالما ضمَّ إليه العود، فترنَّم مسروراً وترنَّح محبوراً، وتذكر وهو في شعب الأغصان عهداً غير راجع، وزماناً تعلم فيه الضرب من السواجع، فحنَّ حنين المفارق، وشكا فجاوبه كل عاشق، فمهد مجلس أنسه بالترحيب، وأنَّ فساعده كل مغرم بالبكاء والنحيب.

ومن مشاهير أصواته: [من الطويل]

تلفَّتُّ مِنْ داري إلى نَحْوِ دارِكُمْ ... تَلَفُّتَ ضَمآنٍ إلى الموردِ العذْبِ
فلمْ أستطعْ رَدَّ الدموعِ التي جَرَتْ ... ومَنْ ذَا يَرُدُّ الدَّمْعَ مِنْ مُقْلَةِ الصَّبِّ
فيا حسراتِ الشَّوقِ دَمْعِي على الحَشَا ... ويا قلبيَ المكروبَ لا زِلْتَ في كَرْبِ

والشعر لأبي بكر العنبري صاحب أدب منسوب إلى صناعته، وكان يعمل العنابر، وأصله من البصرة، ثم ألف بغداد، وأقام بها، وأحبّها، وفضَّلها على البصرة، وكان/ ٢٥٧/ مذهبه التصرف والإيقاع عن الناس، وله شعر مدون مأخوذ عنه من أصواته: [من الكامل]

أَصبحتَ كالجَمَلِ المُضاعِ زَمانُهُ ... بِكْراً يُلاعِبُ ناقَةً وزِماما
ما هاجَ شَوْقَكَ مِنْ بُكاءِ حَمَامةٍ ... تدعو على فَنَنِ الأراكِ حَمَاما
لَوْلا تَذَكُّرُكَ الأَوَانِسَ بَعْدَ ما ... قَطَعَ المَطِيُّ سَباسِباً وهياما

قال ابن ناقيا: في هذا الصوت من أغاني إسرائيل في هذا المذهب، يعني مذهب صوت إبراهيم الموصلي في شعر مروان بن أبي حفصة[١]: [من الكامل]

طَرَقَتْكَ زائرةً فحيِّي خَيَالَها ... بَيْضاءَ تخلطُ بالحَياءِ دَلاَلَها

قال ابن ناقيا: ولم أسمعه إلا منه؛ يعني من إسرائيل، وممن أخذه عنه، وهو جيد الصنعة وفيه لحن منسوب إلى يحيى المكي من خفيف ثقيل بالبنصر من كتاب أبي الفرج.

والشعر لثابت بن قطنة[٢]، مولى بني أسد بن الحارث بن عتيك، ولقب قطنة؛

---

(١) ديوانه ١٠٣، الأغاني ١٠/ ١٠٢، ١٠٩.

(٢) ثابت قُطْنَة، ثابت بن كعب بن جابر العتكي، من الأزد: من شجعان العرب وأشرافهم في العصر المرواني. يكنى أبا العلاء. له شعر جيد. شهد الوقائع في خراسان (سنة ١٠٢هـ) وأصيبت عينه =

لأنَّ سهماً أصابه في إحدى عينيه، فذهب بها إلى بعض حروب الترك، فكان يجعل عليها قطنة؛ وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية، وكان في صحابة يزيد بن المهلب. ولاه أعمالاً من أعمال الثغور، فحُمِد فيها مكانه لكفاءته وطاعته، وفيه يقول حاجب بن دينار المازني[1]: [من البسيط]

لا تعرفُ الناسُ منهُ غيرَ قُطْنَتِهِ وما سِوَاهُ مِنَ الإنسانِ مَجْهُولُ

ومن قلائد إسرائيل[2]: [من الطويل]

أَما وجَلالِ اللهِ لَوْ تَذْكُرِينَنِي كذِكْرِيْكِ ما نَهْنَهْتِ للعينِ مَدْمَعا
فقلتُ: بلى واللهِ ذِكراً لَوَ انَّهُ تَضَمَّنَهُ صُمُّ الحَصَى لتَصَدَّعا

والشعر للصمّة بن عبد الله القشيري والغناء فيه من خفيف الرمل وسبب قول الصمة ـ هذا فيما رواه الهيثم بن عدي ـ أنه كان يهوى ابنة عم له، فخطبها إلى أبيها، فاقترح مبلغاً شطيطاً من المهر، وذلك من أبيه، فجعل يدافعه، فغضب على أبيه، وركب ناقته، ورحل إلى الثغور، وقال هذين البيتين في قصيدة يصف /٢٥٨/ فيها شوقه إلى ابنة عمه وحنينه إلى وطنه، ولم يرم هناك حتى مات، ذكر ذلك ابن ناقيا وقال: ولعريب المأمونية في ذلك لحن من خفيف الرمل، وقال: فأمّا لحنها في هذا الباب، فمن نقل المحدثين.

وذكر ابن ناقيا له صوتاً: [من مجروء الكامل]

يومٌ أَتاكَ مُبَشِّراً بِسُعودِ جَدِّك حينَ لاحا
اشربْ سُقِيتَ مُدامَةً نُشِرَ العَبيرُ بها فَفَاحا

والشعر لجعفر الكرخي، والغناء فيه خفيف ثقيل المزموم.

وذكر له صوتاً آخر: [من الرمل]

قُلْ لمَنْ يحمِلُ ما حُمِّلْتُهُ مِنْ رَسِيْسِ الحُبِّ إلا ظَلَعا

= فجعل عليها قطنة فعرف بها. ولما غزا أشرس بن عبد الله بلاد سمرقند وما وراء النهر، كان ثابت معه؛ ووجهه في خيل إلى «آمل» لقتال من فيها من الترك، فقاتلهم وظفر، واستمرت وقائعه معهم إلى أن قتلوه سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م. جمع ماجد بن أحمد السامرائي البغدادي، ما وجد من شعره في «ديوان ـ ط» ببغداد.

ترجمته في: الكامل لأبن الأثير/ حوادث سنة ١٠٢، وخزانة البغدادي ٤/ ١٨٥، والمورد ٢/ ٢٢٧. الأعلام ٢/ ٩٨، معجم الشعراء للجبوري ١/ ٣٨٢.

(١) الأغاني ١٤/ ٢٥٨.

(٢) للصمة بن عبد الله القشيري في ديوانه٩٢، الأغاني ٦/ ٩، ١١.

لَمْ يَزِدْني الحبُّ إلا حسرةً ودَوَاعي الشَّوْقِ إلا طَمَعا

والشعر لمهيار بن مرزويه[1]، والغناء فيه من خفيف الثقيل المجنب.

ومن أصواته: [من الكامل]

أَلا رَحِمْتُمْ مَوقِفي بِفِنائِكُمْ مُتَلَدِّداً في دَاءِكُمْ أَتَصَدَّقُ

مُتَحَيِّراً أَبكي إلى مَنْ مَرَّ بي مِثْلَ الغَريقِ بما يَرَى يَتَعَلَّقُ

والشعر مجهول، والغناء فيه من الرمل المجنب.

ومنهم:

[٨٠]

طريف بن مُعلى الهاشمي

من ولد جعفر بن أبي طالب، كان يدّعي هذا النسب، وكان يُطعن عليه فيه، ويُقال زيادة على هذا: إنه لغير أبيه إلا أنه ذو أدبٍ نهض كسبه، ونبض منه عرق مكتسبه، وولع بالقيان واقتنائهن، وسماع غنائهن، ثم دخل في الطرب حتى أخذ بأزمَّته، وتقدم حتى عُدّ من أئمته.

ومن أصواته: [من الطويل]

عَجِبْتُ وقدْ ودَّعتُها كيفَ لَمْ أَمُتْ وكيفَ انثنت يومَ الفِرَاقِ يَدي مَعِيْ

فيا مُقلتي العَبْرَى عليها اسكُبي دَماً ويا كَبِدي الحَرَّى عليها تقطَّعِيْ

والشعر لأبي القاسم كشاجم، والغناء فيه من خفيف الرمل المعلَّق.

ومن أصواته: [من الكامل]

تَعَبٌ يطولُ مَع الرجاءِ لذي الهَوَى خيرٌ لهُ مِنْ راحةٍ في اليَاسِ

/٢٥٩/ لولا كَرَامَتُكُمْ لَمَا عايَنْتُكمْ ولكُنْتُمُ عندِي كبعضِ النَّاسِ

والشعر للعباس بن الأحنف[2]، والغناء فيه من خفيف الرمل المزموم.

ويعرض فيه ما حكاه ابن حمدون النديم. قال: وقع بين عريب المأمونية ومحمد بن حامد شر، وكان يجد بها الوجد كله، ويجد بها مثل ذلك، فلقيته يوماً، فقالت: كيف قلبك يا محمد؟، فقال: أشقى والله ما كان وأقرحه، قالت: استبدل تسلُ، فقال: لو كانت البلوى باختيار، لفعلت، فقالت: لقد طال إذاً تعبك؟ فقال: وما

---

(١) لم ترد في ديوانه.

(٢) للعباس بن الأحنف في ديوانه ١٦٦، الأغاني ٢١/ ٩٥.

يكون؟ أصبر مكرهاً، وأقول بقول الشاعر:

تعبٌ يطولُ معَ الرَّجاءِ.. البيت

فذرفت عيناها، واعتذرت إليه، واعتبته واصطلحا، وعاد[ا] إلى أفضل ما كانا عليه.

قلت: وذكر ابن ناقيا في هذا الشعر صوتاً لعريب.

قال: ومن أغانيها في هذا المذهب أيضاً من كتاب أبي الفرج، فيما يتضمنه في ذكر حالها، أنَّ المأمون لما وقف على خبرها، أمر بإلباسها جبة صوف، وختم زيقها، وحبسها في بيت مظلم، ثم ذكر الحكاية. وقد تقدَّمت ترجمة عريب المأمونية.

ومن أصوات طريف: [من مجزوء الرمل]

حبَّذا الصُّبْحُ تبدَّى والدُّجَى وَحْفُ الجَناحِ
طَلَعَتْ لي فيهِ شمسٌ أَشْرَقَتْ حتَّى الصَّباحِ
فَشَرِبْتُ الرَّاحَ صِرْفاً مِنْ ثَنَايَاكِ الأقاحِ
مِنْ غزالٍ سَرَقَ الخلخالَ عَطْشانَ الوشاحِ

والشعر من المجهول، والغناء فيه مطلق من الطريقة السادسة من الهزج.

ومنهم:

[٨١]

تحفة جارية المعتزّ

أَدّبها ابن المعتز، وخرَّجها، وعلَّمها النحو واللغة، وروّاها الشعر وأيام الناس، وعلَّمها الغناء، وضرب العود، وجمع لها الحذاق من أهل الصنعة حتى أخذت عنهم، وصارت من المجيدات في الصنعة، لا تُلحق في ميدانها ولا تُمارى في نُطْق عيدانها، إلى جمال بارع، وخلال عذبة المشارع، وحسن باهر، وإحسان ظاهر، بوجه نقل بدراً، / ٢٦٠/ وطَرْف ينفث سحراً، وقد يستقلّ غصناً نضراً هذا مع جبين يجني من عناقيد الأصداغ أعناباً، وبنان يقطف من جُناة الحسن عنابا.

ومن مشاهير أصواتها(١): [من البسيط]

خَطْو الرجالِ إلى خَمَّارِ دَسْكَرَةٍ مُسْتعجلٍ بافتتاح الدَّنّ مَحْثُوثِ
تميلُ مِنْ سَكَراتِ الخَمْرِ قامتُهُ كمثلِ ماشٍ على دَفٍ بتَخْنِيْثِ

---

(١) لابن المعتز في ديوانه ٢/ ٦٢.

والشعر لمولاها أبي العباس بن المعتز، والغناء فيه ثقيل أول محمول على نحو صوت إسحاق الموصلي[١]: [من الطويل]

تغيَّرَ لي فيمنَ تغيَّرَ حارثُ وكَمْ مِنْ أَخٍ قدْ غيَّبَتْهُ الحَوادِثُ
أَحارثُ إنْ شُوركتُ فيكَ فَطَالما عَمَرنَا وما بيني وبينَكَ ثالثُ

والشعر لإسحاق أيضاً ذكره ابن ناقيا في كتاب «المحدث في الأغاني».

وكذلك لتحفة جارية أبي العباس صوت في شعر مولاها، وهو: [من مخلّع البسيط]

أَجوزُ جَهْراً بلا حذارٍ خوْفَ رقيبٍ على حَبِيبِ
وذاكَ أنِّي ضَنِيْتُ حتَّى خَفِيْتُ عَنْ ناظرِ الرَّقيبِ

والغناء فيه من محمول الرمل الذي يحصر بالسبابة.

ومنهم:

[٨٢]

إسحاق المنجم

وكان بدراً لا يتأكله المحاق، وجواداً لا يُحاول به اللحاق، وبحراً في كل علم لا يُشبَّه إلا بسميه إسحاق، وكان يتخفى بالغناء تخفي المنهمك في طلب المطالب، ويتكتم تكتم المأمون من أبيه حبّ آل أبي طالب، إلاّ أنه كان تلو أخيه في اتساع الرواية، وارتفاع الراية.

ومن مشاهير أصواته[٢]: [من الكامل]

ما يَستحِي أَحدٌ يُقالُ لهُ نَضَلُوكَ آلُ بُوَيهٍ آوْ فَضَلُوا
فَوقَ السَّماءِ وفوقَ ما طَلَبُوا فإذا أَرادُوا غايةَ نَزَلُوا

والشعر لأبي الطيب المتنبي، والغناء فيه في الهزج والمزموم.

وكذلك صوته[٣]: [من المتقارب]

أَرَى ذلكَ القُرْبَ صار ازْوِرارا وصارَ طويلُ السَّلامِ اختِصارا

---

(١) لإبراهيم بن العباس الصولي في الطرائف الأدبية ١٨٢، والأغاني ١٠/ ٥٥ وفيه لإبراهيم الصولي وقيل لإسحاق الموصلي، ولم يرد في ديوان إسحاق.
(٢) للمتنبي في ديوانه ٣/ ٣٠٩ـ ٣١٠.
(٣) للمتنبي في ديوانه ٢/ ٩٤.

تَـرَكْـتَـنـيَ الـيـومَ فـي خَـجْـلـةٍ أمـوتُ مِـراراً وأَحْـيـا مِـرَارا
/ ٢٦١/ أُسارِقُكَ اللَّحظَ مُسْتَحْيِياً وأَزْجُرُ في الخيلِ مُهْرِي سِرارا
وأَعـلـمُ أنِّـي [إذا] مـا اعـتَـذَرْتُ إلـيـكَ أَرادَ اعـتـذاري اعْـتِـذارا

والشعر لأبي الطيب المتنبي، والغناء فيه ثقيل أول محمول.

قال ابن ناقيا: وفي هذا المذهب[1]: [من المتقارب]

أَقُـولُ وقـدْ أَزْمَـعُـوا لـلـنَّـوَى عَـشِيَّـةَ لـلـبَـيْـنِ حـثُّـوا الـمسـيـرْ
يـعـزُّ عـلـيَّ فِـرَاقـي لـكُـمْ وإنْ كـانَ سَـهْـلاً عـلـيـكُـمْ يـسـيـرْ

ولإسحاق المنجم صوت هو من قلائده وفرائده، وهو[2]: [من السريع]

أَعْـدَدْتُ لـلأعـداءِ خَـيْـفـانَـةً مِـثْـلَ عُـقـابِ الـسَّـرْحَـةِ الـعـادِيْ
وأَسـمـراً فـي رأسِـهِ أَزْرَقٌ مِـثْـلَ لـسـانِ الـحَـيَّـةِ الـصَّـادِي
أَيْـنَ مَـحَـلُّ الـحـيِّ دون الـغَـضَـا خَـبِّـرِ سَـقَـاكَ الـرَّائِـحُ الـغـادِي

والشعر لدعبل، والغناء فيه من الرمل المسرج.

وذكر ابن ناقيا من أصواته في شعر أبي نواس: [من البسيط]

إنْ كُنْتَ لستَ مَعِي فالذِّكرُ منْكَ مَعِي يَرَاكَ قلبي إذا ما غِبْتَ عَنْ بَصَرِي
العَينُ تُبصِرُ مَنْ أَهْوَى وتُعْدَمُهُ وناظرُ القلبِ لا يَخْلُو مِنَ النَّظَرِ

والغناء فيه من الرمل المزموم.

ومن أصوات إسحاق بن المنجم أيضاً[3]: [من البسيط]

نَطْوِي الليالِيَ عِلماً أَنْ سَتَطْوِينا فَشَعْشِعِيْها بماءِ المُزنِ واسْقِينا
ونوحي بكُؤوسِ الراحِ رَاحَتَنا فإنَّما خُلِقَتْ للرَّاحِ أَيْدِينا

والشعر للسري بن أحمد بن السري الرفاء الموصلي[4]، والغناء فيه مطلق من الطريقة الرابعة من الرمل.

---

(١) لدعبل الخزاعي في شعره ١٠٣، الأغاني ٢٠/ ٦٧.
(٢) للمتنبي في ديوانه بشرح العكبري ٣/ ٣٠٩ـ ٣١٠ تحقيق السقا والإبياري.
(٣) ديوان السري الرّفاء ٢/ ٧١٦.
(٤) السَّري الرَّفَّاء، السري بن أحمد بن السري الكندي، أبو الحسن: شاعر، أديب من أهل الموصل. كان في صباه يرفو ويطرز في دكان بها، فعرف بالرفاء. ولما جاد شعره ومهر في الأدب قصد سيف الدولة بحلب، فمدحه وأقام عنده مدة. ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد. ومدح جماعة من الوزراء والأعيان، ونفق شعره إلى أن تصدى له الخالديان (محمد وسعيد ابنا هاشم) وكانت بينه وبينهما مهاجاة فآذياه وأبعداه عن مجالس الكبراء، فضاقت دنياه واضطر للعمل في الوراقة =

وكان السري من شعراء سيف الدولة، فحسده الخالديان، فارتحل إلى بغداد قاصداً حضرة الوزير المهلبي، فارتحلا وراءه، ودخلا على المهلبي، وثلباه، فلم يحظ بطائل، فأقام وراقاً ببغداد إلى أن مات، وسيأتي ذكره إن شاء الله في موضعه.

ذكر أبو بكر الخطيب قال: أنشدني أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الجبار، قال: رأيت في منامي كأني دخلت / ٢٦٢/ دار عضد الدولة ووصلت إلى الصُّفة الكبيرة التي على البستان، فرأيته جالساً في صدرها، وبين يديه أبو عبد الله بن المنجم، وهو يغني، فقال لي عضد الدولة: كيف تراه يغني طيباً؟ فقلت: نعم، فقال: فاعمل له قطعة يغنيها. فانصرفت من حضرته، وجلست على طرف البستان، ومعي دواة وكاغد، لأعمل وبدأت أفكر، فإذا الشيخ قد وافاني من عنده وعليه رداء، فقال: ماذا تصنع؟، قلت: اعمل قطعة لأبي عبد الله بن المنجم يغنّي بها، قال: فنتعاون عليها؟ فقلت: افعل، فقال: إن شئت أن تعمل الصدور وأعمل الأعجاز، فافعل، فبدأت، وقلت: [من الطويل]:

فَبِتْنا وِسَادانا ذِرَاعٌ ومِعْصَمٌ

فقال في الحال:

وعَضْدٌ على عَضْدٍ وَخدٌّ على خَدّ

فقلت:

بكر التَّشاكر في حَدِيثٍ كَأَنَّهُ

فقال في الحال:

تساقط دُرِّ العقد والعَنْبَرِ الهِنْدِي

فقلت:

وقَدْ لَفَّ جِنْدَينا عِناقٌ مُضَيَّقٌ

فقال في الحال:

فلَمْ تَدْرِ عَيْنٌ أَيُّنا لابسُ العِقْدِ

= (النسخ والتجليد) فجلس يورق شعره ويبيعه، ثم نسخ لغيره بالأجرة. وركبه الدين، ومات ببغداد على تلك الحال سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م. وكان عذب الألفاظ، مفتناً في التشبيهات والأوصاف، ولم يكن له رواء ولا منظر. من كتبه «ديوان شعره ـ ط» و«المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ـ ح».

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٠١، ويتيمة الدهر ١/ ٤٥٠ـ ٥٣٠، ومعاهد التنصيص ٣/ ٢٨٠، وتاريخ بغداد ٩/ ١٩٤، وكشف الظنون ١٦١١. الأعلام ٣/ ٨١. معجم الشعراء للجبوري ٢/ ٣٠٦ـ ٣٠٧.

فقلت:

أَضِــنُّ عــلــى بَـدْرِ الــسَّــمــاءِ بِــوَجْــهِــهــا

فقال:

وأَسْـــتُـــرُهُ مِـــنْ أَنْ يُـــلاحِـــظَـــهُ جُـــهْـــدِي

ثم قال: ألست تعلم أن قولك هذا في النوم؟، فقلت: بلى، فقال: كررها حتى تحفظها، وتثبتها إذا انتبهت، ولا تنساها، وأخذ الرقعة بيده، وطفقت أقرأها عليه مرات حتى حفظتها، ثم انتبهت، فعملت لها أولاً مصوغاً وهو:

بِـنَـفْـسـي الـتـي زارتْ بـلا وَعْـدِ تَسِيرُ مِنَ الواشِينَ في غايةِ الأسد

وبعد الأبيات:

إلى أَنْ ثَنَتْ رِيحُ الصَّبا مِنْ خُمارِها فـأَبْـصَـرَ مِـنْـهُ مـنْـهـا حَـمْـدِ
ولَـمْ أَدْرِ أَنَّ الـبَـدْرَ أَمْـسَـى مُـتَـيَّـمـاً يَحِنُّ بِها ما في حَشَايَ مِنَ الوَجْدِ
وكـنـتُ مَـرُوعـاً فـيـهِ يَـنْـضَـحُ سِـرَّنـا ولَمْ أَدْرِ أَنَّ البَدْرَ يفضحُ مَنْ عِنْدِي

ومنهم:

[٨٣]

ابن العلاّف[(١)] نديم المعتضد[(٢)]

وهو أبو بكر الحسن بن علي بن أحمد بن بشار، نديم المعتضد، ومسايس ذلك الأسد، وملاين صعاب تلك العريكة، ومجالس تلك الصمصامة على الأريكة. وكان

(١) ابن العلاف، الحسن بن علي بن أحمد النهرواني، أبو بكر: شاعر عاش في بغداد، ونادم بعض الخلفاء، وكف بصره. وهو صاحب القصيدة في رثاء الهرّ:

«يا هرُّ فارقتنا ولم تعد»

وقيل إنه أراد رثاء عبد الله بن المعتز وخشي من الخليفة المقتدر، فجعلها في الهر. كانت ولادته سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م ووفاته ٣١٨هـ/ ٩٣٠م.

جمع شعره وحققه، صبيح رديف، ط بغداد ١٩٧٤م

ترجمته في: تاريخ بغداد ٧/ ٣٧٨ رقم ٣٩٠٨، واللباب ٢/ ١٥٩، ووفيات الأعيان ٢/ ١٠٧، ٦/ ٢٣٧، والعبر ٢/ ١٧٢، ومرآة الجنان ٢/ ٢٧٧ـ ٢٧٨ وفيه: «الحسن بن علي والبداية والنهاية ١١/ ١٦٦، والوافي بالوفيات ١٢/ ١٦٩ـ ١٧٣ رقم ١٥٠، ونكت الهميان ١٣٩، وغاية النهاية ١/ ٢٢٢ رقم ١٠٠٧، وروضات الجنات ٢١٤، الأعلام ٢/ ٢٠١، معجم الشعراء للجبوري ٢/ ٥٧، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٠١ ـ ٣٢٠هـ)ص٥٥٩ رقم ٣٥٩.

(٢) أحمد بن طلحة بن جعفر، أبو العباس المعتضد بالله ابن الموفق بالله ابن المتوكل: خليفة عباسي، ولد في بغداد سنة ٢٤٢هـ/ ٨٥٧م، ونشأ ومات فيها سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م. كان عون أبيه في حياته =

ممن أجاد في الغناء، وجاء في ألحانه بقطع الروضة الغناء، وكان لا يغني إلا للمتعضد منفرداً، /٢٦٣/ ولا يسمع منه صوت إلا كالماء مطرداً، ولم تنقل أصواته إلا من دفتر كان له دون فيه غناؤه، وعرف به من بعده اعتناؤه[1]:

لَعَمْرُكَ إنِّي في الحياةِ لَزَاهِدٌ وفي العَيْشِ ما لَمْ أَلْقَ أُمَّ حَكيمِ
مِنَ الخَفِراتِ البِيْضِ لَمْ أَرَ مِثْلَها شِفَاءً لِذي بَثٍّ ولا لِسَقِيمِ
ولَوْ شَهِدَتْنا يومَ دُولابَ أَبْصَرَتْ طِعانَ فتًى في الحربِ غيرِ ذَمِيمِ

والشعر لقطري بن الفجاءة، وروي لعمرو القنا، وروى لحبيب بن سهم، وقيل: بل لعبيدة بن هلال اليشكري، ودولاب اسم قرية من أعمال الأهواز، كانت بها حرب الأزارقة وعنبس بن كريز أيام ابن الزبير، والغناء فيه ثقيل أول مزموم.

وذكره ابن خرادذبة، ونسب صنعته إلى المعتضد، وقد نسب إليه عدّة أصوات كثيرة منها في شعر عمر بن أبي ربيعة[2]: [من الطويل]

رأتْ رجلاً أمَّا إذا الشمسُ عارضتْ فيضحى وأمَّا بالعَشِيِّ فَيَخْضَرُ

=
أيام خلافة المعتمد، وأظهر بسالة ودراية في حروبه مع الزنج والأعراب وهو في سن الشباب. وبويع له بالخلافة بعد وفاة عمه المعتمد (سنة ٢٧٩هـ) فحل عن بني العباس عقدة المتغلبين وظهر بمظهر الخلفاء العاملين. ثم جعل يتوجه بنفسه إلى أصحاب الشغب في البلاد فيقمع ثائرتهم. وجعل أمراء الجند مسؤولين عن أعمال أتباعهم.

وكان شجاعاً، ذا عزم، مهيباً عند أصحابه يتقون سطوته ويكفون عن الظلم خوفاً منه .

وفي المؤرخين من يقول: قامت الدولة بأبي العباس وجددت بأبي العباس. يريدون السفاح والمعتضد.

قال ابن دحية: «وهو أحد رجال بني العباس الخمسة، أقام العدل، وبذل المال، وأصلح الحال، وحج وغزا وجالس المحدثين وأهل الفضل والدين. استولى على الخلافة وليس في بيت المال سوى قراريط لا تبلغ دينارين، فأصلح الأمور حتى فضل من ارتفاعه في سني خلافته تسعة عشر ألف ألف دينار» وقال ابن تغري بردي: المعتضد آخر خليفة عقد ناموس الخلافة، وأخذ أمر الخلفاء بعده في الإدبار. وكان عارفاً بالأدب موصوفاً بالحلم إلا في مواضع الشدة. مدة خلافته ٩سنوات و٩أشهر و١٣ يوماً. وكان نقش خاتمه «أحمد يؤمن بالله الواحد».

ترجمته في: النجوم الزاهرة ٣/ ١٢٨ وشذرات الذهب ٢/ ١٩٩ وفوات الوفيات ١/ ٤٥ وابن الأثير ٧/ ١٤٧ـ ١٦٩ والطبري ١١/ ٣٧٣ وما قبلها. والأغاني، طبعة دار الكتب ١٠/ ٤١ وتاريخ الخميس ٢/ ٣٤٣ والنبراس لابن دحية ٩٠ـ ٩٤ وفيه وفاته سنة ٢٨٨هـ. والمسعودي ٢/ ٣٦١ـ ٣٨٢ وتاريخ بغداد ٤/ ٤٠٣ وهو فيه «أحمد بن محمد بن جعفر» والمنتظم، القسم الثاني من الجزء الخامس ١٢٣ـ ١٣٨ وفيه وفاته سنة ٢٧٩هـ، الأعلام ١/ ١٤٠ .

(١) لقطري بن الفجاءة في ديوان الخوارج ١٢٠.
(٢) ديوانه ٩٤.

أَخـا سَـفَـرٍ جَـوَّابَ أَرْضٍ تـقـاذفَتْ بِـهِ فـلَـواتُ فـهـوَ أَشـعـثُ أَغْـبَـرُ
قـلـيـلاً عـلـى ظـهـرِ الـمـطـيَّـةِ ظِـلُّـهُ سوى ما نَفَى عنْهُ الرِّداءُ الـمُـحَبَّرُ

وكان الأصمعي يقول: كان جرير إذا جمع أنشد شعر عمر بن أبي ربيعة قال: هذا شعر تهامي إذا أنجد وجد البرد، حتى سمع قوله هذا، فقال: ما زال هذا القرشي يهذي حتى قال الشعر.

عدنا إلى ابن العلاف.

ومن أصواته في شعره: [من الطويل]

سَرَى طَيْفُ سُعْدَى مَوْهِناً فاسْتَفَزَّ بي هُـبُـوبـاً وصَـحْـبـي بـالـفَـلاةِ رُقُـودُ
ولـمـا انـتـهَـيـنـا لـلـخـيـالِ الـذي سَـرَى إذا الـدارُ قَـفْـرَى والـمَـزَارُ بَـعِـيْـدُ
فقلتُ لعَيني: عاوِدِي النَّومَ واهْجَعِي لَـعَـلَّ خـيـالاً طـارِقـاً سـيـعُـودُ

والبيت الثاني منسوب إلى المعتضد، وباقيه لابن العلاف[1]. وكان ينادم المعتضد، ويشرف في الاجتماع به، ولا يقتصد

وقد حكى أنَّ المعتضد بعث إليه بخادم من خاصته في بعض الليالي، فقال: إنَّ أمير المؤمنين يقول لك: أرقت الليلة، فعملت بيتاً من الشعر، وأرتج عليّ تمامُه.

قال / ٢٦٤/ وأنشد البيت، قال: فأجزته له فمضى، وعاد فقال: أحسنت، ووقع قولك على غرض أمير المؤمنين، وقد أمر لك بجائزة، وها هي فدفعها إليّ فقلت: [من الطويل]

وآخـــر يـــأتـــي رِزْقُـــهُ وهـــوَ نـــائِـــمُ

قال: ثم أمرني، فغنيت فيه، والغناء فيه خفيف الثقيل المزموم.

ومن الأصوات المنسوبة إليه: [من الطويل]

يـا مَـنْ يُـحـاكِـي الـبَـدْرَ عـنْـدَ تَـمَـامِـهِ ارْحَـمْ فـتًـى يَـحْـكِـيْـهِ عِـنْـدَ مُـحَـاقِـهِ
أَوَلـيـسَ مِـنْ إحدى الـعـجـائـبِ أَنَّـنـي فـارَقْـتُـهُ وبَـقِـيْـتُ بَـعْـدَ فِـرَاقِـهِ

والشعر له ويروى لغيره، والغناء فيه من الهزج المحمول، ولغيره فيه غناء: [من البسيط]

أَمـا تَـرَى الـلـيـلَ قَـدْ وَلَّـتْ عَـسَـاكِـرُهُ مهزومةً وجيوشَ الصُّبْحِ في الطَّلَبِ
والـبـدرَ فـي الأُفُـقِ الـغَـرْبـيِّ مَـطْـلَـعُـهُ مِنْ فَوقِ دِجْلَةَ مُنْحازاً إلى الـهَـرَبِ
كـأنَّـمـا هـوَ بـالـحـطِ الـسَّـوِيِّ بـهـا قدْ مَرَّ جسْراً على الشَّطَّينِ مِنْ ذَهَبِ

(١) انظر: شعر ابن العلاف ص٣١.

والشعر لبعض الهاشميين، والغناء فيه في الهزج المجنب، وللمختارين فيه غناء في الرقي المطلق، وفي هذا ذكره ابن ناقيا وقال: وغنّوا في هذا المذهب: [من الوافر]

وخَمَّارٍ أَنَخْتُ إليهِ ليلاً قَلائِصَ قدْ تَعِبْنَ مِنَ النَّهارِ
فَحَمْحَمَ والكَرَى في مُقلتيهِ كمَخْمُورٍ شَكَا أَلَمَ الخُمَارِ
أَبِنْ لي كيفَ صِرْتَ إلى حَريمي وجَفْنُ الليلِ مُكتحِلٌ بِقَارِ
فقلتُ لهُ: ترفَّقْ لي فإنِّي رأيتُ الصُّبحَ مِنْ خَلَلِ الدِّيارِ
فكَانَ جَوَابُهُ أَنْ قالَ: صُبْحٌ ولا صُبْحٌ سِوَى ضَوءِ العُقارِ

ومنهم:

[٨٤]

مؤدب الراضي(١)

مؤدّب ذلك الخلق السمح، ومؤدّي ذلك الكرم الجمّ إلى الصفح، كان يقرّبه محظياً، ويحبّه الراضي مرضياً، ولم يخف أفق جمالٍ هو كوكبه، ولا شرف سماء به

(١) الراضي بالله: محمد ابن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد، أبو العباس، الراضي بالله: خليفة عباسي. ولد سنة ٢٩٧هـ/ ٩١٠م كانت أيام سلفه (القاهر والمقتدر) أيام ضعف امتنع فيها أمراء البلاد عن الطاعة واستقل كثير من الولاة بما كانوا يلون.
ولما ولي الراضي (سنة ٣٢٢هـ) حاول إصلاح الأمر فأعجزه، فكتب إلى محمد بن رائق (عامله على واسط والبصرة والأهواز) يستقدمه إلى بغداد، وقلده إمارة الجيش، وجعله أمير الأمراء، وولاه الخراج والدواوين (سنة ٣٢٤) وتفاقم أمر العمال في الأطراف فلم يبق اسم للخليفة في غير بغداد وأعمالها، فكانت بلاد فارس في أيدي بني بويه، والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في أيدي بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طغج، والمغرب وإفريقيا في يد القائم العلوي، والأندلس في يد الناصر الأموي، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر الساماني، وطبرستان وجرجان في يد الديلم. وهكذا تفككت عرى الدولة في أيام صاحب الترجمة. وختم الخلفاء في عدة صفات، منها أنه آخر خليفة له شعر مدوَّن، وآخر خليفة كان يجيد الخطبة على المنبر يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل إليه الندماء، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وجراياته ومطابخه ومجالسه وخدمه وحجابه على ترتيب أسلافه، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال. مات في بغداد سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م، ودفن في الرصافة. وإليه تنسب الدراهم «الراضوية». وخلافته ٦سنين و١٠ أشهر و١٠ أيام. وكان قصيراً أسمر نحيفاً، في وجهه طول.
ترجمته في: ابن الأثير ٨/ ٨٩ والبداية والنهاية ١١/ ١٩٦ وفوات الوفيات ٢/ ١٨٥ والجداول المرضية ٢١ ومختصر ابن أنجب ٨٠ والخميس ٢/ ٣٥١ والمرزباني ٤٦٥ وتاريخ بغداد ٢/ ١٤٢ وأخبار الراضي والمتقي ١ـ١٨٥ وفيه ديوان شعر الراضي، مرتباً على الحروف. ومروج الذهب ٢/ ٤٠٤ـ ٤١٣ والنبراس ١١٤، الأعلام ٦/ ٧١.

موكبه، وكانت يده تسحّ عليه سجالاً، وتمرّ عليه عجالى، وكان في علم النغم عالماً لو اهتدى إليه الأوائل، لما ذكر قائل.

ومن أصواته: [من البسيط]

قالتْ بِعادُكَ مِنْ رَبِّي يُقَرِّبُني وفي دُنُوِّكَ أَخْشَى النارَ والعَارا
/ ٢٦٥/ إذا قضيتَ لنا ما مِنْكَ نَأْمُلُهُ فاستغفِرِ اللهَ تلقى اللهَ غَفَّارا
قالتْ: لقدْ بَعُدَ المسرى فقلتُ لها مِنْ عاجلِ الشوقِ أَنْ يستبعدَ الدارا

والشعر فيه قديم، والغناء فيه من خفيف الرمل المزموم.

وله صوت في شعر الواثق، وكان قد صنع فيه الواثق لحناً، ولم ينقل محفوظاً وهو هذا: [من البسيط]

لمَّا استقلَّ بأردافٍ تُجاذِبُهُ واخْضرَّ فوقَ حِجابِ الدُّرِّ شاربُهُ
كلَّمتُهُ بجفُونٍ غيرِ ناطقةٍ فكانَ مِنْ ردِّها ما قالَ حاجِبُهُ

والغناء فيه من الهزج المزموم.

ومنهم:

[٨٥]

أبو سعد بن بشر العطار الطنبوري المعروف بغلام الديلمي

إمام هذه الصناعة، وكم من كميٍّ كاد به الطنبور أن يبيت بحرق العود، ويزمر المزمار، وإن أعطى نغمة من آل داود، وكان لا يعدل طرب صوت وتره الفصيح، وصوت ترسه الصحيح، وشدو أوتاره التي لو جيئت بها القسي، لكانت لها تناهز، ولما قيل فيها وقد ترنمت ثكلى أوجعها الجنائز.

ومن أصواته: [من المديد]

رنَّةُ الدّولابِ في السَّحَرِ واصطلاح النَّاي والوَتَرِ
تَرَكَتْني جارَ مِعْصَرَةٍ لا أُفِيْقُ الدَّهْرَ مِنْ سُكُرِيْ

والشعر لأبي الحسن عاصم بن الحسن بن عاصم، والغناء فيه مطلق من الطريقة الرابعة، وهي الرمل.

ومنهم:

[٨٦]

مسكين بن صدقة المديني[١]

مولى قريش، ومكمل طيب كل عيش، وكان من صفو الحياة وطيبها، ولذادة أيام العمر ونصيبها، لو بات يسمع السليم لألهاه، أو يشغل الكئيب لأسلاه، كان أنساً للجليس، ونفساً للخندريس، وشمساً للندماء بل أين الشمس منه لمن يقيس.

ومن أصواته: [من الكامل]

يا وَيحَ مَنْ لعبَ الهَوَى بحياتِهِ ... فَأَماتَهُ مِنْ قَبْلِ حينِ مَمَاتِهِ
وحياةِ مَنْ أَهْوَى فإنِّي لمْ أَكُنْ ... أَبداً لأَحْلِفُ كاذِباً بحياتِهِ
لأُخالِفَنَّ عَوَاذِلِي في لَذَّتِي ... ولأُسْعِدَنَّ أُخَيَّ في لَذَّاتِهِ

والشعر لأبي العتاهية[٢]، والغناء فيه مطلق من الرمل.

وقد ذكر ابن ناقيا في هذا المذهب صوتاً: [من الكامل]

/٢٦٦/ اللهُ يعلمُ ما هَمَمْتُ بسَلْوَةٍ ... الدَّمْعُ يحلِفُ والعَوَاذِلُ تَشْهَدُ
وعليَّ مِنْ ذِكْرَى عُهودِكِ آمِرُ ... ينهى الفُؤَادَ عَنِ السُّلُوِّ ويُبعِدُ

قال: والشعر لأبي محمد بن معروف القاضي.

ثم قال: وحُكي أن بعض الرؤساء عتبه على قول الغزل، فحجّه ذلك، فقال له: من الذي يقول؟

الدمعُ يحلفُ والعواذلُ تشهدُ

غيرك؛ فإن هذه صفة مجلس الحكم.

ومنهم:

[٨٧]

بديع بن محسن بن عبد الرحمن

من ولد عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي الشاعر كجده الشارع سبيلاً

---

(١) مسكين بن صدقة: مولى لقريش من أهل المدينة، كان مليح الغناء طيب الصوت، كثير الرواية، صالح الصنعة، من أكثر الناس نادرة وأخفهم روحاً، وأشدهم طمعاً وألحهم في مسألة، وكان له ابن يقال له صدقة يغني وليس من المعدودين، وابن ابنه أحمد بن صدقة الطنبوري، أحد المحسنين من الطنبوريين وله صنعة جيدة. وأبو صدقة من المغنين الذين أقدمهم هارون الرشيد من الحجاز في أيامه.

ترجمته في: الأغاني ١٩/ ٣٠٣ـ ٣١٣.

(٢) أخل بها ديوانه، وهي لبعض شعراء الحجاز في الأغاني ١٩/ ٣٠٢.

لودّه، كان مع نظم القريض، وعظم شرفه المستفيض، مبرّزاً في صناعة الغناء، قيماً بألحانها، منعماً في صنوف ريحانها، كأنما جاء في عصر أردشير، وأخذ عن الموابذة الزمزمة بالأساطير، أو تعلم ما يقرب به كيقباذ، وزمزم به أنوشروان حول كروم طيزناباذ، فسلب حلي فارس، وجنى من شجرٍ لم يكن به بغارس.

ومن أصواته: [من المتقارب]

سَهِرتُ اغتنامَ ليالي الوِصالِ لعلميْ بها أنَّها تَنْفَدُ
فقالَ وقدْ رقَّ لي قلبُهُ وأيقنَ أنِّي بِهِ مُكْمَدُ
إذا كنتَ تسهرُ ليلَ الوِصالِ وليلَ الصُّدودِ متى ترقُدُ؟

والشعر مجهول، والغناء فيه مطلق من الرمل.

ومن أصواته: [من مخلع البسيط]

نَكْهَتُكَ العَنْبَرُ الفُتَاتُ وريقُكَ البارِدُ الفُراتُ
وعارضاكَ اللَّذانِ رَاقَا لمَّا بَدَا فيهما النَّباتُ
وحيث ما كنتَ مِنْ بلادٍ فَلِي إلى وجهِكَ التفاتُ

والشعر يروى للشريف الرضي(١)، والثالث معروف له، والغناء فيه من مجهول الرمل الذي يحصر بالسبابة.

ومن أصواته: [من الخفيف]

ليْ حبيبٌ تَسُوءُ فيهِ الظُّنُونُ ليسَ لي في هَوَاهُ دَمْعٌ مَصُونُ
قالَ لي: كيفَ كانَ حالكَ بَعْدِي قلتُ مِثْلي بأيِّ حالٍ يكونُ

والشعر مجهول، والغناء فيه من خفيف الرمل المعلّق.

/ ٢٦٧/ ومنهم:

[٨٨]

غصُون جارية المتقي(٢)

شمس كلل، وطراز حلل، ورضيً وإن سميت بغضوب، وبدراً وإن عوجلت

(١) لم يرد في ديوانه.

(٢) المتقي بالله، إبراهيم بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق بن المتوكل، أبو إسحاق: خليفة عباسي ولد سنة ٢٩٧هـ/ ٩١٠م. ولي الخلافة بعد موت أخيه الراضي بالله (سنة ٣٢٩هـ) ودامت خلافته أربع سنين إلا شهراً وأياماً، كان فيها المسيطرون على الملك في أيام =

بغروب، ولم تُعرف إلا بعد المتقي، وامتداد أجلها الشقي، وكانت على عهده لا يتعرف عنها مخبراً، ولا يبلغ ريح الصبا عنها خبراً، وكانت من المهرة الحذاق، والجواري اللائي لم يلحقن إلا فتنة للعشاق.

ومن أصواتها: [من الكامل]

أَوْفَى على بَدْرِ السَّماءِ بحُسْنِهِ وزَهَا على الشَّمْسِ المُنيرَةِ إذْ زَهَا
وإذا أَرَادَ تَنَزُّهاً في روْضَةٍ أَخَذَ المِرَاةَ بكَفِّهِ فتَنَزَّها
فكَأَنَّما أَعْطَاهُ خالقُهُ المُنى وحَبَاهُ مِنْ حُلَلِ المَلاحَةِ طُرْزَها

والشعر مجهول والغناء فيه من الرمل المسرح.

ومن أصواته الطائرة[1]: [من الوافر]

فقلتُ لها ظَلُومُ مَطَلْتِ دَيْنِي وشَرُّ الغارِمِيْنَ ذَوُو المِطَالِ
فقالتْ: ويحَ نفسي كيفَ أَقْضِي غريماً ما ذهبتُ لَهُ بِمالِ

والشعر لكثير بن عبد الرحمن ـ صاحب عزَّة ـ والغناء فيه من الرمل المزموم.

وكذلك صوتها في شعر ابن المعتز[2]: [من الوافر]

شَجَاني صَوْتُ مُسْمِعَةٍ وراحُ يُباكِرُني إذا بَرَقَ الصَّبَاحُ
ومَعْشُوقُ الشَّمائِلِ عَسْكَرِيٌّ جَنَى قتْلَى وليسَ لهُ سِلاحُ
كأنَّ الكأسَ في يدِهِ عَرُوسٌ لها مِنْ لؤلؤ رَطْبٍ وِشَاحُ
وقائلةٍ متى يَفْنَى هَوَاهُ فقلتُ لها: إذا فُنِيَ المِلاحُ

وكذلك صوتها: [من الطويل]

أَلا أَيُّها الظَّبْيُ الذي مَلَّ مِنْ قُرْبِي أَبِنْ ليْ فَدَتْكَ النَّفْسُ باللهِ ما ذَنْبِي

= سلفه مسيطرين عليه، غير أنه وفق لاستبدال أشخاص بأشخاص. وكان موصوفاً بالصلاح والتقى، يقول: نديمي المصحف. وفي أيامه تولى إمارة الأمراء «توزون» التركي (سنة ٣٣١هـ) وخافه المتقي فخرج بأهله من بغداد عاصمته إلى الموصل ومنها إلى الرقة. وتوزون يأمر وينهى. وفي سنة ٣٣٣هـ بعث إلى توزون يستأمنه، فأقسم له بالأمان، فركب الفرات وبلغ السندية فقبض عليه توزون وخلعه، وسمل عينيه، وجيء به إلى بغداد، فسجن وهو أعمى إلى أن مات سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٨م.

ترجمته في: مختصر أخبار الخلفاء لابن الساعي ٨١ وتاريخ الخميس ٢/ ٣٥٢ وفيه: «كان أبيض أشهل كث اللحية». والنبراس ١١٩ ومروج الذهب ٢/ ٤١٢ـ ٤٢٠ وتاريخ بغداد ٦/ ٥١ وأخبار الراضي والمتقي ١٨٦ـ ٢٨٥ والفوات ١/ ٤، الأعلام ١/ ٣٥.

(١) لكثير عزة في ديوانه ٢٩١. (٢) ديوانه ٢/ ٧٣ـ ٧٤.

فـإنْ كـانَ ذَنْـبي أَنَّـني بـكَ ذا ضَـنًى   فـلا غَـفَـرَ الـرحـمـانُ ذلـكَ مِـنْ ذَنْـبِي

والشعر مجهول، والغناء فيه من الزريقي المطلق.

وبهذا ذكرت شعراً كنت قلته وهو: [من الطويل]

تَـصُـدِّيـنَ عـنِّـي والـفُـؤادُ مُـعَـذَّبُ   ومـا كـنـتُ يـومـاً عَـنْ وُدَادِكِ رَاغِـبـا
لـئِـنْ كـانَ ذَنْـبِـي أَنَّـنِـي لَـكِ عـاشـقٌ   فَـعُـذِّبْـتُ بـالـهِـجْـرانِ إنْ جِـئْـتُ تـائـبـا

/ ٢٦٨/ ومنهم:

[٨٩]

معمر بن قطامي بن خالد الدمشقي

كان بدمشق من أطرب شحاريرها، وأطيب على مجاري تلك المياه من أصوات خريرها، أقام طول عمره يؤخذ عنه الغناء، وتأليف ضروبه، وتصنيف غريبه، وإتقانه على حسن ترتيبه، فكان لا يثبت سامعه، ولا يماثل به معبد، ولا أبو الفرج، وما حواه جامعه.

ومن أصواته: [من مجزوء الكامل]

يـا راحِـلاً جَـعَـلَ الـفِـرا   قَ لِـبُـعْـدِهِ سَـبَـبَ الـتَّـلاقِـي
قَـدْ كـانَ سـاه فَـضَـمَّـنِـي   ضَـمَّ الـمُـوَدِّعِ لـلـفِـرَاقِ
قـدْ كـانَ صَـدَّ فـحـيـنَ وا   صَـلَـنـي عـلـى غـيـرِ اتِّـفـاقِ
عـانـقـتُـهُ وبـكَـيْـتُ مِـنْ   جَـزَعِـي لِـمـا بَـعْـدَ الـعِـنـاقِ

والشعر لأبي القاسم المطرّزي، والغناء فيه من المطلق في الرمل.

ومن أصواته: [من المتقارب]

مـريـضُ الـجُـفـونِ بـلا عِـلَّـةٍ   مُـكْـتَـحِـلُ الـطَّـرْفِ لَـمْ يَـكْـتَـحِـلْ
شَـكَـا حُـسْـنُـهُ قُـبْـحَ أَفْـعَـالِـهِ   فَـأَثَّـرَ فـي وجـنـتَـيـهِ الـخَـجَـلْ
أَقِـلِّـي الـمَـلامَ ولا تَـعْـذَلِـي   فـفـي ذا الـغَـزَالِ يـطـيـبُ الـغَـزَلْ

والشعر لنصر بن أحمد الأرزي[١]، والغناء فيه في رابع الرمل.

---

(١) نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصري، أبو القاسم: شاعر غزل، علت له الشهرة. يعرف بالخُبْز أَرُزِّي (أو الخبز رزي) وكان أمياً، يخبز «خبز الأرز» بمربد البصرة في دكان. وينشد الأشعار في الغزل، والناس يزدحمون عليه ويتعجبون من حاله. وكان «ابن لنكك» الشاعر ينتاب دكانه ليسمع شعره، واعتنى به وجمع له «ديواناً» وانتقل صاحب الترجمة إلى بغداد، فسكنها مدة، وقرىء عليه ديوانه. وأخباره كثيرة طريفة.

=

وكذلك صوته: [من الطويل]

وخَبَّرَنِي عَنْ مجلسٍ كنتِ زَيْنَهُ رسولٌ أمينٌ والنساءُ شُهُودُ
فقلتُ لها: كرِّي الحَدِيْثَ الذي مَضَى وذِكْرَكِ مِنْ بينِ الحديثِ أُرِيْدُ

والشعر للعباس بن الأحنف[1]، والغناء فيه خفيف الرمل المزموم.

قال ابن ناقيا: ومنهم في هذا المذهب: [من الطويل]

وكنتُ وأيامُ المَزَارِ رَخِيَّةٌ عليَّ ورُخْصُ الوُدِّ لِي فيكِ مَطْمَعُ
أَعِزُّ فَلا أُعْطِي الهَوَى فيكِ حَقَّهُ مِنَ الشُّكْرِ والمعْطى مع الحقِّ يمنعُ
فلمَّا استردَّ الدهرُ منِّي عَطَاءَهُ وكادَتْ شعابٌ مِنْ هَوَايَ تَقَطَّعُ
فَعُدْتُ مَعَ الهِجْرَانِ أَبْكِي على الهَوَى وأَسأَلُهُ عَنْ فائِتٍ كَيْفَ يرجِعُ؟

ومنهم:

[٩٠]

تحفة

جارية أبي محمد /٢٦٩/ الحسن بن عيسى بن المقتدر، وكانت تغني غناء المقتدر، وتسرع أول المغاني وتبتدر، وتذهب في أصواتها مذهب الأوائل، وتجلب القلوب بلقائه الشمائل. تسلي عن هوى مي ذا الرمة، وتنسي هوى زينب بشاراً الأكمه، تعاود بها لهزم شابه، ويعيد حبّها زمان يزيد وحبابة.

ومن أصواتها: [من مجزوء الرمل]

يا بَدِيعاً أُلبِسَ السُّقْـ ـمُ بِهِ جِسْماً بَدِيْعا
إنَّ صَبْرِي وعَزَائِي هَلَكَا فيكَ جَمِيعا

والشعر مجهول، والغناء فيه في الطريقة الرابعة من الرمل.

= توفي سنة ٣٢٧هـ/ ٩٣٩م، حقق ديوانه الشيخ محمد حسن آل ياسين ونشره في مجلة المجمع العلمي العراقي (ج١/ مج٤٠ـ ج٢/ مج٤١).
ترجمته في: المنتظم ٦/ ٣٢٩ والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٧٦ وهو فيهما من وفيات سنة ٣٣٠ وشذرات الذهب ٢/ ٢٧٦ في وفيات سنة «٣١٧» كما في وفيات الأعيان ٢/ ١٥٣ إلا أن هذا بعد أن أرخه سنة «٣١٧» قال: «وتاريخ وفاته فيه نظر، لأن الخطيب ذكر في تاريخه أن أحمد بن منصور النوشري سمع منه سنة ٣٢٥». وتاريخ بغداد ١٣/ ٢٩٦ واللباب ١/ ٣٤٣ ويتيمة الدهر ٢/ ١٣٢ وإرشاد الأريب ٧/ ٢٠٦ـ٢٠٨ وعليه اعتمدت في تاريخ وفاته، الأعلام ٨/ ٢١.

(١) أخل بها ديوانه، وهي في الأغاني ١٠/ ٢٢٤ لعلية بنت المهدي.

وكذلك صوتها ـ في بحر المنسرح ـ وهو: [من المنسرح]

هَلْ لَكَ في خَمْرَةٍ مُشَعْشَعَةٍ تَضْحَكُ في كَأسِها لشارِبِها
كأنَّما الماءُ حين خالطها يلعبُ بالنَّرْدِ في جَوانبِها

وكذلك صوتها: [من الطويل]

لَقَدْ قَتَلَتْ عَيناكَ نفساً كريمةً فلا تَأمَنَنْ إنْ مُتُّ سَطْوَةَ ثائِرِ
كَأنَّ فؤادي في السّماءِ مُعَلَّق إذا غِبْتَ عِنْ عَينِي بِمخْلَبِ طائِرِ

والشعر لابن المعتز(١)، والغناء فيه في خفيف الرمل المحمول فيه.

ومنهم

[٩١]

بحبه جارية أبي يعقوب

وكانت تخلف القمر إذا غاب، وتخلب السالي وقد فارق زمان الشباب، تبتسم عن سِمْطَي جُمان، وتقرن تفاح خدودها من النهود برمان، وكان حسنها المفرط يأبى أن يصان، وصوتها المطرب لا تحكيه الحمائم على الأغصان.

ومن أصواتها: [من مجزوء الرمل]

أخِ مِنْ حُبِّكِ آخ آخِ مِنْهُ لا بَرَاحْ
إنَّما يَتَّمَ قلبي عِقْدُ دُرٍّ ووِشَاحْ

والشعر للوليد بن يزيد(٢)، والغناء فيه مطلق في الطريقة الرابعة من الرمل.

وكذلك صوتها: [من مجزوء الكامل]

هُبُّوا إلى حَلَبِ الكُرُ مِ مِزَاجُهُ حَلَبُ السَّحابِ
فالدَّهْرُ يركُضُ فاركُضُوا رَكْضَ المَشِيبِ إلى الشَّبَابِ
ودَعُوا العِتابَ فإنَّهُ وَقْتٌ يَجِلُّ عَنْ العِتَابِ

/٢٧٠/ والشعر مجهول والغناء فيه في خفيف الرمل المسرَّح.

ومنهم:

(١) ديوانه ٣/ ٢٨٠.

(٢) لم يرد في ديوانه بتحقيق عطوان، والصمد.

[٩٢]

أبو العزّ العوّاد

واسمه نصر الله بن أحمد، ويعرف بالبصري، وكان شاعراً مغنيا، ونديماً، معينا، حاذقاً في صناعته، نافقاً في سوق بضاعته، جيد الصوت، مليح النغم، صحيح الضرب، مذهبه مذهب الزط في الحركة والخفة في المقاطع، وصحة الإيقاع.

قال ابن ناقيا: وله غناء في عدة قطاع من شعره، ومن أصواته في شعر نفسه: [من الطويل]

جَعَلْتُكَ لي عَيناً وأُذْناً لأَنَّني ... أَرَاكَ بعينِ الوُدِّ أَشْرَفَ مِنْهما
وأَسأَل عَنْ القلبِ الذي لا يَحِلُّهُ ... سِوَاكَ لِتَدْرِي ما يَجِنُّ فَتَرْحَمَا

والغناء فيه في الرمل المزموم.

ومنهم:

[٩٣]

عينُ الزمان، أبو القاسم

مطرب لو غنّى للجهام لهتن، أو للسالي الغرام لأثار له الفتن، بضرب أشجى من الورقاء، وأشدّ حنيناً من قلب المحب للقاء، لو سمعته صخرة الوادي، لتفجرت، أو مقلة القاسي، لجرت.

وله أصوات منها: [من الكامل]

سَتَرَتْ بنفسجَ صُدْغِها بنقابِها ... وحَمَتْهُ بالتَّطْرِيْفِ مِنْ عُنَّابِها
بَدَوِيَّةٌ أَلفاظُها ولِحَاظُها ... والرُّومُ تَسْتَولِي على أَنْسابِها
سَرَقَ الجَمَالَ بحُمْرَةٍ في خَدِّها ... خَجَلاً فَكَادَ يَفِيْضُ ماءُ شَبَابِها

والشعر لأبي الوليد أحمد بن محمد البخاري، والغناء فيه مزموم.

قال ابن ناقيا: أنشدني إياه عنه أبو محمد الحسن بن سهل بن خلف. شيخ من مشايخنا، مليح العارضة والمحاضرة، قد لقي جماعة من العلماء وروى عنهم الأحاديث والأسانيد. وكان قد صحب الإخوان، وعرف الزمان، وحلب الدهر أشطره، وأتلف باللذة تالده في معاشرة من عاشره، حتى سلب الشيب غرامه، وجلله ثغامه، فأيقظ حلمه، وألقى بين عينيه غرمه، فكان يحضر مجالس الأنس تعللاً، لا حظَّ له في غير السماع والمشاهدة والمحادثة والمناشدة. فبينا أنا وجماعةٍ / ٢٧١/ من أبناء الأدب

حضور عند بعض الرؤساء على مذاكرة ومعاقرة، والشيخ قد انتظم في سلك اجتماعنا، ونثرت الأغاني عقودَها في أسماعنا، قال الشيخ: بيوم من أيام الشبيبة قد حضر مجلساً كمجلسكم هذا آهلاً من الأدب والطرب وطرأ إلينا أبو البخاري، فأخذ في شأننا، ولم يأل في إنشادنا، وكان مطبوع الخلق، محتملاً للدعابة، فقلت له مازحاً: دعنا من أقطاعك الباردة، فقال: هل لك في الإنصاف؟، فقلت: أجل، فأنشد أبياته المذكورة، وقال: أمن الشعر البارد هذا؟ قلت: لا والله، وجعلت أعتذر إليه، وتعاطى روايتها جماعة الحاضرين شغفاً بها، واقترحها على بعض المغنين فغنّى فيها، وتصرّم يومنا بسماعها حتى أخذ منا الشراب فيا له يوماً كأيام. ثم نطقت إشارته بالتأسف على ما مضى من زمانه، فقلنا له: نحن نتمم لك الحلفً من يومك السالف باقتراح الغناء في الأبيات، وإليك ما يقتضيه سماعها، وتقدمنا إلى أبي القاسم عين الزمان وهو حاضر، وكان له مذهب في حسن الإيقاع، وجودة الاختراع، فغنّى بها في هذا اللحن، فطار المجلس بأهله سروراً وطرباً، وقام الشيخ الخلفي يصفق بيده، ثم قال: والله لأؤدين هذا الصوت بنقض التوبة. وتناول كأساً، فشربها، فدخلنا العجب مما رأينا من ارتياحه وطربه، وصار الصوت من قلائد عين الزمان وخاص غنائه، يسميه ناقض التوبة.

ومنهم:

[٩٤]

أبو العُبَيس بن حَمْدون

متقن للألحان، مؤثر في الألقاب تأثير بنت الحان، لو تغنّى لمغنى لأزال عنه النصب، أو عاد لعوده لمشفٍ لأزال عنه الوصب، أو وقع على دفٍ لأغناه عن موصول القصب، يطرب السمع، ويرقص في المجلس حتى الشمع، يعرض دونه العريض، ويرى علوية وقد انكسر لخفض جناحه المهيض[1]: [من الطويل]

فَـدَيْـتُـكِ أَعْـدَائـي كـثـيـرٌ وشُـقَّـتـي ... بَـعِـيْـدٌ وأَنـصـاريْ لَـدَيْـك قَـلِـيـلُ
وكُـنْـتُ إذا مـا جِـئْـتُ جِـئْـتُ بِـعِـلَّـةٍ ... فَـأَفْـنَـيْـتُ عِـلاَّتِـي فـكَـيْـفَ أَقُـولُ
فَـمَـا كُـلَّ يـوم لِـي بـأَرْضِـكِ حـاجَـةٌ ... ولا كُـلّ يـوم لِـي إلـيـكِ رَسُـوْلُ

/ ٢٧٢/ والشعر ليحيى بن طالب الحنفي، ويروى لابن الدمينة، والغناء فيه ثقيل أول مزموم.

---

(١) لابن الدمينة في ديوانه ١٨٧.

وكذلك من قلائد أصواته: [من الخفيف]

بـأبـي أَنْـتَ شـادِنـاً بِـيَ فـظَّـا ... لـمْ تَـدَعْ لـلـظِّـبـاءِ عِـنْـدِيَ حَـظَّـا

لـسـتُ أَنـسـاكَ مـا حَـيِـيـتُ ولـكـنْ ... كُـلَّ يـوم تَـزِيـدُ عِـنْـدِي وتَـحْـظَـى

والشعر مجهول لا يعرف قائله، والغناء فيه ثاني ثَّقيل المخبب.

وقد روى له المأمون صوتاً: [من الطويل]

لَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي على النأْيِ تنطَوِيْ ... وعَيْـني عـلـى فَقْـدِ الـحَبِيْـبِ تَـنَـامُ

وفـارقْـتُ حـتَّـى مـا أُبـالـي مِـنَ الـنَّـوَى ... وإنْ بـانَ جِـيـرانٌ عَـلـيَّ كِـرَامُ

والشعر للطرماح(١)، ويروى لمؤرج السدوسي(٢)، والغناء فيه من الممخر من خفيف الثقيل.

ومنهم:

[٩٥]

جَيْداء جارية سيف الدولة بن حمدان(٣)

وكانت أخت الغزالة محاسن، وشبه الغزال في نظر فاتن، إلى سرٍّ فيها كامن، وسرى طرب يحرّك كل ساكن، وخلائق كان نشر الضباء دمثها، وكأن هاروت أو ماورت نفسها، لو اعترضت لسرية عبس، لأوقفتها عن السرح، أو سمعتها أذن بلقيس، لألهتها عن الصرح، ولو تلمحت عن وجهها الأسارى، لقالت إنه صرح ممرد من قوارير.

---

(١) لم يرد في ديوانه.

(٢) وفيات الأعيان ٥/ ٣٠٥.

(٣) سيف الدولة الحمداني، علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الربعي، أبو الحسن، سيف الدولة: الأمير، صاحب المتنبي وممدوحه. يقال: لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع بباب سيف الدولة من شيوخ العلم ونجوم الدهر! ولد في ميافارقين (بديار بكر) سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م، ونشأ شجاعاً مهذباً عالي الهمة. وملك واسطاً وما جاورها. ومال إلى الشام فامتلك دمشق. وعاد إلى حلب فملكها سنة ٣٣٣هـ، وتوفي فيها سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م ودفن في ميافارقين. أخباره ووقائعه مع الروم كثيرة. وكان كثير العطايا، مقرباً لأهل الأدب، يقول الشعر الجيد الرقيق، وقد يُنسب إليه ما ليس له. وهو أول من ملك حلب من بني حمدان. وله أخبار كثيرة مع الشعراء، خصوصاً المتنبي والسري الرفاء والنامي والببغاء والوأواء وتلك الطبقة. ومما كتب في سيرته «سيف الدولة وعصر الحمدانيين ـ ط» لسامي الكيالي.

ترجمته في: يتيمة الدهر ١/ ٠٨ ٢٢، ووفيات الأعيان ١/ ٣٦٤ وزبدة الحلب ١/ ١١١ـ ١٥٢، الأعلام ٤/ ٣٠٣ـ ٣٠٤.

ومن مشاهير أصواتها: [من المنسرح]

يا طُولَ شَوْقِي إلى الرَّحيْلِ غَدَا ويا بَلاَئِيْ منْهُ إذا وَفَدَا
أَضْنانِيَ الحُبُّ إذْ تَعَرَّضَ بِيْ ما قَتَلَ الحُبُّ هكذا أَبَدَا

والشعر لسيف الدولة، ويقال لغيره، والغناء فيه ثقيل أول مزموم.

وكذلك من أصواتها: [من الخفيف]

لكَ أَنْ تَمْنَعَ الجُفُونَ الهُجُوعا ولنا أَنْ نَسُحَّ فيها الدُّمُوعا
يا بَدِيعَ الجَمَالِ أَبْدَعْتَ في الصَّدِّ كما في هَوَاكَ صِرْتُ بَدِيعا

والشعرلعلي بن محمد العلوي(١).

قال ابن ناقيا: ويُغنى في الرمل المطلق، وحكي أنّها كانت تنافث العلماء، وتطارح الشعراء، وكانت لا تزال تحضر مجلس سيف الدولة وراء سترٍ يُسبل دونها، وهي بإزاء عين سيف الدولة حيث ينظر، /٢٧٣/ فلما أقام أبو الطيب المتنبي لديه ماثلاً، وأنشد في مدحه قائلاً قصيدته التي أولها(٢): [من الطويل]

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ ما تَعَوَّدا وعاداتُ سيفِ الدولةِ الطَّعْنُ في العِدَا

اهتزت من وراء الستر طرباً، وصنعت لحناً في قوله منها:

تَركْتُ السُّرَى خَلْفِي لمنْ قَلَّ مالُهُ وأَنعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنُعْمَاكَ عَسْجَدا
وقَيَّدْتُ نفسِي في هَواكَ مَحَبَّةً ومَنْ وَجَدَ الإحسانَ قَيْداً تَقَيَّدَا
إذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيْمَ مَلَكْتَهُ وإنْ أَنْتَ أَكرمتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

والغناء فيه رمل مطلق فلم يفرغ أبو الطيب من إنشادها حتى فرغت من صنعه، ثم بعثت بالخادم إلى سيف الدولة تعلمه أنها صنعت لحناً فيه، فصرف الناس إلا خاصته، وأبقى أبا الطيب منهم، ثم قال: يا جيداء هاتِ ما صنعت، فاندفعت تغني الأبيات،

---

(١) علي بن محمد بن جعفر، أبو الحسين، العلوي الكوفي الحِمَّاني: شاعر، من أهل الكوفة. كان منزله فيها ببني حمدان فنسب إليهم. وكان وجيه الكوفة في عصره، وبها وفاته سنة ٣٠١هـ/ ٩١٤م. حبسه الموفق العباسي ثم أطلقه. وكان يقول: أنا شاعر وأبي شاعر، إلى أبي طالب، كلهم شعراء. وكان شعره مجموعاً في «ديوان» يظهر أنه بقي حتى القرن التاسع: وذكره صاحب هدية العارفين ولم يعرف مصيره.
جمع الدكتور محمد حسين الأعرجي شعره وحققه ونشر في «ديوان» ط دار صادر ـ بيروت ١٩٩٨.
ترجمته في: سمط اللآلىء ٤٣٩، الأعلام ٤/ ٣٢٤.

(٢) ديوان المتنبي ١/ ٢٨١.

قال أبو الطيب: فوالله ما ظننت إلا أنَّ المجلس يرقص بنا فاستعادها، ثم لم يزل يستعيدها، وهي ترددها، حتى مضت سحابة يومنا، وكأننا في كل مرة أول ما سمعناه، ثم أمر لي سيف الدولة بجائزة جليلة، فقلت: هي والله يا أمير أحقّ بها. فسألتك بالله إلا جعلتها لها، فقال: بل هي لك ولها مثلها.

ومن أصواتها السيارة في شعر ابن المعتز[1]: [من الوافر]

وليلٍ قدْ سَهِرتُ ونامَ فيهِ ... نَدامى صُرِّعُوا حَوْلِي رُقُودا

أُنادِمُ فيهِ قَهْقَهَةَ القَنَانِي ... ومِزْماراً يُعَلِّلُنِي وَعُودَا

فكادَ الليلُ يَرْجُمُنِي بنَجْمٍ ... وقالَ: أَرَاهُ شيطاناً مَرِيْدا

والغناء فيه من الرمل المزموم.

وقد ذكر الثعالبي في اليتيمة لهذه جيداء خبراً مع سيف الدولة وأبي فراس بن حمدان قريبة غير أنه لم يسمعها.

قال[2]: وكان سيف الدولة قلما ينشط لمجلس الأنس لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش وملابسة الحروب، وممارسة الخطوب، فوافت حضرته إحد [ى] المحسنات من فتيات بغداد، فتاقت نفس أبي فراس إلى سماعها ولم ير أن يبدأ باستماعها قبل سيف الدولة، فكتب إليه يحثه على استحضارها، فقال[3]: [من السريع]

مَحَلُّكَ الجَوْزاءُ أو أَرْفَعُ ... وصَدْرُكَ الدَّهناءُ أو [أَوْ]سَعُ

/٢٧٤/ وقلبُكَ الرَّحْبُ الذي لَمْ يزلْ ... للجِدِّ والعَزْلِ بِهِ مَوْضِعُ

رَفِّهْ بِقَرْعِ العُوْدِ سَمْعاً غَدَا ... قَرْعُ العَوَالي جُلَّ ما تَسْمَعُ

فبلغت هذه الأبيات المهلبي الوزير فأمر القيان بحفظها وتلحينها وصار لا يشرب إلاّ عليها. انتهى.

ولعلَّ هذه جيداء، وكان هذا قبل أن يشتريها سيف الدولة، أو لعلَّها جارية أخرى قدمت عليه ولم يصر إليه.

ومنهم:

[٩٦]

القاسم بن زُرْزُر

ذكره ابن ناقيا: وشكره حقيقة لا رياء، وإذا غنّى سلّى الحزين فجعه، وسلب

---

(١) ديوانه ٢/ ٩١ـ ٩٢.

(٢) يتيمة الدهر ١/ ٣٦.

(٣) ديوان أبي فراس الحمداني ١٦٤.

الحَمام سجعه، وغرغر في المآقي دمعة المشوق، ومثل للمفارق طعنة المعشوق. كم هزَّ غصن بان، وأنسى المتيم الشغف من بان، وكان يغني في رسيل وآلة.

ومن أصواته المشهورة: [من الطويل]

وركبٍ كأَطْرافِ الأسِنَّةِ عَرَّسُوا　　على مِثْلِها والليلُ تسطو غياهِبُهْ
لأمرٍ عليهمْ أنْ تَتمَّ صُدُورُهُ　　وليسَ عليهمْ أنْ تتمَّ عَوَاقِبُهْ

والشعر لأبي تمام[1] في قصيدة يمدح بها عبد الله بن طاهر، وهو على خراسان.

قال ابن ناقيا: وحكي أنه لما أنشده إياها، أمر فنثر عليه ألف دينار، ثم حمل إليه الجائزة بعد ذلك، والغناء فيه ثقيل مزموم.

ثم قال: وفي هذا المذهب في بحر المديد: [من المديد]

يا نَدِيمي الصُّبحُ قدْ وَضَحَا　　فأَدِرْ لا تَبْخَسِ القَدَحَا
ما تَرَى بَرْدَ الهَوَى عقباً　　بنَسِيمِ المِسْكِ قدْ نَفَحَا

وهذا البيت الثاني في نحوه ما يأتي من شعر قلته، ونحن في مجلس قد ركب على نهر مطّرد كأنه أَيمٌ فرَّ من يد قاتله، أو اضطرب في خوف مخاتله، والدَّوح قد مالت ذوائبه، والنسيم قد رقَّ ولان جانبه، والليل قد جلل الأفق مسكيُّ رادته، وبلَّلَ مطارف الثرى بأندائه، والقمر قد أقبل على طوق هالته، وجلا ضوؤه المنير حالك حالته: [من البسيط]

/٢٧٥/ للهِ مَجْلِسُنا والنهر مُطَّرِدٌ　　كأَنَّهُ مُمْعِنٌ قدْ جَدَّ في الهَرَبِ
والدُّوْحُ قدْ مالَ مهتزٌ بلا طَرَبٍ　　فكيفَ لوْ حرّكتْهُ نشوةُ الطَّرَبِ
وللنسيمِ بنا أَخْذٌ نَلَذُّ بِهِ　　كأنَّما أَخْذُهُ الوسنانَ بالهُدُبِ
هَذَا وقدْ ذرَّ مِسكُ الليلِ جنحَ دُجًى　　لولا نَوَافِحُهُ في الليلِ لَمْ يَطِبِ
وعندَنا كلُّ ذي وُدٍّ نُسَرُّ بِهِ　　هُوَ السُّرُورُ فَدَعْ مِنْكَ ابنَةَ العِنَبِ
وأَقْبَلَ البَدْرُ مَحْفُوظاً بِهالَتِهِ　　كمِثْلِ بيضاءَ في طَوْقٍ مِنَ الذَّهَبِ

عُدنا إلى ذكر زُرْزر. ومن أصواته: [من مجزوء الكامل]

يا عَيْنُ ما ظَلَ الفُؤَا　　دُ وما تعدَّى في الصَّنيعِ
ذَوَّقتِهِ أَلَمَ الهَوَى　　فَمَحَا سَوادَكِ بالدُّمُوعِ

والشعر مجهول، والغناء فيه من الممخر من ثاني ثقيل.

(١) ديوانه ١/ ١٢١ـ ١٢٢.

ومن أصواته في شعر نفسه: [من مجزوء الكامل]

بـــالـــرَّاحِ أَعْـــمُـــرُ راحَـــتِـــي ... مـــا دامَ لـــيْ جَـــسَـــدِي ورُوحِـــي
وعـــلـــى الـــنَّـــصِـــيـــحِ مـــلامَـــتِـــي ... وعـــلـــيَّ عِـــصْـــيـــانُ الـــنَّـــصِـــيـــحِ

والغناء فيه من مزموم الرمل.

ومنهم:

[٩٧]

عليّ بن منصور الهاشمي

إمام من أئمة الغناء، وتمام من البدور الكاملة السناء، يأخذ القلوب أخذه الوسن الوسان، ويملك الألباب ملكه الجواد بالعنان، فلم يفتح على مثله طرف، ولا منح شبيه فضله صاحب ظرف. كان في فَنِّه غريباً، وعلى بعده إلى النفوس قريباً.

وله أصوات منها: [من مجزوء الرمل]

قُـــلْ لِـــمَـــنْ رِيْـــقَـــتُـــهُ مِـــسْـــ ... ـــكٌ وَنَـــــــــدٌّ ونــــــــدامُ
والـــذي حَـــلَّـــلَ قَـــتْـــلِـــي ... وهـــوَ مَـــحْـــظُـــورٌ حَـــرَامُ
كُـــلُّ نـــارٍ غـــيـــرِ نـــاري ... فـــيـــكَ بَـــرْدٌ وسَـــلاَمُ

والشعر لابن الحجاج(١)، والغناء فيه في الرمل المزموم.

---

(١) ابن حجاج، حسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج، النيليّ البغدادي، أبو عبد الله: شاعر فحل، من كتّاب العصر البويهيّ. غلب عليه الهزل. في شعره عذوبة وسلامة من التكلف. قال الذهبي: «شاعر العصر وسفيه الأدب وأمير الفحش! كان أمة وحده في نظم القبائح وخفة الروح» وقال صاحب النجوم الزاهرة: «يضرب به المثل في السخف والمداعبة والأهاجي» وقال ابن خلكان: «كان فرد زمانه، لم يُسبق إلى تلك الطريقة» وقال أبو حيان: «بعيد من الجدّ، قريع في الهزل، ليس للعقل من شعره منال، على أنه قويم اللفظ سهل الكلام» وقال الخطيب البغدادي: «سرد أبو الحسن الموسوي، المعروف بالرضيّ، من شعره في المديح والغزل وغيرهما، ما جانب السخف فكان شعراً حسناً متخيراً جيداً» وقال ابن كثير: «جمع الشريف الرضي أشعاره الجيدة على حدة في ديوان مفرد، ورثاه حين توفي» له معرفة بالتاريخ واللغات. اتصل بالوزير المهلبي وعضد الدولة وابن عباد وابن العميد. وله «ديوان شعر ـ خ» يشتمل على بعض شعره. أرسل نسخة منه إلى صاحب مصر فأجازه بألف دينار. وخدم بالكتابة في جهات متعددة. وولي حسبة بغداد مدة، وعزل عنها. نسبته إلى قرية النيل (على الفرات بين بغداد والكوفة) ووفاته فيها سنة ٣٩١هـ/ ١٠٠١م. ودفن في بغداد.

ترجمته في: روضات الجنات ٢٤٠، ووفيات الأعيان ١/ ١٥٥، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٩ ـ ٦١ رقم ٢٩، ومعاهد التنصيص ٣/ ١٨٨ وجاء اسمه فيه «الحسن بن أحمد» والإمتاع =

قال ابن ناقيا: وفي هذا المذهب صوت: [من الكامل]

يا وَيْحَ قلبيْ مِنْ تَقَلُّبِهِ أَبَداً يَحِنُّ إلى مُعَذِّبِهِ
قالوا: كَتَمْتَ هَوَاهُ عَنْ جَلَدٍ ولَوَانَّ لِي جَلَداً لَبُحْتُ بِهِ
/ ٢٧٦/ ومنهم:

[٩٨]

كُرْدُم بن معبد بن الوليد بن محمد بن معبد بن كُرْدم بن معبد المديني

أحد المغاني الفصاح، وواحد أهل المباني الصحاح، له نسب معرق لا يداني في ذلك الأب أبوه، وذلك النسب بالطرب يحبوه، لكنه لم يعمل عنه أعمال، ولم يبخل المنى آمال.

وله أصوات وهو: [من الخفيف]

قُلْ لأَحْبابِنا الجُفاةِ رُوَيدا دَرِّجُونا على احتِمالِ المَلالِ
أَحْسِنوا في صنيعِكُمْ لمُحِبٍّ لا عَدِمناكُمُ عَلَى كُلِّ حالِ
إنَّ هذا الصُّدودَ مِنْ غيرِ جُرْمٍ لَمْ يَدَعْ فِيَّ مَوضِعاً للمَقالِ

والشعر لأبي فراس بن حمدان(١)، والغناء فيه من الرمل المجنّب.

ومنهم:

[٩٩]

أحمد بن أسامة النصبي(٢)

كان من أسباب الطرب، وأشتات الأدب، لا يعد له في ضربه ضريب، ولا في نظرائه من يصبو به اللبيب، يسلب الضاحي رداء الوقار، ويلبس الصاحي جلاء العقار، ويفعل طربه بالألباب، ما يفعله قرع المزاج بالحباب، إلى أدب ما قل له من نصيب،

= والمؤانسة١/ ١٣٧ وتاريخ بغداد ٨/ ١٤ والفهرس التمهيدي ٣٠١ ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ١٣٠ والبداية والنهاية ١١/ ٣٢٩ ومطالع البدور١/ ٣٩ والكامل لابن الأثير ٩/ ٥٨ وسماه «الحسين بن الحجاج» وقال: ديوانه مشهور. ويتيمة الدهر ٢/ ٢١١ ـ ٢٧٠ وسماه «الحسن بن أحمد». وانظر: شعر الظاهرية ١٣٣، الأعلام ٢/ ٢٣١، معجم الشعراء للجبوري ٢/ ٨٩ .

(١) ديوانه ٢٣٠.

(٢) أحمد بن أسامة النصيبي مرت ترجمته برقم (٤٩).

وطرب ليس هو من مثله بعجيب.

ومن مشاهير أصواته[١]: [من الكامل]

أَصبحتُ رَهْناً للعُداةِ مُكَبَّلاً أُمْسِيْ وأُصْبِحُ في الأَدَاهِمِ أَرْسُفُ
ولَقَدْ رآني قبلَ ذلكَ ناعماً جذلانَ آبى أَنْ أُضَامَ وآنَفُ

والشعر للأعشى أعشى همدان[٢]، والغناء فيه مطلق من الطريقة الثالثة، وهي من خفيف الثقيل.

والبيتان من قصيدة أولها: [من الكامل]

لمنِ الظَّعائِنُ سيرُهُنَّ تزحف عوم السَّفِيْنِ إذا تَقَاعَسَ يحذف
مرَّتْ بِذِيْ خُشُبٍ كأَنَّ حُمُولَها نَخْلٌ بيثرِبَ طَلْعُهُ مُتَصَفِّفُ
وغَدَتْ بهمْ يومَ الفِرَاقِ عَرَامِسٌ فُتُلُ المَرافِقِ بالهَوَادِجِ دُلَّفُ
بانَ الخليطُ وفاتَني برَحِيْلِهِ خَوْداً إذَا ذُكِرَتْ لِقَلبِكَ تَشْغَفُ

/ ٢٧٧/ وسبب قول الأعشى هذه القصيدة أن الحجاج كان قد أغزاه بلد الديلم، فأسر، ثم إنَّ بنتاً للعلج الذي أسره هويته، وصارت إليه ليلاً، ومكنته، فأصبح قد واقعها ثماني مرات، فقالت: يا معاشر المسلمين أهكذا تفعلون بنسائكم؟، فقال: هكذا نفعل كلنا، فقالت: بهذا الفعل نصرتم، ثم عاهدته أن يصطفيها لنفسه إن خلّصته؛ فلما كان الليل حلّت قيوده، وأخذت طرقاً تعرفها حتى نجا، فقال شاعر من أسرى المسلمين يعرّض به: [من الطويل]

فَمَنْ كانَ يَفْديها مِنَ الأَسْرِ مالُهُ فَهَمْدانُ يَفْدِيها الغَدَاةَ أُيُورُها

ومن أصوات النصبي: [من المتقارب]

---

(١) الأغاني ٦/ ٤٤ـ ٤٥.

(٢) أعشى همدان: عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جشم الهمداني: شاعر اليمانيين، بالكوفة، وفارسهم في عصره. وبعد من شعراء الدولة الأموية. كان أحد الفقهاء القراء، وقال الشعر فعرف به. وكان من الغزاة في أيام الحجاج، غزا الديلم وله شعر كثير في وصف بلادهم ووقائع المسلمين معهم. ولما خرج عبد الرحمن بن الأشعث انحاز الأعشى إليه، واستولى على سجستان معه، وقاتل رجال الحجاج الثقفي. ثم جيء به إلى الحجاج أسيراً بعد مقتل ابن الأشعث، فأمر به الحجاج فضربت عنقه سنة ٨٣هـ/ ٧٠٢م وأخباره كثيرة.

ترجمته في: الأغاني ٥/ ١٣٨ـ ١٥٣ وسير أعلام النبلاء ٤ / ١٨٥ رقم ٧٥، والآمدي ١٤ والإكليل ١٠/ ٥٨ وهو فيه «عبد الرحمن بن الحارث» ومثله في اللباب ٢/ ١٠٧. وانظر: ديوان الأعشى ميمون ٣١١ـ ٣١٢، معجم الشعراء للجبوري ٣/ ١١٧ـ ١١٨.

أَيـا دهـرُ ويـلـكَ مـاذا جَـمِـيـلُ فُـؤَادٌ عـلـيـلٌ وإلْـفٌ بَـخِـيـلُ
كَـأَنِّـي أَرى شـخْـصَـهُ فـي الـمِـرَاةِ يَـلُـوحُ ومـالـي إلـيـهِ سَـبِـيـلُ

والشعر لأبي الحسن محمد بن محمد البصروي، والغناء فيه من الطريقة من الرمل.

ومنهم:

[١٠٠]

وشيحة

جارية من أهل منبج محسنة، وناطقة لسنة كأنَّ أناملها على محضر العود سوسنة، لطيفة تُعشق، وطريفة بسهام النواظر تُرشق، لغنائها أحدة الكرى بالهدب، وهبة الصبا بالكتب لم يسعد بها جدّ البحتري حيث حاطت، وإلى منهج التأمير وحلّ منه بعد المتوكل محلّ السمير، ولا قيّض له هواها فكان لا يذكر علوية، ولا يتبصر طيفها ولو من علوه، ويمنع برقها أن يشأم وجانب هواها، لم يقل: [من الكامل]

يـا دارة عـلـوة مـن أعـالـي الـشـام

ومن أصواتها المشهورة(١): [من المتقارب]

ولـمَّـا عَـبَـثْـنَ بـأوتـارِهـنَّ قُـبَـيْـلَ الـتَّـبـلُّـجِ أَيـقَـظْـتَـنِـي
عَـمَـدْنَ لا صْـلاحِ عِـيـدَانِـهِـنَّ فـأَصـلَـحْـنَـهُـنَّ وأَفْـسَـدْنَـنِـي

والشعر لأبي الفتح كشاجم، والغناء فيه مطلق من الطريقة الثالثة، وهي من خفيف الثقيل.

ومنهم:

[١٠١]

إسرائيل اليهودي

أثرى في أهل صناعته وتخوَّل، وخلف منهم إسرائيل الأول، إلا أن صنعة دِينه وضعته، وضائقة دَينه ما وسعته، فكان عند اليهود مجرماً لكنه أدام درس /٢٧٨/ الزبور، ولبس الحبور حتى أصلح عوج لسانه، وأوضح منهج إحسانه، فصبر لمعاداة أهل دينه واحتسب، وألهاهُ كثرة ما اكتسب.

ومن أصواته: [من الطويل]

(١) ديوان كشاجم ٤٧٣.

أَيا نَفَحاتِ الرِّيحِ مِنْ أَرْضِ بابلِ بِحَقِّ الهَوَى إلا حَمَلْتِ رَسَائِلي
فإنَّ لِصَحْراءِ الغُوَيْرِ مَنازلاً لأَحبابِنا أكْرِم بها مِنْ مَنَازِلِ
وفيها التي هامَ الفُؤَادُ بحبِّها وكَمْ سائلٍ لَمْ يحظَ منها بِطَائِلِ
تعلَّقَها بالأمسِ خِلْواً مِنَ الهَوَى فقدْ شَغَلَتْهُ اليومَ عَنْ كُلِّ شاغِلِ

والشعر لأبي بكر العنبري(١)، والغناء فيه خفيف الثقيل المعلق.

وكذلك صوته في شعر أبي الهندي(٢): [من البسيط]

أَبا الوليدِ أَمَا واللهِ لَوْ علمت فيكَ الشمولُ لما فارقتَها أَبَدَا
فلا نَسِيتَ حُمَيَّاها ولذَّتَها ولا عَدَلْتَ بها مالاً ولا وَلَدَا(٣)

ومنهم:

[١٠٢]

يحيى جارية أبي محمد المهلبي

وكانت جارية تملأ العين، وتفرغ العين. لو رآها ابن عيينة، لما لبث بلحظه أن

---

(١) محمد بن عمر العنبري، أبو بكر، أديب ظريف، حسن الشعر، من أهل بغداد، كان متصوفاً وخرج على المتصوفين فذّمهم بقصائد أورد ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» إحداها.
ترجمته في: البداية والنهاية ١٢/ ١٢، تاريخ بغداد ٣/ ٣٦، تلبيس إبليس ٣٧٦، الأعلام ٦/ ٣١٢، معجم الشعراء للجبوري ٥/ ١٨٧.

(٢) غالب بن عبد القدوس بن شَبَث بن ربعي الرياحي اليربوعي، أبو الهندي: شاعر مطبوع، أدرك الدولتين الأموية والعباسية. وكان جزل الشعر سهل الألفاظ لطيف المعاني. إقامته في سجستان وخراسان. وكان يتهم بفساد الدين. واستفرغ شعره في وصف الخمر، وهو أول من تفنن في وصفها من شعراء الإسلام. وكان سكيراً خبيث السكر، رؤي في خراسان يشرب على قارعة الطريق. ومات في إحدى قرى «مرو». قيل: كان مع بعض أصحابه، فنهض ليلاً ليقضي حاجة فسقط من السطح، فلما أصبحوا وجدوه متدلياً من السطح وقد مات وذلك نحو سنة ١٨٠هـ/ نحو ٧٩٦م. أخمل ذكره ابتعاده عن بلاد العرب. وجمع معاصرنا عبد الله الجبوري ما يقارب ١٨٠ بيتاً من شعره، أضاف إليها بعض أخباره، في كتاب «ديوان أبي الهندي وأخباره - ط».
ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ١٢١ وجاء اسمه في الكامل للمبرد «عبد المؤمن بن عبد القدوس» انظر رغبة الآمل ٦/ ١٦٢- ١٦٥ وهو في طبقات ابن المعتز، طبعة جب ٥٨- ٦١ «أبو الهندي، عبد الله بن ربعي بن شبث بن ربعي الرياحي، وقيل: اسمه غالب، من بني رياح بن يربوع بن حنظلة». وفيه أبيات كتبت على قبر أبي الهندي، أولها:

«اجعلوا إن مت يوماً كفني ورق الكرم وقبري معصره»

رواها صدقة البلوي - أو البكري؟- وقال: ورأيت الفتيان يجتمعون عند قبره، ويشربون ويصبون نصيبه على قبره. الأعلام ٥/ ١١٤، معجم الشعراء للجبوري ٤/ ١٢٦- ١٢٧.

(٣) ديوانه ٢٦- ٢٧.

يرشقَها، أو أبو يزيد البسطامي، لما زاد في بسط عذر من عشقها. هيفاء رَوْدٌ بيضاء، تطول بحدق سود مخصَّرة عقودها، وترفّ إليها رفيف الخزامى باب كل بحورها، ومن أصواتها: [من المتقارب]

تَــأَوَّبَ عــنِّــيَ طَــيْــفٌ أَلَــمْ ... لِـطـارِقَـةٍ طَـرَقَـتْ فـي الـظُّـلَـمْ
تــخـيَّـلَ مــنْــهــا خَــيَــال سَــرَى ... لـتـسـلـبَ حِـلْـمـي بِـذَاكَ الـحُـلُـمْ
فَـمَـا أَنْـسَ لا أَنْـسَ إذا أقـبـلـتْ ... تَـمِـيـس كـغُـصْـنٍ سَـقَـتْـهُ الـدِّيَـمْ
عـلـى رَأسِـهـا مِـعْـجَـرٌ أَخْـضَـرٌ ... وفـي جِـيْـدِهـا سُـبَـحٌ مِـنْ بَـرَمْ

والشعر لأبي الفرج الأصفهاني[1]، والغناء فيه من خفيف الثقيل المزموم.

وحكى أبو الفرج قال: أنفذ إليّ الوزير أبو محمد المهلبي ذات ليلة خمسة آلاف درهم صلة لا أعرف سببها، فلما حضرت مجلسه من الغد على العادة في المنادمة، قلت: لقلد خفت أن يكون الرسول قد أخطأ القصد فيما حمله إليّ، وإن كان لا ينكر خطرات كرم الوزير، فقال: إني جلست البارحة على الشرب، وخرجت إلى يحيى وفي يدها عودها وعليها قناع أخضر وفي عنقها مخانق البرم، فذكرت أبياتاً في قصيدة

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي: من أئمة الأدب، الأعلام في معرفة التاريخ والأنساب والسير والآثار واللغة والمغازي. ولد في أصبهان سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م، ونشأ وتوفي ببغداد سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م. قال الذهبي: «والعجب أنه أموي شيعي». وكان يبعث بتصانيفه سراً إلى صاحب الأندلس الأموي فيأتيه إنعامه. من كتبه «الأغاني ـ ط» واحد وعشرون جزءاً، لم يعمل في بابه مثله، جمعه في خمسين سنة، و«مقاتل الطالبيين ـ ط» و«نسب بني عبد شمس» و«القيان» و«الإماء الشواعر» و«أيام العرب» ذكر فيه ١٧٠٠ يوم، و«التعديل والإنصاف» في مآثر العرب ومثالبها، و«جمهرة النسب» و«الديارات» و«مجرد الأغاني» و«الحانات» و«الخمارون والخمارات» و«آداب الرغباء». ولمحمد أحمد خلف الله، كتاب «صاحب الأغاني ـ ط» ولشفيق جبري بدمشق «دراسة الأغاني ـ ط» و«أبو الفرج الأصبهاني ـ ط».
ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٣٤ ويتيمة الدهر ٢/ ٢٧٨ ومفتاح السعادة ١/ ١٨٤ وتاريخ بغداد ١١/ ٣٩٨ وإرشاد الأريب ٥/ ١٤٩ـ ١٦٨ وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٠١ـ ٢٠٣ رقم ١٤٠، وفيه: «كان وسخاً زريّاً، خلط قبل موته، وكانوا يتقون هجاءه». وميزان الاعتدال ٢/ ٢٢٣ ولسان الميزان ٤/ ٢٢١ وجمهرة الأنساب ٩٨ وإنباه الرواة ٢/ ٢٥١ و Brock. 1: 152, وله ترجمة واسعة في مفتتح مقاتل الطالبيين، طبعة البابي وفي مجلة الألواح ـ بيروت ـ العدد ٨ من السنة الأولى، بحث يرجح أن وفاته كانت بعد سنة ٣٦٢هـ. يقول الزركلي: كتب لي السيد أحمد عبيد، من دمشق «أنه وقعت له سبع ورقات مخطوطة، من أول كتاب «الخمارين والخمارات، لأبي الفرج» وانتقلت بالشراء إلى مكتبة حسن حسني عبد الوهاب، بتونس، الأعلام ٤/ ٢٧٨ .

أنشدتها معز الدولة وذكر / ٢٧٩/ هذه الأبيات. قال: فأنشدتها إياها فغنَّت فيها، وتقدمت بإنفاذ الدراهم إليك، فقلت: هي الآن صلة أخرى بالسكون إلى علم سببها. وشكرته على فعله.

ومنهم:

[١٠٣]

عنان جارية النَّاطفي[١]

مهاترة أبي نواس، ومظهرة غرائب الأنفاس، لم يبلغ مبلغها في المولّدين امرأة من النساء، ولا حظي بمثلها أحد من الرؤساء، ولا سمع مثل شعرها إلا من الخنساء، وغلبت على هوى الرشيد غلبة أوهنت عرقه، وأوهنت حدقه، حتى كان ينصب بها جدول أم جعفر وتمرّ ماردة وتكفر، فنصبت لها أم جعفر أشراك الحيل، ومدَّت لها طوائل الطيل، وأقامت من أبي نواس لها قرناً منابذاً، ورامياً إليها سهماً نافذاً، مقبحاً لحسنها، ومبغضاً لاجنها، حتى سفه رأي الرشيد، ونكد فيها علّة عيشه الرغيد.

قال أبو الفرج: نشأت باليمامة وتأدبت، وهمَّ الرشيد أن يبتاعها، ثم منعه هجاء الشعراء لها، وكان ذلك بكيد من زبيدة. دخلت عليه وهي تتبختر، فقال لها: أتحبّين أن أبتاعك؟، قالت: ولم لا أحبّ ذلك يا أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً.

قال: أما الخَلق فظاهر، وأما الخُلق فما أعلمك به؟ قالت: رأيت شرارة قد

---

(١) عنان النَّاطِفِيَّة: شاعرة مستهترة، من أذكى النساء وأشعرهن. كانت جارية لرجل يدعى «الناطفي» من أهل بغداد. وهي من مولدات اليمامة، وقيل المدينة، اشتهرت ببغداد. وكان العباس بن الأحنف يهواها. لها أخبار معه ومع أبي نواس وغيرهما. ماتت بخراسان سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤١م قال أبو علي القالي: عنان الشاعرة اليمامية، كانت بارعة الأدب، سريعة البديهة، وكان فحول الشعراء يساجلونها فتنتصف منهم. وأخبارها مدونة. وفي المستطرف من أخبار النساء (٣٨ـ ٤٧) أنها خرجت إلى مصر حين «أعتقت» وماتت هناك.

ترجمتها في: أخبار أبي نواس لابن منظور ١/ ٣٤ و٣٥ و١٣٧ و٢١٢ والأغاني ٢٣/ ٩٢ـ ١٠١، الإماء الشواعر ٤٦، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٤٧ وفيه: «بيعت بعد موت الناطفي بمئة وخمسين ألف درهم» وكتاب الورقة ٣٩ وفيه: «اشتراها عبد الملك بن صالح الهاشمي من الناطفي» والنويري ٥/ ٧٥ـ ٧٩ وفيه ما خلاصته أن رجلاً اشتراها بعد موت الناطفي بمئتين وخمسين ألف درهم، وأولدها ولدين وخرج بها إلى خراسان، فمات هناك وماتت بعده. وفي الكنز المدفون ٤٦ «كتبت عنان على عصابتها بالذهب: «ليس في العشق مشورة»، وفي سمط اللآليء ٥٠٠. اشتراها الرشيد، بعد موت الناطفي، في سوق من يزيد، وعليها رداء رشيدي، ومسرور الخادم يتزايد فيها مع الناس، بمائتي ألف وخمسين ألفاً، وأولدها الرشيد ولدين ماتا صغيرين»، الأعلام ٥/ ٩٠.

طاحت من المجمرة حين جاء الغلام بالبخور إليك، فسقطت على ثوبك فأحرقته، فوالله ما قبضت له وجهاً ولا رجعت في جنايته حرفاً. فقال لها: والله لولا أن العيون قد ابتذلتك، لاشتريتك، ولكن لا يصلح للخلافة ما هذا سبيله، فاشتراها طاهر بن الحسين.

وروى الأصمعي قال: بعثت إلى أم جعفر أن أمير المؤمنين قد لهج بذكر عنان، فإن صرفته عنها، فلك حكمك، قال: فالتمست وقتاً لخطابه، فأعوز وكنت أهابه فلا أقدم عليه ابتداً، فرأيت يوماً في وجهه أثر الغضب، فانخزلت، فقال: ما لك؟، قلت: رأيت في وجه أمير المؤمنين أثر الغضب، فقال: هذا الناطفي مولى عنان، أما والله لولا أني لم أجر في حكم قطّ معتمداً، لجعلت على كل حبل منه قطعة وما لي في جاريته أرب غير الشعر، فقلت: أجل ما فيها غير الشعر، أو يسّر أمير المؤمنين أن يجامع الفرزدق؟ فضحك حتى استلقى، وترك ذكرها.

وحكى يعقوب بن إبراهيم: أن الرشيد طلب من الناطفي جارية فأبى أن يبيعها بأقلَّ من مائة / ٢٨٠/ ألف دينار، فقال له: أعطيتكها على صرف سبعة دراهم بدينار، فأمر أن تحضر، فأحضرت، ثم لم يمض البيع، ولم تزل في قلب الرشيد حتى مات مولاها الناطفي، فبعث بمسرور الخادم، فأخرجها إلى باب الكرخ، ووقفها على سرير وعليها رداء رشيدي قد جللها، فنودي عليها بعد أن شاور الفقهاء فيها، وقال: على مالكها دين، فافتوا في بيعها، فانتهت إلى مائتين وخمسين ألف دينار، فأخذها مسرور، ولم يكن فيها ما يُعاب، فطلبوا لها عيباً لئن لا تصيبها العين، فأوقعوا بخنصر رجلها شيئاً في ظفرها. فأولدها الرشيد ابنين ماتا صغيرين، ثم خرج بها إلى خراسان، فمات هناك، وماتت بعده بمدّة يسيرة.

وروى ابن عمار أنها خرجت إلى مصر، وماتت بها حين أعتقها النطاف، ورثته بقولها: [من الكامل]

يا دهر أَفْتَيْتَ القُرُونَ ولَمْ تزل حتَّى رَمَيْتَ بسهمِكَ النَّطَّافا

وكانت مجيدة في الشعر مقصّرة في الغناء، جارت مروان، وأبا نواس، والعباس بن الأحنف، وكان يتعشقها العباس بن الأحنف.

وحكى رجل أن ابن أبي حفصة قال: لقيني الناطفي فدعاني إلى عنان، فانطلقت معه إليها، فقال لها: قد جئتك بأشعر الناس مروان، وكانت عليلة، فقالت: إني عنه لفي شغل، فأهوى إليها بسوطه، فضربها به، فبكت، فرأيت الدموع تتحدّر من عينيها،

فقلت[(١)]: [من السريع]

بَكَتْ عنانُ فَجَرَى دمعُها ... كالدُّرِّ إذْ يُسَلُّ مِنْ خَيْطِهِ

فقالت مسرعة بديهة[(٢)]: [من السريع]

فَلَيْتَ مَنْ يضربُها ظالماً ... تَيْبَسُ يُمناهُ على سَوْطِهِ

فقلت للنطاف: أعتق مروان ما يملك إن كان في الأنس والجن أشعر منها.

وأنشدها أبو نواس[(٣)]: [من المنسرح]

عُلِّقْتُ مَنْ لوْ أَتَى على أَنْفُسِ الـ ... ماضينَ والغابرينَ ما نَدِما

فقالت[(٤)]: [من المنسرح]

لو نَظَرَتْ عينُهُ إلَى حَجَرٍ ... وَلَّدْ فيهِ فُتُورُها سَقَما

وحكى أحمد بن معاوية، قال؛ قال لي رجل: تصفحت كتباً فرأيت فيها بيتاً جهدت جهدي / ٢٨١/ أن أجد أحداً يُجيزه لي فلم أجده، فقال لي صديق لي: عليك بعنان، فأتيتها فأنشدتها، وهو: [من الطويل]

وما زالَ يشكوْ الحبَّ حتَّى رأَيْتُهُ ... تنَفَّسَ مِنْ أَحْشَائِها وتَكَلَّما

فقالت بديهاً: [من الطويل]

ويبكي فأَبكي رَحْمَةً لبُكائِهِ ... إذا ما بَكَى دَمْعاً بكَيْتُ لهُ دَمَا

وحكى الحسن بن وهب[(٥)] قال: دخلت على عنان يوماً، فسألتني أن أقيم عندها، ففعلت، وأتينا بالطعام والشراب، فأكلنا، وشربنا، وغنتني، فكان غناؤها دون شعرها. فشربت ستة أرطال، ونكتُها خمسة، وضجرت، فقالت لي: ما أنصفت شربت ستة، ونكت خمسة فتغافلت، وقلت: غني صوتي[(٦)]: [من الطويل]

---

(١) ديوان مروان بن أبي حفصة ٧١، الأغاني ٢٣/ ٩٤.

(٢) لعنان في الأغاني ٢٣/ ٩٤.

(٣) ديوانه ٢٣٣، الأغاني ٢٣/ ٩٦.

(٤) الإماء الشواعر ٣٣، الأغاني ٢٣/ ٩٦.

(٥) الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي، أبو علي: كاتب، من الشعراء. كان معاصراً لأبي تمام، وله معه أخبار، وكان وجيهاً، استكتبه الخلفاء، ومدحه أبو تمام. وهو أخو سليمان (وزير المعتز والمهتدي) ولما مات وكان مماته نحو سنة ٢٥٠هـ/ نحو ٨٦٥م. رثاه البحتري.
ترجمته في: فوات الوفيات ١/ ١٣٦ وسمط اللآلي ٥٠٦، الأغاني ٢٣/ ١٠٢ـ ١٢٦، الأعلام ٢/ ٢٢٦، معجم الشعراء للجبوري ٢/ ٨٢.

(٦) لم ترد في شعره بكتاب «آل وهب للسامرائي» كما لم ترد في كتاب «الحسن بن وهب» لقصي الشيخ عسكر.

خَلِيلَيَّ ما للعاشقينَ قُلُوب ... ولا للعُيُونِ الناظراتِ ذُنُوبُ
ويا معشَر العُشَّاقِ ما أبغَضَ الهَوَى ... إذا كانَ لا يَلْقَى المُحِبَّ حَبِيْبُ

فغنَّت[1]:

خَلِيلَيَّ ما للعاشِقِينَ أُيُورُ ... ولا لِحَبِيبِ لا يُناكُ سُرُورُ
ويا معشرَ العُشَّاقِ ما أَبغضَ الهَوَى ... إذَا كانَ في أَيْرِ المُحبِّ فُتُورُ

فخجلت، وانصرفت.

وكتبت عنان على عصابتها باللؤلؤ: إذا لم تستح، فاصنع ما شئت.

وقال هبة الله بن إبراهيم بن المهدي: أنشدني أبي لعنان[2]: [من الكامل]

نَفْسِي على حَسَرَاتِها موقوفةٌ ... فودِدْتُ لوْ خرجتْ معَ الحَسَرَاتِ
لو في يَدَيَّ حسابُ أَيامي إذاً ... أنفقتُهُنَّ تَعَجُّلاً لوفاتِي
لا خيرَ بعدَكَ في الحياةِ وإنَّما ... أَبكي مخافةَ أنْ تَطُولَ حَيَاتِيْ

ومنهم:

[١٠٤]

دنانير جارية محمد بن كناسة[3]

جارية لا تسام بألوف، ولا تنفر عن ألوف، أجادت في الشعر كل الإجادة، وزادت فيه على الشعراء حتى استعبدت أبا عبادة، وشدت من الغناء شدواً، وقنعت منه بما جاء عفواً، وكانت ملهية النواذر، مسرعة البوادر، تشدّ إزارها على الكثيب، وتعدل قوامها إلا على الكئيب.

كانت مولّدة من مولدات الكوفة / ٢٨٢/ رباها ابن كناسة، وأدبها، فخرجت شاعرة، أديبة، فصيحة، وقيل: إنها كانت تغني، وكان ابن كناسة ديناً صالحاً؛ وهو ابن خالة إبراهيم بن أدهم.

---

(١) الإماء الشواعر ٤٥.

(٢) الإماء الشواعر ٤٥.

(٣) دنانير، جارية الشاعر ابن كناسة، من أهل الكوفة: شاعرة أديبة فصيحة. ولدت بالكوفة ورباها ابن كناسة (المتوفى سنة ٢٠٧) واستبعد ابن الجوزي أنها كانت تغني، معللاً ذلك بأن ابن كناسة كان زاهداً نبيلاً، وليس مثله من يعلم جارية له الغناء. ولكنه أورد بعد ذلك أخباراً لها في الغناء وأبياتاً من شعرها في صديق لابن كناسة يدعى «أبا الشعثاء» عرَّض لها بأنه يهواها، وقال أبو الفرج: كان أهل الأدب وذوو المروة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر. ماتت في حياة ابن كناسة نحو سنة ٢٠٥هـ/ نحو ٨٢٠هـ ورثاها ببيتين رقيقين . وهي غير «دنانير» المترجمة برقم (٥٩).

ترجمتها في: مختار الأغاني ١٠/ ١٨٧ والجواري، لابن الجوزي ـ خ، الأعلام ٢/ ٣٤١.

وذكر علي بن هشام الكلابي؛ قال: كان لابن كناسة صديق له يكنى أبا الشعثاء، وكان عفيفاً مزاحاً فكان يدخل على ابن كناسة يسمع غناء جاريته دنانير، ويعرض لها بأنه يهواها، فقالت فيه شعراً منه[1]: [من الرمل]

لأبي الشعثاء حبٌّ ظاهرٌ ليسَ فيهِ مَطْعَنٌ للمُتَّهِمْ
يا فؤادِي فازْدَجِرْ عنْهُ ويا عَبَثَ الحُبِّ بهِ فاقْعُدْ وَقُمْ

ومنهم:

[١٠٥]

فضل اليمامية[2]

جارية المتوكل، وهي المعروفة بفضل الشاعرة، أجل أن تكون أخت الخنساء، أو تقع في بخت أحد من الرؤساء، جارت الفحول وجبذت، وقيدتهم الوجول، وصهرت في القريض، وحبّرت منه الروض الأريض، وعلقت فيه القرناء.

وقد ذكرها صاحب كتاب الإماء؛ قال[3]: كانت من مولدات البصرة، وبها

---

(١) لدنانير في الإماء الشواعر ٥٤ـ ٥٥، الأغاني ١٣/ ٣٧٠ـ ٣٧١.

(٢) فضل اليمامية: جارية المتوكل العباسي: شاعرة، من مولدات البصرة (وأمها من مولدات اليمامة) لم يكن في زمانها امرأة أفصح منها ولا أشعر. نشأت في دار رجل من بني عبد القيس، أدّبها وخرجها. وباعها، فاشتراها محمد بن الفرج الرخجي. وأهداها إلى المتوكل، فحظيت عنده وأعتقها. وعرفت بعد ذلك بفضل العبدية (نسبة إلى عبد القيس) وكان من معاصريها أبو دلف العجلي، وعلي بن الجهم، ولهما معها مساجلات. في شعرها إجادة وإبداع، ولها بداهة وسرعة خاطر. قال ابن المعتز: كانت تهاجي الشعراء، ويجتمع عندها الأدباء، ولها في الخلفاء والملوك مدائح كثيرة، وكانت تتشيع وتتعصب لأهل مذهبها وتقضي حوائجهم بجاهها عند الملوك والأشراف. توفيت ببغداد سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧١م.

ترجمتها في: سمط اللآليء ٦٥٥، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٨ وفيه وفاتها سنة ٢٥٨هـ، المستظرف من أخبار الجواري للسيوطي ٥٠ـ ٥٦، وجهات الأئمة الخلفاء ٨٤ـ ٩٠، طبقات الشعراء لابن المعتز ٤٢٦، ومروج الذهب ٢٩٦٨، والأغاني ١٨/ ٩٠ـ ١٠١، ١٥٨، ١٦٧ و١٩/ ٣٠٠ـ ٣١٢ و٢٢/ ٢٠٠، ط ليدن ٢١/ ١٧٦ـ ١٨٥، والفهرست ٢٣٣، والمنتظم ٥/ ٦ـ ٧ رقم ٧، وفوات الوفيات ٢/ ٢٥٣ـ ٢٥٥ وفيه سنة ٢٦٠هـ، وبدائع البدائه، ٥٠، ١١١، ١١٢، ١٥٠، ١٥١، ونساء الخلفاء لابن الساعي ٨٤، والموشى للوشاء ٨٣، ١٣٩، والفهرست لابن النديم ٢٣٩، والمذاكرة في ألقاب الشعراء للمجد النشابي الإربلي (مخطوطة دار الكتب المصرية، رقم ٢٢٨١ تيمور) في فصل: ذكر الإماء من شواعر النساء، ١٤٤ أ، ب، والأعلام ٥/ ١٤٦ـ ١٤٧، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٥١ـ ٢٦٠هـ) ص٢٢٨ـ ٢٢٩ رقم ٣٨٤.

(٣) الإماء الشواعر ٦٠ـ ٨٢.

نشأت.

وذكر محمد بن داود: أنها عبدية، وكانت تزعم أن أمها علقت بها من مولًى لها من عبد القيس، وأنّه مات وهي حامل بها، فباعها ابنهُ، فولدت بعد بيعها، واسترقت.

وكانت سمراء، حسنة الوجه، والقد والجسم، شكلة، حلوة، أديبة، فصيحة، سريعة الهاجس، حادة الخاطر، مطبوعة في الشعر، متقدّمة فيه، وكانت تجلس في مجلس المتوكل على كرسي، وتقارض الشعراء الشعر بحضوره، فألقى عليها يوماً أبو دلف[(١)]: [من الكامل]

قالوا: عَشِقْتَ صغيرةً فأَجَبْتُهُمْ ... أَشهَى المطيِّ إليَّ ما لَمْ يُركَبِ
كَمْ بينَ حَبَّةِ لؤلؤٍ مثقوبةٍ ... لُبِسَتْ وحَبَّةِ لؤلؤٍ لَمْ تُثْقَبِ

فأجابته بديهاً[(٢)]: [من الكامل]

للناسِ أَهْوَاءٌ ولذَّةُ بَعْضِهِمْ ... وهَواهُ في الأَمْرِ الذي لَمْ يَصْعُبِ
وتَرَى سِواهُ يُحِبُّ بِكْراً كاعِباً ... كَمْ بينَ بِكْرٍ في القِياسِ وثَيِّبِ

وكتب إليها بعض من كان يحضرها[(٣)]: [من الطويل]

أَلا ليتَ شِعْري أَنْتِ هَلْ تذكُرينني ... فذكرُكِ في الدنيا إليَّ حَبيبُ
/٢٨٣/ وهَلْ ليْ نصيبٌ في فؤادِكِ ثابِتٌ ... كما لَكِ عندِي في الفؤادِ نَصِيبُ؟
فلستُ بمتروكٍ فأَحْيا بِزَوْرَةٍ ... ولا النفسُ عندَ اليأسِ عَنْكِ تَطِيْبُ

فكتبت إليه[(٤)]: [من الطويل]

نَعَمْ والهَوَى إنّني بك صَبّةٌ ... فَهَلْ أَنْتَ يا مَنْ لا عَدِمْتُ مُنِيْبُ
لمَنْ أَنْتَ منْهُ في الفُؤادِ مُصَوَّرٌ ... وفي العَيْنِ نُصْبَ العَينِ حينَ تغيبُ
فَثِقْ بفُؤادٍ أَنْتَ تُظْهِرُ مِثْلَهُ ... على أَنَّ بيْ سُقْماً وأَنْتَ طبيبُ

وقال علي بن يحيى: دخلت على المتوكل يوماً، فدفع إلي رقعة، وأمرني بقراءتها، فإذا فيها[(٥)]: [من مجزوء الرمل]

قَدْ بَدَا شِبْهُكَ يا مو ... لايَ يَحْدُو بالظَّلاَمِ

---

(١) الإماء الشواعر ٦١، ونسب البيتان لعلي بن الجهم في تكملة ديوانه ١١٢.
(٢) الإماء الشواعر ٦١، الأغاني ١٩/ ٣١٥.
(٣) الإماء ٦٤، الأغاني ١٩/ ٣١٧.
(٤) لفضل في الإماء ٦٤ـ ٦٥، الأغاني ١٩/ ٣١٧.
(٥) لفضل في الإماء ٦٦، الأغاني ١٩/ ٣٢١.

فـأجِـبْ نَـقْـضَ لُـبَـنـا تِ اعـتـنـاقٍ والـتِـثـام
قَـبْـلَ أنْ يـفـضَـحَـنـا عـو دَةُ أَرْوَاحِ الـنِّـيَـام

قلت: مليح والله قائلها لمن هي؟، قال: وعدتني فضل البارحة على أن أبيت معها، فسكرت سكراً شديداً منعني من التيقظ لها؛ فلما أصبحت وجدت رقعتها في كمي والشعر لها وهو بخطّها.

وروى أبو هفّان عن رجل. قال: خرجت قبيحة على المتوكل في يوم نيروز، وفي يدها كأس من بلور فيه شراب صاف، فقال: ما هذا فقالت: هديتي إليك في هذا اليوم عرفك الله يمنه، فشربه، وقبّل خدّها، فقالت فضل(١): [من السريع]

سُلاَفَـةٌ كـالـقـمـرِ الـبـاهِـرِ فـي قَـدَحٍ كـالـكـوكـبِ الـزَّاهِـرِ
يُـدِيـرُهـا خِـشْـفٌ كَـبَـدرِ الـدُّجَـى فـوقَ قـضـيـبٍ أَهـيَـفٍ نـاضِـرِ
عـلـى فـتًـى أَرْوَعَ مِـنْ هـاشـمٍ مِـثْـلِ الـحُـسَـامِ الـمُـرْهَـفِ الـبـاتِـرِ

وحكى أحمد بن أبي طاهر قال: ألقى بعض أصحابنا على فضل(٢): [من الطويل]

ومُـسْـتَـفْـتِـحٍ بـابَ الـبـلاءِ بـنـظـرَةٍ تـزوَّدَ مـنـهـا قـلـبُـهُ حَـسْـرَةَ الـدَّهْـرِ

فقالت(٣): [من الطويل]

فـوالـلـهِ مـا يَـدْرِيْ أيـدريْ بـمـا جَـنَـتْ عـلـى قَـلْـبِـهِ أَمْ أَهْـلَـكَـتْـهُ ومـا يَـدْرِيْ

/ ٢٨٤/ وحكى أبو يوسف الضرير، قال: صرت أنا وأبو منصور الباخرزي إلى فضل الشاعرة فحجبنا عنها وما علمت بنا، ثم بلغها خبرنا بعد انصرافنا، فكتبتْ إلينا تعتذر(٤): [من الطويل]

ومـا كـنـتُ أَخـشَـى أَنْ تُـرَى لـي زَلَّـةٌ ولـكـنَّ أَمْـرَ الـلـهِ مـا عـنْـهُ مَـهْـرَبُ
أَعُـوذُ بـحُـسنِ الـصَّـفْـحِ مـنْـكُـمْ وقَـلـبُـنـا بـعـفـوٍ وصَـفْـحٍ مـا تـعـوَّدَ مُـذْنِـبُ

فكتب إليها أبو منصور(٥): [من الطويل]

لـئِـنْ أهـديـت عـيـنـاكِ لـي ولإخْـوَتِـي لـمـثـلـكِ يـا فَـضْـلَ الـفَـضَـائِـلِ يـعـتـبُ
إذا اعـتـذرَ الـجـانـي مَـحَـا الـعُـذْرُ ذَنْـبَـهُ وكُـلُّ امـرِئٍ لا يـقـبـلُ الـعُـذْرَ مُـذْنِـبُ

وحكى عليّ بن الجهم، قال: كنت يوماً عند فضل الشاعرة، فلحظتها لحظة،

(١) الإماء الشواعر ٦٧، الأغاني ١٩/ ٣٢٤.
(٢) الإماء ٥٧.
(٣) الإماء ٦٨.
(٤) الإماء ٦٨، الأغاني ١٩/ ٣٢٠.
(٥) الإماء ٦٨، الأغاني ١٩/ ٣٢٠.

استرابت بها، فقالت[١]: [من الرجز]

يــــا رُبَّ رَام حَــسَـــنِ تَــعَـــرُّضُـــهْ
يَـــرْمِـــيْ ولا يـــشـــعـــرُ أَنِّـــي غَـــرَضُـــهْ

فقلت[٢]: [من الرجز]

إنِّـــي فـتًـــى لـيـس عَـهْـدُكِ يُـمْـرِضُـهْ
وأَيُّ عَـــهْـــدِ مُـــحْـــكَـــمٍ لا يَـــنْـــقِـــضُـــهْ

فضحكت، وقالت: خذ في غير هذا الحديث.

ومن شعرها ما كتبت به إلى سعيد بن حميد، فكان منهما ما كان[٣]: [من الكامل]

الـصَّـبْـرُ يـنـقُـصُ والـسَّـقَـامُ يَـزِيـدُ والـدَّارُ دانِـيَـةٌ وأَنْـتَ بَـعِـيْـدُ
أَشْـكُـوكَ أَمْ أَشْـكُـو إِلَـيْـكَ فـإِنَّـهُ لا يـسـتـطـيعُ سِـوَاهُـمـا الـمَـجْـهُـودُ

وكتبت[٤]: [من الطويل]

وعَيشِكَ لَوْ صَرَّحْتُ باسمِكَ في الهَوَى لأَقْصَرْتُ عَنْ أَشياءَ في الجِدِّ والهَزْلِ
ولـكـنَّـنـي أُبْـدِي لـهـذا مَـوَدَّةً وذاكَ وأَخْـلُو مِنْكَ خَلْوَةَ ذِي حَبْلِ
مَخَافَةَ أَنْ يُغْرِيْ بنا قَولُ كاشِحٍ عَدُوّاً فَيَسْعَى بالصُّدُودِ على الوَصْلِ

فكتب إليها[٥]: [من الطويل]

تَنَامِيْنَ عَنْ لَيْلي وأَسْهَرُهُ وحْدِي وأَنْهَى جُفُونِي أَنْ تَبُثَّكَ ما عِنْدي
فإنْ كنتِ لا تدرينَ ما قَدْ فَعَلْتِهِ بنا فانظُرِي ماذا على قاتِلِ العَمْدِ

/ ٢٨٥/ وحكى القاسم بن زُرزر قال: قصدت سعيد لحمَّى نالته، فسألتني فضل أن أساعدها أنا وعريب في المضي إليه للسلام عليه، وأهدت إليه هدايا فيها ألف جدي، وألف دجاجة فائقة، وألف طبق فاكهة، وطيب كثير، وشراب، وتحف حسان.

فكتب إليها سعيد: إن سروري لا يتمّ إلا بحضورك، فجاءته في آخر النهار، وجلسنا نشرب، واستأذن غلامه بنان، فأذن له، فدخل إلينا، وهو يومئذ شاب طرير،

(١) الإماء الشواعر ٦٩، الأغاني ١٩/ ٣١٩.
(٢) لعلي بن الجهم في ديوانه ١٥٣، الإماء ٦٩، الأغاني ١٩/ ٣١٩.
(٣) لفضل الشاعرة في الإماء الشواعر ٧٣، الأغاني ١٨/ ١٧٠.
(٤) لفضل في الإماء ٧٧، الأغاني ١٩/ ٣١٩.
(٥) لسعيد بن حميد في شعره ص١٢٥ رقم ١٣، الإماء ٧٧، الأغاني ١٨/١٥٨، ١٩/ ٣١٩.

حسن الوجه، حسن الغناء، سري الملبوس كثير العطر، شكل، فذهب بفضل كل مذهب، وبان ذلك في إقبالها عليه، وتحققها به، فتنمر سعيد، واستطار غضباً، وتبين ذلك لبنان، فانصرف وأخذ سعيد، يعذلها ساعة، ويوبخها، تارة، ويزيد في تأنيبها، وهي تعتذر منه، ثم سكت، فكتبت إليه فضل[1]: [من مجزوء الكامل]

يا مَنْ أَطَلْتُ تَفَرُّسِي في وجْهِهِ وتَنَفُّسِي
أَفْدِيكَ مِنْ مُتَدَلِّلِ يُزْهَى بِقَتلِ الأَنفُسِ
هَبْنِي أَسَأْتُ وما أَسَأْ تُ بَلَى أَقَرُّ أَنا المُسِيْ
أَحْلَفْتَنِي أَنْ لا أُسا رِقَ نَظْرَةً في مَجْلسي
فَنَظَرْتُ نَظْرَةَ مُخْطِىء أَتْبَعْتُها بتفرُّسِ
ونَسِيتُ أَنِّي قَدْ حَلَفْـ تُ فما عُقُوبَةُ مَنْ نَسِيْ

فقام سعيد لوقته، وقبَّل رأسها، وقال: لا عقوبة عليك، بل نحتمل هفوتك، ونتجافى عن زلتك.

وغنَّت عريب في الشعر رملاً وشربا عليه بقية يومهما ذلك، ثم افترقا، وقد أثر بنان في قلبها أثراً، وعلقته، ولم تزل تواصله سرّاً حتى ظهر أمرها، ثم غضب بنان على فضل في أمرٍ أنكره، فاعتذرت، فلم يقبل، فكتبت إليه كأنها تخاطب نفسها[2]: [السريع]

يا فضلُ صَبْراً إنَّها مِيتَةٌ يَجْرَعُها الكاذبُ والصَّادِقُ
ظَنَّ بنانٌ أنني خُنْتُهُ روحي إذَنْ مِنْ جَسَدي طالِقُ

[١٠٦]

تَيْمَاء، جارية خُزَيْمَة بن خازِم[3]

وكانت مدنية، شاعرة، جريئة، ذا عورة، ضحوك، لعوب، كسلى دلال، لا يعمر

(١) الإماء ٧٩، الأغاني ١٨/ ١٧١.
(٢) لفضل الشاعرة في الإماء ٨٢، الأغاني ١٩/ ٣٢٥.
(٣) خزيمة بن خازم التميمي: وال، من أكابر القواد في عصر الرشيد والأمين والمأمون. شهد الوقائع الكثيرة وقاد الجيوش، وولي البصرة في أيام الرشيد، والجزيرة في أيام الأمين. ولما عظم الخلاف بين الأمين والمأمون انحاز إلى أصحاب المأمون، واشترك في حصار بغداد إلى أن قتل الأمين، فأقام ببغداد فمات فيها سنة ٢٠٣هـ/ ٨١٩م.
ترجمته في: الكامل لابن الأثير، حوادث سنة ٢٠٣ وما قبلها، الأعلام ٢/ ٣٠٥.

بها لغوب، /٢٨٦/ تجرّ على الغواني ذيلاً، وتخسف البدور ليلاً، وتحظى المتيم الذي يقول: [من الطويل]

وخَبَّرْتُماني أَنَّ تيماءَ مَنزِلٌ للبلى

وأجادت في الشعر، ولم تقصّر في العناء، ولم تدع لمن بعدها غير الغناء.

ومن شعرها(١): [من البسيط]

يفديكِ تيماءُ مِنْ سُوءٍ يحاذره ... فأَنْت مُهْجتُها والسمعُ والبصرُ
لئنْ رَحَلْتِ لقدْ أبقيتِ لي حَزَناً ... لمْ يبقَ لي مَعَهُ في لذَّةٍ وَطَرُ
فهلْ تذكَّرتِ عَهْدِي في المغيبِ كما ... قدْ شَفَّنِي الهَمُّ والأحزانُ والفِكَرُ

وحكت أنها عرضت على خزيمة هي ووصيفة بِكْر حلوة الوجه، فمال إليها، وأقبل عليَّ كالمعتذر، فقال(٢): [من الكامل]

قالوا: عشقتَ صغيرةً فأَجَبْتُهُمْ.. البيتان

فقلت(٣): [من الكامل]

إنَّ المطيةَ لا يَلَذُّ رُكُوبُها ... حتَّى تُذَلَّلَ بالزِّمامِ وتُرْكَبُ
والدُّرُّ ليسَ بنافعٍ أَصْحَابَها ... حَتَّى تُؤَلَّفَ بالنِّظامِ وتُثْقَبُ

هكذا رواهما أبو الفرج في كتاب الإماء.

قالت تيماء: فضحك واشترانا معاً، ثم غلبتها عليه، ولها غناء فيهما.

ومنهم:

[١٠٧]

سُكُون جارية طاهر بن الحسين(٤)

وكانت بيضاء، مولدة، بادية السناء، حسنة الوجه والغناء، ربيت في دارين

---

(١) لتيماء في الإماء الشواعر ٨٥.

(٢) صدر بيت لأبي دلف العجلي في الأغاني ١٩/ ٣١٤ وعجزه: «أشهى المطيّ إليّ ما لم يركب».

(٣) لفضل الشاعرة في الإماء ٨٦، الأغاني ١٩/ ٣١٥.

(٤) طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، أبو الطيب، وأبو طلحة، ذو اليمينين، من كبار الوزراء والقواد، أدباً وحكمة وشجاعة. وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي. ولد في بوشنج (من أعمال خراسان) سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٥م، وسكن بغداد، فاتصل بالمأمون في صباه، وكانت لأبيه منزلة عند الرشيد. ولما مات الرشيد وولي الأمين، كان المأمون في مرو، فانتدب طاهراً للزحف إلى بغداد، فهاجمها وظفر بالأمين وقتله (سنة ١٩٨هـ) وعقد البيعة للمأمون، فولاه شرطة بغداد، ثم ولاه الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب، في السنة نفسها (١٩٨) وخراسان (سنة =

لسحر بن محمد، وأخذت الغناء عنه، وعن ابنه وبناته وجواريه، وتلقت عن إسحاق وطبقته، واستحسنها إبراهيم الموصلي، وسائر رفقته، وأعجب بها ابن المهدي، واهتزّ لصوتها الندي، وكانت مبرزة في الشعر تعد من الشعراء، وتلحق منهم بالرجال لا بالنساء، وسمعها إبراهيم الموصلي، فاستحسن طبعها، وقال: ليت شعري هذا السيف لمن يشحذ؟!

وحظيت عند طاهر بن الحسين، ثم غلبتها عليه جارية أخرى انقطع إليها مدة، ثم جاز بحجرة سكون، فوثبت إليه، وقبَّلت يديه فاستحيا منها، وقال: الليلة أزورك، فتأهبت لذلك، وتزينت، وتعطرت، ونسي طاهر، فلم يأت إليها، فكتبت إليه[1]: [من الوافر]

أَلاَ يا أَيَّها المَلِكُ الهُمَامُ　　لأمرِكَ طاعةٌ ولنا ذِمَامُ
طَمِعْنا في الزيارةِ والتلاقي　　فلَمْ يكُ غيرُ عُذْرٍ والسَّلامُ

فلما أتته رقعتها، حركته، وهاجت دواعيه، وأطربته، فقام إليها، ودخل مسارعاً عليها، /٢٨٧/ فأقام عندها ثلاثاً، وأبرم لها حبله الذي كان أنكاثاً، وعاد لها إلى ما كان عليه، وعلى ما لم يزل لديه.

ومنهم:

[١٠٨]

فنون جارية يحيى بن مُعَاذ[2]

وكانت كاتبة شاعرة، حلوة الوجه والنادرة، بارعة في الغناء، عزيزة لاتسام

= ٢٠٥هـ) وكان في نفس المأمون شيء عليه، لقتله أخاه «الأمين» بغير مشورته. ولعله شعر بذلك. فلما استقر في خراسان، قطع خطبة المأمون، يوم جمعة، فقتله أحد غلمانه في تلك الليلة، بمرو سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م، وقيل: مات مسموماً. ولقب بذي اليمينين لأنه ضرب رجلاً بشماله، فقدّه نصفين، أو لأنه ولي العراق وخراسان، لقبه بذلك المأمون. وكان أعور. له «وصية ـ خ» لأحد أبنائه، في دار الكتب.

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٣٥، والشعور بالعور ـ خ، وغربال الزمان ـ خ. والبداية والنهاية ١٠/ ٢٦٠ وابن الأثير ٦/ ١٢٩ وتاريخ الطبري ١٠/ ٢٦٥ وشذرات الذهب ٢/ ١٦ وما قبلها، وتاريخ بغداد ٩/ ٣٥٣، والديارات ٩١ ـ ٩٥، والنجوم الزاهرة ١٤٩ـ ١٥٢ و١٥٥ و١٦٠ و١٧٨ و١٨٣ ودار الكتب ٣/ ٤٣٥، الأعلام ٣/ ٢٢١.

(١) لسكون في الإماء ٩٠.

(٢) يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، أبو زكريا: واعظ، زاهد، لم يكن له نظير في وقته. من أهل =

بالغلاء، وهي القائلة[١]: [من البسيط]

يا ذا الذي لامَ في تحريقِ قِرطاسي ... كمْ مَرَّ مِثْلُكَ في الدنيا على راسِيْ
[ما] الحَزَم تَحْرِيْقُهُ إنْ كُنْتَ ذا أَدَبٍ ... وإنَّما الحَزْمُ سُوءُ الظَنِّ بالناسِ
إذا أَتاكَ وقَدْ أَدَّى أَمانَتَهُ ... فاحْفَظْ أَساطِيره عَنْ كُلِّ وَسْوَاسِ
واشْقُقْ كتابَ الذي تَهْواهُ مُعْتَمِداً ... فَرُبَّ مُفْتَضِحٍ في حِفْظِ قِرطاسِ

ومنهم:

[١٠٩]

صرف جارية ابن خُضَير[٢]

مولى جعفر بن سليمان

وكانت جارية مليحة، وشاعرة فصيحة، ومغنية حسنة الوجه والغناء، كأن الشمس من أخواتها، والوُرق في لهواتها. من مولدات البصرة، ومتوكدّات الحسرة.

ولها في الغناء صنعة بديعة، ذكر الهاشمي منه هذا الصوت[٣]: [من الطويل]

كريمٌ يغضُّ الطَّرفَ فَرْطَ حيائِهِ ... ويَدْنُو وأَطرافُ الرِّماحِ دَوَانِي
وكالسيفِ إنْ لاينتَهُ لأنَ مَتْنُهُ ... وحَدَّاهُ إنْ خاشَنْتَهُ خَشِنانِ

ولحنه في خفيف الرمل.

= الري. أقام ببلخ، ومات في نيسابور سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م.له كلمات سائرة، منها:

«كيف يكون زاهداً من لا ورع له، تورع عما ليس لك، ثم ازهد فيما لك»

«هان عليك من احتاج إليك»

«تزكية الأشرار لك، هجنة بك؛ وحبهم لك عيب عليك»

«الدنيا، من أولها إلى آخرها، لا تساوي غم ساعة»

«طلب العاقل للدنيا، أحسن من ترك الجاهل لها»

«من خان الله في السر، هتك الله ستره في العلانية»

«اجتنبت صحبة ثلاثة أصناف من الناس: العلماء الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين».

ترجمته في: العروسي على شرح الرسالة القشيرية ١/ ١١٩ وطبقات الصوفية ١٠٧ـ ١١٤ وصفة الصفوة ٤/ ٧١ـ ٨٠ وفي المدهش ـ خ. لابن الجوزي: المسمون «يحيى بن معاذ» ثلاثة: أحدهم نيسابوري، والثاني رازي، والثالث تستري، الأعلام ٨/ ١٧٢.

(١) الإماء الشواعر ٩٣.

(٢) في الأصل: «صرح جارية أم حصين» وما أثبتناه من الإماء الشواعر.

(٣) لأبي الشيص الخزاعي في شعره ١٠٤، وبلا عزو في الإماء الشواعر ٩٧.

وكتب إليها عبد الصمد بن المعذل[١]: [من السريع]

حَبَوتُ صِرفاً بَهَوًى صِرْفِ لأنَّها في غايةِ الظَّرْفِ
يا صرفُ ما تقضين مِنْ عاشِقٍ بكاؤُهُ يُبدِئ الذي يُخفِي

فكتبت إليه[٢]: [من السريع]

لَبَّيْكَ مِنْ داعٍ أبا قاسم حُبُّكَ يُدنيني مِنَ الحَتْفِ
صرفُ الذي يُصْفِيكَ صِرْفَ الهَوَى وحليةٌ جلَّتْ عَنِ الوَصْفِ

ومنهم:

[١١٠]

نَسِيْم جارية أحمد بن يوسف الكاتب[٣]

شاعرة مغنية، زاهرة عن الكواكب مغنية، مولَّدة مولِّدة لكل صبابة طبعت عليها /٢٨٨/ النفوس، وكآبة وخلعت عليها، فلا ينزع لها لبوس، وهي القائلة في سيدها وقد مات[٤]: [من البسيط]

ولَوْ أنَّ حَياً هابَهُ الموتُ قبْلَهُ لما جاءَهُ أَوْ جاءَ وهْوَ هَيُوبُ
ولَوْ أنَّ حَياً قبلَهُ صانَهُ البِلَى إذَنْ لَمْ يكنْ للأرضِ فيهِ نصيبُ

وكذلك هي القائلة فيه[٥]: [من البسيط]

نفسِي فِداؤكَ لَوْ بالناسِ كُلِّهِمُ ما بِي عليكَ تَمَنُّوا أَنَّهُمْ ماتُوا
ولِلورى مِيْتَةٌ في الدَّهْرِ واحِدَةٌ ولِي مِنَ الهَمِّ والأَحْزَان مَوْتَاتُ

ومنهم:

---

(١) ديوانه ١٤٣، الإماء الشواعر ٩٨. (٢) لصرف في الإماء ٦٨.

(٣) أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي بالولاء، المعروف بالكاتب: وزير من كبار الكتاب. من أهل الكوفة. ولي ديوان الرسائل للمأمون، واستوزره بعد أحمد بن أبي خالد الأحول، وتوفي ببغداد سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م، وكان فصيحاً، قوي البديهة، يقول الشعر الجيد، له «رسائل» مدونة. وهو صاحب البيت المشهور:

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يُستودع السر أضيقُ

ترجمته في: تاريخ بغداد ٥/ ٢١٦ والوزراء والكتاب ٣٠٤ ومعجم الأدباء ٢/ ١٦٠ والبداية والنهاية ١٠/ ٢٦٩ والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٠٦ وأمراء البيان ١/ ٢١٨ ـ ٢٤٣ وفهرست ابن النديم: الفن الثاني من المقالة الثالثة، الأعلام ١/ ٢٧٢.

(٤) الإماء ١٠١، المستظرف ٧٣.

(٥) لنُسيم في الإماء ١٠٢.

[١١١]

عَارِم جارية وليدة النخاس

مولدة من مولدات البصرة، والمولدات في القلوب الحسرة، باعها مولاها، فابتاعها بعض الكتاب، وحلّت منه محلاً لم يبلغه العتاب.

قال الخاركي الشاعر: مرت بي عارم يوماً، وأنا مخمور، فاستوقفتها وقلت لها(١): [من الرجز]

هَلْ لَكَ فِي أَيْرٍ وأَيْرُ مِثْلِي يَنْهَضُ قُدّامِي وفوقَ رِجْلِي
أَدَقُّ عِرْقَيْهِ كَأَيْرِ بَغْلِ

فضحكت ثم قالت(٢): [من الرجز]

هَلْ لَكَ فِي أَضْيَقَ مِنْ حِرِ امِّكا مُسْتَحْصَفٍ داخَلَهُ كَهَمِّكا
تَموتُ إنْ أَبْصَرْتَهُ بِهَمِّكا

ومنهم:

[١١٢]

سلمى اليمامية

جارية أبي عباد، وكانت فتنة للنظر، ومحنة لمن بات من العشق على غرر، وهي القائلة في رياء(٣): [من الكامل]

يا نازحاً شَطَّ المَزَارُ [بِهِ] شَوْقِي إِلَيكَ يَجِلُّ عَنْ وَصْفِيْ
أَسْهَرْتَ عيني في تَفَرُّقِنا ما التذَّ بعْدَكَ بالكَرَى طَرْفِيْ
أُغْفِي لكيْ أَلْقاكَ في حُلُمِي ومِنَ الكَبائِرِ ثاكِلٌ تُغْفِي

ومنهم:

[١١٣]

مُرَاد جارية علي بن هشام(٤)

مولدة من مولدات المدينة، صفراء كأنها الذهب، هيفاء كأنها مال بها الطرب.

(١) للخاركي في الإماء ١٠٥.
(٢) لعارم في الإماء ١٠٦.
(٣) الإماء الشواعر ١١٠.
(٤) علي بن هشام: من أمراء المأمون وقواده، تولى حرب بابك الخرمي، ثم غضب عليه بسبب ما =

اشتراها علي بن هشام لما حجّ، وكانت تقول الشعر في معاني فتوحه، وتداني به ما يهتز به / ٢٨٩/ من مديحه. وغضبت عليه مرة وهجرته، وتعرض إلى ترضيها، فزجرته، فكتب إليها[(١)]: [الطويل]

لئن كان هذا منك حقاً فإنني ... مداوي الذي بيني وبينك بالهجر
ومنصرف عنك انصراف ابن حرة ... طوى ودّه، والطي أبقى على النشر

فكتبت إليه[(٢)]: [من الطويل]

إذا كُنْتَ في رِقِّيْ هوًى وتملُّكٍ ... فلا بُدّ مِنْ صَبْرٍ على غُصَصِ الصَّبْرِ
وإغْضاءِ أَجفانٍ طُوِيْنَ على قذًى ... وإذعانِ مملوكٍ على الذُّلِّ والقَسْرِ
فذلكَ خيرٌ مِنْ مُعاصاة مالكٍ ... وصبرٍ على الإعْرَاضِ والصَّدِّ والهَجْرِ

ومنهم:

[١١٤]

مُتَيَّم الهشامية[(٣)]

كانت تعبث بالشعر فإذا قالته تجيده، وقادته لا يأتي عليها شريده، وعلى أنه بحر لم يقع إلينا منه إلا فريده.

قال لها المأمون أجيزي[(٤)]: [من الطويل]

تعالَيْ يكُنْ للكُتبِ بيني وبينَكُمْ ... مُلاحظةٌ نُومِي بها ونُشِيرُ
فَعِنْدِيْ مِنَ الكُتبِ المَشُومةِ خبرةٌ ... وعنديَ مِنْ شُؤمِ الرَّسولِ أُمُورُ

فقالت[(٥)]: [من الطويل]

جَعَلْتُ كتابي عَبْرَةً مُسْتَهِلَّةً ... وفي الخدِّ مِنْ ماءِ الجُفُون سُطُورُ

وهي القائلة[(٦)]: [من السريع]

يا منزلاً لمْ تبْلَ أَطلالُهُ ... حاشا لأَطلالِكَ أَنْ تبلَى

الأبيات

= بلغه من ظلمه واغتصابه أموال الناس فأمر بقتله سنة ٢١٧هـ.
ترجمته في: الأغاني ٧/ ٣٢١ـ ٣٢٦، تاريخ الطبري (حوادث سنة ٢١٧هـ).

(١) الإماء الشواعر ١١٣ ـ ١١٤.
(٢) لمراد في الإماء ١١٤.
(٣) سبق أن مرّت هذه الترجمة في هذا السفر برقم (٢٩).
(٤) الإماء الشواعر ١٩٩، الأغاني ٧/ ٣٢٤.
(٥) لمتيم في الإماء ١٢٠.
(٦) لمتيم في الإماء ١٢٠ـ ١٢٤، الأغاني ٧/ ٣٢٠ـ ٣٢١.

وفيه صنعة رمل على طريق النوح، وقد ذكر في أخبار المعتصم.

ومنهم:

[١١٥ـ ١١٦]

سمراء وهيلانة[١]

شاعرتان فاخرتان، ومولدتان للقلوب مفسدتان، من مولدات الحجاز، ومجددات الهوى الذي ما له حجاز، وكانت تجتمع لمعارضة الشعراء لهما أهل الأدب ووجوه الكتاب.

قال أبو الشبل البرجمي الشاعر[٢]: دخلت إلى سمراء فتحدثنا ساعة، ثم أنشدتها بيتاً لأبي المستهل[٣] في المعتصم[٤]: [من المتقارب]

أقَامَ الإمَامُ مَنَارَ الهُدَى   وأَخْرَسَ نَاقُوسَ عَمُّورِيَهْ

ثم قلت لها أجيزي فقالت[٥]: [من المتقارب]

/ ٢٩٠/ كَسَانِي المَلِيكُ جَلابِيْبَهُ   ثِيَاباً عَلاَهَا بِسَمُّورِيَهْ

فأعلى افتخاري بها رُتْبَتِي   وأَذْكَى بِبَهْجَتِهَا نُورِيَهْ

ثم أكلنا عندها، وخرجت من عندها، فأتيت هيلانة، فقالت: من أين يا أبا شبل؟، فقلت: من عند سمراء، قالت: قد علمت أنك تبتدىء بها، وكانت سمراء أجملهما، فقالت: وأعلم أنها لم تدعك حتى أكلت عندها. قلت: أجل، قالت: فهل لك في الشرب؟، قلت: نعم، فأحضرت شراباً، فشربت منه، ثم قالت: أخبرني بما جرى بينكما، فأخبرتها، قالت: هذه المسكينة كانت تجد البرد، واحتاجت إلى سمورية

---

(١) سمراء وهيلانة: مولدتان كانتا لرجلين من نخاسي بغداد، وكان الشعراء في أيام المعتصم وقبلها يدخلون عليهما يسمعون صوتهما ويقيمون عندهما، ويجتمع لذلك أهل الأدب والكتاب فينفقون عليهما.
ترجمتهما في: الإماء الشواعر ١٢٥.

(٢) أبو الشبل البرجمي: عاصم بن وهب من البراجم، من أهل الكوفة، نشأ وتأدب بالبصرة، اختص بالمتوكل ومدحه، وكان كثير الغزل. توفي معمراً سنة ٢٣٥هـ.
ترجمته في: الأغاني ١٤/ ١٩١ـ ٢٠٨.

(٣) أبو المستهل عبد الله بن تميم بن حمزة الأسدي، من رواة شعر سلم الخاسر.
ترجمته في: الأغاني ١٩/ ٢٨٨ـ ٢٩٠.

(٤) لأبي المستهل في الإماء الشواعر ١٢٦، الأغاني ١٤/ ١٩٨.

(٥) لسمراء في الإماء الشواعر ١٢٦، الأغاني ٤/ ١٩٨.

فهلا قالت[١]: [من المتقارب]

فـأَضـحـى بـهِ الـديـنُ مُـسـتـبـشـراً ... وأَضـحـتْ زِنـادُ الـهـوى مُـورِيَـهْ

فقلت لها: أنت في كلامك أشعر منها في شعرها، وشعرك فوق شعراء أهل عصرك.

ومنهم:

[١١٧]

ظلوم جارية محمد بن مسلم

وكانت شاعرة ماهرة، وناثرة باهرة، وكاتبة قادرة، ومغنية محسنة، سريعة البادرة، كانت لأبي صالح محمد بن مسلم الكاتب، ثم باعها لبعض الكتاب، فاستفادت عنده طرائق الآداب، واستزادت فوق ما يحتاج إليه في هذا الباب.

قال جعفر بن قدامة: حدّثني أحمد بن أبي طاهر: كان محمد بن مسلم لي صديقاً، وكان يقال له أبو الصالحات، فرأيت جاريته يوماً إلى جانبه وعلى رأسها كور منسوج بالذهب مكتوب بخطّ أحسن من كتب[٢]: [من الطويل]

وإنـي عـلـى الـوُدِّ الـذي قـدْ عَـرَفـتُـمُ ... مُـقـيـمٌ عـلـيـه لا أَجُـولُ عـلـى الـعَـهْـدِ

وذلـكَ أَدنـى طـاعـتـي لـمـحـبَّـتـي ... كـأَيـسـرِ مـا أُطـفِـي بـهِ غُـلَّـةَ الـوَجـدِ

فقلت لها: ما أملح هذا الشعر الذي على كورك. قالت: هو شعري. أفتحبّ أن أغنيك به؟ قلت: أجل!، فغنّته أملح غناء، ثم اشتراها بعد ذلك فتًى من الكتاب.

ومنهم

[١١٨]

عاذل جارية زينب بنت إبراهيم الهاشمية

من أحسن الناس شعراً وغناءً، وسنىً وسناءً إلى محيّا وسيم، وقوام كما /٢٩١/ عبث بغصن البان النسيم، ورقة معاطف كما تصبب من قطراتها المدام، ولين بشرة كأنّما تصوّب من خطراتها الغمام. وكان إبراهيم بن العباس الصولي[٣] بها سكران لا يفيق، ونشوان لا يأنس إلى رفيق.

(١) لهيلانة في الإماء الشواعر ١٢٧، الأغاني ١٤/ ١٩٩.

(٢) لظلوم في الإماء والشواعر ١٣١ـ ١٣٢.

(٣) إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، أبو إسحاق: كاتب العراق في عصره. أصله من خراسان، وكان جده محمد من رجال الدولة العباسية ودعاتها.

=

قال ابن السخي: وكانت مولاتها زينب بنت إبراهيم ـ أخت عبد الوهاب بن إبراهيم تقيّن عليها، وتخرجها إلى الوجوه بسرّ من رأى، وكانت كاملة في الظرف، وكان إبراهيم بن العباس ممن أخرجها عليه فمالت إليه، وأصفته هواها، فلم يكدر له جوّه، ولا تنكر له دوة، وامتنعت من جماعة كان يهوونها، واحتجبت عنهم حتى كأنهم ما كانوا يرونها.

ثم إن إبراهيم علق غيرها جارية كانت للواثق أهداها إليه بعض ملوك الأتراك، فخرجت بعد وفاة الواثق حرّة، كانت ولدت منه بنتاً؛ فلما واصلها جفا ظلوم، وظلمها في الوفاء، وأضرمها بنارٍ لا تعاجل الانطفاء؛ فلما رأت تكدره وتبينت تغيّره لها، وتنكره كتبت إليه[1]: [من المنسرح]

يا ناقضاً للعُهودِ بِمَنْ ... بَعْدَكَ مِنْ أَهْلِ صَبْوَتي أَثِقُ
واسوأتا واستحيت لي أبداً ... أَنْ ذكرَ العاشقونَ مَنْ عَشِقُوا
لا غَرَّني كاتبٌ لهُ أدبٌ ... ولا ظَريفٌ مُهَذَّبٌ لَبِقُ

قال إبراهيم الصولي: فلما قرأت الأبيات، أخذني مثل الجنون عليها، ثم هجرت الواثقية، وأقبلت عليها، ولم تزل على مصافاة ومواصلة حتى قطع الموت بيننا وقرب حَيْنَنا حيناً.

ومنهم:

[١١٩ـ ١٢٠]

رَيَّا وظَمْيَاء

مولدتان يماميتان، هما الشمس وأختها، والحظية وبحبها. غصنا بانة، ومعطفا

= ولد سنة ١٧٦هـ/ ٧٩٢م، ونشأ في بغداد فتأدب وقرّبه الخلفاء فكان كاتباً للمعتصم والواثق والمتوكل.
وتنقل في الأعمال والدواوين إلى أن مات متقلداً ديوان الضياع والنفقات بسامراء سنة ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م. قال دعبل الشاعر: لو تكسب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا في غير شيء. وقال ياقوت: كان إبراهيم إذا قال شعراً اختاره وأسقط رذله وأثبت نخبته. وقال المسعودي: لا يعلم فيمن تقدم وتأخر من الكتّاب أشعر منه، وكان يدّعي خؤولة العباس بن الأحنف الشاعر. له «ديوان رسائل» وديوان شعر» و«كتاب الدولة» كبير، و«كتاب العطر» و«كتاب الطبيخ».
ترجمته في: الأغاني ١٠/ ٥٤ـ ٨٦، ومعجم الأدباء ١/ ٢٦١، ووفيات الأعيان، ١/ ٩ والمسعودي ٢/ ٢٩٩ـ ٣٠١، وتاريخ بغداد ٦/ ١١٧، وأمراء البيان ٢٤٤ـ ٢٧٧، نسمة السحر ١/ ٧١ـ ٨٦، الأعلام ١/ ٤٥، معجم الشعراء للجبوري ١/ ٣٢ـ ٣٣.

(١) لعاذل في الإماء الشواعر ١٥٢.

ريحانة، وغزالا سربٍ، وقسيما شرب، وقمرا هالة، ومقلتا ظبيٍ أفلت من حبالة.

حكى أحمد بن خلف، قال حدَّثني أحمد بن سهل ـ وكان أحد كتاب صاعد ـ قال: سمعت الحسن بن مخلد يحدّث أن رجلاً نخاساً من اليمامة قدم بجاريتين شاعرتين على المتوكل، فنظر إلى إحداهما، فقال: ما اسمك؟ قالت: ريّا. قال: أنت شاعرة؟ قالت: كذا زعم مالكي، قال: فقولي في مجلسنا شعراً ترتجلينه وتذكريني وتذكرين الفتح بن خاقان، فوقفت هنيهة، ثم قالت[1]: [من الطويل]

أَقولُ وقدْ أبصرتُ صورةَ جعفرٍ إمامِ الهُدَى والفتحِ ذا العزِّ والفخرِ
/ ٢٩٢/ أَشَمْسُ الضُّحَى أَمْ شِبْهُها وجْهُ جعفرٍ وبدرُ السَّماءِ الفتحُ أَمْ شَبَهُ البَدْرِ

فالتفت إلى الأخرى، ثم قال: وقولي أنت فقالت: [من الطويل]

أَقولُ وقدْ أبصرتُ طلعةَ جعفرٍ تعالى الذي أَعلاكَ يا سيِّدَ البَشَرْ
وأَكملَ نُعْماهُ بفَتحٍ نصيحةٍ فأَنتَ لنا شَمْسٌ وفَتْحٌ هُوَ القَمَرْ

فأمر أن تشترى الأولى وتردّ الأخرى، فقالت المردودة: ولم رددتني يا مولاي؟ قال: لأنَّ بوجهك نمشاً، فقالت[2]: [من السريع]

لمْ يسلمِ الظَّبْيُ على حُسْنِهِ يوماً ولا الدُّرِّ الذي يُوصَفُ
الظَّبيُ فيهِ خَنَسٌ ظَاهِرٌ والبدرُ فيهِ نُكَتٌ تُعْرَفُ

فاشتراهما معاً، ولم يفرّق لهما مجمعا، إلى أن فرَّق بينهما الدهر المشتت، وبتَّ اجتماعهما صرفُ الزمان المبتِّت.

ومنهم:

[١٢١]

بَنَان جارية المتوكل[3]

كانت تخجل القمر بصفحتها، والغزال بلمحتها، والقضيب المتأوِّد بقدّها،

---

(١) لرّيا في الإماء الشواعر ١٥٥.

(٢) لظمياء في الإماء ١٥٦.

(٣) المُتَوَكِّل العَبَّاسي، جعفر (المتوكل على الله) بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد، أبو الفضل: خليفة عباسي. ولد ببغداد سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م، وبويع بعد وفاة أخيه الواثق (سنة ٢٣٢هـ) وكان جواداً ممدحاً محباً للعمران، من آثاره «المتوكلية» ببغداد، أنفق عليها أموالا كثيرة، وسكنه. ولما استُخلف كتب إلى أهل بغداد كتاباً قرىء على المنبر بترك الجدل في القرآن، وأن الذمة بريئة =

والتفّاح الجنيّ بخدها، وتغير القلائد بنظمها الذي لا تحليه إلا مبسمها ولا يضاهيه إلا الثريا لمن يتوسمها. لا تجيء عريب لها بإصبع من بنان، ولا دنانير إلا مما لا يدخر للامتنان، ولا سابقة لا يلحق إلا وهي معها في طيّ عنان.

قال الفضل بن العباس الهاشمي، حدثتني بنان الشاعرة المتوكلية، قالت: خرج المتوكل يوماً يمشي في صحن القصر، وهو يتوكأ على يدي ويد فضل الشاعرة فأنشد[1]: [من الطويل]

تعلَّمتُ أَسبابَ الرِّضا خَوْفَ هَجْرِها وعلَّمها حُبِّي لها كيفَ تغضبُ

ثم قال لنا أجيزا هذا البيت، فقالت فضل[2]: [من الطويل]

تصدُّ وأُبْدي بالمودَّةِ جاهداً وتبعدُ عنِّي بالوِصالِ وأَقْرُبُ
وعندي لهُ العُتْبَى على كُلِّ حالةٍ فما عنْهُ لِيْ بُدٌّ ولا عنْهُ مَذْهَبُ

ومنهم:

[١٢٢]

رَيَّا جارية إسحاق[3]

وكانت مولدة ربيت باليمامة، وتربت على غناء أشجى من تغريد الحمامة، وكانت صفراء كأنما /٢٩٣/ تجر مُعَصفرات الجلابيب، أو تكسى مصفرات الذهب الصبيب. هذا إلى حلاوة توكل بالعيون، وحسن لا يقضى منه عدات الديون.

وكانت شاعرة لو فاوضت النساءَ، أو أوجبت عليهن الفخر، أو باكت الخنساء

= ممن يقول بخلقه أو غير خلقه. ونقل مقر الخلافة من بغداد إلى دمشق، فأقام بهذه شهرين، فلم يطب له مناخها، فعاد وأقام في سامراء، إلى أن اغتيل فيها ليلاً من قبل ابنه (المنتصر) سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م، ولبعض الشعراء هجاء في المتوكل لهدمه قبر الحسين وما حوله، سنة ٢٣٦هـ. وكثرت الزلازل في أيامه فعمّر بعض ما خربت. وكان يلبس في زمن الورد الثياب الحمر، ويأمر بالفرش الأحمر، ولا يرى الورد إلا في مجلسه، وكان يقول: أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منّا أولى بصاحبه!.

ترجمته في: الدول الإسلامية ٢٠، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٣٧ وفيه: كان أسمر مليح العينين، نحيف الجسم، خفيف العارضين، له جمة إلى شحمة أذنيه، كعمه وأبيه وتاريخ بغداد ٧/ ١٦٥ وفيه: كان أقرب إلى القصر والنبراس ٨٠ـ٨٥، الاعلام ٢/ ١٢٧.

(١) الإماء الشواعر ١٦٧، الأغاني ١٩/ ٣١٧.

(٢) لفضل الشاعرة في الاماء الشواعر ٢١٨، الأغاني ١٩/ ٣١٨.

(٣) اسحاق الموصلي، ترجم له المؤلف برقم (٦٧).

لما كانت لها عينان تجري على صخر، طالما تمناها متيّم لو أن الأيام ساعدت، وظلّ لا يزيد على أن يقول[١]: [من الطويل]

حَنَنْتَ إلى رَيَّا ونفسُكَ باعَدَتْ

حكى حماد بن إسحاق الموصلي. قال: اشتراها أبي لما حجَّ، وكان يحبّها، ويستحليها، وهي التي تقول فيه[٢]: [من مجزوء الخفيف]

يا لذيذَ المُعانَقَةْ يا كثيرَ المُفارَقَةْ
جُزْتَ يا مُنتهى المُنى فِيَّ حَدَّ المُوافَقَةْ
وأَنا دُونَ مَنْ تَرَى لكَ واللهِ عاشِقَةْ

قال حماد: وفيه لحن من الرمل لبعض جوارينا إما صيد، وإما دمن، وكانت قد أخذت عنها الغناء، وسرقته من إسحاق.

[١٢٣]

[محبوبة جارية المتوكل][٣]

كانت ضرّةُ الشمس ومسرّة النفس، قيد كلّ ناظر، وأمنية كلّ خاطر، لو حدرت في الليل قناعها، لابيضت غرابيبه، وانقدت بطلائع الصباح جلابيبه. أحسن من الريم سالفة وحذقاً، وأكثر من الأغصان أعطافاً ومعتنقاً. هذا إلى صفاء فيه لا تناول، وصفاء لا يقاس به السموءل، وإجادة في الشعر لا تعرف لذات خمار، ولا يعدّ للأخيلية معها إلا ما يحكى في أكاذيب الأسمار، تنحطُّ عنها رُتْبة عُليّة أخت إبراهيم، وترد عنان وقد أصبحت حدائقها كالصريم.

---

(١) صدر بيت للصمة بن عبد الله القشيري في ديوانه ٩٣، وعجزه:
«مزارك من ريّا وشعبا كما معا»

(٢) لريّا في الإماء الشواعر ١٧١.

(٣) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل.
مَحْبُوبَة: شاعرة ملحنة موسيقية، من مولدات البصرة. كانت لرجل من أهل الطائف أدّبها وعلمها، وأهديت للمتوكِل العباسي لما ولي الخلافة (سنة ٢٣٢) فحلّت من قلبه محلاً جليلاً. واشتهرت بأخبارها في مجالسه. ولما قتل (سنة ٢٤٧) صار كثير من جواريه إلى وصيف وبينهن محبوبة، فأمرها يوماً أن تغني، فأنشدت أبياتاً في رثاء المتوكل، فغضب وصيف وأمر بسجنها، فسجنت، وكان آخر العهد بها. وقيل: استوهبها منه بُغا فوهبها له فأعتقها وأمر بإخراجها من سامراء، فخرجت إلى بغداد، فأخملت ذكرها وانزوت إلى أن توفيت بعد سنة ٢٤٧هـ/ بعد ٨٦١م.
ترجمتها في: المسعودي، طبعة باريس ٧/ ٢٨١ و٢٨٧، وأعلام النساء ١٤٢٠، الأعلام ٥/ ٢٨٣.

قال أبو الفرج في كتاب الإماء[1]: كانت مولدة، شاعرة، مغنية، متقدمة في الحالين على طبقتها، وكانت حسنة الوجه والغناء، أهداها عبد الله بن طاهر للمتوكل في جملة أربعمائة فيهنّ قيان وسواذج، فتقدمتهن جميعاً عنده؛ ولما قتل، صارت إلى وصيف، فلزمت النُّسْك حزناً ووفاءً للمتوكل حتى أراد وصيف قتلها، فاستوهبها منه بُغا، فأعطاهُ إياها، فأعتقها، / ٢٩٤/ وقال: أقيمي حيث شئت، فانحدرت عن سر من رأى إلى بغداد، وأخملت نفسها إلى أن ماتت.

قال: وحدّثني جعفر بن قدامة عن علي بن الجهم، قال: كنت يوماً بحضرة المتوكل، وهو يشرب، ونحن بين يديه، إذ دفع إلى محبوبة تفاحة مُغَلَّفة بغالية، فقبَّلتها، وانصرفت عن حضرته إلى مجلسها، ثم خرجت جارية لها، ومعها رقعة، فدفعتها إلى المتوكل، فقرأها، وضحك ضحكاً شديداً، ثم رمى بالرقعة إلينا فإذا فيها[2]: [من المنسرح]

يا طيبَ تُفَّاحةٍ خَلَوتُ بِها ... تُشْعِلُ نارَ الهَوَى على كَبِدِيْ
أَبكي إليها وأَشتكي دَنَفِيْ ... وما أُلاقي مِنْ شِدَّةِ الكَمَدِ
لَوْ أنَّ تُفَّاحَةً بَكَتْ لبكتْ ... مِنْ رَحْمَةٍ هذِهِ التي بيدِيْ
إنْ كُنْتِ لا تعلمينَ ما لقيتْ ... نفسِي فَمِصدَاقُ ذاكَ في جسَدِيْ
وإنْ تأَمَّلْتِهِ عَلِمْتِ بأَنْ ... ليسَ لِخَلْقٍ عليهِ مِنْ جَلَدِ

قال: فما والله أحد إلا استظرفها، واستملح الأبيات، وتقدّم المتوكل إلى عريب وسارية أن يصنعا في الأبيات لحناً، فصنعتا لحنين وغنتا بهما.

وحدّثني جعفر بن قدامة، قال: حدثني علي بن يحيى المنجم؛ قال: قال المتوكل لابن الجهم ـ وكان يأنس به ولا يكتمه شيئاً ـ: يا علي إني دخلت على قبيحة الساعة، فوجدتها قد كتبت اسمي على بياض ذلك الخدّ فقل في هذا أشياءَ، وكانت محبوبة جالسة من وراء الستارة تسمع، فسبقت علياً على البديهة وقالت[3]: [من الطويل]

وكاتبةٍ بالمسكِ في الخَدِّ جعفرا ... بنفسي محطَّ المِسْكِ مِنْ حيثُ أَثَّرَا
لئنْ كتبتْ في الخَدِّ سَطْراً بكَفِّها ... لقدْ كتبتْ بالقلبِ في الحبِّ أَسْطُرا
فيامَنْ لِلملوكِ ملكُ يمينِهِ ... مُطِيعٌ لهُ فيما أَسَرَّ وأَظْهَرا

---

(١) الإماء الشواعر ١٥٩.
(٢) الإماء ١٦٠.
(٣) لمحبوبة في الإماء ١٦١، الأغاني ٢٢/٢٠٣.

ويأمَنُ منْها في المنيةِ جعفرٌ   سقى اللهُ عهداً مِنْ ثناياك جعفرا

وأنشدتها للمتوكل، فبقي علي بن الجهم واجماً لا ينطق بحرف، وغنّت عريب بهذه الأبيات.

وحدّثني جعفر، قال: حدثني علي بن يحيى أن جواري المتوكل تفرقن بعد قتله، فصار لوصيف عدة فيهن محبوبة، فأصبح يوماً، وأمر بإحضار الجارية والجواري، /٢٩٥/ فأحضرن وعليهن أصناف الثياب والحلي، متزينات متعطرات، سوى محبوبة؛ فإنها جاءت شعثاء متسلبة عليها ثياب بيض، فغنين، وطربن، وشرب وصيف وطرب، ثم قال لمحبوبة: غنّي، فغنَّت على العود[1]: [من مجزوء الخفيف]

أَيُّ عَيْشٍ يطيبُ لي   لا أَرَى فيهِ جعفرا

مَلِكاً قَدْ رَأَتْهُ عيـ   ـني صَرِيعاً مُعَفَّرَا

كلّ مَنْ كانَ ذا سَقا   م وحُزْنٍ قَدْ بَرَا

غيرَ محبوبةَ التي   لَوْ تَرَى المَوْتَ يُشْتَرَى

لاشترتْهُ بما حَوَتْـ   ـهُ جَمِيعاً لتُقْبَرَا

فاشتدَّ ذلك على وصيف، وهم بقتلها، فاستوهبها منه بغا، فأعتقها وأطلقها حيث أحبت، فلم تزل متسلّبة حتى ماتت.

وحدّثني جعفر قال: قال علي بن يحيى المنجم: غاضب المتوكل محبوبة، فاشتدَّ عليه بعدها، ثم حسه يوماً، فحدّثني أنه رأى في النوم أنها صالحته ودعا له بخادم فقال له: اذهب، فاعرف لي خبرها، فمضى، وعاد، فأعلمه أنها جالسة تغني، فقال: ما ترى إلى هذه؟ أنا غضبان عليها وهي تغني، ثم قال: قم معي حتى نسمع ما تغني به، فقمنا حتى انتهينا إلى حجرتها، فإذا هي تغني[2]: [من المنسرح]

أَدُورُ في القصرِ لا أَرى أحداً   أَشكُو إليهِ ما يُكلِّمُني

حتَّى كأَنِّي أتيتُ مَعْصِيةً   ليستْ لها تَوْبَةٌ تُخَلِّصُني

فَهَلْ لنا شافِعٌ إلى ملِكٍ   قدْ زارَني في الكَرَى فَصالَحَني

حتَّى إذا ما الصباحُ لاحَ لنا   عادَ إلى الهجْرِ فَصَارَمَنِيْ

قال: وطرب المتوكل، فأحسّت به، فخرجت إليه، وخرجنا نتبادر، فأعلمته أنها رأته في النوم قد صالحها، وأنها صالحته في النوم، وقد صنعت تلك الأبيات، وغنت

(١) لمحبوبة في الإماء ١٦١ـ ١٦٢، الأغاني ٢٢/ ٢٠٤ـ ٢٠٥.

(٢) لمحبوبة في الإماء ١٦٢، الأغاني ٢٢/٢٠٦.

فيها، وحدّثها بما رأى، فتعجبنا جميعاً، واصطلحا، وأقاما يشربان يومهما.

ومنهم:

[١٢٤]

أمل جارية قَرِين النَّخّاس

أخذت من الأقمار غرّتها، ولزت بالشمس، فكانت ضرّتها. جاءت في غرة الشباب، /٢٩٦/ وجالت من الحسن بجلباب، وأصبحت تترشقها النظرات، وتتشوقها في أوراقها النضرات، لو بدت للأيام، لجلت بكرها الوضاح، أو للبدر لتستّر بالغمام خشية الافتضاح.

وحكى أبو حفص الشطرنجي[١]. قال: قال لي صالح بن الرشيد[٢]: إنَّ لقرين النخاس جارية شاعرة، فاعترضها وعرّفني خبرها، فدخلت إلى قرين، فأخرج إلي جارية حسنة، ظريفة، حلوة المنطق، فقلت: ما اسمك؟ قالت: شيء إذا بلغته نلت المنتهى، قلت: إذاً أمل، فضحكت، فقلت يقول لك الأمين[٣]: [من مجزوء الكامل]

اسأل المهيمنَ خالقَ الخـ ـلقِ الكثيرِ ورازقَهْ
أنْ لا أَمُوتَ بغَصَّتي يوماً وأَنتِ مُفارقَهْ

فأخذت درجاً وكتبت[٤]: [من مجزوء الكامل]

لا بلْ أراكِ وأَنتِ لِي مملوكةٌ ومُعانِقَهْ
لو كنتُ أَعلمُ أَنَّ نفسَكِ في المحبَّةِ صَادِقَهْ
لَدَنُوتُ منْكِ ولوْ عَلَو تِ إلى الجبالِ الشاهقَهْ

---

(١) أبو حفص، عمر بن عبد العزيز الشطرنجي، شاعر عليّة بنت المهدي، كان منقطعاً إليها، وكان غزلاً أديباً طريفاً، شغف بالشطرنج فنسب إليه، وكان أبوه من موالي المنصور، واسمه أعجمي فغيّره بعبد العزيز. توفي نحو سنة ٢١٠هـ/ نحو ٨٢٥م.
ترجمته في: سمط اللآلي ٥١٧، الأغاني ٢٢/ ٤٨ـ ٥٧ فوات الوفيات ٣/ ١٣٥، الأعلام ٥/ ٥٠، معجم الشعراء للجبوري ٤/ ٨٣.

(٢) صالح بن هارون الرشيد: كان أديباً يقول الشعر، ولاّه أخوه المأمون البصرة سنة ٢٠٤هـ، توفي سنة ٢٠٩هـ ونزل المأمون في قبره.
ترجمته في: المحبّر ٣٩، المعارف ٣٨٤، كتاب بغداد ١٦٨، ١٧٤ـ ١٧٨، مروج الذهب ٥/ ٢٩٦، الأغاني ١٠/ ٢٢٩ـ ٢٤٢، الوافي بالوفيات ٢٧٣ـ ٢٧٤ رقم ٣٠٧.

(٣) الإماء الشواعر ١٧٥ـ ١٧٦.

(٤) لأمل في الإماء الشواعر ١٧٦.

ولــهــانَ عــنــدِي قــولُ ســا ... ع نــاطــقٍ أَوْ نــاطِــقَــهْ
هــلْ قــولُــهُــمْ إلا جــمــيــ ... ـعــاً فــاســقٌ أَوْ فــاسِــقَــهْ
وكــذاكَ نــحــنُ فــكــانَ مــا ... ذا عــاشــقٌ مَــعْ عــاشِــقَــهْ

وقالت: ادفع هذا الجواب إلى الأمين، فأتيته بخبرها وجوابها، فسرَّ به، أمر بابتياعها.

ومنهم:

[١٢٥]

رابعة جارية إسحاق بن إبراهيم الموصلي

غرّاء تستنبز الأيام بصنعها، فرعاء تستدم الليالي بفرعها، جيداء لا تلتفت إلى الغزال، غيداء لا تصلح إلا للأغزال، أجلب للعلّة من السقم، وأجلى من النعم المجلية لآثار النقم، مع سهم ضارب في الشعر والغناء، وخلائق تسام فيها للعلاء.

قال الأصفهاني: كان يقال: إنها أخت مخارق، ويقال: كانت صاحبتها نشأتا في موضع واحدٍ شاعرة مولدة.

وقال: أخبرني جعفر بن قدامة، قال: أنشدني عبد الله بن طاهر لرابعة[1]: [من مجزوء الكامل]

/٢٩٧/ قــلْ لــلأمــيــرِ الــمُــصْــعَــبِــ ... ـيِّ أَخِــي الــمَــكــارمِ والــمِــنَــنْ
والــمــشــتــري الــحَــمْــدَ الــرَّفــيــ ... ـعَ بــمــا يَــجِــلُّ مِــنَ الــثَّــمَــنْ
إنَّ الــمُــدامَــةَ بُــكْــرَةً ... واشــربْ عــلــى الــوَجْــهِ الــحَــسَــنْ
واغْــنَــمْ ســرورَكَ عــاجــلاً ... مِــنْ قَــبْــلِ أَحــداثِ الــزَّمَــنْ
إنْ لــمْ تَــكُــنْ فَــطِــنــاً لــمــا ... قــدْ قــلــتُ مِــنْ هــذا فَــمَــنْ؟
عــيــشُ الــفــتــى شُــرْبُ الــمُــدا ... مِ وتَــرْكُ ذاك مِــنَ الــغَــبَــنْ

وكتبت بها إلى إسحاق، فقال: لعمري إن ترك ما أشارت بغبن، واصطبح به أياماً معها وغنت.

ومنهم:

[١٢٦]

قَاسِم جارية ابن طرخان

ربيبة حجر، وحبيبة قلب، لا تروع بالهجر، لو أشارت إلى القمر المخسوف

---

(١) الإماء الشواعر ١٨٩ـ ١٩٠.

لانجلى، أو الشمس في الكسوف لأبرزتها تُجتلى. ما خطرت والمسك مكتتم الأقاح، ولا سفرت إلا رأيت صفحات الصفاح، ولا نظرت إلا ذكت اللواعج، وأذكرت بالجبين إلى أوطانها النواعج.

قال الأصفهاني: حكى يزيد بن محمد المهلبي عن إسحاق قال: دخل العباس بن الأحنف على قاسم جارية ابن طرخان، وكانت شاعرة مغنية، فقال لها: أجيزي هذا البيت[1]: [من الكامل]

أَهْدَى لَهُ أَحبابُهُ أُتْرُجَّةً ... فبكى وأَشفقَ مِنْ عِيافَةِ زاجِرِ

فقالت بديهاً[2]: [من الكامل]

مُتَطَيِّراً لَمَّا أَتَتْهُ لأَنَّها ... لونانِ باطِنُهُ مُخالِفُ ظاهِرِ

ومنهم:

[١٢٧]

مَهَا جارية عَرِيْب

وكانت جارية تسفر كالقمر الطالع، وتظهر كالنجم ما فيه أمل لطالع، تجلّى العقد الرائع، وتحكى الظبيّ الراتع، تربية مثل عريب وهل تلك، ومن جواريها الحسان ردة في سلك، وكانت تجيد الشعر وتغني، وتريد أمنية المتمني.

قال أبو الفرج الأصفهاني، قال سراع المالكي: كنت أهوى جارية لعريب يقال لها: مها، فكانت في غنائها أديبة شاعرة، فكان سبب عشقي لها أدبها وغناءها، وتعرضتها وقتاً، /٢٩٨/ فكتبت إليها بيتاً قلته[3]: [من البسيط]

كيفَ احتيالِي بنفسِي أَنْتِ يا أَمَلِي ... في زَوْرَةٍ مِنْكِ قبلَ النَّومِ تُحيِيني

فوقعت في ظهرها[4]: [من البسيط]

أَنْفِذْ صِحَاحَكَ إنَّ الشِّعْرَ مُفْسَدَةٌ ... بِضاعَةُ الشِّعْرِ مِنْ نَقْدِ المَجَانِيْنِ

فبعتُ ضيعة لي بثلاثين ألف درهم، وأنفقتها عليها.

ومنهم:

---

(١) الإماء الشواعر ١٩٧.

(٢) لقاسم في الإماء الشواعر ١٩٧.

(٣) لسراج المالكي في الإماء الشواعر ٢٠٧.

(٤) لمها جارية عريب في الإماء ٢٠٧.

[١٢٨]

بديعة[١] الكبرى جارية عَرِيب

وكانت بديعة في الجمال، وسعة للآمال، إلى ضعة غريبة، ولفتاتٍ للظنون مريبة، وحركات من حركات عريب قريبة، حتى لأضحت بها تشبه المحسنات، وتنبه اللواحظ الوسنات، قام بها الحسن أتمّ القيام، وجلاها في صفة التمام.

قال الأصفهاني: كانت أحسن أهل دهرها وجهاً وغناءً، وقد ذكرت من أخبارها في كتاب القيان، وكانت تقول شعراً ليس هو بمستحسن من مثلها.

وكان إسحاق التغلبي[٢] يهواها، وخبره معها مشهور، فلم تفكر فيه حتى التقيا بحضرة المعتصم، ثم عرفت مقداره، وأوصلته إلى وزارته؛ فحدّثني عرفة وكيلها قال: لما رأى إسحاق بن أيوب بديعة، وسمع غناءها زاد عشقة بها، ومالت إليه بعد انحراف ونفارٍ، وبُغضٍ له، وكانت تبعث بالشعر، فكتبت إليه[٣]: [من الخفيف]

كيفَ أَصبحتَ سيدي وأَميري ... عِشْتَ في نعمةٍ وحُبُورِ
عَلِمَ اللهُ كيفَ كانَ اغتباطِي ... ونَعيمي وبَهْجتي وسُرورِي
بلقاءِ الأميرِ لا عَدِمَتْ نَفْـ ... ـسِي وعَيْنِي لِقاءَهُ مِنْ أميرِ

فلما أوصلتها، سُرّ بها سروراً، وخلع عليّ خلعة نفيسة من ثيابه، ووصلني بثلاثمائة دينار، وبعث معي بهدايا إليها فيها ألف دينار مسيفة، قد أطبقت دينارين دينارين على غالية ودرج كبير من ذهب مملوء مسكاً وعنبراً وندّاً ومائة ثوب من ألوان الثياب وغيرها وكتب إليها[٤]: [من الخفيف]

أنا في نعمةٍ بقُربكِ تَفْدِيـ ... ـكِ حَيَاتِي مِنْ مُفْظِعاتِ الأُمُورِ

---

(١) هكذا ورد اسمها في الأصل، كما جاء «بدعة» في الإماء الشواعر ٢٠٢ وعدد من المصادر وفي ثنايا هذه الترجمة.

(٢) إسحاق بن أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب التغلبي العدوي: من عدي بن ربيعة، أمير من القادة، من بيت ولاية ورياسة في الموصل، وليها سنة ٢٦٠هـ وأهلها في فتنة، فقاتلوه وأخرجوه، ثم استقر أميراً على ديار ربيعة (من بلاد الجزيرة) في عصر المعتضد العباسي، إلى أن توفي سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م.
ترجمته في: تاريخ الطبري (حوادث سنة ٢٨٧هـ)، الكامل في التاريخ ٧/ ٨٩، ٩٥، ١١٠، ١٦٧، مروج الذهب ٨/ ١٩٣، الأعلام ١/ ٢٩٤.

(٣) لبدعة في الإماء الشواعر ٢٠٢.

(٤) لإسحاق التغلبي في الإماء ٢٠٢.

بَلَغَتْ مُهْجتِي بقُربِكِ مِنِّي أَمَلِي كُلَّهُ وتَمَّ سُرُورِي
/ ٢٩٩/ وَصَلَ اللهُ ذاكَ ما عِشْنا ه وأَبْقَاكِ لِيْ بَقَاءَ الدُّهُورِ

وحدّثني عرفة قال: لمّا قدم المعتضد من حرب وصيف، دخلت عليه بدعة، فقالت: يا مولاي شيبتك والله هذه السفرة، فقال: دون ما كنت فيه يُشَيِّب، فقالت[1]: [من الخفيف]

إنْ تَكُنْ شِبْتَ يا مَليكَ البَرَايا لأُمُورٍ عايَنْتَها وخُطُوبِ
فلَقَدْ زادكَ المشِيْبُ جَمَالاً فالمشيبُ البادي كمالُ الأديبِ
فابْقَ أَضْعافَ ما مَضَى لَكَ في عزٍّ ومُلْكٍ وخَفْضِ عَيشٍ رَطيْبِ

فطرب المعتضد لها، وخلع عليها. وقال لها يوماً: يا بدعة أما ترين الشيب كيف اشتعلَ في لحيتي ورأسي، فقالت: يا سيدي عمرك الله حتى ترى أولادك قد شابوا، فأنت والله في الشيب أحسن من القمر. وفكرت طويلاً ثم قالت هذه الأبيات، وغنَّت بها: [من المجتث]

ما ضَرَّكَ الشَّيْبُ شيئاً بَلْ زِدْتَ فيهِ جَمَالا
قَدْ هَذَّبَتْكَ اللَّيالِي وزِدْتَ فيهِ كَمَالا
فعِشْ لنا في سُرُورٍ وانْعَمْ بعَيْشِكَ بالا
تزيدُ في كلِّ يومٍ وليلةٍ إقبالا
في نعمةٍ وسرورٍ ودَوْلَةٍ تَتَعَالَى

فوصلها بصلات سنية من ثياب ومال وطيب كثير.

ومنهم:

[١٢٩]

مَثَل جارية إبراهيم بن المُدَبَّر[2]

جارية طالما غنَّت، فأطربت، وسميت مثلاً، وما ضربت، طلبت الشعر،

(١) لبدعة في الإماء الشواعر ٢٠٣.

(٢) إبراهيم بن محمد بن عبيد الله ابن المُدَبَّر، أبو إسحاق: وزير، من الكتاب المترسلين الشعراء. من أهل بغداد. تولى ولايات جليلة. واستوزره المعتمد العباسي لما خرج من سامراء يريد مصر سنة ٢٦٩هـ. وتوفي ببغداد متقلداً ديوان الضياع للمعتضد سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٣م.
ترجمته في: معجم الأدباء، طبعة دار المأمون ١/ ٢٢٦ـ ٢٣٢، الأغاني ١٠/ ١٦٠ـ ١٧٩، والولاة والقضاة ٢١٤، والطبري ١١/ ٣٤١، وابن الأثير ٧/ ٦١ و٧٨ و٨٠ وآخر حوادث سنة =

وخاضت لجج البحور، وأضاءت منه بالدرر في النحور. فاقت في الجواري، وفاتت المجاري، وشغفت سيدها، وشغلت بضرب العود يدها حتى عدت الأضراب، وعدت في التراب الأتراب.

ذكرها صاحب كتاب الإماء[1].

قال الأصفهاني: حدَّثني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني إبراهيم بن المدبر، قال: اشتريت جارية شاعرة مدنية يقال لها: مثل، وقد تعالت سني، وكبرت؛ فلما كان الليل، خلوت بها، فأردتها، فلم تنهضني الشهوة، فخجلت منها، فقلت[2]: [من البسيط]

قدْ يُدْرِكُ المُتَمَنِّي بعضَ حاجتِهِ وقدْ يكونُ مَعَ المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

فقالت مجيبة غير متوقفة بديهاً[3]: [من البسيط]

وربما فاتَ بعضَ القومِ أَمرُهُمُ معَ التأني وكلُّ الحَزْمِ لوْ عَجِلُوا

فازداد والله خجلي منها، ثم علمت أنَّ فيها ما في المدنيات من السبق وإن عجزوا عن بلوغ رجائها، فبعتُها كارهاً غير راضٍ.

[١٣٠]

[نَبْت][4]

جارية نجور قدّها المعتدل، وبحور الوهم به على المعتقل، يستنطق ألحاظها الجمود، ويشق نظرها القلوب قبل الجلود. يقل قضيباً في نَقَا، وتقل صبر أهل التقى. البدر تحت خمارها إلا أنه غير جانح، واللهب في وجناتها إلا أنَّه بين الجوانح. علقت المستوفر لسماعها، وحطَّت رجال الركائب للإقامة بعد إزماعها، بحسن غناء ما أوتيته جارية، ولا وعته أذن إلا وأنهلت الدموع جارية.

قال الأصفهاني: كانت مغنية محسنة. وأخبرني جعفر بن قدامة قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: دخلت على نبت يوماً، وكانت حسنة الوجه والغناء فقلت[5]:

= ٢٧٩، والجهشياري ١٠٢، وسيرة أحمد بن طولون ٢٩٠ و٢٩٢ وهو أخو «أحمد» ابن المدبر الوارد ذكره في خطط المقريزي ١/ ٣١٤، والنجوم الزاهرة ٣/ ٤٣، الاعلام ١/ ٦٠.

(١) الإماء الشواعر ٧٩.

(٢) للقطامي في ديوانه ٢٥، الإماء الشواعر ٧٩، الأغاني ٢٤/ ٢٦.

(٣) الأغاني ٢٤/ ٢٦ وقد تمثلت به مَثَل في الإماء ١٧٩.

(٤) الإماء الشواعر ١٨٣ وفيه: «نبت جارية مَخْفِرانَة»، المستظرف من أخبار الجواري ٧١ وفيه: «نبت، جارية المعتمد على الله».

(٥) الإماء الشواعر ١٨٣.

[من البسيط]

يا نبتُ حُسْنُكِ يُغْني بَهْجَةَ القَمَرِ قَدْ كادَ حُسْنُكَ أَنْ يبتزَّني بَصَرِي

ووقفت أنا فسبقتني هي فقالت[1]: [من البسيط]

وطيبُ نَشْرِكَ مِثْلُ المسكِ قدْ نَسَمَتْ رَيَّا الرياضِ عليهِ في دُجى القَمَرِ

فنشط طبعي فقلت: [من البسيط]

فَهَلْ لنا مِنْكِ حظٌّ في مواصلةٍ أوْ لا فإنِّيَ راضٍ مِنْكِ بالنَّظَرِ

فقمت من عندها محتشماً من انقطاعي عن مساجلتها، ثم عرضت ذلك على المعتمد، فاشتراها، فامتحنها في الكتابة والغناء، فأرضته، و كان أول صوت غنته شعر عريب وصنعتها لعريب في المعتمد وهو[2]: [من الكامل]

سَنَةٌ وشَهْرٌ قابِلٌ بِسُعُودِ

وقد مضت الأبيات في أخبار عريب، فأغنت عن إعادتها، فطرب المعتمد، وتبرَّك بما استفتحت /٣٠١/ به، ثم قال لابن حمدون قارضها بشعر فقال[3]: [من مجزوء الرجز]

ووَهَبْتَ نَفْسَكَ لِلْهَوَى

فقال:

فَجَارَ لَمَّا أَنْ مَلَكْ

فقال لها:

فَصِرْتُ عَبْداً خاضِعاً

فقالت:

يَسْلُكُ بِي حَيْثُ سَلَكْ

ومنهم:

[١٣١]

[صَاحِب جارية ابن طرخان النخّاس][4]

وكانت شاعرة مغنية، تنظم الشعر وتصنف مذهبه، وتفوق مذهبه، بما يسوغ

---

(١) لَنَبْت في الإماء الشواعر ١٨٣.

(٢) صدر بيت لعريب في الإماء ١٨٤، وعجزه: «وجه الخليفة إنه لسعيد»

(٣) الإماء الشواعر ١٨٥.

(٤) ما بين المعقوفين بياض في الأصل وما اثبتنا من الإماء الشواعر ١٩٣.

الطرب، ويسول للنفس الأدب. هذا إلى جمال فتان، وكمالٍ تمَّ فيه الحسن والإحسان، وكان ابن أبي أمية(١) يهواها هوًى يخالط صميمه، ويُخالل صبابته القديمة، فكتب إليها(٢): [من الكامل]

إنِّي رَأيْتُكِ في المنام كأنَّما عاطَيْتِني مِنْ رِيْقِ فيكِ البارِدِ
وكأنَّ كفَّكِ في يَدَيْ وكأنَّنا بِتْنَا جَميعاً في فراشٍ واحدِ
ثُمّ انتبهتُ ومُعصَداكِ كِلاَهُما بيدِيْ اليَمِينِ وفي يمينِكِ ساعِدي

قال: فأجابته(٣) [من الكامل]

خَيراً رَأَيْتَ وكُلَّما عانيتَهُ ستنالُهُ منِّي بِراغِم الحَاسِدِ
إنِّي لأَرْجُو أنْ تبيتَ مُعَانِقِي وتَظَلَّ مِنِّي فَوْقَ ثَدْيَي ناهِدِ
ونَبِيْتَ أنْعَمَ عاشقَينِ تَقَارَضَا طَرَفَ الحديثِ بلا مَخَافَةِ واحِدِ

[١٣٢]

[جُلَّنار]

جلّ نار منها الخدود، وجلّنار ثمرة رمان النهود. من مولدات الكوفة، وموليات العيون على القلوب المخوفة. شاعرة تأتي بالعجب، ومغنية ترى استقطاع هوى العشاق من بعض ما وجب.

قال عيسى بن الفاشي الكاتب: كانت لأخت راشد جارية يقال لها: جلّنار وكانت مليحة الغناء، حسنة الشعر، فحدثني راشد(٤) أخو مولاتها، قال: عشقتها وهمتُ شغفاً بها، وعلمت أختي بذلك، فحجبتني عنها أشدّ حجاب، إلا بأن أبتاعها بحصتي من ضيعة ورثتها أنا وهي عن أبينا، وحلفت أن لا تبيعها إلاّ بذلك، فشاورت

---

(١) محمد بن أمية بن أبي أمية: كان كاتباً شاعراً ظريفاً، وكان ينادم ابراهيم بن المهدي ومنقطعاً إليه، وربما كتب بين يديه، وله معاشرة مع علي بن هشام، وكان حسن الخط والبيان.
وكتب للمهدي على بيت المال، وكان إليه ختم الكتب بحضرته، وكان المهدي يأنس به لأدبه وفضله، ومكانة من ولاته. ذكر له ابن النديم «ديوان شعر» يقع في ٥٠ ورقة.
ترجمته في: الأغاني ١٢/ ١٧١ـ ١٨٦، الفهرست ١٨٥.

(٢) الإماء الشواعر ١٩٤. (٣) الإماء الشواعر ١٩٤.

(٤) راشد بن اسحاق الكوفي الكاتب: أبي حكيمة، كان شاعراً أديباً ماجناً، توفي سنة ٢٤٠هـ وهو في طريق مكة. له «ديوان شعر» حققه د. محمد حسين الأعرجي ط ألمانيا ١٩٩٧م.
ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ١٥ـ ١٩، معجم الأدباء ١١/ ١٢٢، طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٨٩.

ثقات إخواني، فعابوا هذا عليّ، ونهوني عن إتيان ذلك، وضننت أنا بالضيعة أن تخرج من يدي، ثم غلبني ما أجده، فقلت[١]: [من المتقارب]

أَيُعذَلُ صَبٌّ على وجْدِهِ وقَدْ لجَّ مَولاهُ في صَدِّهِ
/٣٠٢/ وكيفَ أَرَى الصّبْرَ عَمَّنْ أَرَى دُنُوَّ المنِيَّةِ فِي بُعْدِهِ
غَزَالٌ يُنَسِّيْكَ قَدَّ القَضِيْبِ بِحُسْنِ الرَّشَاقَةِ مِنْ قَدِّهِ
إذا عُدِمَ الوَرْدُ في رَوْضَةٍ فَلَم يُعدَمِ الوَرْدُ مِنْ خَدِّهِ

قال: وبلغني أن الجارية تتعجب من صبري عنها، ومن إيثاري الضيعة على نفسي في حبّها، وتقول: غدر بي، واختار ملكه عليّ. فأجبت أختي إلى ذلك مع الحصة، وتقرر الأمر بيننا، فكتبت إلى الجارية[٢]: [من الكامل]

نَزَلَ الوِصَالُ بِسَاحَةِ الهَجْرِ ومَحَا الوَفاءُ مَعَالِمَ الغَدْر
وغَدَا اللقاءُ عليهما بلوائِهِ وعَلَيْهِ تَخْفِقُ رايَةُ النَصْرِ

فكتبت إليّ[٣]: [من الكامل]

ما كانَ أَخْوَفَنِيْ مِنَ الهَجْرِ حَتَّى كتَبْتَ إلَيَّ بالعُذْرِ
فسَكَنْتُ مِنْكَ إلى مُرَاجَعَةٍ قَوِيَ الوِصالُ بها على الهَجْرِ
أَرْجُو وَفَاءك لي ويؤنِسُنِي أَشياءُ تعرضُ منكَ في صَدْرِي
لا شَتَّتَ الرحمانُ شَمْلَ هوًى متآلفٍ مِنَّا على الدَّهْرِ

ثم اشتريتها، وصارت في ملكي، فما آثرت عليها أحداً طول مقامها عندي، حتى ماتت.

ومنهنَّ:

[١٣٣]

خَنْسَاء البرمكية

وكانت لبعض آل يحيى بن خالد تزهى بها الأساور والقلائد. تفتك بلحظها، وتفتن بلفظها، مغنية تهزّ الجماد، وشاعرة لا تغترف من ثماد، لو قيست ببنت عمرو بن الشريد، لعرف من أيّ البحرين يلتقط الفريد.

---

(١) لأبي حكيمة في الإماء الشواعر ٢١٢ وقد أخلّ بها ديوانه.
(٢) لأبي حكيمة في الاماء الشواعر ٢١٢ وقد أخل بها ديوانه.
(٣) لجلنار في الإماء ٢١٢.

قال عمرو بن بانة: كان من جيراني رجل من البرامكة، وكانت له جارية أديبة مغنية يقال لها: خنساء، يدخل إليها الشعراء، فيقارضونها، ويسألونها عن المغاني، فتأتي بكل غريبة وبديعة، فدخل إليها يوماً سعيد بن وهب(١) فحدّثها طويلاً.

ثم قال(٢): [من الهزج]

أبيني لي أيا خنسا ءُ عَنْ خنسٍ من الشِّعْرِ
وماذا طولُهُ شِبْرٌ وَقَدْ يُوفِي على الشِّبْرِ
/٣٠٣/ لَهُ في رأسِهِ شَقٌّ بِطَوْقٍ بالنَّدَى يَجْرِي
إذا ما جَفَّ لمْ يَنْفَعْـ ـكِ في بَرٍّ ولا بَحْرِ
وإنْ بُلَّ أَتَى بالعَجَبِ المُعْجِبِ والسِّحْرِ
وإنِّي لمْ أُرِدْ فُحشاً وَرَبِّ الشَّفْعِ والوَتْرِ
ولكنْ صُغْتُ أبياتاً حَوَت معنًى مِنَ السِّرِّ

قال: فغضب مولاها وتغيَّر لونه، وقال لسعيد: أتخاطب جاريتي بالفحش والخنا؟ فقالت الجارية: خفض عليك ما ذهب إلى ما ظننت وإنما يعني القلم. فسُري عنه، وضحك سعيد، وقال: هي أعلم منك بما سمعت، فاحتبسه مولاها عنده يومه، فجعلت تغنيهم تارة، وتقارضهم تارة إلى أن سكروا.

قال عمرو: ثم لقيني مولاها، فسألته عن القصة، فحدّثني بها، وأخرج إليّ ابتداءَ سعيد وجوابها تحته وهي: [من الهزج]

أَبَا عُثْمانَ حاجَيْتَ بما قُلْتَ مِنَ الشّعْرِ
فَتَاةً ذلك الشِّعْرِ لها صافيةُ الفِكْرِ
وفي ظاهِرِهِ فُحْشٌ وليْسَ الفُحْشُ في السِّتْرِ
أَرَدْتَ المُخطَفَ المُرهَـ ـفَ إذْ يَبْرِيهِ مَنْ يَبْرِي

وكتبت البرمكية على عصابتها: [من الطويل]

---

(١) سعيد بن وهب: أبو عثمان، مولى بني سامة بن لؤي بن نصر، مولده ومنشؤه البصرة، ثم صار إلى بغداد فأقام بها، وكانت الكتابة صناعته، فتعرف على البرامكة فاصطفوه ثم تقدم عندهم وكان شاعراً مطبوعاً، ومات في أيام المأمون، وأكثر شعره في الغزل والتشبيب بالمذكر، وكان مشغوفاً بالغلمان والشراب، ثم تنسّك، وتاب وحج راجلاً على قدميه، ومات على توبة وإقلاع، ومذهب جميل، ومات وأبو العتاهية حيّ وكان صديقه فرثاه.
ترجمته في: الأغاني ٢٠/ ٣٥٠ـ ٣٥٨.

(٢) لسعيد بن وهب في الأغاني ٢/ ٣٥٧.

ولا خَيْرَ في شكوى إلى غيرِ مُشْتَكٍ   ولا بد من شَكْوَى إذا لَمْ يكنْ صَبْرُ

وكانت جارية ماهرة، أديبة شاعرة، تأتي بكل غريب، وتبلغ ما لا يجرجَر فيه بعنان، ولا يحدث عن عريب، صفراء من مولدات البصرة، نشأت حيث يرف النخيل، ويرق السلسبيل. وكانت فضل الشاعرة تهاجيها ولا تهيجها، ولا يكفي في الحسن ما ينشره يهيجها، وكان لكل واحدة منهما عصبة من شعراء الوقت يتعصبون لها، وهي لا تقنع، ويعيبون لديها الأخرى، وما فيهم إلا من يتصنَّع.

حكى أحمد بن أبي طاهر: كانت فضل تهاجي خنساء جارية هشام المكفوف، وكان أبو الشبل عاصم بن وهب البرجمي يعاون فضلاً الشاعرة على خنساء، ويهجوها /٣٠٤/ على لسانها، وكان الحفصي والصعيديّ يعاونان خنساْ، فقال أبو الشبل فيها على لسان فضل[١]: [من السريع]

خَنْساءُ طِيرِي بِجناحَيْنِ   أَصْبَحْتِ معشوقَةَ نَذْلَينِ
مَنْ كانَ يهوى صاحباً واحداً   فأَنْتِ رَهْنٌ بِهَوَى اثْنَينِ
هذا الصّعيديُّ وهذا الفَتَى الـ   حَفْصِيُّ زَارَاكِ كَفَرْدَيْنِ
وكنتِ مِنْ هذا وهَذَا كما   يَنْعَمُ خِنْزِيْرٌ بخنشين

فقالت خنساء[٢]: [من السريع]

ماذا مقالٌ لكِ يا فضلُ بَلْ   مقالُ خنزيرين قردين دين
يُكْنَى أَبا الشِّبْلِ ولكنَّهُ   دَعَوْهُ بالكلبِ بنِ كَلْبَيْنِ

فقالت خنساء في فضل[٣]: [من الطويل]

تقولُ لهُ فَضْلٌ إذا ما تخوَّفَتْ   رُكُوبَ قبيحِ الذُّلِّ في طَلَبِ الوَصْلِ
حِرُ امٍّ فتًى لمْ يَلْقَ في الحبِّ ذِلَّةً   فقلتُ لها: لا بَلْ حِرُامٍّ أَبِي الشِّبْلِ

ولها أيضاً فيهما أبيات[٤]: [من الكامل]

رَكِبَ الفُحُول على منانتها   فَتَمَرَّدَتْ كَتَمَرُّدِ الفَحْلِ
لمَّا كَنَيَت بما كَنيت بِهِ   وتسمَّت النُّقصَان بالفَضْلِ
كادتْ بِنا الدُّنيا تمدُّ ضحىً   وترى السَّماء تَذُوبُ كالمُهْلِ

---

(١) لأبي الشبل البرجمي في الأغاني ١٩/ ٣٣١.
(٢) لخنساء جارية هشام المكفوف في الأغاني ١٩/ ٣٢١.
(٣) لخنساء في الأغاني ١٩/ ٣٢٢.
(٤) لخنساء في الأغاني ١٩/ ٣٢٢.

فغضب أبو الشبل وهجا مولاها فقال[١]: [من الخفيف]

نغم ساوى الغراب ببيت هشام ... مُسْعِفٌ بالحَرَام أَهْلَ الحَرَام
مَنْ أَرَادَ المبيتَ يَبْغِي سِفاحاً ... وينالُ المُرادَ تَحْتَ الظَّلاَمَ
فَهِشامٌ يُبيْحُهُ في دُجَى الليـ ... ـلِ فتاةً تُدْعَى فَتَاةَ هِشَامِ
ذَاكَ حِرٌّ دَوَاتُهُ لا تُعَرَّى ... أَبَداً مِنْ تَرَدُّدِ الأَقْلامَ

وذكر أحمد بن الطيب: أنَّ أبا الشبل كان يهوى خنساء ثم هجاها، فهجرته، فعدل عنها إلى فضل الشاعرة.

ووعد أبو الشبل يوماً خنساء أن تزوره، وجاء / ٣٠٥/ مطر شديد منعها من زيارته فقال يذم المطر[٢]: [من البسيط]

دَع المواعيدَ لا تَعْرِضْ لِوجْهَتِها ... إنَّ المَواعِيْدَ مَقْرُونٌ بها المَطَرُ
فإنَّ المواعيدَ للأحبابِ قَدْ مُنِيَتْ ... بِهِ بأنكرِ ما يُمنى بِهِ البَشَرُ
كذا الشيابُ فلا يَغْرُرْكَ إنْ غُسِلَتْ ... صَحْوٌ شديدٌ ولا شَمْسٌ ولا قَمَرُ
وإنْ هممتَ بأَنْ تلقاكَ زائرةً ... فالغَيْثُ لا شَكَّ مَقْرُونٌ بِهِ السَّحَرُ

وكان سبب القطيعة بينهما أنه سكر عندها، فخاطبها مغلظاً لها في شيء، فقالت بما تدل على الناس بأكثر من شعرك. وأنه لغير طيّب. والله لئن شئت، لأهجونك بما يبقى عليك عاره. فغضب، وقال فيها[٣]: [من مخلّع البسيط]

خنساءُ قدْ أَفْرَطتْ علينا ... تَزْعُمُ أَنْ ليسَ لِي مُجِيْر
تاهتْ بأَشعارِها وصالتْ ... كأَنَّما ناكَها جَرِيْرُ

فخجلت، ولم تجبه، وتقاطعا، وقيل بل قالت فيه مبتدئة[٤]:

قُلْ لأَبي الشِّبْلِ إنْ أَتَاهُ ... مُقذِعُ سَبٍّ لَهُ مُجِيْرُ
هَيهاتَ ما إنْ لَهُ مُجِيْرٌ ... ولا نَصِيرٌ ولا ظَهِيْرُ

[ومنهم:

[١٣٤]

خزامى جارية الطيط المغني][٥] الملقب بالطيط

كانت حسنة الوجه والغناء، شاعرة بيوتها وثيقة البناء، وكان ابن المعتز يقدمها،

---

(١) لأبي الشبل في الأغاني ١٩/ ٣٢٢.
(٢) لأبي الشبل في الأغاني ١٤/ ٢٠١.
(٣) لأبي الشبل في الأغاني ١٤/ ٢٠١.
(٤) لأبي الشبل في الأغاني ١٤/ ٢٠١.
(٥) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل، وما أثبتنا من الأغاني ١٠/ ٣٣٢.

ويثقف قناتها، ويقوّمها، ولا يخل باستدعائها، واستئمانها على خفايا السِّرِّ، واسترعائها.

قال ابن المعتز: كانت خزامى جارية الطيط تألفني، وتنادمني وأنا حدث، ثم تابت من النبيذ، وكانت مغنية حسنة، شاعرة، طريفة، نظيفة، فراسلتها مراراً أستدعيها، فتأخرت، فكتبت إليها وأهديت لها ورداً[١]: [من الطويل]

رَأيتُكِ قدْ أَظْهَرْتِ زُهْداً وتَوْبَةً ... فقدْ سَمَحَتْ مِنْ بَعْدِ تَوْبَتِكِ الخَمْرُ
فأَهْدَيْتُ وَرْداً كي يُذَكِّرَ رِيْحُهُ ... لمنْ لمْ يُمَتِّعْنا ببهجَتِهِ الدَّهْرُ

فأجابتني تقول[٢]: [من الطويل]

/٣٠٦/ أَتاني قَرِيْضٌ يا أَميري مُحَبَّرٌ ... حكى ليَ نَظْمَ الدُّرِّ فُصِّلَ بالشَّذْرِ
أَأَنْكَرْتَ يا ابنَ الأكرمينَ بأَنَّنِي ... وقَدْ أَفْصَحَتْ لي أَلسُنُ الدَّهْرِ بالجرر
وآذَنَني شرخُ الشَّبابِ بِبَيْنِهِ ... فيا ليتَ شِعْرِي بَعْدَ ذلكَ ما عُذْرِي

قال: ومن شعرها[٣]: [من مجزوء الرمل]

قُلْ لمنْ تاهَ علينا ... وجَفانا وتَعاصَى
نِلْتَ والرحمانِ مِنْ قلـ ... ـبيَ بالحُسْنِ اخْتِصاصا
فتَوَقَّ اليومَ في قلـ ... ـبيَ أَنْ تَلْقَى قِصاصا

ومنهم:

[١٣٥]

صدقة بن محمد[٤]

من أغنياء أهل الغناء، وأذكياء أصحاب الاعتناء.

ذكره ابن المستوفي في ترجمة البحراني النحوي. قال: حدّثني صدقة بن محمد الملحن. قال: حضرت القاضي أبا حامد الشهرزوري، وقد صنعتُ لحناً في أبيات

---

(١) لابن المعتز في ديوانه ٣/ ٢٦١، الأغاني ١٠/ ٣٣٢.

(٢) لخزامى في الأغاني ١٠/ ٣٣٢.

(٣) لابن المعتز في الأغاني ١٠/ ٣٣٢، وديوانه ٣/ ٢٦١.

(٤) صدقة بن محمد بن القاسم بن محمد بن علي المُلَحِّن: أبو البّر الإربلي: كان يصنع الألحان ويخترعها، ويصنّف أقوالاً يأخذها عنه أهل الطرب، ويغني بها، وكان جيّد المعرفة بالغناء والأصوات، وله شعر يجيد نظمه، وكان منقطعاً إلى يوسف بن بكتمر بإربل، توفي بإربل صبيحة يوم الجمعة ٢٢ رجب ٦٠٨ .

ترجمته في: تاريخ إربل ١/ ٧٦، مجلة المجمع العلمي العراقي ٦/ ٤٩٤، قلائد الجمان لابن الشعار ٣/ ١٢٥ـ ١٢٧.

البحراني: [من الرمل]

أَيُّها البارقُ مِنْ وادي سَلَمْ أبسلمى لَكَ عِلْمٌ قُلْ: نَعَمْ
أنتَ لوْ لمْ تقتبسْ مِنْ وجهِها هذهِ الأنوارَ لمْ تَجْلُ الظُّلَمْ
فأَرِقْنا بِقُلوبٍ لمْ يُفَقْ مِنْ هَوَاها وجُفُونٍ لمْ تَنَمْ
وتَوَلَّتْ ويَدِي في كبدٍ أَوْقِدَ الوَجْدُ عليها فاضطَرَمْ

قال: فجعل يهزّه الطرب والارتياح، فيميل مثل النشوان مالت به الراح، ويقول: لمن هذا الشعر الذي دونه السحر؟ فقلت: لأبي عبد الله البحراني. فما زال يستعيده، ويكرره، ويوفيه في الإحسان حقه إلى أن تقوَّض المجلس عليه، وقمنا وبه ما يعلم الله من الشوق إليه، وهذا اللفظ لابن المستوفي.

ومنهم:

[١٣٦]

الحسين بن الحسن بن أبي نصر بن منصور الدهان، زين الدين، أبو عبد الله الموصلّي(١)

سابق يوم الرهان، وفائق عرف بكل وردة من الدهان. تنسب إليه محاسن من الأمور، وتقسم من زخرف بنائه بالسقف المرفوع، والبيت المعمور. يجني من أنعامه كلّ ذات كمام كأنها زهرة في دهانه، وثمرة غريبة من بدائع ألوانه. أتى بالبديع، وأجاد /٣٠٧/ في نغمه ودهانه، فجاء في كل منهما بالصنيع وأبدع فيهما، فقيل: هذه البلابل غنّت، وهذه المصبغات ألوان فصل الربيع.

وكان عالماً فاضلاً أديباً حسن الأخلاق، لا يَمَلُّ جليسه محادثته، فريد عصره في

---

(١) الحسن بن الحسن بن منصور الدهان الموصلي، زين الدين، أبو عبد الله، ابن البرهان ابن أبي نصر: نزيل بغداد، موسيقي، مغني، شاعر، أديب. سمع منه كمال الدين التوريزي والمؤرخ ابن الفوطي. فريد عصره في صناعة الطرب وعلم الموسيقى. وأن كانت شهرة معاصره صفي الدين الأرموي (٦١٣ـ ٦٩٣هـ) قد حجبت بعض نوره. وقد صنّف الدهان الموصلي، في علم الموسيقى، مؤلفاً لم يصلنا. وله شعر كان يُتغني به، وله قصيدة بائية رصدها الدكتور مصطفى جواد في سرعة موت من يتولى قضاء الجانب الغربي من بغداد. وصفوه بحسن الخلق وطيب المعاشرة. توفي ببغداد في ١٧ شهر رمضان سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م. ودفن بالوردية (مقبرة الشيخ عمر السهرودي الحالية).

ترجمته في: في التراث العربي لمصطفى جواد ٢/ ٢٧٥ ـ و٢٧٦ الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركي للعزاوي ٣٥ـ ٣٦، موسوعة أعلام الموصل ١/ ٢٢١.

صناعة الطرب، وعلم الموسيقى، وله فيه مصنّف، وسمع منه ابن الغوطي وغيره.

ومن شعره: [من الطويل]

وحُلوِ اللَّمَى مُذْ عاينَ النَّمْلَ قدْ بَدَتْ ... لـهُ زُمَرٌ تَبْغِي بِفِيْهِ جَنَى النَّحْلِ

غَدَا جاجِداً قتلي بسَيفِ لحاظِهِ ... ومِنْ حُمْرَةِ الخَدَّيْنِ لي شاهِدا عَدْلِ

ومنه: [من الطويل]

رأيتُ حبيبي بُكْرَةً وهوَ مُعرِضٌ ... فَسَمَّيْتُهُ فازوَرَّ يرنُو إلى الشَّرقِ

فيا عاذِلي كنْ عاذِري فيهِ رَحْمَةً ... فَقَدْ أَظْلَمَتْ مِنْ فَرْطِ هِجْرَانِهِ الطُّرْقُ

ومنه: [من الوافر]

أَلا يا سادةً ما زالَ قلبي ... لِطُولِ فِرَاقِهِمْ في ضِيْقِ سِجْنِ

وحقِّ جميلِ ما أَوْليتموني ... مِنَ الإحسانِ لَمْ يُتْبَعْ بِمَنِّ

إليهِ صادقٌ أَنِّي إذا ما ... ذكرتُكُمْ شَرِقْتُ بماءِ جَفْنِيْ

فَعَيْنِي ما رَأَتْ حُسْناً سِوَاكُمْ ... وغيرُ حَدِيثكُمْ ما راقَ أُذْنِي

فقَدْتُ لِطُولِ غَيبتِكُمْ سُرُوري ... ومُذْ فارَقْتُكُمْ واصلتُ حُزْنِي

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الكُسَعِيِّ لكنْ ... عليأَوْقاتِكُمْ وقَرَعْتُ سِنِّي

كفى حَزَنِي فِرَاقُكُمُ وحَسْبِي ... بشَوْقِي أَنَّهُ ما انْفَكَّ عَنِّي

ومنه ما يكتب على مقلمة: [من الكامل]

كُلُّ السيوفِ لها جفونٌ تُنْتَضَى ... منها وإنِّي جَفْنُ كُلِّ يَرَاعِ

واعلمْ بأنَّ السَّعْيَ للقلمِ الذي ... لولاهُ خابَتْ للسيوفِ مَسَاعِي

ومنه: [من الرجز]

يا خالقي مِنْ نُطْفَةٍ مَهِيْنَةٍ ... ومُوْجِدٍ مِنْ عَدَم مقدرتي

يا عُدَّتي في وَحْدَتي يا مُؤنِسي ... في وَحْدَتِي إذا نَزَلْتُ حُفْرتي

اغْفِرْ ذُنُوبي وتجاوَزْ كَرَماً ... عنِّي بعفوٍ منكَ واكْشِفْ كُرْبَتِي

/٣٠٨/ ولا تُؤاخِذْ بذُنُوبٍ سَلَفَتْ ... لِشِقْوَتي فأَنْتَ أَهْلُ الرَّحْمَةِ

وعافِني مِنْ مَرَضِي تَصَدُّقاً ... وجُدْ على ضَعْفِي ورادد غُرْبَتِي

ومن أصواته ما رواه لي عنه الجمال المشرقي في الراست: [من مجزوء الخفيف]

يا نارَ أسودِ قلبي ... ونورَ أسودِ عيني

كُنْ راحِماً لِمُحِبٍّ ... أَباحَاكَ الأَسْوَدَيْنِ

توفي يوم الجمعة سابع عشر رمضان سنة سبع وثمانين وستمائة، ودفن بالوردية

شرقي دار السلام. وكان له اختصاص بالسلطان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل.

[ومنهم:

[١٣٧]

ياقوت المستعصمي][(١)]

وهو الياقوت الذي لا يغلو به سعر، ولا يعرف الدر إن لم ينشد له شعر، بل هو الذي دونه ياقوت الخدود، ودر العقود، ووسائط القلائد. ولا أعني إلا قواعد النهود. كتب فسلب، وشعر فخلب، وغنّى فقيل من أين جاء إلى العراق من وادي سرنديب هذا الجلب.

وكان في الكنف المستعصمي يردّ طرف كل مبهوت، ويوفي حقّ كلّ خدمة لا تفوب، وتفرد بكل خاصة. يقول: [من الخفيف]

أَلْـقِـنِـي فـي لَـظًـى فـإنْ أَحْـرَقَـتْـنِـي فَـتَـيَـقَّـنْ أنْ لـسْـتُ بـالـيـاقـوتِ

ما تقدّم لمناهلته إلا من تأخر، ولا لمباهاته إلا من قيل له هيهات يا عرض أغلى أفخر الجوهر يتكبر، ولا لمضاهاته إلا من صفا حمرة، وتكشف عنه الرماد، وتوقد وجمد. والياقوت يا قوت ما نقص ولا زاد. مجيد في الشعر والموسيقى والحظّ. له

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل.
ياقوت بن عبد الله المستعصمي الرومي، جمال الدين: كاتب، أديب، له شعر رقيق، اشتهر بحسن الخط. من موالي الخليفة المستعصم بالله العباسي. من أهل بغداد. أخذ عنه «الخط» كثيرون.
توفي سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٩م.
وصنف كتباً، منها «أخبار وأشعار ـ ط» و«أسرار الحكماء ـ ط» و«فقر التقطت وجمعت عن أفلاطون ـ خ» و«رسالة في علم الخط» وأورد ابن الفوطي مختارات من شعره. وللأستاذ هلال ناجي رسالة عنه طبعت في بيروت.
ترجمته في: تالي كتاب وفيات الأعيان ١٧٥ رقم ٢٩١، تاريخ العراق بين احتلالين ٢/ ٣٨٤، الموسيقى العراقية ٣٦، وتاريخ حوادث الزمان ١/ ٤٥٨ـ ٤٥٩ رقم ٢٧١، والحوادث الجامعة ٢٣٦ـ ٢٣٧، والمقتفي ١/ ورقة ٢٨٩أ، والعبر ٥/ ٣٩٠، ودول الإسلام ٢/ ٢٠٢، والبداية والنهاية ١٤/ ٦، وفوات الوفيات ٤/ ٢٦٣ رقم ٥٦٧، وتذكرة النبيه ١/ ٢١٩، ومنتخب الزمان ٢/ ٣٧٤، وعقد الجمان (٣) ٤٧٩ـ ٤٨١، والنجوم الزاهرة ٨/ ١٨٧، والدليل الشافي ٢/ ٧٧٣ رقم ٢٦١٦، وشذرات الذهب ٥/ ٤٤٣، ودرّة الأسلاك ١/ ورقة ١٤٥، وذيل مرآة الزمان ٤/ ورقة ٣٠٣ـ ٣٠٤، والأعلام ٨/ ١٣١ـ ١٣٢، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٩١ـ ٧٠٠هـ) ص٣٧٣ـ ٣٧٤ رقم ٥٦١.

الأدب الكامل والنحو المتقن. أخذ الأدب والنحو عن نجم الدين بن كبوش البصري.

ومن شعره: [من مجزوء الرجز]

بَدَا بِوَجْهٍ يُخْجِلُ الشَّـ ... ـمسَ المُنيرِ المُشْرِقَهْ
في أُذْنِهِ لُؤْلُؤَةٌ ... كأنَّها والحَلَقَهْ
قدَّاحَةٌ في وَرْدَةٍ ... بالياسَمِينِ مُلْحَقَهْ

وله: [من الهزج]

وحمَّامٍ دَخَلْنَاهُ ... وفيهِ قَيِّمٌ حَانِي
بأنواعٍ مِنَ الخَدْ ... مَةِ لا ألوى ولا واني
فَتَمْرِيْغٌ بَمَعْرُوفٍ ... وتَسْرِيْحٌ بإحْسَانِ

وله: [من الخفيف]

وَعَدَتْ أَنْ تَزْور ليلاً فَأَلوتُ ... وَأَتَتْ بالنَّهارِ تسحبُ ذَيْلا
قلتُ: هَلاَّ صَدَقْتِ في الوعْدِ، قالتْ: ... كيفَ صَدَّقْتَ أَنْ تَرَى الشَّمسَ ليلا

/ ٣٠٩/ وكان هو وظهير الدين بن محاسن في زيارة كمال الدين عمْ ظهير الدين المذكور وانْتَبها وقد برد، فقال: [من البسيط]

جاءَ الشتاءُ بِبَرْدٍ لا مَرَدَّ لَهُ ... ولمْ يُطِقْ حَجَرٌ قاسٍ يُقاسِيْهِ
لا الكأسُ عندِي ولا الكانُونُ متقداً ... كِنِّيْ ظَلاَمِي وكِيسِي قَلَّ ما فِيْهِ
دَعِ الكَبَابَ وخَلِّ الكيس واأسفا ... على كِسَاءٍ تَغَطّى في دَياجِيهِ

فأعطاهُ ظهير الدين فروة سمور كانت لابن عمته الكمال؛ فلما سمع الكمال بالأبيات أعطاه عمامة دمياطية ومائة دينار.

ومنهم:

[١٣٨]

عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الأرموي، صفي الدين، أبو الفضائل(١)

مؤلف ضروبٍ أشتات، ومصنّف نوب يجمع عليها شتات، خدم الخلافة زمناً،

---

(١) عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الخويي الأُرْمَوي البغدادي، صفي الدين: إمام عصره في ضرب العود والموسيقى. أصله من خُوَي (حصن بأرمية) من بلاد أذربيجان. ورد بغداد صبيا (أو ولد بها) وأثبت فقيهاً في المستنصرية. واشتغل بالمحاضرات. والآداب العربية، وتجويد الخط، وعرف به. وخدم المستعصم، وعلّم أولاده. وظهر نبوغه في ضرب العود، فارتفعت مكانته عنده ثم عند =

وأخذ الدنيا لأنفاسه ثمناً، وبلغ من علم الموسيقى مبلغاً ضمّ له ضمن لحده سائب، وحاق به لإسحاق أن يظهر المعائب، لو سمعته الوحوش الشوارد لأنِسَتْ، وأوعته لما نبستْ، وأغنى في واقعة هولاكو بما منح من حسن التدبير، وعن اللفظ في المقادير، بالتلطف مع من أتيحت له لأيدي النهب محلته، وتعتعت له بسنابك الركض حلته، لكنما القدرة أذهبت الحفيظة، وبردت حرق الصدر المغيظة، ثم كان هذا سبباً له إلى هولاكو كواجب به صلته وأوجز منه صلته.

ذكر الشيخ أبو الخير سعيد الذهلي وملخص ما قال: ورد بغداد في زمن المستعصم أبي أحمد، ونزل في رباط ابن النيار، وكتب له مصحفاً بخطّ منسوب، ووصل إلى المستعصم، فتعرف إليه به، وجعل من الملازمين الباب، يكتب المصاحف، ويعمم أولاد المستعصم، ثم بلغ عنده ما لم ينله عنده أحد من المقربين، وكان ابن سيدانا اليهودي كاتبه، وكان مقصوده منه أن يغنيه في علم الحساب؛ لتقسيم أجزاء الموصلي، ولم يلزم بيده ديناراً، ولا درهماً. وكان خرجه في سنة واحدة كما ذكر ابن سيدانا ثلاثمائة ألف دينار عوالاً، وكانت له معرفة بسائر العلوم، يغلب عليه الحكميات والرياضيات، وبلغ من الموسيقى ما لم يبلغه أحد من المتأخرين.

/ ٣١٠/ وصنّف في عملياته كثيراً. حفظ له الناس ثلاثين ومائة نوبة، ولم يكن نكتة عويصة إلا وصنّف فيها نوبة مذكورة متداولة بين الناس.

وصنّف كتابين في علم الموسيقى أحدهما: «الشرفية»[1] باسم الصاحب شرف

= هولاكو. وأصاب ثروة ضخمة بددها في ملاذه. وولاه هولاكو نظر الأوقاف في العراق. وكتب عليه ياقوت المستعصمي وابن السهروردي. ومات محبوسا في دين عليه مبلغه (٣٠٠) دينار. سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م. له نظم رقيق وعلم بالتاريخ، وتصانيف، منها «كتاب الأدوار، في معرفة النغم والأوتار ـ خ» صغير، في الفاتح باستنبول (الرقم ٤٦٦١) ودار الكتب ٣٤٩ فنون جميلة) وتُرجم إلى التركية والفارسية والفرنسية وطبع بها. و«الرسالة الشرقية في النسب التأليفية ـ خ» في سراي طوبقبو (رقم ٣١٣٠) وخزائن أخرى.

ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٩/ ٢٤٢ـ ٢٤٣ رقم ٢١٦، فوات الوفيات ٢/ ٤١١ـ ٤١٢، المنهل الصافي ٧/ ٣٧٣ـ ٣٧٦ رقم ١٤٩٤، تاريخ العراق بين احتلالين ١/ ٣٦١، الأحكام السلطانية ٢٨٨، منتخب المختار ٥٧، الدليل الشافي ١/ ٤٣١ رقم ١٤٨٨، الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان لعباس العزاوي ٢٢ـ ٣٤، وشستربتي ٤٢٦٤، الأعلام ٤/ ١٧٠.

(١) الرسالة الشرفية في النسب التأليفية:
كتبها لشرف الدين هارون الجويني. نالت رغبة كبيرة وصارت عمدة رجال هذا الفن، ألفها في العهد المغولي. والمؤلف في كتابه (الادوار) مثل العصر العباسي، وفي هذه أبرز أوضاع هذا العصر. أولها: «أحمد الله على آلائه وأشكره على سوابغ نعمائه». منها نسخة في سراى طوبقبو =

الدين هارون بن الوزير شمس الدين الجويني، والكتاب الآخر يسمّى «الأدوار»[1] وله النظم الرائق، والخط الفائق.

وكان مليح الشكل، عذب الأخلاق، ذا مروءة، وقوّة، وكرم نفس، ظريف، لطيف، وكتب عليه ياقوت المستعصمي وابن السهروردي، واشتغل عليه في علم الموسيقى في جماعة من الأعيان.

قال: ومن كتابته السطر الطومار الذي على بركة جامع الكوفة التي عمّرها الصاحب علاء الدين الجويني، وكتب درجاً للسلطان هولاكو، فأعجبه، ثم وقع ذلك الدرج في يد من عرضه للبيع، فاشتراه بمائة دينار عوال، وفوّض هولاكو إليه نظر الأوقاف بجميع العراق وصدرتها، وعظم عند الناس بمنزلة هولاكو.

= برقم ٣١٣٠ ونسخ آخرى في دار الكتب المصرية، وفي مكتبة بايزيد العامة في استانبول برقم ٤٥٢٤ كتبت سنة ١١٣٩هـ وفي مكتبة ولي أفندي في استانبول برقم ٢١٦٧ كتبت في ٢٧ صفر سنة ١١٣٨هـ، ومن أهم هذه النسخ المؤرخة سنة ٦٧٤هـ وهي في برلين وتعد أقدم نسخة معاصرة لمن كتبت باسمه وفي حياة مؤلفها.

قال في مقدمتها: إنها تشتمل على النسب التأليفية على نهج استنبطه القدماء من حكماء اليونان مضافاً إلى زيادات نافعة لم أجدها في شيء من مصنفاتهم. ولا في شيء من كتب المحدثين من بعدهم... وذكر أنه خدم بها خزانة الخواجة هارون ابن المولى... الصاحب الأعظم شمس الدين محمد الجويني.. وفي رسالته هذه أحال إلى كتابه الادوار، ونقل فيها عن أبي نصر الفارابي وعن الشيخ الرئيس. وبحثها عن الدساتين موسع. واعتقد أنه طريق حل رموز الأغاني ومصطلحاته. والمراغي أخذ منه البحث المنقول في نيل السعود. والرسالة الشرفية فيها تفصيلات. نقلها إلى الفرنسية البارون ديرلانجه. «الموسيقى العراقية ـ ص٣٢»

(١) كتاب الأدوار:

أوله: الحمد لله رب العالمين. وقال في مقدمته: أمرني من يجب على امتثال أوامره، والتيمن بالسعي في مسالك مرامي خواطره، أن أصنع له مختصراً في معرفة النغم، ونسب أبعاده وأدوار الايقاع وأنواعه... إلخ. نال منزلة معتبرة لم يسبق إليها، وصار من عمدة الكتب في هذا الفن. انتشر انتشاراً هائلاً في الاقطار، وصار لا يعد من رجال الفن من لم يتقنه اتقاناً تاماً. شرحه الاستاذ عبد القادر المراغي، ونسخه الخطية في خزائن عديدة، من أهمها نسخة نور عثمانية برقم ٣٦٥٣ كتبت سنة ٦٣٣هـ وهي أقدم نسخة. وتعين أنه عمر طويلاً بحيث أتقن وألف مثل هذا الكتاب الجليل. ومنه نسخة في دار الكتب المصرية برقم (٣٤٩ـ فنون جميلة) بخط عبد الكريم ابن السهروردي كتبت سنة ٧٢٧هـ. وباقي النسخ التي رأيتها لا قيمة لها تاريخية.

ترجمه إلى التركية شكر الله بن أحمد الاماسيوي في أوائل القرن التاسع الهجري ونشر في مجلة (شهبال) في المجلد الآخير. وترجم إلى الفارسية بتراجم مختلف لعديدين... ومن شروحه (شرح شهاب الدين الصيرفي)، و(شرح لطف الله السمرقندي) مما يعين العلاقة به ويعرف بقيمته العلمية. ترجمه إلى الفرنسية البارون ديرلانجه. طبع في باريس سنة ١٩٣٨م. «الموسيقى العراقية ٣١ـ ٣٢»

ثم توصل خواجا نصير الدين الطوسي بالجوينيين وابتاع منهم صدرية الوقف بسبعين ألف دينار رابحاً، وبأن على الأئمة وأهل الأوقاف فقده؛ لأنه كان محسناً إليهم، بخلاف من ولي بعده.

ومن شعره: [من الطويل]

لِحُسْنِكَ مِنْ كلِّ العُيُونِ نَصِيب ... وأَنْتَ إلى كُلِّ القُلوبِ حَبِيْبُ

ومن شعره أيضاً: [من الوافر]

أُلاقِي في سُهادِيَ ما أُلاقِي ... وأَنْتُمْ في الكَرَى مِلءُ المآقِي

ومن شعره أيضاً: [من الخفيف]

يا حياةَ النُّفُوسِ يا مُشْتَهاها ... أَنْتَ للعاشقينَ أَقْصَى مُنَاها

قال الذهلي: وصنَّف عليه قولاً في العشاق طويلاً.

ومن شعره أيضاً: [من الكامل]

هلْ للمعنَّى الهائِم المُضْنَى الصَّدِيْ ... مِنْ رَاحِمٍ أَوْ مُسعِدٍ أَوْ مُنْجِدِ

عَرَفَ الهَوَى وتَلَطَّفَتْ أَسْرَارُهُ ... فَرَثَى ورَقَّ تَوَجُّعاً للمُكْمَدِ

يَصْبُو لِبَثِّ جوًى يكادُ زَفِيرُهُ ... لولا الرجاءُ لدقَّ صُمُّ الجَلْمَدِ

ليسَ الوَدُودُ فتًى يَوَدُّكَ يَوْمَهُ ... حتَّى إذا اسْتَغْنَى يَمَلُّكَ في غَدِ

/٣١١/ بلْ إنَّما الخِلُّ الوَدُودُ فَتًى إذا ... قَعَدَ الزمانُ بصاحِبٍ لمْ يَقْعُدِ

قال الذهلي: وسمع من نظمه جماعة منهم الإمام علي بن سعيد المغربي قديماً ببغداد. وتوفي في يوم الأربعاء ثامن عشري صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة.

وحدّثني الجمال المشرقي عنه، وذكر عدّة أصوات له، فمنها في شعر المتنبي[1]: [من الكامل]

اليومَ مَوعِدُكُمْ فأيْنَ المَوْعِدُ ... هَيْهاتَ ليسَ ليومِ مَوعِدِكُمْ غَدُ

والغناء فيه في الزوكند.

وفي هذا البيت: [من الطويل]

لِحُسْنِكَ مِنْ كُلِّ القُلُوبِ نَصِيبُ ... وأَنْتَ إلى كُلِّ القُلُوبِ حَبِيبُ

والغناء فيه في المحيّر من النيروز.

وفي هذا البيت: [من الطويل]

---

(١) ديوان المتنبي ١/ ٣٢٧.

فُؤادٌ بِنارِ الوَجْدِ والنارُ تُحْرِقُ وجَفْنٌ بأَمْواجِ المَدامِعِ مُغْرَقُ

والغناء فيه من الراست.

وفي هذا البيت من الزنكلا: [من الكامل]

اصْنَعْ جَمِيلاً ما اسْتَطَعْتَ لأَنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يتحدَّثَ السُّمَّارُ

قال الجمال المشرقي: ولي في المعنى: [من الكامل]

اعْدِلْ إلى فِعْلِ المَكارِمِ والعُلاَ إنَّ المكارِمَ للعُلاَ أَنْصارُ

وذكر العزّ حسن الإربلي في تاريخه. قال: جلست مع عبد المؤمن بالمدرسة المستنصرية، وجرى ذكر واقعة بغداد، فأخبرني أن هولاكو طلب رؤساء البلد وعرفاه، وطلب منهم أن يقسموا دروب بغداد ومحالها، وبيوت ذوي يسارها على أمراء دولته، فقسَّموها، وجعلوا كلّ محلة، أو محلتين، أو سوقين باسم أمير كبير، فوقع الدرب الذي كنت أسكنه في حصّة أمير مقدم عشرة آلاف فارس اسمه بانوانوين، وكان هولاكو قد رسم لبعض الأمراء أن يقتل ويأسر، وينهب مدّة ثلاثة أيام، ولبعضهم يومين، ولبعضهم يوم واحد على حسب طبقاتهم؛ فلما دخل الأمراء إلى بغداد أول درب، جاء إليه الدرب الذي أنا ساكنه، وكان قد اجتمع إليه خلق كثير من ذوي اليسار، واجتمع عندي نحو خمسين جوقة من أعيان المغاني من ذوي المال والجمال، فوقت بانوانوين على باب الدرب، وهو مدبس /٣١٢/ بالأخشاب والتراب، فطرقوا الباب، وقالوا: افتحوا لنا الباب، وادخلوا في الطاعة، ولكم الأمان وإلا أحرقنا الباب، وقتلناكم، ومعه الزراقون، والنجّارون، وأصحابه بالسلاح.

قال عبد المؤمن: السمع والطاعة أنا أخرج إليه، ففتحت الباب، وخرجت إليه وحدي وعليّ أثياب وسخة، وأنا أنتظر الموت، فقبّلت الأرض بين يديه، فقال للترجمان: قل له من أنت؟ كبير هذا القوم الذي في الدرب؟ قلت: نعم، فقال: إن أردتم السلامة من الموت، فاحملوا إلينا كذا وكذا، وطلب شيئاً كثيراً، فقبّلت الأرض مرّة ثانية، وقلت: كلَّما طلب الأمير يحضر، وقد صار كل من في هذا الدرب بحكمك، فمر جيوشك ينهبون باقي الدروب المعنية، وانزل حتى أضيفك، ومن تريد من خواصّك، فاجمع لك كل ما طلبت، فشاور أصحابه، ونزل في نحو ثلاثين رجلاًن فأتيتُ به داري، وفرشت له الفرش الخليفية الفاخرة، والستور المطرّزة بالزركش، وأحضرت له في الحال أطعمة قلايا وشوايا وحلوى، وأكلت بين يديه ششني؛ فلما فرغ من الأكل عملت له مجلساً ملوكياً، وأحضرت له الأواني المذهبة من الزجاج الحلبي، وأواني فضّة فيها شراب مروَّق؛ فلمّا دارت الأقداح، وسكر قليلاً، أحضرت عشر جوق

مغاني كلّهم نساء، كل جوقة تغني بملهاة غير ملهاة الأخرى، وأمرتهم، فغنّوا كلّهم على شأنٍ واحد، فأرتج المجلس، وطرب وانبسطت نفسه، وضمَّ واحدة من المغنيات أعجبته، فواقعها في المجلس، ونحن نشاهده، وتمَّ يومه في غاية الطيبة؛ فلما كان وقت العصر، حضر أصحابه بالنهب والسبايا، قدمت له ولأصحابه الذين كانوا معه تحفاً جليلة من أواني الذهب والفضة، ومن النقد والذهب، ومن الأقمشة الفاخرة شيئاً كثيراً سوى العليق، وهبات العوانية الذين كانوا بين يديه، واعتذرت من التقصير، وقلت جاء الأمير على غفلة، لكن غداً إن شاء الله أعمل للأمير دعوة أحسن من هذه، فركب وقبّلتُ ركابه، ورجعت، فجمعت أهل الدرب من اليسارة وقلت لهم: انظروا لأنفسكم /٣١٣/ هذا الرجل غداً عندي وكذا بعد غد، وكل يوم أريد أضعاف اليوم المتقدم، فجمعوا لي من بينهم ما يساوي خمسين ألف دينار من أنواع الذهب والأقمشة الفاخرة والسلاح فما طلعت الشمس إلاّ وقد وافاني فرأى ما أذهله.

وجاء في هذا اليوم، ومعه نساؤه، فقدمت إليه ولنسائه من الذخائر والذهب والنقد ما قيمته عشرون ألف دينار.

وقدمتُ له في اليوم الثالث لآلىء نفيسة، وجواهر ثمينة، وبغلة جليلة بآلات خليفية، فقلت: هذه مراكب الخليفة، وقدَّمت لجميع من معه، وقلت: هذا الدرب قد صار بحكمك، فإن تصدَّقت على أهله بأرواحهم، فيكون له وجه أبيض عند الله، وعند الناس، فما بقي عندهم سوى أرواحهم، فقال: قد عرفت ذلك. ومن أول يوم وهبتهم أرواحهم، وما حدثتني نفسي بقتلهم، ولا سبيهم، لكن أنت تجهز معي قبل كلّ شيء إلى حضرة القان، فقد ذكرتك له، وقدّمت له شيئاً من المستطرفات التي قدمتها لي، فأعجبته، ورسم بحضورك. فخفت على نفسي، وعلى أهل الدرب، وقلت: هذا يخرجني إلى خارج بغداد، ويقتلني، وينهب الدرب، فظهر علي الخوف، وقلت: يا خوند، هولاكو ملك كبير، وأنا رجل حقير مُغنٍّ أخشى منه ومن هيبته، فقال: لا تخف ما يصيبك إلا الخير؛ فإنه رجل يحب أهل الفضائل، فقلت: أنا في ضمانك أنّه لا يصيبني مكروه؟ قال: نعم، فقلت لأهل الدرب: هاتوا ما عندكم من النفائس، فأتوني بكلّ ما يقدرون عليه من المغنيات الجليلة ومن النقد الكثير من الذهب والفضة.

وهيأت من عندي مآكل كثيرة طيبة، وشراباً كثيرا عتيقاً فائقاً، وأواني فاخرة كلها من الذهب والفضة المنقوشة، وأخذت معي ثلاثة جوق مغاني من أجمل من كان عندي وأتقنهن للضرب، ولبست بدلة من القماش الخليفي، وركبت بغلة جليلة كنت أركبها إذا رحت إلى الخليفة، فلما رآني بانوا نوين بهذه الحالة، قال لي: أنت وزير، قلت: بل

أنا مغني الخليفة ونديمه، لكن لما خفت منك، لبست هذا الثوب المقطع الوسخ، ولما صرت من رعيتك، أظهرت نعمتي وأمنت. وهذا الملك هولاكو ملك عظيم، وهو أعظم من الخليفة، فما ينبغي أدخل عليه /٣١٤/ إلا بالحشمة والوقار.

فأعجبه مني هذا، وخرجت معه إلى مخيم هولاكو، فدخل عليه، وأدخلني معه، وقال لهولاكو: هذا الرجل الذي ذكرته، وأشار إليّ؛ فلما وقعت عين هولاكو عليّ قبلت الأرض، وجلست على ركبتي، كما هو من عادة التتار، فقال له بانواين، هذا كان مغني الخليفة، وقد فعل معي كذا وكذا، وقد أتاك بهدية، فقال: أقيموه، فأقاموني، فقبَّلت الأرض مرّة ثانية، ودعوت له، وقدَّمت له ولخواصّه الهدايا التي كانت معي، فكلَّما قدّمت شيئاً، سأل عنه، ثم يفرقه، ثم فعل بالمأكول كذلك، ثم قال لي: أنت كنت مغني الخليفة؟، فقلت: نعم، فقال: أيش أجود ما تعرف في علم الطرب؟ فقلت: أحسن أن أغنّي غناء إذا سمعه الإنسان ينام، قال: فغنّ لي الساعة حتى أنام، فندمت، وقلت إن غنيت له، ولم ينم، قال: هذا كذاب، وربما قتلني، ولا بدّ لي من الخلاص منها بحيلة، فقلت: يا خوند الطرب بأوتار العود لا يطيب إلا على شرب الخمر، ولا بأس أن يشرب الملك قدحين ثلاثة حتى يقع الطرب في موقعه.

فقال: أنا ما لي في الخمر رغبة؛ لأنه يشغلني عن مصالح ملكي، ولقد أعجبني من نبيكم تحريمه، ثم شرب ثلاثة أقداح كبار؛ فلمّا احمرَّ وجهه، أخذت منه دستوراً، وغنيته، وكان معي مغنية اسمها صبا لم يكن في بغداد أحسن منها صورة، ولا أطيب صوتاً، فأصلحت أنغام العود على أنغام وضربةٍ جالبة للنوم مع زم رخيم الصوت وغنيت فلم أتمّ النوبة، حتى رأيته قد نعس، فقطعت الغناء بغتة وقويت ضرب الأوتار، فانتبه، فقبَّلت الأرض، وقلت أنام الملك؟ فقال: صدقت نمت، تمنَّ علي، فقلت: أتمنّى على الملك أن يطلق لي السميكة، قال: وأيّ السُميكة شيء هو؟ قلت: بستان كان للخليفة، فتبسم، وقال لأصحابه: هذا مسكين مغنٍّ قصير الهمّة، وقال للترجمان: لم لا تمنيت قلعة أو مدينة، أيش هو بستان؟ فقبَّلت الأرض، وقلت: يا ملك هذا البستان يكفي، وأنا ما يجيء مني صاحب قلعة، ولا مدينة، فرسم لي بالبستان، وبجميع ما كان لي من المراتب أيام الخلافة، وزادني علوفه تشتمل على خبز ولحم وعليق دواب يساوي دينارين، وكتب لي بذلك /٣١٥/ فرماناً مكمل العلائم، وخرجت من بين يديه، وأخذ لي بانواين منه أميراً بخمسين فارساً، ومعهم علم أسود هو كان علم هولاكو الخاص به، برسم حماية دربي، فجلس الأمير على باب الدرب، وذهب العلم الأسود على أعلى باب الدرب، فبقي الأمر كذلك إلى أن رحل هولاكو عن بغداد.

قال الإربلي: فكم نابك في النائبة من المغارم؟.

قال: أكثر من ستين ألف دينار ذهب أكثرها ممن كان انزوى إلى دربي من ذوي اليسار، والباقي من نعم موفرة كانت عندي من صدقات الخليفة.

فسألته عن المرتب والبستان. قال: أخذه مني أولاد الخليفة، وقالوا: هذه إرثنا من أبينا، والعلوفة قطعها عني الصاحب شمس الدين الجويني وعوّضني عنها، وعن البستان ستين ألف درهم.

ومنهم:

[١٣٩]

لحاظ المغنية

سحرت فقيل لحاظ، وملأت نفس كل عاشق فغاظ، طالما تجلت فجلت الهموم، وغنَّت فاقتادت القلب المزموم، وبرزت فتنة للأنام، ومحنة للمستهام إلا أنها لو تقدمت زماناً، كما لو أنها تقدمت افتناناً. لأرخصت دنانير، وصرفت عنانا، وأعربت بما لم تدع لعريب امتنانا. كانت تلازم مجلس الغناء عند الخليفة المستعصم، وكان يعجبه غناؤها.

قال صفي الدين بن عبد العزيز: حدثتني لحاظ قالت: داعبني الخليفة ـ يعني المستعصم ـ يوماً، ونحن في خلوة مداعبة. ظننت أنه يريد مني بعض الأمر، فظهر له مني ما يدل على الإجابة، فتوقَّر، وغضب، وقال: ويلك أظننت أني جاد؟ وهل ترين إلا المزاح؟ نعوذ بالله من المعصية!!

قال عبد المؤمن: كان ببغداد رجل يقال له: ابن معمر، وكان ناظر ديوان المكوس، وكان يسكن الكرخ، وكان يحمل إليه في كل شهر خمسمائة دينار وانطوى ذلك عن الخليفة، ففي بعض الأيام حضرت لحاظ على عاتقها بين يدي الخليفة مع جماعة من المغنين، فغنَّت بأبيات أولها: [من الخفيف]

/٣١٦/ ذَكَرَ الكَرخَ نازحٌ الأَوطانِ فاستهلَّتْ مدامعُ الأَجفانِ

فقال بعض الحاضرين من المغنين: كيف لا يذكر الكرخ من يصل إليه في كل شهر خمسمائة دينار، فسأل الخليفة عن القصة، فأخبروه بالحال، فأمر بنفي المغنية، فنفيت، وعزل ابن معمر عن ولايته، وما زالت تُستصفى أمواله(١).

(١) الموسيقى العراقية للعزاوي ٣٤ عن المسالك.

ومنهم:

[١٤٠]

الثوبي

صاحب الأرمال واسمه...

ومن أصواته قوله والشعر له والغناء في السّيكاه: [من الطويل]

أَيَجْمُلُ مِنْ بَعْدِ الوِصالِ صُدودُ ... وتُنْسَى مواثيقٌ لنا وعُهُودُ
ويُجْحَدُ ما بيني وبينَكَ في الهَوَى ... ولِيْ مِنْ ضَنَى جِسْمِي عليكَ شُهُودُ
ورُوْحِي نأَتْ يوماً نَأَيْتُمْ وأَقْسَمَتْ ... يميناً بكُمْ إنْ عُدْتُمُ سَتَعُودُ

ومها أيضاً له والشعر والغناء في السيكاه: [من الوافر]

عَلِيلُ الشَّوْقِ فِيْكِ مَتَى يَصِحُّ ... وسَكْرَانٌ بحُبِّكِ كيفَ يَصْحُو
وأَعْجَبُ أَنْ يكونَ لَهُ شِفَاءٌ ... فُؤادٌ مِنْ لِحاظِكَ فيهِ جُرْحُ
وبينَ القَلْبِ والسُّلْوانِ حَرْبٌ ... وبينَ الجَفْنِ والعَبَرَاتِ صُلْحُ
مَزَجْتُ بحبِّكُمْ يا صاحِ جَهْلاً ... وكَمْ جَلَبَ السَّقامُ عَليَّ مَزْحُ

ومنهم:

[١٤١]

الخَرُوْف

من ندماء الملك المنصور صاحب جماعته ومغانيه، وأهل الحظوة الذي لم يكن فيها أحد يدانيه، والبخت الذي أدناه من صاحب التخت لبلوغ أمانيه، وكان من نجوم مجلسه الطالعة، وغصون حضرته اليانعة وجلساء مدامه، وأخصَّاء ندامه، وكان سرى الخلائق، يدمث عطف النسيم، وبعث النشوة في شمائل النديم، أصله من مدينة زرع، وقدم دمشق وبرع، وعدّى المنتهين في الغناء من أول ما شرع، وكان جلاء البصر، وسراج همّ الخاطر إذا انحصر، خدم البيت الأيوبي، واقتاد بهم الحظّ الأبي.

ومن أصواته[1]: [من الوافر]

/٣١٧/ إنْ غَاضَ دَمعُكَ والرِّكابُ تُساقُ ... مَعَ ما بقلبِكَ فهوَ منْكَ نِفاقُ
لا تَحْبِسَنْ ماءَ الجُفُونِ فإنَّهُ ... لكَ يا لَدِيْغَ هَوَاهُمُ دِرْياقُ

---

(١) الوافي بالوفيات ٢٥/ ٥٠٢.

واحْذَرْ مُصاحَبَةَ العَذُولِ فإنَّهُ مُغْرٍ وظاهِرُ عَذْلِهِ إشْفَاقُ
لا يَبْعُدَنْ زَمَنٌ مَضَتْ أَيَّامُهُ وعلى مُتُونِ غُصُونِها أَوْرَاقُ
أَيَّامَ نَرْجِسُنا العُيُونُ وَوَرْدُنا غَضُّ الخُدُودِ وخَمْرُنا الأَرْياقُ
فلئِنْ بَكَتْ عَيْنِي وما شَوْقي إلى ذاكَ الزَّمانِ فَمِثْلُهُ يُشْتَاقُ

والشعر للشريف البياضي[١].

وحكى لي أبو جعفر بن غانم أنه حضر مجلس صاحب حماة، وهو مخيم ببارين في زمن الربيع، وقد أطلع بدائع النوار، وتجلّى بشوائع الأنهار، والروض قد فك عنه حجر الغمام، والنسيم قد مشى في جوانبه مُسبل الأكمام، وأمر بالمغاني فأحضروا فيهم الخروف، ووجهه باسر يلوح بكلح، ولبّه ذاهب كأنه ما جاء ليغني، وإنما قد قُدم ليذبح، فقال له: ما هذا الذي أراه بك؟ أهذا لمفارقة حماة أم لشيء لدينا تتحاماه؟، أما تنظر إلى فسيح هذا الفضاء، وإلى هذا الجو، وقدّموه بالفضة البيضاء، والخروف مطرق كأنه يرى السكين في يد الذابح، والنار تشبُّ في زناد القادح لهوىً كان عقده بحماة جديداً، وفارقه وإن لم يكن النوى رمت به مكاناً بعيداً، ثم لم يطل به السكوت ولا يتمادى لسانه في اعتقاد الصموت حتى اندفع يغني صوتاً عمله لوقته، ونطق به وخرج من عهدة صمته، وهو: [من الكامل]

قَسماً بأَيَّامِ التَّداني ولذَّةِ الـ ـوِصَالِ وإنِّي في يميني صادقُ
ما سرَّ قَلْبي مُذْ نَأَيْتِ ولا حَلاَ لِي العَيْشُ واللذَّاتُ مِنِّيَ طالقُ
وإني أَرَى هذا الفَضَاءَ الذي أرى فَسِيحاً عَلينا بعدَكُمْ مُتَضَايِقُ
ما سرَّ قَلْبي الرَّوضُ يَزْهُرُ حُسْنُهُ وأنَّى كُفِيتُمْ عاشقٌ ومُفارِقُ

فطرب صاحب حماة حتى مال، وسأله أن يطلعه على حقيقة ما قال: فقصَّ عليه/ ٣١٨/ خبره مع سجنه، وما جلبه فراقها عليه من حزنه، وسأله لمن الشعر؟ فقال: والله لا أعرف ولكنه شيء أحفظه؛ فلما عاينت من نكيرك الموت جاء على

(١) الشَّريف البياضي: مسعود بن عبد العزيز بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق البياضي، أبو جعفر: شاعر هاشمي. من أهل بغداد، مولداً ووفاةً سنة ٤٦٨هـ/ ١٠٧٦م. له «ديوان شعر» صغير، رآه ابن خلكان وقال: هو في غاية الحسن والرقة وليس فيه من المدائح إلا اليسير. والبياضي نسبة إلى لبس البياض.
ترجمته في: روض المناظر، بهامش الكامل ١٢/ ٢٩، والوفيات لابن خلكان ٢/ ٩٢ وفيه، بعد أن سماه «مسعود بن عبد العزيز». الإعلام ـ خ. «مسعود. بن المحسن». الوافي بالوفيات ٢٥/ ٥٠١ـ ٥٠٦ رقم ٣١٦ الأعلام ٧/ ٢١٨، معجم الشعراء للجبوري ٥/ ٣٧٨.

خاطري، فصنعت فيه هذا الصوت. فقال: والله حسن جميل ما صنعت، وإن مساعدتك لسعين، ثم أصبح، فقوَّض خيامه عائداً، ثم دام له على هواه مساعداً، ثم أمر له بصلةٍ سنية وزَادَ في راتبه.

وحكي: إن صاحب حماة جلس ليلة على نهر العاصي، والقمر مبدر، والليل قد أصحر أسده المخدر، والمجرّة قد كاثرت المجلس بأكوابها، والظلماء قد لعبت أشعة البدر بأثوابها، والصهباء قد ذهبت شح الظلام، والأبارق قد شبَّت شعل ذلك الضرام، فاستدعى في ذلك المجلس الأسنى واقترح عليه صوتاً فيه[1]: [من البسيط]

قُم فانتَصِفْ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ والنُّوَبِ ... واجمعْ بكأسِكَ [شَملَ] اللهوِ والطَّرَبِ
أَما تَرَى الليلَ قدْ قامتْ عساكِرُهُ ... في الشَّوْقِ يَنْشُرُ أَعْلاماً مِنَ الذَّهَبِ
والجوُّ يختالُ في حُجْبٍ مُمَسَّكَةٍ ... كَأَنَّما البرقُ فيها قَلْبُ ذِيْ رُعُبِ
فاخلعْ عِذَارَكَ واشْرَبْ قهوةً مُزِجَتْ ... بقهوةِ الرِّيقَةِ المعْسُولَةِ الشَّنَبِ

والشعر للسري الرفاء.

ومن أصواته المشهورة: [من الطويل]

تُرَى عَلِمَتْ وجْدِي بها رَبَّةُ الخالِ ... ومَنْ قلبُها مِنْ شُغْلِ قَلْبي بِها خالي
ومَنْ أَنا صَبٌّ في هَوَاها مُتَيَّمٌ ... وما كنتُ منْها قطُّ يوماً على بالِ
تَنَوَّرْتُها كالبدرِ أَدْنى مَزَارِها ... فُؤَادي وما أَدْناهُ لي المنظرُ العالي

والشعر لشيخنا أبي الثناء محمود الحلبي[2].

---

(١) ديوان السري الرفاء ١/ ٣٥٠.

(٢) محمود بن سلمان بن فهد بن محمود الحنبلي الحلبي ثم الدمشقي، أبو الثناء، شهاب الدين: أديب كبير. استمر في دواوين الإنشاء بالشام ومصر نحو خمسين عاماً. ولد بحلب سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٧م، وولي الإنشاء في دمشق. وانتقل إلى مصر، فكتب بها في الديوان. وعاد إلى دمشق، فولي كتابة السر نحو ثماني سنين إلى أن توفي بها سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م وكان شيخ صناعة الإنشاء في عصره، ويقال: لم يكن بعد القاضي الفاضل مثله. وهو إلى ذلك شاعر مكثر. له تصانيف، مثل «ذيل على الكامل لابن الأثير ـ خ» و«وأهنى المنائح في أسنى المدائح ـ ط» و«الذيل على ذيل القطب اليونيني» و«مقامة العشاق» و «منازل الأحباب ومنازه الألباب ـ ط» و«حسن التوسل إلى صناعة الترسل ـ ط» وكان يكتب التقاليد الكبيرة والتواقيع بديهة من غير مسودة. وقد جمع منها بعض الفضلاء مجلدين، قال ابن حجر: إن قصائد الشهاب تدخل في ثلاثين مجلدة، ونثره لو جمع لبلغ مثلها.

ترجمته في: الدرر الكامنة ٤/ ٣٢٤، والقلائد الجوهرية ٢١٤، وديوان الصفي الحلي ٢٢٧، وفوات الوفيات ٢/ ٢٨٦، والبداية والنهاية ١٤/ ١٢٠، والدارس ٢/ ٢٣٦، والمقصد الأرشد ـ خ. وعرفه بابن فهد، والتيمورية ٣/ ١٦٨، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٦٤ ووقع اسمه فيه: «محمود بن =

وكذلك من أصواته[١]: [من الطويل]

أَقُولُ وقدْ ناحَتْ بِقُرْبي حَمَامَةٌ أيا جَارَتا هَلْ باتَ حالُكِ حالي
مَعَاذَ الهَوَى ما ذُقْتِ طارِقَةَ النَّوَى ولا خَطَرَتْ مِنْكِ الهُمُومُ ببالِ
أَيَحْمِلُ مَحْزُونَ الفُؤادِ قوادِمٌ على غُصْنٍ بانٍ في المسافةِ عالي
أيا جَارتا ما أَنْصَفَ الدَّهْرُ بيننا تَعَالَي أُقاسِمْكِ الهُمُوم تَعَالِيْ
تَعَالَي تَرَيْ رُوحاً لديَّ ضعيفةً تَرَدَّدُ في جسم يُعذَّبُ بالي
لقدْ كنتُ أَوْلَى مِنْكِ بالدَّمعِ مُقْلَةً ولكنَّ دَمْعِي في الشَّدائِدِ غالي

/ ٣١٩/ والشعر لأبي فراس الحمداني.

وحكى أنه كان يوماً بين يديه في خاصةٍ من ندمائه إذ أقبل غلام كالبدر في سمائه قد شدَّ وسطه ببند قطع بين خصره وردفه، ومنع بين الواصف ووصفه، وطرفه قد سجا، وغرّته تحت طرّته صبح في دجى، وعِذاره في خدّه قد شق في الورد بنفسجا، فجاء حتى وقف بإزائه، والوجد به قد أضرم الجوانح، وهاج الولع بالظباء السوانح، فلم يبق إلا من أنشد شعراً نظمه، واستشهد به، وذكر حسن ذلك الغزال السانح من سربه، [و]الخروف مطرق في فكر يسبح في نجحه، وذكر لما ينطق به لسان حججه حتى صاغ لحناً، واندفع فيه يغني: [من الكامل]

قسماً بطرَّتِهِ وحُسْنِ عِذَارِهِ وبما حَوَاهُ الخَصْرُ مِنْ زُنَّارِهِ
وبحُسْنِ وجْنَتِهِ وضَوءِ جَبْيْنِهِ وبِبَدْرِ تَمٍّ لاح مِنْ أزرارِهِ
لأُخالِفَنَّ عَوَاذِلي في حُبِّهِ مهما اسْتَطَعْتُ ولوْ صَلِيْتُ بِنَارِهِ

والشعر مجهول.

ومن أصواته التي اقترح عليه الغناء فيها[٢]: [من الكامل]

أنصفتُهُ مِنْ مُهْجَتي لوْ أَنْصَفا وَوَدِدْتُ لو رَاعَى وُدَادِي أو وَفَى
وطَمِعْتُ مُغْتراً بَجوهرِ ثغرِهِ فَصَفا وكَّدرَ مِنْ حَياتي ما صَفَا
خادَعْتُهُ بحديثِ لِيْنِ قَوَامِهِ فَسَطَا وهَزَّ عَليَّ منْهُ مُثَقَّفَا
فذهبتُ مِنْ يَدِهِ إلى أَجْفانِهِ فَرَقاً وسَلَّ عَليَّ منْها مُرْهَفَا

والشعر للجلال بن الصفار المارديني[٣]، ومن هذه القطعة تلو الصوت:

=
سليمان» وكتبخانة عاشر أفندي ١٦٦، الأعلام ٧/ ١٧٢، معجم الشعراء للجبوري ٥/ ٣٢٩.

(١) ديوان أبي فراس الحمداني ٢٤٦.
(٢) بعض أبياتها في الوافي بالوفيات ٢٢/ ٣٥١.
(٣) علي بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن شيبان، أبو الحسن النميري المارديني، جلال الدين =

كـالـبـدرِ راعَـيْـتُ حـسـنـه وهـمـسـه   لـي وجْـنَـتَـيْـهِ أَنْ يـكـونَ مُـشَـنَّـفَـا
وكَـفَـتْـهُ خَـمْـرَةُ رِيْـقِـهِ ورُضـابُـهُ   فـكـفـتْـهُ أنْ يَـرِدَ الـعُـقَـارَ الـقـرْقَـفَـا
أَرَأَيْـتَ خـدّاً لا يـزيـدُ تـلـهُّـبـاً   فـيـزيـدُني إلاّ عـلـيـه تـلـهـفـا
أمْ هَل سمعتَ بمَنْ شَكا حُرَقَ الهَوَى   مِثْلي فَدَاوى النارَ بالنارِ اشْتَفَى
رَشَـأ رشـيـقـاً ظَـلَّ بـحـدف خَـصْـره   رِدفاً عَتَا فَقَضَى لهُ أَنْ يَضْعُفا
يا نسمةً ضَمِنَتْ تعطُّفَ قَدِّهِ   هَلاّ مَرَرْتِ بقَدِّهِ فَتَعَطَّفا
أَحْبَبْتُهُ مُتَجَنِّباً ووَدِدْتُهُ   مُتَجَنِّياًوعشقْتُهُ مُتَعَفِّفا
/ ٣٢٠/ فاخْتَرتُ للجسمِ الضَّنَى وجعلْتُ للـ   ـقلبِ العَنَا ورَضِيْتُ منْهُ بالجَفَا

ومن أصواته المعروفة له: [من البسيط]

مَنْ مُنْصِفِي مِنْ هِلال يخضعُ القَمَرُ الـ   سَّاري لـهُ وغَـزالٍ يـصـرعُ الأَسَـدَا
لِـمْ لا تَـخَـافُ الـعِـدَا أَسْيافَ ناظِرِهِ   وقـدْ رأَوا سـالـفـيـهِ أُلْـبِـسـا زَرَدَا
وكيفَ لافى الهَوَى يَنْحَلُّ عَزْمُهُمُ   وبَنْدُهُ فوقَ ذاكَ الخَصْرِ قدْ عُقِدَا
يا مَنْ حَكَى السَّمْرَةَ الصَّعْدَاءَ قامَتُهُ   كَمْ قَدْ تنفَّسَ فيكَ العاشقُ الصُّعَدا

والشعر لابن الدجاجية الدمشقي.

ومن أصواته: [من الكامل]

أَشَـذاكُـمُ عـنـدَ الـصَّـبـاحِ يـفُـوحُ   أَمْ نَـشْـرُ لـيـلَـى قَـدْ طَـوَتْـهُ الـرِّيْـحُ
مِـلْـنـا فَـكُـلٌّ مِـنْ تَـأَرّجِ عَـرْفِـهِ   نَـشْـوانُ فَـوْقَ مَـطِـيَّـةٍ مَـطْـرُوحُ
فَكَأَنَّما دَارَتْ علينا في السُّرَى   كَأْسٌ على نَغَمِ الحُدَاةِ طَفُوحُ
أَنَسِيمَ ليلَى هَلْ مَرَرْتَ على الحِمَى   ليلاً وليلَى في الدِّيارِ تَرُوحُ

= المعروف بابن الصفّار، كاتب، شاعر، ولد في ماردين سنة ٥٧٥هـ/ ١١٨٠م، ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم، ونظر في علم العربية، وكتب الإنشاء لصاحبها الملك المنصور ناصر الدين «أرتق»، وكتب لأشراف بني دبيس ثمانية عشر عاماً، وصنّف «أنيس الملوك» في الأدب، قتله التتر يوم دخلوا ماردين في سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م.
ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ١٩٣ـ ١٩٧، الوافي بالوفيات ٢٢/ ٣٤٧ـ ٣٥١ رقم ٢٤٤، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٢، مجمع الأداب ٤/ ٣٦٩ـ ٣٧٠، تاريخ دنيسر ١٧٢، ذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ـ ٦٦٠هـ) ص٣٥١ رقم ٤٤٩، عيون التواريخ ٢٠/ ٢٣٨ـ ٢٤٠، المنهل الصافي ٨/ ٢٤٤ رقم ١٧٠٦، الدليل الشافي ١/ ٤٨٩ رقم ١٦٩٩، قلائد الجمان ٥/ ٧٠ـ ٧٥ رقم ٤٨١. الأعلام ٥/ ٣٤، معجم الشعراء للجبوري ٤/ ٦٩ـ ٧٠.

والشعر لبعض نصارى ماردين.

ومن أصواته(١): [من الكامل]

طَلَلٌ لِعُلوةَ دُوْنَ سَفْحِ مَحَجَّرِ رَوَّتْهُ دِيْمَةُ كلِّ غَيْثٍ مُمْطِرِ
وسَرَتْ عليهِ نُسَيْمَةٌ مُعْتَلَّةٌ عَنْ غَيْرِ طَيِّبِ نَشْرِهِ لم تُنْشَرِ
حَتَّى تَسَهَّمَ بُرْدُهُ بِمُقَضَّبٍ ومُخَضَّبٍ ومُدَرْهَمٍ ومُدَنَّرِ
رَبْعٌ عَلِقْتُ بِهِ وغُصْنُ شَبيبتي نَضِرٌ وفَوْدِي ليلةٌ لَمْ تُقْمِرِ

والشعر للشهاب التلعفري(٢) من قطعة ألزم فيها عدم الألف وتمامها:

للهِ عَصْرُ شَبِيبةٍ قَضَّيتُه في جَوِّهِ بِرَحِيقِ صرفٍ مُسْكِرِ
مَعْ كلِّ مُعْتَدِلٍ يُرَنِّحُ صَعْدَةً مِنْ قَدِّهِ ويُدِيرُ مُقْلَةَ جُؤْذَرِ
ورَشِيقَةٍ مَمْشُوقَةٍ لَوْ بُقِّيَتْ للبدرِ ليلةَ تَمِّهِ لَمْ يُسفِرِ
خَوْدٌ تُرِيكَ سَقِيمَ جَفْنٍ لَمْ يكُنْ عَنْ قَتْلِ صَبٍّ مُغْرَمٍ مِثْلِي بَرِيْ
يَفْتَرُّ عَنْ ثَغْرٍ نَضِيدٍ نَوؤُهُ حُقَّتْ حقيقته بِسِمْطَيْ جَوْهَرِ

---

(١) ديوانه ٢٠٨ـ ٢٠٩.

(٢) محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني، شهاب الدين، أبو عبد الله، التلعفري: شاعر نسبته إلى «تل أعفر» بين سنجار والموصل. ولد سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م وقرأ بالموصل. وسافر إلى دمشق، فكان من شعراء صاحبها الملك الأشرف (موسى) الأيوبي، وابتلي بالقمار، فطرده الأشرف إلى حلب، فأكرمه صاحبها الملك الناصر (يوسف بن محمد) الأيوبي، وقرر له رسوماً، فجعل يضيعها في القمار، فنودي في حلب: من قامر مع الشهاب التلعفري قطعت يده. وضاقت عليه الأرض، فعاد إلى دمشق، فكان يستجدي بشعره ويقامر. وساءت حاله، فقصد حماة، ونادم صاحبها، وتوفي فيها سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٧م. له «ديوان شعر ـ ط» مراراً.

ترجمته في: الوافي بالوفيات ٥/ ٢٢٥ـ ٢٦٣ رقم ٢٣٣٧، وفيه: «توفي سنة خمس وسبعين وستمائة». فوات الوفيات ٢/ ٥٤٦ـ ٥٥٥، بروكلمان ـ الذيل ١/ ٤٥٨، شذرات الذهب ٥/ ٣٤٩، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٥. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٧١ـ ٦٨٠) ص٢٠٣ـ ٢٠٥ رقم ٢٥١. المختصر في إخبار البشر ٤/ ١٠، عيون التواريخ ٢١/ ١٢٧، المقفى الكبير ٧/ ٥١٥ رقم ٣٦١٦، تالي وفيات الأعيان ١٤١ـ ١٤٢ رقم ٢٢٦، الدرة الزكية ٢٧٩. العبر ٥/ ٣٠٦. البداية والنهاية ١٣/ ٢٧٢. تاريخ الملك الظاهر ٢١٤ـ ٢١٧. تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢٤. عقد الجمان ٢/ ١٦٩ـ ١٧٠. الفلاكة والمفلوكين ٩٥، السلوك ج١ ق١/ ٦٣٤، تاريخ ابن الفرات ٧/ ٧٦ـ ٧٩، تاريخ ابن أسباط ١/ ٤٤٢، ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢١٨ـ ٢٢٨، الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٦٧، ديوان الإسلام ٢/ ٣٥ رقم ٦١٢، الأعلام ٧/ ١٥١، كشف الظنون ٧٨٠، معجم المؤلفين ١٢/ ١٣٨، هدية العارفين ٢/ ١٣٢، قلائد الجمان ٧/ ٣٥ـ رقم ٧٤٦، معجم الشعراء للجبوري ٥/ ٣١٧.

وانظر إلى هذه القطعة التي كأنها من قطع الروض / ٣٢١/ المرتع في عنفوان زمن الربيع، وكيف جاءت مع هذا الالتزام خفيفة الموقع، قريبة من الخاطر، لا ترى للكلفة عليها، ولا تتطرق للاستهجان.

وكذلك من أصواته في شعر ابن الحجاج.

وحكي أنَّ الملك المنصور صاحب حماة استصحبه معه إلى مصر في بعض سفراته إليها، فحضر يوماً يغنيه، وقد حضر عنده أبو الحسين الجزار الشاعر، واندفع الخروف يغني صوتاً أوله: [من الوافر]

مُـريـقُ دمـي وسـالـبُ نـوم عَـيْـنِـي

وطفق يردده ويكرره، فقال له الجزار: لك الأمان يا شيخ أحمد، فضحك صاحب حماة ومن حضر.

قلت: ولم يقع إليّ من هذا الصوت غير ما ذكرت.

حُكي أنه كان مع صاحب حماة على مجلس الشراب، وهم ببلاد ماردين، والربيع قد سحب رداءه على الثرى، والسحاب قد أودع في ثغور الأقاح جوهرا، والنسيم قد هب من تحت أعكان الليل مغيراً؛ والروض قد أخذ زخرفه، والنوار قد نظم أحرفه، والبدر قد طرح تاجه، وألبس الشمس شرفه، والراح قد راقت كأنها وجه حبيب، وطابت كأنها غفلة رقيب، والمدام قد أديرت في عسجدية، والكؤوس قد برقت في تلك الصفيحة الندية، والسقاة كأنها أقمار توشحت الجوزاء مناديل، والأصداغ كأنها محاريب اشتعلت فيها الخدود قناديل؛ فاقترح عليه الغناء في شعر خمري يناسب ذلك المقام، ويحثّ به سوابق كميت تلك المدام، فاندفع يغني: [من البسيط]

والكأْسُ يَسْلُبُنِي عَقْلِي وأَهْوَنُ ما ... لَهَوْتُ عَنْ ذِكْرِهِ عَقْلي إذا سُلِبا
خَمْراً يُمَشِّي بَناني وهْيَ فَوْقَ يَدِي ... منها بمثلِ شُعَاعِ الشَّمْسِ مُخْتَضبا
شربتُها غيرَ مَخْمُورٍ ولوْ طلب الـ ... خمَّارُ روحي بهاَ أَعطَيتُ ما طَلَبا
وأَرْبَحُ الناسِ عندِي في تجارَتِهِ ... مُحَصِّلٌ يَشْتري بالفِضَّةِ الذَّهَبا

ومن أصوات الخروف: [من الطويل]

إذا لَمْ تكنْ تُنْهِي إلى غيرِكَ الشكْوى
فَمَا ثَمَّ إلا الصَّبرُ فيكَ على البَلْوَى
وإنِّي وإنْ أَتلفْتُ بالهجْرِ مُهْجَتي
لأَرْضى التي تَرْضَى وأَهْوَى الذي تَهْوَى

/٣٢٢/ عَرَضْتُ على رُوحِي تلاَفِي فَمَا أَبَتْ
وعَرَّضْتُ رُوحي للسُّلُوِّ فما السَّلْوَى
ومَنْ لَمْ يَجُدْ بالرُّوْحِ في الحُبِّ لَمْ تكُنْ
محبَّتُهُ إلا إذَا حَقَّقَتْ دَعْوَى

والشعر لابن إسرائيل.

ومنهم:

[١٤٢]

محمد بن غرّة

من مغاني صاحب حماه، ومن يوتى في مغاني حماه، ثمّ لمّا هَدمَتِ الأيام ذلك البيت المعمور، وهدَّت تلك الجبال الشمّ حوادث الأمور؛ أتى دمشق ولزم بعض كبرائها، وقطع باقي أيامه البيض في خضرائها، وقضى فيها ما كان بقي ممن أجل سروره، وعجل غروره، وكان ممن يقرّ له أهل صناعته، ويقدر له الذي لا يقدر على إضاعته.

ومن أصواته: [من البسيط]

مَنْ مُنْصِفِي مِنْ عُيُونٍ كُلَّما نَظَرَتْ ... إلى خَلِيٍّ فؤادٍ باتَ في شُغُلِ
إذا رَنَتْ فسُيوفٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ ... وإن رَمَتْ فَسِهامٌ مِنْ بني ثُعَلِ
أَنا القَتِيلُ بها والمُستَجيرُ بها ... منْها فياليتَها تقضِي عليَّ ولِي
وبِي أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرفِ قامَتُهُ ... تُزْرِيْ إذا مالَ بالعَسَّالَةِ الذُّبُلِ
زها على البَدْرِ في حُسْنٍ وفي شَرَفٍ ... وأَخْجَلَ الغُصْنَ في لِيْنٍ وفي مَيَلِ
إذا بدا قالَ بدرُ التَّمِّ: واكَلَفِي! ... أو انْثَنَى قالَ غُصْنُ البانِ: واخجَلِي!

والشعر للجماز.

وكذلك صوته في شعره أيضاً: [من مجزوء الرجز]

كَحَّلَ جَفْنِي بالأَرَقْ ... ساجِي الجُفُونِ والحَدَقْ
مُهَفْهَفٌ كالغُصْنِ قدّاً ... والعَبْيُر مُنْتَشِقْ
حُلْوُ اللَّمى والمُجْتَنَى ... والمُجْتَلَى والمُعْتَنَقْ
قدْ سَحَرَتْ أَجْفانُهُ ... أَلبابَنا والسِّحْرُ حَقُّ
وكَلَّ طَرْفِي بالبُكا ... وكَلَّ قَلْبِي بالقَلَقْ
فَمُقْلَتِي ومُهْجَتِي ... بَيْنَ دُمُوعٍ وحُرَقْ

وصوته في شعر الباخَرْزي[1]: [من البسيط]

/٣٢٣/ أَبْقَيْتَ مِنِّيَ رُوحاً ما لها بَدَنٌ   لِذَاكَ زَوَّرْتُ مِنْ رُوحِي لها بَدَنا
يا فالِقَ الصُّبْحِ مِنْ لألاءِ غُرَّتِهِ   وجاعِلَ الليلِ مِنْ أَصْداغِهِ سَكَنا
بصُورَةِ الوَثَنِ استعبدتَني وَلَهاً   فَتَنْتَنِي وقَدِيماً هِجْتَ لي فِتَنا
لا غَرْوَ أن أَحْرَقتْ نارُ الهَوَى كَبِدِيْ   فالنارُ حَقٌّ على مَنْ يعبُدُ الوَثَنا[2]

وهذا الصوت أوله من قطعة:

أَنتَ الذي نَقَضَ المِيثاقَ لستُ أَنا   فَدَعْ جَفَاءَكَ إنْ كانَ الوفاءُ أنا!

ومن أصواته: [من مجزوء الرمل]

أَيُّها الصَّبُّ المُعَنَّى   يتبعُ الرِّيْمَ الأَغَنَّا
كيفَ يَنْجُو مِنْ هَوًى مَنْ   كُلَّ يوم يَتَجَنَّى
أَوْدَعَ النَّفْسَ ملاءً   مُعْرِضٌ أَعْرَضَ عَنَّا
جادَ بالهِجْرانِ منْهُ   وبوَصْلِ الصَّبِّ ضَنَّا
كلَّ يوم أَنا منْهُ   نادِمٌ أَقْرَعُ سِنَّا
ليسَ في كَفِّيَ منْهُ   غيرُ أَنْ كانَ وكُنَّا

والشعر لأبي نواس.

وكذلك صوته: [من البسيط]

حاشا لوجهِكَ يا مَنْ لا أُسَمِّيهِ   مِنْ أَنْ يُقاسَ إلى مِثْلٍ وتَشْبِيهِ
أَنَّى وكيفَ ولوْ كانتْ مَحاسِنُهُ   للشمسِ ما طَلَعَتْ مِنْ شِدَّةِ التِّيْهِ
أنظُرْ إلى كُلِّ شَيءٍ طَيِّبٍ حَسَنٍ   وانظُرْ إليهِ تجِدْ أَمْثالَهُ فيهِ

---

(١) علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، أبو الحسن: أديب من الشعراء الكتاب. من أهل باخرز (من نواحي نيسابور) تعلم بها وبنيسابور، وقام برحلة واسعة في بلاد فارس والعراق. وقتل في مجلس أنس بباخرز سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م، كان من كتّاب الرسائل. وله علم بالفقه والحديث. اشتهر بكتابه «دمية القصر وعصرة أهل العصر ـ ط» وهو ذيل ليتيمة الدهر للثعالبي. وله «ديوان شعر» في مجلد كبير ـ خ. في المستنصرية ببغداد (الرقم ١٣٠٤).
ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٦٠ وشذرات الذهب ٣/ ٣٢٧ وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٦٣ـ ٣٦٤ رقم ١٧٤، ومفتاح السعادة ١/ ٢١٣ ومرجليوث Margoliouth في دائرة المعارف الإسلامية ٣/ ٢٦٢ ونشرة ٣/ ٣٦ وفي مجلة معهد المخطوطات ٣/ ٣٧ ذكر نسخة من «الأمثال السائرة من شعر المتنبي» في خزانة فخر الدين النصيري بطهران، «بخط علي بن حسن الباخرزي، سنة ٤٣٤هـ». الأعلام ٤/ ٢٧٣، معجم الشعراء للجبوري ٣/ ٤١٩ـ ٤٢٠.

(٢) شعره ١٧٩.

أَستغفرُ اللهَ ممَّا قلتُهُ عَبَثاً إن القَضِيْبَ وإنَّ البدرَ يَحكِيهِ

والشعر مجهول.

وكذلك صوته: [من البسيط]

أَحْبابنا لا بُليتمْ بالبِعادِ ولا خَلَتْ رُبُوعٌ لكُمْ منْكُمْ وأَوْطانُ
قَطَعْتُمْ سُبُلَ المَعْرُوفِ فابتَدِءُوا في حُسْنِكُمْ فَكَمالُ الحُسْنِ إحسانُ
أَقْسمتُ لا رُمْتُ منهم سَلْوةً أبداً ولا مَلِلْتُ وإنْ خانُوا وإن مانُوا
ما ضَرَّهُمْ لوْ وفَوا أَوْ أَنْصَفُوا كَرَماً هَيْهاتَ هَيْهاتَ ما هُمْ لِي كَمَا كَانُوا

/ ٣٢٤/ والشعر للزكي النابلسي.

وكذلك من أصواته في شعر العفيف التلمساني(١): [من الطويل]

رَعَى اللهُ مَرْبَى حاجِرٍ ورُباها وحيَّا الحَيَا أطْلالَها وسَقَاها
وراعَتْ إليها الرِّيحُ مِثْلِي عَلِيلَةً لِتَنْقُلَ أَقْوَالَ الغُصُونِ شِفَاها
وشقَّتْ بها ثَوْبَ الشَّقِيْقِ يَدُ النَّوى وبَدَّدَتِ الأَرْواحُ عَرْفَ شَذَاها
إلَى أَنْ سَرَى سِرُّ الوَشائِعِ شَائِعاً ويُصْبِحُ رَهْواً أَرْضُها كَسَمَاها
فَكَمْ ليلةٍ بِتْنَا نُري البَدْرَ أُخْتَهُ بها ويُرِينا في السَّماءِ أَخَاها
تُحالفُها مِنْ بعْدِهِ ود... ويُشْبِهُها في سِنِّها وسَنَاها

وكذلك صوته: [من المديد]

---

(١) العَفيف التِّلِمْسَاني، سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي التلمساني، عفيف الدين: شاعر، كوميّ الأصل (من قبيلة كومة) ولد سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م تنقل في بلاد الروم وسكن دمشق، فباشر فيها بعض الأعمال. وكان يتصوف ويتكلم على اصطلاح «القوم» يتبع طريقة ابن العربي في أقواله وأفعاله. واتهمه فريق برقّة الدين والميل إلى مذهب النصيرية. وصنف كتباً كثيرة، منها «شرح مواقف النفزي» و«شرح الفصوص» لابن عربي، وكتاب في «العروض ـ خ» وشعره مجموع في «ديوان ـ خ» و«شرح منازل السائرين للهروي ـ خ» في شستربتي. وابنه الشاب الظريف أشعر منه. مات في دمشق سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م.

ترجمته في: غربال الزمان ـ خ. والنجوم الزاهرة ٨/ ٢٩ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٢٦ وآداب اللغة ٣/ ١١٩ وشذرات الذهب ٥/ ٤١٢ ونعته بأحد زنادقة الصوفية! وفوات الوفيات ١/ ١٧٨ وفيه أن لعفيف الدين في كل علم تصنيف. وجاء فيه أنه «كوفي الأصل» وهو من خطأ الطبع أو النسخ، صوابه «كومة» بالميم، نسبة إلى «كومو» وهي قبيلة صغيرة منازلها بساحل البحر من أعمال تلمسان، كما في ابن خلكان، ويسميها المغاربة «كومية» كما في المعجب. ومن ديوانه نسخة في دار الكتب الظاهرية كتبت سنة ٩٩٨هـ. وشستربتي ١/ ١٩. الأعلام ٣/ ١٣٠. الموسوعة الموجزة ٣/ ٢٥٤، معجم الشعراء للجبوري ٢/ ٣٦٢ـ ٣٦٣.

مـــا هَـــوًى إلاَّ لَـــهُ سَـــبَـــبٌ مِـنْـهُ يَـبْـدُو ثُـمّ يَـنْـشَـعِـبُ

وكذلك صوته: [من مخلّع البسيط]

أَبْـعَـدْتَـنِـي عَـنْـكَ بَـعْـدَ قُـرْبِـي يـا لـيـتَ شِـعْـرِيْ مـا كـانَ ذَنْـبِـي

لَـهْـفِـي لِـعَـيْـشٍ قَـدْ كُـنْـتُ فـيـهِ أَدْعُـوكَ يـا مُـنْـيَـتِـي بِـلُـبِّـي

وقال الجمال المشرقي: والشعر لابن الكرخي، والغناء فيه في الراست، ونفق به ابن غرّة برهة من العمر، وحصل به جدًى كثيراً.

ومنهم:

[١٤٣]

القاضي محمد العواد

ويعرف بابن القاضي أيضاً.

وكان من مغاني صاحب حماة الذين شرفوا إليه بالانتساب، وعرفوا لديه بالاكتساب، وكان ممن يحضر في يده العود ويبيّض به وجوه الليالي التي لا تعود، وكان في لسانه ثقال حتى إذا غنّى لم ير مثله في طلاقة اللسان، والطاقة التي ما لأحدٍ في هذا الباب نظيرها من الإحسان، وأتى دمشق بعد انهدام ذلك المغنى المشيد، وانقضاض ذلك الركن السديد، فأقام به مسترزقاً، ولباقي أيام عمره فيها منفقاً.

ومن أصواته: [من مجزوء الكامل]

/٣٢٥/ جَنَحَ الحَبِيْبُ إلى الصُّدُوْدِ وَافَـى ومـا وَفَّـى وُعُـودِي

وإذا الـعَـوارِضُ بـالـبـنـفـ ـسـجِ جـاوَرَتْ وَرْدَ الـخُـدُوْدِ

وَتَـمَـوَّجَـتْ كُـثُـبُ الـرَّوا دِفِ تـحـتَ أَغْـصـانِ الـقُـدُودِ

شَـاهَـدْتَ فـي أَيْـدِي الـظِّـبـا ءِ قِـيَـادَ أَعْـنـاقِ الأُسُـودِ

والشعر مجهول.

وكذلك صوته: [من الكامل]

يـا مُـسْـكِـرِيْ وَجْداً بـكَـأْسِ جُـفُـونِـهِ قُـلْ لِـي: أَتِـلْـكَ لـواحِـظٌ أَمْ قَـرْقَـفُ

يا مَنْ حَكَى الغُصْنَ الرَّطِيْبَ رَشَاقةً هَـلاَّ عَـطَـفْـتَ فَـمِـثْـلُ قَـدِّكَ يَـعْـطِـفُ

بـادِرْ جَـمَـالَـكَ بـالـجَـمِـيـلِ فَـرُبَّـمـا ذَوَتِ الـمَـلاَحَـةُ أَوْ أَبَـلَّ الـمُـدْنَـفُ

واسْـبِـقْ عِـذَارَكَ قَـبْـلَ أَنْ يـأْتِـي بـعَـزْلِ هَـوَاك مـنْـهُ مـلـطَـفُ

وكذلك صوته: [من مجزوء الرجز]

هَـلْ بَـعْـدَ جِـيـرانِ الـنَّـقَـا يَـلَـذُّ لـلـصَّـبِّ الـبَـقَـا

أَوْ تَــرْتَــضِــي أَجْــفَــانُــه إلا الــبُــكــا والأَرَقــا
وهَــلْ يــلــومُ قــلــبَــهُ إذا قَــضَــى تَــشَــوُّقــا
أهــكَــذَا حُــكْــمُ الــهــوى لَــيْــتَ الــهَــوَى لا خُــلِــقَــا
أَصْــمــى الــقُــلُــوبَ بــالأَسَــى وبــالــسُّــهَــادِ الــحَــدَقــا
أَقْــضِــي نَــهَــارِيْ أَسَــفــاً وعُــمْــرَ لــيــلِــي قَــلَــقــا

والشعر للمجاور.

وله من قصيدة تخفّ على السامع منها: [من مجزوء الرجز]

مَــولًــى سَــمَــا بــأَصْــلِــهِ عــلــى الــبَــرَايــا وسَــحَــقْ
جــوادُ فَــضْــلٍ مــا جَــرَى لِــغَــايَــةٍ إلا سَــبَــقْ
لــمْ يَــخْــلُــقِ الــلــهُ تَــعَــا لَــى نِــدَّهُ ولا خَــلَــقْ
وَيْــحَ الــكُــمَــاةِ إنْ سَــطَــا والــفُــصَــحــاءِ إنْ نَــطَــقْ
وفــارسُ الــخَــيْــلِ إذا جــدَّ الــصِّــدَامُ والــحَــنَــقْ
فَــرَّقَــهــا فــي الــبِــيْــدِ بــالــضَّـ رْبِ وبــالــطَّــعْــنِ فَــرَقْ
/٣٢٦/ بــأَبْــيَــضٍ بَــرْقُ الــمَــنَــا يــا فــي غِــرَارَيْــهِ ائْــتَــلَــقْ
وأَدْهَــمٍ كــالــلــيــلِ يَــبــ دُوْ بــيــنَ عَــيْــنَــيــهِ الــفَــلَــقْ

ومنهم:

[١٤٤]

الدهان، محمد بن علي بن عمر المازني، أبو الفضل، شمس الدين(١)

ذو يَدٍ في الأدب غير قصيرة، وذهن لا يتمثل شيئاً إلا أحسن تصويره، لو صوّر نفسه لم يزدها، ولو بدلت بالكواكب صنعته لم يردها، أجاد في صنعته، وواسى بفهمه

---

(١) محمد بن علي بن عمر المازني الدَّهَّان، شمس الدين الدمشقي: موسيقار ملحّن شاعر.
قال ابن حجر: «كان عارفاً بالغناء، ويجيد اللعب بالقانون، وعمر مكاناً بالربوة وزخرفه، فكان يجتمع فيه عنده الظرفاء ويأخذ عنه أهل الملاهي الألحان، وكان يلحّن الأبيات ويغني بها على قانونه، فلا يكون له في ذلك نظير».
وقال ابن شاكر: كان يحترف صناعة الدهان. شعره رقيق، وهو في التوشيح أمهر توفي سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م.
ترجمته في: الدرر الكامنة ٤/ ٧٨، وفوات الوفيات ٢/ ٢٤٩، وشذرات الذهب ٦/ ٥٧، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٥٢، والأعلام ٦/ ٢٨٤. معجم الشعراء للجبوري ٥/ ١٦٤ـ ١٦٥.

أبا ريده، وأتى بكل بديع الصنعة لا يدني تدبيجها للغمام بعيد السمعة والذي صوّره أقرب شيء إلى الأفهام، ضائع فكره، ويد جاء فيها بألوان ما يسر الناظر، ويسيّر الديوان مما أبقى من محاسن أدب، ودهان، وأمسك منها قلم الشعر والشعر لأنه حاز قصب الرهان، وغادر من أثر به خط ناظر امرىء وسمعه، نشر منها قطع الرياض، ونطف الغدر، إلا أن ذَهَبَ الأصيل طفح على إنائها الفضي من جوانبه، وفاض على ما كان يعاني من غبّ هاتين الصنعتين؛ فعززهما بثالث، بصون مثانٍ ومثالث، له في كل واحدة من هذه الثلاثة معان لا تتناهى، وصور قبل إبرازها إلى الخارج لا يتصوّرها أحد، ولا يعرف معناها في أي صورة ما شاء ركبها، وفي أي مذهب أراد أذهبها، وكان فريداً في توقيع الألحان، وتنوع الشكر بما يعقّ من تمام الفدام عن بنت الحان، وكان له بالربوة في وادي دمشق دار نقشها زماناً، وأخرج فيها جهد صناعة الثلث، فكتب عليها شعره وذهبها، ثم كان يغنيها إلحاناً. وكان يؤخذ عنه علم الطرب وكان علماً فيه واحداً، ومحركاً لا يدع في السماع القائم قاعداً.

ومن شعره الذي صاغه شعراً وألحاناً، وجمع فيه محاسن الدهر زماناً، وأتقن تركيبه كأنما أضرمه إذهاباً، وأنفثه دهاناً، قوله: [من الخفيف]

إنَّ فَصْلَ الرَّبيعِ أَطْيَبُ فَصْلٍ طالعِ وجْهُهُ بِكُلِّ سَعَادَهْ
/٣٢٧/ طابَ في فَصْلِ صِحَّةٍ فَلهذا كُلَّ يومٍ جمالُهُ في زِيادَهْ
تبرزُ الأَرضُ منْهُ في سُنْدُسِ الوَشْـ ـيِ حاكَتْ سَحَابُهُ أَبْرَادَهْ
لَمْ يزلْ وردُهُ يُغازلُ للمنثورِ حتَّى شَقَّ الشَّقِيْقُ فُؤَادَهْ

وقوله:

يَهِيْجُ شَوْقِي إليهِ كُلَّما صَدَحَتْ تَدْعُو هَدِيلاً مَعَ الإصْباحِ في فَنَنِ
حَمَامَةٌ وَجَدَتْ وَجْدِي فَلِي ولَها قلبانِ شُدَّا مَعَ الأَشواقِ في قَرَنِ
قامَتْ تَنُوحُ على سَاقٍ وقُمْتُ عَلَى ساقٍ أَنُوحُ فأَشْجَتْنِي وَلَمْ تُعِنِ

والشعر له وكذلك الغناء له فيه.

وله صوت مشهور لم يبق في زمانه من لم يقرّ له فيه إحسانه وهو: [من الرجز]

هَلْ حَيُّها على الغُوَيرِ واحِدُ أَمْ أَقْفَرَتْ مِنْ زينبَ المَعَاهِدُ
خَفيتُ حتَّى مِنْ سَقَامِي والضَّنَى لولا أَنينِي ما رآني العائِدُ
حتَّى رَثَتْ لِي رَحْمَةً حَوَاسِدِي يا وَيْحَ مَنْ تَرْثِي لهُ الحَوَاسِدُ
يا كعبةَ الحُسْنِ التي أَحجُّها فُؤَادُ مُضناكِ عليكِ واقِدُ
كمْ سُقتُ في الهَوَى إليكُمْ مُقْلَتي والحُرُّ مَنْ يحفَظُ مَنْ يُعاهِدُ

والشعر لغيره، والغناء فيه له.

وبتنا ليلة في داره بالربوة وواديها يصفح، وزاد بها ينشر البنفسج ينفح، والليل قد رقّ جلبابه، وعلق في جوّه ربابه، وهو تارة يحيينا من أناشيده، وتارة يطوينا طائره المترنم بتغريده حتى حان الصباح، ونحن لا نظنّ أن الليل قد نصَّف، ولا أن فرع الجوزاء قد تهدّل وتقصَّف، ثم التفت فإذا الصباح قد أشرق، وخمر الفجر قد شبّ إلا أنه ما أحرق، وتلفت يرٰى بكاء الظل في عيون النرجس ما رقا، والبرق بإزاء الليل الكافر ما رقى، وجبين الصبح سحّ ماءه وجبين الفجر سقطاً ينضح الشفق دماءه، فاندفع يغني: [من الطويل]

أَلا حَبَّذا الوادي وروضُ البَنفسجِ وطيبُ شذاً من عَرْفِهِ المُتأرِّجِ
/٣٢٨/ وأَغصانُ بانٍ في حفا فَيْهِ مُيَّدٌ بكُلِّ قديمِ القدِ غيرِ مُعَوَّجِ
وأنهارُ ماءٍ في صفاءٍ ورِقَّةٍ يسيلُ بِهِ ما بيْنَ رَوْضٍ مُدَبَّجِ
كَذَوْبِ لُجَيْنٍ أو كَمَتْنِ مُهَنَّدٍ يمرُّ مُرورَ الزِّئْبَقِ المُترجرِجِ
إذا قابلتْهُ الشمس أبصرتَ مُذْهَباً مِنَ الوَشْيِ يبدو يبرقٌ وزبرجِ
وإنْ جَعَّدَتْهُ خَطْرَةٌ مِنْ نُسيْمَةٍ فيا حُسْنَ مَرآى مَتْنِهِ المُتموّجِ
صار إذا رِيْحُ الصَّبا نَفَحَتْ بِها فبُعداً لأَطْلالِ الربى بمنعجِ

وكان له مملوك أفرط في حبه، وأخذ بمجامع قلبه، فغاله فيه حادث الموت، فحزن عليه حزناً وبدت عن جفنه الغرار، وأحرم قلبه الفرار، فأتى صاحبنا الخطيب الصوفي وكان بينهما صداقة أكيدة، ومزاح فكه.

ثم أنشد لنفسه كأنه يعزيه وإنما قصد أنه يحزنه: [من الطويل]

لئِنْ باتَ يا دَهّانُ مَمْلُوكُكَ الذي بلغتَ بهِ في النفسِ ما كنتَ تَرْتجي
فَمَثِّلْهُ بالأَصباغ شكلاً وصورةً وقداً وردفاً واترِكِ الحُزْنَ واملجِ

فقام الدهان بأقبح خزية وأضرّها، وأعظم كآبة وأشهرها، ثم قاطعه مدّة، فلم يكلّمه.

ومنهم:

[١٤٥]

الكمال التوريزي(١)

سقطت إلينا أخباره سقوط الندى، وبدت لنا بدو البدور على بعد المدى، كان

---

(١) الكمال التوريزي: كان فرد زمانه، عارفاً بأخبار ملوك البيت الجنكزخاني وخصوصاً أولاد =

إذا غنّى تزلزل زلزل، ونسي جميلٍ جميلُ وما يتعزل، وترك صوت الأول في بيت عاتكة الذي يتغزل، ولم يرض له معبداً عبداً، ولا ابن جامع الذي تضوع نده نداً، ولا إسحاق إلا الذبيح، ولا ابن المهدي المخلوع الطريح، وكان فرد زمانه في كرم السجايا، وحسن الأخلاق، وسعة النفس.

قالوا: طيب المجالسة لا يملّ حديثه، مكثراً من الأخبار والحكايات والنوادر، عارفاً بأخبار ملوك البيت الجنكزخاني، وخصوصاً أولاد هولاكو بن تولي، وأحوال الوزراء والخواجكية، وله مشاركة جيدة في العلوم العقلية، ودُربة بمخاطبة الملوك والأمراء والوزراء والخوانين والخواجكية، والكبراء متقناً للموسيقى علماً وعملاً،/ ٣٢٩/ مجيداً في صناعة الغناء. لا يُجارى ولا يبارى، ولا يطمع في مضاهاته، ولا مماثلته، ولا مداناته. اتصل بالسلطان أبي سعيد، وكان محبّاً للغناء والمغاني؛ فلما اتصل به الكمال اقتصر عليه واختصّ به، وجعل كل أهل هذه الصناعة وسائر الجلساء والندماء دونه، وكان يشاربه ويحضر معه في أخصّ خلواته، ولا يكاد يصبر عنه ساعة في سائر أوقاته.

وحكى لي خواجا إسماعيل السلامي[1]: أنَّ أبا سعيد كان مُغْرًى بطول المكث في الحمّام والشرب فيه، وجعل له حماماً، جعل جدره من الزجاج. وكان يدخل إليه ومعه امرأته بغداد، ومشافر وكان كلفاً به، والكمال التوريزي، ويجلس الجلساء والندماء خارج الحمام والسقاء يسقي فإذا وصل الدور إلى الجالسين خارج الحمام، أخرج إليهم من بزكوي بينهم، والمغاني تغنى بالنوبة خارج الحمام، فإذا انتهت النوبة إلى الكمال، غنّى داخل الحمام، وربّما غنّى أبو سعيد، والكمال لا يغني، وربما غنيا معاً.

وذكر أنه استفاد بأبي سعيد، وبالأمراء، والوزراء، وأرباب الدولة، وسائر الناس لأجله أموالاً جمة جليلة لا تكاد تحصر، وسأله السلطان أبو سعيد أن يعلّمه الموسيقى، فعلّمه قدر ما احتمله فهمه، ثم ازداد نهمه من هذا العلم وأكثر ملازمة الكمال حتى برع، وصار غاية في ذلك، ورأساً من رؤوسه، وصار يصنع الأصوات ويَعرضها على

= هولاكو، وأحوال الوزراء، والخواجكية، وله مشاركة جيدة في العلوم العقلية، ودربة بمخاطبة الملوك والأمراء والوزراء والخوانين. وكان متقناً للموسيقى علماً وعملاً، مجيداً في صناعة الغناء، لا يجارى ولا يبارى. «الموسيقى العراقية ٣٩».

(١) الخواجا اسماعيل السلامي، من تجار العراق، وقام بمهمات كثيرة بين العراق ومصر. انظر: أعيان العصر ٣/ ٢٤٢، الموسيقى العراقية٣٩.

الكمال، فتارة يُصوب رأيه، وتارة يصلح له الصوت، حتى ندر وأجاد، وزاد، وأحسن.

وكانت أكثر أصوات الكمال في الأشعار المنظمة باللغة الفارسية، وهكذا كانت غالب أصوات أبي سعيد، وهو الذي استنبط هذا الغناء الذي يُغنى به اليوم، ويسمّى «البيشرون»، وهو أنغام تطول على مقدار بيت الشعر، ويقبض على وسع عبارة فيسد بأنواع الكلام الملفق الذي لا يحصر بإذن، ولا قافية.

قلت: ولقد حرصت على تخريجه أو مقابلته بتفاعيل يوازن بها، فلم أستطع، وسألت عنه الإمام حجة العرب أبا عبد الله بن الصائغ الأموي المروي، فقال لي: هذا لا يتخرج ولا يوزن إلا بالنغم مثل الموشحات إذا كانت غير شعرية، فإنها لا تنضبط، ولا يعرف صحيحها من مكسورها إلا إذا غنِّيتْ.

قلت: وهذا الغناء يستلذ في المشارب، وحانات / ٣٣٠/ القصب، ولأهل مصر به ولوع، وعليه وقوع، ولا يليق الغناء به في مجالس الملوك والكبراء، ولم يقع إليّ من أصواته في الشعر العربي إلا أربعة أصوات، فمنها في شعر التلعفري[(١)]: [من الكامل]

ما صَدَّ جَفْنَ العَيْنِ عَنْ إغماضِهِ ... إلا بَرِيْقٌ لَجَّ في إيماضِهِ
خَفَقَ الفُؤَادُ بخفقةٍ فَغَدَا كما ... حَكَمَ الهَوَى وقْفاً على إمراضِهِ
ما زالَ ثَغْراً مُغْرَماً لمعانُهُ ... بالمُنْحَنى وغياضِهِ ورِياضِهِ
واهاً لهُ مِنْ عارضٍ تعريضُهُ ... لِي بالأَحِبَّةِ كانَ في إعراضِهِ

ومنها في شعر محمد بن التلمساني[(٢)] هذا[(٣)]: [من الوافر]

صُدُودُكَ هَلْ لهُ أَمَلٌ قريبُ ... ووَصْلُكَ هَلْ يكونُ ولا رَقِيبُ
ملوكَ الحُسْنِ ما صُنْعِي بِطَرْفٍ ... تَمَنَّى مِثْلَهُ الرَّشَأُ الرَّبِيْبُ

---

(١) ديوانه ٢٦٣.

(٢) محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني، شمس الدين، المعروف بالشاب الظريف، ويقال له ابن العفيف: شاعر مترقق، مقبول الشعر. وهو ابن عفيف الدين التلمساني الشاعر أيضاً. ولد بالقاهرة سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م، لما كان أبوه صوفياً فيها بخانقاه سعيد السعداء. وولي عمالة الخزانة بدمشق، وتوفي بها سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م. له «ديوان شعر - ط» و«مقامات العشاق - خ» رسالة في ورقتين.
ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٢١١، وتعريف الخلف ٢/ ٤٣٠، وآداب اللغة ٣/ ١١٩، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٨١، والوافي بالوفيات ٣/ ١٢٩، وابن الفرات ٨/ ٨٥، وكشف الظنون ١٧٨٦، وفي مطالع البدور ١/ ٢٨ مولده سنة ٦٦٢ ووفاته سنة ٦٨٧هـ، وانظر: شذرات الذهب ٥/ ٤٠٥، الموسوعة الموجزة ١٣/ ٣، الأعلام ٦/ ١٥٠، معجم الشعراء للجبوري ٥/ ٤٢.

(٣) ديوانه ٣٢.

رَمَى فأَصَابَ قَلْبِي باجتهادٍ صَدَقْتُمْ كُلُّ مجتهدٍ مُصيبُ
وفي تلكَ الهَوَادِجِ طاعِناتٌ سَرَيْنَ وكُلُّ ذِي وَلَهٍ حَبِيْبُ

ومنها في شعره أيضاً[1]: [من الطويل]

تحكَّمْ إذا جَارَ الجَمَالُ تَحَكَّما فما لمُحِبٍّ مِنْكَ أَنْ يَتَظَلَّما
حَبيبيَ إنْ حَرَّمْتَ سَهْمَكَ في الكَرَى فَقَدْ حَلَّلَتْ عَيْناكَ في القَلْبِ أَسْهُما
فِدَاؤُكَ صَبٌّ فِيْكَ أَسْكَنَهُ الهَوَى وإنْ كانَ مِنْ سَيْفِ الصُّدُودِ تَكَلَّما!
وما كانَ يَدْرِي حِفْظَ عَهْدٍ لغادرٍ فما زَالَ يَهْوَى الحُسْنَ حتَّى تَعَلَّما

ومنها في شعر مجهول: [من الخفيف]

بَرَّحَ السُّقْمُ بِيْ فليسَ صَحِيحاً مَنْ رَأَتْ عينُهُ عُيُوناً مِرَاضَا
إنَّ للأَعْيُنِ المِرَاضِ سِهاماً صَيَّرَتْ أَنْفُسَ الوَرَى أَغْرَاضَا

قلت: وقد كان سلطاننا حرص على أشخاصه إليه، وطلبه طلب متهافتٍ عليه، فعزم على قصده، وقدمت مسيره للسير، فصدَّه عنها قرارة لحده.

ومنهم:

[١٤٦]

محمد بن الكسب

الذي يوقد المصابيح، ويجيء بأسلس من ذهنه، وأطيب في الريح أول ما تخرج مع أبيه، ثم / ٣٣١/ تزيد تزيد الهلال، وتفرد تفرد العذب الزلال، وحصل العجب لما رأى بالكسب من الكسب، وبما سمع من طرب له في الأعضاء ذهب إلاَّ أنه ما له كسب، وكان لا يزال المنصت يتتبع أصواته، لا يملّه إكثارها، والمسامع يقول عجباً للبصر سم سمة تشكر آثارها، اشتغل بصناعة الغناء، حتى بلغ فيها المراتب، وأصبح بها يحسد ابن الكسب ابن السُمسماني الكاتب، فأبرّ في تفرّده يمين كل مقسم، وأودى كيد حاسدة وجنسه في اقماع السمسم بدهن أصفى من دهن السليط، وأكثر من تلعبه بالفتيلة في التسليط، وأملى الأصوات، وأمن من المقالي، وحمّص قلوب الأعداء كما يقال على المقالي، فسلّم إلى أنه برع في لطافة الشمائل، وشبّ الضرم في ورع المعاطف، كما ترى فعل السليط في القنديل باللهب المتمايل، وجميع أهل صناعته تصفه بالإحسان، وتقرّ له بالتقدم في آخر الزمان.

(١) أخل بها ديوان الشاب الظريف محمد التلمساني.

وله من أصواته إجادة فيها، وأتقنها كل الاتقان، وجمع فيها بين الشعر والألحان؛ فمن أصواته والشعر للخطيب جمال الدين يوسف الصوفي: [من الكامل]

يـا مُـقـلـتـي أَيْـنَ الـمَـدَامِـعُ هـاتِـي لا تَـبْـخَـلِـي بِـلآلـىءِ الـعَـبَـرَاتِ
هـذا الـفِـرَاقُ عَـلَـيْـهِ قَـدْ حَـسُـنَ الـبُـكـا وتَـرَدُّدُ الـحَـسَـرَاتِ والـلَّـهَـفـاتِ
بـالله يـا حـادٍ حَـدَا بـأَحِـبَّـتِـي وقَـضَـى عـلـى تـألـيـفِـنـا بِـشَـتَـاتِ
مَـهْـلاً عَـلَـيَّ فـإنَّ يـومَ وَدَاعِـهِـمْ مُـرٌّ ولـكـنْ فـيـهِ حُـلْـوُ مَـمَـاتِ

ورثاه الخطيب جمال الدين يوسف الصوفي النابلسي بقوله: [من الطويل]

تعـالَـوا بِـنـا نُـذْرِي الـدُّمُـوعَ الـجَـوَارِيـا ونستوقفُ الحادِي ونبكِي المَغَانِيا
ونـذكُـرُ عَـيـشـاً مَـرَّ حِـيْـنَ حَـلاَ لـنـا بـإتْـمـامِ أُنْـسٍ قَـدْ خَـلَـتْ ولَـيـالِـيـا
ونَـسـأَلُ عَـنْ رَوْحِ الـحَـيـاةِ وطِـيـبِـهـا مَـلاَعِـبَ رَبَّـاتِ الـحِـجَـابِ الـغَـوانِـيـا
فـإنـا ذَمَـمْـنـا الـعَـيْـشَ بَـعْـدَ مُـحَـمَّـدٍ وذَكَّـرَ بـالأَحْـزَانِ مَـنْ كـانَ نـاسِـيـا

ومنهم:

[١٤٧]

الكُتَيْلَة، بدر الدين، محمد الجتكي المارديني

خطبته الملوك لمجالسها، وخطته مواضع / ٣٣٢/ القرناء لمنافستها، ونضرته لنعيمها، وسرته من العوارف بعميمها، وكان بصيراً بأخلاق العظماء، خبيراً باستدرار أخلاف الكرماء. ولم يزل جوّاب أسفار، وجوّال بدر في غروب وأسفار، قليلاً على ظهر المطية ظله، خفيفاً مكانه من الخواطر ومحله، يزاحم في سحابه الوارد، ويتشوق إليه تشوق الظمآن إلى الماء البارد، واليقظان المسهد إلى المقام الشارد.

أتى قلعة الجبل، وحلّ هالات دورها، وحظي بأيام سرورها، هذا وسلطانها يقبل المتاب، ويقبل على المنتاب، ويتلقى القادم بطلاقته، ويفكّ الرهن من عاقبه، ووجه الزمان ما بسر، والبغاث ما استنسر، والراعي لا يخاف الذئب على غنمه، والدم لا يستباح منه إلاَّ ما على الطرف المخضب من غنمه، والقلعة مسرح ظباء، ولا عقرب إلاَّ بصدغ مليحة، ولا سيف يسل إلاَّ بكرة صبيحة، فقطع تلك المدد والدهر غافل، والبرّ سحابه حافل، والبدر في تلك الآفاق طالع غير آفل، ودخان النّدّ يعقد سماء، وجدود الملاح يشرب ماء، ثم مات حيث تلاشى ذماء الجود، ومص الثرى بقية الماء من الفرد.

أصله من أبناء الكتّاب، وكتب خطّاً حسناً، وقرأ طرفاً من النحو والعربية، وأتقن

علم الموسيقى، وحفظ كثير[اً] من الشعر للقدماء والمحدثين، ونقل الأصوات المشهورة، وحفظ كثيراً من نوب عبد المؤمن، وانخرط في سلك الندماء وأهل المحاضرات، وملح وندر، وحكى الحكاية والخبر، وخدم ملوك ماردين، واتصل بهم.

وحكي أنه حظي عند الملك الصالح شمس الدين، وراج لديه. وسمع به السلطان الناصر، فاستدعاه، وأقبل عليه غاية الإقبال، وكان له مكانة لم يبلغها أحد من أمثاله، وأمره بملازمة الجواري وتعليمهن، ويلقي عليهن الأصوات، حتى تخرج به غالب الجواري المحسنات، وكان يتردّد إلى باب الستارة في كل يوم، ويخرج إليه الجواري.

وكان مجيداً في الغناء، متقناً في سائر الخفيف والثقيل منه، غايةً في ضرب الجنك العجمي، وتأليف الأنغام عليه، ولا يكاد يثبت سامعه لشدة الطرب، وكان يقيم بمصر المدّة الطويلة، ثم يسأل في العود إلى / ٣٣٣/ ماردين فيؤذن له، فلا يكاد يصل إلى ماردين، ويستقرّ بها إلاّ وجهز السلطان في طلبه، ويحثّ في سرعة عوده، فإذا وصل، ضاعف الإكرام، وعومل بأكثر مما يعهد، وحصل بهذا أموالاً جزيلة، ونعماً كثيرة، والأنزال التي تزيد على عادة مثله. وحضرت مجلس السلطان مرة، وعنده موسى بن مهنا وكلاهما يضرب بالجنك بين يديه، فرأيت موسى بن مهنا على سكونه العظيم، ووقاره يميل يمنة ويسرة، وكان كتيلة ذلك اليوم كله يردد صوتاً سمعه، والصوت من المستطيل: [من البسيط]

يـا دارَ عَـزَّةَ مَـنْ لـلـوالِـهِ الـبـاكِـي ... بـنـظـرةٍ يـتـمـلَّـى مـن مُـحَـيَّـاكِ
ما هَبَّ مِنْ أَيْمَنِ الوَادِي نَسِيمُ صَباً ... إلاّ وكـانَ الـهَـوَى لـعُـذْوِيُّ يُـمْـنـاكِ
تَحَمَّلِي واحْمِلي يا نوقُ واصْطَبري ... عـلـى الـمسِيْرِ فَهَـذا مِنْ سَجَايـاكِ

ولم يبق أحد من غلمان الدار وأعيان الأمراء حتى هزّه الطرب، ولولا مهابة السلطان لرقصوا؛ فلما فرغ مما هو فيه، أثنى السلطان عليه، وقال لموسى بن مهنا: كيف رأيت؟ فقال: والله ظننت أنه يجذبني إليه، ولو لم أملك نفسي، لوقعت عليه. وأمر له السلطان بألف دينار يتجر بها، وكتب له توقيع مسامحة بما يجب عليه فيها من الموجبات الديوانية في السفر دائماً صادراً ووارداً، ومضى يوم عجيب لم ير مثله.

ودخلتُ على السلطان يوماً آخر، وهو عنده، وقد أخذ في صوت صنعه، والصوت: [من الطويل]

سـلامٌ عـلـى لـيـلَى ولـيـلَـى بـعـيـدةٌ ... ولـكـنَّـهـا طَـيْـفٌ إلـيّ قَـرِيـبُ
بـديـعـةُ حُـسْـنٍ مـا لـهـا مِـنْ مُـمَـاثِـلٍ ... إذا طَلَعَتْ شَمْس النَّهـارِ تَـغِيْـبُ
كـمـا أَنَّ قَـلْـبـي فـي الـبِـلادِ مُـتَـيَّـمٌ ... كَذَا حُسْنُ ليلَى في الحِسانِ غَرِيْبُ

وكان الكتيلة يجيء إليّ في حوائجه التي تكون له عند السلطان، وكان كامل الأدب، وافر المروءة، حسن الخلق، جميل العشرة، يرجع إلى كرم، وطيب أعراق.

وكان بينه وبين الكمال التوريزي ما يكون بين أرباب كل فنّ من المنافسة والحسد، وكان السلطان قد سمع بالكمال، فجاءته الأخبار بأنه فرد من أفراد الدهر في فئة، فبعث إليه من يشخصه إليه، وتطلع إلى مقدمة عليه، فخاف كتيلة من بوادره به، فلم تمتدّ الأيام حتى جاءت الأخبار بأنَّ الكمال مات فجأة، فشاع ذكر بأن كتيلة ربما دسّ عليه مَنْ قتله ولعل هذا إنما هو من تشنيع العوام، / ٣٣٤/ وأقوال الحسدة الطغام، ثم لم يلبث كتيلة بعده، إلى أن عاد إلى ماردين فمات رحمه الله.

قلت: ولما انتهيت في ترجمتي هذه إلى هنا وقعت على أصوات له صنع فيها ألحاناً مشهورة مما حدّثني به خواجا محمد المارديني، وكان من خلطائه، وأهل صحبته، فمنها شعر الحلاوي[1] وهو[*] [من الكامل]

---

(١) أحمدُ بنُ محمد بن أبي الوفاءِ بن الخطاب بن محمدِ بن عليٍّ بن الحسنِ، ويلقَّبُ الهِزَبْر، أبو الطُّيِّب الموصليُّ المعروفُ بابنِ الحُلاويِّ.
ولد آخر سنة ٦٠٣هـ، وهو من أشهر بيت بالموصل وأقدمه. وكان يقول الشعر منذ كان حدثاً، وطاوعه طبعه في نظمه، ورزق منه حظاً. وافراً فيه.
ورحل عن الموصل سنة ٦٢١هـ إلى بلاد الشام، وسكن دمشق واتصل بالملك الناصر صلاح الدين أبي المكارم داود بن عيسى بن أبي بكر بن أيوب سلطانها، وصار من جملة شعرائه، وأخصّ جلسائه ومدحه بعدّة قصائد واكتسب منه رزقاً صالحاً، وسار في صحبته إلى الديار المصرية.
ثم فارق خدمته سنة ٦٣١هـ، يتنقَّل في البلاد ويمدح الملوك، وكبراء الأنام، وحظُّه فوق شعره.
توفي سنة ٦٥٠هـ.
له ديوان شعر جمعه وحققه د. محمد قاسم مصطفى ود. عبد الوهاب العدواني، مج التربية والعلم ـ جامعة الموصل ١٩٨١.
ترجمته في: فوات الوفيات ١/ ١٢٦ـ ١٣٢، السلوك ١/ ٤١٣، النجوم الزاهرة ٧/ ٦٠، الأعلام ط١٤/ ١/ ٢١٩، عقود الجمان للزركشي ٥٨، الوافي بالوفيات ٨/ ١٠٢ـ ١٠٨ رقم ٣٥٢٤، شذرات الذهب ٥/ ٢٧٤، العبر ٥/ ٢٢٧. ذيل مرآة الزمان لليونيني ١/ ٩٦ـ ١٠٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ـ ٦٦٠) ص٢٢٦ رقم ٢٤٠، سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣١٠ رقم ٢١٨، عيون التواريخ ٢٠/ ١٥٤ـ ١٥٩. التذكرة الفخرية ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٤، ١٦٠، ١٧٠، ١٧١، ٢١٠، وفيات الأعيان ٢/ ٣٣٧ و٦/ ٢٦٤، السلوك ج١ق٢/ ٤١٣، المنهل الصافي ٢/ ١٦٧ـ ١٧٢ رقم ٢٩٧، الدليل الشافي ١/ ٨٤ رقم ٢٩٥. قلائد الجمان لابن الشعّار ١/ ٣٠٣ـ ٣٢٣ رقم ١١٦.
والحُلاوي: بضم الحاء المهملة، نسبة إلى بلدة حلاوة. انظر: معجم البلدان ٢/ ٣٠٣.

(*) قلائد الجمان ١/ ٣١١.

أَلِفَ المَلامَ ولامَ عَنْ مِيْثاقِهِ رَشَأٌ فِرَاقُ النَّفْسِ دُوْنَ فِرَاقِهِ
عَذْبُ اللَّمى حُلْوُ الخِلاَل كَأَنَّما خُلِقَتْ مَراشِفُ فِيْهِ مِنْ أَخْلاَقِهِ
دَقَّتْ مَعَانِي حُسْنِهِ ولِقَدِّهِ عَبِثَ الأَنَامُ مِنَ القَنَا بِدقاقِهِ
يَهْوَى الوِصَالَ ولَوْ بأَيسَرِ مَوْعِدٍ ويصدُّ حَتَّى الطيفَ عَنْ مُشْتَاقِهِ
يا مُحْرِقاً قَلْباً أَقَامَ بِرَبْعِهِ أَلاَّ كَفَفْتَ جَفَاكَ عَنْ إحْرَاقِهِ

ومنها في الشعر الحلاوي أيضاً: [من الكامل]

أَحْيا بِمَوْعِدِهِ قتيلَ وَعِيدِهِ رَشَأٌ يَشُوبُ وِصَالَهُ بِصُدُودِهِ
قمرٌ يَفُوقُ علَى الغَزَالَةِ وَجْهُهُ وعلى الغَزَالِ بِمُقْلَتَيهِ وجِيْدِهِ
يا لَيتَهُ بَعْدَ المَلام فإنَّهُ ما زالَ ذا لَهَجٍ بِخُلْفِ وُعُودِهِ
يفترُّ عَنْ عَذْبِ الرُّضابِ حياتُنا في وِرْدِهِ والموتُ دُوْنَ وُرُودِهِ
قمرٌ أَطاعَ الحُسْنَ مِنْهُ وجْهَهُ حتَّى كَأَنَّ الحُسْنُ بَعْضُ عَبيدِهِ
أنا في الغَرَامِ شَهِيْدُهُ ما ضَرَّهُ لَوْ أَنَّ حَبَّةَ وَصْلِهِ لِشَهِيدِهِ

وهذه الأبيات من قصيدة فائقة منها مدح الملك الناصر داود: [من الكامل]

يا يُوسُفَ الحُسْنِ الذي أَنا في الهَوَى يعقوبه يُنمى إلى داودِهِ
اشكواليهِ من الزمانِ فإنّهُ مَلِكٌ يشيبُ سَطاهُ رَأْسَ وَلِيدِهِ
مَلِكٌ إذا... لاحَ لِواؤُها هَزَمَتْ كتائِبَها طَوالِعُ جُودِهِ
غَمَرَتْ مَوَاهِبُهُ العُفاةَ فأَصبحتْ تُرجَى المَواهِبُ مِنء وُفُودِ وُفُودِهِ
وإذا العَدُوُّ ... لَدْن رِماحِهِ فَتَكَتْ ثَعَالِبُها بِغُلْبِ أُسُودِهِ
مِنْ كلِّ أَسْمَرَ في المَلاَحِمِ طالماً عادَى الرَّدَى مُهَجَ الكُماةِ بعُودِهِ
غَصَبَتْ عَوَاملَها الظلام نُجُومها والبانُ قَدْ سَلَبَتْهُ لِيْنَ قُدُودِهِ
/ ٣٣٥/ سُمْرٌ إذا الجَبَّارُ سامَ دِفَاعَها وَرَدَتْ أَسِنَّتُها بِجَمْعِ وُرُودِهِ
عدناتها صُفْرٌ كوَجْهِ عَدُوِّهِ بالنَّصْرِ تَخْفِقُ مِثْلَ قَلْبِ حَسُودِهِ
مَلِكٌ أَلاَنَ لنا الزَّمان وإنَّما دَاودُ مُعْجِزُه لِلِيْنِ حَدِيدِهِ

ومن أصوات كتيلة مما ذكر لي صاحبه خواجا محمد المارديني: أن كتيلة غناهُ بين يدي سلطاننا، فأجزل عطاياه، ورفع على كاهل الجوزاء مطاه: [من الكامل]

مَلِكَ المُلوكِ محمَّدٌ أَنْتَ الَّذي ذَلَّتْ مُلُوكُ الأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْهِ
شَرَفُ المُلوكِ بأَنْ تكونَ عَبِيدَهُ أَوْ أَنْ يكونوا واقفينَ لَدَيْهِ
جَهِدُوا وما دَانُوكَ في أَدْنَى العُلا هَيْهاتَ إنْ يصلَ المُلوكُ إليهِ
وإذا هُمُ بَلَغُوا السَّماءَ مَكَانَةً لمّا تَرامَوا في السَّمَاحِ عَلَيْهِ

والشعر لرجل من أهل ماردين.

ومنها صوته في شعر القاضي أبي الحسن: [من الطويل]

أَأَيَّامَنا بينَ الكَثيبينِ في الحِمَى ... وَطِيبَ ليالِينا الحَمِيْدَةَ فيهما
صَحِبْنا بها شَرْخَ الشَّبابِ فَدَلَّنا ... على أَعْيُنٍ كانتْ عَنِ البَيْنِ نُوَّما
فَمِنْ قائلٍ لا آمَنَ الدَّهْرُ حاسداً ... وقائلةٍ لا رَوَّعَ البَيْنُ مُغْرَما
بَدَتْ صُفْرَةٌ في وجنتَيهِ فلمْ تَزَلْ ... مدامِعُهُ حتَّى شَرِينا بها دَمَا

ومنها صوته في شعر ابن زريق البغدادي[(١)]: [من البسيط]

باللهِ يا منزلَ القَصْف الذي دَرَسَتْ ... آثارُهُ وعَفَتْ مُذ بِنْت أَرْبُعُه
هَلِ الزمانُ مُعيدٌ فِيْكَ لَذَّتَنا ... أَمِ اللَّيالِي التي أَمْضَتْهُ تُرجِعُهُ
في ذِمَّةِ اللهِ مَنْ أَصْبَحْتَ منزِلَهُ ... وجاد غيْثاً على مَغْنَاكَ يمرعُهُ
مَنْ عِنْدَهُ ليَ عَهْدٌ لا يُضَيِّعُهُ ... كَمالُهُ عَهْدُ صِدْقٍ لا أُضَيِّعُهُ[(٢)]

وقصيدة ابن زريق التي منها الصوت معروفة مشهورة لها في كل نادٍ نداء، ولها في كل وادٍ حداء، وجملة مختارها سواه[(٣)]: [من البسيط]

لا تَعْذُلِيهِ فإنَّ العَذْلَ يُولِعُهُ ... قَدْ قُلْتِ قولاً ولكنْ لستُ أَسْمَعُهُ
/٣٣٦/ جاوزتِ في لومِهِ حدَّ المُضرِّ بِهِ ... مِنْ حيثُ قدَّرْتِ أَنَّ اللومَ ينفَعُهُ
فاستعملي الرِّفْقَ في تأنيبِهِ بَدَلاً ... مِنْ عُنْفِهِ فهو مُضْنَى القلبِ مُوْجَعُهُ
يكفيهِ مِنْ رَوْعَةِ [التفنيد] أَنَّ لهُ ... مِنَ الهَوَى كُلَّ يوم ما يُرَوِّعُهُ
ما آبَ مِنْ سَفَرٍ إلاّ وأَزْعَجَهُ ... عَزْمٌ إلى سَفَرٍ بالرَّغْمِ يُزمِعُهُ
كأنَّما هُوَ في حِلٍّ ومُرْتَحَلٍ ... مُوَكَّلٌ بفضاءِ الأرْضِ يَذْرَعُهُ
واللهُ قَسَّمَ بينَ الناسِ رِزْقَهُمُ ... لَمْ يخلُقِ اللهُ مِنْ خَلْقٍ يُضَيِّعُهُ
أستودعُ اللهَ في بغدادَ لي قمراً ... بالكَرْخِ مِنْ فَلَكِ الأزْرارِ مَطْلَعُهُ
ودَّعْتُهُ وبودِّي لَوْ يُعاجِلُنِي ... وِردُ الحِمام وأنِّي لا أُوَدِّعُهُ
لا أكْذِبُ اللهَ ثَوبُ الصَّبْرِ مُنْخَرِقٌ ... عَنِّي بفُرقَتِهِ لكنْ أُرَقِّعُهُ
إنِّي لأَقْطَعُ أيَّامِي وأُنْفِدُها ... لحَسْرَةٍ مِنْهُ في قَلْبي تُقَطِّعُهُ

---

(١) علي بن زُرَيْق، الكاتب البغدادي.
ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٤/ ٣٣٦ـ ٣٣٩ رقم ١٩٣٩ ط دار الفكر ـ بيروت.
(٢) الوافي ١٤/ ٣٣٧ ط دار الفكر.
(٣) الوافي بالوفيات ٤/ ٣٣٧ـ ٣٣٨ ط دار الفكر.

لأَصبِرَنَّ لِدَهْرٍ لا يُمَتِّعُنِي ... بِهِ ولا بِيَ في حالٍ يُمَتِّعُهُ
علماً بأَنَّ اصطبارِي مُعْقِبٌ فَرَجاً ... فأَضْيَقُ الأَمْرِ إنْ فَكَّرْتَ أَوْسَعُهُ
عَسَى اللَّيالِي التي أَضْنَتْ بفُرقتِنا ... سمحى سَتَجْمَعُنِي يوماً وتَجْمَعُهُ
وإنْ تَغُلْ أَحَداً منَّا مَنِيَّتُهُ ... فما الذي في قضاءِ اللهِ يَصْنَعُهُ

وموضع الصوت يكون أوله تلو:

إني لأقطعَ أَيَّامي وأنفدُها.. البيت

ومن أصوات كتيلة في شعر البارع[1]: [من البسيط]

بالله يا ريحُ إنْ مُكِّنْتِ ثانيةً ... مِنْ صُدْغِهِ فَأَقِيمي فيهِ واسْتَتِرِي
ورَاقِبي غَفْلَةً مِنْهُ لِتَنْتَهِزِي ... لي فُرْصةً وتَعُودي مِنْهُ بالظَّفَرِ
وإنْ قَدَرتِ على تَشْويشِ طُرَّتِهِ ... فَشَوِّشِيها ولا تُبْقِي ولاَ تَذَرِي
ولا تَمَسِّي عِذارَيهِ فَيَفْضَحَنِي ... بنفحَةِ المِسْكِ بينَ الوِرْدِ والصَّدَرِ

وتتمة هذه القطعة:

وباكري عَذْبَ وِرْدٍ مِنْ مُقَبَّلِهِ ... مُعَلَّلِ الطَّعْم بَيْنَ الطِّيْبِ والخَصَرِ
ثُمَّ اسلُكِي بَيْنَ بُرْدَيْهِ على عَجَلٍ ... واسْتَبْضِعي الطِّيْبَ وَأتِيني على قَدَرِ
/٣٣٧/ ونَبِّهِيْنِي دُوَيْنَ القَومِ وانْتَقِضِي ... عَلَيَّ والليلُ في شَكٍّ مِنَ السَّحَرِ
لعلَّ نَفْحَةَ طِيْبٍ مِنْكِ ثانيةً ... تَقْضِي لُبَانَةَ قَلْبِ العاقِرِ الوطر

ومن أصواته في شعر الجلال بن الصفار المارديني[2]: [من الكامل]

(١) البارع البغدادي، الحسين بن محمد بن عبد الوهاب: من بني الحارث بن كعب، أديب، من علماء اللغة والنحو، ولد في بغداد سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م، وهو من بيت وزارة، ولي بعض جدوده وزارة المعتضد والمكتفي العباسيين.
له: «ديوان شعر» وكتب في «الأدب»، عمي آخر عمره، توفي في بغداد سنة ٥٢٤هـ/ ١١٣٠هـ.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ١٨١ـ ١٨٤ رقم ١٩٦، معجم الأدباء ١٠/ ١٤٧ـ ١٥٤ رقم ١٢، إنباة الرواة ١/ ٣٢٨، بغية الوعاة ٢٣٦، غاية النهاية ١/ ٢٥١، وشذرات الذهب ٤/ ٦٩، ابن كثير ١٢/ ٢٠١، الأعلام ٢/ ٢٥٥.

(٢) علي بن يوسف بن محمد بن عبد الله، ابن الصفار الماريني: كاتب، شاعر، ولد في ماردين سنة ٥٧٥هـ/ ١١٨٠م، كان كاتب الإنشاء لصاحبها الملك المنصور ناصر الدين (أرتق) وكتب لأشراف بني دبيس ثمانية عشر عاماً، وصنف «أنس الملوك» في الأدب، مات مقتولاً، قتله التتار لما دخلوا ماردين سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م.
ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ١٩٣ـ ١٩٧، الوافي بالوفيات ٢٢/ ٣٤٧ـ ٣٥١ رقم ٢٤٤، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٢، مجمع الآداب ٤/ ٣٦٩ـ ٣٧٠، تاريخ دنيسر ص١٧٢، ذيل مرآة الزمان ٢/ =

يسعى بأبرق ذا من ثغره تجنى وذا من مقلتيه قاتل
عنين إنساناً هما من لَحْظِهِ ذا سايف وبِهَدْيِهِ ذا بابلُ
فَمَتى تَقُومُ قيامَتِي بِوِصَالِهِ ويَضُمُّ شَمْلَينا مَعادٌ شَامِلُ
وأَكُونُ مِنْ أَهْلِ الخَطَايا خَدُّهُ نارِيْ وصُدْغاهُ عليَّ سَلاَسِلُ

وأوّلها:

أَينَ السُّلُوُّ وما يَرُومُ العاذِلُ مِمَّنْ لهُ بِهَوَاكِ شُغْلٌ شاغِلُ
أَنا ما سَلَوْتُ وبَرْقُ فِيْهِ خُلَّبٌ أَسْلُو وعارِضُهُ أمامِي سَائِلُ

ومن أصواته في شعره أيضاً: [من الطويل]

وفي حزرم لمّا حَلَلْنا فِنَاءَها سُكَارى حَيَارَى تحتَ ظِلِّ الغَياهِبْ
تبدَّتْ لناً عِنْدَ الصَّباحِ طَلِيْعَةٌ مِنَ التُّمْكِ مُرْدٌ فَوْقَ جُرْدِ السَّلاَهِبِ
بأَيديهِمُ سُمْرٌ طِوَالٌ كأَنَّما أَسِنَّتُها تبغِي التقاطَ الكَوَاكِبِ
تَثَنَّوا غُصُوناً في السُّرُوجِ وأَطْلَقُوا سِهَامَ لِحَاظٍ مِنْ قِسِيِّ الحَوَاجِبِ
والقوا القَنَا المُرَّان عنْهُمْ وقَوَّمُوا قدوماً أَعَدُّواها لِقَرْعِ الكَتَائِبِ
ولوْ كَشَفُوا بيضَ العَوارِضِ في الوَغَى لأَغْنَتْهُمُ عَنْ مِثْلِ بِيْضِ القَوَاضِبِ

ومن أصواته في شعره أيضاً: [من الكامل]

بَرْقٌ بَدَا أَمْ ثَغْرُكَ المَنْعُوتُ أَمْ لُؤْلُؤٌ قدْ ضَمَّهُ ياقُوتُ
يا للنَّصَارَى بَرْقِعُوا شَمَّاسَكُمْ قبلَ الضَّلالِ فإِنَّهُ طَاغُوتُ
ما قام أُقْنُومُ الجَمَالِ بِوَجْهِهِ إلاَّ وفي ناسُوتِهِ اللاَّهُوتُ
يشتاقُهُ قَلْبٌ إليهِ طائِرٌ صَبٌّ وطَرْفٌ حائِرٌ مَبْهُوتُ
فاحْسنْ فإِنَّ الحُسْنَ وَصْفٌ زَائِلٌ واصنَعْ جَمِيلاً فالجَمَال يَفُوتُ
/٣٣٨/ واسْتَبْقِ مِنْ أَهْلِ الغَرَامِ ولا تَجُرْ فيقلِّدُوكَ دِماءَهُمْ ويموتُوا

أخبرني الجمال المشرقي ـ ما معناه ـ: أنَّ أبا كتيلة كان يعرف وزجاجته ما أبرزت، وكانت له معه نوادر تستحسن، ووقائع لا يعرف أنها أحسن.

قال: ومنها أنه لما اشتد يافعاً، وأصبح لا يراد منه نافعاً، سلك سبيل العتب في الإدلال، وفرَّط وأفرط في الاحتمال، حتى أتى إلى بركة كان قد صنعها النجم تجيء

=

٢٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ـ ٦٦٠هـ) ص٣٥١ رقم ٤٤٩، عيون التواريخ ٢٠/ ٢٣٨ـ ٢٤٠، عقود الجمان للزركشي ٢٣٥، المنهل الصافي ٨/ ٢٤٤ رقم ١٧٠٦، الدليل الشافي ١/ ٤٨٩ رقم ١٦٩٩، السلوك ١/ق٢/ ٤٤٢، قلائد الجمان لابن الشعار ٥/ ٧٠ـ ٧٥ رقم ٤٨١.

ملونة بالزجاج مشففَة كالقصور والجام قد اقتمت حروفها وأحكم تأليفها، فأخذ حجراً بيده ورماها به، فثلمها، وحطّ رتبة حسنها، وحَطَّمَها فقال فيه: [من الرجز]

قُـلْ لـلـذي ثـلّـم بُـرْكَـةً ما يـأخُـذُ الـثَّـأْرَ ولَـوْ هَـدَّهـا
فَـتَـحْـتَ فـي أَسْـفَـلِـهِ ثُـغْـرَةً لـو عـاشَ ذُو الـقَرْنـيـنِ مـا سَـدَّهـا

قال: ثم تعدى سوط عدا يقال، وتعالى قدره في بلاد ماردين، فخدم في أعمالها، وختم بتصرفه على مالها، وولي نظر دنيسر، وهمى عليه صوب الرزق فأيسر، ونشأ ابناه مسعود ومحمد كتيلة، وتعلّما، وكبرا، وتقدّما، إلاَّ أنَّ الحِمام أتى على مسعود أولاً، وشبابه شارخ، وغناؤه لم يصرخ باسمه صارخ، فبقي الذكر لأخيه مفرداً، كأن لم يكن سواه من أبيه.

قال: وكان مسعود متعلّقاً بحبائل ابن الملك المنصور صاحب ماردين لا يخاف منه الخبر، ولا يسيل دونه السقر، وكان الملك المنصور قد أخذ ابنة الجنك البغدادية الغنية بغتة من بغداد، وأتى بها إلى ماردين، وتركها بها مقيمة وأهلها لا تعرف أرضاً ابتلعتها، أو سماء اقتلعتها، وكان سبب هذا أنَّ الملك المنصور كان رجلاً جسيماً، وكان نقص عيار الدراهم بماردين حتى حوّل الدراهم مقدار الثلاثين؛ فلما نزل الأرد ببغدادْ إذ سافر للقاء القان، فلما كان يوم دخوله إلى بغداد، إذ خرج أهلها ليروه، وكانت ابنة الجنك ممن خرجت؛ فلمّا مرَّ عليها، قالت لبعض من كان عندها: من هو صاحب ماردين في هؤلاء؟، فقيل لها: هذا، وأشاروا إليه، فنظرت إليه وقالت: كل هذا بثلاثين إلا مارديني هو، فدخلت كلمتها / ٣٣٩/ في صماخ أذنه، وأذكت عليها نار إحنه، فطلب بعض خاصة قومه وأمره أن يتعرف أمرها حتى عرفها، ثم علا عليها حتى أحضرها إليه ليلاً؛ لتغنيه، فاختطفها، وأركبها الخيل وسبق بها النهار والليل حتى أتى بها ماردين، وقبرها في بعض دورها، وتركها لا تحفل بأمورها، ثم أحضرها ليسمع غناءها فما رآها حتى رابه أمره، وخامر لبّه خمره، وتلف بها جَوًى في الجوانح، وهوًى صاد شركة الجوارح، ثم طال عليها الاغتراب والحبس المضيق في عش الغراب، وكانت قد أنست إلى مسعود غدا يقال لطول اجتماعها به في مجلس الملك المنصور، وعلقت قلبه فلم يجد سبيلاً إليها إلاّ بأن حسن لابن الملك المنصور حبّها، وهوّن عليه قربها، واستغفل الملك المنصور حتى سافر إلى الموصل، وأتى مع ابنه إليها وباتا يحثّان كؤوس الراح عليها؛ فلما عاد الملك المنصور أتته عينه الناظرة بما رأت، وحدّثته ثقاة خبره بالليلة التي جرت، فأحلّ بمسعود المنحوس الحمام، وأورده مورد الموت الحمام، وخافت بنت الجنك، فأمسكت خفّيها على يديها، وتدلت من الشاتورة

حتى ثبتت على الأرض قدميها، ولقيه هناك خدمتها، وكانت قد اتعدت مع ثقاة لها منهم إلى هناك بالخيل، وسارت تقطع الآكام، وتسابق السحاب الركام، حتى وافت مدينة سنجار وبها الأمير يحيى بن الجلال، فاستجارت به فأجارها، ووسع تحت نقاط يده وجارها، وأتى الخبر الملك المنصور فقتل صبراً، ولام أهل مشورته للتدبير، وبعث رسله إلى ابن الجلال، يعتب فضمّ ظهور المطي، وخصم ألسنة الملي البدري، وأعلمه بما يجد لفرقتها، ويكوي به من نار حرقتها، فبعث بها إليه، فتلقاها وأقرها لديه على أتمّ الأحوال وأبقاها، وذهب دم ابن غدا يقال هدرا، وكان حمه لها قدرا.

ومنهم:

[١٤٨]

خالد

لو أدركه عبد المؤمن، لأخذ عنه النوب، أو السهروردي، لعلم أنه سهروردي وما حصل من العلم إلاّ على اسم الطرب، لو حضر مجلس ابن المهدي، ليتقن أنه ما اهتدى، أو ماثل ابن بانة لما مال غصنه متأوداً، أو لو طارح الأمير بن طاهر، لودّ أن يكون من عدّته، /٣٤٠/ أو الهذلي لأقرانه لأقصره عن مداه، إلاّ أن طائفة تغضّ منه غضّ الحاسد، وتريد أن يكون لها مثل سيفه الخالد، وهيهات إنما يضرب في حديد بارد، وتظن أنها من أقرانه، ولكن من هو من أقران خالد، لو كان في زمانه سميُّهُ خالد بن عبد الله القسري، لبادر العيش، وانتهب، أو عاصر سميّه الآخر خالد بن يزيد الأموي، لعلم أن صنعة الطرب والغناء أجدى عليه من صنعة الكيمياء والذهب، فقد خلد له ذكراً، وخلف له ما يحتاج سامعه معه شكراً، وأبقى له ما إذا ذكرته به لا أزيد عليه شكراً.

ومن أصواته: [من البسيط]

رُدُّوا على مُقْلَتي النَّومَ الذي ذَهَبَا ... وخَبِّروني بقلبي أينَ ذَهَبا
علمت لمَّا رَضِيتُ العَيْشَ مَنزِلَةً ... أنَّ المنامَ على عَيْنَيَّ قَدْ غَضِبا
إنِّي لهُ عَنْ دَمِي المَسْفُوكِ مُعْتَذِرٌ ... أَقُولُ حَمَّلْتُهُ مِنْ سَفْكِهِ تَعَبَا
هَلْ تَشْتَفِي مَنكَ عَيْنُ أَنْتَ ناظِرُها ... قَدْ نالَ مِنْها سُهادُ الليلِ ما طَلَبَا
ما[ذا] تَرَى في مُحِبٍ ما ذُكِرَتْ لَهُ ... إلاّ بَكَى أَوْ شكَا أَوْ حَنَّ أَوْ طَرِبَا
يَرَى خَيَالَكَ في الماءِ الزُّلالِ إذَا ... رَامَ الشَّرَابَ فَرَوَّى مِنْهُ ما شَرِبا[1]

(١) أخل بها ديوانه.

والشعر للأرَّجاني[1]، والغناء فيه رمل.

وكذلك صوته في شعره أيضاً والغناء فيه دوكاه وهو: [من الكامل]

إنْ كُنْتَ عَنْ نَظَرِ المُحِبِّ تَغِيْبُ ... فَهَوَاكَ مِنْ كُلِّ القُلُوبِ قَرِيبُ

لَكَ فِي سُوَيْدَا القَلْبِ أَشْرَفُ مَنْزِلٍ ... ما حَلَّ فيهِ سِوَاكَ قَطُّ حَبِيْبُ

يا مَنْ يُحَجِّبُ غُرَّةً عَنْ ناظِرِي ... أَنتَ المُنى والسُّؤْلُ والمَطْلُوبُ

وحياةِ وجْهِكَ إنَّ جَيْشَ تَصَبُّرِي ... ولَّى وجَيْشُ عَزِيمَتِي مَغْلُوبُ

وله صوت في شعر ابن نباتة المصري[2] والغناء فيه من عراق وهو[3]: [من البسيط]

---

(١) أحمد بن محمد بن الحسين، أبو بكر، ناصح الدين، الأرجاني: شاعر، في شعره رقة وحكمة، ولد سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م. ولي القضاء بتُستر وعسكر مُكرم وكان في صباه بالمدرسة النظامية بأصبهان. جمع ابنه بعض شعره في «ديوان ـ ط»، توفي بتستر سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م. نقل ابن خلكان عن الخريدة أن الأرجاني عربي المحتد، سلفه القديم من الأنصار.
ترجمته في: معاهد التنصيص ٣/ ٤١، والمنتظم ١/ ١٣٩ ووفيات الأعيان ١/ ٤٧، الأعلام ١/ ٢١٥، معجم الشعراء للجبوري ١/ ١٩٢ـ ١٩٣.

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري، أبو بكر، جمال الدين، ابن نُباته: شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب. أصله من ميافارقين، ومولده في القاهرة سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م ووفاته فيها سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م. وهو من ذرية الخطيب «عبد الرحيم بن محمد» ابن نباتة. سكن الشام سنة ٧١٥هـ (تقريباً) وولي نظارة «القمامة» بالقدس أيام زيارة النصارى لها، فكان يتوجه فيباشر ذلك ويعود. ورجع إلى القاهرة (سنة ٧٦١) فكان بها صاحب سر السلطان الناصر حسن. له «ديوان شعر ـ ط» و«سرح العيون في «شرح رسالة ابن زيدون ـ ط» و«سجع المطوق ـ خ» تراجم، و«مطلع الفوائد ـ خ» أدب، و«سلوك دول الملوك ـ خ» و«المختار من شعر ابن الرومي ـ خ» و«تلطيف المزاج في شعر ابن الحجاج ـ خ» و«ترسل ابن نباته ـ خ» و«أبزار الأخبار» و«فرائد السلوك في مصايد الملوك ـ ط» أرجوزة، و«القطر النباتي ـ خ» مقاطيع من شعره، منه نسخة قديمة في اللورنزيانة (Orien 286) وعلى نون النباتي فيها ضمة. وأورد الصلاح الصفدي (في ألحان السواجع) مراسلاته معه في نحو ٥٠ صفحة. ولاسماعيل حسين: «ابن نباتة الشاعر المصري ـ ط».
ترجمته في: حسن المحاضرة ١/ ٣٢٩ والبداية والنهاية ١٤/ ٣٢٢ وابن إياس ١/ ٢٢١ والدرر الكامنة ٤/ ٢١٦ والنجوم الزاهرة ١١/ ٩٥ ونص فيه على «نُباتة» بضم النون. وآداب اللغة ٣/ ١٢٢ والوافي ١/ ٣١١ ومحمد أسعد طلس في مجلة المجمع العلمي العراقي ٢/ ٣٠١ـ ٣١٠ والفهرس التمهيدي ٢٨٠ وطبقات الشافعية ٦/ ٣١ ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ٢٨٨ وفيه، كما في كتاب Huart: 321 «ولد ببلدة ميافارقين» خلافاً لسائر المصادر، الأعلام ٧/ ٣٩، معجم الشعراء للجبوري ٥/ ٢٤٣ـ ٢٤٤.

(٣) ديوانه ٥٦٤.

نَادَى وقَامَتُهُ تَهْتَزُّ بالتِّيْهِ فَكَادَتِ الشَّمسُ قَيْدَ الرُّمْحِ تَحكِيهِ
وقُمْتُ أَذْكُرُهُ بالظَّبْي مُلْتَفِتاً فقالَ لِي طَرْفُهُ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيْهِ
/٣٤١/ ما للذي فَتَنَتْ طَرْفِي مَحَاسِنُهُ أَضْحَى يُعذِّبُ رُوْحِي وهِيْ تَفْدِيْهِ
وما لعاذِلِ قَلْبِي في مَحبَّتِهِ تَعْبانَ يَدْخُلُ فيما لَيْسَ يَعْنِيْهِ
القلبُ قَدْ أَسْكَنَ اللهُ الحبيبَ بِهِ فما الملامُ على حالٍ بِمُخْلِيهِ
لا يَخْتَشي بيتُ قَلْبِي غَزْوَ لائمة فإنَّ للبيتِ رَبّاً سَوْفَ يَحْمِيهِ

وله صوت في شعر مجهول، والغناء فيه راست معشق الدقات وهو: [من المديد]

زارَ والوَاشُونَ قَدْ غَفَلُوا رَشَأٌ مِنْ رِيْقِهِ ثَمِلُ
كُلُّ مَخْلُوقٍ لهُ أَجَلٌ وهَوَاهُ ما لَهُ أَجَلُ
صِرْتُ في حُبِّي لهُ مَثَلاً وحَلاَ لِي ذَلِكَ المَثَلُ
قلتُ: قَدْ أَتلَفَتنِي مَلَلاً قالَ: كَمْ قَدْ أَتلَفَ المَلَلُ

وله صوت في شعر ابن عربي، والغناء فيه دوكاه: [من البسيط]

نَعَمْ لقَلبِي بِبَاناتِ الحِمَى أَرَبُ ولِي دُمُوعٌ لِذِكْراهنَّ تَنْتَسِبُ
هَبَّتْ لهُ نَسْمَةٌ مِنْ نَحوِ كاظِمَةٍ فاعْتادَهُ لهُبوبِ النَّسْمَةِ الطَّرَبُ
يا سَاكِنِي الجَزْعِ [لي] في حَيِّكُمْ قَمَرٌ طَرْفِي على البُعْدِ يَرْعاهُ ويَرْتَقِبُ
بَدْرٌ بِهِ يَهْتَدِي السَّاري فَوَا عَجباً يَجْلُو الدُّجَى قَمَرٌ بالشَّمْسِ مُحْتَجِبُ

وله صوت في شعره أيضاً والغناء فيه رمل: [من الرمل]

مَنْ لقلبٍ بالعيونِ النُّجْلِ مُضْنَى حُسْنُها أورثَهُ سُقْماً وحُزْنا
/٣٤٢/ وفُؤادٍ ما أَتاهُ خَبَرٌ عَنْ أُهَيْلِ المُنْحَنَى إلاَّ وَحَنَّا
ورَشِيْقِ الخَدِّ أَلْمَى أَسْمَرٍ هَزَّ مِنْ قامتِهِ أَسْمَرَ لَدْنَا
خِلْتُهُ لمَّا تَبَدَّى غُصُناً فَتَجلَّى قلتُ: بدرٌ قَدْ تَثَنَّى

وكذلك له صوت في شعره والغناء فيه كوشتا، وهو: [من الخفيف]

كلَّ يومٍ يزيدُ وجهُكَ حُسْناً وفُؤَادِي يزيدُ وجْداً وحُزْنا
أَنْتَ واللهِ أَحْسَنُ الناسِ شَكْلاً ما للفظِ الجَمَالِ غيرُكَ مَعْنَى
لِيَ قلبٌ يَحِنُّ نحوكَ شَوْقاً وضُلُوعٌ على الصَّبابَةِ تُحْنَى
مَنْ يكُن رَامَ عَنْ هَوَاه سُلُوّاً فأَنا المُدْنَفُ الكَئِيْبُ المُعَنَّى

وله صوت أظنّه في شعره أيضاً، والغناء فيه عراق، وهو: [من البسيط]

لَوْ بلَّغَ الشَّوقَ هذا البارقُ السَّارِي أَوْ بَعْضَ وَجْدِي الذي أُخْفِي وتَذْكَارِيْ

ما بِتُّ أَرْعى الدُّجى شَوْقاً إلى قمَرٍ ولا مُعَنًّى بطَيْفٍ طارِقٍ طارِ
جِيرَانَنا كُنْتُمُ بالرَّقْمتينِ فَمُذْ بَعُدْتُمُ صارَ دَمْعِي بَعْدَكُمْ جارِي
فَكَمْ أواري عزماً من جوًى وأسًى زِنادُهُ تحتَ أَثْناءِ الحَشَا وارِي

وله صوت في شعر مجهول والغناء فيه ماه يوسليك، وهو: [من الكامل]

شَوْقِي إليكَ أُجِلُّهُ أَنْ يُذكَرا وهوىً يَرِقُّ لَطافَةً أَنْ يُنشَرا
بيني وبينَكُمُ إذا حَكَمَ الهَوَى فَرْقٌ كما بيْنَ الثُّريَّا والثَّرى
ريمٌ رَمى قَلْبي فَأصبحَ ساكناً فيهِ ومَسْكَنُهُ أصابَ وما دَرَى
ساوَمتُهُ رُوْحي وكانتْ مُلكَهُ فأَبى وقالَ: الوقفُ ما يُشتَرى

وله صوت في شعر محاسن الشعراء، والغناء فيه مبرقع وهو: [من البسيط]

أشكُو إلى اللهِ لا أَشكُو إلى أَحَدِ حُزْناً يُكابدُهُ مِنْ بعدِكم كَبِدي
أَحبابَنا كيفَ أَسْلُو عَنْ مَحبَّتِكمْ وعَقْدُ وِدِّكُمُ دِيني ومُعتَقَدِي
وبينَ حُبِّكُمُ والرّوحِ مَعْرِفةٌ تأكَّدَتْ قبلَ خلقِ الرُّوحِ والجَسَدِ
لا تأْخُذُوا بدَمِي أجفانَ ظَبْيِكُمُ فالروحُ رُوْحي وقَدْ أَتْلَفتُها بيدِي

وكذلك أيضاً: [من الوافر]

بِعادُكَ عَلَّمَ النَّومَ البِعادَا وكَحَّلَ مُقلتي فيكَ السُّهَادا
أو ويا سهما خَيالاً منكَ يَسْرِي فلو أَرْسَلتَ طَيفاً ما أَرادا
/٣٤٣/ وأَلهبت القُلُوبَ بنارِ شَوْقٍ أَبتْ يومَ النَّوى إلاّ النَّفادا
ولَمْ تَتْرُكْ لِذِي طَرْفٍ مَنَاماً يُلِمُّ ولا لِذي جَلَدٍ فُؤَادا

والشعر للمجاور، والصوت فيه طرف.

وكذلك صوته في شعر شيخنا أبي الثناء الحلبي والغناء فيه محير الحسيني: [من الخفيف]

أَيُّها المَنْزِلُ الذي كانَ فيهِ لِتَجَلِّي شُمُوسِهِمْ إشْرَاقُ
والذي كانَ فيهِ بَدْرُ المَسرَّا تِ تَماماً لا يَعتريهِ مُحَاقُ
أَوْ حَشُوني مُذْ فارَقُوني فَهَلْ أَصـ ـبحتَ مِثْلي إليهِمُ تَشْتاقُ
فابْكِ لِي مُسْعِداً عليهِمْ فلا بأْ سَ إذا ما تساعَدَ العُشَّاقُ

وكذلك صوته في شعر ابن نباتة المصري(١): [من مجزوء الكامل]

(١) ديوانه ٢٣٤.

يا قلبُ أَنْتَ ومُقْلَتي مُتَحاربانِ كما تَرَى
هاتيكِ تمنعُكَ الهُدُوْ وَ وأَنتَ تمنعُها الكَرَى
وأَنا الذي قاسيتُ بينـ كما العَذاب الأكبرا

وكذلك صوته في شعره أيضاً والغناء فيه زنكلا: [من الهزج]

غَنِيَّ الحُسْنِ خالي الوجنتين متى يقضي وعود الهجر ديني؟
مَتَى بالثَّغْرِ والخَدَّينِ تحلو بَوارِقُ رَامةٍ والرقم شينِ
أَبُثُّكَ أَنَّ عاذِلِيَ المُعَنَّى رآكَ بعينِ حِبٍّ مِثلِ عَيْني
فَحاكَى قَلْبُهُ قَلْبي خُفُوقاً وحَكَّمَكَ الهوى في الخافِقَيْنِ

وله صوت في شعر مجهول، والغناء فيه راست وهو: [من البسيط]

بِيْ مِنْ جَفَاكِ صَبَاباتٌ وتَسْهيدُ فهلْ ليوم وصالٍ منْكِ مَوْعُودُ
سليْ نُجُومَ الدُّجى تُنْبِيكِ عَنْ سَهَرِي لتعلمي أَنَّ يومي فيكِ مَفْقُودُ
أَوْ فانظُري سَقَمِي إنْ كنتِ مُنكرةً فالعَيْنُ تَشْهَدُ والأخبارُ تَقْلِيدُ
يا ضَرَّةَ الشَّمْسِ عُودِي غيرَ هاجِرَةٍ عَسَى بوَصْلِكِ أَنْ يَخضَّر لي عُوْدُ

وكذلك له صوت في شعر مجهول والغناء فيه عراق: [من الكامل]

/٣٤٤/ حَسْبُ المُحِبِّ فَقَد تَمَزَّقَ صَبْرُهُ وبَدا لعاذِلهِ المُعَنِّفِ عُذْرُهُ
في حُبِّ أَغْيَدَ لم تزلْ أَجْفانُهُ مكسورةً فيها تأَكَّدَ نَصْرُهُ
ظَبْيٌ وغُصْنٌ مُقلتاهُ وقَدُّهُ بَدْرٌ وليلٌ وَجْنتاهُ وشَعْرُهُ
أَقسى مِنَ الصَّخرِ الأَصمِّ فُؤَادُهُ وأَرَقُّ مِنْ شَكْوَى المُتيمِ خَصْرُهُ

وله صوت في شعر مجهول والغناء فيه حسيني وهو: [من السريع]

مَنْ عَلَّمَ الغُصْنَ الرَّطيبَ الدَّلالْ حتَّى سَطا جَوراً علينا ومالْ
ومَنْ أَحلَّ القتلَ في مَذْهَبِ الـ حُبِّ وأَفتى أَنَّ هذا حَلالْ
يا فتنةَ العاشقِ مِنْ واضح يُشْرِقُ في جُنْحِ الدُّجَى كالهلالْ
أَحْوَرَ كالحُورِ ولكنَّهُ ينفِرُ مِنْ عاشِقِهِ كالغَزَالْ

وكذلك له صوت في شعر مجهول، والغناء فيه عراق: [من مجزوء الكامل]

ومُهَفْهَفٍ كالغُصْنِ مائلْ مُرِّ الجَفَا حُلْوِ الشَّمائلْ
مِنْ مُقْلتيهِ صَوارِمٌ ومِنَ الجُفُونِ لهُ حَمَائلْ
تَرفُ الدَّلالِ يكادُ يُد ميهِ مِنَ التَّرفِ الغَلائلْ
كمْ عُنِّفَتْ فيهِ الوُشا ةُ وأَطنبتْ فيهِ العَوَاذِلْ

وكذلك له صوت في شعر مجهول، والغناء فيه نكارى: [من البسيط]

نـاولـتُـهـا شِبْـهَ خَـدَّيـهـا مـشـعْـشَـعَـةً مِـثْـلَ الـصَّـبـاحِ تُـحـاكِـي ضَـوءَ مِـقْـبـاسِ
فـقـبَّـلَـتْـهـا وقـالـتْ وهـيَ ضـاحـكـةٌ فـكـيـفَ تَـسْـقِـي خُـدُودَ الناسِ لـلـنـاسِ
قلتُ: اشربي إنَّـهـا دَمْـعِـي وعـاصِـرُهـا دَمِـي وطـابِـخُـهـا فـي الـكـأسِ أَنْـفـاسـي
قالتْ: إذا كنتَ من أَجْلِي بَكَيْتَ دَماً فَـسَـقِّـنِـيـهـا عـلـى الـعَـيـنـيـنِ والـرَّاسِ

وكذلك له صوت في شعر مجهول والغناء فيه زاولي: [من الطويل]

أَمِـنْ أرْضِ لـيـلـى لـلـنَّـسـيـم هُـبُـوبُ فَـمِـنْ نَـشْـرِهـا فـيـهِ تَـضَـوَّعَ طِـيْـبُ
تَـهُـبُّ قَـبُـولاً والـقَـبُـولُ أَمـامَـهُ وتَـسْـرِي جَـنُـوبـاً والـغُـرَابُ جَـنِـيْـبُ
صَـبَـا لـلـصِّـبـا قَـلْـبِـي وكُـلُّ مَـتُـيَّـم يَـحِـنُّ إذا هَـبَّـتْ صَـبـاً وجَـنُـوبُ
/٣٤٥/ وأرْتاحُ منْها للرياحِ إذا سَرَتْ مِـرَاضـاً كَـأَنِّـي لـلـنـسـيـمِ نَـسِـيْـبُ

وله صوت في شعر الخطيب يوسف الصوفي، والغناء فيه زنكلا، وهو: [من الكامل]

أَبْـدَى دَلالُـكِ لـلـغَـرَام دَلائِـلا فَـعَـصَـيـتُ لُـوَّامـاً ولُـمـتُ عَـوَاذِلا
وإذا رأيـتِ الـقَـلْـب يَـشْـكُـو فـي الـهـوى فَـقْـراً إلـيـكِ جَـعَـلْـتُ دَمـعِـي سـائِـلا
يـهْـنـيـكِ أَنَّ الـشَّـوقَ أمـسـى نـازلاً فـي مُـهْـجـتـي والـصَّـبـرَ أَصـبـحَ راحِـلا
وتـركـتِ عَـزْمـي مِـثْـلَ جَـفْـنِـكِ نـاحـلاً وجَـعَـلْـتِ جِـسْـمِـي مِـثْـلَ خَـصْـرِكِ نـاحِـلا

وله صوت في شعر شيخنا أبي الثناء، والغناء فيه رمل، وهو: [من الطويل]

أَشَـوقٌ وهُـمْ فـي رَبْـعِ قَـلْـبِـكَ سُـكَّـانُ ووَجْـدٌ ومـا شَـطَّ الـمَـزارُ ولا بـانُـوا
نَـعَـمْ هِـيَ رُوحٌ أَحْـرَقَـتـهـا صَـبَـابَـةٌ فَـسَـالـتْ دُمُـوعـاً والـجَـوانـحُ أَجْـفـانُ
تَـمُـرُّ بـهـا الأَنـفـاسُ وهـيَ رَطِـيـبَـةٌ وتَـرْجِـعُ عـنْـهـا وهـيَ بـالـوَجْـدِ نِـيـرَانُ
فـلـوْ كـانَ هـذا الـدمـعُ مـاءً لأَعْـشَـبـتْ رُبَـى الـحَـيِّ وامْـتَـلَـتْ مـنْـه غُـدْرَانُ

وله صوت في شيخنا الصائغ بن سباع، والغناء فيه رمل، وهو: [من الكامل]

حَـبَـسَ الـهَـوَى نَـوْمـي وأَطْـلَـقَ أَدْمُـعـي ضَـنَّـاً بـطَـيْـفِـك أَنْ يُـلِـمَّ بـمَـضْـجَـعِـي
يـا سـاكِـنَ الـجَـفْـنِ الـقَـرِيـحِ أَمـا تَـرَى حَـقّـاً لـجـارِكَ فـي هَـوَاكَ مُـضَـيِّـعـي
وأنـا الـفـداءُ لـنـازحٍ سَـكَـنَ الـغَـضَـا مِـنْ مُـهْـجـتـي والـمُـنْـحـنـى مِـنْ أَضْـلُـعـي
أَبـداً يـلـوحُ خَـيـالُـهُ فـي نـاظِـري ويَـجُـولُ طِـيْـبُ حـديـثـهِ فـي مَـسْـمَـعِـي
ولـقـدْ شـكـوتُ إلـى الـفِـراقِ صَـبَـابَـتـي يـومَ الـنَّـوى ووُلُـوعَ قَـلْـبِـي الـمُـوْجَـعِ
فـأَبـى وعـيـشِـكَ أَنْ يَـرِقَ لـحـالـتـي أَوْ أَنْ يُـجِـيـبَ هـنـاكَ سـائـلَ أَدْمُـعـي

وله صوت في شعر أبي تمام حبيب بن أوس[(١)]، والغناء فيه زاولي، وهو: [من الخفيف]

حَسُنَتْ عَبْرَتي وطابَ نَحيبي فِيكَ يا كَنْزَ كُلِّ حُسْنٍ وطِيْبِ
لكَ قَدٌّ أَرَقُّ مِنْ أَنْ يُحاكى بقضيبٍ في النَّعْتِ أَوْ بكثيبِ
جارَ حُكمي في قلبِهِ وهَوَاهُ بعدَ ما جارَ حُكْمُهُ في القُلُوبِ
كادَ أَنْ يكتبَ الهوى بينَ عينيـ ـهِ كتاباً هذا: حبيبُ حبيبِ

/٣٤٦/ وكذلك صوته في شعره، والغناء فيه زاولي، وهو: [من مجزوء الخفيف]

لا وَوَرْدٍ بِخَدِّهِ واعتدالٍ بِقَدِّهِ
لا تَعَشَّقْتُ غيرَهُ لوْ بَرَاني بصَدِّهِ
إنْ يكنْ أَقْسَمَ الهَوَى بَعْدَ تصحيحِ وِرْدِهِ
فَعَسَاهُ بَعْدَ التَّمَنُّـ ـعِ يَرْثي لعَبْدِهِ

وله صوت في شعر مجهول والغناء فيه حُسيني، وهو: [من مجزوء الخفيف]

رُبَّ ليلٍ سَهَرْتُهُ فيكَ لولاكَ نِمْتُهُ
بحَنينٍ ولَوْعَةٍ وبُكاءٍ قَطَعْتُهُ
قَلِقَ العَيْنِ مُفكِراً في وِصالٍ حُرِمْتُهُ
بأَبِي وجْهُك الجَميـ ـلُ الذي لا عَدِمْتُهُ

وله صوت في شعر ابن مطروح[(٢)]، والغناء فيه راست، وهو[(٣)]: [من الكامل]

أَوْثَقتِني مِنْ ناظريكِ جِرَاحا وتركْتِني لا أَسْتطيعُ بَرَاحَا

---

(١) ديوانه ٢/ ٢٥٦.

(٢) يحيى بن عيسى بن إبراهيم، جمال الدين، ابن مطروح: شاعر أديب مصري. ولد بأسيوط سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٦م. وتوفي بالقاهرة سنة ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م. خدم الملك الصالح أيوب، وتنقل معه في البلاد، فأقامه الصالح ناظراً على الخزانة بمصر (سنة ٦٣٩) ثم نقله إلى دمشق. واستمر في الأعمال السلطانية إلى أن مات الملك الصالح، فعاد إلى مصر. وأعرض عنه خلفاء الصالح، فأقام مخمولاً ـ كما يقول سبط ابن الجوزي ـ إلى أن مات. له «ديوان شعر ـ ط»؟
ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٢٥٧، وشذرات الذهب ٥/ ٣٤٧، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٧ وفيه: «وفاته سنة ٦٥٠» كما في مرآة الزمان ٨/ ٧٨٨، وذيل الروضتين ١٨٧ وفي حسن المحاضرة ٢/ ٣٢٧ «توفي سنة ٦٥٤»، وذيل مرآة الزمان ١/ ١٩٧، الأعلام ٨/ ١٦٢، معجم الشعراء للجبوري ٦/ ١٣٦.

(٣) أخل بها ديوانه وملحقه.

أَحَسِبْتِ أَنِّي سَالِياً لا والذي أَبْدَى بليلِ الشَّعْرِ منْكِ صَباحا
ما بُحْتُ بالسِّرِّ المَصُونِ وإنْ سَلاَ غيري وخانَ عهودَهُ وأَباحا
لكنَّني حَرَّمْتُ عنكِ تصبُّري ورضِيتُ قتلي في هَوَاكِ مُبَاحا

وله صوت في شعر البهاء زهير والغناء فيه أصفهان راست، وهو(١): [من مجزوء الكامل]

يا مُعْرِضاً مُتَعَصِّباً حاشاكَ يا عَيني ورُوحي
لَمْ يدْرِ ما فَعَلَ البُكا ءُ عليكَ بالجَفْنِ القَرِيْحِ
لكَ مِنْ ضَمِيري ما عَلِمـ تَ بِهِ مِنَ الوُدِّ الصَّحِيْحِ
فَمَتى أفوزُ بنظرةٍ مِنْ وجْهِكَ الحَسَنِ المَلِيْحِ

وكذلك له صوت في شعره، والغناء فيه حسيني: [من مجزوء الكامل]

يا غادِرِينَ أَلَمْ يكنْ بيني وبينَكُمُ عُهُودُ
ظهرتْ وبانتْ لي قضيَّـ ـتُكُمْ فَمَا هذا الجُحُودُ
/٣٤٧/ وحلفتُمُ ما خُنْتُمُ وعلى خيانتِكُمْ شُهُودُ
يا مَنْ تَبَدَّلَ في الهَوَى يهنيكَ صاحبُكَ الجَدِيدُ

وله صوت في شعر الأمجد(٢) والغناء فيه جاركاه(٣): [من الطويل]

تُرَى تَسْمَحُ الأَيَّامُ لِي فَأَرَاكُمُ وأَشْكُوا إِلَيكُمْ مُنْذُ يومِ نَوَاكُمُ

---

(١) ديوانه ١٢٣.

(٢) المَلِك الأَمْجَد، بهرام شاه بن فَرُّخْشاه بن شاهنشاه بن أيوب: شاعر، من ملوك الدولة الأيوبية. كان صاحب بعلبك، تملكها بعد والده تسعاً وأربعين سنة وأخرجه منها الملك الأشرف (سنة ٦٢٧م) فسكن دمشق وقتله مملوك له، بسبب دواة ثمينة سرقها المملوك وحبسه الأمجد في قصره. واحتال المملوك فخرج وأخذ سيف الأمجد وهو يلعب بالشطرنج (أو بالنرد) فطعنه في خاصرته، وهرب فألقى نفسه عن سطح الدار (وقيل: لحقه المماليك فقتلوه) سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م. ودفن الأمجد بتربة أبيه. وفي الخزانة الخالدية بالقدس، نسخة مخطوطة من ديوانه، نحو ١٨٠ صفحة جاء في أولها أنها «مما نظمه الأمجد بهرام شاه في النسيب والغزل والحماس، في مدة أولها شهر رمضان سنة ٦٠٤» «وفي الظاهرية بدمشق نسخة من ديوانه» في ٤٨ ورقة لعلها متممة للأولى؟ وشعره جيد السبك حسن الأسلوب. قال أبو الفداء: هو أشعر بني أيوب.
ترجمته في: الإعلام ـ خ، لابن قاضي شهبة، وفيات ٦٢٨ وشذرات الذهب ٥/ ١٢٦، وشعر الظاهرية ١١٨ وترويح القلوب ٤٩، وأبو الفداء ٣/ ١٤٥ـ ١٤٦ وهو فيه من وفيات سنة ٦٢٧و الأعلام ٢/ ٧٦، معجم الشعراء للجبوري ١/ ٣٦٤.

(٣) أخل بها ديوانه.

فيا ليتَ أنّي لم أكُنْ بِنْتُ عَنْكُمُ ويا ليتَ أنّي لا عَرَفْتُ هَوَاكُمُ
وأعظَمُ ما ألقَاهُ أنّيَ لمْ أجِدْ سُلُوّاً لقلبي عنْكُمُ بِسِواكُمُ
وأنّي لأرضى أنْ أموتَ صَبَابة إذا كانَ مَوتِي في الهَوَى مِنْ رِضَاكُمُ

وله صوت في شعر مجهول والغناء فيه جاركاه: [من الكامل]

لما بَدَا مُرخَى الذوائبِ مُسْفِرا عاينْتُ فوقَ الغُصْنِ ليلاً مُقْمِرا
وحسنت لمَّا هزَّ غُصْنَ قَوَامِهِ سُكْرُ الدَّلالِ صَبابةً وتَذَكّرَا
لمّا دَجَتْ أصْدَاغُهُ وتَضَرَّمَتْ وَجَنَاتُهُ لَبِسَ الجَمَالَ مُشَهَّرا
وكأنَّ بَحْرَ الحُسْنِ لمَّا ماجَ في خَدَّيْهِ ألْبَسَ ساحِلَيهِ العَنْبَرا

وله صوت في شعر الوأواء(١)، والغناء فيه سيكاه(٢):

ما حُكِّمَ البَيْنُ إلاَّ جَارَ مُحْتَكما وَلا انْتَضَى سيفَهُ إلاّ أرَاقَ دَمَا
اللهَ يعلمُ أنّي يومَ بَيْنِهِمُ نَدِمْتُ إذْ لَمْ أمُتْ في إثْرِهِمْ نَدَما
قَدْ سَرَّنِي أنَّهُمْ قدْ سَرَّهُمْ سَقَمي فازْدَدْتُ كيما يُسَرُّوا بالضَّنَى سَقَما
ديارَهُمْ خبّرتْنا بالذي فَعَلُوا فرُبَّما جَهِلَ المُشتاقُ ما عَلِما

ومنهم:

[١٤٩]

السهروردي، شمس الدين(٣)

كتب مثل ياقوت الدر، وزاد عليه، ففضل الرقيق الحر، وباهى الروض، وقال:

---

(١) محمد بن أحمد الغساني الدمشقي، أبو الفرج، المعروف بالوأواء: شاعر مطبوع، حلو الألفاظ: في معانية رقة. كان مبدأ أمره منادياً بدار البطيخ في دمشق، توفي نحو سنة ٣٨٥هـ/ نحو ٩٩٥م. له «ديوان شعر ـ ط».
ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ١٤٦، ومطالع البدور ١/ ٥٧، ويتيمة الدهر ١/ ٢٠٥، ومجلة المجمع العلمي العربي ٢٥/ ٥٧٨، الأعلام ٥/ ٣١٢، معجم الشعراء للجبوري ٤/ ٣١٠.

(٢) ديوانه ٢٠٠.

(٣) أحمد بن يحيى بن محمد البكري السهروردي: من ذرية شهاب الدين السهرروردي، الكاتب المشهور، ولد سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، وتفقه على مذهب الشافعي، واتقن الخط المنسوب، والموسيقى وقد وصلت شهرته إلى ما وصل إليه صفي الدين الأرموي، ونال مكانة مهمة جداً، وتميّز في الموسيقى، فكان من أكبر أساتذته.
وكان قد حظي عند الملوك، وكتب عنه أبو سعيد القاآن، والوزير غياث الدين محمد بن فضل الله الخواجه رشيد الدين، وجمع جم من أولاد الوزراء والقضاة والأمراء، ولم يزل على تقدمه في =

بيدي ما بيدي، ولأخي النرجس، وقال: كيف يدرك وطرفكم قد نعس، وسهروردي وكيف يقاس بي، وقد تطاولت، ولم يبلغ الشجر، أو يشبه بي عزيز غال، وإن قيل ياقوت فهل هو إلاّ حجر، وهبه أجاد الخَط أتى بأحسن مما أتيت، أو أنه سابق فهل حطّ معي إذ حط الرهان فأبيت، أو قيل: إنه قد أجاد حتى من علم الطرب فيما ادعيت وسبق، وإن كنت أنت بعده قد طرف وما سعيت فهل شهد إلاّ بالخط الذي عليه /٣٤٨/ اقتصر، وإلى الخط ما طمح اقتصر، ولا ملأ إلاّ البصر، وحده بحسن خطه، وقد ملأت السمع والبصر.

مولده ببغداد في المحرم سنة أربع وخمسين وستمائة ببغداد، حفظ القرآن وتفقه على مذهب الشافعي، وقرأ العربية، ونظر في اللغة والمعقول، وحفظ المقامات الحريرية، وفاق الناس في الخط بعد ياقوت المستعصمي.

وقيل: إنه كتب قلم النسخ أحسن من ياقوت، وكتب على الشيخ زكي الدين عبد الله، وفاق عليه في الكتابة.

قال العلاّمة تاج الدين بن البشاك: كنت أكتب على ياقوت وأجود قلم النسخ فكان يغير علي ويوقفني على الأصول، وكنت أستزيده، فيوقفني إلى أن بلغت طبقة لم يغيّر علي فيها شيئاً، فاستزدته فلم يزدني، وألححت عليه فقال: ما على مزيد. أتظنّ أنك تبلغ طبقة شمس الدين السهروردي، فإنّ نسخه خير من نسخي.

قال أبو الخير الذهلي: وأجمع الناس على أنه لم يدرك أحد غايته في كتابات المينا على الآجر وغيره.

وكتاباته مشهورة بالروم والعراق وخراسان وفارس وغير ذلك من البلاد، وسمع الحديث على جماعة منهم رشيد الدين أبو عبد الله المقري، وعماد الدين أبو البركات ابن الطبال، وأجاز له جماعة، وكان حسن الأخلاق، كثير الحياء، شديد المقال، ذا مروءة وفتوة، وشرف نفس، وتواضع، كثير البشاشة طريفاً لطيفاً، معمور الأوقات بالاشتغال والأشغال، صاحب رأي وحزم وعزم، وتؤدة، وفصاحة، وبلغ في علم الموسيقى، وعمله بالغاية القصوى، واعتراف الفضلاء بإحرازه فيه قصب السبق. أخذ علمه وعمله عن صفي الدين عبد المؤمن، وأجمع الناس على أنه لم يأت بعده مثله، ومنه استفاد.. وبرز عليه فيه، ووصلت تصانيفه في الموسيقى شرقاً وغرباً، وكتب بخطّه

=
فنونه إلى أن مات في آخر ربيع الأول سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م.
ترجمته في: الموسيقى العراقية ٤١ـ ٤٢.

ثمانية وسبعين مصحفاً منه خمس ربعات، كل ربعة وقر بعير، وكتب «إحياء علوم الدين» للغزالي، وكتاب «المصابيح» للبغوي ثلاث نسخ، و «عوارف المعارف» لجد أبيه ثلاث نسخ «ومشارق الأنوار» للصنعاني ثلاث نسخ، وكتاب «الشفاء» لابن سينا في مجلد، والكتاب في نفسه في كثير من النسخ المتوسطة ستة عشر مجلداً، /٣٤٩/ و«المقامات» ثلاث نسخ و «مفصل الزمخشري» نسختين، و «نهج البلاغة» أربع نسخ، وكتب من الأحاديث والأدعية والدواوين والدروج شيئاً كثيراً، وكان حظياً عند السلطان. وكاتبه سلطان الهند واليمن غير مرة وجماعة من الكبراء على أن يمضي إليهم، فلم يفعل، وكتب عليه خلق كثير منهم السلطان أبو سعيد، والسلطان أتابك، وسلطان، ... والوزير غياث الدين محمد بن الرشيد، ونظام الدين الطياري، وأولاد الأئمة، والقضاة، والفضلاء والرؤساء، والوزراء، وقصد من البلاد لأجل الخطّ والموسيقى: [من الرمل]

قَدْ قَنِعنا بِخُمُولٍ عَنْ غِنًى ... وبعِزِّ اليأسِ عَنْ ذُلِّ التَّمَنِّيْ
فَكَرِيمُ القَومِ لا أَسْأَلُهُ ... فلماذا يُعْرِضُ الباخِلُ عَنِّي

وقوله: [من السريع]

يا مَنْ بِنُورِ العِلْمِ بذل ... مَتَّعَكَ اللهُ بما خَوَّلَكْ
ولا بَرِحْتَ الدَّهْرَ في نِعْمَةٍ ... صافِيةِ المَشْرَبِ والأَمْرُ لَكْ
ما هَيْنَمَتْ رِيحُ الصَّبا سُحْرَةً ... وغَنَّتِ الوُرْقُ ودارَ الفَلَكْ

ومنه شعره أيضاً: [من الوافر]

بَدَا نَجْمُ السَّعَادَةِ في الصُّعُودِ ... وبَشَّرَ بالمَيامِنِ والسُّعُودِ
وحَقَّقَ فيكَ آمالَ البَرَايا ... بما أولاكَ مِنْ كَرَمٍ وجُودِ
فلاحَ لنا الفَلاحُ وحَلَّ فينا ... مَحَلَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ العَمِيدِ
وأَبْقَيْتَ النُّفُوسَ بِظلِّ أَمْنٍ ... يَعُمُّ الخَلْقَ في مُدنٍ وبِيْدِ
بعدلٍ شاملٍ في كُلِّ أَرْضٍ ... لسلطانِ الزَّمانِ أَبي سعِيدِ

ومن أصواته: [من الكامل]

ذَكَرَ العُذَيْبَ ومائلاتِ قِبابِهِ ... وقفَ الفُؤَاد على أَليمِ عَذابِهِ
ومَهَبّ أنفاسِ الصَّبا مِنْ جَوِّهِ ... فيهِ شِفاءُ الصَّبِّ مِنْ أَوْجابِهِ
فَدَعِ النَّسِيمِ يَبُثُّ مِن أنبائه ... وعلى دُمُوعِ العَينِ رَدُّ جَوابِهِ
/٣٥٠/ ويشوقُني أَنَّ المُحِبَّ يَشُوقُهُ ... لُقيا القريبِ العهدِ مِنْ أحْبابِهِ

ويروى الشعر لابن قيس، ويروى لغيره.

ومن أصواته: [من الوافر]

أُعــاتِـبُـهُ فَـيَـطْـرَبُ مِـنْ حَـيـاءٍ وفـي الـخَـدَّيْـنِ مِـنْ خَـجَـلٍ دَلِـيْـلُ
كَـأنَّ الـجُـلَّـنَـاَ بِـوجْـنَـتَـيـهِ ومـاءَ الـيـاسـمـيـنِ بِـهِ يَـجُـولُ
ويَـزْعُـمُ أَنَّـنـي مـا رُمْـتُ هـذا ويُـطْـرِقُ ثُـمَّ يُـنـكِـرُ مـا أَقُـولُ
وكَـمْ لامَ الـعَـذُوْلُ عـلـيـهِ جَـهْـلاً وأَجْـرَى مـا جَـرَى عـشـق الـعَـذُوْلِ

والشعر مجهول.

وله صوت في شعر ابن قرطايا: [من الطويل]

لِذِي السَّالِفِ المِسْكِيِّ والمُقْلَةِ الكَحْلَى رَسِيْسُ هَوًى في الحُبِّ يَبْلَى ولا يَبْلَى
عَـزِيْـزٌ عَـرَفْـتُ الـذُّلَّ مِـنْ كَـلَـفِـي بِـهِ وكَمْ مِنْ عَزِيْزٍ في الهَوَى عَرَفَ الذُّلاَّ
كَثِيرُ التَّجَنّي ليسَ ليس عنْهُ سَلْوةٌ وأَعْجَبُ شيء جائرُ الحكم لا يَسْلَى
ومُعْتدلٍ كـالـغُـصْـن لا عَـدْلَ عـنْـدَهُ ولَوْلاَ سَقَامِي في الهَوَى عَرَفَ العَدْلا
فـلا تَـعْـذِلُـونِـي فـي هَـوَاهُ فـإِنَّـنـي حَلَفْتُ بذاكَ الوَجْهِ لا أَقبلُ العَذْلا
دعَوني وشَكْوَى الحُبِّ بيني وبينَهُ فما أَعْذَبَ الشَّكْوَى إليهِ وما أَحْلَى

وكذلك له صوت صنعه في شعر الملك الأمجد صاحب بعلبك[1]: [من الطويل]

أَحِبَّةَ قـلـبـي بَـعْـدَ مـا بـانَ أُنـسُـكُـمْ وبِـنْـتُـمْ عَـنِ الـجَـرْعـاءِ كَـيْـفَ أَكُـونُ
قَـضَـى الـوجْـدُ لـي أَنْ لا أَزالَ مُـسَـهَّـداً إذا رَقَـدَتْ تَـحْـتَ الـظَّـلام عُـيُـونُ
أَأَحـبـابَـنـا لِـي بـالإيـاب مَـوَاعِـدٌ فَـحَـتَّـى مَ تُـلْـوَى والـعِـدَاتُ دُيُـونُ
وحَتَّى مَ أَشكو الهَجْرَ مِنْكُمْ شكايةً تُـعَـلِّـم صَـلْـدَ الـصَّـخْـرِ كـيْـفَ يـكـونُ

وله شعر في صوت آخر، وهو: [من البسيط]

ما ضَرَّ أَهْلَ الحِمَى لوْ أَنَّهم رَجَعُوا بـانُـوا فـأَقْـفَـرَ مُـصْـطـافٌ ومُـرْتَـبَـعُ
نَـأَوا فَـبَـانَ عـلـى آثـارِ بـيـنِـهِـمُ عَصْرُ الشَّباب فَمَنْ أَبكِي ومَنْ أَدَعُ
مـنـاي إصـلاحُ مـا يـبـنـي وبـيـنَـكُـمُ وكـلُّ شـيءٍ مِـنَ الـدُّنـيـا لـهُ تَـبـعُ
أَبَـعْـدَ ذاكَ الـتَّـدَانـي مِـنْ دِيـارِكُـمُ أَبِـيْـتُ والـقَـلْـبُ عـن لُـقـيـاكُـم يَـزعُ

/٣٥١/ وله صوت في شعر ابن الساعاتي[2]: [من الكامل]

---

(١) ديوانه ٢٨٢ـ ٢٨٣.

(٢) علي بن محمد بن رستم بن هردوز، أبو الحسن، بهاء الدين ابن الساعاتي: شاعر مشهور، خراساني الأصل. ولد سنة ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م. ونشأ في دمشق. وكان أبوه يعمل الساعات بها. قال ابن قاضي شهبة: برع أبو الحسن في الشعر، ومدح الملوك، وتعانى الجندية، وسكن مصر. وتوفي بالقاهرة سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٨م. له «ديوان شعر ـ ط» في مجلدين، وديوان آخر سماه «مقطعات النيل ـ خ». =

هـذا الـذي قـتـلَ الـمُـحِـبَّ ومـا دَرَى فَـحَـذَارِ مِـنْـهُ ولـمْ يـفِـدْ أَنْ تَـحْـذَرَا
مـا كـنـتُ أحْـسَـبُ قـبـلَ لُـؤلـؤِ ثَـغْـرِهِ أَنَّ الـثَّـمـيـنَ يـكـونُ مـنْـهُ الأَصْـغَـرَا
قـاسَـمْـتُـهُ قَـسْـمَ الـجُـنُـونِ فـلـيـتَـهُ يـومـاً يُـقـاسِـمُ نـاظـري سِـنَـةَ الـكَـرَى
يـهـتـزُّ غُـصـنَ نـقـاً ويُـعـقِـبُ زهـرةً ويَـصُـولُ قَـسْـوَرَةً ويَـرْنُـو جُـؤْذَرَا
غـنَّـى فَـنَـاحَ الـوُرْقُ مِـنْ حَـسَـدٍ لـه وانْـقَـدَّ قَـدُّ الـغُـصْـنِ حِـيْـنَ تَـبَـخْـتَـرَا
فـي خَـدِّه الـمُـبـيَّـضِ أَسْـوَدُ عـارِض مِـنْ خَـوفِ جَـمْـرَتِـهِ أَتَـتْ فـتـحـيَّـرا[1]

وكان في آخر عمره يأنف من علم الموسيقى، ولم يكن في لحيته من البياض إلاَّ شعرات يسيرة إلى أن مات، ولم يُحصَن قطّ ـ رحمه الله تعالى ـ.

وتوفي في آخر شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، وصلّى عليه جماعة من الخلفاء، ودفن عند جدّه، ولم يخلف بعده في سائر البلاد مثله في حسن الخط، وعلم الموسيقى.

ومنهم:

[١٥٠]

الشمس الكَرْمي

محتسب صفد، يحكى عنه العجب، ويحدث بما يهزّ العَذَب، ويحير بما لا هو في قوة العجم والعرب.

وكان ابنه المعروف ببدر الدين محمد كاتباً من كتّاب صفد في الجهات الديوانية وربما كتب الدرج لبعض المشدين، وكان هذا الشمس ينادم الأمير قلايد بن أيدُغدي الألدكزي النائب بها، وكان من كبار الأمراء الظاهرية القدماء.

وحكى لي الشيخ الإمام أبو الصفاء الصفدي عن علاء الدين علي داودار الألدكزي: أنه كان يأخذ الدفّ بيده، ويحلّق به في الهواء، ثم يتلقاه على خمس أنامله، وينقر بكل أنملةٍ منها على نغم، وكان الألدكزي يقول له: إن نادمتني ليلتي كلها، أعطيتك مائة درهم، وكان يكبر منادمته لذلك، وكان يلعب له بالجغانة، وكان

= ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٦٢ وهو فيه: «علي بن رستم بن هردوز» وكذا سمي في ديوانه؛ والتصويب مما في الإعلام بتاريخ الإسلام ـ خ. لابن قاضي شهبة. والتكملة لوفيات النقلة ـ خ. الجزء الحادي والخمسين. في ترجمة الأمير مسعود النجمي، والأعلام ٤/ ٣٣٠، معجم الشعراء للجبوري ٤/ ٣٥.

(١) أخل بها ديوانه.

الدوادار الجاكي ينقل عنه كثيراً من أصواته، ويلعب بالجغانة، وربّما تخرج عليه؛ لأنه كان كثير النقل عنه.

قلت: وحدّثني بأمر إلقائه الدف، وتلقيه بأنامله، ونقره بكل أنملة منها في نغم القاضي أبي العباس احمد بن قاضي نابلس: [من السريع]

/٣٥٢/ إلى متى أطلُبُ مِنْكَ الوِصالْ مَضَى زَمانِي وانْقَضَى بالمِطالْ

يا قلبُ لا تَطْمَع في وصْلِهِمْ تحصيلُ ما لَمْ يتحصَّلْ مُحالْ[1]

ومنهم:

[١٥١]

يحيى الغَرِيب الواسطي المشيب بن زاده الديسني، جمال الدين، أبو سعيد المشرقي[2]

رجل من الأبناء، حسن الأنباء، أضرَّ بسهم أصابه، وأطال بفقد عينيه مصابه.

وأبوه كردي وأمه من البيت المودودي، مات أبوه بألموت، وقدر له أن يحيا به ويموت.

قال لي ابنه هذا: إنه أجرم جرمة غيّرت عليه هولاكو، وكان هو الذي اصطنعه، ويسر له من الأمل ممتنعه؛ فلما ارتكب عنق الجريمة ومنّى نفسه العظيمة، أودعه المحبس وأقيم، ثم غامت له سماؤه، وغاضت في خلج السيوف دماؤه، ثم أمر به فصلب، وبما ملكت يداه فسلب، وأتبع حريمه وبنوه أشتاتا، وتقاصى عليه الزمان كما واتى.

قال: واشتراني الصاحب شرف الدين هارون بن الجويني، فصرت إليه، وبصرت

---

(١) في هامش الأصل بعده: «منهم: خضر بن جعفر».

(٢) عمر بن خضر بن جعفر زاده الكردي الداسني، جمال الدين، أبو سعيد المشرقي، ولد في ليلة الجمعة ٢٥ رمضان سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م، وامه من البيت المودودي، كان والده متصلاً بهولاكو ثم سخط عليه فقتله، وباع أولاده، فاشترى الصاحب شرف الدين هارون الجويني (عمر) هذا وهو صغير جداً، درس الموسيقى ببغداد فاجتهد حتى فاق في الغناء إلى أن آل أمره إلى أن قدم الشام فاختص بـ(تنكز) فقرّبه وصار يعلم جواري عنده، وكان قبل ذلك اتصل بملوك ماردين، ثم بصاحب حماة، وبلغ خبره الناصر، فاستدعاه وأعطاه خبز حلقته، ثم رتّب له راتباً.

توفي بحدود سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م.

ترجمته في: الدرر الكامنة ٣/ ١٦٤، الموسيقى العراقية ٤٦ـ ٤٨.

فتقربت إليه بما كان ينفق عليه، وكان ينفق عليه الغناء، ومجلسه مأهول بربّ كل فضيلة، وبكل من يأوي منه إلى فصيلة، وكان يغشاه من أهل الغناء الأوحد ابن كسبا، وزير البرواناه، وعبد المؤمن بن فاخر الأرموي، والزين ابن الدهان الموصلي، وحسن النأي، وسعد الدين السليكو، والبدر الإربلي، وأبو بكر التوريزي، وكانوا كلهم أئمة في هذا الشأن، وكان الصاحب ابن الجويني رحب الندي كريم إليه، وبيته للطارق والمشاب وكرمه ما بعده على الزمان غياب، وكان قد أخذ عن هؤلاء، وعرف جيد الغناء من رديئه بدليل وعن نظر، فاجتهدت في الطلب، وأجهدت نفسي حتى فقت في الطرب، ثم قدمت هذا البلاد، ووفدت على حضرة السلطان بمصر، واستخدمت على خبر في الخدمة، وفي جملة الخدام والقصاد بالخدمة حتى أصبت في عيني في بعض المواقع، فرتب لي مرتباً أنا منه أقتات، وقنعت بعد الخبز /٣٥٣/ بالفتات.

وأخبرني أن مولده ليلة الجمعة المسفرة عن الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وستين وستمائة، وأنه صنّف كتاباً في هذا العلم سماهُ: «الكنز المطلوب في علم الدوائر والضروب»، ورأيته وحدّثني بكثير مما فيه.

قلت: وكان الأمير الكامل تنكز قد قرَّبه واستخدمه ليعلّم جواريه، وكان يتردد ويجتمع به، وكان قد قيل: إنه هدى له انقطاع إلى ملوك ماردين، ثم ملوك حماة، وله معهم أخبار لا حاجة إلى الإطالة فيها.

ومن أصواته هذه الأبيات الثلاثة كل بيت منها في صوت: [من الطويل]

أَيَا طَفْلَةً إحدى الكَبائِرِ عِشْقُها ... ويا جَنَّةً قَدْ أُوقِفَتْ في جَهَنَّمِ
بحقِّكِ رُدِّي الطَّيفَ عنِّي فإنَّهُ ... يقولُ بقتلِ المُسْتَهامِ المُتَيَّمِ
ولا تُودِعِي الأَسرارَ عَنِّي فإنَّما ... تَصُبِّينَ ماءً في إناءٍ مُثَلَّمِ

والغناء فيه في الأول في الزاولي يهبط على النيروز، وفي الثاني في الرزوكند، وفي الثالث في العراق، وفي هذا البيت، وهو: [من الطويل]

عَسَى مَنْ كَسَا جِسْمِي السَّقَامَ يَعُودُ ... ويُتُنْجَزُ مِنْ بعْدِ المِطالِ وُعُودُ

والغناء فيه من أصبهان.

وفي هذين البيتين: [من الطويل]

يميناً لقدْ أَسْرَفْتَ يا بدرُ في الصَّدِّ ... على مُغْرَم ما حالَ يوماً عَنِ العَهْدِ
وجاوزْتَ حَدَّ الهَجْرِ والبُعْدِ والقِلَى ... فَهَلْ أَمَدٌ لَّلوصْلِ يقضي مِنَ البُعْدِ

والغناء فيه في الراست.

وفي شعر الشمس الدهان: [من الكامل]

فَضَحَ الغُصُونَ بقَدِّهِ لما انْثَنَى   وسَبَى القلوبَ بلحظِهِ لمَّا رَنَا
وبدا وبدرُ التَّمِّ في ظُلُماتِهِ   بَادِيْ الجَمَالِ وكانَ منْهُ أَحْسَنَا

والغناء فيه في الراست.

وفي هذين البيتين: [من السريع]

أَصْلُ تلافي مِنْ تلافِيكُمْ   يا حبَّذا إنْ كانَ يُرضِيكُمْ
عَذَّبْتُمُ قلبي وما خِلْتُهُ   يَشْقَى وقدْ أصبحَ يأويكُمْ

والغناء فيه في الدوكاه.

وأحضر له من أماليه عدّة أصوات / ٣٥٤/ منها صوت: [من الطويل]

وكنتُ [إذا] جئتُ الحِمَى مُتنكِّراً   أَزورُ بِهِ ليلى سَعَيْتُ على خَدِّي

قال: وتعلمته من ابن كسبا الأستاذ في بحر الطويل، ضربه من الثقيل الخراساني دائرته ثمانية عشر دوراً، كل دور إحدى عشرة دقة، وربع وثمن دقة، منها ثقال وخفاف، الخفاف ونغمة الراست.

صوت من شعر أبي تمام(١): [من الطويل]

وأَحْسَنُ مِنْ نَوْرٍ يُفَتِّحُهُ الصَّبا   بياضُ المَطَايا في سوادِ المَطَالِبِ

قال: وهذا قول صنعته أنا في الاثني عشر نغماً، والست أوزان، وهو من بحر الطويل أيضاً ضربه من الثقيل الخراساني دائرته اثنان وأربعون كل دور اثنتا عشرة دقة.

صوت: [من الوافر]

فتًى جُبِلَتْ يداهُ على العَطَايا   كما جُبِلَ اللسانُ على الكَلامِ

قال: وهو وصنعته أيضاً في الاثني عشر يردا من غير أوز، وهو من الوافر ودائرته ستة وثلاثون دوراً، كل دور اثنتا عشرة دقة، وهو من الضرب الثقيل الخراساني، والشعر للتهامي(٢).

صوت: [من الطويل]

فُؤادٌ بنارِ الشَّوقِ والوَجْدِ مُحْرَقُ   وجَفْنٌ بأَمواجِ المَدامِعِ يَغْرَقُ(٣)

وقال: هذا القول استفدته من الأستاذ صفي الدين بن عبد المؤمن؛ عروضه في

---

(١) ديوانه ١/ ١١٤.
(٢) ديوانه ٣١٢ (تحقيق: عثمان صالح الفريح).
(٣) ديوانه ١٢٠.

الطويل، وضربه من الثقيل الخراساني، دائرته أحد وعشرون دوراً، كل دور إحدى عشرة دقة وربع دقة وثمن دقة.

صوت: [من الكامل]

مَرَّ النَّسيمُ على رُبُوعِ دِيارِهِمْ فَكَأَنَّما كانُوا على مِيعادِ

قال: وهذا قول صنعته أيضاً في نغمة الراست، مظافراً في أربع برداوات أوازين، ومعنى كونه مظافراً أنه يظفر من الراست، وهو أول الأنغام إلى العشاق، وهو آخرها، ثم يعود ويظفر من العشاق وهو آخرها إلى العراق وهو ثانيها، ثم يظفر من العراق، وهو الثاني إلى النوى وهو الحادي عشر.

ومن المعلوم أنّ بين الراست والعراق أواز هو النيروزي، وبين النوى والعشاق أوز /٣٥٥/ هو الكواشت، دائرته أربعة وعشرون دوراً، كل دور إحدى عشرة دقة وربع، وثمن بالسرح، وضربه الثقيل الخراساني فليُعلم.

صوت: [من الطويل]

ولا تودعي الأسرار عنّي وإنَّما تَصُبِّينَ ماءً في إناءٍ مُثَلَّمِ

قال: هذا قول صنعته من نغمة العراق، عروضه من الطويل وضربه من خفيف الخراساني، دائرته ستة وثلاثون دوراً، كل دور اثنا عشر.

صوت: [من الطويل]

رَنَا فانْتَضَى مِنْ جَفْنِهِ كُلَّ لهذمٍ وماسَ فأَزْرَى بالوَشِيجِ المُقَدَّمِ

قال: هذا قول صنعته في برد الأصفهاني، وهو من الطويل، وضربه من الثقيل الخراساني، دائرته أربعة وعشرون دوراً، كل اثنا عشر دقة بالشرح.

صوت: [من الكامل]

اليومَ وعدُكُمُ فأينَ الموعِدُ هيهاتَ ليسَ ليوم وعدِكُمُ غَدُ

قال: وهذا قول أفادنيه صفي الدين بن عبد المؤمن وهو من نغم الزيلفكند، وضربه من الثقيل الخراساني، دائرته أربعة وعشرون دوراً، كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [من الخفيف]

عَبِثَ الشَّوقُ بالرَّكائِبِ والركـ ـبِ فلمْ نَدْرِ أيُّنا المُسْتَهامُ

قال: هذا قول أخذته من الأستاذ صفي الدين بن الباصوان النحوي، وهو من بحر المديد، وضربه خفيف المخمس، دائرته سبع وعشرون، كل دور اثنتا عشرة دقة، نغمته الزنكلى.

صوت: [من الطويل]

تملَّكْتمُ قلبي فصارَ لحبِّكُمْ حِمًى فَرَعَى اللهُ الحِمَى ورَعَاكُمُ

قال: قول من بحر الطويل صنعته في نغم البزرل الكبير، وضربه مختلف، وهو من أربع ضروب، دائرته سبع وعشرون دوراً، كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [من السريع]

تَبُلُّ خَدِّي كلَّما ابتسمتْ مِنْ مَطَرٍ بَرْقُهُ ثَنَايَاهَا

/٣٥٦/ قال: وهذا قول عملته من نغم الرهاوي، يهبط فكند نيروز، وهو من بحر الوافر، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته أحد وعشرون، كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [من الطويل]

يقولُ وقدْ قبَّلتُهُ ورشفتُهُ أَراكَ تُحِبُّ الخَمْرَ والخمرُ في فَمِي

قال: وهو من بحر الطويل، صنعته في نغم الحسيني من ضرب الثقيل الخراساني، دائرته ثمانية عشر، كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [من الطويل]

عليكَ اعتمادي في جميعِ أُمُوري وأَنْتَ مُنى قلبي وأَنْتَ سُرُورِي

قال: [وهذا] قول من بحر الطويل، صنعته في نغم المآه، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته خمسة عشر دوراً، كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

صوت آخر: [من مجزوء الوافر]

لحاظُكَ أَيُّها القمرُ لِقَلبِ الصَّبِّ قدْ أَسِرُوا
وقَدُّكَ مِنْ مَعَاطِفِهِ غُصُونُ البَانِ تَسْتَتِرُ

قال: وهذا جارخانا من بحر الوافر، صنعته في ماآه، مخلص وضربه تركي رخيم، دائرته تسعة أدوار، كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [من الطويل]

صَحَا كُلُّ سكرانٍ مِنَ العَشْقِ قَلْبُهُ وَمَنْ هُوَ سكرانٌ بِحُبِّكَ لا يَصْحُو

قال: وهذا قول استفدته من الأستاذ عجيب الزمان، وهو من بحر الطويل، ونغمه الأبوسليك، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته اثنا عشر دوراً، كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [من الطويل]

إذا ما اشْتَهَى الخَلِخَالُ أخبارَ قُرْطِهَا فَيَا طِيْبَ ما تُملِي عليهِ الضفائِر

قال: وهذا قول من الطويل، صنعته في نغم النوى، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته أربعة وعشرون دوراً، كل دور اثنتا /٣٥٧/ [عشرة] دقة بالشرح.

صوت: [من الخفيف]

طَابَ ذُلِّي ولَذَّ لي فِيْك عَذْلِي وحَلالي بِسَيْفِ حُبِّكَ قَتْلِي

وهذا قول أخذته من الأستاذ المعروف بالنقشواني، وهو من بحر الكامل(١)، ونغمه في النيروز، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته أحد عشر دوراً، كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [من الوافر]

هَلْ لكَ في إغاثِة مُسْتَهَامِ يُقَادُ إلى الغَرامِ بِلا زِمَامِ

قال: وهذا القول من الكامل(٢)، ونغمه الشنهاز، وضربه التركي رخم، دائرته واحد وعشرون دوراً، كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [من الطويل]

تُرى تسمحُ الأيَّامُ لي بِلِقَاكُم ويفرحُ قَلْبِي بَعد طُولِ جَفَاكُم

قال: هذا قول من الطويل، صنعته في نغم الزركشي، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته ثمانية عشر دوراً، كل دور اثنتا عشرة دقة، بالشرح.

صوت: [من الطويل]

ولمَّا تلاقَيْنَا جَرَتْ مِنْ عُيُونِنَا عُيْوَنا كَفَفْنَاهَا بروس الأصابعِ

قال: هذا القول من الطويل، أخذته من الأستاذ سراج الدين الخراساني، ونغمه حجاز، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته ثمانية عشر دوراً، كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [من المنسرح]

كُلَّ جَرِيْحٍ تُرْجى سلامَتُهُ إلا فؤاداً دَهَتْهُ عَيْنَاهَا

وهذا القول من بحر الوافر(٣)، صنعته في نغم الكواشت، ويضرب /٣٥٨/ في

---

(١) الصواب من الخفيف.
(٢) الصواب من الوافر.
(٣) الصواب من المنسرح.

أربعة ضروب الأصول، دائرته أربع عشرة دائرة، وأدواره مختلفة بحسب الضروب المتقدمة.

صوت: [من الطويل]

فُؤادُ بنارِ الشَّوقِ والوجْدِ مُحَرْقٌ   وجَفْنٌ بأمواجِ المدامعِ مُغْرَقُ

قال: وهذا قول أفادنيه أستاذي صفي الدين عبد المؤمن وهو من بحر الطويل، ونغمه اليكاه، دائرته إحدى وعشرون دائرة، كل دور إحدى عشرة دقة وربع، وثمن بالشرح، وضربه الثقيل الخراساني.

صوت: [من الكامل]

إنَّ الملوكَ إذا حَلَلْنَ ببلْدَةٍ   كانُوا كواكبَها وأَنْتَ هِلاَلُ

قال: وهذا القول أفادنيه الأستاذ ابن كُسبَا، وهو من بحر الرجز، ونغمه الدوكاه، ويخالط أنغاماً كثيرة، وضربه الثقيل الخراساني ودائرته سبع وعشرون دوراً، كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [من الطويل]

تكلفْتُمُ مِنْ بُعْدِكُمْ شوقَ واحِدٍ   وحَمَّلتُمونِي شَوْقَكُمْ كلّكُمْ وحْدِي

[قال]: وهذا القول صنعته في نغم السيكاه، وهو من بحر الطويل وضربه الثقيل الخراساني، ودائرته خمسة عشر دوراً، كل دور إحدى عشرة دقة وربع، وثمن دقة بالشرح.

صوت: [من الكامل]

ليسَ الوَدُودُ فتًى يَوَدُّكَ يَوْمَهُ   حتَّى إذا استغنى يَمَلُّكَ في غَدِ

قال: وهذا قول أفادنيه عبد المؤمن صفي الدين، وهو من بحر الرجز وضربه الثقيل الخراساني، ودائرته خمسة عشر دوراً، كل دور اثنتا عشرة [دقة] بالشرح.

صوت: [من الخفيف]

كيفَ يُخْفِي سِرَّ الهَوَى المُستهامُ   هيَ حزوْى وما الخيامُ خيامُ

ولئنْ كانتِ الخِيامُ فَمَا النَّا   سُ بِهِ الناسُ ما الغرامُ الغرامُ

[قال]: هذا قول مشدود من نغمة النوى على حركات الغناء المعلى الموافق للسبابة /٣٥٩/ المعروفة بالصبرعى، وهي عندهم معروفة. ضربه من الثقيل بالدقة

المفردة، دائرته اثنا عشر، كل دور ست مفردة.

صوت: [من الطويل]

تَجَلَّى أَميرُ الحُسْنِ والليلُ قدْ هَدَا فأَيقنتُ أَنَّ الصُّبْحَ مِنْ وجهِهِ بَدَا
ولاحَ مُحَيَّاهُ الكريمُ وقدْ دَجَا ضَلاَلاً فَحَارَ الرَّكب واتَّضحَ الهُدَى

وهذا قول سرح الأرغل الذي يغني فيه الإفرنج، وهو من نغم الماآه، وأبو سليك. ضربه من الثقيل. دائرته أربع وعشرون مفردة.

[هذا] آخر أماليه، وقد روى عن جماعة.

ومنهم:

[١٥٢]

حَسَن الناي

وروي عنه: [من المتقارب]

إنِ استحسنتَ مُقلتي غيرَكُمْ أَمَرْتُ السُّهادَ بتعذِيبِها

والغناء فيه من المحيّر. وفاخر به عبد المؤمن، فأخذه هارون بن الجويني، وقيَّده وجسه، لكونه فخر عليه، فقال: أنا من أضجر من حبسك، ولكن ابعث إلى عبد المؤمن لتحكّمه فحفظه خواجا زيتون وركبه البريدي حتى أتى عبد المؤمن؛ فلما دخل عليه، غناه فسأله لمن هو؟ فحكى له، فقطع على نفسه، وبعث له معه خلعة وبغلة، فقال: حسن ولدي وأنا علمته.

ومنهم:

[١٥٣]

السِّلْكُو

وروي عنه [من الخفيف]

جُودُوا عليَّ بوصلٍ منكُمُ جودُوا عَدِمْتُ صَبْرِي وعنْدِي الوَجْدُ مَوْجُودُ

والغناء فيه من العزال من الشواذ.

وروي عنه: [من الكامل]

كمْ مِنْ دمٍ يومَ الفِراقِ سَفَكْتُمُ لمَّا حَدَتْ بِكُمُ الحُدَاةُ وبِنْتُمُ

والغناء فيه في الرهو.

ومنهم:

[١٥٤]

البدر الإربلي[١]

سيد الجنكيين، وكان عند المظفر بماردين، وقتله مجير الدين بن صبرت أستاذ أرسلان الدوادار، ولم يكن مثله.

ومنهم:

[١٥٥]

التاج بن الكندي[٢]

وروي عنه[٣]: [من الكامل]

---

(١) بدر الدين أبو المعالي، محمد بن علي بن أحمد، (وقيل محمد) ابن الخطيب الشافعي الأربلي ثم الموصلي: موسيقي، نحوي، فقيه، سفير. ولد سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م. درس بإربل. وقدم إلى الموصل وأقام بها مدة وسفر لصاحبها لدى مصر حيث بقي نحو خمسين يوماً. أخذ عنه جمال الدين عمر بن خضر بن جعفر الداسني وأبو المعالي ابن رافع وغيرهما. كان بارعا في النظم والنثر، ذكيا سريع الحفظ. وإلى ذلك كان من أساتذة علم الموسيقى وأكابر رجالها. وهو أول من ذكر أن أصل المقامات هو (الرست) وعنه تفرعت ثلاثة أخر فصارت أربعة. وعن كل من الأربعة تفرع مقامان فصار عددها اثني عشر مقاماً، توفي سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م. له حاشيتان على «التسهيل» لابن مالك و«الحاوي» في فروع الشافعية. وله شرحان على «الشافية» و«الكافية» كلاهما في النحو. وكتابه المهم «ارجوزة الأنغام» في ١٠١ بيت نظمها سنة ٧٢٩هـ نشرت في مجلة «المشرق» البيروتية سنة ١٩١٣م بعنوان «جواهر النظام في معرفة الأنغام» ثم أعاد نشرها عباس العزاوي في كتاب «الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان» بغداد ١٩٥١م.
ترجمته في: الأعلام ٦/ ٢٨٤، بغية الوعاة ١/ ١٧٥، تاريخ الأدب العربي (العزاوي) ١/ ١٧١، ٣٢٧ـ ٣٢٨، الدرر الكامنة ٤/ ٥٧، علماؤنا في خدمة العلم والدين (عبد الكريم المدرس) ص٤٨٣، ٤٨٤، معجم المؤلفين ١٠/ ٣٠٢، كشف الظنون ١/ ٤٠٦، ٢/ ١٣٦٩، الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان (العزاوي) ص٣٧ـ ٣٩، الموسيقى والمغنون خلال الفترة المظلمة (هاشم محمد الرجب) ص٤٤ـ ٤٧، هدية العارفين ٢/ ١٣٥، موسوعة أعلام الموصل ٢/ ١٦٠.

(٢) زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد الحميري، من ذي رعين، أبو اليمن، تاج الدين ابن عصمة الكندي البغدادي، أديب، من الكتاب الشعراء العلماء، ولد ببغداد سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م ونشأ فيها، وحفظ القرآن في صغره وأتقن القراءات العشر على جماعة وله عشر سنين!! وروى عن عالم من مشايخ عصره، وقرأ النحو على الشريف أبي السعادات ابن الشجري، وأبي محمد =

بـالـخِـيْـفِ مُـخْـطَـفَـةُ الـحَـشَـا تَـهْـوَى الـغُـصُـونُ لـهـا الـقُـدُودا
أَخَـذَ الـغـزالُ نـفـارَهـا وأَعـارَهـا طَـرَفـاً وجِـيْـدَا

/ ٣٦٠/ والغناء فيه من العشاق.

ومنهم:

= عبد الله بن الخشاب، واللغة على أبي منصور الجواليقي، وسافر عن بغداد في شبابه وآخر ما كان بها في سنة ٥٦٣ واستوطن حلب مدة وصحب واليها بدر الدين حسن ابن الداية، ثم انتقل إلى دمشق وصحب الأمير عز الدين فروخشاه بن شاهنشاه وهو ابن أخي الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب واختص به وتقدم عنده وسافر بصحبته إلى الديار المصرية واقتنى من كتب خزائنها كل نفيس، وعاد إلى دمشق واستوطنها وقصده الناس ورووا عنه وكثر تلامذته، وممن قرأ عليه الملك عيسى العربية فأقرأه «الكتاب» لسيبويه و«الإيضاح» لأبي علي الفارسي، ودرس النحو واللغة كثيراً، وكتب الخط المنسوب ...

قال ابن خلكان: «كان تاج الدين أوحد عصره في فنون الآداب وعلو السماع وشهرته تغني عن الإطناب في وصفه..» وتفوق تاج الدين بصورة خاصة في اللغة والنحو بالإضافة إلى علو إسناده وحسن سيرته: وقد حظي عند الملوك والوزراء والأمراء، وتردد إليه العلماء واختلف عليه أبناء الملوك وكان الملك الأفضل بن صلاح الدين يحضر مجلسه ويقرأ عليه في «المفصل» للزمخشري، وكان يحضر مجلسه جمع من العلماء بالجامع كالشيخ علم الدين السخاوي ويحيى بن معطي الوجيه اللغوي وغيرهما. وأثنى عليه جمع من الأعلام ومدحه العلماء ومنهم السخاوي بقصيدة حسنة، وممن أثنى عليه ابن الجوزي، وكان أيضاً شاعراً متفنناً بيد أنه كثير الإعجاب بنفسه والاعتداد بما يرويه.

وتوفي بدمشق ضحوة يوم الاثنين ٦ شوال ٦١٣هـ/ ١٢١٧م.

ودفن بجبل قاسيون ومن آثاره: «تعليقات على ديوان المتنبي» و«تعليقات على خطب ابن نباتة» ووضع كتاباً سماه «نتف اللحية من ابن دحية» راداً فيه على ابن دحية الكلبي في كتابه الذي سماه «الصارم الهندي في الرد على الكندي» وللكندي كتاب مشيخة على حروف المعجم كبير، و«ديوان شعر».

ترجمته في: الجواهر المضية ١/ ٢٤٦ وهو فيه: «زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعد» وإرشاد الأريب ٤/ ٢٢٢ وفيه: وفاته سنة ٥٩٧هـ. ومجلة المجمع العلمي العربي ٢١/ ٢٤٨، الأعلام ٣/ ٥٨. معجم الأدباء ٤/ ٢٢٢، وإنباه الرواة ٢/ ١٠ـ ١٤، مرآة الزمان ٨/ ٥٧٥ـ ٥٧٧، الذيل على الروضتين ٩٥ـ ٩٨، وفيات الأعيان ١/ ١٩٦ـ ١٩٧ أو ٢/ ٨٧، تاريخ أبي الفدا ٣/ ١١٧، مرآة الجنان ٤/ ٢٥ـ ٢٧، البداية والنهاية ١٣/ ٧١، طبقات القراء ١/ ٢٩٧ـ ٢٩٨، النجوم الزاهرة ٦/ ٢١٦، بغية الوعاة ٢٤٩ـ ٢٥٠، شذرات الذهب ٥/ ٥٤، روضات الجنات ٣٠٠، أعلام العرب ٢/ ٤٣، معجم الشعراء للجبوري ٢/ ٢٨٦ـ ٢٨٧.

(٣) لم ترد في كتاب «أبو اليمن تاج الدين، زيد بن الحسن الكندي البغدادي» لهلال ناجي والعاني.

[١٥٦]

خواجا أبو بكر النوروزي

وروي عنه: [من السريع]

يـا مَـلِـكَ الأَرضِ ووالِـي الـزَّمـانْ   اشْـرَبْ كُـووسـاً غُـيِّـبَـتْ فـي الـدِّنـانْ

والغناء فيه ضرب الفاختة في بوسليك.

ومنهم:

[١٥٧ـ ١٥٨]

علاء الدين دهن الحصى[1] ، وأخوه الكمال يوسف[2]

وكلاهما فريد، ومنصف مجيد. كان يوسف أمير المطربين وكان أخوه علي نديم الحضرة، وكانا عند لؤلؤ صاحب الموصل، إلى قوم آخرين وهم: تقي الدين بن بياع الدقيق، وكمال الدين بن الدويك، وخواجا صدر الدين النقشواني. فعلاء الدين: [من الطويل]

أُكَـتِّـمُ وجْـدِيْ خِـيـفَـةً مِـنْ عَـوَاذلـي   وأُظْـهِـرُ لـلـواشـي الـنَّـمُـومِ بـشـاشَـتِـي

والغناء فيه في الجاركاه.

ولأخيه يوسف: [من الكامل]

إنْ كُـنْـتُـمُ بـصَـبـابـتـي لا تـعـلـمُـوا   الـلـهُ يـعـلـمُ مـا بـقـلـبـي مِـنْـكُـمُ

والغناء فيه في الرهوى.

---

(١) علاء الدين، علي دهن الحصى الموصلي، من أعلام القرن السابع الهجري/ ١٣ الميلادي، في الغناء، كان فناناً فريداً ومجيداً، وعُدَّ أمير المطربين بالموصل في عهده، ومن المقربين لصاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ (٦١٥ـ ٦٥٧هـ)

ترجمته في: موسوعة الموصل الحضارية ٣/ ٢٥٨، الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان للعزاوي ٤٧ـ ٤٨، الموسيقيون والمغنون خلال الفترة المظلمة ٣٧، موسوعة أعلام الموصل ١/ ٤٦٦.

(٢) كمال الدين، يوسف دهن الحصى الموصلي، من أعلام القرن السابع الهجري/ ١٣ الميلادي في الغناء، والموسيقى، كان أمير المطربين في مجلس أمير الموصل بدر الدين لؤلؤ ونديمه.

ترجمته في: موسوعة الموصل الحضارية ٣/ ٢٥٨، الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان للعزاوي ٤٧ـ ٤٨، الموسيقيون والمغنون خلال الفترة المظلمة للرجب ٣٧، موسوعة أعلام الموصل ٢/ ٣٥٧.

ولابن بياع الدقيق، وهو مصنف ضرب الفاختة: [من الطويل]

صَبَا ما صَبَا حتَّى عَلاَ الشَّيبُ رأْسَهُ فلمَّا علاهُ قالَ للباطلِ ابْعُدِ

والغناء فيه زروكند.

ولابن الدويك: [من الطويل]

عليكَ اعتمادي في جميعِ أُمُوري وأَنتَ مُنى قلبي وأَنتَ سُرُورِي

والغناء فيه للعراق.

وللنقشواني: [من الطويل]

ظَفِرْنا بكُمْ والليلُ مِقْدارُ هَجْعَةٍ وغابُوا كَأَنَّا في المَنامِ رأَيْنَاهُمْ

/ ٣٦١/ والغناء فيه في الحجاز، وهو من المخرج له.

ومنهم:

[١٥٩]

نظام الدين، يحيى بن الحكيم

الجعفري الطياري، البغدادي الدار[1]، المقيم الآن بدمشق حيث تشوق ربوتها، وتسوق الصبابة إلى النفوس صبوتها، قديم بمن ورّاه إلى هذه البلاد آمنين، وأقام

---

(١) يحيى بن نور الدين عبد الرحمن الحكيم الجعفري الطيّاري البغدادي، نظام الدين، له عناية بالحديث، قرأ بنفسه وأسمع أولاده، ورحل بهم من أوطانه. كان موسيقاراً يتقن الألحان والأنغام.

قدم من العراق إلى الشام، وتوجه إلى الديار المصرية، ثم عاد إلى العراق لأجل أملاكه.

توفي سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م، أو بعدها بسنة.

وكان أولاً يكتب الإنشاء عن حكام بغداد، ولما عاد إليها استمر كذلك، وكانت الكتب ترد عن حكام بغداد إلى ديوان الإنشاء بخطه، وكان والده النور حكيماً يطب ملوك المغل وغيرهم. وكان نظام الدين يكتب المنسوب، ويصنع الكوفي والمعقل من أحسن ما يكون وأجوده، ووضع أشياء بخطه في بيت القاضي شهاب الدين يحيى ابن القيسراني، وهي في غاية الاتقان.

يقول الصفدي: وأراني درجاً قد كتب فيه منازل الحج من بغداد إلى مكة، وصوّر ذلك وشجّره في خرقة كتان، وهو من أحسن الأوضاع، في غاية التحرير والاتقان.

وكان أستاذاً في علم الموسيقى، له فيه أقوال وأعمال ينقلها عنه أرباب هذا الفن في الشام ومصر. وكان إذا خلا بمن أحب من الاكابر اندفع وغنى من غير آلة أشياء غريبة، سمعته منه غير مرة، وكان ينظم أيضاً .

ترجمته في: أعيان العصر ٥/ ٥٦١-٥٦٦ رقم ١٩٤٠، الموسيقى العراقية ٤٤-٤٦.

مشكوراً هذه السنين، وعكف على الحديث النبوي يسمعه، ويكتب أجزاءه وطباقه، ويجد له تبكره وسباقه، وله حديث لا يملّ، وأنس على القلوب لا يدل، وفضل أصبح له خلقاً، وكرم لو وصف به غيره، لكان خزفاً، وله مشاركة في الأدب، ومحاسنه تأتي منه بآيات لا يتقاصر بناؤها، وفقرات ظاهر غناؤها؛ فأما صناعة الغناء، فهو محرز قصباتها، ومستمع مضروباتها، لو عرض الموصلي عليه أصواته، لجودها، أو زلزل، لثبّت قدمه ووطدها، أو ابن جامع، لأقر له في المجامع، أو معبد، لاعترف له بأنه المفرط، وهو الجامع، وهو من صدور بغداد، وممن يدخل مع خلّة أهلها في الأعداد، وله جملة محاسن تغني معرفتها عن التعداد.

كان الحكيم نور الدين من الحكماء الفضلاء، والأعيان المتميزين في صناعة الكحل، واتصل بالأردو، وخدم البيت الهولاكي والقان والخواتين والأمراء والخواجكية، واتصل بالوزراء، واختلط في صحبتهم، وعُدّ في جملتهم، وحصَّل الأموال الجمة والملك والعقار، واقتنى ببلاد المغرب والحلة من ذلك ما يتحصل منه الريع الكبير، والمبلغ الجزيل.

واشتغل نظام الدين ولده، وكتب وتأدّب، وأخذ تعليم المنسوب والموسيقى عن السهروردي، وكتب خطّاً حسناً مليحاً، وتفرَّد بعمل المشجرات حتى شجر في العلوم على اختلاف أنواعها، وأجاد في الموسيقى وبرز فيه.

وسمعت من صناعته المطربة، ورأيت من تشجيره الفائق ملء العين والأذن، وسرّ البصر والسمع.

ودنا من السلطان أبي سعيد بهادر قان ـ رحمه الله ـ دنواً زائداً، وكان ممن شملته لديه عناية الوزير ملك الوزراء محمد بن خواجا رشيد وتقدّم به، كان لا يزال يحضر مجلسه، ويكون /٣٦٢/ من المقربين إليه، وأهل الحظوة لديه، واستكتبه القان أبو سعيد، وعنه الكتب العربية التي كانت تكتب إلى سلطاننا وإلى السلطان محمد بن طغلقشاه بالهند، وكانت له جملة كبيرة على ذلك مع ما له من المقدمات والإقدارات والرواتب، وكان لا يتلقى المراسيم إلاّ عن الوزير، ولم يكن كاتباً مستقراً للإنشاء إذ لا عادة للقوم بذلك، ولكنه كان في هذا المعنى، ولقد كانت تجيء بخطه الكتب المليحة البليغة بالخط المليح، والألفاظ الفصيحة السهلة التناول القريبة المأخذ على خاطري

منها في كتاب كبير عن أبي سعيد إلى سلطاننا في معنى الحاج العراقي، وأن توجهه من العراق إلى الحجاز أقرب عليه من توجهه على الشام إلى الحجاز.

قال فيه: والقلوب بالإحسان تملك، وأقرب الطرق إلى الله أولى بأن تسلك، وهاتان كلمتان تقوم في المعنى المقصود مقام كتاب مطول، مع خفّة موقعهما، وتمكنهما في موضعهما، ولقد كان يقع في كتبه في هذه النسبة كل حسن كان يجري على الطلق ممتد الرسن، وقد جهز مرات أميراً على المركب العراقي تارة مستقلاً، وتارة شريكاً، وكانت تجيء أخباره بتوجهه.

ولما آل الملك إلى موسى قان ـ الملك القائم من ولد بيد ـ وضاعف علي باشا بن جنجل القائم بدولته إكرامه، ووفر احترامه، وكان هو والأمير الوزير نجم الدين محمود بن شروين وقاضي القضاة حسام الدين الغوري من خاصة أهل الاصطفاء؛ فلما دارت على موسى قان وعلي باشا الدائرة، وطلّت دماً، وهما في ثورة تلك الثائرة، تسحب الوزير محمود، والقاضي الغوري، وابن الحكيم منهزمين إلى أبواب سلطاننا، فلتقاهم بنعمة، وتولاهم برحمة، ورتب لابن الحكيم بدمشق راتباً، وعينت له الربوة، وأقام بها، واستطاب وطنها، وطلب الحديث، واجتهد فيه، ودأب عليه، وكتب الأجزاء والطباق والإثبات بخطه.

ثم سافر إلى العراق لاستغلال ملكه، فلم يحصل له لاستيلاء الخراب والأيدي العادية عليه إلاّ ما قلّ، فعاد كالخائب.

ثم توجه إلى مصر /٣٦٣/ لحديث يستفيده، وورق يشتريه، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى العراق: [من المتقارب]

أَلاَ ليتَ شِعْري متى نَلتقي؟ ومِنْ مُدَّةِ الهجرِ كَمْ قدْ بَقِيْ؟
لقدْ طالَ عهدُ النَّوى بينَنا كأَنَّ التَّواصلَ لمْ يُخْلَقِ

ومن شعره، ومن أصواته: [من الطويل]

لكُمْ مِنيَ الوُدُّ الذي ليسَ يَبْرَحُ ولِي فيكُمُ الشَّوقُ الشَّديدُ المُبَرِّحُ
وكمْ لِيَ مِنْ كُتْبٍ ورُسلٍ إليكُمُ ولكنَّها مِنْ لَوْعَتِي ليْسَ تُفْصِحُ
وفي القلبِ ما لا أستطيعُ أَبُثُّهُ ولستُ بِهِ للكُتْبِ والرُّسْلِ أُفْصِحُ

زَعَمْتُمْ بأَنِّي قدْ سَلَوتُ هواكُمُ ... لقدْ كَذَبَ الوَاشِي الذي يَتَنَصَّحُ

ومنهم:

[١٦٠]

كمال الدين، محمد بن البرهان الصوفي[(١)]

موصلي الأصل، بغدادي الدار، من أهل الأقدار، ذكره النظام بالأعظام، وأشار إليه في علم الموسيقى، وقال: إنَّ له يداً طولى في معرفته، وأنه بلغ منه مبلغاً يقصر عن وصفه، وذكر أنه يصحب أقضى القضاة ابن السباك، وله به اعتلاق أكيد، واعتلاء ما عليه لمثله مزيد.

ومنهم:

[١٦١]

حسين بن علي المطري العزاوي

متقن لفضيله، ومتيقن لخير فضيله، ومجيد في صناعة يد وخاطر، وسرور سمع وناظر، قرأ كتب الحكمة ودرسها، وصوَّر المشجرات بيده كأنه غرسها، وعرف من الموسيقى ما أخذه بدليل، واطلع منه على علم جليل، وضرب بآلاته كلها لتكميل الأدوات، لا للتكسب والمعيشة، وتزجية زمان يؤمل أن يعيشه، وزين هذا كلّه بنزاهة نفسٍ تعتاف حتى الجليل، ويعف حتى عن الخليل. إلى صفاء باطن ما تكدر، وصدق وداد ما استحال مثل البكاء وتغيَّر.

صحبني بمصر، وقدم علي دمشق، وصور صورة هذا الكتاب، وجاء فيه بعجائب التصوير والاكتساب، وهو أعانه الله ممن قدر عليه رزقه، إلاّ أنَّ عفافه يقنعه، وحكمته عن المطالب تمنعه، ورياضته تشغله بحسن ما / ٣٦٤/ يقرره، وإحسان يده فيما يصنعه.

وله أصوات جليلة، منها في قولي: [من البسيط]

---

(١) محمد بن البرهان الصوفي، كمال الدين، الموصلي الأصل، البغدادي المنشأ، برع في علم الموسيقى، وبلغ فيه شأواً بعيداً، كانت له منزلة كبيرة عند رجال الدولة، وكان صديقاً مقرباً لقاضي القضاة ابن السبّاك، علي بن سنجر البغدادي (ت ٧٥٠هـ).
توفي سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م.
ترجمته في: الموسيقى العراقية ٤٨، الموسيقيون والمغنون خلال الفترة المظلمة ٣٤ـ ٣٥، موسوعة أعلام الموصل ٢/ ٩٥.

سَعَى بكأْسَيه كيْ أُصْلَى بنارَيهِ بالخدِّ والكأسِ يا سُكري بخَمْرَيْهِ
ظَبْيٌ أَغنُّ أَخذتُ المِسْكَ مِنْ فمهِ والعنبرَ الرَّطْبَ مِنْ خَطَّيْ عِذَارَيْهِ
يا سيفَ مُقْلتِهِ الوَسْنَى غَرَرْتَ بنا لمّا استبحتَ فُؤَادِي في غِرَارَيْهِ
لَمْ يَرْضَ قلبي ولا عيني لمسكنِهِ واشَوقَتِي منْهُ لَمْ يَلْمُمْ بِدَارَيْهِ

والغناء فيه زنكلى.

ومنها قولي: [من الخفيف]

حدِّثاني عَنِ الهَوَى العُذْرِيِّ واطْنبا في عِذَارِهِ العَنْبَرِيِّ
واسْتعيرا لِمُقْلَتَيَّ هُجُوعاً واسألا للشَّجِيِّ صَبْرَ الخَلِيِّ
وَهَبَا لِي مِنَ السُّلُوِّ قليلاً أَوْدَعانِي مَعْ كُلِّ صَبٍّ غَوِيٍّ
قدْ أَخَذْتُمْ صَبْرِيْ فَهَلاَّ أَخَذْتُمْ لِيْ فُؤَادِي مِنْ طَرْفِهِ البابليِّ

والغناء فيه عراق.

ومنها في قولي أيضاً في عراق: [من الرجز]

غَنِّ لها بِرَامَةٍ ولَعْلَعِ واذْكُرْ لها ما بالحِمَى والأَجْرَعِ
وانزلْ بسكَّانِ الكثيبِ سُحْرَةً واقْبِسْ لَهِيبَ نارِهِمْ مِنْ أَضْلُعِي
واحْمِلْ إلى أَهْلِ الحِمَى تحيّةً مِنْ عاشقٍ في حُبِّهم، لا يَدَّعِيْ
ولا تَسَلْ سُقيا الحِمَى صَوبَ الحَيَا يكفِيهِ ما سَقَّيْتَهُ مِنْ أَدْمُعِيْ

ومنها في قول لي وهو في عراق أيضاً: [من مجزوء الوافر]

هَوَاكُمْ ما لَهُ سَبَبُ سِوَى قَلْبي كما طَلَبُوا
أَلاَ يا عاذِلِيْ فِيهِمْ دَعِ العُشَّاقَ ينتحِبُوا
أَتعجبُ مِنْ ضَنَى جَسَدِي وحالي كُلُّهُ عَجَبُ
وقالوا: إنَّني مُضْنًى وحقِّ اللهِ ما كَذَبُوا

ومنها في قول لي أيضاً: [من الطويل]

تَجلَّتْ فَلاحَ البدرُ تحتَ نِقابِها وماسَتْ فَفَاحَ الطِّيْبُ طَيَّ ثِيابِها
قضيبٌ وما غُصْنُ النَّقَا مِثْلَ قَدِّها ولا لِيْنُهُ في الرَّوْضِ مِثْلَ شَبَابِها
/٣٦٥/ طَلا الظَّبْي لا يشرق لِحَاظ عُيُونِها كَفَى عينَكِ الكَحْلاءَ صِبْغُ خِضابِها
أَأَهْلِكُ فيها هكذا بصَبَابَتِي وأَخْشَى أُسُودَ الغِيْلِ حَوْلَ قِبابِها
نَأَيْتُ إذاً عَنْ حُبِّ سَمْرَاءَ في الهَوَى إذا لَمْ أَخُضْ بِيْضَ السُّيُوفِ ببابِها
يَلَذُّ إليَّ القتلُ صَبْراً بأَرْضِها إذا دفنوني بعْد ذَا في تُرابِها

والغناء فيه محيّر.

ومنها في قولي: [من مجزوء الكامل]

يـــا حَـبـيـبـي وعَـيْـنِـي خَـلِّ هِـجْـرِي وبَـيْـنِـي
أنــت مِـنْ أَوْفَـى الـبَـرَايـا لا تُـمـاطِـلـنـي بـديـنـي
مـا أَتـى مـنـك [فـ] عـنْـدِي فَـوْقَ رأسِـي ثُـمَّ عَـيْـنِـي
فـاسـقـنـي خَـمْـرَةَ ريـقٍ مِـنْ جَـنـيِّ الـجَـنَّـتَـيْـنِ

والغناء فيه محيّر.

ومنها في قولي: [من مجزوء الخفيف]

فـي الـحَـشَـا مِـنْـكَ نـارُ وأسًـى واذِّكـارُ
طـارَ قَـلْـبـي اشـتـيـاقـاً مـا لـقـلـبـي قَـرَارُ
أَنـتَ غَـضٌّ رَطِـيـبٌ أيـنَ مِـنْـكَ الـثِّـمـارُ
عَـيَّـرُونِـي بـحُـبِّـي لـيـسَ فـي الـحُـبِّ عَـارُ

والغناء فيهما محيّر.

ومنها في قولي: [من الكامل]

لامُوا عليكَ وما قلوبُهُمُ مَعِي كَلاَّ ولاَ عَبَرَاتُهُمْ في مَدْمَعِيْ
يا مَنْ تَلَفَّتَ كالغَزَالِ بلَحْظِهِ حَسْبِي التفاتُكَ يا غَزَالُ ومَطْمَعِيْ
هَبْ أَنَّ سُخْطَكَ لا يزالُ بناظِري مَنْ ذَا الذي أَغْرَى بذكرِكَ مَسْمَعِي
يا هاجِري كُنْ كيفَ شِئْتَ فإنَّني وحياةِ عَيْنِكَ لستُ أَمْلِكُ أَدْمُعِي

والغناء فيه في الرمل.

ومنها في قولي: [من الطويل]

/٣٦٦/ أَأَحبابَنا ما هكذا كُنْتُمُ لنا ما بَيْنَنا لا تُشمِتُوا حاسِداً بِنَا
وما في وفاكمْ مِنْ ضنًى أَوْ حُضُورِكُمْ لَقَدْ لَذَّ لِي في حبِّكُمْ مَلْبَسُ الضَّنَى
وأَنتمْ بَقِيتُمْ لا عَدِمْنا وِصالَكُمْ أَوْفى البَرِيَّة على هَجْرِكُمْ عِنْدَنا
وقلتُمْ بأَنَّا في غنًى عَنْ وِصالِكُمْ علىَ كلِّ حالٍ ما لنا عنكُمُ غِنَى

والغناء فيه سيكاه.

ومنها في قولي: [من الرجز]

مُتَيَّمٌ فيكَ على نارِ الجَوَى تَشُبُّ نيرانُ حَشَاهُ بالهَوَى
باللهِ خَفِّفْ عنْهُ بعض ما بِهِ لَوْ أَنَّه مِنْ جَبَلٍ كانَ هَوَى

وخَـلِّـهِ إذا غَـوَى فـي حـالِـهِ فَـهَـلْ رَأَيْـتَ عـاشـقـاً ومـا غَـوَى
إيـهٍ ورَدِّدْ طِـيْـبَ ذِكْـرَاكَ لَـهُ وغَـنِّ لـلـعـشـاق إلاّ فـي الـنَـوَى

والغناء فيه عشاق.

وحدَّثني ما معناه: أنه كان قد صنع قانوناً اقتناه، وكان ربما غنّى عليه، وأخوه الأديب أبو علي حاضر يسمعه، ويجني له من عوده ثمر السرور أجمعه، ثم فقد أخوه ذلك القانون، وطوى منه طرب المسامع والعيون، فأفكر فيه أيةً ذهب؟ وما الذي اختطف أوقاته به وانتهب؟ ثم وقع على الخبر في ذهابه، وفجيعة أترابه بإطرابه، فإذا به كان قد رأى صبياً فتنه بحسنه، واستماله بميل غصنه، جعل ذلك القانون صداقه، وخلا معه، وعقد عليه عناقه، وبات معه مستبدلاً من نظر الخلوة بجهر الخلوة، فساء ذلك أخاه، وثوَّره ونخاه، وقال: ما أحوجك إلى بلد يصونك، وإخراج العزيز الغالي من مكنونك، وهَبْكَ رأيت ظبياً سانحاً، أعجزت وأنت أنت عن صيده، وقد سنح، وإمساكه، وقد جنح، وهل خلقنا لغير هذا، أو عرفت سهامنا إلى غيره نفاذاً، ونحن نصل من الصيد إلى ما لا يصل إليه الطير، ولا النشاب، ولا غيرهما من مثل هذه الأسباب، ثم حضره في أرجائه، وفسره على هجائه فقال: [من الكامل]

لِـي فـي دمـشـق أَخٌ قـلـيـلُ عَـقْـلُـهُ لا بـلْ سـلـيـبُ الـذِّهْـنِ كـالـمَـجْـنُـونِ
/ ٣٦٧/ أفـعـالُـهُ أَبـداً خـرافٌ كـلُّـهـا لـكـنْ يَـنِـيـكُ الـعِـلْـقَ بـالـقـانُـونِ

[مشاهير أهل الغناء في بلاد المغرب]

ومنهم:

[١٦٢]
غرير[١] جارية الحكم بن هشام[٢]

جارية لو أماطت نقابها للبدر لتلثم، ولو عاطت رضابها البزي، لتأثّم، ولو ألمت بحبّها عزّة الميلاء لما مالت، أو دعت لُبْنَى للبَّت ما قالت، أو أسفرت لابن الرقيَّات لما رابه من ليلى أذى، أو جليت على بقية العشاق لعذر جميل إذا قال[٣]: [من الطويل]

(١) سترد لها ترجمة أُخرى مع اختلاف في النصّ، والاسم غير منقوط، فلعل كل منهما اسمها يختلف عن الأخرى.

(٢) الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، الأموي، أبو العاص: من أفحل ملوك بني أمية بالأندلس، وأول من جعل للملك فيها أبهة، وأول من جنّد بها الأجناد وجمع الأسلحة والعدد وارتبط الخيول على بابه، وهو الذي مهد الملك لعقبه في تلك البلاد. كان يباشر الأمور بنفسه، شديداً، جباراً، ضابطاً لأمر مملكته، يقظاً، يلقب بالربضيّ لإيقاعه بأهل الربض (وهي محلة متصلة بقصره) نمي إليه أنهم يدبرون مكيدة للإيقاع به فقتلهم وهدم ديارهم. مولده بقرطبة سنة ١٥٤هـ/ ٧٧١م ومنشأه فيها. وولي الأمر بها بعد أبيه (سنة ١٨٠هـ) وقامت في أيامه فتن فاشتغل في حسمها، فجاءه أن مجاوريه من الفرنج أخذوا يفسدون في الثغور، فسار إليهم بنفسه (سنة ١٩٦هـ) فافتتح الحصون وخرب النواحي العاصية وعاد إلى قرطبة ظافراً، وهابه الناس، فاستقرَّ له الأمر إلى أن توفي بقرطبة سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢٢م. وكان كثير العناية بالأدب والعلم، خطيباً، له شعر يتفكه بنظمه.

ترجمته في: نفح الطيب ١/ ٢٨٨، ٣٢٦-٣٣١، ٢/ ٨٠، ٣٥٨، ٤/ ٢٠٢ (ط العلمية). والكامل في التاريخ (حوادث سنة ٢٠٦هـ) وما قبلها. والبيان المغرب ٢/ ٧٠ والمعجب للمراكشي، وأخبار مجموعة ١٢٤ والمغرب في حلى المغرب ٣٨-٤٤، وابن خلكان ٤/ ١٢٥، وغزوات العرب ١٢٩-١٣٠ وفيه نقلاً عن المستشرق رينو Reinaud أن الحكم اتخذ من أسراه حرساً خاصاً، قال: «وهو أول أمراء قرطبة الذين اتخذوا حرساً خاصاً من الأسرى والأجانب» وفيه ١٤٦ أن الإفرنج يلقبونه «Abulaz» أي «أبو العاص» وفي فوات الوفيات ١/ ١٤٦ قال أبو محمد بن حزم: كان من المجاهرين بالمعاصي سفاكاً للدماء. وفي جذوة المقتبس: كان طاغياً مسرفاً، الأعلام ٢/ ٢٦٧-٢٦٨.

(٣) صدر بيت لجميل بثينة في ديوانه ٤٩ وعجزه:
«وفي الغُرِّ من أنيابها بالقوادحِ»

رمى الله في عيني بثينة بالقذى

مع سرعة بوادر، وطرف نوادر، وحسن غناء، يجرّ الأفئدة بأشطان، وينفذ إلى القلوب بسلطان، وينفث السحر فلا غرو إذا قيل: إنَّ الغناء مزمار الشيطان.

ومن أصواتها: [من الطويل]

وإنِّي لأستحيي القُنُوعَ ومذْهَبي فسيحٌ وأيّ الشُّحِّ إلاّ على عرضي
وما كانَ مِثْلِي يعتريكَ رجاؤُه ولكنْ أَسَاءَتْ شِيمَة مِنْ فتًى مَحْضِ
وإنِّي وأَشْواقي إليكَ تهمُّنِي لكَلمُكتفي مِنْ زُبْدَةِ الماءِ بالمخْضِ

والشعر لمسلم بن الوليد(١)، والغناء فيه من أول الثقيل.

وكذلك صوتها: [من الخفيف]

يا شَبَابي وأَينَ منِّي شَبَابِي آذَنَتْني أَيّامُهُ بانقضابِ
ومُعَزٍّ عَنِ الشَّبابِ مُوَاسٍ بمشيبِ اللذَّاتِ والأَصحابِ
قُلتُ لمّا انتحى يعدُّ أُساةً مِنْ مُصابٍ شَبَابُهُ فَمُصابِ
ليسَ يأْسُو كُلُوم غير كُلُومي ما بهِ ما بهِ وما بِيَ وما بِيْ

والشعر لابن الرومي(٢)، والغناء فيه في الهزج.

وكذلك صوتها: [من المجتث]

تأَمَّلِ العَيْبُ عَيْبُ وليسَ في الحقِّ رَيْبُ
فكُلُّ خَيْرٍ وشرٍّ دُوْنَ العَوَاقِبِ غَيْبُ
وإنَّما كُلُّ شيءٍ شَبِيْبَةٌ ثُمَّ شَيْبُ
لا تَحْقِرَنَّ شُبيباً كمْ جَرَّ نفعاً شُبيبُ

والشعر لابن الرومي(٣) والغناء فيه...

وحكي أن الحكم /٣٦٨/ كان يهوى جارية من جواريه اسمها حين، فخرج مرّة إلى الصحراء متنزهاً والربيع قد وشى الجلابيب، ووشع مجر ذَيَّالَكَ الكثيب، فنزل والأُصل قد اعتلت كأنها تشكو فراق حبيب، والشمس قد جعل نصب عينها المغيب. وكان قد حلف حيناً، ورآه فبات لا يطعم النوم جفونه، ولا يلمس الرقاد عيونه،

(١) ديوانه ٢٨٦.
(٢) ديوانه ١/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥.
(٣) ديوانه ١/ ١٤٦.

فاستدعى ملهياته؛ ليشغلنه ليلته بطربهنّ، وكانت عزيز شاعرة مغنية لبيبة، أديبة فطينة، كثيرة الرواية، ففطنت لحال مولاها، وما وجده لفراق حنين، ووجهه من القلق لوشيك البين، فصنعت لحناً في شعر بعض الأزد؛ وهو أبو عدي عامر بن سعيد أحد بني النمر بن عثمان: [من الطويل]

أَلاَ مَنْ لنفسٍ لا تُؤَدَّى حقُوقُها إليها ولا ينفَكُّ غِلاًّ وثِيقُها
عَصَتْ كلَّ ناهٍ مُرْشِدٍ عَنْ غُوَاتِهِ فإنَّ لها في الغَيِّ نَحْباً يُسُوقُها
إذا استدبرتْ مِنْ غَيِّها عَطَفَ الهَوَى عليها أُموراً صَعْبَةً ما تُطِيقها
وقدْ دهديت بالحيِّ دارُ مشِيئَةٍ وصرف النَّوى أشتانها وصفوقها
ألا طَرَقتْنا أمُّ سَلْم وأرَّقتْ فيا حَبَّذا إلمامُها وطُرُوقُها
فيا ليتَني حُمَّتْ لنفسيَ مَنِيَّتِي ولمْ يتَعَلَّقْنِي لحِينٍ عُلُوقُها

وردّته حتى أجادته؛ فلما استدعى الحكم جواريه، دخلت غرير من باب المضرب، وهي تغني هذا الصوت، فاهتزّ الحكم حتى خرج عن فرشه، وقال: لله أنت يا غرير ما أبصرك بمواقع البلوى، وأعرفك بمواضع الشكوى. لمن الشعر؟ فقالت: إنه لرجل من بني النمر بن عثمان، فقال: والله أنت أحق به منه؛ إذ أتيت به كأنما صيغ لما نحن فيه، ثم أمرها بإعادته، وبعث لوقته من أحضر حيناً وأقام في متنزهه أياماً كأنما كانت أحلاماً، وأمر لغرير بعشرة آلاف، وأمرت لها حين بمثلها، ثم كانت تصفيها الود مدّة حياة الحكم.

وحكى أنه استدعى بها في غرة يوم طلعت شمساً في صباحه وكأساً لاصطباحه، وكان /٣٦٩/ الحكم لا ينال اللذات إلاّ سراً، ولا يلمّ بالشراب حتى يُلقي عليها ستراً، ولا يجالس إلاّ من داخل ستارة، ولا ينافس في القمر إلاّ من دائرة دائرة، خوفاً من فضيحة الاشتهار، وفراراً من علن الإظهار، وظلّ يقترح يومه عليها، وعلى سائر جواريه الأصوات، ويحث المدام بها في الخلوات، إلى أن صدع الليل زجاج النهار، وبان في جفن عين الشمس الانكسار، وشرعت تنكر الجواد، وتقبل شيعة الليل من الشرف بشعار السواد. قال الحكم: هل فيكم من ينظم في هذا الشعر؟ فبدرت غرير فقالت: [من الخفيف]

قدْ تقضَّى النهارُ إلاّ بَقَايا مِنْ شُعاعٍ مُخلّفٍ للأَصِيلِ
وأَتانا الظلامُ مِنْ قبلِ الشَّرْ قِ فأَهلاً منهُ بخيرِ نزيلِ
دامَ هذا وذا بُطولِ بَقَاءِ الـ حَكَمِ السيّدِ الفَتَى المأْمُولِ

فوقع شعرها منه موقع الاستحسان، ووصلها بما غمرها به من الإحسان، ثم أمرها، فصاغت فيه لحناً، وغنت فيه ليلتها كلّها، وهو يوالى عليه الكؤوس، ويحثّها حتى أحرقت فحمة الليل جمرة الشموس؛ فلما أصبح يزيد التكور إلى الرواق للجلوس على سريره، ويكمله بتصريف الأوامر تمام شكوره، أمر لعزيز بعشرة آلاف درهم، وكارة جليلة من القماش، وزاد في قدر جرايتها، ثم نقلها إلى خواص خطاياه، وأمهات أولاده، وبقيت على هذا حتى ماتت وهي ضجيعته، وعلى وساده.

ومنهم:

[١٦٣]

غرير جارية الحكم بن هشام[(١)]

جارية تفتن البصر، وتعقل اللسان بالحَصَر، وتفوت رام رامة، وتتَّهم بشبهها خادر تهامة، وتصمي الأحشاء من حذقها بقسي ما لها وتر، وتشبّ جمر القلوب من جفنها بما فتر، وتغني والحمام قد أخذت في أهزاجها، والبروق قد علنت بماء السحاب مزاجها، فتهزّ القدّ أكثر من هزّ الأغصان، وتكلف اللحن الشحيح بذل ما صان، ولهذا كان هواها حكماً على الحَكَم، ومستنطقاً لعبراته، وقد أسكته إلبكم، فكان لا يصبر على نأيها، ولا يصبر عن / ٣٧٠/ نايها، يظنّ أنفاسها أنفاسه التي هي مدد الحياة، وسبب وجوده في الدنيا وبقياه.

ولها صناعة في أصوات منها: [من المنسرح]

كانَ رَحِيلِي مِنْ أَرْضِكُمْ عَجَباً وحادثاً مِنْ حَوادِثِ الزَّمَنِ
مِنْ قبلِ أَنْ أعرضَ الفِرَاقَ على قَلْبِي وأَنْ استعدَّ للحَزَنِ

والشعر للعباس بن الأحنف[(٢)]، والغناء فيه من الثقيل الأول.

وحُكي: أنَّ الحكم كان يهوى جارية له لا ترى القمر إلا طالعاً في لَبَّتها، ولا الرائي إلا [في] محبتها، ثم تنكر لها، فتجنت عليه، وتثنَّت إلا أنها ما ألوت إليه، فعزَّ لديه هجرانها، وأعرض عنها، وفي أحشائه نيرانها، ثم لم يجد إلاّ أن أغلظ في عتابها، وظنّه سبباً لمتابها، فزادت عليه تأبّياً كدَّر عيشه، ونكد عليه نكداً ضعضع خيشه، وكان لا يتسلّى، ولا يهنأ بعيش ولا يتملّى، ولم يجسر أحدٌ على خطابه، وكفّ جامح عتابه،

(١) تكرر هذا العنوان في الترجمة السابقة، مع اختلاف في النصّ، والاسم غير منقوط، فلعل كل منهما اسمها يختلف عن الأخرى.
(٢) ديوانه ٢٦٠.

حتى أمر جواريه أن تغنيه، فغنين حين فرغن، وما أغنين، فلمَّا انتهت النوبة إلى غرير، اندفعت تغني هذا: [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبلَ أَنْ يرحَلَ الركبُ ... وقُل إنْ تمنَّيتِ فما مَلَّكِ القلْبُ
وقُل: إنْ أَنَلْ بالحُبِّ منها مَوَدَّةً ... فما فَوقَ ما لاقيتُ مِنْ حُبّكُمْ حُبُّ
وقلْ في تجنِّيها لكَ الذنبَ إنَّما ... عتابُكِ إن عاتبتِ ليسَ لهُ عتْبُ
فَمَنْ شاءَ رامَ الهجرَ أَوْ قالَ ظالماً ... لذي وُدِّهِ ذَنْبٌ وليس لهُ ذَنْبُ

والشعر لنصيب[1]، والغناء فيه ثاني الرمل؛ فقام لوقته، وصالحها، ووهب غريراً، وواصلها، وقال: هلاَّ منكن واحدة فعلت فعلها.

وهذا الصوت من قصيدة طائلة وهي:

خليلَيَّ مِنْ كَعْبٍ أَلِمَّا هُدِيتُما ... بزينبَ لا يفقدْكُما أَبداً كَعْبُ
ومِنْ يومَ زوزاها فإنَّ مَطِيَّنا ... غَدَاةَ غَدٍ عنْها وعَنْ أَرْضِها نُكْبُ
فقُولا لها لمْ يُبْقِ حبّاً ولمْ يَدُمْ ... على الحالِ إلاّ أَنْ يكونَ لَهُ عَتْبُ
/٣٧١/ وقولا لها ما في البِعادِ لِذي الهَوَى ... رَوَاحٌ وما فيها لصَدْعِ الهَوَى شَعْبُ
وقولا لها يا أُمَّ بكرٍ أحله ... مُساعفةٍ في وَصْلِنا أَنْتِ أَمْ حَرْبُ
وقولا لها أَنْ أَجزي بالنصْبِ منكمُ ... سلاماً ففيما قدْ كلِفْت بكُمْ نَصْبُ
فقدْ كنتُ أَعصِي فيكِ أَهلَ قرابتي ... وأَشْغَبُ بالأَقصى الذي قولُهُ شَغْبُ
وأُغْضِي كثيراً عَنْ نَوَاحِي مَقالِهِ ... أَمَضّ لها جِلْدِي كَمَا يُؤْلِمُ الضَّرْبُ
وقدْ أنكرتني الأرضُ بعدَ اغتباطِها ... بمعرفتي والأرضُ طيّبةٌ خِصْبُ
وقدْ قال ناسٌ حَسْبُهُ مِنْ طِلابِها ... فقلتُ: كذبتم ليس لي دونَها حَسْبُ
ومِنْ قبلُ ما قالوا صَبَا فَرَدَدْتُهم ... بقولي: أَلَمْ يلقوا امرأً فيكمُ يَصْبو
وعُلِّقتُها غِراً حديثاً ولمْ تُرِدْ ... شَبَاباً على أَيَّام كانَ لهُ أَتِبُ
إلى اليومِ حتَّى عادَ في رأسِيَ الخَلاَ ... سَرِيعاً وأَقرانِي مَفَارِقُهُمْ شُهْبُ

ومنهم:

---

(١) شعره ٦٠، الأغاني ٦/ ١٣١.

[١٦٤]
بهجة جارية الحكم(١)

جارية تخجل الشمس فتتبرقع بالشفق، ويفصح النسيم، فلا غرو بسعيه إذا خفق. كانت إذا اندفعت للغناء، فتقت ما على المسامع من الغشاء، وطفقت تزيد، وحبابه جارية تنقص، وصفقت الجداول والأغصان ترقص، وانقطعت سلامة القس في ديرها، وقلت فضل بالنسبة إليها، فكيف حال غيرها؟ وكانت تذكر البقية المروانية سالف الأيام، وطائف خيال زمانهم، وفي طاعاتهم الأنام، فيذكر باقيهم أباه الأملاك، ويقول كما قال جدّه عبد الملك: نحن كذلك، فسعى مدامعه البشام، وأسف لطيب أيام، لو تكون له بالشام، وهي الأيام لا تدور، ولا تصفح عمن أضرَّ واعتذر، سلبتهم جلباب ذاك الأوان، وفعلت بهم فعلها بصاحب الأيوان، إلاَّ أنهم عمروا الأندلس بالملاذ، وغنوا بها عن دمشق وبغداد، وداموا بها إلاَّ أن كل نعيم إلى نفاد.

ولها أصوات، فمن مشهور قولها: [من مجزوء الرمل]

يا شَبِيهَ البدْرِ في الحُسْـ ... ـنِ وفي بُعْدِ المنالِ
/ ٣٧٢/ جُدْ فَقَدْ تَنْفَجِرُ الصَّخْـ ... ـرَةُ بالماءِ الزُّلاَلِ

والشعر لابن الرومي(٢)، والغناء فيه في الهزج.

وحُكي: أن الحكم جلس في مجلس له يمتد فيه طلق النظر في فسيح الفضاء، وقد خلا بلذاته، وأقبل على أنسه، وجمع جواريه، واقترح عليهن الأصوات، وجعل بينهن الخيار، فلم تبق واحدة منهن حتى بلغت جهدها، فما أتت به؛ فلما تصرم المجلس أو كاد، وبرز جنح العصر في مجسد من جساد ورقٍ ليصدع زجاجته، وبرق نهر النهار لأنفته من محاجته أقبل عليهن، وقال لهنَّ: أيتكنَّ تصنع لحناً في شعر من أشعار عشاق العرب يحسن لدي موقعه، ويزلف له في قلبي موضعه، حكمت لها على صاحباتها، وأجبتها إلى ما تمنت، فلم يبق منهن إلاّ من صنع لحناً، وأبدع فيه حسناً، وهو لا يقبل عليه، ولا يلتفت إليه، حتى اندفعت بهجة تغنّي هذا: [من الطويل]

وإنِّي لَتَعْروني لِذكراكِ هِزَّةٌ ... لها بينَ جِلْدِي والعِظامِ دَبِيْبُ
وما هُوَ إلاّ أنْ أَراها فَجاءَةً ... فأُبْهَتَ حتَّى ما أكادُ أُجِيْبُ

---

(١) الحكم بن هشام، وقد مرّت ترجمته في هامش الترجمة السابقة.
(٢) ديوانه ٥/ ١٩١٠.

وأُصْرَفُ عنْ رَأْيِي الذي كنتُ أرتأي ... وأَنْسَى الذي أَعْدَدْتُ حينَ يَغِيبُ
ويُظْهِرُ قلبي عُذْرَها ويُعِينُها ... عليّ فَمَا لي في الفُؤَادِ نَصِيبُ
وقدْ عَدِمَتْ نَفْسِي مكانَ شِفائِها ... قريباً وهلْ ما لا يُنالُ قَرِيْبُ
لئنْ كانَ بَرْدُ الماءِ أَبيضَ صافياً ... إليَّ حَبيباً إنَّها لَحَبِيْبُ

والشعر لعروة بن حزام العذري[١]، والغناء فيه ثاني الرمل. فطرب الحكم ومال وقال: والله كأني لهذا كنت أحاول، وله أتطلب، ثم حكم لها على كل من تغنت، وأنجز لها ما تمنت.

ومن أصواتها هذا: [من الطويل]

وإنِّي لمخزونٌ عَشِيَّةَ جِئْتُها ... وكنت إذا ما جِئْتُها لا أُعَرِّجُ
فلمَّا التقينا لَجْلَجَتْ في حديثِها ... ومِنْ آيَةِ الهَجْرِ الحديثُ المُلَجْلَجُ

/ ٣٧٣/ والشعر لأبي دهبل الجمحي[٢]، والغناء فيه في ثاني الرمل مزموم.

وحكي أنها حضرت يوماً لديه، وكان قد وجد لفراق جارية له كانت استأذنته في الخروج للتنزه في بعض القصور، وشعرت لما في نفسه، فغنَّت: [من الطويل]

أَأَحْبابَنا قدْ أنجزَ البينُ وعدَهُ ... وشيكاً ولمْ يُنْجَزْ لنا منكُم وعْدُ
أَأَطْلالَ دارِ العامريةِ باللِّوى ... سَقَتْ رَبْعَكِ الأنواءُ ما فعلتْ هندُ
بنفسِيَ مَنْ عَذَّبْتُ نفسيْ محبَّة ... وإنْ لمْ يكنْ [منها] وِصالٌ ولا وُدُّ
حبيبٌ مِنَ الأَحْبابِ شَطَّتْ بهِ النَوَى ... وأيُّ حبيبٍ ما أَتَى دونَهُ البُعْدُ!

والشعر للبحتري[٣]، والغناء فيه في الثقيل الأول، فقال لها: لكأنَّك كنت في صدري، ثم أمر لها بمائتي دينار، وقطعاً من الجوهر.

وكذلك من أصواتها: [من البسيط]

بانُوا فكانتْ حياتي في اجتماعِهِمُ ... وفي تفرقِهِمْ قلبيْ وإقصادي
وفي الخُدودِ غَمَاماتٌ بَرَزْنَ لنا ... حتَّى تصيِّدَ منَّا كلُّ مُصْطادِ
وهنَّ ينبذن من قول يُصِبْنَ بِهِ ... مواقع الماءِ مِنْ ذِي الغُلَّةِ الصَّادِيْ
يَقْتُلْنَنَا بحديثٍ ليس يعلمُهُ ... مَنْ يَتَّقِينَ ولا مكنُونُهُ بادِيْ

---

(١) ديوانه ٢٢ـ ٢٣.
(٢) ديوانه ٧٨.
(٣) ديوانه ٢/ ٧٤٠ـ ٧٤١.

والشعر للقطامي[1]، والغناء فيه مزموم.

ومن محاسن القصيدة التي منها هذا الصوت:

حَلُّوا بأخصر قدْ مالتْ سرارتُهُ ... مِنْ ذِي غَناءٍ على الأعراضِ أنضادي
ما لي أرى الناسَ مُزْوَرّاً فحولُهُمُ ... عَنِّي إذا سَمِعوا صَوْتي وإنْشادِي
فطالما دبَّ عَنِّي سيرُ جُرد ... يُصْبِحْنَ فَوْقَ لسانِ الرائِحِ الغادِيْ
فلا يُطيقونَ حَمْلِي إنْ هَجَرْتُهُمُ ... وإنْ مَدَحتُهمُ لمْ يبلغُوا آدِيْ
مَنْ مُبْلِغٌ زُفَرَ القَيْسِيَّ مِدْحَتَهُ ... مِنَ القُطَامِيِّ قولاً غَيْرَ أقتادِ
أنِّي وإنْ كانَ قومِي ليسَ بينَهُمُ ... وبينَ قومِكَ إلاّ ضربةُ الهادِي
/٣٧٤/ مُثْنٍ عليكَ بما استيقنتَ مَعْرِفَتي ... وقدْ تعرَّضَ منِّي مُثْقَلٌ بادِي
فلنْ أُنَبِّيكَ بالنَّعماءِ مشتمة ... ولسْتُ أُبَدِّلَ إحْساناً بإفسادِ
وما نَسِيتُ مَقامَ الوردِ يجلسُهُ ... بيني وبينَ خَفِيفِ الغاية العادِي
لولا كتائبُ مِنْ عمرٍو تصولُ بها ... أُرْديتَ يا خيرَ مَنْ يبدُو لهُ البادِي
إذِ الفوارسُ مِنْ قيسٍ تسكنهم ... حَوْلِي شُهُودٌ وما قَومِي بِشُهَّادِ
إذْ يعتريكَ رجالٌ يسألونَ دمي ... ولوْ أطَعْتَهُمُ أبكيتَ عُوَّادِي
والصِّيدُ آلُ نُفَيْلٍ خَيرُ قومِهِمُ ... عِنْدَ الشتاءِ إذا ما ظُنَّ بالزَّادِ
يا قَوْمُ قومِي مَكانِي مَنْصِبٌ لَهُمُ ... ولا يظنونَ إلاّ أنَّني رادِي
وَلاَ كَرَدِّكَ ما لي بَعْدَ كريت ... تبدى السناة أعْدائي وحُسَّادِي
لا يُبْعِدِ اللهُ قوماً مِنْ عَشِيرتِنا ... لمْ يُجْدِ لوناً على الجُلَّى ولا العادِي
محمية وحِفاظاً انهمْ شِيَمٌ ... كانتْ لقوميَ عاداتٍ مِنَ العادِي
لمْ تَرأَ قوماً هُمُ شرّاً لأخْوَتِهِمْ ... منَّا عَشِيةَ يَجْرِي بالدَّمِ الوَادِي
مُسْتَلْبِثِينَ وما كانت أناتُهُمُ ... إلاّ كما لَبِثَ الضَّاحِي عَنِ الغادِي
حتى إذا ذَكَتِ النيرانُ بينَهُمُ ... للحرب يُوقَدْنَ لا يُوقَدْنَ للزَّادِ
بقُرْبِهِمْ لهَذْمِيَّاتٌ يُقرِّبُها ... ما كانَ خاطَ عليهمْ كُلُّ زَرَّادِ
أَبْلِغْ ربيعةَ أعْلاها وأَسْفَلَها ... أنَا وقَيْساً تَوَاعَدْنا لِمِيْعَادِ
فكانَ قَومي ولمْ تُعْدَرْ لهمْ ذِمَمٌ ... كصاحِبِ الدِّيْنِ مُسْتَوفٍ ومُزْدَادِ

(١) من قصيدة قوامها ٦٦ بيتاً في ديوانه ٧٨ ـ ٩١.

ومنهم:

[١٦٥]

مهجة جارية الحكم(١)

جارية تجلو القمر إذا غاب، ويحلّ ظبيها الكانس في غاب، تدني الرغاب، وتلهي بأشجان طربها السغاب، وهو المتمني ورضا المختلي لا يعدوها الاقتراح، ولا يعدلها حبيب وقت راح. إلى ذكاء فطنة لا تقتدحها خواطر النساء، ولا يقترحها الفحول على الخنساء. لو مرَّ بها ذو الرمة لما كان سواها عليه ينفق، ولا وصف غيرها هاني ينفق.

ولها أصوات منقولة مشهورة: [من الطويل]

/٣٧٥/ سأُعْرِضُ عمَّا أَعْرَضَ الدَّهرُ دُوْنَهُ ... وأَشربُها صِرْفاً وإنْ لامَ لُوَّمُ
فإنِّي رأيتُ الكأسَ يا سَلْمَ خُلَّةً ... وَفَتْ لِي ورأسِي بالمَشِيْبِ مُعَمَّمُ
وصَلْتُ فلمْ تَبْخَلْ عليَّ بِوَصلِها ... وقدْ بَخِلَتْ بالوَصْلِ تكْنِي وتَكْتُمُ
ومن هَاذِمِ اللَّذاتِ إنْ حانَ بَعْضُها ... لِيُرغِمَ دَهْراً ساءَهُ فهوَ أَرْغَمُ

والشعر لابن الرومي(٢)، والغناء فيه.

وكذلك صوتها وهو ومما اقترح الحكم أن يغنى فيه: [من الوافر]

أَلاَ زارتْ وهلْ مِنِّي هُجُودُ ... وليتَ خَيالها بمِنًى يعُودُ
حَصَانٌ لا المُرِيْبُ لها خَدِيْنٌ ... ولا يفشى الحديث ولا يَرُوْدُ
ويَحْسُدُ أَنْ نَزُورَكُمُ ويرضَى ... بدونِ البذْلِ لوْ رَضِيَ الحَسُودُ
فلا بُخْلٌ فيُؤنِسُ مِنْكِ بُخْلٌ ... ولا جُودٌ فينفعُ مِنْكِ جُودُ
شَكَونا ما عَلِمْت فَمَا أَوَيْتُمْ ... وباعَدْنا فَمَا نفعَ الصُّدُودُ
هوًى بِتِهامَةٍ وهوًى بنَجْدٍ ... فَلَبَّتْنِي التَّهائِمُ والنُّجُودُ

والشعر لجرير(٣) والغناء فيه.

وحُكي أن بعض جواريه سألته في الخروج إلى بعض متنزهات قرطبة النائية فأذن

---

(١) الحكم بن هشام، وقد مرّت ترجمته في هامش سابق.
(٢) ديوانه ٥/٢٠٩٧ وفيه البيت الأول فقط.
(٣) ديوانه ١٧٥ـ١٧٦.

لها على كرهٍ منه لفراقها، ثم قال: والله لا تذهبين حتى أراك عندي الليلة كلّها.

ثم أحضر جواريه الغناء، وقضى معها ليلة متلألئة السّنَى؛ فلما صدح الصباح، وفتح النهار باباً كان في الليل مرتجاً، أزمعت الجارية على الخروج، وقد قدمت المراكيب، وجاء الصبح بموعده القريب، أخذ الحكم كالإفْكَل، وعلاه النحيب، ثم أنشد متمثلاً قول ذي الرمة(١): [من الطويل]

أَفي الدارِ تبكي أَنْ تَحَمَّلَ أَهلُها ... وأَنتَ امرؤٌ قدْ حكَّمْتكَ العَشائِرُ

وجعل يردد هذا البيت وقال لجواريه: أيتكن سبقت إلى عمل لحن في هذا البيت وما يضمّ إليه فلها حكمها، فابتدرت مهجة وغنت ثم سوغها الحكم ما تمنت. والصوت:

/٣٧٦/ أَفي الدارِ تبكي أَنْ تَحَمَّلَ أَهلُها ... وأَنتَ امرؤٌ قدْ حكَّمْتكَ العشائِرُ
فلا ضَيْرَ أَنْ تستعبرَ العينُ إنَّني ... على ذاكَ إلاَّ حولهُ الدَّمْعِ صابرُ
وإن لابني بأمي مِنْ دُوْنِ صُحْبَتِي ... لكِ الدهرُ مِنْ أُحْدُوْثَةِ النَّفَسِ ذاكِرُ
وأَنْ لا ينامَ الرَّكْبُ تهويمَ وقعةٍ ... من الليلِ إلاّ اعتادَني منْكَ زائرُ

والصوت من قصيدة من غرر [قصائد] ذي الرُّمَّة، ومنها:

لقدْ نامَ عَنْ ليلى لقيطٌ وشاقَنِي ... مِنَ البَرْقِ عُلْوُيٌّ السَّنَى مُتياسِر
أَرِقْتُ لهُ والثَّلْجَ بيني وبينَهُ ... وحومان حُزْوَى فالحمول البَواكِرُ
أَجدَّتْ بأَغباشٍ فأضحت كأنَّها ... مَواقِرُ نَخْلٍ أَوْ طَلُوحٌ نواظِرُ
وتحتَ العَوالي في القَنَا مُسْتَظِلَّةً ... ظباءٌ أعارَتْها العيونَ الجآذِرُ
هيَ الأُدم حاشا كلَّ قَرْنٍ ومِعْصَم ... وساقٍ وما لِيْثَتْ عليهِ المآزِرُ
وغير التحمي دُوْنَها ما وراءَها ... ولا يَحْتَطِبْها الدَّهرَ إلاَّ مَخاطِرُ
قطعتُ بحلفاءِ الدفوف كأنَّها ... مِنَ الحقبِ ملساءُ العَجِيْبَةِ ضامِرُ
إذا القومُ راحُوا رَاحَ فيها مُقَارِفٌ ... إذا شَرِبَتْ ماءَ المَطِيِّ الهَوَاجِرُ
وماء تجافَى الغَيْثُ عنْهُ فَمَا بِهِ ... سواءٌ الحمام الحصين الخصر حاضِرُ
وردتُ وأَردافُ النُّجوم كأَنَّها ... وراءَ السِّماكينِ النهى واليَعافِرُ
على نضوة تهدى برَكْبٍ تطوَّحوا ... على قلصٍ أبصارُهُنَّ عَوَائِرُ

وحكي أن الحكم اقترح عليها أن تصنع صوتاً في شعر أبي تمام وهو هذا(٢): [من الطويل]

---

(١) ديوانه ٢٣٣ـ ٢٤٤.
(٢) ديوانه ٢/ ٤٥١ـ ٤٥٢.

أَنا ابنُ الذينَ استرضعَ المَجْدُ فيهُمُ | وسُمي منْهُمْ وهوَ كَهْلٌ ويافِعُ
مَضَوا وكأَنَّ المكرُماتِ لديْهُمُ | لِكَثْرَةِ ما وَصّوا بِهِنَّ شَرائِعُ
فأَيُّ يَدٍ في المَجْدِ مُدَّتْ فلمْ تَكُنْ | لها راحَةٌ في مَجْدِهِمْ وأَصابِعُ
هُمُ استودَعُوا المَعْرُوفِ مَحْفُوظَ مالِنا | فَضَاعَ وما ضاعَتْ لَدَينا الصَّنائِعُ

/ ٣٧٧/ فصنعت في ثقيل الرمل، فلم يقع في نفسه بموقع، فقالت: سأصوغ له لحناً غير هذا، فقال: هيهات قد تكدّر عليّ صفوه، ولكن انظري شيئاً تصنعين فيه سواه فصنعت في قول أبي تمام(١): [من الطويل]

جَرَى حائِمٌ في حَلْبَةٍ منْهُ لو جَرَى | بها القَطرُ قالَ الناسُ: أَيُّهما القَطْرُ
فتًى ذخر الدنيا أناس ولمْ يَزَلْ | لها باذلاً فانْظُرْ لِمَنْ بَقِيَ الذُّخْرُ؟
فمنْ شاءَ فليفخرْ بما كانَ مِنْ ندًى | فليس لحيٍّ غيرِنا ذلِكَ الفَخْرُ
جَمَعْنَا العُلا بالجُودِ بعدَ افتراقِها | إلينا كما الأَيَامُ يجمعُها الشَّهْرُ

فلما تغنَّت به اهتز الحكم حتى كاد يخرج عن السرير، وقال لها: أحسنت، والله وأجملتِ وزدت على ما في أمنية نفسي، وأمر لها بمائة دينار لكل بيت، فقامت بأربعمائة دينار.

وجمع الحكم يوماً جواريه وأمرهن أن يغنين في شعر الفرزدق(٢): [من الوافر]

وقالوا: إن عرضت فأغنِ عنا | دُموعاً غيرَ راقيةِ السِّجامِ
وكيفَ إذا رأيتَ ديارَ قومٍ | وجيرانٍ لنا كانُوا كِرَامِ
أُكَفْكِفُ عَبْرَةَ العَينينِ منِّي | وما بعدَ المدامِعِ مِنْ لمامِ

فعملن فيه أصواتاً أخذن ألحانها، وأقمن أوزانها، وكانت مهجة أوقعهن على ما في نفسه، فقال لهن: اقترحي حكمك؟، فقالت: أن لا يغنين اليوم إلاّ من أصواتي، فأمرهن بذلك، وأمرها بأن تلقي عليهن حتى حفظن ذلك عنها، ثم غنينه ذلك اليوم بأصواتِها، فأجزل صلتها، ووصل سائرهن.

وهذا الصوت من قصيدة هجا الفرزدق فيها جريراً، ومدح هشام بن عبد الملك، فمنها هجاء جرير(٣):

(١) ديوانه ٢/ ٤٤٦ـ٤٤٧.
(٢) ديوانه ٢٩٠. ط دار صادر.
(٣) أخل بها ديوانه.

وبِـيـضٍ كـالـدُّمـى قـدْ بِـتُّ أَسْـرِي بـهـنَّ إلـى الـخَـلاَءِ عَـنِ الـنِّـيـام
مـشـيـنَ إلـيَّ لـمْ يَـطْـمِـثْـنَ قَـبْـلِـي وهُـنَّ أَصَـحُّ مِـنْ بِـيْـضِ الـنَّـعَـام
وبِـتْـنَ لَـدَيَّ فـيـهِ مُـصَـرَّعـاتٍ وبِـتُّ أَفـضُّ أَغْـلاَقَ الـخِـتَـام
/ ٣٧٨/ كـأَنَّ مَـفـالِـقَ الـرُّمـانِ فـيـه وجَـمْـرَ غَـضـاً قَـعَـدْنَ عـلـيـهِ حـامـي

ومنها في مدح هشام(١):

وغَـيَّـرَ لَـوْنَ راحِـلَـتِـي ولَـوْنِـي تَـرَدِّي الـهَـوَاجِـرِ واغْـتِـمـامِـي
يَـقُـولُ بَـنـيَّ هَـلْ لـكَ مِـنْ رحِـيـلٍ لـقـوم مِـنْـكَ غـيـرِ ذَوي سَـوَام
فـيـنـهـضَ نـهـضـةً لـبَـنِـيـكَ فـيـهـا غـنًـى لَـهُـمُ مِـنَ الـمَـلِـكِ الـشّـآمِـي
أَعِـيـنِـيْ مَـنْ وراءَكِ مِـنْ رَبِـيْـعٍ أَمَـامَـكِ مُـرسَـلٍ بـيَـدَيْ هِـشـام
يَـدَي خـيـرِ الـذيـن رمـوا ومـاتـوا إمـامٌ وابـنُ أَمْـلاَكٍ عِـظَـام
إلـى مَ تَـلَـفَّـتِـيْـنَ وأَنْـت تـحـتـي وخـيـرُ الـنـاسِ كُـلِّـهِـمُ أَمـامِـي
مَـتَـى تَـرِدِي الـرّصـافَـةَ تـسـتـريـحـي مِـنَ الـتَّـهـجـيـر والـدَّبـرِ الـدَّوَامِـي
وتُـلْـقِـيْ الـرَّحْـلَ عـنْـكِ وتـسـتـغـيـثـي بـغـيـثِ الـلـهِ والـمَـلِـكِ الـهُـمـام
وحـبـلُ الـلـهِ حَـبْـلُـكَ مَـنْ يَـنَـلْـهُ فَـمَـا لِـعُـرَى يـديـهِ مِـن انـفـصـام
بـذاكَ يـد ربـيـعُ الـنـاسِ فـيـهـا وفـي الأخْـرَى الـشُّـهـورُ مِـنَ الـحَـرَام
وإنَّ الـنـاسَ لـولا أنـتَ كـانُـوا حَـصَـى حَـزنٍ تَـبَـدَّدَ مِـنْ نـظـام
ولـيـسَ الـنـاسُ مُـجْـتَـمِـعِـيـنَ إلاّ لـخـنـدف فـي الـسّـتـورة والـخِـصَـام
وبـشَّـرَتِ الـسَّـمـاءُ الأَرْضَ لـمَّـا تَـحَـدَّثْـنـا بـإقـبـالِ الإمـام
إلـى أهـلِ الـعـراقِ وإنَّـمـا هُـمْ بـقـايـا مِـثْـلُ أَشْـلاءِ الـرمـام
أَتـانـا زائـرٌ كـانـتْ عَـلَـيْـنـا زيـارَتُـهُ مِـنَ الـنِّـعَـم الـجِـسَـام
فـجـاءَ بِـسُـنَّـةِ الـعُـمُـرَيْـنِ فـيـهـا شِـفـاءٌ لـلـصـدورِ مِـنَ الـسَّـقـام
رآكَ الـلّـهُ أَوْلَـى الـنـاسِ طُـرّاً بـأَعْـوَادِ الـخِـلاَفَـةِ والـسَّـلامِ
رأيـتَ الـظُّـلْـمَ لـمَّـا قـامَ جُـذَّتْ عُـرَاهُ بـشَـفْـرَتَـي ذَكَـرٍ حُـسـام
إذا مـا سـارَ فـي أرضٍ تَـرَاهـا مـظـلَّـمـةً عـلـيـهِ مَـنَ الـغَـمَـام

وهذه في القصيدة أبيات طائلة في وصف الناقة والسير وهي:

تَـزِفُّ إذا الـعُـلاَ قـلـقـتْ عـلـيـهـا زفـيـفَ الـهـادِجـاتِ مِـنَ الـنَّـعَـام

---

(١) ديوانه ٢/ ٢٩١ـ ٢٩٤.

/٣٧٩/ كَأَنْ أَقماراً علقت بُراها ... معلقةً إلى عمد الزخام
كأنَّ العنكبوتَ يبيتُ يبني ... على الأشداقِ مِنْ زَبَدِ اللُّغامِ
رحوف الليل قد بقيت وكَلَّتْ ... مِنْ الآداب فاترة النعام
فما بلغت بنا إلاّ جريضاً ... تَبَقَّى في العِظامِ وفي السَّنام
كَأَنَّ النَّجْمَ والجَوزاءَ يسري ... على آثارِ صادِيَةٍ أوامِ
كأَنَّ العِيْسَ حين أُنخنَ هَجراً ... مُفَقَّأة نواظِرُها سوامِي

ومن أصواتها في شعر ابن الدمينة هذا[1]: [من الطويل]

لقد كان في الهجران لي أجر ... لقد مضى لي الهجر في الهجران منذ زَمانِ
فَوَالله ما أَدْرِي أَكُلُّ ذَوِي الهَوَى ... على ما بنا أَمْ نحنُ مُبْتَلِيانِ

ومنهم:

[١٦٦]
فاتن جارية الحكم[2]

جارية قرطبة بمحاسنها قرطبة، وأفرطت في التمايل بأصواتها المطربة، لو أسفرت، لاتهمت في طلاها كل أم خشف، ولو سقت المحرور بسوى رضابها لم يشف، حجبت بستور الخلائف الأموية حيث دالت دولتها وعادت صولتُها، وسلت من وراء البحر الأخضر سيوفها، فراع بريقه في بغداد أهلَ السواد، وخاف كل راكب على كل عود رقاه الأعواد، وكانت تشف كما تشف الشمس وراء الغمام، وتبدو بدو البدر التمام.

ومن أصواتها المشهورة: [من الطويل]

إذا حانَ مِنّا بعدَ مَيٍّ تَعَرُضٌ ... لنا حَنَّ قلبٌ بالعصابة مُولَعُ
وما يرجعُ الدَّهرُ الزمانَ الذي مَضَى ... وما للفتى في دِمْنَةِ الدار مجزعُ
عَشِيةَ مالي حيلةٌ غيرَ أَنَّني ... بلفظِ الحَصَى والخَطِّ في الدار مُولَعُ
أَخطُّ وأَمْحو الخَطَّ ثُمَّ أُعِيدُهُ ... بكفِّيَ والغِربانُ في الدارِ وُقَّعُ

---

(١) أخل بها ديوانه.
(٢) الحكم بن هشام، وقد مرّت ترجمته بهامش سابق.

والشعر لذي الرمة[1] والغناء فيه. [من الطويل]

/٣٨٠/ وخَرْقٍ إذا الآل استجارت بَهَاؤُهُ   بهِ لَمْ تَكَدْ في حَوْزَةِ السَّيْرِ تنجَعُ
قطعتُ ورقراقُ السَّرابِ كأنَّهُ   مَنَابِتُ في أرجائِهِ تَتَربَّعُ
وقدْ ألبس الآل الأيادِيم وارتَقَى   على كلِّ نَشْرٍ مِنْ حَوَافِيهِ مقنعُ
بمُخْطَفَةِ الأحشاءِ أَزْرَى بنيُّها   جداب السُّرَى بالقوم والطَّيرُ هُجَّعُ
إذا انجابتِ الظَّلماءُ أَضْحَتْ رؤوسُهُمْ   عليهنَ مِنْ طُولِ الكَرَى وهيَ طُلَّعُ
يُقيمونَها بالجهدِ خالاً وينتحي   بها نشوة الإدْلاجِ حِيناً فيركَعُ
قَرَى كُلَّ مغلوبٍ يمدُّ كأنَّهُ   بخيلين مِنْ مَشْطوبَةٍ يتنوَّعُ
على مسلهماتٍ بجانب سَقْيِها   غرائب حاجاتٍ وبهماء بَلْقَعُ
بدا نابُها مِنْ أَهْلِها وهيَ بدنٌ   فقدْ جعلت في آخِرِ الليلِ تُصرَعُ
وما مِلْنَ إلاّ ساعةً في مغوّرٍ   وما بِتْنَ إلاّ تلكَ والصُّبْحُ أَدْرَعُ
إذا أَبطأَتْ أيدي امرىء القيسِ بالقِرَى   عَنِ الركبِ جاءتْ حاسِراً لا تقنعُ
كأنَّ مُناخَ الراكبِ المُبتَغِي القِرَى   إذا لَمْ يَجِدْ إلاَّ امرءَ القَيس بَلْقَعُ

ومنهم:

[١٦٧]

فاتك جارية الحكم بن هشام

عقيلة حجب، وعقيدة نجب، بيضاء حمراء، غرّاء قمراء، فاتر لفظها، فاتك لحظها، اكتنفتها الستور الأموية، وكفتها أن تعدل معها أحد بالسوية، ورقت تلك السّرر، وراقت لها نطف تلك الغدر، وكانت زهرة زهراتها، وثمرة سراتها.

وحكي أنها بلغت من الأدب ما نطق لسانها، وحقق إحسانها، وولعت بصناعة الغناء حتى كانت بأفق الأندلس بدل بدل، ونظير ما ضرب به مثل مثل، وأمل المقترح، وزيادة على أمل، أكثر ماله للقدود من نوافح الضياء، وسوافح الأنواء.

ومن أصواتها: [من الطويل]

أَمِنْ رَسْمِ دارٍ مَرْبَعٌ ومَصِيفُ   بعينيكَ مِنْ ماءِ الشُّؤُونِ وَكِيْفُ
تذكَّرتُ فيها الحَيَّ حَتَّى تَبادَرَتْ   دُمُوعِي وأَصْحابِي عليَّ وُقُوفُ

---

(١) ديوان ذي الرمة ٣٠٦ـ ٣١١.

/ ٣٨١/ يقولونَ: هل يبكي مِنَ الشَّوقِ حازِمٌ   وإن بانَ حِبٌّ بالنَّوَى وأَلِيفُ
فَلأْياً أَزَاحَتْ عِلَّتِي ذاتُ مَنسم   بكَيتُ لها إثْرَ الفِرَاق وَحِيْفُ

والشعر للحطيئة[1]، وفيه تحريف كَلِم، والغناء فيه من المزموم.

ومن تمام هذا الشعر: [من الطويل]

إليكَ سعيدَ الخيرِ حَيْثُ مهامها   يقابلنني آل بها وتنوفُ
فلولا الذي العاصِي أبُوهُ لمَا ثَوَتْ   بحورانَ مِذْعانُ العَشِي عَصُوفُ
وذاكَ أَصيلُ اللُّبِّ غضٌّ شَبَابُهُ   كريمٌ لأيام المَنُونِ عَزُوفُ
إذا همَّ بالأعْدَاءِ لمْ يَثْنِ هَمَّهُ   حَصَانٌ عليها لؤلؤٌ وشُنُوفُ
حَصَانٌ لها في البيتِ زِيٌّ وبَهْجَةٌ   ومَشْيٌ كما تَمشِي القَطَاةُ قطوفُ
ولو شاءَ وارى الشَّمْسَ مِنْ دُونِ وجْهِهِ   حِجابٌ ومَطْوِيُّ السراةِ مُنِيْفُ
ولكن إدْلالاً بشَهْباءَ فَخْمَةٍ   لها لقح في الأعجمينَ كُشُوفُ
إذا قادَها للموتِ يومٌ تتابَعَتْ   أُلُوفٌ على آثارِهِنَّ أُلُوفُ
فصفوا وما ذِيُّ الحَدِيدِ عليهمُ   وبِيْضٌ كأولادِ النَّعام كَثِيفُ
خفيفُ المِعى لا يملأُ الهمُّ صَدْرَهُ   إذا سُمْتَهُ الزادَ الخَبِيثَ عَيُوفُ

وحكي أن الحكم دخل عليها وهي نائمة، وقد كحلت أجفانها بسباتها، وصقل صفائح وجناتها، قد وسدها سكر الدلال اليمين والشمال، وجلا منها إطراح اللثام ما تحت الخُمُر والغلائل، وقد كلل الجبين لؤلؤ العرق، واجتمع الحسن فيها كما اتفق، فاختلس منها قبلةً، أكل بها ما وجد من الحلاوة في صحن خدّها، ثم ضمّها إليه ضمّة دخل بها بين ترابيها وعقدها، وهي لا تتيقظ كأنها مخمورة، ولا تنفك من يده كأنها مأسورة، ثم لم يزل يقبلها في مضجعها ويقلّبها، ولا يرثى لتفجعها حتى ذبل وَرْد مراشفها، وانتهب عناقيد سوالفها، فانتبهت كأنها ظبية مذعورة، وقامت تهتزُّ كأنها غصن بانٍ ممطورة، ثم قالت: [من الخفيف]

/ ٣٨٢/ مَنْ أباحَ التقبيلَ واللثمَ خَدِّي   فَجَنَى رِيقَتِي وذَبَّل ورْدِيْ
ليتَ مَنْ جاءَ آخرَ الليلِ نَحْوِي   كانَ حِبِّي مِنْ أَوَّلِ الليلِ عندِيْ

فقال: الحكم لله أنت إذ قمت، ولله أنت إذ قلت، ثم أمرها فغنت فيها، ولم يزل يردد الصوت ويستعيده ويستطيبه ويستجيده حتى كان ذلك لها يوماً معدوداً، وعيداً

---

(١) ديوانه ٨١ ـ ٨٤، ط دار صادر.

لا عيب فيه إلاَّ أنا لم نره مشهوداً.

ومنهم:

[١٦٨]

أفلح الرباني

ممن قدم على الحكم. رجل لا يمل منه سمير، ولا يحل مثله في ضمير. قدم على الملك الهمام، وتقدم الصفوف إلى الأمام، وسلطان الحكم يومئذ زاخر العباب، فاخر الجلباب، وطائره ميمون، وزائره ما عليه إن فاته المأمون، وقد أُزلفت له بقرطبة الجنان، وزُخرفت الأفنان، والحكم ينفض عن الحكم وَسَنه، ويسكت من الرق لسنه، وأياديه بيض، وغواديه تفيض، وأعاديه إذا ذُكرت ذكره تحيض، فاشترى إليه ما لم يجده عنده ابن أبي سفيان سائب خاثر من الأيادي، ولا عند ابن يزيد عمرو الوادي.

ومن أصواته: [من الطويل]

دَعِ القلبَ واستبقِ الحياءَ فإنَّما ... تُبعِّدُ أو تُدْنِي الرَّبابَ المقادِرُ
أَمِتْ حُبَّها واجْعَلْ رجاءَ وِصَالِها ... وعِشْرَتِها كبُغْضِ مَنْ لا يُعاشَرُ
وهَبْها كشيءٍ لمْ يكنْ أَوْ كَنَازِحٍ ... بهِ الدارُ أَوْ مَنْ غَيَّبَتْهُ المَقابِرُ
فكالناسِ عُلِّقْتَ الرَّبابَ فلا تَكُنْ ... أَحاديثَ مَنْ يَبْدُو ومَنْ هوَ حاضِرُ

والشعر لعمر بن أبي ربيعة(١).

ومنهم:

[١٦٩]

رغد جارية المغيرة بن الحكم

جارية لم تكن أيام وصلها هي العيش لما سميت رغدا، ولا جعلت لليوم غداً. متعت القلوب بصفائها، وجمعت بين العيون وإغفائها ووصلت إلى البقية الأموية وقد سلبوا رداء الخلافة، وقربوا من /٣٨٣/ ردي الهلك فأحيت الذماء، وأحرزت الدماء، فكانت تضيء في مجالس القوم إضاءة السمع المتقدم، وتجلس من تعنت المنتقد إلاّ أنها كانت حاكمة على المغيرة، لو كلفته بذل نفسه لما بخل، وألجأته إلى ما دخل فيه الوليد لدخل، حتى كادت تكون المبيرة، وتنهب غارتها لبّ المغيرة، ويحكى عنها

(١) ديوانه ١٣٣.

كمال أدب كانت أتقنته، وإتقان طرب حسنته، وتمام جمال أوتيت منه أوفر الحظوظ، وأوفى ما يرى من الحسن الملحوظ، وفضل أدواتٍ وإجادة في شعر وأصوات.

ومن شعرها الذي لحنته: [من الخفيف]

أَيـنَ أَيـامُـنـا بِـجِـلِّـقَ .... كـانَ ذاكَ الـزَّمـانُ لـلـدهْـرِ عَـيْـنـا
ومـسـتـتـونـا واسـهـر وكـلَ عـيـنٍ لا تَـهَـنَّـا الـعَـادِيْ ولا قـرَّ عَـيْـنـا

ومن أصواتها المشهورة: [من الطويل]

إذا قُـمْـنَ أَو حـاولـنَ مَـشـيـاً تـأطّـراً إلـى حـاجـةٍ مـالـتْ بـهـنَّ الـرَّوادِفُ
فـلـمَّـا هَـمَـمْـنـا بـالـتّـفـرُّقِ أَعْـجَـلَـتْ بـقـايـا الـلُّـبـانـاتِ الـدُّمُـوعُ الـذَّوَارِفُ
فـأتْـبَـعْـتُـهـنَّ الـطَّـرفَ متّـبِـلَ الـهـوى كـأَنِّـي يُـعـانـيـنـي مِـنَ الـجِـنِّ طـائِـفُ
وكـلّ الـذي قـدْ قُـلْـتُ يـومـاً لَـقِـيـتُـكُـمْ عـلـى حَـذَرِ الأَعـداءِ لـلـقـلـبِ شـاغِـفُ

والشعر لعمر بن أبي ربيعة(١)، والغناء فيه في الثقيل الأول: [من الطويل]

لـقـدْ هـاجَ هـذا الـقـلـبُ عَـيـنـاً مـريـضـةً أَحـالـتْ فـدًى ظلَّـتْ بـهِ الـعـيـنُ تـمـرحُ
صَـحَـا الـقـلبُ عَنْ سلمى وقدْ بَرَّحَتْ بِهِ ومـا كـانَ يـلـقـى مِـنْ تُـمـاضُـرَ أبـرحُ
إذا سـايـرَتْ أسـمـاءُ قـومـاً ظَـعـانـيـاً فـأسـمـاءُ مِـنْ تـلـكَ الـظَّـعـائِـنِ أَمْـلَـحُ
تـقـولُ سُـلَـيْـمـى: لـيـسَ لـلـبـيـنِ راحـةٌ بَـلَـى إنَّ بـعـضَ الـبـيـنِ أَشْـفَـى وأَرْوَحُ

والشعر لجرير(٢)، والغناء فيه في الرمل المزموم.

وهذه قصيدة هي [من] قلائده أولها: [من الطويل]

أَجَـدَّ رواحُ الـحـيِّ أَمْ لا تـروّحُ نَـعَـمْ كـلُّ مَـنْ يـعـف بِـجُـمـلٍ يـتـبـرح
/ ٣٨٤/ إذا ابتسمتْ أبدتْ غُروباً كأَنَّها عـوارضُ زمـنٍ تـسـتـهـلُّ وتـلـمـح

ومنها في وصف السير في وقت قيظٍ:

أعـانـفـنـا مـاذا تُـعَـنِّـفُ قَـدْ مَـضَـتْ مـوارحُ قُـدَّامَ الـمَـطِـيِّ وسُـنَّـحُ
نقيسُ بقيَّاتِ النّطافِ على الحَصَى وهـنَّ عـلـى طَـيِّ الـحَـيَـازِيـم جُـنَّـحُ
ويوم مَنَ الجوزاءِ مُسْتَوْقِد الحَصَى تـكـادُ صَـيـاصِـي الـعَـيْـنِ مـنـهُ تَـصيحُ
شـديـد الـلَّـظَـى حـامِـي الـوَدِيْـعَـةِ رِيْـحُـهُ أَشَـدُّ لـظًـى مِـنْ شَـمْـسِـهِ حـيـنَ يـصـبـح
نـصـبـتُ لـه وجْـهِـي وعَـنْـسـاً كَـأَنَّـهـا مـن الـجـهـد والإسـآدِ قَـرْمٌ مُـلَـوَّحُ

(١) ديوانه ٢٥٤ـ ٢٥٧.
(٢) ديوانه ١١٨ـ ١١٩.

ومن أصواتها: [من البسيط]

إنّا محيُّوكَ فاسلمْ أيُّها الطَّلَلُ وإنْ نَأَيْتَ وإنْ طالتْ بكَ الطّولُ
إني اهتديت لتَسْلِيم على دِمَنٍ بالغمر غَيَّرَهُنَّ الأعصرُ الأُوَلُ
فهنَّ كالحللِ الموشّى ظاهرُها أو كالكتابِ الذي قدْ مَسَّهُ بَلَلُ
كانتْ منازل منّا قد يحلُّ بها حتَّى يغير دَهْرٌ خائن خيلُ
أمست عليه ترتاحُ الفؤاد لها وللرواسِمِ فيها بَيْنَنا عَمَلُ
والعيشُ لا عيشَ إلاّ ما يُقَرِّبُهُ عين ولا حالَ إلاّ سوفَ ينتَقِلُ

والشعر للقطامي، عمرو بن شييم بن عمرو التغلبي(١)، والغناء فيه.

وهو هذه الأبيات من كلمة له طويلة طائلة أغار مسلم بن الوليد على سرحها، وجهد نفسه حتى اطَّلع على صرحها، ومنها:

والناسُ مَنْ يَلْقَ خيراً قائلونَ لهُ ما يَشْتَهِي ولأم المُخطِىء الهَبَلُ
قدْ يُدركُ المتأنِّي بعض حاجَتِهِ وقدْ يكونُ مَعْ المُستعجِل الزَّلَلُ

ومنها في وصف الأينق:

حتَّى تَرَى الحُرَّةَ الوجناءَ لاغِبةً والأرجوي الذي في خَطْوِهِ خَبَلُ
خُوضاً يدير عُيُوناً ماؤُها سربٌ على الخُدُودِ إذا ما اغرورَقَ المُقَلُ
/ ٣٨٥/ تَرْمي الفِجَاجَ بها الرُّكبانُ مُعْتَرِضاً أعناقَ بزلها مُرخَى لها الجدلُ
لَوَاغِب الطَّرف مَثْقَوباً جوانبُها كأنَّها قُلُبٌ غادية مكل
يمشين رَهْواً فلا الأعجازُ خاذِلَةٌ ولا الصدورُ على الإعجازِ تَتَّكِلُ
يَتْبَعْنَ شامِيَّةَ العَيْنينِ تحسَبُها مجنونةً أم تَرَى ما لا تَرَى الإبِلُ

ومن أصواتها المشهورة: [من الطويل]

تغنّ بِرَيَّا يابنَ سعد فإنَّما تُلامُ على الصَّمْتِ النِّساءُ الحَرَائِرُ
غِناءً يَظَلُّ الجُودُ مِنْهُ كأَنَّما على رأْسِها مِنْ سَوْرَةِ السَّمْعِ طائِرُ

والشعر للصمة بن عبد الله القشيري(٢)، والغناء فيه: [من المنسرح]

لا النومُ أَدْرِي بِهِ ولا الأَرَقُ يَدْرِي بِهَذَيْنِ مَنْ بِهِ رَمَقُ
إنَّ دُمُوعي مِنْ طُولِ ما استبقتْ كَلَّتْ فَمَا تستطيعُ تَسْتَبِقُ

---

(١) ديوانه ٢٣ـ ٢٤.
(٢) أخل بها ديوانه.

ولِـي مـلـيـكٌ لـمْ تـبـدُو صُـورَتُـه ... مُـذ كـان إلاّ صَـلَّـتْ لـهُ الـحَـدَقُ
نـويـتُ تـقـبـيـلَ وجـنـتـيـهِ وخِـفْـ ... ـتُ أَدْنُـو مِـنـهـا فـأَحْـتَـرِقُ

والشعر للصنوبري[١]، والغناء فيه ثاني الرمل.

ومنهم:

[١٧٠]

سليم مولى المغيرة بن الحكم

رجل سعد بمواليه، وصعد حتى رأى النجم يليه، خلطوه بأنسابهم، وخلّوه معدوداً في أحسابهم.

أخذ الطرب عن رسلٍ أتوه من قبل النصارى، وأمر بتأخيرهم، ووكل بهم إلى حين مسيرهم، وأتقن الفنّ وحقق الظنّ.

ثم أتى المغيرة بن الحكم بجارية عراقية كانت قد انتخبت له من تلك الخادر، وأتت تقيم بحسنها عذر العاذر، وكانت تطارحه الغناء حتى برع، وجمع الغناء العراقي مع ما جمع، وكانت تجري بينهما في مجلس المغيرة مؤاخذات أرق من نسمات الأسحار، وأعطر من نفحات الأشجار، آهاً عليها كيف لم تنقل وتجلس شواردها ويعقل.

ومن أصواتها به: [من البسيط]

/٣٨٦/ أَمِنْ خُلَيْدَةَ وَهْناً شَبَّتِ النارُ ... ودُونَـهـا مـن ظَـلامِ الـلـيـلِ أَسـتـارُ
بـاتَـتْ تَـشُـبُّ وبِـتْـنـا الـلـيـلَ نَـرْقَـبُـهَـا ... تـعـنـى قـلـوبٌ بـهـا مَـرْضـى وأَبـصـارُ
فَـمَـا أُبـالِـي إذا أَمْـسَـيْـتِ جـارَتَـنـا ... مُـقِـيْـمَـةً مـا أَقـامَ الـنـاسُ مـا سَـارُوا
يـا أَيُّـهـا الـلائـمـي فـيـهـا لأَصْـرِمَـهـا ... كَـثَّـرْتَ لـوْ كـانَ يُـغْـنِـي عـنْـكَ إكـثـارُ
فـاقْـصِـدْ فـلـسـتَ مُـطـاعـاً إنْ وشَـيْـتَ بـهـا ... لا الـقـلـبُ سـالٍ ولا فـي حُـبِّـهـا عـارُ

والشعر للأحوص بن محمد الأنصاري[٢]، والغناء فيه ثاني الرمل.

وهذه القطعة من قصيدة فيها أبيات مختارة منها[٣]:

جـود مـتـبـلـة يـصـح الـعـبـيـر بـهـا ... كـأَنَّـهـا رَوْضَـةٌ مـيـنـاءُ مِـخْـبـارُ

---

(١) ديوانه ٣٦٩.
(٢) شعره ١٢١ ـ ١٢٢.
(٣) شعره ١٢٣.

لـو دبَّ حَـوْلِـيُّ ذَرٍّ تـحـتَ مِـدْرعـهـا أَضـحـى بـهـا مِـنْ دَبِـيْـبِ الـذَّرِّ آثـارُ
كـأَنَّ خَـمْـرُ مُـدام طَـعْـمُ رِيـقَـتِـهـا مـمـا يـنـير خَـلاَيـا الـنَّـحْـلِ مُـشْـتَـارُ

ومنها في المديح[1]:

لـولا يـزيـدُ وتـأْمِـيـلِـيْ خـلافَـتَـهُ لـقـلـتُ ذا مِـنْ زَمـانِ الـنـاسِ إدْبـارُ
إنِّـي أَرَى زَمـنـاً لـلـمُـرْجِـفِـيْـنَ بِـهِ عِـزٌّ وفـيـهِ لأَهـلِ الـدِّيـنِ إضْـرَارُ
أَعَـزُّ لـو قـامَ فـي ظَـلْـمـاءَ داجِـيَـةٍ وَهْـنـاً لَـحَـانَ لِـدَاجِي الـلـيـلِ إسـفَـارُ
إنْ يُـنْـسَـبُـوا فـهـوَ إنْ عَـدُّواً لأَربـعـةٍ خَـلائِـفٍ كُـلِّـهـمْ لـلـديـنِ أَنْـصـارُ

وحضر مرة مجلس الحكم، وقد قعد مقعد الخلافة، وقد أتي بكتب جاءت بها التجار من بلاد المشرق، وقد حملت رياضتها إلى نوءه المغدق فرمى بطرفه ديواناً منه قد ضمن شعر المفلتين الثلاثة الذين فضلوا في الجاهلية، ومنهم المُسيب بن علس بن مالك[2] خال الأعشى، فأخذه الحكم بيده وفضّ مرتج أغلاقه، وتأمل ما فيه من نفائس أعلاقه، فرأى منها كلمته[3]: [من الكامل]

بـانَ الـخَـلِـيـطُ ورُقّـعَ الـخـرقُ فـفُـؤادُهُ فـي الـحَـيِّ مُـعْـتَـلـق
مـنـعُـوا طـلاقـهـمُ ونـابِـلُـهُـمْ يـومَ الـفِـراقِ فَـرَهْـنُـهُـمْ غَـلـقُ
/٣٨٧/ قَطَعُوا المَزَاهِرَ واستَتَبَّ بهم يـومَ الـرَّحـيـلِ لِـلَـغْـلَـعِ طـرقُ
رجـلا يـتـابـع خـلـفـهـا رجـل نـشـط الـعـقـالِ قـواهُ مـنـطـلـق
لـلـعـبـقـريّـة فـوقـهـا صُـبُـحٌ كَـدَمِ الـذَّبِـيْـحِ نَـجِـيْـعُـهُ دُفُـقُ
وكـأَنَّ ظـعْـنَـهُـمُ مـقـفـيـةٌ نـخـلٌ ابـن يـا مـن مـوقـر سُـحُـقُ
وكـأَنَّ ظَـعْـنَـهُـمُ الـغَـدَاةَ غَـدَوا والآلُ تَـسْـتُـرُهُـمْ وتَـنْـخَـرِقُ
جَـبَّـار عـبـدانٍ أمـرَّ لـهُ دُوْنَ الـفُـراتِ مُـدَعْـدَعٌ مـنـق

---

(١) شعره ١٢١ـ ١٢٢.

(٢) المَسَّيب بن عَلَس بن مالك بن عمرو بن قمامة، من ربيعة بن نزار: شاعر جاهلي. كان أحد المقلّين المفضَّلين في الجاهلية. وهو خال الأعشى ميمون، وكان الأعشى راويته. وقيل: اسمه زهير، وكنيته أبو فضة. له «ديوان شعر» شرحه الآمدي.
ترجمته في: جمهرة أشعار العرب ١١١، ورغبة الآمل ٤/ ٢١٩، وشرح شواهد المغني ٤١، والشعر والشعراء ٦٠، وخزانة البغدادي ١/ ٥٤٥، وجمهرة الأنساب ٢٧٥، وشرح اختيارت المفضل للتبريزي ـ خ، وتجد طائفة من شعره في ديوان الأعشى ميمون، طبعة يانة، ص٣٤٩ـ ٣٦٠. الأعلام ٧/ ٢٢٥، معجم الشعراء للجبوري ٥/ ٣٨٣ .

(٣) شعره ١١٧ـ ١٢١.

عَـلَـتِ الـغُـدُوْقُ عـلـى كَـوَافِـرِهـا مُـتَـلَـفِّـعٌ بـالـلِّـيـفِ مُـنْـتَـطِـقُ
خُـمْـر الـكَـبَـائِـشِ قَـدْ يـنُـوءُ بـهـا وهـوَ الـخِـضـابُ كـأَنَّـهُ عَـلَـقُ

فأمره أن يغني فيها بقوله:

[فـ]رَمَـيْـنَـنَـا فـي كـلّ مـرتـقـبٍ تـحـتَ الـجـدور وسـيـرُهُـمْ نـسـقُ
غِـيْـدٌ سَـوالِـفُـهـا وأَوْجُـهُـهـا بِـيْـضٌ وفَـوَقَ صُـدُورِهـا الـحُـقَـقُ
تَـبَـلَـتْ فُـؤَادَكَ إذْ عَـرَضْـتَ لـهـا حـسـن بِـرَأْيِ الـعَـيْـنِ مـا تـمـقُ
بـمـهـا يـرف كـأَنَّـهُ بَـرَدٌ نَـزلَ الـسَّـحـابَـةِ مـاؤُهُ غَـدَقُ
والـوجْـهُ ديـنـارٌ ومـنـسـدل يَـغْـشَـى الـضَّـجِـيْـعَ لـنـشـرِهِ عَـبَـقُ
بـانَـتْ وصَـدْعٌ بـالـفُـؤَادِ لـهـا صَـدْعَ الـزُّجـاجَـةِ لـيـسَ يـتـفـقُ

فصنع فيه صوتاً في مزموم الرمل حرّك به الحكم، وسائر أهل المجلس، وامتدَّ الرجاء المطمع بعد القنوط المؤيس، وألقى إليه بمطرف خزّ بنفسجي كان عليه مبطناً بالفنك، وأمر له بمائتي دينار، ومرَّ يوم له لم ير مثله.

ومنهم:

[١٧١]

وَضِيْح بن عبد الأعلى

طلع به في ذلك الأفق كوكبه الغارب، ورجع سحابه الغارب، وبلغ أمره المؤيد هشاماً، وما كانت فترتْ جمرته، ولا فتنت إمرته، فأمر باستدنائه، واستدعى به لأجل غنائه؛ فلما حضر مجلسه المهيب، وأحسَّ بباسه المتوقد اللهيب، انقلب رجاؤه قنوطاً، وانقطع مما كان به منوطاً، إلى أن سكن، وأزال / ٣٨٨/ بالبسطة انقباضه فأظهر الصناعة التي كانت إليه معزوَّة، وولَّت الهموم التي أصبحت به معزوَّة، فأحيا من القلوب رميماً، وطرح عن النفوس عظيماً، ثم أخذ العود وضرب به ضرباً كان شفاءً للفهم السقيم، ودرياقاً للقلب السليم، فتهلل وجه المؤيد حتى ظهر البشر على جبينه، وأمل له من الذهب بمثل يمينه.

ومن أصواته: [من الكامل]

لـمـنِ الـدِّيـارُ كَـأَنَّـهـا لَـمْ تُـحْـلَـلِ بـيـنَ الـكـنـاسِ وبـيـنَ طَـلْـحِ الأَعْـزَلِ
ولـقـدْ أَرَى بـكِ والـجـديـدُ إلـى بـلًـى موت الـهوى وشفاء عينِ الـمُجْتَلِيْ
ولـقـدْ أَرَى بـك والـمـطـيُّ خَـوَاضِـعٌ وكَـأَنَّـهـنَّ قَـطـا فـلاة مُـحَـفَّـلُ

يا مُر ناجيةَ السلامُ عليكُمُ قبلَ الرَّوَاحِ وقبلَ يومِ العُذَّلِ
لوْ كنتُ أَعلمُ أَنْ آخر عَهدِكُمْ يومُ الرَّحيلِ فَعَلْتُ ما لَمْ أَفْعَلِ
أَوْ كنتُ أَرْهَبُ وَشْكَ بينٍ عاجلٍ لقنعتُ أَوْ لسألتُ ما لم أَسْأَلِ

والشعر لجرير[1]، والغناء فيه، وهذه من طنانات جرير ومنها في هذا:

أَعْدَدْتُ للشعراءِ سُمّاً ناقِعاً فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بكأسِ الأَوَّلِ
لمَّا وضَعْتُ على الفَرَزْدَقِ مَيْسَمِي وعلى البَعِيثِ جَدَعْتَ أَنْفَ الأَخْطَلِ
أَخْزَى الذي سَمَكَ السماءَ مُخَاشعاً وبنى بناءَكَ بالحضيضِ الأسفلِ
فامدحْ سَرَاةَ بَنِي فقيمٍ إنَّهُمْ قَتَلُوا أَباكَ وثأْرُهُمْ لَمْ يُقتلِ
ودع البَرَاجِمَ أن شَرَّكَ فيهُمُ مُرٌّ عواقِبُهُ كَطَعْمِ الحَنْظَلِ
باتَ الفرزدقُ يستجيرُ لنفسِهِ وعَجانُ جَعْثَنَ كالطَّرِيقِ المعملِ
أَينَ الذينَ عددت أَنْ لا يدركوا بمجرجعثن يا ابنَ ذاتِ الرَّمَّلِ
أَسلمتْ جعثنَ إذ تُجَرُّ برِجْلِها والمنقريُّ يدوسُها بالمنشلِ
تهويْ اسْتها ويقولُ يالَ مُجاشِعٍ ومَشَقُّ نقبتها كعينِ الأقبلِ
لاتذكروا حُلَلَ المُلوكِ وأَنْتُمُ بعدَ الزُّبيرِ كحائضٍ لَمْ تغسلِ
/٣٨٩/ ما كان ينكرُ في يدي مجاشعٌ أكلَ الخزيرِ ولا ارتضاعَ الفيشلِ

حكي أنه ممن كان محمد بن عبد الرحمن خليفة الأندلس يحلفه برعايته، ويلحظه بعنايته، وكان قد سافر عنه مدَّة أطال شقتها، وحمل وقرأ عبابه شقتها، ثم آن له العود إلى ذلك الندى، وقرب بحيث شمَّ سوابق عرفه الندي، ولم يبق إلاّ مرحلة يقطعها، وسوط مطية تمتدّ به أذرعها، فهاجه قرب الدار إليه شوقاً، وطار به إليه سوقاً، فصنع لحناً في شعر الحسين بن مطير[2]: [من الطويل]

ولمَّا تَنَكَّبْنا الكَثِيبَ وأَطْلَعَتْ لنا السُّدَّةُ العَلياءُ قلتُ لصاحِبي
أَلاَ فانشرحْ صَدراً فلمْ يَبْقَ بَيْننا وبينَ المُنى إلاَّ كَنَاخَةِ راكبِ

ورفع عقيرته تغني في النداء، وصاغه بين غناء الركبان والحداء، وسمعها في النفر من منه حفظها، وأدّاها كما منه تلفظها، فما أتى وضيح باب محمد بن عبد

(١) ديوانه ٤٨٩ـ ٤٩٢.
(٢) أخل بها شعره.

الرحمن إلاّ وقد سبق بها الخبر إليه، كأنما ألقتها الريح في أذنه، فحين دخل عليه قال له: لينشرح صدرك، فلم يك قد كان بقي بينك وبين المنى إلاّ إناخة راكب، فهات الآن ما صنعت. فاندفع يغني فيه، ومحمد بن عبد الرحمن يميل حتى كاد يسقط عن السرير، ثم عجل له بتخت من القماش وثلاثمائة من الدنانير.

ومنهم:

[١٧٢]

ابن سَعِيد كامل

أثمرت بالسرور أنامله، وتمَّ تمام البدر كامله، وشغل أوقاته بالطرب فجاءت طيوره سانحة، وجادت له بالأيام مانحة، ولزم المؤيد بن هشام، وقد وطَّأ البلاد بهيبته، وسرّ العباد بأوبته، وكان في عنفوان ملكه كجدّه هشام بالشام، وقد بسط ظله على الأنام، وأجار بعدله من الأيام، وكان يحضر مجلسه الخاص حيث يكون رواق الليل سجافه، ورقيب السمع سميره، وبطون الجواري سريره، وكان منه بألاَّ يتحاشى، ولا يجد منه إيحاشاً، وكان يدخل على جواريه الحجاب، / ٣٩٠/ ويعلمهن ما ظهر من الإعجاب، ويلقي عليهن غناء يطرب سامعه، ويكبر نقوط كل حاضر يجري مدامعه.

ومن أصواته المشهورة[١]: [من الوافر]

تكلَّمْ أَيُّها الطَّلَلُ القديمُ عَفَتْ فيهِ أَجيرَةُ فالحريمُ
تأَبَّد ما بَدَا للريحِ مِنْهُ وآلاءٌ بتيمن لا تَرِيْمُ
إذا ما قلتَ أقصر عن صباه فكانَ كحينَ يحتضِرُ القسيمُ
تَأَوَّبَهُ خَيالُ مِنْ سُلَيمى كما يعتادُ ذا الدَّيْنِ الغَرِيْمُ

والشعر لسلمة بن الخرشب الأنماري[٢]، والغناء فيه خفيف الرمل.

وكذلك صوته: [من الطويل]

سَقَى طَللَ الحَيِّ الذي أَنْتُمُ بِهِ بِشَرْقِيّ سَلْع طيف والربيع

---

(١) لسلمة بن الخرشب في المفضليات ٣٩ـ ٤٠، وديوان المفضليات ٤٠ـ ٤٤، وشرح اختيارات المفضل ١٨٢ـ ١٩٣، منتهى الطلب ٢/ ٣٩٣ـ ٣٩٧.

(٢) سلمة بن عمرو (الخُرشُب) بن نصر الأنماري: شاعر جاهلي مقلّ، من بني الأنمار بن بغيض، من غطفان، كان معاصراً لعروة بن الورد، له قصيدتان في المفضليات.

ترجمته في: شرح اختيارات المفضل ١/ ١٦٤ـ ١٩٤، الأعلام ٣/ ١١٣، منتهى الطلب ٢/ ٣٨٦ـ ٣٩٧، معجم الشعراء للجبوري ٢/ ٣٤٦.

مضَى زَمَنٌ والناسُ يستشفعونَ بي فَهَلْ لِي إلى لُبْنَى الغَدَاةَ شَفِيْعُ
فسوفَ أُسلِّي النفسَ عنْكِ كما سَلاَ عَنِ البلدِ النائِي البعيدِ يروع
يقولونَ: صَبٌّ بالنِّساءِ مُوَلَّعٌ وهلْ ذاكَ مِنْ فِعْلِ الرِّجالِ بَدِيْعُ

والشعر لقيس بن ذريح[1]، والغناء فيه في الطريقة الرابعة من الهزج.

وكذلك صوته: [من الكامل]

ومُتَيَّم جَرَحَ الفِرَاقُ فُؤَادَهُ فالدَّمْعُ في أَجْفَانِهِ يَتَرَقْرَقُ
هَزَّتْهُ ساعةُ فُرْقَةٍ فَكَأَنَّما في كلِّ عُضْوٍ مِنْهُ قلبٌ يَخْفِقُ

والشعر لابن المعتز[2].

ومنهم:

[١٧٣]

حِصْنُ بن عَبْد بن زياد

أصله من برّ العدوة، ودخل الأندلس متمسكاً بالعودة، وكان مطرباً أورد الأنس الوافر، ورد السرور النافر، ورق به قلب الليل على أنه كافر، وسجّع قول القلب، وكان أجبن من صافر، ولج بلاد النصارى وتوغل في ولوجها، وسكنها وسكن إلى علوجها، ثم عاد إلى حوز المسلمين ورجع ما كسب إلاّ الغناء / ٣٩١/ بعد طول سنين، فاتصلَّ بالعالي، واتصف باقتناء الغالي، فأعلى العالي كعبه، ولمَّ شعبه، وكان لا يزال يحضره في خلواته، وتجنبه نزع هفواته.

ومن أصواته: [من الطويل]

دَعَتْنا بكَهْفٍ دُونَ حنفاءَ دعوةً علَى عَجَلٍ دَهْماءُ والركْبُ رائِحُ
إذا الناسُ قالوا: كيْفَ أَنْتَ وقَدْ بَدَا ضميرُ الذي بِي قُلْتُ للناسِ صالِحُ
ليرضى صَدِيقٌ أَوْ ليسخَطَ كاشِحٌ وما كُلُّ مَنْ سَلَّفْتَهُ الوُدَّ ناصِحُ
وإنِّي لَتَلْحَاني عَلَى أَنْ أَحَبَّها رِجالٌ تُعَرِّيْهُمْ قُلُوبٌ صَحَائِحُ

والشعر لتميم بن أبي مقبل[3]، والغناء فيه مزموم الرمل.

---

(١) ديوانه ١٢.
(٢) ديوانه ١/ ٣٤٠ـ ٣٤١.
(٣) ديوانه ٤٨ـ ٥٠.

وكذلك صوته: [من الكامل]

نَامَ الخَلِيُّ وما أُحِسّ رُقَادي والهمُّ مُحتَضرٌ لَدَيَّ وسادِي
مِنْ غيرِ ما قَسم ولكنْ شَفَّنِي هَمٌّ أَرَاهُ قَدْ أَصابَ فُؤَادِي
ومِنَ الحَوادِثِ لاَ أَبَا لَكَ إنَّنِي ضُرِبَتْ عليَّ الأَرضَ بالأَسْدَادِ
لا أَهتدِي فيها لموضعِ بُلْغَةٍ بينَ العِرَاقِ وبينَ أَرْضِ مُرادِ

والشعر للأسود بن يعفر النهشلي(١)، والغناء فيه ثاني الثقيل.

ومنهم:

[١٧٤]

ساعدة بن بريم

مطرب تعلَّق بالسها، وعلق بالمسامع بما ألهى، وكان لنوافر القلوب مؤلفا، ولم يقدم وراءه مخلفا.

حكي أنه كان من أبناء النصارى، اطلع في سواد المسوح قمراً زاهراً، وسكن الديارات فأعاد ذوائبها يانعاً زاهراً، وخلا في جانب مكانه، فحل عزائم البرهان، وشدّ زناره على غصن بان، ففتن بحسنه القسوس، وجرى في حبه ماهوَّن حرب البسوس، فترك النصرانية، وأسلم إسلاماً الله يعلم ما وراءه، وماذا صرف إليه فيه أراعده، ثم غوى الغناء وطلبه، وتتبعه ليجلبه، وركب فيه ثبج البحر وقد لانت عريكته، وألقيت أريكته، ثم بلغ من هيجه مبلغاً أفضى فيه إلى التلف، وانتقم منه أضعاف ما سلف، إلاَّ أنه سلم على لوح من ألواح /٣٩٢/ المركب، وقد ظنَّ أن روحه فيما ينكب، فخرج إلى مصر، ثم أتى إلى الشام والعراق، وورد ما راق، وودّ ما طلبته ما تضيق به الأوراق.

ومن مشاهير أصواته: [من الطويل]

إذَا حَضَرتْ مِنْ ذِكرِ بُثْنَةَ حَضْرَةٌ عَصَتني شُؤونُ العَينِ فانهلَّ ماؤُها
فإنْ لَمْ أَزُرْها عادني الشَّوقُ والهَوَى وإنْ زُرْتُها شَفَّ الفُؤَادَ لقاؤُها!
وإنْ قلتُ أسلُوها تعرَّضَ طيْفُها وعاوَدَ قَلْبي مِنْ بُثَيْنَةَ دَاؤُها
وكيفَ بنفسٍ أَنتِ هيجَّتِ سُقْمَها ويمنعُ مِنْها ما يَبِيْنُ شِفاؤُها

---

(١) ديوانه ٢٥ـ٢٦.

لقدْ كنتُ أَرْجُو أَنْ تَجُودَ بنائِلٍ فأَخْلَفَ نفسِي في الرُّعُودِ رَجَاؤُها
إذَا قُلْتُ قَدْ جادتْ لنا بَنَوالِها أَبَتْ ثُمَّ قالتْ: حِطَّةٌ لا أساؤُها

والشعر لجميل[1]، والغناء فيه، وهذا الصوت من قصيدة من العزّ منها هذا:

أَعاذِلتي فيها لَكِ الوَيْلُ فأقْصِرِيْ من اللَّوم عنِّي اليومَ أَنتِ فِداؤُها
إذا قَعَدَتْ في البيتِ يُشْرِقُ بيتُها وإنْ بَرَزَتْ يزدادُ حُسْناً فِناؤُها
قَطُوفٌ أَلُوفٌ للحِجالِ يزِيْنُها مَعَ الدَّلِّ منها جِسمُها وحَياؤُها
فَهذا ثَنائي إنْ نأَتْ وإذا دَنَتْ فكيفَ علينا لَيْتَ شِعْرِي ثَناؤُها

ومنهم:

[١٧٥]

المُجدَّع مولى أم سليمان بن الحكم

ذكرٌ غلب عليه التخنيث، ورجل شارك النساء في التأنيث، وكان جد خبيث، وبحد سرى حثيث، إلاَّ أنه لا يسري إلاَّ إلى حان، ولا يسير إلاَّ بحذاء ألحان، قَبُحَ عند الامتحان، ونقص عند الرجحان، وكان لا يرى إلاّ عقير عُقار، أو عقيب خمار، أو في نادي نسوة، أو جاعلاً نفسه لهنَّ أسوة، يغلّ بالخضاب يده، ويغلّف بالسواد حاجبيه، ويلبس فاخر الثياب على خزي يحسده، ويقلد عنقه بالعقود، ليته بالسيوف قلّده، وكان مع هذا الدبر الذي فنيت فيه الزبر، وقُدَّ به قميصه من دبر، زنام /٣٩٣/ زمر وإمام غناء مشيته الأمر، ومنبع طرب يسكر مثل ابنة الأعناب، ومنبت عيدان يا قبح ما يجني جناة الحسن من عنّاب.

ومن أصواته: [من الخفيف]

أَقفرتْ بعدَ عبدِ شمسٍ كَدَاءُ فَكَدِيٌّ فالركنُ فالبَطحاءُ
فمِنًى فالجِمار مِنْ عبدِ شَمْسٍ مُقْفِرَاتٌ فَبلْدحٌ فَحِراءُ
قدْ أَراهمْ وفي المواكبِ إذ يغـ ـدُونَ حِلْمٌ ونائِلٌ وبَهَاءُ
وحسانٍ مِثْلِ الدُّمى عبْشيما تٍ عليهنَّ بهجةٌ وحَياءُ
حبَّذا أنتَ حِيْنَ قومي جَمْيعٌ لمْ تُغَرِّقْ أُمُورَها الأهواءُ

---

(١) لجميل بن معمر في ديوانه ١٨ ـ ١٩.

قبلَ أَنْ تطمعَ القَبَائِلَ في مُلْـ ـكِ قُرَيشٍ ويشْمَتَ الأَعْدَاءُ

والشعر لعبد الله بن قيس الرقيات[(١)]، والغناء فيه من خفيف الرمل.

وهذه الأبيات في قصيدة غرّاء منها:

أَيَّها المُشتهي فَنَاءَ قُريشٍ بيدِ اللهِ عمرُها والفَنَاءُ

إنْ تُوَدِّعْ مِنَ البلادِ قُرَيشٌ لا يكُنْ بعدَهُمْ لحيٍّ بَقَاءُ

أو يقفّى ويترك الناس صَارُوا غَنَمَ الذِّئبِ غابَ عنْها الرُّعاءُ

هلْ تَرَى من مُخَلَّدٍ غيرَ أَنَّ اللهَ يَبْقى وتذهبُ الأَشياءُ

يأملُ الناسُ في غَدٍ رغبَ الدَّهـ ـرِ أَلاَ في غَدٍ يكونُ القضاءُ

فَرَضِينا فَمُتْ بدائِكَ عَنَّا لا يُميتنَّ غيرَكَ الأَدْواءُ

لو بكتْ هذهِ السماءُ على حيٍ كريمٍ بكتْ علينا السَّماءُ

قلت: وفي هذه القصيدة ذكر حمزة، وعلي، وجعفر، والزبير، وابن الزبير رضي الله عنهم.

ومن العجب أن يغني شاعر بني أمية في شعر فيه ذكر هؤلاء، وإن لم يأت في الصوت.

ومنهم:

[١٧٦]

رَدَاح جارية عبد الرحمن / ٣٩٤/ المستظهر[(٢)]

وكانت أي هيفاء رداح، وسمراء تنتضى من جفونها السود بِيْضُ الصفاح، ذات

---

(١) ديوانه ٨٧ ـ ٨٩.

(٢) المُسْتَظْهِر الأُمَوي، عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، أبو المطرّف، المستظهر بالله: أحد من ولي إمارة قرطبة في أيام ضعف الدولة الأموية بالأندلس. ولد سنة ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م بويع بالخلافة سنة ٤١٤هـ، وثار عليه محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر، مع طائفة من الغوغاء، فقتلوه بعد ٤٧ يوماً من ولايته لم ينتظم له فيها أمر ولا تجاوزت دعوتُه قرطبة سنة ١٤هـ/ ١٠٢٤م. قال مؤرخوه: كان عفيفاً، رقيق النفس، حسن الفهم والعلم، أديباً يجيد الشعر، ختم به فضلاء أهل بيته.

ترجمته في: المعجب ٣٥ وجذوة المقتبس ٢٤ والبيان المغرب ٣/ ١٣٥ و١٣٩ والذخيرة، الجزء الأول من القسم الأول ٣٤، الأعلام ٣/ ٣٤١.

جمال يغير البدر إن أسفرت، ودلال يغير الغصن إن خطرت، وغنج يعيد سحر بابل إن نظرت، هذا إلٰى نغم يعلّم الحمائم في الأراك، ويوقع العشاق في الأشراك، ويفعل فعل البابلي، ويغسل حتٰى قلب الجلي، ويغسل النار في الجوانح، ويشعر طرفها الكاسر بأن الظباء تصيد الجوارح.

قيل: إنه كان يقال: إنها بدعة القيان، وإنها بهذا كانت تدعٰى، ويحكٰى عنها لطائف وظرائف، ولها شعر ليس بطائل، ولها أعمال صنيعة، وأصوات بديعة، فمنها هذا: [من الطويل]

أَتعرفُ رَسْماً كاطِّرَادِ المَذَاهِبِ ... لِعَمْرَةَ وَحْشاً غيرَ موقوفِ راكبِ
ديارُ التي كادَتْ ونحنُ على مِنٰى ... تَحِلُّ بِنَا لولا نجاء الرَّكائِبِ
تَبَدى لنا كالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ ... بَدَا حاجِبُ منْها وضَنَّتْ بحاجِبِ
ولَمْ أَرها إلاَّ ثلاثاً علٰى مِنًى ... وعهدِي بها عَذْراءَ ذاتَ ذوائِبِ

والشعر لقيس بن الخطيم(١) والغناء فيه.

ومن هذه القصيدة:

فلما رأيتُ الحربَ حَرْباً تجدَّدتْ ... لبستُ مع البُرْمَينِ ثوبَ المُحارِبِ
رجالٌ متٰى تدعوا إلٰى الموتِ يُرْقِلُوا ... إليهِ كإرْقالِ الجمالِ المَصَاعِبِ
إذا فَزعُوا مدُّوا إلٰى الليلِ صارخاً ... كَمَوْجِ الأَتِيِّ المُزْبِدِ المُتَرَاكِبِ
صَبَحْنَاهُمُ الأطام حَوْلَ مُزَاحِمٍ ... قوانسَ أولٰى بيضها كالكَوَاكِبِ
إذا ما قَرَرْنا كانَ أسوء قارناً ... صُدُود الخُدُودِ وازورار المَنَاكِبِ
إذا قصرتْ أسيافُنا كانَ وصْلُنا ... إلٰى نسَبٍ مِنْ جدع غَسَّانَ ثاقِبِ
صَبَحْنَاهُمُ شَهْباءَ بيرقُ بَيْضُهَا ... سنى مفاخيل النِّساءِ الهَوَارِبِ
فأُبْنا إلٰى أَبياتِنا ونِسائِنا ... وما مَنْ تَرَكْنا في بغاثٍ بآيبِ

وحكي أن عبد الرحمن / ٣٩٥/ عزم على التفسح في بعض الظواهر مدَّة يقيم بها في مضارب نصبت له على نهر يروق إنحداره، وربيع بقل في وجنة الروض عذاره، وكان الشتاء قد كلح، وساء به مزاج الزمان ثم صلح؛ فلما عزم على الخروج أتين جواريه لوداعه، ورداح بينهن قد اغرورقت مقلتها بالمدامع، وقطعت لديها أعناق المطامع، فوقفت وقفة المتغني، ثم اندفقت في صوت صنعته تغني: [من البسيط]

(١) ديوانه ٧٦ـ ٩٦.

شَطَّ المَزَارُ بِحدوَى وانتهى الأَمَلُ   فَلاَ خَيالَ ولا عَهْدٌ ولا طَلَلُ
أَلاَ رَجَاءٌ فما نَدْرِي أَنُدْرِكُهُ   أَمْ يستمرُّ فَيَأْتِي دُوْنَهُ الأَجَلُ

والشعر لعمرو بن أحمر الباهلي(١)، والغناء فيه من الهزج.

ثم أتبعته بصوت أخر صنعته: [من الطويل]

إذا ما كَتَمْنَا الحُبَّ نَمَّتْ عُيُوننا   علينا وأَبدتْهُ العيونُ السَّوَاكِبُ
وإنْ نَحْنُ أَخْفَينا ضَمَائِرَ حُبِّنا   أَشارتْ بتسليمٍ علينا الحَوَاجِبُ

والشعر فيه مجهول.

فبكى عبد الرحمن لبكائها، وطفق يضمّها إليه، ثم أقبل على جواريه، فقال: هلاّ كان فيكن واحدة فعلت مثل فعلها، ثم أمرت بأن تخرج معه، فأبت، فقالت: والله لا خرجت إلاّ أنا وصُويحباتي، قال: فليخرجن، ثم خرجن معه، فلم يكن أحسن من ذلك المربع، ولا من أيام مضين فيه.

وحكي أن عبد الرحمن نظر إلى جارية عند بعض نسائه الحرائر، فأحبها، وفطنت الحرَّة لذلك، فحجبت الجارية عن نظرة، وطالت مدّة حجابها، وزيادة ما يجده من الجوى بها، ونمى الخبر في جواريه، واستفاض حال غرامه بها، وعدم قراره لأجلها، فصنعت رداح صوتاً، وجوَّدته، ثم دخلت عليه وهي تغني به والصوت: [من الطويل]

تمسَّكْ بُحبِّ الأَخْيَلِيَّةِ واطَّرِحْ   عدا الناسَ فيها والوشاةَ الأَدَانيا

---

(١) عمرو بن أحمر بن العمرَّد بن عامر الباهلي، أبو الخطاب: شاعر مخضرم. عاش نحو ٩٠ عاماً. كان من شعراء الجاهلية، وأسلم. وغزا مغازي في الروم، وأصيبت إحدى عينيه. ونزل بالشام مع خيل خالد بن الوليد، حين وجهه إليها أبو بكر. ثم سكن الجزيرة. وأدرك أيام عبد الملك بن مروان. له مدائح في عمر وعثمان وعليٍّ وخالد، ولم يلق أبا بكر. وهجا يزيد بن معاوية، فطلبه يزيد ففرَّ منه، توفي نحو سنة ٦٥هـ/ نحو ٦٨٥م. قال البغدادي: كان يتقدم شعراء زمانه. وعدَّه ابن سلام في الطبقة الثالثة من الإسلاميين. وكان يكثر من الغريب في شعره. وله حسنات، منها:

«متى تطلب المعروف في غير أهله   تجد مطلب المعروف غير يسير
إذا أنت لم تجعل لعرضك جُنة   من الذمِّ، سار الذم كل مسير»

واختار أبو تمام (في الحماسة) أبياتاً من شعره. وله «ديوان شعر» اطلع عليه مغلطاي. وجمع الدكتور حسين عطوان بدمشق، ما وجد باقياً من شعره في «ديوان ـ ط».

ترجمته في: خزانة الأدب للبغدادي ٣/ ٣٨، وابن سلام ١٢٩، الإصابة ت٦٤٦٨، سمط اللآلي ٣٠٧، الآمدي ٣٧، المرزباني ٢١٤، الأغاني طبعة الدار ٨/ ٢٣٤، الشعر والشعراء ١٢٩، جمهرة أشعار العرب ١٥٨، التبريزي ٤/ ١٢٠، الأعلام ٥/ ٧٣، معجم الشعراء للجبوري ٤/ ٩٧ـ ٩٨.

فإنْ يمنعوا ليلى وحُسْنَ حديثِها فَلَمْ يَمْنَعُوا مِنِّي البُكا والقَوَافِيا
يلومُكَ فيها اللائمونَ فَصَاحَةً فليتَ الهَوَى باللأئِمِيْنَ مَكَانِيا
لَوَ أنَّ الهَوَى في حُبِّ ليلى أَطَاعَنِي أَطَعْتُ ولكنَّ الهَوَى قَدْ عَصَانِيا

/ ٣٩٦/ والشعر لتوبة بن الحُميِّر[1]، والغناء فيه كان في مذهب شيخي، لم يتمالك معه عبد الرحمان أن فاضت عينه بالبكاء، وقال: ما الحيلة يا رداح؟ قالت: عزيمة مثلك. قال: هيهات أن تنفع العزيمة، ولكن قدْ يجيء في أحداث الدهر ما لا يتوقعه المنتظر، فنقل المجلس إلى تلك الحرّة، فقالت: هو ولي النعمة، وأنا أمته، والجارية، احداث الدهر. قالت فاحمد الله يا أمير المؤمنين، وخر ساجداً، ثم نهض حتى دخل على الحرَّة فشكر لها، ثم ضمَّ الجارية إليه، واسنى جائزة رداح، وتماثل حاله، وكان قد يئس من الصلاح.

ومنهم:

[١٧٧]
خُلَيد مولى الأدارسة

ومحيي تلك الأطلال الدارسة، كان يحيى به كل أرضٍ يحلّها، ويهتزُّ أذن كل سامع يطلها، أكثر إحياءً لهامِد الثرى من المطر، وأهزّ للقدود من كل رديني تأطَّر.

حكي أنه حضر مجلس المأمون أحد مواليه، وشرع يغنيه في شعر رثي به بعض أعاديه، فحمت حماليقه بنار الغضب، وأخذ منه العود، ثم ضرب به خلاف ما ضرب، فأصاب عينه، فأساء فيها الأثر، ونكت بها نكتة على أن العود الضارب فيها عثر، ثم أقبل عليه بالرضا واعتذر، وآنسه أنساً أزال عنه الحذر، ثم أولى إليه الجوائز ونبه له الحسد حتى من أهل الجنائز، فكان لا يرى ذلك العمى في عينه إلاّ كالحور، ولا يزال نظراؤه تضعف أيديهم عن جس العود الخور، وحسدته الناظر سجراً إليه كالحول، ويقول من للحول بالعور، وكان على عوره بصيراً بالصنعة، مطلاً للدمع الذي لا يقال له صَرعه.

ومن أصواته: [من الوافر]

أَلَـمْ تَـرَهـا تُـرِيـكَ غَـدَاةَ تَـأْتـت بِـمِـلءِ الـعَـيْـنِ مِـنْ كَـرمٍ وحُـسْـنِ

(١) ديوانه ٥١ـ٥٣.

فـأَعْـطَـتْ كـلَّـمـا سُـئِـلَـتْ شَـبَـابـاً ... فـأنْـبَـتَـهَـا نَـبـاتـاً غَـيْـرَ حَـجْـنِ
فـقـلـتُ: وكـيـف صـادتـنِـي سُـلَـيْـمَـى ... ولَـمَّـا أَرْمِـهـا حـتَّـى رَمَـتْـنِـي
أَلاَ يـا لَـيْـتَـنِـي حَـجَـرٌ بِـوَادٍ ... أَنـامُ ولـيـتَ أُمِّـي لَـمْ تَـلِـدْنِـي

/ ٣٩٧/ والشعر للنمر بن تولب[١]، والغناء فيه في سادس الهزج.

وكذلك صوته في شعر الكميت بن زيد، ودست عليه الشيعة الأموية من قتله لأجل تغنيه به، وهو هذا[٢]: [من الطويل]

أَلَـمْ تَـرَنِـي مِـنْ حُـبِّ آلِ مـحـمَّـدٍ ... أَرُوحُ وأَغْـدُو خـائـفـاً أَتَـرَقَّـبُ
عـلـى أيِّ جُـرْمٍ أَمْ بـأَيَّـةِ سِـيـرةٍ ... أُعَـنَّـفُ فـي تَـقْـرِيـظِـهِـمْ وأُكَـذَّبُ
أُنـاسٌ بـهـمْ عَـزَّتْ قُـرَيـشٌ فـأَصْـبَـحُـوا ... وفـيـهـمْ بـنـاءُ الـمـكـرُمـاتِ الـمُـطَـنَّـبُ
وهُـمْ رمـمـوهـا غـيـرَ ظـارٍ وأسـلـبـوا ... عـلـيـهـا بـأطـرافِ الـقـنَـا وتَـجـلـبـوا
فـإنْ هـيَ لـم تـصـلـحْ لـحـيٍّ سِـواهـمُ ... فـإن ذَوِي الـقُـرْبَـى أَحَـقُّ وأَقْـرَبُ
وإلا فـقُـولـوا غـيـرَهـا تـتـعـرَّفُـوا ... نَـوَاصِـيـهـا تَـرْدَى بِـنـا وهـيَ شُـزَّبُ

والغناء فيه في ثقيل الرمل، وكان يتغنى به أيام استظهار الأدارسة فأصبح قتيلاً ملقًى على باب داره.

ومنهم:

[١٧٨]
سُعْدى جارية المعتمد بن عبّاد[٣]

وكانت جارية يسعد بها ضجيعها، وينعم ولو ورد مدامه نجيعها. فاتنة الطرف

---

(١) شعراء إسلاميون ٣٩٠ـ ٣٩١.

(٢) شعره ٣/ ١٨٨ـ ١٨٩.

(٣) المُعْتِمد ابن عَبَّاد: محمد بن عباد بن محمد بن اسماعيل اللخمي، أبو القاسم، المعتمد على الله: صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولهما، وأحد أفراد الدهر شجاعة وحزماً وضبطاً للأمور. ولد في باجة (بالأندلس) سنة ٤٣١هـ/ ١٠٤٠م وولي إشبيلية بعد وفاة أبيه (سنة ٤٦١هـ) وامتلك قرطبة وكثيراً من المملكة الأندلسية، واتسع سلطانه إلى أن بلغ مدينة مرسية (وكانت تعرف بتدمير) وأصبح محط الرحال، يقصده العلماء والشعراء والأمراء، وما اجتمع في باب أحد من ملوك عصره ما كان يجتمع في بابه من أعيان الأدب. وكان فصيحاً شاعراً وكاتباً مترسلاً، بديع التوقيع، له «ديوان شعر ـ ط». ولم يزل في صفاء ودعة إلى سنة ٤٧٨هـ. وفيها استولى ملك الروم «الأذفونش» ألفونس السادس على «طليطلة» وكان ملوك الطوائف، وكبيرهم المعتمد ابن عباد، =

كأنها مهاة، أو أمنية مشتهاة، لو تجلَّت لمحيًّا البدر سافرة لتبرقع، أو لمرأى الشمس، لأمتع. لو طرقت جريراً، لما قال: ارجعي بسلام، أو لاقت جميلاً، لما قنع بالكلام، أو كانت في عصمة ابن ذريح، لما أطاع فيها أباه، أو لاحت لابن الملوح، لنسي ليلى حتى أنها لم تمثل بكل سبيل إليه، زادت ملك ابن عباد حسناً، وطلعت في سمائه القمر أو أسنى.

ولها أصوات بها تغنّي، فمنها: [من البسيط]

لـولا عُـيُـونٌ مِـنَ الـواشِـيـنَ تَـرْمُـقُـنِـي ... ومـا أُحـاذِرُ فـيـهـا قُـوْلَ حُـرَّاسِ

لَـزُرْتُـكُـمْ لأكـافِـيـكـم بِـجَـفْـوَتِـكُـمِ ... مَشياً على الوَجْهِ أَوْ سَعياً على الرَّاسِ

= يؤدون للأذفونش ضريبة سنوية، فلما ملك «طليطلة» ردّ ضريبة المعتمد، وأرسل إليه يهدده ويدعوه إلى النزول له عما في يده من الحصون. فكتب المعتمد إلى يوسف بن تاشفين (صاحب مراكش) يستنجده، وإلى ملوك الأندلس يستثير عزائمهم. ونشبت (سنة ٤٧٩هـ) المعركة المعروفة بوقعة «الزلاقة» فانهزم الأذفونش (ألفونس) بعد أن أبيد أكثر عساكره. قال ابن خلكان: وثبت المعتمد في ذلك اليوم ثباتاً عظيماً وأصابه عدة جراحات في وجهه وبدنه وشهد له بالشجاعة. وعاد ابن تاشفين بعد ذلك إلى مراكش، وقد أعجب بما رأى في بلاد الأندلس من حضارة وعمران. وزارها بعد عام، فأحسن المعتمد استقباله. وعاد. وثارت فتنة في قرطبة (سنة ٤٨٣) قتل فيها ابن المعتمد، وفتنة ثانية في إشبيلية أطفأ المعتمد نارها، فخمدت. ثم اتقدت، وظهر من ورائها جيش يقوده «سير بن أبي بكر الأندلسي» من قواد جيش «ابن تاشفين» وحوصر المعتمد في إشبيلية، قال ابن خلكان: «وظهر من مصابرة المعتمد وشدة بأسه وترامية على الموت بنفسه ما لم يسمع بمثله» واستولى الفزع على أهل إشبيلية وتفرقت جموع المعتمد، وقتل ولداه «المأمون» و«الراضي» وفتّ في عضده، فأدركته الخيل، فدخل القصر، مستسلماً للأسر (سنة ٤٨٤) وحُمل مقيداً، مع أهله، على سفينة. وأدخل على ابن تاشفين، في مراكش، فأمر بارساله ومن معه إلى أغمات Agmat وهي بلدة صغيرة وراء مراكش. وللشعراء في اعتقاله وزوال ملكه قصائد كثيرة. وبقي في أغمات إلى أن مات سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م. وهو آخر ملوك الدولة العبادية، وللدكتور صلاح خالص كتاب «المعتمد بن عباد الإشبيلي ـ ط» في سيرته.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٢٧ـ ٣٥، ومطمع الأنفس ١١ـ ٢٢، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٨ـ ٦٦ رقم ٣٥، ونفح الطيب ٢/ ١١١٩، (٤/ ٢١٢ـ ٢٢٨)، والبيان المغرب ٣/ ٢٤٤ و٢٥٧، وابن الوردي ٢/ ٤ و٨، وابن الأثير ١٠/ ٨٦، وقلائد العقيان ٤٠، الذخيرة ق٢/ مج ١/ ٤١ـ ٨١، الكامل في التاريخ ١٠/ ٢٤٨ـ ٢٥٠، المعجب ١٥٨، الحلة السيراء ٢/ ٥٢ـ ٦٧، العبر ٣/ ٣٢١ـ ٣٢٢، تتمة المختصر ٢/ ١٦، عيون التواريخ ١٣/ ١٩ـ ٤٩ وفيه كثير من شعره، أعمال الأعلام ١٥٧، النجوم الزاهرة٥/ ١٥٧، والشذرات ٣/ ٣٨٦، وتراجم إسلامية ١٨٦، والوافي بالوفيات ٣/ ١٨٣، وديوان المعتمد بن عباد/ مقدمته، وتاريخ الأندلس، لأشباخ، ترجمة عنان ١/ ٦١ـ ١٠٣، وانظر: خريدة القصر (قسم المغرب) ٢/ ٢٥ الأعلام ٦/ ١٨١.

والشعر للمعتمد(١)، والغناء فيه.

وحكي أن المعتمد عزم على إخراج حظاياهُ من بلد إلى آخر، فخرجن في أول الليل كأنهنَّ النجوم الطوالع، وخرج /٣٩٨/ يشيعهن، وقلبه لا موامر صبره غير طالع. فسايرهن ليلة حتى قوّض بناء الليل، وأقبل الصباح في كتيبته الشهباء مبتوت الحبل، فرجع وقد صدعت أحشاءه مغارب تلك النجوم، وأغرتْ مقلته سحاب تلك الدموع السجوم، فقال(٢): [من الكامل]

سايرتُهُمْ والليلُ غُفْلٌ ثوبُهُ ... حتَّى تَبَدَّى للنواظِرِ مُكلَما
فوقفتُ ثَمَّ مُوَدِّعاً وتَسَلَّمتْ ... مِنِّي بِهِ الإصباحُ تلكَ الأَنْجُما

ثُمَّ بعثَ بها إلى سُعْدَى وأمرها أَنْ تغنيَ فيها صوتاً، فغنت فيه.

ومن أصوات سعدى المشهورة لها: [السريع]

إنَّ الذي هامَتْ بِهِ النَّفْسُ ... عاوَدَها مِنْ سُقْمِها نُكْسُ
كانتْ إذا ما جاءَهَا المُبْتَلَى ... أَبْرَأَهُ مِنْ كَفِّها اللَّمْسُ
واتانِيَ الوَجْهُ الجميلُ الَّذِي ... قدْ حَسَدَتْهُ الجِنُّ والإِنْسُ
إنْ تكنْ الحُمَّى أَضَرَّتْ بِهِ ... فَرُبَّما تنكَسِفُ الشَّمْسُ

والشعر للعباس بن الأحنف(٣)، واقترحه المعتمد عليها وقد دخل على جارية له رآها مدنفة مصفرة لتوالي الحمى، قد امتقع بالصفرة بياض، صفحتها، وردَّى الغبار محاسن لمحيها، فبرزت كالشمس في الكسوف، والقمر في الخسوف، ولوحها هجير الحمى، ثم فارقها ووجهها كأنه الدينار المَشُوف. وكان المعتمد لا يزال على جواريه يقترح، والأزْنُد خواطرهن تقتدح.

ومنهم:

[١٧٩]

مَيْمون الجوهري

وهو ممن جهر به الداء، وجأر بتفضيله الأعداء، لاذ بآل جوهر حتى نسبُ إلى

---

(١) ديوانه ٥٨.
(٢) ديوانه ٣٦.
(٣) ديوانه ١٦٥.

ولائهم، وحسب واحداً منهم لما غمره من آلائهم، وكان نديماً لا يملّ له محاضرة، ولا تفي الروايات المعدّة بأجوبته الحاضرة، وكان الغناء أغلب فتونه عليه، وعيونه التي لا تحصى ما ينظر منها لديه، وداخل بها رؤساء الأندلس وكبراءه، ودانى علماءه ووزراءه، وأمر أمره، /٣٩٩/ فعلا قدره، وجالس أمراءه، وكان مما جرى القال بتسميته ميمون النقيبة، ممنون الدغيبة، ما خالك أحداً إلاّ سَمَق، ولا خالط إلاّ من ظنَّ أنه من السماء وإن رمق.

وله صنعة في أصوات منها: [من الطويل]

وجَفْنِ سِلاحٍ قَدْ رُزِئْتُ فلَمْ أَمُتْ ... عليهِ ولَمْ أَبْعَثْ إليهِ البَوَاكيا
وفي جَوفِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفِيظَةٍ ... لَوَ انَّ المَنايا أَنْسَأَتْهُ لَيَالِيا

والشعر للفرزدق[1]، والغناء فيه في ثقيل الرمل.

وكذلك صوته: [من المنسرح]

يا ليلةً بِتُّ في دَيَاجِيْها ... أُسْقَى مِنَ الرَّاحِ صَفْوَ صافِيها
ما إنْ تَشاءُ العَينُ أَنْ تَرَىٰ حَسَناً ... إلاّ رأَتْهُ في وَجهِ ساقِيها
وصيفةٌ للغلامِ تَصْلُحُ لِلْـ ... أمرينِ كالغُصْنِ في تَثَنِّيْها
في قُرْطُقٍ زَانَهُ تَحرُسُها ... قدْ عَقْرَبَتْ صُدْغَها مَدَارِيْها

والشعر لأبي نواس[2] والغناء فيه في الهزج.

ومنهم:

[١٨٠]

طَرِيف بن عبد الله السميع القابسي

وكان مغني أهل بادية، ومطرب حيّ أسمع صوته كل عادية، أول ما ألف ما عهده حيث تنصب الخيام، وينصب عليه الحيام، ثم دخل مدن إفريقية، وقد وافاها أقوام [من] مصر، كان فيهم من تلبس بالغناء كان ترفع به عقيرته، وتحل به حقيرته، فانحاز إلى فتنهم، ودخل بينهم مثل هيأتهم، فأصغى إليهم بسمعيه، ودخل غناؤهم دبر أذنيه، فأساء إليهم ناسياً ما كان تعلَّم، سالباً سواه، وأن يتم، وأسف على زمنه الذاهب، وجهل كل طريق إلاّ تلك المذاهب، فأعمل الرحلة إلى مصر وماله رفيق إلاّ

(١) أخل بها ديوانه. ط مصادر.
(٢) ديوانه ١٩١.

ظلّه، ولا له طريق إلاّ حيث قذف به جهله وأتى مصر وبها دماء من أهل هذا الشأن تخلَّفوا على حفر اللحود، وسلاله مصل الثرى بقية الماء من العود، إلاّ أنهم فاتوا أهل كلّ جادة، فعاد عنهم موقوراً، ورجع، وقد جمع عطاءً موفوراً.

/٤٠٠/ ومن أصواته: [من الطويل]

ونحنُ بطحنا يومَ ألفٍ فلمْ تعدْ سليمَ بنَ منصورٍ بشهباءَ فيلَقِ
غَداةَ أَسَرنا في الجبالِ مُلوكَهُمْ غُناةً بني الصّباحِ وابن المخلّقِ
صبحناهمُ والشمسُ خضراءُ غضَّةٌ بذاتِ اللَّظى حَدَّ السِّنانِ المخرّقِ
غَداةَ ابتقرْنا بالسُّيوفِ أَجِنَّة مِنَ الحربِ في منتوجةٍ لمْ تطرقِ

والشعر لمُلَيْح بن الحَكَم الهُذلي[1] والغناء فيه.

وروى له صوت آخر، وهو هذا: [من المنسرح]

ما ضرَّ جيرانَنا إذا انْتَجَعُوا لوْ أَنَّهمْ قبلَ بينهمْ رَجَعُوا
إنَّ لُبَيْنَى قدْ ضرَّ أقرَبُها ولوْ أرادُوا أَنْ ينفَعُوا نَفَعُوا
هَمْ باعَدُوا بالذي كَلِفْتُ بِهِ أَليسَ باللهِ بئْسَ ما صَنَعُوا
باتُوا فقدْ فُجِّعُوا لبينِهِمُ ولمْ يَنَالوا بحُزْنِ مَن فجِعُوا

والشعر للأحوص بن محمد[2] والغناء فيه.

وكذلك صوته: [من الطويل]

تَلُومينني في طارقٍ بعدَ هَجْعَةٍ تجيءُ بِهِ دامِي الأطل طَليحُ
تنكّلَ ثوبُ الليلِ عنْهُ كَأنَّهُ مِنَ الضُّرِّ مِنْ كِلتا يديه جريحُ
فإنْ كنتِ قدْ أنكرتِ يوماً خَلائقي فإنَّ اجتماعاً بعدَهُ لَقَبيحُ

والشعر لأعرابي مجهول، والغناء فيه في ثقيل الرمل.

ومنهم:

[١٨١]

زيد الغِنَاء بن المُعلّى بن عبد العظيم

روح عناء، ودرج إحساء، ويوح اجتلاء، عرف بالغناء حتى أضيف إليه، واقبض

(١) شرح أشعار الهذليين ١٠٠٤ـ١٠٠٥.
(٢) ديوانه ١٧٨.

تعريفاً عليه، ودعا به بين ندمائه، ثم أطلق عليه، فكان أشهر أسمائه، وكان إذا غنى أوقف الطير، وعقل المنطلق على السير، فرغ لها باله، وهيّج بلباله حتى أتقنه إتقاناً صار به علمه عنده مستقراً، وعمله عليه مستمراً، وعمل فيه أعمالاً نقلت، وأطلقت يده التي على العود عقلت.

/٤٠١/ وحكي أنه حجّ، وأتى منًى، فوقف عد جمرة العقبة، وقد كظ المحصّب، وبان البنان العاطل والمخضب، وقد شغل الأيدي حصى الجمار، وملأ العيون سنى الأقمار، ثم اندفع يغني، فانصرف إليه كل نظر، وبقي دأب كل من حضر؛ فلما فرغ من صوته، عاد إلى رمي الحصاب، وعرف العاطل من ذات الخضاب.

ومن أصواته: [من الطويل]

خصيم الليالِي والغَواني مظلمُ ... وعهْدِي والغَواني مُذمَّمُ
رأيتُ سوادَ الرأسِ واللهو تحيةً ... كَلَيلٍ وحلم باتَ رابيهِ ينعمُ
وصفراءَ بِكْرٍ لا فداها مُغَيَّبٌ ... ولا سِرُّ مَنْ خَلَّتْ حَشَاهُ مُكَتَّمُ
هيَ الوَرسُ في بِيْضِ الكؤوسِ فإنْ بَدَتْ ... لعينيكَ في بِيْضِ الوُجُوهِ فَعَنْدَمُ
سَقَتْني بها بيضاءُ فَوْها وكَأْسُها ... شَبِيهاً مَذَاقاً عندَ مَنْ يتطَعَّمُ
مِنَ الهِيفِ لو شاءَتْ لقامَتْ بكأْسِها ... وخاتَمُها في خَصْرِها يتختَّمُ

والشعر لابن الرومي[1] والغناء فيه.

وجملة هذه القصيدة التي منها الصوت جميلة منها في المدح[2]:

بنُو مُصْعَبٍ فينا سَماءٌ رَفِيعَةٌ ... لها دُرَرٌ ليستْ يَدَ الدَّهْرِ تُعدَمُ
سَماءٌ أَظَلَّتْ كُلَّ شيءٍ وأَعلمتْ ... سَحَائِبَ شَتَّى صَوْبُها المالُ والدَّمُ
ليمدَحَكُمْ مِنَ شاء جهدَ مَدِيحهِ ... فللشعرِ فيهِ بعدَهُ متردمُ
أناسٌ إذا دَهْرٌ تبسَّمَ مَرَّةً ... فَعَنْهُمْ وعَنْ آبائِهِمْ يتبسَّمُ
يُرَى أَبَداً فيهِمْ جوادٌ مُعذلٌ ... وليسَ يُرَى فيهِمْ بخيلٌ مُلَوَّمُ
ولَمْ أَرَ مالاً حازَهُ مِثْلُ عَزْمِهِمْ ... يَرُوحُ ويَغْدُو وهُوَ نَهْبٌ مُقَسَّمُ
تحكَّمَ في أَمْوَالِهِمْ مَنْ أَطاعَهُمْ ... وأسيافُهم فيمنْ عَصَى تتحكَّمُ

---

(١) ديوانه ٥/ ٢٠٩١ـ ٢٠٩٢.

(٢) الأبيات الثمانية الأولى أخل بها ديوانه، وما بعدها في الديوان ٥/ ٢٠٩٧ـ ٢١٠٠.

نجوم الدَّجَى منها شهابٌ على العدا ... ومـنْـهـا سـمـاكٌ لـلـعِـتـاقِ ومـرزمُ
أَعـمُّـهُـمُ مَـدْحـاً واخـتـصُّ مـنْـهـمُ ... أَخـاهُـمْ عـبـيـدَ الـلـهِ والـحـقّ يـلـزُمُ
/ ٤٠٢/ يُـعَـدُّ إذا عُـدَّ الـمُـلُـوكُ مـبـدا ... كـمـا عُـدَّ رأسـاً لـلـشـهـورِ الـمُـحَـرَّمُ
فَـتًـى لـيـسَ مِـنْ يـومٍ يـمـرُّ ولا يُـرَى ... لـنُـعـمـاهُ فـيـهـا أَوْ لـبـؤْسـاهُ أَنْـعُـمُ
تـمـرُّ الـعَـطـايـا والـمـنـايـا لأَهْـلِـهـا ... عـلـى هَـيْـبَـةٍ مـنْـهُ ولا يَـتَـنَـدَّمُ
فـتًـى عَـزْمُـهُ سـيـفٌ حُـسَـام وسـيـفُـهُ ... قَـضَـاءٌ إذا لاقـى الـضَّـرِيْـبَـةَ مُـبْـرَمُ
يـبـاشـرُ أَطْـرافَ الـقَـنَـا وهْـوَ حـاسِـرٌ ... ويـلـقـى لـسـانَ الـدم وهـو مُـلأَمُ
هـوَ الـغُـرَّةَ الـبـيـضـاءُ مِـنْ آلِ مُـصْـعَـبٍ ... وهُـمْ بَـعْـدَهُ الـتَّـحْـجِـيْـلُ والـنـاسُ أَدْهُـمُ

ومنهم:

[١٨٢]
جارية تميم جدّ المعز بن باديس(١)

جارية طار بلبها الهوى، وطاف بقلبها الجوى، ورمى بها الأغراب مراميه، وأطال بها النوى لياليه، حتى سارت بتشتيت الفراق، وصارت إلى المغرب من العراق، ثم كانت لا تزال تتذكر نادي ذلك الفريق، وتنادي بلسان عرائها نار ذلك الحريق، وتتلفت إلى العراق، وظل ريفه الظليل، ومبسم مرآه الجميل، وظبائه الخادر، ولها

(١) تميم بن المعز بن باديس بن المنصور، أبو يحيى الصنهاجي: من ملوك الدولة الصنهاجية بإفريقية الشمالية. ولد بها في المنصورية سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م، وولاه أبوه المهدية سنة ٤٤٥هـ. ثم ولي الملك بعد وفاة أبيه (سنة ٤٥٤هـ) وكانت الدولة في اختلال واضطراب، فجدد معالمها، واسترد مدائن سوسة وصفاقس وتونس، بعد أن كان الهلاليون وغيرهم من الثائرين قد غلبوا أباه عليها وأخرجه إلى المهدية. ولم يكمل توفيق «تميم» فقد هاجمته مراكب الإفرنج سنة ٤٨٠هـ، فاستولوا على المهدية، فصالحهم على مال أخذوه. واستولى العدوّ في أيامه على جزيرة صقلية (سنة ٤٨٤هـ) بعد أن لبثت في أيدي المسلمين أكثر من ٢٧٠ عاماً، وهاجمه الإيطاليون في سفن حربية، فهزمهم وقتل كثيراً منهم. واعتلّت أموره في أواخر أيامه، فكان يتنقل بين المهدية وقابس وجربة وصفاقس إلى أن توفي بالمهدية سنة ٥٠١هـ/ ١١٠٨م. وكان شجاعاً ذكياً، له عناية بالأدب، ينظم الشعر الحسن، وله «ديوان شعر» كبير. طالت أيام ملكه فأقام ٤٦ سنة وعشرة شهور، وخلف من الأولاد والحفدة الذكور نحو الثلاثمائة.
ترجمته في: الخلاصة النقية ٤٩ والنجوم الزاهرة ٥/ ١٩٨ وابن الوردي ٢/ ١٩ وابن خلدون ٦/ ١٥٩ وابن الأثير ١٠/ ١٥٨ والبيان المغرب/ ٢٩٨ وأعمال الأعلام ٣٠ وابن خلكان ١/ ٩٨ ومرآة الزمان ٨/ ٢٨ وفيه: «ينتهي نسبه إلى يعرب بن قحطان»، الأعلام ٢/ ٨٨.

بينهم مقيل فنان حسرة بين عوادها، ويبكي وإنما بدت قطعة من فؤادها، إلى أن عادت بلطيف الحيلة إلى أكناف تلك الجميلة، فذهب بحقّ صبابتها باطله، واكتفى كل ذي دين وماطله.

وحكي أَنَّ أبا الحسين بن الأشكري المصري قال: كنت رجلاً من جلاس الأمير تميم بن أبي تميم، وممن يخف عليه فأرسل إلى بغداد، فابتيعت له جارية فائقة، رائقة الغناء؛ فلما وصلت إليه، دعا جلسائه، قال: وكنت فيهم، ثم مدَّت الستارة، وأمرها بالغناء، فغنَّتْ: [من الكامل]

وبدا لهُ مِنْ بَعْدِ ما اندملَ الهَوَى ... بَرْقٌ تألَّفَ مَوْهِناً لمَعانُهُ
يبدو كحاشيةِ الرِّداءِ ودُونَهُ ... صَعْبُ الذُّرَى مُتَمَنِّعٌ أَرْكانُهُ
فَمَضَى لينظرَ كيفَ لاحَ فلمْ يُطِقْ ... نظراً إليهِ وصَدَّهُ أَشْجانُهُ
فالنارُ ما اشتعلتْ عليهِ ضُلُوعُهُ ... والماءُ ما سَمَحَت بِهِ أجْفَانُهُ

/٤٠٣/ قال: فطرب الأمير تميم ومن حضر طرباً شديداً.

قال: ثم غنَّت: [من البسيط]

أَستودعُ اللهَ في بغدادَ لِي قَمَراً ... بالكَرْخِ من فَلَكِ الأَزْرارِ مَطْلَعُهُ

وهذا [البيت] لمحمد بن زريق الكاتب. فاشتدَّ طرب تميم، وأفرط جداً، ثم قال لها: تمني ما شئت، فقالت: أتمنى عافية الأمير وسلامته، فقال: والله لا بد أن تتمني عليَّ الوفاء أيها الأمير، فقالت: نعم، فقالت: أتمنى أن أغني بهذه النوبة في بغداد، فامتقع لونه، وتغيَّر وجهه، وتكدر المجلس، وقام، وقمنا.

قال ابن الأشكري: فلقيني بعض الخدم، وقال لي: ارجع؛ فالأمير يدعوك، فرجعت، فوجدته جالساً ينتظرني، فسلمت عليه، وقمت بين يديه، فقال: ويحك أرأيت ما امتحنا به؟ فقلت: نعم أيها الأمير، فقال: لا بد من الوفاء لها، ولا أثق في هذا بغيرك، فتأهب، لتحملها إلى بغداد، فإذا غنت هناك، فاصرفها، فقلت: سمعاً وطاعة.

قال: ثم قمت، وتأهبت، وأمرها بالتأهب، وأصحبها جارية سوداء له، تعادلها وتخدمها، وأمر بناقة ومحمل أدخلت فيه، وجعلها معي، وصرت إلى مكة مع القافلة، فقضينا حجَّنا، ثم دخلنا في قافلة العراق؛ فلما وردنا القادسية، أتتني السوداء عنها،

فقالت: تقول لك ستّي: أين نحن؟، فقلت لها: نزول بالقادسية، فانصرفت إليها، فأخبرتها، فلم أنشب أن سمعت صوتاً قد ارتفع بالغناء منها، وغنَّت: [من مجزوء الكامل]

لـمَّـا وَرَدْنـا الـقـادسـيـة حـيـثُ مُـجْـتَـمَـعُ الـعِـرَاقِ
وشـمـمـتُ مِـنْ أرضِ الـحـجـاز نـسـيـمَ أنـفـاسِ الـعِـرَاق
أيـقـنـتُ لـي ولـمـنْ أُحِـبُّ تـجـمـيـعَ شـمـلٍ واتِّـفـاقِ
وضـحـكـتُ مـن فـرحِ الـلِّـقـاءِ كـمـا بـكـيـتُ مِـنَ الـفِـرَاقِ
لـمْ يـبـقَ لـي إلاّ تـجـشّـم هـذهِ الـسَّـبـعِ الـطِّـبـاقِ
حـتَّـى يـطـولَ حـديـثُـنـا بـصـفـاتِ مـا كـنَّـا نُـلاقـي

قال: فتصايح الناس من أقطار القافلة أعيدي بالله أعيدي. قال: فما سمع لها كلمة.

/ ٤٠٤/ قال: ثم نزلنا الياسرية وبينها وبين بغداد نحو خمسة أميال في بساتين متصلة ينزل بها الناس، فيبيتون ليلتهم، ثم يبكرون لدخول بغداد؛ فلما كان وقت الصباح إذا بالسوداء قد أتتني مذعورة، فقلت: ما لك؟، فقالت: إنَّ سيدتي ليست بحاضرة، فقلت: ويلك وأين هي؟ فقالت: والله ما أدري. قال: فلم أحس لها أثراً بعد تلك، ودخلت بغداد وقضيتُ حوائجي، وانصرفت إلى الأمير تميم، فأخبرته خبرها، فعظم ذلك عليه، واغتم له غماً شديداً، ثم لم يزل ذاكراً لها أسفاً عليها.

ومن أصواتها هذا: [من مجزوء الكامل]

يـا أَيُّـهـا الـسَّـاقِـي الـهَـوَى ضَـجـراً بـأَنْ صَـدَّ الـحَـبِـيـبُ
اسْـمَـعْ فِـإنِّـي قـائِـلٌ قَـولاً سـيـعـرِفُـهُ الـلَّـبـيـبُ
الـحُـبُّ داءٌ مـا تـلـيـنُ بـمـثْـلِ حُـرْقَـتِـهِ الـقُـلُـوبُ
والـحُـبُّ لـيـسَ لـهُ سِـوَى مَـنْ قَـدْ كَـلِـفْـتُ بِـهِ طـبـيـبُ

والشعر لأبي نؤاس، والغناء فيه في الطريقة الرابعة من الهزج.

ومن أصواتها: [من الطويل]

تـذكـرتَ ريَّـا وانـبـرى لَـكَ حُـبُّـهـا ومِـنْ دُونِـهـا الأَعـداءُ خُـزْرٌ عُـيُـونُـهـا
وحَـنَّـتْ قَـلُـوصِـي آخِـرَ الـلـيـلِ حَـنَّـةً فـيـا رَوْعَـةً مـا راعَ قَـلْـبِـي حَـنِـيـنُـهـا
حبت في عِقالَيها وشَامَتْ عُيُونُها سَنَى البرقِ عُلْوياً فَجُنَّ جُنُونُها

/٤٠٥/ فقلتُ لها جِنّي فكلُّ قريبةٍ   مُفارِقُها لا بدَّ يوماً قَرِيْنُها[١]

والشعر للصمَّة بن عبد الله[٢]، والغناء فيه في أول الثقيل.

وهذا القول من قطعة جملتها ثمانية أبيات وتمامها:

وقلتُ لها حنِّي رويداً فإنَّني   وإياكِ تُخفِي عَوْلَة سنبينُها
فما بَرِحَتْ حتَّى ارْعَوَينا لصوتِها   وحتَّى انبرَى مِنَّا مُعِينٌ يُعِيْنُها
ظَلِلْتُ بها أبكي بعَينٍ حَزِيْنَةٍ   مَراها الهَوَى حتَّى استهلَّت جُفُونُها
تَعَزَّ بصَبْرٍ أَنْ تُلامَ فإنَّما   على النفسِ ما جَرَّتْ وللنفسِ دَيْنُها

ومنهم:

[١٨٣]

الكسو أحمد بن محمد بن أحمد اللخمي
من أهل تونس

قال شيخنا أبو حيان: حضرت معه في بستان كان استدعاني إليه الكاتب أبو الحسن ديسم، وكان يحسن الضرب بالعود والغناء، وأنشدنا لنفسه هذا: [من الرمل]

كُلُّ معنًى مِنْ مَعَانيهِ بَدَا   لستُ أَسْلُو عَنْ هَوَاهُ أَبَدَا
مُطْلقُ الحُسْنِ خَلاَ عَنْ شَبَهٍ   وأَنا في الحُبِّ مِمَّنْ قُيِّدا
إنَّ غَيِّيْ في هَوَاه رَشَدٌ   وضَلاَلِي فيهِ لا شكَّ هُدَى

---

(١) البيتان الأولان في ديوانه ١٣٦ـ ١٣٧.

(٢) الصمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرة القشيري، من بني عامر بن صعصعة، من مضر: شاعر غزل بدوي. من شعراء العصر الأموي، ومن العشاق المتيمين. كان يسكن بادية العراق، وانتقل إلى الشام. ثم خرج غازياً يريد بلاد الديلم، فمات في طبرستان. نحو سنة ٩٥هـ/ ٧١٤م، وهو صاحب الأبيات التي منها:

قفا ودّعا نجداً ومن حل بالحمى   وقلَّ لنجد عندنا أن يودَّعا

ترجمته في: الأغاني ٥/ ١٢٦ وسمط اللآلي ٤٦١ وخزانة البغدادي ١/ ٤٦٤ وهو فيه نقلاً عن جمهرة الأنساب: «الصمة بن عبد الله بن الحارث بن قرة بن هبيرة» وفيه أيضاً ٣/ ٤١٣ و٤١٤ شيء عنه. والمؤتلف والمختلف ١٤٤ الترجمة ٤٦٢ والتبريزي ٣/ ١١٢، الأعلام ٣/ ٢٠٩، معجم الشعراء للجبوري ٢/ ٤٦٩.

شَهِدَ الكونُ لهُ أَجْمَعُهُ   لا تَرَى في حُبِّهِ مَنْ فَنَّدا

وأنشدنا أيضاً مما قاله في السماع: [من مخلع البسيط]

ماذا يُريدُ العَذُوْلُ مِنِّي   صُمَّتْ عِنِ العاذِلينَ أُذْنِيْ
بِمُهْجَتي شادِنٌ رَبِيْبٌ   يسبي البَرَايا بكلِّ فَنِّ
رَشَا كِناسٍ قَضِيبُ آسٍ   رياضُ حُسْنٍ هِلاَلُ دَجْنِ
قَلْبي مُقيمٌ على هَواه   إنْ ضَجَّ أو لَجَّ في التَّجَنِّيْ
فَحَدِّثُوا بالدَّلالِ عَنْهُ   وحدِّثوا بالخُضُوعِ عَنِّيْ

قال: ولما توفي الدعي المسمّى بالفضل ملك إفريقية، كان هذا ابن الإمام يمدحه، ويهجو من عاداه، ويصرّح بذلك في تونس؛ فلما قتل الدعي وتولّى أبو حفص، قتله لما كان بلغه من ذمه وهجوه.

ومنهم:

[١٨٤]

أبو عبد الله الشلالجي

تعالَلتِ كيْ أَشْجَى وما بكِ عِلَّةٌ   تُريدينَ قتْلِي قدْ ظَفِرْتِ بِذَلِكِ
وقولُكِ للعوَّادِ كيفَ تَرَوْنَهُ   فَقَالوا: قتيلاً قلتُ: أيسرُ هالِكِ
لئِنْ ساءَنِي أَنْ نِلْتِني بِمَسَاءَةٍ   لقدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ ببالِكِ

وهذا آخر معروف بالغناء /٤٠٦/ بالجانب الغربي على ما أنفذنا فيه وسع الحيلة وتسمحنا فيه؛ لتكثير الفئة القليلة، وقد تكلَّفنا له فوق الجهد والطاقة، ودخلنا فيه من الباب والطاقة.

[مشاهير أهل الغناء بمصر]

فأمّا مصر فإنها وإن حوت الجماهير، وجمعت المشاهير، فإن أفراد أهل الغناء أقل من وجود الصديق، وجود الزمان بالعيش الخالي من الترنيق، ومنهم أناس سنذكرهم، ونعرفهم ولا ننكرهم.

ومنهم:

[١٨٥]
ناطِفَة جارية الزاغوني

جارية تفتك بالمهج، وتقتل ولا إثم عليها ولا حرج، وهزت من قدها رمحا، وسلت من أجفانها سيفاً لا يعرف صفحا، فملكت القلوب عنوة، وكانت في أفق الدور الأموية شمس صباحها وبدر صباحها، وكأس شمولها، وقصارى مأمولها، إلى أن غلبت الأهواء، وأعلت وأغلت الدواء، وأضحت تجاوب في قتل أهل الغرام بها عوداً إلى أن ينطلق له لسان، ولا يسفك بمثل إشارته دم إنسان، وكانت أيام الأخشيد تغشى مجلس ابن الفرات، وتجاور منه في جانب النيل الفرات، وكان يصلها بالمواهب، ويقدمها على كل مواظب، ثم قطعها أيام المعز، وكان لها لا يبز.

ومن أصواتها المشهورة: [من الطويل]

إذا كـنـتَ ذا نـفـسٍ جـوادٍ ضـمـيـرُهـا فليسَ يضير الجُودَ أن كنتَ مُعدِما
رآنـي بـعـيـنِ الـجُـودِ فـانـتـهـزَ الـذي أَردتُ ولـمْ أَفْـغـرْ إلـيـهِ بـهـا فَـمَـا
ظلمتُكَ إنْ لَمْ أَجزِكَ الشكرَ بعدَ ما جعلتَ إلى شكري نَوَالَكَ سُلَّما
وأنـكَ لـمْ تـتـركْ بـذاكَ ذخِـيـرَةً لـغـيـركَ مِـنْ شُـكـرِي ولا مُـتَـلَـوِّمـا

والشعر لمسلم بن الوليد[١]، والغناء فيه في مزموم الرمل.

---

(١) ديوانه ٢٦٩.

ومنهم:

[١٨٦]
بَدِيْع جارية المحلمي

وكانت جارية سمراء، تحكي الأسمر البرتي قداً وكأنه أنبوب، والأبيض اليَزَني طرفاً /٤٠٧/ تقدّ به القلوب، كأنما خُلقت من ليلٍ كله سحر، وسواد طرف ملؤه حور، ألذّ من الظل للمحرور، وأحسن من اختلاط مسك وكافور، وكان سيدُها قد أخذها بالتأديب، واقتنصها من البر اقتناص الظبي الربيب، واشتراها صغيرة من مولدات الصعيد، وحظي بها أنه سعيد، ولقيت أهل التعليم، وبقيت تفهم بالإيماء فهم التكليم، حتى كانت إذا نطقت أذابتْ صبر الجليد، وألانتْ قلب الجلمد والحديد.

ومن أصواتها المشهورة: [من الرمل]

بُـدِّلَ الـطَّـرْفُ مِـنَ الـنَّـومِ الـسَّـهَـرْ ... حِـيْـنَ صَـدَّ الـظَّـبْـيُ عـنِّـي وهَـجَـرْ
رَشَـــأٌ أَوْدَعَ قَـــلْـــبـــي حَـــسْـــرَةً ... وحَـمَـى عَـينـيْ مـن الـدَّمْـعِ الـنَّـظَـرْ
ولـــه ثَـــغْـــرٌ شـــتـــيـــتٌ بـــيـــتُـــهُ ... وبـعـيـنـيـهِ مِـنَ الـسُّـقْـمِ حَـوَرْ
بـــأَبِـــي ذاكَ حَـــبـــيـــبـــاً هـــاجِـــراً ... لـم يَـدَعْ فـي الـحُـبِّ عـنْـهُ مُـصْـطَـبَـرْ

والشعر لابن الرومي(١) والغناء فيه مزموم الرمل.

وكذلك من أصواتها: [من الكامل]

بـانَ الـخَـلِـيْـطُ وفـاتَـنـي بـرحـيـلِـهِ ... جـودٌ إذا ذُكِـرَتْ لـقـلـبـكَ يَـشْـغَـفُ
تـجـلـو بـمـسـلـوكِ الأَراكِ مـنـصـبـاً ... عَـذْبـاً إذا ضـحـكـتْ تـهـلَّـلَ يَـنْـطِـفُ
وكـأَنَّ رِيْـقَـتَـهـا عـلـى عـلـلِ الـكـرى ... عَـسَـلٌ يُـصـفَّـى فـي الـقِـلالِ وقَـرْقَـفُ
وإذا تَـنُـوءُ إلـى الـقِـيـامِ تَـدَافَـعَـتْ ... مِـثْـلَ الـنَّـزِيْـفِ تَـنُـوْءُ ثُـمَّـتَ تـضـعـفُ

والشعر لأعشى همدانَ(٢)، والغناء فيه في ثاني ثقيل.

ومنهم:

[١٨٧]
صافية، جارية بدر أمير الجيوش(٣)

وكانت شمساً لا تصلح إلاّ لبدر، وقلباً لا يضم إلى كل صدر، ولا تطرف له عنها

---

(١) ديوانه ٢/ ١٤٤.
(٢) الأغاني، الصبح المنير ٣٣٤.
(٣) بدر بن عبد الله الجمالي، أبو النجم: أمير الجيوش المصرية، ووالد الملك الأفضل شاهنشاه. أصله من أرمينية اشتراه جمال الدولة بن عمّار غلاماً، فتربى عنده، ونسب إليه، وتقدم في الخدمة =

عين غافية، ولا تكدّ[ر] له في النطف صافية، وكانت تزرى بالقضيب، وتسبي بالبنان الخضيب، وتسفه رأي الملك الضِّلّيل[١] إذ قال[٢]: [من الطويل]

أَفـاطِـمُ مَـهْـلاً بـعـضَ هَـذا الـتَّـدَلُّـلِ

والصادق الحبّ جميل إذا شكا من حب بثينة التململ، لا يعلق له بغيرها أمل، ولا يرى إلاّ أنها بها قديم تمامه، وكمل لا تلائم جنبه إذا فقدها المضاجع، ولا /٤٠٨/ إذا وجدها قال جفنه للنوم حتى أنت راجع. وكانت قُمْرية مجلسه، وأيكة دوحه النابت في مغرسه.

ولها أصوات في أشعار مختارة، وكانت لا تميل إلاّ إلى هذا ومثله، ولا تعجب إلاّ به وشبهه، ومن أصواتها المشهورة: [من الطويل]

وإنّ دمـنـاً لا تـعـلـمـيـن حـنـيـنـه علي الـحَـيِّ جانِي مثل غيرِ سالـمِ
ولـكـن لَـعَـمْـرُ الله مـا ظَـلَّ مـسـلـمـاً لِـغُـرِّ الـثَّـنَـايـا واضِـحـاتِ الـمَـراغِـمِ
رَمَـيْـنَ فَـأَقْـصَـدْنَ الـقُـلُـوبَ ولـمْ نَـجِـدْ ذمـامـاً يُـرَى إلاّ حَـوى فـي الـحَـيَـازِمِ
وخَـبَّـرَكِ الـوَاشـونَ أَنْ لا أُحِـبّـكُـمْ بَـلَـى وسـتـورِ الـلـهِ ذاتِ الـمَـحـارِمِ

والشعر لأبي حية النميريّ[٣]، والغناء فيه في ثاني الرمل.

ولها أصوات في شعر الصمة بن عبد الله كان يقترح عليها، فمنها هذا: [من الطويل]

لَعَمْرِي لئِنْ كنتُمْ على النأيِ والقِلَى بِـكُـمْ مِـثْـلُ مـا بِـي إنـكُـمْ لـصَـدِيـقُ
إذا زَفَـراتُ الـحُـبِّ صَـعَّـدْنَ في الـحَشَـا رُدِدْنَ ولـمْ يـنْـهَـجْ لَـهُـنَّ طَـرِيْـقُ

= حتى ولي إمارة دمشق للمستنصر صاحب مصر (سنة ٤٥٥هـ) ثم استدعاه إلى مصر واستعان به على إطفاء فتنة نشبت، فوطد له أركان الدولة فقلده «وزارة السيف والقلم» وأصبح الحاكم في دولة المستنصر والمرجوع إليه. وكان حازماً شديداً على المتمردين، وافر الحرمة. توفي في القاهرة سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، وكانت ولادته في سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م.
ترجمته في: ابن الأثير ١٠/ ٨١ والنجوم الزاهرة/ ١٤١ وما قبلها. وفي شذرات الذهب ٣/ ٣٨٣ وفاته سنة ٤٨٨ وجعله «العظيمي» فيمن توفوا سنة ٤٧٧ خطأ. وانظر: رفع الإصر ١/ ١٣٠ـ ١٣٧ وفيه: «كان له ولد كبير، فعصى عليه واستولى على الإسكندرية، فحاصره حتى أخذه. فلما قبض عليه قتله بيده»، الأعلام ٢/ ٤٥.

(١) الملك الضلّيل: هو إمرىء القيس الشاعر.
(٢) صدر بيت لامرىء القيس في ديوانه. وعجزه:
«وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي». «ديوانه ص ١٢».
(٣) شعره ٨٦ ـ ٨٩.

ومنها أيضاً: [من الطويل]

إذا ما أَتانا الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِها ... أَتَتْنا بِرَيَّاها وطابَ هُبُوبُها
أَتَتْنا بريحِ المِسْكِ خالطَ عَنْبَراً ... وريحِ خُزَامَى باكَرَتْها جَنُوبُها

ومنها أيضاً: [من الطويل]

نَظَرْتُ وطَرْفُ العَينِ يَتْبَعُ الهَوَى ... بِشَرْقِيِّ بُصْرَى نظرةَ المُتَطاوِلِ
لأُبْصِرَ ناراً أُوْقِدَتْ بعْدَ هَجْعَةٍ ... لرؤيا بذاتِ الرمث مِنْ بَطْنِ حَائِلِ

ومنها أيضاً: [من الطويل]

خَلِيليَّ قُوما فاشرفا القَصْرَ فانظُرَ ... بأَعيانِنا هَلْ يُؤْنِسانِ بِهِ الرَّنْدَا
فإِنِّيَ لأخْشَى إنْ عَلَوناهُ عَلْوَةً ... ويشرق أَنْ يَزْدَادَ ويَحكُما وجْدَا
نَظَرْتُ وأَصْحَابي ندورة نظرة ... فلوْ لَمْ تَفِضْ عينايَ أَبْصَرتا نَجْدَا
/٤٠٩/ إذا مَرَّ رَكْبٌ يُصْعِدُونَ ظَنَنْتُنِي ... مَعَ الرائحينَ المُصعدينَ لَهُمْ عَبْدَا

وكلها في أمان.

ومنهم:

[١٨٨]

عَيْنَا، جارية بدر أمير الجيوش

وكانت جارية حائرة، فاتنة فاترة، تتلفت تلفت الريم، وتسفر إسفار الصباح في الليل البهيم، بمحيا لو غاب البدر ثم أسفرت أطلعته، وعيون لو نظرت إلى سرب المها صرعته، مع إحسان في كل ضرب، وأجفان تقيم كل حرب، وطرف ما كان مثله لعريب جارية المأمون، ولا لبدعة، وهي التي مثلها في الدنيا لا يكون، وكان بدر يرى أنها شمس نهار، وأسنى أقماره، ولها عدّة أصوات مشهورة، فمنها هذا: [من الطويل]

وهلْ خُلَّةٌ مَعْسُولَةُ الطَّعْمِ تُجْتَنَى ... مِنَ البِيض إلاَّ حيثُ واشٍ يكيدُها؟
مَعَ الواصلِ الوَاشِيْ وهَلْ تجتني يد ... جنا النحل إلاّ حيثُ نَحْلٌ يذودها

والشعر لابن الرومي(١)، والغناء فيه في الثقيل.

(١) ديوانه ٢/ ٦٨٩.

ولها صوت في شعر الصمة بن عبد الله(١): [من الطويل]

أمـا ردَّ ردّي مـنـه الـوصـل بـيـنـا ولا تُشْمِتِي في الكاشِحِينَ الأعادِيا
أَمَا ردّ لا والـلـهِ مـا بِـي عَـنِ الـبُـكَـا عَـزَاءٌ ومـا فـيـهِ شِـفـاءٌ لـمـا بِـيَـا

والغناء فيه رمل مزموم.

ولم يقع إلينا من أصواتها سواهما.

ومنهم:

[١٨٩]
مغنّي الصالح بن رزيك(٢)

وكان لا يزال يغشى مجلسه، ويستدعي أنسه، ويشغله عن كل حاضر، وكان مجيداً في علم الغناء، إذا غنّى اطّرح الوقار، ورمى الأوائل بالاحتقار، وكان يغنيه غناء عاماً، ويدنيه إدناءً تاماً، وصنع عدّة أصوات في مواضع من شعره كان يقترحها عليه، ويقترحها من إضاءتيه، وكان لا يزال حباؤه متكاثراً لديه، متواتراً تواتر المطر المسكوب إليه.

وحكي أنه غنّى يوماً /٤١٠/ بين يديه(٣): [من البسيط]

---

(١) لم ترد في ديوانه.

(٢) طَلاَئِع بن رُزِّيك، الملقب بالملك الصالح، أبي الغارات: وزير عصامي، يعد من الملوك. أصله من الشيعة الإمامية في العراق. ولد سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م. قدم مصر فقيراً، فترقى في الخدم، حتى ولي منية ابن خصيب (من أعمال الصعيد المصري)، وسنحت له فرصة فدخل القاهرة، بقوة، فولي وزارة الخليفة الفائز (الفاطمي) سنة ٥٤٩هـ. واستقل بأمور الدولة، ونعت بالملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين. ومات الفائز سنة ٥٥٥هـ، وولي العاضد، فتزوج بنت طلائع. واستمر هذا في الوزارة. فكرهت عمة العاضد استيلاءه على أمور الدولة وأموالها، فأكمنت له جماعة من السودان في دهليز القصر، فقتلوه وهو خارج من مجلس العاضد سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦١م وكان شجاعاً حازماً مدبراً، جواداً، صادق العزيمة عارفاً بالأدب، شاعراً، له «ديوان شعر ـ ط» صغير، وكتاب سماه «الاعتماد في الرد على أهل العناد» ووقف أوقافاً حسنة. ومن آثاره جامع على باب «زويلة» بظاهر القاهرة. وكان لا يترك غزو الفرنج في البر والبحر. ولعمارة اليمني وغيره مدائح فيه ومراث.

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٣٨ ودول الإسلام ٢/ ٥١ والمقريزي ٢/ ٢٩٣ ومرآة الزمان ٨/ ٢٣٧ وخريدة القصر، قسم شعراء مصر ١/ ١٧٣ وفيه: «يقال: إن المهذب بن الزبير كان ينظم له» يعني شعره. الأعلام ٣/ ٢٢٨.

(٣) للاعشى في ديوانه ٤١.

وَدِّعْ هُـرَيْـرَةَ إنَّ الـرَّكْـبَ مُـرْتَـحِـلُ وهـلْ تُـطِـيـقُ وداعـاً أَيُّـهـا الـرَّجُـلُ

فوثب القاضي الفاضل[١]، وكان إذ ذاك يكتب للصالح وأنشأ يقول[٢]:

دَعُـوا هُـرَيْـرَةَ إنْ حَـلَّـتْ وإنْ رَحَـلَـتْ فـيْـكُـمْ تَـحِـلُّ وعـنْـكُـمْ لـيـسَ تَـرْتَـحِـلُ
فـمـتـى عـلـى فَـتْـرَةٍ لـلـجُـوْدِ عـارِضَـة فـمـا رَأَى الـنـاسُ إلاَّ أَنَّـكُـمْ رُسُـلُ
دُمْـتُـمْ لـنـا وأَدامَ الـلـهُ دَوْلَـتَـكُـمْ وسُـخِّـرَتْ لـكُـمُ الأَمْـلاكُ والـدُّوَلُ
هـذا شـجـاعٌ وهـذِي مِـصْـرُ فـي يَـدِهِ والـعـمـرُ والـحُـسْـنُ والإقـبـالُ مُـقْـتَـبِـلُ

فوقعت منه وممن حضر ألطف موقع، وأمر المغني، وصنع فيه صوتاً، وغنى به لوقته.

ومنهم:

[١٩٠]

سرور، جارية العزيز[٣]

وكانت لا تعدل بها امرأة، ولا تذكر بقبيح إلاّ كانت عنه مبرأة، وكانت جارية

---

(١) القاضي الفاضل، عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي، وزير، من أئمة الكتّاب. ولد بعسقلان (بفلسطين) سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٥م وانتقل إلى الإسكندرية، ثم إلى القاهرة وتوفي فيها. سنة ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م. كان من وزراء السلطان صلاح الدين، ومن مقربيه، ولم يخدم بعده أحداً، قال بعض مترجميه: «كانت الدولة بأسرها تأتي إلى خدمته» وكان السلطان صلاح الدين يقول: «لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل!» وكان سريع الخاطر في الإنشاء، كثير الرسائل، قيل: لو جمعت رسائله وتعليقاته لم تقصر عن مئة مجلد، وهو مجيد في أكثرها. وقد بقي من رسائله مجموعات، منها «ترسل القاضي الفاضل ـ خ» و«رسائل إنشاء القاضي الفاضل ـ خ» و«الدر النظيم في ترسل عبد الرحيم ـ خ» ولابن سناء الملك كتاب «فصوص الفصول وعقود العقول ـ خ» أكثره من إنشاء القاضي الفاضل. وله «ديوان شعره ـ ط».
ترجمته في: النجوم الزاهرة ٦/ ١٥٦ وابن خلكان ١/ ٢٨٤ وخطط مبارك ٦/ ١٢ وكتاب الروضتين ٢/ ٢٤١ والكتبخانة ٤/ ٢٩٠ والنعيمي ١/ ٩٠ والنويري ٨/ ١ ـ ٥١ والسبكي ٤/ ٢٥٣ وخريدة القصر: (قسم شعراء مصر) ١/ ٣٥ وهو فيه «عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد البيساني» وفي هامش الصفحة نفسها: كان أبوه يلي قضاء بيسان في فلسطين فنسب إليها. وفي كشف الظنون ٢: ١٠٦١ «سيرة الملك المنصور قلاوون للقاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني وهو خطأ، فالقاضي الفاضل توفي قبل مولد قلاوون بربع قرن، وإنما الكتاب من تأليف شافع بن علي العسقلاني؛ انظر ترجمته في: روضات الجنات ١٣٨، أعلام العرب ٢/ ٢١، الأعلام ٣/ ٣٤٦، معجم الشعراء للجبوري ٣/ ١٣٨.

(٢) أخل بها ديوانه.

(٣) المَلِك العَزِيز، عثمان بن يوسف (صلاح الدين) ابن أيوب، أبو الفتح، عماد الدين: من ملوك الدولة الأيوبية بمصر. ولد بالقاهرة سنة ٥٩٧هـ/ ١١٧٢م. كان نائباً فيها عن أبيه. وتوفي أبوه في =

لامرأة بالقاهرة علمتها الخط، وحفظتها القرآن، وعلمتها النحو واللغة والأدب، وروّتها الأشعار، ووفرتها على تصفح الأخبار، وأخذتها بصناعة الغناء، حتى فاقت كل جارية كانت تسمّى، ولا يماثل بها ظلوم وأمثالها إلاّ ظلماً، ورآها العزيز زمان أبيه فَهَوِيها، ولم يقدر على ملك رقّها، خوفاً من أبيه حتى ملك السلطنة ووليها، وكانت بينهما مدة حياة أبيه مراسلات وأشاير، وعلامات وأماير.

حكي أنها أهدت إليه مرّة أكرةً من العنبر فيها رز من الذهب، فلم يفهم معناه، ولا كشف مُعَمَّاه، فأخبر الفاضل، وكان لا يكتمه من أمره حاضره ولا غائبه، ولا آئبه ولا ذاهبه، فأنشده الفاضل[1]: [من السريع]

أَهْدَتْ لَكَ العَنْبَرَ في وسْطِهِ ... رُزٌ مِنَ التِّبْرِ خَفِيُّ اللجامْ
والتِّبْرُ في العَنْبَرِ مَعْناهُما ... زُرْ هكذا مختفياً في الظَّلامْ

وكتبت إليه مرة أخرى رقعة تعرض عليه فيها أن يشتريها، وكتبت في أولها قول /٤١١/ ابن الرومي[2]: [من المنسرح]

كثِّرْ بشخصيْ مَنِ اصطنعتَ ... مِنَ الناسِ وإن لم أزنك لم أشنِ
ما حقَّ من لان صدره لك بالـ ... ودّ لقاء بجانبٍ خَشِنِ

فلم يكن له همٌّ إلاّ مشتراها أول ما ملك.

ومن أصواتها المشهورة: [من الكامل]

ومُهَفْهَفٍ حُلْوِ اللَّمَى خَنِثٍ ... سَبَقَتْ محاسِنُهُ إلى الوَصْفِ

= دمشق، فاستقل بملك مصر، سنة ٥٨٩هـ. وحال انتزاع دمشق من يد أخيه الأفضل مرتين فلم ينجح؛ ونجح في الثالثة سنة ٥٩٢هـ، فأقام عليها عمه العادل. والعزيز من عقلاء هذه الدولة، كان كثير الخير كريماً، وله علم بالحديث والفقه، قال المقريزي: «سمع الحديث من السلفي وابن عوف وابن بري، وحدّث. وكانت الرعية تحبه محبة كثيرة» وقال ابن تغري بردي: «استقامت الأمور في أيامه، وعدل في الرعية، وعفّ عن أموالها». توفي بالقاهرة سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م.

ترجمته في: المقريزي ١/ ٢٣٥ ووفيات الأعيان ١/ ٣١٤ والإعلام ـ خ. والنجوم الزاهرة ٦/ ١٢٠ وابن إياس ١/ ٧٣ وابن الأثير ١٢/ ٥٤ والسلوك ١/ ١١٤ـ ١٤٤ والشرفنامه الكردية ٩١ وحلى القاهرة ١٩٥، الأعلام ٤/ ٢١٥.

(١) ديوانه ١/ ١٠٥ـ ١٠٦.

(٢) ديوانه ٦/ ٢٤٤٨.

كـالـلـيـلِ قـدْ جُـمِـعَـتْ كَـوَاكِـبُـهُ   فـي مَـوْضـعِ الـتَّـقْـبـيـل والـرَّشْـفِ

والشعر لابن الخلال المصري(١)، والغناء فيه لها.

وحكي أنّ العزيز هوي عليها جارية اسمها ألوف، فتبدل بها حال سرور، وتنكرت عليها بسببها من أحوال العزيز أمور؛ فلمَّا رأت إزورار جانبه، وتقلَّص أنسه من جانبه، أخلدت إلى القطيعة وعصت فيها نفسها المطيعة، فأخذته العزّة حتى صار انجماعه غضباً، وفتوره عنها لهباً، وهمَّ بإخراجها من داره، فخافت بأس اقتداره وأتتْ إليه قبل اقتداره، ولم تكلمه حتى ترامت على قدميه، واندفعت تغني بين يديه: [من البسيط]

وأَنْتُمُ النَّخْلَةُ الطُّولَى التي بَسَقَتْ   قِدْماً وبُورِكَ مِنْها الأَصْلُ والطَّرَفُ

فـإنْ زَوَى عـنـي الـجُـمَّـارُ طَـلـعـتـه   فلا يُصبني بحدّي شَوكَةِ السَّعَفُ

والشعر لابن الرومي(٢)، والغناء فيه خفيف الرمل، فلم يتمالك العزيز نفسه حتى ضمَّها إلى صدره، وقبّلها، وبلغها من عود عاطفته أملها، ثم ردع إليها الكرة وترك هوى ألوف، ولا أليف لها إلاَّ طول الحسرة.

ومنهم:

---

(١) ابن الخَلاَّل: يوسف بن محمد بن الحسين، أبو الحجاج، موفق الدين: صاحب ديوان الإنشاء بمصر، في دولة الحافظ العُبيدي، وأحد كبار الكُتّاب المترسلين، وله شعر حسن رقيق. اشتغل عليه القاضي الفاضل في الإنشاء، وتخرّج به. وعاش طويلاً. ولم يزل في ديوان الإنشاء إلى أن طعن في السن وعجز عن الحركة، وعمي، فانقطع في بيته. مولده بمصر، ووفاته فيها سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧١م.
ترجمته في: نكت اللميان ٣١٤ وفيات الأعيان ٧/ ٢١٩ـ ٢٥٥ والأعلام بتاريخ الإسلام ـ خ، ومرآة الجنان ٣/ ٣٧٩. الأعلام ٨/ ٢٤٧، معجم الشعراء للجبوري ٦/ ١٨٣، النكت العصرية ٢٩٨ـ ٢٩٩، وخريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/ ٢٣٥ـ ٢٣٧، وسنا البرق الشامي ١/ ١١٠، والكامل في التاريخ ١١/ ٣٦٦، والروضتين ج١ق٣/ ٤٨٧، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٥٠، والعبر ٤/ ١٩٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٠٥ رقم ٣٢١، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٢١، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٦٤، وعيون التواريخ (مخطوط) ١٧/ ١٣٣ ب ـ ١٣٥أ، وعقد الجمان (مخطوط) ١٢/ ١٦٥أ، ب، وتاريخ ابن الفرات م٤ج١/ ١٣٣، وحسن المحاضرة ٢/ ٢٣٣، وشذرات الذهب ٤/ ٢١٩، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٦١ـ ٥٧٠هـ) ص٢٦١ رقم ٢٣٩.

(٢) ديوانه ٤/ ١٦١٦.

[١٩١]

فُتُون العادلية[(١)]

جارية تعيب البدر إذا بزغ، وتعين الشيطان إذا نزغ، بصورة جلَّ خالقها، وجلب الكرى المشرَّد ليراعها عاشقها، أقتل من الصدود، وأقلَّ رضاً من الشيء المعدود، /٤١٢/ بتأتٍ يُعذر به من أحبّها، وملك قلبه حبّها.

أهديت من ملك الروم إلى الملك العادل، ودنت فأسكت ناديها كل مجادل، وكانت حاذقة بالضرب بأنواع الملاهي، مغلبة للمباهي، إلى طيب مجالسة، وإمتاع مؤانسة، وابتداءات مبهتة، وأجوبة مسكتة، وكانت زينة القصر، وجليلة ذلك العصر.

ومن مشاهير أصواتها: [من مجزوء الكامل]

أَدِرِ الـمُـدَامَـةَ يـا نـديـمُ ... واطْـرَبْ فـقـدْ رَق الـنَّـسـيـمُ
وامـلأْ كـؤُوسَـكَ واسـقـنـي ... صـفـراء صـانـعُـهـا حـكـيـمُ
مـنْ كـفِّ أهـيـفَ كـالـقَـضِـيْـ ... ـبِ كـلامُـهُ الـعَـذْبِ الـرَّخِـيـمُ
ومِـنَ الـعـجـائـبِ طَـرَفُـهُ ... لـيَ مُـسـقـمٌ وهـوَ الـسـقـيـمُ

---

(١) نسبه إلى المَلِك العَادِل، محمد بن أيوب بن شادي، أبو بكر، سيف الإسلام، الملقب بالملك العادل، أخو السلطان صلاح الدين: من كبار سلاطين الدولة الأيوبية. ولد في دمشق وقيل في بعلبك سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م. كان نائب السلطنة بمصر عن أخيه صلاح الدين أثناء غيبته في الشام. ثم ولاه أخوه مدينة حلب (سنة ٥٧٩هـ) فرحل إليها وأقام قليلاً، وانتقل إلى «الكرك» وتنقل في الولايات إلى أن استقل بملك الديار المصرية (سنة ٥٩٦) وضم إليها الديار الشامية، ثم ملك أرمينية (سنة ٦٠٤) وبلاد اليمن (سنة ٦١٢) ولما صفا له جو الملك قسم البلاد بين أولاده، وجعل يتنقل من مملكة إلى أخرى، فكان يصيف بالشام ويشتي بمصر. وعاش أرغد عيش. كان ملكاً عظيماً حنكته التجارب، حازماً، داهيةً، حسن السيرة محباً للعلماء. توفي بعالقين (من قرى دمشق) سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٨م. وهو يجهز العساكر لقتال الإفرنج. وكتم خبر موته، فحمل في محفة، على أنه مريض، وأدخل قلعة دمشق، وقام ابنه الملك المعظّم بتنظيم الأمور، ثم نعاه. ودفن في مدرسته المعروفة إلى اليوم بالعادلية وهي المتخذة أخيراً داراً للمجمع العلمي. وفي أيامة زال أمر الاسماعيلية من ديار مصر، بعد أن قبض على كثيرين منهم (سنة ٦٠٤) قال المقريزي: «ولم يجسر أحد بعدها أن يتظاهر بمذهبهم».

ترجمته في: ابن خلكان ٢/ ٤٨ وفيه: ولادته بدمشق سنة ٥٤٠ وقيل ٥٣٨ وابن إياس ١/ ٧٥ وابن طولون في «المعزة فيما قيل في المزة» ٦ عن الذهبي، وفيه: عاش ٧٩ سنة. والسلوك للمقريزي ١/ ١٥١ـ ١٩٤ وفيه: مولده سنة ٥٣٨ ومرآة الجنان ٨/ ٥٩٤ وذيل الروضتين، والأعلام ٦/ ٤٧ .

رقت معاقِدُ خَصْرِهِ   وكأنّه جِسْمي الأليمُ
دَبَّتْ عقاربَ صُدْغهِ   فلذاك عاشقهُ سَليمُ

والشعر لابن محارب من قصيدة يمدح فيها الصاحب بن شكر[1]، ومنها في المدح:

ومَديحُ مَولانا الوَزيـ   ـرِ هوَ الصِّرَاطُ المُستقيْمُ
يُرْوَى بِراحَتِهِ الصَّدَى   ويُرَى بطلعتِهِ النَّعيمُ
ولهُ حديثُ مَكَارِمٍ   تُرْوَى ومُسْنَدُها قَديمُ
في كَفِّهِ القَلَمُ الذي   وجْهُ الزَّمانِ بِهِ وسِيمُ
وخِطابُهُ الحَقُّ المُبيـ   ـنُ وخَطْبُهُ النَّبأُ العَظِيمُ
قَبِّلْ يديهِ مُبادِراً   فَبِيُمنِهِ يُشْفَى الكَلِيمُ

وكذلك من أصواتها في شعر الباخرزي[2]: [من المتقارب]

أَرُوحُ وفي القَلْبِ منّي شَجًى   وأَغْدو وفي القَلْبِ مِنّي شَجَنْ
أُبَكّي ولا طَوْقَ لِي بالفِرَاقِ   إذا ذاتُ طَوْقٍ بَكَتْ في فَنَنْ
فللماءِ مِنْ مُقْلَتي ما بَدَا   وللنارِ مِنْ مُهْجَتي ما كَمَنْ
/٤١٣/ ومَنْ لجُفُوني بشيءٍ نَسِيتُ   وأَحْسَبُهُ كانَ يُدْعى الوَسَنْ

---

(١) عبد الله بن علي بن الحسين، أبو محمد، صفيّ الدين الشيبي الدميري، المعروف بالصاحب ابن شكر: وزير مصري. من الدهاة. ولد في دميرة البحرية (من إقليم الغربية بمصر) سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م ونشأ نشأة صالحة، فتفقه في القاهرة، وصنف كتاباً في «الفقه» على مذهب مالك. واتصل بالملك العادل أبي بكر بن أيوب فولاه مباشرة ديوانه سنة ٥٨٧هـ ثم استوزره، فعمد إلى سياسة العنف والمصادرة واستبد بالأعمال، فعزله العادل، فخرج إلى آمد وأقام عند ابن ارتق إلى أن مات العادل (سنة ٦١٥) فطلبه الكامل محمد ابن العادل، وهو في نوبة قتال مع الإفرنج على دمياط، فجاءه، فكاشفه بما هو عليه من الاضطراب بثورة العرب في مصر ومحاربة الفرنج وعصيان بعض الأمراء. فنهض ابن شكر بالأمر عنيفاً على سابق عادته، فخافه الناس وهابوه، فاستقر الملك. وعظم أمره عند الملك الكامل. واستمر على ذلك إلى أن مات بالقاهرة سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م. قال مؤرخوه: كان طلق المحيا، حلو اللسان، حسن الهيئة، صاحب دهاء مع هوج، شديد الحقد، منتقماً لا ينام عن عدوه ولا يقبل معذرة أحد.
ترجمته في: فوات الوفيات ١/ ٢١٩، والإعلام لابن قاضي شهبة ـ خ، وخطط مبارك ١١/ ٥٧، الأعلام ١٠٥٤ـ ١٠٥٦.

(٢) ديوانه ١٨٦ـ ١٨٩.

وحكى أنها دخلت عليه بكرة يوم، والصباح المقبل قد ركض جبينه في أحشاء الشجر، ونفض العنبر المغلف على أصداغ الطرر، والشمس قد همَّت بأن تحدر النقاب، ثم تمنعت وتطلعت من الألقاب، والفضاء قد أصبح فضياً، والروض قد أضحى سماوياً أرضياً، والطير قد هتف للإعجاب، وبشَّر بتقشع الظلام المنجاب، والماء قد رفض إذ تكشفت السماء، ولم يبق بينه وبينها حجاب، فسرَّ بزيارتها، وقدح زند فجره المشرق بإنارتها، واستدعى منها الغناء فغنَّت: [من الخفيف]

مَرْحَباً بالصَّبَاحِ لمَّا وَافَى ... وانْتَضَى في الدُّجَى لهُ أَسْيافا
رافعاً في الظَّلامِ جُنْحَ دُجاهُ ... عاجلاً مِثْلَ ما رفعتَ السِّجَافا
مِثْلَ سيفِ الدِّينِ المليكِ المُفَدَّى ... عندما جاءَ شَقَّقَ الأَسْدَافا
كانَ كُلُّ الزمانِ بالظُّلم ليلاً ... فَمَحَاهُ وأَطْلَعَ الإنْصافا

فأعجبه الشعر والغناء وهما لها، ثم سألها حاجتها، فذكرت أسيراً في يد الإفرنج سئلت فيه الفداء، فعجل به.

ومنهم:

[١٩٢]

عَجِيْبَة، مغنية الكامل(١)

وكانت في نساء زمانها عجيبة، وفي أوانس أخدانها غريبة. من المغاني

---

(١) المَلِك الكامِل، محمد بن محمد (العادل) ابن أيوب، أبو المعالي، ناصر الدين: من سلاطين الدولة الأيوبية. كان عارفاً بالأدب، له شعر، وسمع الحديث ورواه. ولد بمصر سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م، وأعطاه أبوه الديار المصرية، فتولاها مستقلاً بعد وفاته (سنة ٦١٥) وحسنت سياسته فيها. واتجه إلى توسيع نطاق ملكه، فاستولى على حران والرها وسروج والرقة وآمد وحصن كيفا، ثم امتلك الديار الشامية، ودخل ابنه (الملك المسعود) مكة سنة ٦٢٠ فكانت الخطبة فيها باسم الكامل، ودعي له بلقب «مالك مكة وعبيدها، واليمن وزبيدها، ومصر وصعيدها، والشام وصناديدها، والجزيرة ووليدها الخ» واستمر أربعين سنة، نصفها في أيام والده. وتوفي بدمشق سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م، ودفن بقلعتها. وله مواقف مشهورة في الجهاد بدمياط. وكان حازماً عفيفاً عن الدماء، مهيباً، يباشر أمور الملك بنفسه، كما يقول المقريزي. وقال الصفدي: كان فيه جبروت، لما مات لم يحزن عليه الناس. من آثاره بمصر المدرسة «الكاملية».
ترجمته في: الوافي بالوفيات ١/ ١٩٣ وابن إياس ١/ ٧٧ وابن الأثير ١٢/ ١٢٦ و١٣٥ و١٨٦ ورواد الشرق العربي ١٥ و١٦ وفيه كلمة عن «معاهدة» قيل: عقدت بين الكامل والامبراطور =

المشهورات، الغواني المذكورات. شغف بها الملك الكامل على دثور عقله، ووفور فضله، وكان لا يصبر عنها ليلة من الليالي، ولا يدع استمرارها ولو بين مشتجر العوالي، وكانت ظريفة تأخذ بمجامع القلوب، وتخلب صوادف النفوس، وكانت تطلع إلى الملك الكامل، وجنكها محمول معها، ووورائها الجواري والخدم، وكانت تحضر مجلسه سرّاً وعلانية، وتغنيه على الجنك وبالدف، وبها قَدَحَ فيها ابن عين الدولة القاضي لما قال له الملك الكامل في قضية من القضايا: أنا أشهد عندك بكذا، فقال السلطان: يأمر، وما يشهد، فأعاد عليه السلطان القول، /٤١٤/ وأعاده القاضي عليه الجواب؛ فلما زاد الأمر، قال له السلطان: أنا أشهد تقبلني أنت أو لا؟ فقال: لا ما أقبلك، وكيف أقبل وعجيبه تطلع إليك بجنكها كل ليلة، وتنزل ثاني يوم بكرة، وهي تتمايل على أيدي الجواري والخدم، وينزل ابن الشيخ من عذرك أنجس مما نزلت.

فقال له السلطان: يا كنفرخ - وهي لفظة شتم بالفارسية - فظن ابن عين الدولة أنه قال له: كل فراخ، فقال: ما في الشرع كل فراخ اشهدوا على أني قد عزلت نفسي. وقام فجاء ابن الشيخ إلى الملك الكامل، وقال له: المصلحة إعادته؛ لئلا يقال: لأيّ شيء عزل القاضي نفسه؟، قال: لأنه شهد السلطان عنده فما قبله، فيقال: لأي شيء ما قبله؟ فيقال: لأجل عجيبة، فتمضمض بنا العوام، وتطير بها الأخبار إلى بغداد، وإلى الملوك، فقال له: صدقت، ونهض إلى القاضي، فترضاه، وأعاده إلى القضاء، وتأخر الأمر الذي كان يريد أن يشهد به.

عدنا إلى ذكر عجيبة

والذي نعرف من أصواتها: [من البسيط]

رفقاً عليَّ أبقيتِ مِنْ رَمَقِيْ ... لا تيأسي لي بأن أبقى ولا تبقي
هيهاتَ أينَ النقا مِنْ مُوجَعٍ كَمِدٍ ... عليكِ صَبٍ بنارِ الشَّوقِ مُحْتَرِقِ

=
فريدريك، في فبراير ١٢٢٩م، تخلى فيها الكامل عن القدس إلا المساجد. والسلوك للمقريزي ١/ ١٩٤- ٢٦٠ والحوادث الجامعة ١٠٧ ووفيات الأعيان ٢/ ٥٠ والدارس ٢/ ٢٧٧ ومرآة الزمان ٨/ ٧٠٥ وفيه مولده سنة ٥٧٣ والتكملة لوفيات النقلة - خ. الجزء الثالث والخمسون، الأعلام ٧/ ٢٨.

يا سائِلي عَنْ دَمِي لا تَطلُبُوا أحداً بعدي بِهِ فَدَمِي المسفوكُ في عُنُقِي
إنِّي حَمَلْتُ على نفسي لشِقْوَتِها مِثْلَ الجبالِ مِنَ البَلْوَى فلمْ تُطِقِ
فَمَنْ رَأى ليتَ شِعْرِي مِثْلَ مَوقِعِنا يومَ النَّوَى أبْحُراً تجري مِنَ الحُرَقِ
يا آمري في دُمُوعِي بعدَ ما فَنِيَتْ بأَنْ أَصُونَ وأحْمِي ما عَسَاهُ بَقِي

والشعر لابن الحجاج.

وحكي أنه أمر بها فأحضرت، والغيم قد فرّق في السماء قطعه، وطرّز مُذْهَبُ البروق خلعه، وتشرين قد أرسل نجائب السحاب محبرة، والخريف قد جاء وراياته المختلفة مبشرة، وثغر الروض قد راق، ووقت السرور قد لاق، ولُمى النهر قد حلا في فم من ذاق، وحرّ الهجير قد خمد لهيبه، وسبح الفحم قد آن في المواقد لهيبه، والبثوث قد هيئت للكن، والمنازل / ٤١٥/ قد قربت إلى الدن، والراووق قد رفعت صُلبه المعلقة، والكؤوس بنُطَفِ الماء مخلَّقة وغير مخلَّقة، وقد حصل العود والعود، وأزلف المجلس لتطلع فيه طوالع السعود، واندفعت تغني بصوت صنعته في بعض المشارقة، وصدعت به صباح تلك الشارقة، وهو هذا: [من الطويل]

مشوقٌ إذا ما ارْتَاحَ هَيَّجَهُ الحُبُّ وصَبٌّ لوَبْلِ الدَّمْعِ في خدِّهِ صَبُّ
وإن لاحَ وَهْناً بَرْقُهُ منْهُ يَنْثَنِي وفي جَفْنِهِ للدَّمْعِ مِنْ خَدِّهِ غَرْبُ
نَضَا عَضْبَ جَفْنَيْهِ على عِذَارِهِ فَمِنْ مُهْجَتِي جَفْنٌ ومِنْ جَفْنِهِ عَضْبُ
يُعَذِّبُ قَلْبي ظالماً عَذْبُ ظَلْمِهِ ولكنْ تَعْذِيْبِي لمرشَفِهِ عَذْبُ

فلم يبق في المجلس إلاّ من مالَ ودبَّ للسكر بطربها في مفاصلهم تمال.

واستدعى بها يوماً، وهو بداره بالفسطاط المطلة على النيل، وقد نضدت رواشنها، وتلبثت قدامها أنواع المسك، وبرزت وعليها جواشنها، والنيل قد صفا مشربه، وخفي بتكاثر الأمواج مسربه، والبرق قد كحَّل جفن السحاب بمروده، والليل قد ردَّ في عين الشمس من إثمده، والهلال بقطع الغيم قد احتجب، والهلال المولى قد بلل جناحه ليطير، وهذا من العجب في وقت غفل عنه الرقيب، ولم يحضره إلاَّ مثل إسحاق أو حبيب، وأقبلت تحدثه وتغنيه، وتفتح على يديه السؤل وتمنيه. ومما غنته من أصواتها والشعر قديم: [من المنسرح]

دَعْهُ يُداري فنِعْمَ ما صَنَعَا لوْ لم يكنْ عاشقاً لما خَضَعَا

وكُــلُّ مَــنْ فــي فــؤادِهِ وَجَــعٌ   يـطـلـبُ شـيـئـاً يُسَكِّنُ الـوَجَـعَـا
وارَحْمَتَا لـلـغـريـبِ فـي الـبـلـدِ الـنَّـ   ـازِحِ مـاذا بـنـفـسِـهِ صَـنَـعَـا
فـارقَ أَحْـبـابَـهُ فَـمَـا انْـتَـفَـعُـوا   بـالـعَـيـشِ مِـنْ بَـعْـدِهِ ولا انْـتَـفَـعَـا

ودام معها ليلته كلها، والبدر لا يعرف السرار، والبحر لا يدرك له قرار، والشموع كأنها عشاق تجري دموعها، وتلتهب قلوبها الحرار، حتى همَّ الفجر أن يبوح بسرّه المكتوم، ويفكّ عن سفط النجوم طوابع الختوم، وقطرت أعطاف السحب متصببة، وجرت /٤١٦/ دموع النرجس في خدود الشقيق مصوّبة، وقارب طلوع الصباح، والجو بين برديه، وسيف البرق بين غمديه، واضطرب النسيم مدبدياً مبلبلاً تلك الحدائق، واضطر الفجر إلى أن يقبل في ثغر الصبح المفتر تلك العقائق، فأشرف الملك الكامل، ومن مجر الرعد قد هَوّل، والصباح الآتي قد قصَّ ذيل الليل وقصَّر منه ما طوَّل، فدعاها إلى الصبوح، وأقام بوجهها عُذره عند الدهر الصفوح، فلما دارت به الحميا، وذكرته هنداً وميّا، أمرها أن تصنع لحناً في شعر بعض متيمي العرب، فصنعت في شعر ذي الرمة[1]: [من الطويل]

أَرَانـي إذا هَـوَّمْـتِ يـا مَـيُّ زُرْتِـنِـي   فـيـا نِـعْـمَـتـا لـوْ أَنَّ رُؤيـاكِ تَـصْـدُق
يـلـومُ عـلـى مَـيٍّ خـلـيـلـي ورُبَّـمـا   تَـجُـورُ إذا لامَ الـشَّـقـيـقُ وتـحـرق
غَدَاةَ أُمَنِّي النفسَ أَنْ يُسْعِفَ النَّوَى   بـمـيٍّ وقـدْ كـادتْ مـن الـوَجْـدِ تَـزْهَـقُ
لـهـا جِـيْـدُ أُمِّ الـخِـشْـفِ رِيْـعَـتْ فأتْبَعَتْ   ووَجْـهٌ لـقَـرْنِ الـشَّـمْـسِ رَيَّـانُ يُـشْـرِقُ

فوقع منه موقعاً كاد يجتذبه، ويأخذ بسمعه إليه، ولو أراد أنه يجتنيه، ثم أفاض عليها سِجاله ووسع في الكرم عليها محالة. ومما يُنتقى من محاسن هذه القصدية المختار منها الصوت: [الطويل]

وتـيـهـاً تـودي بـيـنَ أَرْجـائِـهـا الـصَّـبـا   عـلـيـهـا مِـنَ الـظَّـلـمـاءِ جلٌّ وخـنـدَقُ
عـلـلـتُ الـمـهـارى بـيـنـهـمـا كـلّ لـيـلـة   وبـيـن الـدُجـى حـتَّـى رآهـا تُـمَـزَّقُ
فـأَصْـبَـحْـتُ أَجْـتـابُ الـفَـلاةَ كـأَنَّـنـي   حـسـامٌ جَـلَـتْ عَـنْـهُ الـمـداوس مـخـفـق
طـراق الـخَـوَافـي فـي واقـعٌ فـوقَ ريـعـة   نـدى لـيـلـةٍ فـي رِيْـشِـهِ يَـتَـرَقْـرَقُ

---

(١) ديوانه ٣٤٠_٣٤٧.

ومنهم:

[١٩٣]

الكَرْكِيَّة، مغنية الظاهر بيبرس(١)

وكانت من أبرع النساء نطقاً، وأبدع أهل الغناء حذقاً، تجيد لمختلف الأصوات التآلف، وتجوز الغاية في الثقيل والخفيف، وتأتي بما بعد بدعة في زمانها، ولم تتفرد به فريدة في أوانها، ولا تجيء دنانير حبة في /٤١٧/ ميزانها، هذا إلى قريحة قادرة، وحلاوة في نادرة، وسرعة جواب، وصنعة إتقان لا يخرج اللحن فيها عن صواب.

حكى لي شيخنا أبو الثناء الحلبي عنها قال: لو كنت أستحسن أخرج خبية لأضحكت به الحزين الثكاكل وقيدت به الجحود الناكل، وبهذا ومثله كانت تستلين من الظاهر وأهل دولته أولئك الصخور، ويستنزل أولئك الشم، وما منهم كل مختار فخور، وهيهات إن كان يندى لأحد منهم راحة، أو تبل لواحد منهم يد بسماحة.

ومن أصواتها: [من الكامل]

سَنَّ الظُّبَى مِنْ طَرْفِهِ الوَسْنانِ ورَمَى فَرَاشَ سِهامَهُ ورَمَانِي

---

(١) الظاهِر بَيْبَرس العلائي البندقداري الصالحي، ركن الدين، الملك الظاهر: صاحب الفتوحات والأخبار والآثار. مولده بأرض القبجاق سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٨م. وأسر فبيع في سيواس، ثم نقل إلى حلب، ومنها إلى القاهرة. فاشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار، وبقي عنده، فلما قبض عليه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) أخذ بيبرس، فجعله في خاصة خدمه، ثم أعتقه. ولم تزل همته تصعد به حتى كان «أتابك» العساكر بمصر، في أيام الملك «المظفر» قُطزُ، وقاتل معه التتار في فلسطين، ثم اتفق مع أمراء الجيش على قتل قطز، فقتلوه، وتولى «بيبرس» سلطنة مصر والشام (سنة ٦٥٨هـ) وتلقب بالملك «القاهر، أبي الفتوحات» ثم ترك هذا اللقب وتلقب بالملك «الظاهر». وكان شجاعاً جباراً، يباشر الحروب بنفسه. وله الوقائع الهائلة مع التتار والإفرنج (الصليبيين) وله الفتوحات العظيمة، منها بلاد «النوبة» و«دنقلة» ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسلاطين لها. وفي أيامه انتقلت الخلافة إلى الديار المصرية سنة ٦٥٩هـ. وآثاره وعمائره وأخباره كثيرة جداً. توفي في دمشق سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م، ومرقده فيها معروف أقيمت حوله المكتبة الظاهرية. ولمحمد جمال الدين كتاب «الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره - ط» .ترجمته في: فوات الوفيات ١/ ٨٥ والنجوم الزاهرة ٧/ ٩٤ وابن إياس ١/ ٩٨ و١١٢ وفيه اسم أبيه «بركة خان»، وابن الوردي ٢/ ٢٢٤ ووليم موير ٤١ والنعيمي ١/ ٣٤٩ والسلوك للمقريزي ١/ ٤٣٦ـ ٦٤١، وسوبر نهيم M.Sobernheim في دائرة المعارف الإسلامية ٤/ ٣٦٣ وهو يذكر مولده سنة ٦٢٠هـ، الأعلام ٢/ ٧٩.

وبَدَا فَذَابَ البَدرُ مِنْ جَسَدٍ لهُ فلذاكَ ما يَنْفَكُّ مِنْ نُقْصَانِ
ماءُ النَّعيمِ يَرِفُّ في وَجَناتِهِ يسقي رياض شقائقِ النُّعْمَانِ
قالتْ عُقُودُ نُهُودِهِ لِقَوامِهِ مَنْ أنْبَتَ الرُّمَّانَ في المُرَّانِ

والشعر للتاج بن نصر بن مظفر بن محاسن بن علي بن نصر الله الدمشقي(١) المزوق الذهب.

وكذلك صنعت لحناً كانت تغني به في شعر ابن الحلاوي: [من الطويل]

حَكَاهُ مِنَ الغُصْنِ الرَّطيبِ وريْقُهُ وما الخَمْرُ إلاّ وجْنَتاهُ وريْقُهُ
هِلالٌ ولكنْ أُفْقُ قَلْبي مَحَلُّهُ غَزَالٌ ولكنْ سَفْحُ عَيْني عَقِيْقُهُ
وأَسْمَرُ يحكي الأَسْمَرَ اللَّدْنَ قَدُّهُ عِذاراً سَقَى قَلبَ المُحِبِّ رَشِيْقُهُ
على خَدِّه جَمْرٌ مِنَ الحُسْنِ مُضْرَمٌ يَشِبُّ ولكنْ في فُؤادي حَرِيْقُهُ
أَقَرَّ لهُ مِنْ كلِّ حُسْنٍ جَلِيلُهُ ووَافَقَهُ مِنْ كلِّ مَعْنًى دَقِيقُهُ

---

(١) محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسن ابن عُنَين، أبو المحاسن، شرف الدين، الزرعي الحوراني الدمشقي الأنصاري: أعظم شعراء عصره. مولده في دمشق سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م ووفاته فيها سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م. كان يقول إن أصله من الكوفة، من الأنصار. وكان هجاءً قلّ من سلم من شره في دمشق، حتى السلطان صلاح الدين والملك العادل. ونفاه صلاح الدين، فذهب إلى العراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان والهند واليمن ومصر. وعاد إلى دمشق بعد وفاة صلاح الدين فمدح الملك العادل وتقرب منه. وكان وافر الحرمة عند الملوك. وتولى الكتابة (الوزارة) للملك المعظم، بدمشق، في آخر دولته، ومدة الملك الناصر، وانفصل عنها في أيام الملك الأشرف، فلزم بيته إلى أن مات. قال ابن النجار (في تاريخه): «وهو من أملح أهل زمانه شعراً، وأحلاهم قولاً، ظريف العشرة، ضحوك السن، طيب الأخلاق، مقبول الشخص، من محاسن الزمان». له «ديوان شعر ـ ط» و«مقراض الأعراض» قصيدة في نحو ٥٠٠ بيت، و«التاريخ العزيزي ـ خ» في سيرة الملك العزيز.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٢٥ إرشاد الأريب ٧/ ١٢١ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٣ وهو فيه من وفيات سنة ٦٣٣ وهي رواية ثانية في تاريخ وفاته أشار إليها ابن قاضي شهبة في آخر ترجمته، والبداية والنهاية ١٣/ ١٣٧، ومرآة الزمان ٨/ ٦٩٦ ولسان الميزان ٥/ ٤٠٥ والحوادث الجامعة ٥١ وفيه «سافر إلى الآفاق في التجارة، ومدح الأكابر في كل البلاد» وHuart 192 والمختصر المحتاج إليه ١٥١ وابن طولون في «المعزة فيما قيل في المزة» ٢٤، وكشف الظنون ٢٩٨، والفلاكة والمفلوكون ٩٤، الأعلام ٧/ ١٢٥، معجم الشعراء للجبوري ٥/ ٢٩٢.

عـلـى سـالِـفَـيْـهِ لـلـعِـذارِ جَـدِيْـدُهُ   وفـي شَـفَـتَـيْـهِ لـلـسُّـلافِ عَـتِـيْـقُـهُ

وكذلك صوتها في شعر راجح الحلي[1]: [من الوافر]

فُـؤَادٌ عَـنْ هَـوَاكُـمْ لا يَـحُـولُ   وجـسـمٌ لاَ يُـخَـفِّـيْـهِ الـنُّـحُـولُ
/٤١٨/ فكيفَ يُمِيلُني عنْكُمْ مَلاَمٌ   ويـطـمـعُ فـي مُـخَـادعـتـي عَـذُولُ
أَبَـى لِـي أَنْ أَبِـيْـتَ صـحـيـحَ قَـلْـبٍ   نَـسِـيـمٌ مِـنْ خِـيـامِـكُـمُ عَـلِـيـلِ
سأَبْعَثُ في القُلُوبِ لكمْ سَلاَماً   رَجـاءً أَنْ تُـقـابِـلَـهُ قَـبُـولُ
أُحَـمِّـلُـهـا تـحـيّـاتـي إلـيـكُـمْ   لـوَ انَّ الـريـحَ تـفـهـمُ مـا أَقُـول[2]

وهذه من أول قصيدة طنانة في كل سمع، ومنها:

ومِـمَّـا شـاقـنـي لَـمَـعَـانُ بَـرْقٍ   طَـرِبْـتُ لَـهُ وقـدْ جَـنَـحَ الأَصِـيْـلُ
تَـبسَّـم فـي عُـبُـوسِ الـدّجْـنِ حَـتَّـى   تَـحَـدَّرَ دَمْـعُ دِيـمَـتِـهِ الـهَـطُـولُ
أرانـي بـالـفُـراتِ نَـخِـيـل أَرْضِـي   وغـابَ ولا الـفُـراتُ ولا الـنَّـخِـيـلُ

يقول منها:

وذِي أَمَـلٍ يَـحُـثُّ بِـهِ الـمَـطَـايـا   وأَدْنَـى الـسَّـيـرِ وَخْـدٌ أَوْ ذَمِـيْـلُ
أقـولُ لـهـمْ: هَـلُـمَّ فـأَيُّ عُـذْرٍ   لِـسَـعْـيِـكَ أَنْ يُـحـارِبَـكَ الـدَّلِـيـلُ
أَمَـامَـكَ ظِـلُّ عِـزِّ الـدِّيـنِ فـانْـزِلْ   بـأَبْـلَـجَ لا يُـضـامُ لـهُ نَـزِيْـلُ
وَرَاءَكَ أَيُّـهـا الـراجِـي مَـدَاهُ   فَـدُونَ بُـلُـوغِـهِ طَـرْفُ يَـهُـولُ
تَـزَحْـزَحْ عَـنْ طـريـقِ الـعـيـبِ واطـلـبْ   نَـجَـاةً لا يُـغَـيِّـرُكَ الـسَّـؤُولُ
بـه شـاه أرمـنُ الـسُّـلْـطـان يُـعْـلِـي   دَعَـائِـمَ مُـلْـكِـهِ وبِـهِ نَـصُـولُ
رعـيـنـاً فـي جِـبـابِ أَبـي سـعـيـدٍ   رِيـاضـاً لا يَـحُـولُ بـهـا الـمُـحُـولُ
تُـراوِحُ زَهْـرَهُ ريـحُ الـنُّـعَـامَـى   ويُـضْـحِـكُ نَـوْرَهُ الـغَـيْـثُ الـهَـطُـولُ

---

(١) راجح بن اسماعيل الأسدي الحلي، أبو الوفاء: شاعر، من أهل الحلة ولد سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م. تردد إلى بغداد واتصل بولاتها. وهاجر إلى حلب. وحظي عند الأيوبيين في دمشق، فاستقرّ فيها إلى أن توفي سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م. قال الحافظ المنذري: يُنعت بالشرف (شرف الدين)، مدح جماعة من الملوك وغيرهم بمصر والشام والجزيرة، وحدَّث بشيء من شعره بحلب وحران وغيرهما.

ترجمته في: شعراء الحلة ٢/ ٣٥٩ وأعيان الشيعة ٣١/ ٧٥ والتكملة لوفيات النقلة خ ـ/ الجزء ٤٤. الأعلام ٣/ ١٠، معجم الشعراء للجبوري ٢/ ٢٢٨ـ ٢٢٩.

(٢) ديوانه ٦٢٣ـ ٦٢٥.

فلا عِدِمَتْ قَوَافي الشّعْرِ مَوْلًى ... إلى الآمالِ أَنْعُمُهُ تَمِيْلُ

وكذلك صوته في شعره أيضاً[١]: [من الطويل]

مَلَكْتَ كما شَاءَ الهَوَى فَتَحكَّم ... وإلاّ فَفِيمَ الهَجْرُ لِي وإلى كَمِ

ولَوْ جَحَدَتْ عَيْناكَ قلبي وأَنْكَرَتْ ... أَقرَّ بِهِ خَطُّ العِذَارِ المُتَمْنَمِ

متى تسمَحُ الأيَّامُ منْكَ بعطفَةٍ ... وهلْ في فَتًى مِنْ رَاحَةٍ لِمُتَيَّمِ

/٤١٩/ وهَبْنِيَ أرضَى بالخَيالِ وزَوْرَةٍ ... فمَنْ لِيَ [إذ] يَجْفو بِجَفْنٍ مُهوِّمِ؟

وهذه من قصيدة مدح بها المعظم عيسى[٢]:

وفي شُعَبِ الأَكْوَارِ إبنا مُطلبٍ ... شعارُهُمْ تَرْصِيعُ شِعْرٍ مَنَمْنَمِ

هداهُمْ غُلامٌ مِنْ خُزَيمةِ عالمٌ ... بقطعِ الفَيافي بالمطِيِّ المُحَرَّمِ

إلى ملكٍ مِنْ دوحَةٍ شاذويةٍ ... يفيءُ إلى وِرْدٍ من الجُودِ مُفْعَمِ

إلى الأبلجِ الطَّلْقِ [الأغرّ] الذي به ... غدا مُشرقاً من دَهْرِنا كَلُّ مُظْلِمِ

إلى مَنْ كأنَّ الأيدينِ بظِلِّهِ ... مِنَ الأمْرِ ما بينَ الحَطِيمِ وزَمْزَمِ

---

(١) لراجح الحلي في ديوانه ٧٠٣ـ ٧٠٧.

(٢) المَلِك المُعَظَّم عيسى بن محمد (الملك العادل) أبي بكر بن أيوب، شرف الدين الأيوبي: سلطان الشام. ولد بالقاهرة سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م ونشأ فيها، من علماء الملوك. كان له ما بين بلاد حمص والعريش، يدخل في ذلك بلاد الساحل التي كانت في أيدي المسلمين وبلاد الغور وفلسطين والقدس والكرك والشوبك وصرخد وغير ذلك. وكان وافر الحرمة، فارساً شجاعاً، كثيراً ما كان يركب وحده لقتال الفرنج ثم تتلاحق به المماليك والجنود. وكان يجامل أخاه الكامل «صاحب مصر»، فيخطب له في بلاد الشام ولا يذكر اسمه معه. ولم يكن يركب بالمواكب السلطانية ازدراءاً لها. وكان عالماً بفقه الحنفية والعربية. جعل لكل من يحفظ المفصل للزمخشري مائة دينار وخلعة، فحفظه جماعة. وصنف كتاباً في الرد على ما جاء في «تاريخ بغداد» للخطيب، من التعرض لأبي حنيفة سماه «السهم المصيب في الرد على الخطيب ـ ط» وله كتاب في «العروض» و«ديوان شعر» و«شرح الجامع الكبير للشيباني» في فروع الحنفية. وخلف آثاراً منها «المدرسة المعظمية» في صالحية دمشق. توفي بدمشق سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م .

ترجمته في: مرآة الزمان ٨/ ٦٤٤ـ ٦٥٢، والإعلام لابن قاضي شهبة ـ خ. والبداية والنهاية ١٣/ ١٢١، وابن خلكان ١/ ٣٩٦ والقلائد الجوهرية ١٤٣ وذيل الروضتين ١٥٢ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٦٧ وابن الأثير ١٢/ ١٨٣ وفيه: «كان الملك العادل ـ أبو المعظم ـ قد قسم البلاد في حياته بين أولاده فجعل بدمشق والقدس وطبرية والأردن والكرك وغيرها من الحصون المجاورة لها ابنه المعظم عيسى الخ». والجواهر المضية ١/ ٤٠٢ وهدية العارفين ١/ ٨٠٨ وجولة في دور الكتب الأميركية ٩٠ والسلوك للمقريزي ١/ ٢٢٤ وفيه: مولده بدمشق، وفهرست الكتبخانة ٥/ ٧٠، الأعلام ٥/ ١٠٨، معجم الشعراء للجبوري ٤/ ١٢١.

تُرِيهِ وجُوهَ الغَيْبِ مِرآةُ فِكْرِهِ فيُؤمِنُهُ مِنْ كلِّ ظَنٍّ مُرَجَّمِ
ويَغْشَى غِمارَ الموتِ في كلِّ مَعْرَكٍ يَرَاعُ لهُ قَلْبُ الخَمِيسِ العَرَمْرَمِ
ويُطْرِبُهُ خَلْعُ النُّفُوسِ على العَنَا إذا رَنَّحَتْ أَعْطافَها حُمْرَةُ الدَّمِ
لهُ نَشْوَةٌ في الجُودِ ليستْ لحاتِمٍ وشِنْشِنَةٌ في المَجْدِ ليستْ لأَخْرَمِ

يقول منها في وصف القصيدة:

فَدُونَكَها أَحْلَى مِنَ الأَمْنِ مَوْقِعاً وأَطْيَبَ مِنْ وَصْلٍ إلى قَلْبِ مُغْرَمِ
إذا حَدَّثَتْ أَبْياتُها عَنْ عُلاكُمُ غدتْ أُمّ أَوْفَى دِمْنَة لمْ تَكَلَّمِ

ومنهم:

[١٩٤]

الزركشي، أبو عبد الله، ناصر الدين
الفقيه الحنفي

فقيه بارع، ونبيه لكلِّ عُلاً قارع، هذا على أنه أتقن علم الموسيقى وحققه، وأجال النظر في فنها ودققه، ووقف منها على طرق الأوائل التي عفا أثرها، وذهب أكثرها، وبقيت كمدارج النمل الخوافي، ومناهج الرمل تحت السوافي.

حدَّثني ابن كرُ عنه: أنه كان في صناعة الزركش بدمشق، ثم كان فقيهاً بالمدرسة الشبلية بسفح قاسيون بين ظهراني الفقهاء، ويجتمع إليه أهل الطرب والإلهاء، ودام على هذه المدة، ثم تخرصوا له المعايبْ وأرادوا ترديته بالمثالب، فأتى مصر واتخذها داراً وقراراً حتى مات.

قيل: وكان واحد زمانه، /٤٢٠/ لا يقصر عن الأوائل. قال: وهو ممن أخذت عنه، واستفدت منه، وكنّا نجتمع ونتذاكر ونتغدى ونبكر صبيحة كل يوم، يسمع كل واحد منا صاحبه، ولم أر مثله، وحدثني عنه غيره.

وله أصوات منها(١): [من الخفيف]

خَبَّرُوها أَنِّي مَرِضْتُ فقالت: أَضنى طَارِفا شكا أَمْ تَلِيدا
وأَشَاروا بأَنْ يَعُودَ وِسَادِي فأَبَتْ وهي تشتهي أَنْ تَعُودَا
وأَتَتْني في خِفَّةٍ وهيَ تَشْكُو أَلَمَ الوَجْدِ والمَزارَ البَعِيدَا

(١) الشعر للطغرائي في ديوانه ١٤١ـ ١٤٢.

ورأتني كذا فلم تتمالك أنْ أمالَتْ عَلَيَّ عِطْفاً وجِيْدَا

والشعر للطغرائي[(١)].

(١) الحسين بن عليّ بن محمد بن عبد الصمد، أبو اسماعيل، مؤيد الدين، الأصبهاني الليثي الطغرائي: شاعر، من الوزراء الكتاب، كان ينعت بالأستاذ. ولد بأصبهان سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م، واتصل بالسلطان مسعود بن محمد السلجوقي (صاحب الموصل) فولاه وزارته. ثم اقتتل السلطان مسعود وأخ له اسمه السلطان محمود فظفر محمود وقبض على رجال مسعود، وفي جملتهم الطغرائي، فاراد قتله ثم خاف عاقبة النقمة عليه، لما كان الطغرائي مشهوراً به من العلم والفضل، فأوعز إلى من أشاع اتهامه بالإلحاد والزندقة، فتناقل الناس ذلك، فاتخذه السلطان محمود حجة، فقتله سنة ٥١٣هـ/ ١١٢٠م. ونسبة الطغرائي إلى كتابة الطغراء. له «ديوان شعر ـ ط» برع في دراسة الكيمياء من الناحية النظرية بغية الوصول إلى المعادن الرخيصة إلى ذهب، وعندما فشلت مقاصده صاغ لاميته المشهورة التي مطلعها: «أصالة الرأي صانتني عن الخطل» وله كتب منها: و«لامية العجم» و«الجوهر النضير في صناعة الإكسير» و«الرد على ابن سينا في الكيمياء» و«سر الحكمة في شرح كتاب الرحمة» و«ديوان شعر» جمعه أحفاده، حققه علي جواد الطاهر ويحيى الجبوري، ونشرته وزارة الثقافة ببغداد سنة ١٩٧٦م. و«أسرار الحكمة» و«الأسرار في صحة صناعة الكيمياء» و«جامع الأسرار وتراكيب الأنوار» و«جامع الأسرار» و«مصابيح الحكمة ومفاتيح الرحمة» و«الرسالة الحاتمية في الكيمياء» و«رسالة ذوات الفوائد» و«حقائق الاستشهاد» و«قصيدة مطلعها:

في الماء سر عظيم لا يحس به إلا الحكيم العليم الماهر الفطن»

«وقصيدة مطلعها:

خذ العلم من قرب ونَكِّبْ على البعد ففي القرب أشياء تدل على الرشد»

و«قصيدة باللغة الفارسية في الكيمياء: معها شرح باللغة العربية». وللمؤرخين ثناء عليه كثير.

ترجمته في: الأنساب للسمعاني ٥٤٣، وفيات الأعيان ١/ ٢٠٠ـ ٢٠٣، وفيه أنه قتل سنة ٥١٨هـ. معجم الأدباء ١/ ٥٦ـ ٧٩، وفيه أنه قتل سنة ٥١٥هـ. شذرات الذهب ٤/ ٤١ـ ٤٣، البداية ١٢/ ١٩٠، مرآة الجنان ٣/ ٢١٠، نزهة الجليس ٢/ ٧٣ـ ٨٢، أعيان الشيعة ٢٧/ ٧٦ـ ٨٨، وروضات الجنات ٢٤٨، الذريعة ١٠/ ٢، مفتاح السعادة ١/ ١٩٧ـ ١٩٨، كشف الظنون ٦٨، ٣٩٤، ٥٣٤، ٦٧٢، ٧٩٨، ٥٣٨، ١٧٥٥، تنقيح المقال ١/ ٣٣٦ـ ٣٣٧. معجم المؤلفين ٤/ ٣٦، معجم الأطباء ١٧٢ـ ١٧٣. أعلام الفيزياء ٥١د تاريخ العلوم ٢٥٣ـ ٢٥٤، تاريخ الفكر ٥٣٩. إسهام علماء العرب في الكيمياء ٢٦١ـ ٢٧٢. سارتون ٢/ ٢١٨، بروكلمن ١/ ٢٤٧ـ ٢٤٨، ملحق ١/ ٤٣٩، فهرس المكتبة البريطانية ١٢٤ـ ١٢٧، فهرس دوسلان ٤٧٣. المنتخب في مخطوطات المدينة ٧٣ـ ١٠٣. فهرس المخطوطات المصورة ـ القاهرة ٣/ ٤/ ١٠، ٣٠، ٣١، ٣٧ وصفحات أخرى، مخطوطات المجمع العراقي ٣/ ١٢٧ـ ١٢٩، الفِهرس التمهيدي ٥١٤، فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا ـ المغرب ٣٧٧، ٥٨١، فهرس الخزانة العامة بالرباط، مج أخبار التراث العربي: عدد ٧٥ ص٥، المورد/ مجلد ٦ عدد ٤ص ٤٧٩، مج الحرية: قسطاكي الحمصي، جامعة السليمانية ـ العراق: سنة ١٩٧٩م، عدد٢ ص١٤ـ ١٧، ٢٥ د. فاضل أحمد الطائي: الطغرائي وكيمياؤه، وفي الفهرس التمهيدي ٥١٤ كتاب في الكيمياء اسمه «جامع الأسرار ـ خ» في =

وكذلك صوتُهُ في شعر الحاجري[(١)] وهو هذا[(٢)]: [من الطويل]

بِـحـقِّـكَ ذَكِّـرْهـا الـعَـقِـيـقَ لَـعَـلَّـهـا تَـجِـدْ رَاحَـةً فـي عَـوْدِهـا وسُـرَاهـا
إذا ما حَدَا الـحَـادِي بِـنَـجْـدٍ تَـمَـاثَـلَـتْ كَـأَنَّ سُـلافـاً فـي الـنَّـشـيـدِ سَـقَـاهـا
كَـأَنّـكُـمُ يـومَ الـرَّحـيـلِ رَحَـلْـتُـمُ بِـنَـومِـي فـعـيـنـي لا تَـلَـذُّ كَـرَاهـا
وكـنـتُ شـحـيـحـاً مِـنْ دُمُـوعـي بِـقَـطْـرَةٍ فَـقَـدْ صِـرْتُ سَـمْـحـاً بَـعْـدَكُـمْ بِـدِمـاهـا

وكذلك صوته في شعر ابن حجاج وهو هذا: [من البسيط]

نـامـي هَـنِـيـئـاً لـعـيـنـيـكِ الـرُّقـادُ فَـمَـا أَمْـسَـيْـتُ أعـرفُ إلاّ الـسُّـهْـدَ والأَرَقَـا
وإنْ أَرَدْتِ حَـيَـاتِـي فـاحْـفَـظِـي رَمَـقِـي إنْ كـانَ عِـنْـدَكِ شـيءٌ يُـمسـكُ الـرَّمَـقَـا
يـا شـامـتـاً إذْ رأى قـلـبـي رَهِـيـنَ أَسًـى وشَـرُّ مـا فـيـهِ أَنَّ الـرَّهْـنَ قَـدْ غَـلِـقَـا
إنْ فَـرَّقَ الـدَّهْـرُ شَـخْـصَـيـنـا مُـرَاغَـمَـةً فَـثَـمَّ قـلـبـانِ لا والله مـا افْـتَـرَقَـا

ومنهم:

[١٩٥]

ابن بكر، أبو عبد الله الشيخ شمس الدين، محمد البغدادي

الأصل، المصري الدار والمولد.

هو في علم الموسيقى فرد لا يخلف، لحق بالأوائل وما تخلف وأتى ببدائع الألحان وما تكلَّف، / ٤٢١/ لا يجتبي على مثله الوجود في بردتيه، ولا يجني شبيه

=

٥٥ ورقة، لمؤيد الدين الحسين الطغرائي؟ وفيه أيضاً، ص٥١٥ كتاب «حقائق الاستشهاد ـ خ» في الكيمياء والطبيعة، للوزير مؤيد الدين الطغرائي رسالة؛ وفيه أيضاً، ص٥١٨ «قصيدة باللغة الفارسية وشرحها باللغة العربية ـ خ» في صناعة الكيمياء، لمؤيد الدين أبي اسماعيل الحسين بن علي الوزير الطغرائي؟ ورقة واحدة. وكشف الظنون ٦٨ كتابخانة دانشكاه تهران: جلد سوم، بخش دوم ٩٦١، أعلام الحضارة العربية والإسلامية ١/ ٣٩٤، معجم الشعراء للجبوري ٢/ ١١٦ـ ١١٨.

(١) عيسى بن سنجر بن بهرام الحاجري، حسام الدين: شاعر، رقيق الألفاظ حسن المعاني. تركي الأصل. من أهل إربل، ينسب إلى حاجر (من بلاد الحجاز) ولم يكن منها وإنما أكثر من ذكرها في شعره فنسب إليها. قتل غدراً بإربل سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م له «ديوان شعر ـ ط» و«مسارح الغزلان الحاجرية ـ خ» و«نزهة الناظر وشرح الخاطر ـ خ».
ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٩٨، وآداب اللغة ٣/ ٢٤، وشعر الظاهرية ١٣٠، الأعلام ٥/ ١٠٣، معجم الشعراء للجبوري ٤/ ١١٩.

(٢) ديوان الحاجري ٤٦ـ ٤٧.

النهار بكرة وأصالة له بوردتيه. يطرب قبل الإنشاد، ويحرّك حتى الجماد، وتخرس له أصوات المثـاني والمثالث، وما يتنحنح، ويهتز المغاني والأغانـي، وما يتزحزح.

نقل مذاهب القدماء كابن المهدي وإسحاق، وجدّ طوالع تلك الأهلَّة التي أكلها المحاق. لا يمرُّ به صوت مما ذكره أبو الفرج الأصفهاني إلاّ ويجيء به ويجيده، ويعيده ويزيده.

وصنَّف كتاباً يقال له: أحسن ما صنّف لجمع، وشنّف لسمع، وقد خطأ الفارابي في هذا العلم، وأنكر عليه أهل المعرفة، ثم سلَّموا إليه أنه إنما قاله عن علم.

وابن كرّ هذا من بيت امرأة تناقل سلفه في بغداد إرثها حتى ملكها التتار، فلزم أبوه مصر، فأجري عليه راتب عاد إلى ابنه هذا بعضه، وهو الآن في زاوية قريب المشهد الحسيني بالقاهرة المعزيَّة، أقطعها من وقفه، ووقف أبيه، وله عزّة نفس وشمم عفاف، ما اتخذ هذه الصناعة الطربية إلاَّ ريحاناً له لا استرزاقاً به. وله بي صحبة أعرف حقّها له، كان يتردد إليّ، ويتودد، ويتفقد، ولا ينفقه، ولقد غنّى فأضحك، وغنّى فأبكى، وغنّى فأنام، فرأيت بعيني منه ما سمعته أذناي عن الفارابي، فصدق الخَبَرَ الخُبْرُ، وحقَّق العين الأثر، ورأيت منه واحداً، سبحان من وهبه ما لا هو في قدرة البشر.

وله أصوات في أشعار لي، فمنها قولي: [من الكامل]

أَفْدِي حَبِيباً قَدْ فُتِنْتُ بِحبِّهِ ... لو كانَ يرثي لِلْمُحِبِّ إذا شَكَا
واللهِ ما هبَّتْ نَسِيمُ دِيارِهِ ... إلا اعْتَلَقْتُ بذيلِها مُتَمسِّكا
يا عينُ أَنتِ شَكِيَّتِي في حُبِّهِ ... لمَّا نظرتُ لهُ وأَنتِ المُشْتَكَى
قالتْ: عليكَ بأَدْمُعِي فأَجَبْتُها ... لو كانَ دَمْعِي البَحْرَ أَفْنَاهُ البُكَا

ومنها قولي: [من الطويل]

قِفَانِي على الوادي أُوَدِّعُ مُهْجَتِي ... وأستودعُ الأَحبابَ مِنِّي ما بَقِيْ
فيا ليتَ شِعْري هلْ نعودُ إلى الحِمَى ... ويجمعنا سَفْحُ الكَثِيبِ فنلتقي
/٤٢٢/ ويُعقَلُ في ظِلِّ النَّخِيل رِكابُنا ... ونشربُ مِنْ ماءِ الغَديرِ ونَسْتَقي

ونَشْكُو الذي نَلْقاه مِنْ أَلَمِ الهَوَى   وهيهاتَ ما عندَ الحبيبِ تَشَوُّقِيْ

ومنها قولي: [من مجزوء الرمل]

يا أَخِلاَّئي بِنَجْدٍ   لِي فُؤَادٌ مُسْتَهامُ
وجُفُونٌ قَدْ جَفَاها   بَعدَ أَجْفانِي المَنَامُ
إنْ وَصَلْتُم فَسُرُورٌ   واغْتِباطٌ والتِئَامُ
أَوْ هَجَرْتُم وكُفِينا   فَعَلى الدُّنيا السَّلامُ[1]

(١) بعدها بياض بمقدار ١٦ سطر وبه نهاية هذا السفر.



مصادر ومراجع التحقيق

مصادر ومراجع التحقيق:

- آداب اللغة العربية: لجرجي زيدان، مط الهلال القاهرة ١٩١٢
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية: لعلي ين محمد بن حبيب الماوردي، ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م
- أخبار الراضي بالله والمتقي لله (من كتاب الأوراق): لأبي بكر، محمد بن يحيى الصولي ط مصر ١٩٣٥
- أشعار الخليع، الحسين بن الضحاك: جمع وتحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط دار الثقافة ـ بيروت ١٩٦٠
- الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ) مط السعادة بمصر ١٣٢٩هـ ثم بتحقيق علي محمد البجاوي، ط مصر ١٩٧١م
- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: لخير الدين الزركلي (ت١٣٩٦هـ) ط ٤/دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٩.
- أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية: زهير حميدان، ط سورية ١٩٩٥ـ ١٩٩٦.
- أعلام العرب في العلوم والفنون: لعبد الصاحب عمران الدجيلي، ط ٢/النجف ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م
- أعلام النساء: لعمر رضا كحالة، ط دمشق ١٣٥٩هـ
- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، وما يجر ذلك من شجون الكلام: للسان الدين ابن الخطيب، فصل منه نشره حسن حسني عبد

الوهاب، طبع في بالرمو ١٩١٠ والفصل الثاني في أخبار الجزيرة الأندلسية، ط في الرباط ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م

- أعيان الشيعة: للسيد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ) ط دمشق - بيروت ١٩٤٤ـ ١٩٦٣م
- أعيان العصر وأعوان النصر: لصلاح الدين، خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: علي أبو زيد وآخرين، ط مركز جمعة الماجد - أبو ظبي، ودار الفكر بدمشق ١٤١٨هـ/١٩٩٨م
- الأغاني: لأبي الفرج ، علي بن الحسين الأصفهاني (٣٦٠هـ) ط الساسي، ثم دار الكتب المصرية ثم بتحقيق: عبد .أ. علي مهنا، ط دار الفكر - بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م
- الإكليل: للحسن بن أحمد الهمذاني (ت٣٥٦هـ) ج٨ بتحقيق: الأب انستاس ماري الكرملي، ط بغداد ١٩٣١. ج١ بتحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، ط القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م
- الإماء الشواعر: لأبي الفرج، علي بن الحسين الأصفهاني (ت٣٦٠هـ) تحقيق: د. جليل العطية، ط دار النضال - بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م
- أمالي الزجاجي (عبد الرحمن بن إسحاق): بشرح: أحمد بن الأمين الشنقيطي، ط مصر ١٣٢٤هـ.
- أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد): للشريف علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت٤٣٦هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٧
- إنباه الرواة على أنباه النحاة: لجمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ) ط دار الكتب المصرية ١٩٥٠ـ ١٩٥٥م
- بدائع الزهور في وقائع الدهور: لمحمد بن أحمد بن إياس الحنبلي (ت٩٣٠هـ)

ط مصر ١٣١١هـ، استانبول ١٩٣١ـ ١٩٣٢م ثم طبعة المستشرقين الألمانية ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: لجلال الدين، عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ) ط مصر ١٣٢٩هـ، ثم بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط القاهرة ١٩٦٤م
- بكر بين النطاح (سيرته وشعره) ضمن كتاب «عشرة شعراء مقلّون».
- بلاغات النساء: لأحمد بن طيفور، ط مصر ١٣٢٦هـ/١٩٠٨.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: لابن عذارى، محمد بن محمد المراكشي (ت٦٩٥هـ) ط ليدن ١٩٤٨ـ ١٩٥١م، باريس ١٩٣٠م، تطوان ١٩٥٦م.
- البيان والتبيين: لأبي عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط مصر ١٩٦٨م.
- تاريخ الأدب العربي: لعباس العزاوي المحامي، ط بغداد.
- تاريخ إربل: لابن المستوفي، ط بغداد.
- تاريخ الإسلام وطبقات مشاهير الأعلام: لشمس الدين، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط٣/ دار الكتاب العربي ـ بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- تاريخ بغداد: أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) ط مصر ١٣٤٩هـ.
- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس: لحسين بن محمد الديار بكري، ط مصر ١٢٨٣هـ
- تاريخ الطبري: لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف بمصر ١٩٦٠ـ ١٩٦٩م .
- تاريخ العراق بين احتلالين: لعباس العزاوي المحامي ط بغداد ١٣٥٣ ـ ١٣٧٦هـ

- تلبيس إبليس: لابن الجوزي ط مصر ١٣٦٨هـ.
- تهذيب تاريخ دمشق (لأبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله ت ٥٧١هـ): لعبد القادر بدران، ط دمشق ١٣٢٩ـ ١٣٥١هـ.
- الجداول المرضية في تاريخ الدول الإسلامية: لابن زيني دحلان، ط مصر ١٣٠٦هـ.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: لمحمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي الأزدي (ت٤٨٨هـ).
- الجمان في تشبيهات القرآن: لابن ناقيا البغدادي (ت٤٨٥هـ) تحقيق: د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، ط بغداد.
- جمهرة أشعار العرب: لأبي زيد ، محمد بن الخطاب القرشي، تحقيق: محمد علي الهاشمي، ط الرياض ١٩٨١.
- جمهرة أنساب العرب: لأبي محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر ١٩٧٧.
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية: لمحمد بن أبي الوفاء القرشي الحنفي (ت٧٧٥هـ) ط حيدر آباد ـ الدكن ١٣٣٢هـ.
- الحسن بن وهب، حياته، مقالاته، رسائله وشعره: قصي الشيخ عسكر ط بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للحافظ أبي نُعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٦٧.
- حماسة ابن الشجري: ط حيدر آباد ـ الدكن ١٣٤٥هـ.
- الحيوان: للجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط مصر ١٩٦٤ـ ١٩٦٥م.
- خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر): للعماد الأصفهاني الكاتب،

تحقيق: أحمد أمين، شوقي ضيف، إحسان عباس، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ بمصر ١٩٥١

- خزانة الأدب: لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) تحقيق. عبد السلام محمد هارون، ط القاهرة ١٩٦٨م.
- الخلاصة النقية في أمراء إفريقيا: لأبي عبد الله محمد الباجي المسعودي، ط تونس ١٢٨٣هـ.
- الدارس في تاريخ المدارس: لعبد القادر النعيمي الدمشقي، ط المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٦٧ـ ١٣٧٠هـ.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لابن حجر العسقلاني ط حيدر آباد ـ الدكن ١٩٤٥ـ ١٩٥٠م
- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور: لزينب فواز، ط مصر ١٣١٢هـ
- دفتر كتبخانه عاشر أفندي: فهرس خزانة المسمى عاشر أفندي، ط استانبول ١٣٠٦
- الدليل الشافي على المنهل الصافي: لابن تغري بردي، تحقيق: فهيم محمد علوي شلتوت، ط دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٨م
- الديارات: لعلي بن محمد الشابشتي (ت٣٨٨هـ) تحقيق: كوركيس عواد، ط بغداد ١٩٥١م
- ديوان الأحوص: جمع وتحقيق: عادل سليمان، ط القاهرة ١٩٩٠.
- ديوان الأحوص: تحقيق: د. يحيى الجبوري
- ديوان الأرجاني (ناصح الدين، أبي بكر، أحمد بن محمد بن الحسين، ت ٥٤٤هـ) تحقيق: د. محمد قاسم مصطفى، ط الموصل ١٩٨٠
- ديوان إسحاق الموصلي: دراسة وتحقيق: ماجد أحمد العزّي، ط بغداد ١٩٧٠

- ديوان الأسود يعفر: صنعة د. نوري حمودي القيسي، ط بغداد ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م
- ديوان أبو الأسود الدؤلي: تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م
- ديوان الأعشى (ميمون بن قيس) نشر: أدولف هلز هوسن، ط بيروت (أوفست) ١٩٩٣.
- ديوان امرىء القيس: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٣/ دار المعارف بمصر ١٩٦٩.
- ديوان أمية بن أبي الصلت: تحقيق: بهجة عبد الغفور الحديثي، ط بغداد ١٩٩١
- ديوان الباخرزي: تحقيق: محمد التونجي، ط دار صادر ـ بريت ١٩٩٤م.
- ديوان البحتري: تحقيق: حسن كامل الصيرفي، ط٢/ دار المعارف بمصر ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ وما بعدها.
- ديوان بشار بن برد: تحقيق: محمد بدر الدين العلوي، ط دار الثقافة ـ بيروت ١٩٦٣م
- ديوان التلعفري (شهاب الدين، محمد بن يوسف بن مسعود التلعفري الشيباني ت ٦٧٥هـ) تحقيق: د. رضا رجب، ط٢/ الينابيع ـ دمشق ٢٠٠٤م
- ديوان أبي تمام (بشرح التبريزي): تحقيق: محمد عبده عزام، ط دار المعارف بمصر.
- ديوان تميم بن أبي مقبل: تحقيق: عزة حسن، ط دمشق ١٩٦٢م.
- ديوان التهامي: ط المكتب الإسلامي ـ دمشق ١٩٦٤
- ديوان توبة بن الحمير: جمع وتحقيق: خليل العطية، ط بغداد ١٩٦٨

- ديوان جرير: دار صادر ـ دار بيروت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ثم ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٩٤م
- ديوان جميل بثينة: ط دار صادر ـ بيروت ١٩٦٦م.
- ديوان جميل بن معمر: ط عالم الكتب ـ بيروت ١٩٩٦.
- ديوان حاتم الطائي: ط دار الكتاب العربي بيروت ١٩٩٧.
- ديوان الحاجري، حسام الدين، عيسى بن سنجر بن بهرام الإربلي، مط الشرفية بمصر ١٣٠٥هـ.
- ديوان حسان بن ثابت: تحقيق: وليد عرفات، ط دار صادر ـ دمشق ١٩٧٤.
- ديوان أبي الحسن التهامي: تحقيق: عثمان صالح الفريح، ط دار العلوم ـ الرياض ـ السعودية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م
- ديوان الحسين بن الضحاك (ت٢٥٠هـ) تحقيق: د. جليل العطية، منشورات الجمل ـ ألمانيا ٢٠٠٥م
- ديوان الحطيئة: تحقيق: نعمان أمين طه، ط مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، ثم ط دار صادر ـ بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م
- ديوان أبي حكيمة، راشد بن إسحاق الكاتب (ت٢٤٠هـ): تحقيق: د. محمد حسين الأعرجي، منشورات الجمل ـ ألمانيا ١٩٩٧م
- ديوان الحماني، علي بن محمد العلوي الكوفي: تحقيق: د. محمد حسين الأعرجي ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٩٨
- ديوان الخالديين: تحقيق: سامي الدهان، ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٩٢
- ديوان الخبز أرزي (نصر بن أحمد البصري، ت ٣٣٠هـ) تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، مجلة المجمع العلمي العراقي من ج١ـ مج لسنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م إلى ج٢ـ مج ٤١ لسنة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م

- ديوان الخوارج: جمع وتحقيق: إحسان عباس، ط دار الشروق ـ بيروت ١٩٨٢
- ديوان ابن الدمينة: صنعة: أبي العباس ثعلب، تحقيق: أحمد راتب النفاخ، ط القاهرة ١٩٥٩م
- ديوان أبي دهبل الجمحي: تحقيق: عبد العظيم عبد المحسن، ط للنجف ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م
- ديوان ذي الإصبع العدواني (حرثان بن محرث (ت نحو ٢٢ أو ٢٥هـ): جمع وتحقيق: عبد الوهاب محمد علي العدواني ومحمد نايف الدليمي، ط الموصل ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م
- ديوان ذي الرمة: تحقيق: عبد القدوس أبي صالح، ط٣/ بيروت ١٩٩٣
- ديوان راجح الحلي (ت٦٢٧هـ): تحقيق ودراسة: د. الدوكالي محمد نصر طرابلس ـ ليبيا ١٩٩٤م
- ديوان ابن الرومي (أبي الحسن ، علي بن العباس بن جريح): تحقيق: د. حسين نصّار، ط دار الكتب والوثائق القومية ـ القاهرة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م
- ديوان ابن الرومي: شرح: الشيخ محمد شريف سليم، ط إحياء التراث العربي ـ بيروت
- ديوان بن زهير بن ابي سلمى: صنعة: أبي العباس ثعلب، ط دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٤٤م
- ديوان ابن الساعاتي، علي بن رستم الخراساني: تحقيق: أنيس المقدسي، مط الأميركانية ـ بيروت ١٩٣٨
- ديوان السري الرفاء (السري بن أحمد بن السري الكندي الرفاء الموصلي ت) تحقيق: حبيب حسين الحسني، ط بغداد.
- ديوان الشاب الظريف، محمد بن عفيف الدين التلمساني (ت٦١ أو ٦٦٨هـ) تحقيق: شاكر هادي شكر، ط النجف ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م

- ديوان الشريف الرضي: دار صادر - بيروت ٢٠٠٤م
- ديوان الشريف المرتضى: تحقيق: رشيد الصفار المحامي (ت٤٣٦هـ) ط مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٨، ثم ط بيروت ١٩٨٧م
- ديوان شعر ذي الرمة (غيلان بن عقبة العدوي) مراجعة: زهير فتح الله، ط دار صادر - بيروت ٢٠٠٤م
- ديوان الصاحب جمال الدين بن مطروح (ت ٦٤٩هـ) جمع وتحقيق: د. جودة أمين، ط دار الثقافة العربية - القاهرة .
- ديوان صريع الغواني (مسلم بن الوليد الأنصاري): (ت ٢٠٨هـ) تحقيق: د. سامي الدهان، ط دار المعارف بمصر ١٣٧٦هـ
- ديوان صفي الدين الحلي: دار صادر - دار بيروت ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.
- ديوان الصمّة بن عبد الله القشيري (ت٩٥هـ): جمع وتحقيق: د. عبد العزيز محمد الفيصل، النادي الأدبي - الرياض (١٤٠هـ/ ١٩٨م)
- ديوان الصنوبري (أحمد بن محمد بن الحسن الضبي): تحقيق: د. إحسان عباس، ط دار صادر - بيروت ١٩٩٨
- ديوان الطغرائي: تحقيق: يحيى الجبوري، وعلي جواد الطاهر، ط بغداد ١٩٧٦.
- ديوان العباس بن الأحنف: ط دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٩٧
- ديوان عبد الصمد بن المعذّل: تحقيق: د. زهير غازي زاهد، دار صادر - بيروت ١٩٩٨
- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: تحقيق: محمد يوسف نجم، ط دار صادر - بيروت [دت]
- ديوان أبي العتاهية: ط دار صادر - بيروت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ثم ط دار بيروت - دار الكتاب العربي ١٩٩٧م

- ديوان العرجي: تحقيق: خضر الطائي ورشيد العبيدي، ط بغداد ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، ثم جمع الجبيلي، ط صادر بيروت ١٩٩٨
- ديوان عروة بن حزام: ط دار الجيل بيروت ١٩٩٥
- ديوان عفيف الدين التلمساني: دراسة وتحقيق: د. يوسف زيدان، ط مصر ١٩٩٠
- ديوان علي بن الجهم: تحقيق: خليل مردم بك، ط بيروت ١٩٨٠
- ديوان عمر بن أبي ربيعة: شرح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مط السعادة بمصر ١٩٦٠، ثم ط دار صادر ـ دار بيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م
- ديوان عمرو بن شأس الأسدي: تحقيق: يحيى الجبوري، ط دار القلم ـ الكويت ١٩٨٣
- ديوان عنترة: تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي، ط المكتب الإسلامي ـ القاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م
- ديوان ابن عنين (محمد بن نصر الأنصاري الدمشقي): تحقيق: خليل مردم بك، نشر المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.
- ديوان أبي فراس الحمداني: تحقيق: محمد التونجي، ط دمشق ١٩٨٧
- ديوان الفرذدق: ط دار صادر ـ بيروت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م
- ديوان القاضي الفاضل (عبد الرحيم بن علي البيساني ت ٥٩٦هـ) تحقيق: د. أحمد أحمد بدوي، ط وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر ١٩٦١
- ديوان القطامي: تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، أحمد مطلوب، ط دار الثقافة ـ بيروت ١٩٦٠
- ديوان قيس بن الخطيم: تحقيق: د. ناصر الدين الأسد، ط٢/ دار صادر ـ بيروت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م

● ديوان قيس بن الملوح: ط عالم الكتب ـ بيروت ١٩٩٦

● ديوان كثير عزة: جمع وشرح: د. إحسان عباس، ط دار الثقافة ـ بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ثم ط دار الجيل ـ بيروت ١٩٩٥م

● ديوان كشاجم: تحقيق وشرح: خيرية محمد محفوظ، ط بغداد ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م

● ديوان الكميت بن زيد الأسدي: جمع وتحقيق: د. داود سلّوم، ط النجف، ثم ط عالم الكتب ـ بيروت ١٩٩٧

● ديوان المتنبي: شرح العكبري، تحقيق: السقا والإبياري وشلبي، ط دار المعرفة بيروت

● ديوان مجنون ليلى: عالم الكتب ـ بيروت ١٩٩٦

● ديوان مروان بن أبي حفصة: تحقيق د. حسين عطوان، ط مصر

● ديوان مسلم بن الوليد: تحقيق: سامي الدهان، ط دار المعارف بمصر ١٩٧٠

● ديوان ابن المعتز، صنعة الصولي: تحقيق: يونس السامرائي، ط بغداد، ثم ط عالم الكتب بيروت ١٩٩٧م

● ديوان المعتمد بن عبّاد ملك إشبيلية: جمع وتحقيق: رضا السويسي، ط تونس ١٩٧٥

● ديوان الملك الأمجد، مجد الدين بهرام شاه الأيوبي (ت ٦٢٨هـ): تحقيق: د. ناظم رشيد، ط بغداد ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣

● ديوان مهيار الديلمي: دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م

● ديوان النابغة الذبياني: تحقيق: ابن عاشور، الشركة التونسية ١٩٧٦

● ديوان ابن نباتة المصري (ت٧٦٨هـ) ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت [دت]

● ديوان نصيب بن رباح: جمع وتحقيق: د. داود سلوم، ط بغداد ١٩٦٨

- ديوان أبي نواس (الحسن بن هاني) تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت [دت]
- ديوان الهذليين: ط الدارالقومية ـ القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م
- ديوان ابن هرمة: تحقيق: محمد نفاع وحسين عطوان، ط دمشق ١٩٦٩
- ديوان أبي الهندي وأخباره: صنعة عبد الله الجبوري، ط النجف ١٩٧٠
- ديوان الوأواء الدمشقي، أبي الفرج، محمد بن أحمد الغساني: تحقيق: د. سامي الدهان، ط المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، ثم ط دار صادر ١٩٩٣م
- ديوان الوليد بن يزيد (ابن عبد الملك بن مروان ت ١٢٦هـ) جمع وتحقيق: د. واضح الصمد، دار صادر ـ بيروت ١٩٩٨
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: لعلي بن بسّام الشنتريني الأندلسي (ت٥٤٢هـ) ط مصر ١٣٥٨ ـ ١٣٦٤هـ، وبتحقيق: د. إحسان عباس، ط دار الثقافة بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م
- ذيل المذيل في تاريخ الصحابة والتابعين: لابن جرير الطبري، ط مصر ١٣٢٦هـ (في آخر كتابه تاريخ الطبري)
- رغبة الآمل من كتاب الكامل: لسيد علي المرصفي (ت١٣٤٩هـ)، ط مصر ١٩٤٦ـ ١٩٤٨م
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: للميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري، ط إيران ١٣٦٧هـ.
- الروضتين في أخبار الدولتين: لأبي شامة، ط مصر ١٢٨٧هـ
- زبدة الحلب من تاريخ حلب: لعمر بن أحمد، ابن العديم العقيلي (ت٦٦٠هـ)، تحقيق: سامي الدهان، ط المعهد الفرنسي ـ دمشق ١٩٥١ـ ١٩٨٥م
- سكينة بنت الحسين: لعبد الرزاق الموسوي المقرم، ط النجف.

- سلم الخاسر، شاعر الخلفاء والأمراء في العصر العباسي: د. نايف محمود معروف، ط دار الفكر اللبناني ـ بيروت [دت]
- السلوك لمعرفة دول الملوك: لأحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ) ط مصر ١٩٣٤ـ ١٩٣٩ و١٩٤١م.
- سمط اللآلي: لأبي عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت٤٧٨هـ) : تحقيق: عبد العزيز الميمني، ط القاهرة ١٩٣٦م
- سير أعلام النبلاء: لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق جماعة بإشراف: شعيب الأرناؤوط، ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨١م
- شخصيات كتاب الأغاني: صنعة: د. داود سلوم، د. نوري حمودي القيسي، ط المجمع العلمي العراقي ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م
- شرح أشعار الهذليين: لأبي سعيد، الحسن بن الحسين السكّري، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مط المدني ـ القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م
- شرح ديوان أبي تمّام: إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني ١٩٨١
- شرح ديوان جرير: جمع: محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، ط دار الأندلس ـ بيروت [دت]
- شرح ديوان الحماسة: للتبريزي، ط مصر ١٢٩٦هـ
- شرح الرسالة القشيرية: للعروسي
- شرح شواهد المغني: للسيوطي، ط مصر ١٣٢٢هـ
- شرح المفضليات: للتبريزي
- شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد ط بيروت ١٣٧٤هـ، ثم بتحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط مصر.

● شعراء إسلاميون: د. نوري حمودي القيسي، ط٢/ عالم الكتب - بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م
● شعراء الحلة: لعلي الخاقاني، ط النجف.
● شعراء عباسيون: جمع وتحقيق: غوستاف فون غرنباوم، ط بيروت ١٩٥٩م
● شعراء عباسيون: جمع وتحقيق د. يونس أحمد السامرائي، ط عالم الكتب - بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٩٧م
● شعر الأحوص الأنصاري جمع وتحقيق: عادل سليمان جمال، ط الهيئة المصرية العامة - القاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م
● شعر ثابت قطنة العتكي: جمع وتحقيق: ماجد أحمد السامرائي، ط بغداد ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م
● شعر الحارث المخزومي: جمع وتحقيق: يحيى الجبوري، ط دار القلم - الكويت ١٩٨٣
● شعر الحسين بن الحجاج (خ): جمع أولي: د. عبد الله السوداني
● شعر الحسين بن مطير الأسدي: جمع وتحقيق: د. محسن غيّاض، ط بغداد ١٩٧١
● شعر الحكم بن عبدل الأسدي: صنعة: محمد نايف الدليمي، مجلة المورد البغدادية ع٤/ مج٥ لسنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٦م
● شعر دعبل الخزاعي (ت٢٤٦هـ) صنعة: د. عبد الكريم الأشتر، ط المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٦٤
● شعر السليك بن السلكة: جمع وتحقيق: حميد ثويني وكامل عواد، ط بغداد ١٩٨٤م
● شعر أبي الشيص الخزاعي: جمع وتحقيق: عبد الله الجبوري، ط النجف ١٩٦٧م

- شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصاري: جمع وتحقيق: د. سامي مكي العاني، ط بغداد ١٩٧١
- شعر عبد الصمد بن المعذل: جمع وتحقيق: زهير غازي زاهد، ط النجف ١٩٧٠
- شعر عبد الله بن الزبعرى: تحقيق: د. يحيى الجبوري، ط٢/ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م
- شعر عبد الله بن الزبير الأسدي: جمع وتحقيق: د. يحيى الجبوري، ط بغداد ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م
- شعر ابن العلاف: الحسن بن علي بن أحمد النهرواني (ت ٣١٨هـ): جمع وتحقيق: صبيح رديف ط بغداد ١٩٧٤
- شعر علي بن جبلة العكوّك (ت ٢١٣هـ): جمع وتحقيق: د. حسين عطوان، دار المعارف بمصر ١٩٧٢
- ديوان عليّة بنت المهدي: جمع وتحقيق: د. سعدي ضناوي، ط دار صادر ـ بيروت ١٩٩٧
- شعر عمرو بن شأس: جمع وتحقيق: د. يحيى الجبوري، ط النجف ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م
- شعر الكميت بن زيد الأسدي: جمع وتقديم: د. داود سلوم، ط النجف بغداد ١٩٦٩
- شعر ابن لنكك البصري: تحقيق: زهير غازي زاهد، مجلة الخليج العربي، كلية الآداب ـ جامعة البصرة، ع١ السنة ١/ ١٩٧٣م
- شعر المسيب بن علس: جمع وتحقيق أ. د. أنور أبو سويلم ـ جامعة مؤتة ـ الأردن ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م
- شعر ابن مفرّغ الحميري (ت٦٩هـ) جمع وتحقيق: د. داود سلوم، ط بغداد ١٩٦٨

● شعر الملك الأمجد = ديوان الملك الأمجد

● شعر ابن ميّادة (الرماح بن أبرد المرّي (ت١٤٩هـ): جمع وتحقيق: د. حنا جميل حداد مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م

● الشعر والشعراء: لابن قتيبة، بشرح: أحمد محمد شاكر، ط مصر ١٣٦٤هـ

● شعر الوليد بن يزيد: جمع: حسين عطوان، ط عمان ١٩٧٩م

● أبو الشمقق، شاعر الفقر والسخرية: د. محمد سعد الشويعر نادي الطائف ـ السعودية ١٤٠١هـ

● صفة الصفوة: لجمال الدين، أبي الفرج، عبد الرحمن ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) تحقيق: محمود فاخوي، خرّج أحاديثه: محمد روّاس قلعة جي ـ ط حلب ١٣٩٣هـ

● طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط القاهرة ١٩٥٦

● الطرب عند العرب: عبد الكريم العلاّف، ط بغداد.

● عشرة شعراء مقلون: صنعة: أ. د. حاتم صالح الضامن جامعة بغداد ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م

● العقد الفريد: لأبي عمر، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٨هـ) تحقيق: أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الإبياري، ط مصر ١٩٥٢م

● علماؤنا في خدمة العلم والدين: عبد الكريم المدرس، ط بغداد

● علي بن الحسن الباخرزي، حياته وشعره وديوانه: جمع وتحقيق: د. محمد التونجي الجامعة الليبية ١٩٧٣

● علية بنت المهدي حياتها وشعرها: كمال عبد الرزاق العجيلي، ط بيروت ـ ١٩٨٦

● عنوان المعارف وذكر الخلائف: للصاحب إسماعيل بن عبّاد، ط النجف ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م (نفائس المخطوطات/ ١)

- عيون الأخبار: لابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (٢٧٦هـ) ط دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٦٧
- غاية النهاية في طبقات القرّاء: لمحمد بن محمد الجزري (ت ٨٣٣هـ) تحقيق: أتو بدتزل وبرجستر اسر ـ ط القاهرة ١٩٣٣ـ ١٩٣٧م
- الفلاكة والمفلوكون: للدلجي، ط مصر ١٣٢٢هـ
- فهرس الخزانة التيمورية: نشرته دار الكتب المصرية ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.
- الفهرست: لمحمد بن إسحاق المعروف بابن النديم (ت٣٨٠هـ) ط مصورة عن طبعة أوربة، بتحقيق: فلوجل، مكتبة خياط ـ بيروت ١٩٦٤
- في التراث العربي: د. مصطفى جواد، ط بغداد
- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: لكمال الدين، أبي البركات، المبارك بن الشعّار الموصلي (ت٦٥٤هـ) تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م
- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية: لابن طولون، تحقيق: أحمد محمد الدهان، ط ١٩٤٩م
- الكامل في اللغة والأدب: لأبي العباس، محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٦هـ) تحقيق: د. زكي مبارك، ط القاهرة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م
- الكامل في التاريخ: لابن الأثير، عز الدين، علي بن محمد الشيباني (ت٦٣٠هـ) ط دار صادر ـ بيروت ١٩٦٥، وط دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة وبكاتب آلبي، ط استانبول ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م
- لسان الميزان: لابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ط حيدر آباد ـ الدكن ١٣٣١هـ

- مجلة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد (أعداد متفرقة)
- المحبر: لابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي (ت٢٤٥هـ) ط حيدر آباد ـ الدكن ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م
- مختصر أخبار الخلفاء: لابن الساعي، ط مصر ١٣٠٩هـ
- مرآة الجنان: لعبد الله بن أسعد اليافعي (ت٦٧٨هـ) ط بيروت ١٩٧٠م
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: لسبط ابن الجوزي، يوسف بن قزأوغلي (ت٦٥٤هـ) المجلد الثامن/ ط حيدر آباد ـ الدكن ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م
- مروج الذهب ومعادن الجوهر: لأبي الحسن، علي بن أبي الحسن المسعودي (ت٣٤٦هـ). تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ١٩٥٨م
- المستظرف من أخبار الجواري: لجلال الدين، عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق صلاح الدين المنجد. ط بيروت ١٩٦٣، ثم بتقديم: أحمد عبد الفتاح إمام، مكتبة التراث الإسلامي ـ القاهرة ١٩٨٩
- المعارف: لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٦٧هـ) تحقيق: د. ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: لعبد الرحيم بن أحمد العباسي، ط مصر ١٣٦٧هـ
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب): لياقوت الحموي الرومي (ت٦٢٦هـ) ط دار المأمون ـ مصر ١٩٣٦، ثم بتحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ١٩٩٣م
- معجم الشعراء: للمرزباني، أبي عبيد، محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ) تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط القاهرة ١٩٦٠م
- معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

- معجم ما استعجم من أسامي البلاد والمواضع: لأبي عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكري، ط مصر ١٣٦٤ـ ١٣٧١هـ
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة: لطاش كبري زاده، ط حيدر آباد ـ الدكن ١٣٢٩هـ
- المفضليات: للمفضل بن محمد الضبي (ت١٧٨هـ) تحقيق: محمود شاكر، وعبد السلام محمد هارون، ط دار المعارف بمصر ١٩٧٦م
- المقاصد النحوية: لمحمود بن أحمد العيني، ط مصر ١٢٩٩هـ (على هامش خزانة الأدب للبغدادي
- المنتخل: لأبي الفضل، عبيد الله بن أحمد بن علي الميكالي (ت٤٣٦هـ) تحقيق: يحيى الجبوري، ط دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ٢٠٠٠
- المنتظم من تاريخ الملوك والأمم: لابن الجوزي، جمال الدين، أبي الفرج، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)
- منتهى الطلب من أشعار العرب: محمد بن المبارك محمد بن ميمون. تحقيق: د. محمد نبيل طريفي، ط دار صادر ـ بيروت ١٩٩٩
- المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم: للحسن بن بشر الآمدي (ت٣٧٠هـ)، نشر: د. ف كرنكو، ط القدسي بالقاهرة.
- موسوعة أعلام الموصل: بسام إدريس الآلبي، ط الموصل ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م
- الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: د. ياسين صلاواتي، ط مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م
- موسوعة الموصل الحضارية: جامعة الموصل ـ العراق
- الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان: المحامي عباس العزاوي، ط بغداد ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م

- الموسيقى والمغنون خلال الفترة المظلمة: هاشم محمد الرجب، ط بغداد.
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: لمحمد بن عمران المرزباني، ط مصر ١٣٤٣هـ.
- النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس: لابن دحية، ط بغداد ١٣٦٥هـ
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: لجمال الدين، أبي المحاسن، يوسف بن تغري بردى الأتابكي (ت٨٤٧هـ)، ط دار الكتب المصرية ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م
- نسمة السحر بذكر من تشيَّع وشعر: لضياء الدين، يوسف بن يحيى الصنعاني (ت١١٢١هـ) تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٩٩م
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ)، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م
- نكت الهميان في نكت العميان: لصلاح الدين، خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ) تحقيق: أحمد زكي، ط مصر ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م
- نهشل بن حري (سيرته وشعره): في كتاب عشرة شعراء مقلون.
- نهاية الأرب في فنون الأدب: لشهاب الدين، أحمد بن عبد الله النويري (ت٧٣٣هـ) ط دار الكتب المصرية ١٩٦٣م
- هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: لإسماعيل باشا البغدادي، ط استانبول ١٩٥١ـ ١٩٥٥م
- الوافي بالوفيات: صلاح الدين، خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ) نشر: جمعية المستشرقين الألمانية ـ بيروت ط ٢ ١٩٦٢ وما بعدها
- الوزراء والكتاب: لأبي عبد الله، محمد بن عبدوس الجهشياري (ت٣٢١هـ) تحقيق: السقا والأبياري وشلبي، ط مصر ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م
- الوسائل إلى مسامرة الأوائل: لجلال الدين، عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ) ط بغداد ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م

- وفيات الأعيان: لشمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان (ت٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس، ط دار الثقافة ـ بيروت ١٩٧٣م
- آل وهب من الأسر الأدبية في العصر العباسي: د. يونس أحمد السامرائي، ط بغداد ١٩٧٩
- ياقوت المستعصمي: هلال ناجي، ط بيروت
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت٤٢٩هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢/ دار الفكر ـ بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م
- أبو اليمن، تاج الدين، زيد بن الحسن الكندي البغدادي (ت٦١٣هـ) تحقيق: د. سامي مكي العاني وهلال ناجي، ط بغداد ١٩٧٧

* * *


فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة التحقيق ٣
صور المخطوط ٥
مشاهير أهل الغناء في بلاد المشرق ٢١
[١] ابن محرّز ٢١
[٢] ابن عائشة ٢٢
[٣] حُنين الحيري ٢٧
[٤] الغَريض ٣٢
[٥] طويس ٤٥
[٦] يزيد حوراء ٤٧
[٧] عبد الرحمن الدف ٤٩
[٨] ابن مسجح ٥٠
[٩] عَطَرَّد ٥٢
[١٠] الأبجر ٥٣
[١١] فريدة ٥٥
[١٢] الدلال ٥٨
[١٣] أبو سعيد ٦٢
[١٤] فُلَيح بن العوراء ٦٦
[١٥] الهذلي ٦٧
[١٦] مالك بن السمح ٦٩
[١٧] دحمان الأشقر ٧٢
[١٨] سياط ٧٣
[١٩] ابن جامع ٧٤
[٢٠] جميلة ٨٠
[٢١] معبد ٨٢
[٢٢] ابن سريج ٨٧
[٢٣] أبو كامل ٩٧
[٢٤] إسماعيل بن الهِربِذ ٩٨
[٢٥] أبو دلف ٩٩

[٢٦] البُرْدَان ١١٠
[٢٧] سائب خاثر ١١١
[٢٨] عبد الله بن جُدعان ١١٣
[٢٩] مُتَيَّم الهشامية ١١٥
[٣٠] سَلاَّمَة القَسّ ١١٧
[٣١] عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ١١٩
[٣٢] محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ١٢١
[٣٣] عبد الله بن طاهر ١٢٥
[٣٤] معبد اليقطيني ١٣٠
[٣٥] محمّد الزَّفّ ١٣٢
[٣٦] عثعث ١٣٤
[٣٧] بَصْبَصْ جارية ابن نفيس ١٣٦
[٣٨] الزَّرْقَاء جارية ابن رَامِين ١٣٩
[٣٩] حَبَّابَة جارية يزيد بن عبد الملك ١٤٠
[٤٠] بُدَيْح مولى عبد الله بن جعفر ١٤٤
[٤١] هاشم بن سليمان ١٤٥
[٤٢] عمرو ابن بانة ١٤٦
[٤٣] وجه القرعة ١٤٨
[٤٤] شارية ١٤٩
[٤٥] خليدة المكية ١٥٢
[٤٦] عمرو الميداني ١٥٣
[٤٧] أشعب الطامع ١٥٤
[٤٨] يونس الكاتب ١٦١
[٤٩] أحمد النَّصْبِيّ ١٦٢
[٥٠] سُلَيم ١٦٣
[٥١] ابن عباد الكاتب ١٦٤
[٥٢] يحيى المكي ١٦٥
[٥٣] حكم الوادي ١٦٩
[٥٤] عمر الوادي ١٧٠
[٥٥] أحمد بن يحيى المكي ١٧٢
[٥٦] بذل ١٧٣
[٥٧] عزّة الميلاء ١٧٥
[٥٨] فِنْد مولى عائشة ١٧٧

[٥٩] دنانير البرمكية ١٧٨
[٦٠] الزبير بن دحمان ١٨٠
[٦١] عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ١٨٢
[٦٢] أبو صدقة ١٨٩
[٦٣] عمرو بن أبي الكنَّات ١٩٢
[٦٤] خُلَيْلان المعلم ١٩٣
[٦٥] عبيدة الطنبورية ١٩٤
[٦٦] أبو حشيشة ١٩٦
[٦٧] إسحاق الموصلي ١٩٧
[٦٨] إبراهيم بن المهدي ٢٢٤
[٦٩] عُلَيّة بنت المهدي ٢٣٠
[٧٠] أبو عيسى ٢٣٦
[٧١] علوية ٢٣٩
[٧٢] مخارق ٢٤٢
[٧٣] عريب جارية المأمون ٢٤٧
[٧٤] إبراهيم الموصلي ٢٥٣
[٧٥] أبو زكار ٢٧٤
[٧٦] دليل الطنبوري ٢٧٦
[٧٧] عليُّ بن يحيى المنجم ٢٧٧
[٧٨] ذرفل بن إخليج بن عبد الملك الأهوازي ٢٧٩
[٧٩] إسرائيل العوّاد ٢٨٠
[٨٠] طريف بن مُعلى الهاشمي ٢٨٢
[٨١] تحفة جارية المعتزّ ٢٨٣
[٨٢] إسحاق المنجم ٢٨٤
[٨٣] ابن العلاّف نديم المعتضد ٢٨٧
[٨٤] مؤدب الراضي ٢٩٠
[٨٥] أبو سعد بن بشر العطار الطنبوري المعروف بغلام الديلمي ٢٩١
[٨٦] مسكين بن صدقة المديني ٢٩٢
[٨٧] بديع بن محسن بن عبد الرحمن ٢٩٢
[٨٨] غصُون جارية المتقي ٢٩٣
[٨٩] معمر بن قطامي بن خالد الدمشقي ٢٩٥
[٩٠] تحفة ٢٩٦

[٩١] بحبه جارية أبي يعقوب ٢٩٧
[٩٢] أبو العزّ العوّاد ٢٩٨
[٩٣] عينُ الزمان، أبو القاسم ٢٩٨
[٩٤] أبو العُبَيس بن حَمْدون ٢٩٩
[٩٥] جَيْداء جارية سيف الدولة بن حمدان ٣٠٠
[٩٦] القاسم بن زُرْزُر ٣٠٢
[٩٧] عليّ بن منصور الهاشمي ٣٠٤
[٩٨] كُرْدُم بن معبد بن الوليد بن محمد بن معبد بن كُرْدم بن معبد المديني ٣٠٥
[٩٩] أحمد بن أسامة النصبي ٣٠٥
[١٠٠] وشيحة ٣٠٧
[١٠١] إسرائيل اليهودي ٣٠٧
[١٠٢] يحيى جارية أبي محمد المهلبي ٣٠٨
[١٠٣] عنان جارية النَّاطفي ٣١٠
[١٠٤] دنانير جارية محمد بن كناسة ٣١٣
[١٠٥] فضل اليمامية ٣١٤
[١٠٦] تَيْمَاء، جارية خُزَيْمَة بن خازِم ٣١٨
[١٠٧] سُكُون جارية طاهر بن الحسين ٣١٩
[١٠٨] فنون جارية يحيى بن مُعَاذ ٣٢٠
[١٠٩] صرف جارية ابن خُضَير ٣٢١
[١١٠] نَسِيْم جارية أحمد بن يوسف الكاتب ٣٢٢
[١١١] عَارِم جارية وليدة النخاس ٣٢٣
[١١٢] سلمى اليمامية ٣٢٣
[١١٣] مُرَاد جارية علي بن هشام ٣٢٣
[١١٤] مُتَيَّم الهشامية ٣٢٤
[١١٥_١١٦] سمراء وهيلانة ٣٢٥
[١١٧] ظلوم جارية محمد بن مسلم ٣٢٦
[١١٨] عاذل جارية زينب بنت إبراهيم الهاشمية ٣٢٦
[١١٩_ ١٢٠] رَيَّا وظَمْيَاء ٣٢٧
[١٢١] بَنَان جارية المتوكل ٣٢٨
[١٢٢] رَيَّا جارية إسحاق ٣٢٩
[١٢٣] محبوبة جارية المتوكل ٣٣٠
[١٢٤] أمل جارية قَرِين النَّخَّاس ٣٣٣
[١٢٥] رابعة جارية إسحاق بن إبراهيم الموصلي ٣٣٤

[١٢٦] قَاسِم جارية ابن طرخان ٣٣٤
[١٢٧] مَهَا جارية عَرِيْب ٣٣٥
[١٢٨] بديعة الكبرى جارية عَرْيب ٣٣٦
[١٢٩] مَثَل جارية إبراهيم بن المُدَبِّر ٣٣٧
[١٣٠] نَبْت ٣٣٨
[١٣١] صَاحِب جارية ابن طرخان النخّاس ٣٣٩
[١٣٢] جُلَّنار ٣٤٠
[١٣٣] خَنْسَاء البرمكية ٣٤١
[١٣٤] خزامى جارية الطيط المغني الملقب بالطيط ٣٤٤
[١٣٥] صدقة بن محمد ٣٤٥
[١٣٦] الحسين بن الحسن بن أبي نصر بن منصور الدهان، زين الدين، أبو عبد الله الموصلّي ٣٤٦
[١٣٧] ياقوت المستعصمي ٣٤٨
[١٣٨] عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الأرموي، صفي الدين، أبو الفضائل ٣٤٩
[١٣٩] لحاظ المغنية ٣٥٦
[١٤٠] الثوبي ٣٥٧
[١٤١] الخَرُوْف ٣٥٧
[١٤٢] محمد بن غرّة ٣٦٤
[١٤٣] القاضي محمد العواد ٣٦٧
[١٤٤] الدهان، محمد بن علي بن عمر المازني، أبو الفضل، شمس الدين ٣٦٨
[١٤٥] الكمال التوريزي ٣٧٠
[١٤٦] محمد بن الكسب ٣٧٣
[١٤٧] الكُتَيْلَة، بدر الدين، محمد الجتكي المارديني ٣٧٤
[١٤٨] خالد ٣٨٢
[١٤٩] السهروردي، شمس الدين ٣٩٠
[١٥٠] الشمس الكَرْمي ٣٩٤
[١٥١] يحيى الغَرِيب الواسطي المشيب بن زاده الديسني، جمال الدين، أبو سعيد المشرقي ٣٩٥
[١٥٢] حَسَن الناي ٤٠٢
[١٥٣] السِّيلْكُو ٤٠٢
[١٥٤] البدر الإربلي ٤٠٣
[١٥٥] التاج بن الكندي ٤٠٣

[١٥٦] خواجا أبو بكر النوروزي ٤٠٥
[١٥٧ـ ١٥٨] علاء الدين دهن الحصى ، وأخوه الكمال يوسف ٤٠٥
[١٥٩] نظام الدين، يحيى بن الحكيم ٤٠٦
[١٦٠] كمال الدين، محمد بن البرهان الصوفي ٤٠٩
[١٦١] حسين بن علي المطري العزاوي ٤٠٩
مشاهير أهل الغناء في بلاد المغرب ٤١٣
[١٦٢] غرير جارية الحكم بن هشام ٤١٣
[١٦٣] غرير جارية الحكم بن هشام ٤١٦
[١٦٤] بهجة جارية الحكم ٤١٨
[١٦٥] مهجة جارية الحكم ٤٢١
[١٦٦] فاتن جارية الحكم ٤٢٥
[١٦٧] فاتك جارية الحكم بن هشام ٤٢٦
[١٦٨] أفلح الرباني ٤٢٨
[١٦٩] رغد جارية المغيرة بن الحكم ٤٢٨
[١٧٠] سليم مولى المغيرة بن الحكم ٤٣١
[١٧١] وَضِيْح بن عبد الأعلى ٤٣٣
[١٧٢] ابن سَعِيد كامل ٤٣٥
[١٧٣] حِصْنُ بن عَبْد بن زياد ٤٣٦
[١٧٤] ساعدة بن بريم ٤٣٧
[١٧٥] المُجدَّع مولى أم سليمان بن الحكم ٤٣٨
[١٧٦] رَدَاح جارية عبد الرحمن المستظهر ٤٣٩
[١٧٧] خُلَيد مولى الأدارسة ٤٤٢
[١٧٨] سُعْدى جارية المعتمد بن عبّاد ٤٤٣
[١٧٩] مَيْمون الجوهري ٤٤٥
[١٨٠] طَرِيف بن عبد الله السميع القابسي ٤٤٦
[١٨١] زيد الغِنَاء بن المُعلّى بن عبد العظيم ٤٤٧
[١٨٢] جارية تميم جدّ المعز بن باديس ٤٤٩
[١٨٣] الكسو أحمد بن محمد بن أحمد اللخمي من أهل تونس ٤٥٢
[١٨٤] أبو عبد الله الشلالجي ٤٥٣
مشاهير أهل الغناء بمصر ٤٥٤
[١٨٥] ناطِفَة جارية الزاغوني ٤٥٤
[١٨٦] بَدِيْع جارية المحلمي ٤٥٥

[١٨٧] صافية، جارية بدر أمير الجيوش ٤٥٥
[١٨٨] عَيْنَا، جارية بدر أمير الجيوش ٤٥٧
[١٨٩] مغنِّي الصالح بن رزيك ٤٥٨
[١٩٠] سرور، جارية العزيز ٤٥٩
[١٩١] فُتُون العادلية ٤٦٢
[١٩٢] عَجِيْبَة، مغنية الكامل ٤٦٤
[١٩٣] الكَرْكِيَّة، مغنية الظاهر بيبرس ٤٦٨
[١٩٤] الزركشي، أبو عبد الله، ناصر الدين الفقيه الحنفي ٤٧٢
[١٩٥] ابن بكر، أبو عبد الله الشيخ شمس الدين، محمد البغدادي الأصل، المصري الدار والمولد. ٤٧٤
مصادر ومراجع التحقيق ٤٧٧
فهرس الموضوعات ٥٠١

MASĀLIK AL-ʾABṢĀR FĪ MAMĀLIK AL-ʾAMṢĀR

by

Šahābuddīn Ibn faḍlullah al-ʿUmari

Edited by

Kāmil Salmān al-Jubūri

Volume X

